سلسلة

سَبيلُ النّجاة من شَرِّ الغُلاة

تأليف

الأستاذ حيدر علي قلمداران القُمِي

(١٣٣٢ - ١٤١١هـ = ١٩١٣ - ١٩٨٩م)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس عام

بحث في اختصاص علم الغيب بالله ٣٣

بحث في «الولاية» وحقيقتها ١٧١

بحث حول الشفاعة وحقيقتها ٢٧٥

بحث في زيارة المزارات وفقه الزيارات ٣٧٩

بحث حول الغلو والغلاة ٥٦١

فهرس تفصيلي لموضوعات الكتاب

فهرس عام ١

فهرس تفصيلي لموضوعات الكتاب ٣

مقدمة المشروع ٩

مقدمة الناشر ١٤

ترجمة مختصرة للأستاذ حيدر علي قلمداران ١٧

۞ المولد والمنشأ ١٧

۞ الدعوة والنشاط عند الأستاذ قلمداران ١٩

۞ الأستاذ قلمداران والخميني ٢٠

۞ الأستاذ قلمداران والشعر ٢١

۞ صلة «قلمداران» بالشخصيات المعاصرة ٢١

١ - العلامة الشيخ محمد الخالصي ٢١

٢ - المهندس مهدي «بازركان» ٢٣

٣- الدكتور علي شريعتي ٢٣

٤ - الأستاذ الشيخ مرتضي «مطهري» ٢٤

٥ - آيت الله العظمى حسين علي منتظري ٢٥

۞ حادثة اغتيال الأستاذ «قلمداران» والحوادث المؤلمة الأخرى في حياته ٢٦

۞ الخلق الرفيع عند الأستاذ «قلمداران» وحرّيته ٢٨

۞ الآثار العلمية للأستاذ «قلمداران» ٢٩

۞ وفاة الأستاذ ٣٢

بحث في اختصاص علم الغيب بالله ٣٣
موقف القرآن والأئمَّة من دعوى علم الأئمَّة بالغيب ٣٥
النبيُّ لا يعلم من الغيب سوى الوحي! ٣٩
الأئمَّة الأطهار عليهم السلام يتبرؤون من القائلين بهذه العقيدة ٤٩
عقيدة أصحاب الأئمَّة فيهم ٥٧
ماذا تقول سيرة الأئمَّة عليهم السلام بشأن علمهم بالغيب! ٦٩
أقوال كبار علماء الشيعة في نفي علم الأئمَّة بالغيب ٨٩
الدافع نحو هذا التفكير المُغَالي المُفْتَقِر إلى الدليل ١١٠
علم الغيب غير مفيد للإنسان ١١٧
المفهوم الصحيح لـ«الإمام» و «الإمامة» ١٢٤
المعنى الحقيقي للتوسُّل و «الوسيلة» ١٢٧
نظرة إلى التحريف الذي أصاب مفهوم الشفاعة ١٣٤
جولة في رسالة «سهو النبيّ» وآراء العلامة المحقِّق آية الله الحاجّ الشيخ محمد تقي التستري (الشوشتري) ١٣٩
دراسة «رسالة في سهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم» للعلامة الشوشتري ١٤٥
مناقشة وجوه طعن الشيخ المفيد (ره) ١٥٧
الخاتمة ١٦٠
قائمة المصادر والمراجع ١٦٣

بحث في «الولاية» وحقيقتها ١٧١
[المقدمة] ١٧٣
الدافع لتأليف هذا الكتاب ١٧٦

نقد العبارات الشركية في افتتاحية كتاب «أمراء الكون» ١٩٧
نقد تفسير صاحب كتاب «أمراء الكون» لمعنى «الولاية» ٢٠٤
الدلائل على بطلان ادّعاءات آية الله العظمى! ٢١٧
[ما ترويه بعض كتب الصوفية من خوارق لمرشديهم وأقطابهم يفوق ما تذكُرُهُ عن الأئمَّة!!] ٢٥٦
[اعتراف صاحب كتاب «أمراء الكون» بعدم ادّعاء الأئمَّة لمقام الإمارة على الكون! ومحاولته الفاشلة للإجابة عن هذا الإشكال] ٢٦١

بحث حول الشفاعة وحقيقتها ٢٧٥
موضوع الشفاعة وحقيقتها ٢٧٩
السبب الأساسي لنشر كتب الغلاة وعقائدهم ٢٨٣
الكلام في الشفاعة التي أصبحت مصدراً للغُلُوِّ بين المسلمين عامَّةً والشيعة خاصَّةً ... ٢٩٠
حقيقة الشفاعة الصحيحة ومفهومها في الكتاب والسنة ٢٩٩
[اعتراضٌ والإجابةُ عنه] ٣١٨
الأئمَّة عليهم السلام ينفون الشفاعة عن أنفسهم ويحصرون النجاة بالتقوى والورع ٣٢٣
عامَّة أحاديث الشفاعة ضعيفة سندًا ٣٢٩
الشفاعة وحقيقتها ٣٥٩
[الشفاعة عند الله لا تُقاس على الشفاعة عند سلاطين الدنيا] ٣٥٩
خلاصة بحث الشفاعة ٣٧١
الشفاعة التي في القرآن ٣٧٣
[في الختام] ٣٧٦

بحث في زيارة المزارات وفقه الزيارات ٣٧٩
مقدمة ٣٨١
الدلائل العقلية والتاريخية على نفي زيارة المراقد في الإسلام ٣٩١
حلُّ إشْكَالٍ ورَفْعُ مُعْضِلَةٍ ٤٠٧
علّة الاهتمام بزيارة القبور ٤١١
الأحاديث الباقية من الفرق الضالّة ٤٢٠
أضرار أحاديث الزيارة وخصومتها لآيات القرآن ٤٣١
ضعف روايات زيارة القبور في ضوء كتب علم الرجال ٤٣٧
أسماء الرواة ٤٤٠
خطبة المؤلف في الصحن الحسيني المطهَّر ٤٧١
الزيارة وحقيقتها ٤٧٧
(نقد الزيارة الجامعة الكبيرة سندًا ومتنًا) ٤٧٧
مسألة الزيارة ٤٩٩
(منشأ تعظيم القبور والغلوّ في الأموات) ٤٩٩
ملحق بناء القبور في بلادنا وحكمه في ديننا! ٥١٧
الأحاديث الواردة في النهي عن تعمير القبور ٥٢٧
تكملة العلامة البرقعي حول ضعف رواة أحاديث الزيارة ٥٣٩

بحث حول الغلو والغلاة ٥٦١
التعرُّف على الغلاة ٥٦٣
[مبدأ نشأة الغُلُوّ في الإسلام وبين الشيعة] ٥٦٨
[تسرب عقائد الغلاة القدماء إلى المتأخرين] ٥٧١

الغلاة أكبر المصائب وأخبث الآفات ٥٨٣
تمكُّن الغلاة من دسّ كثير من أخبار الغلوّ بين الآثار الصحيحة المروية عن الأئمَّة ٥٩٥

خلاصة مباحث كتاب «طريق النجاة من شر الغلاة» ٦٠٣
تذكرة ٦١١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المشروع

الحمد لله الذي أنعم على عباده بنعمة الإسلام، واختار منهم أفضل عباده وأطهرهم لإبلاغ رسالة الحرية والتحرُّر من كل عبودية سوى عبودية الله، والصلاة والسلام على أهل بيتِ نبي المحبة والرحمة الكرام الأطهار، وعلى صحبه الأجلاء الأبرار، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن الدينَ الذي نفخر به اليوم ثمرةٌ لجهاد رجال الله وتضحياتهم، أولئك الذين كانت قلوبهم مُتَيَّمةً بحب الله، وألسنتهم لَـهِجَةً بذكر الله، وبذلوا الغالي والنفيس في سبيل حفظ رسالات الله ونشرها، واضعين أرواحهم وأموالهم وأعراضهم على أكفهم ليقدِّموها رخيصةً في سبيل صون كلمة الله سبحانه وسنة نبيه الكريم، لا تأخذهم في ذلك لومة لائم، ولا يخشون إلا الله.

أجل، هكذا قامت شجرةُ الإِسْلاَمِ العزيز واسْتَقَرَّت ضاربةً بجذورِها أعماق الأرض، بالغةً بفروعها وثمارها عنان السماء، مُعْليةً كلمة التوحيد والمساواة.

ولكن في أثناء ذلك، تطاولت على قامة الإسلام يد أعدائه الألدَّاء، وظلم علماء السوء، وتحريف المتعبِّدين الجَهَلة، فَشَوَّهُوا صورة الإسلام الناصعة بشركهم وغلوهم وخرافاتهم وأكاذيبهم، إلى درجة أن تلك الأكاذيب التي كان ينشرها المتاجرون بالدين غطَّت وجه الإسلام الناصع. وقد اشتدَّ هذا المنحى من الابتعاد عن حقائق الدين، وعن سنة رسول الله الحسنة، بمجيء الصفويين إلى حكم إيران في القرن التاسع الهجري ثم بقيام الجمهورية الإسلامية في العصر الحاضر، حتى أصبحت المساجد اليوم محلاً لِـلَطْمِ الصدور وإقامة المآتم

ومجالس العزاء، وحلَّت الأحاديث الموضوعة المكذوبة محل سنة النبيﷺ، وأصبح المدَّاحون الجهلاء الخدّاعون للعوام، هم الناطقون الرسميون باسم الدين، وأصبح التفسير بالرأي المذموم والروايات الموضوعة المختَلَقة مستمسكًا للتفرقة بين الشيعة والسنة، ولم يدروا للأسف من الذي سينتفع ويستفيد من هذه التفرقة المقيتة؟

إن دعوة التقريب بين المذاهب الإسلامية التي تُرْفع اليوم في إيران، ليست سوى ضجَّة إعلامية ودعاية سياسية واسعة، القصد منها جذب الأنظار وإعطاء صورة جيدة عن حكومة إيران الشيعية في العالم. إن نظرةً إلى قادة الشيعة في إيران وزعمائهم الدينيين ومراجعهم تدل بوضوح على هذه الحقيقة وهي أن التقريب بين المذاهب الإسلامية والأخوَّة والمحبَّة الدينية بين المسلمين، على منهج حُكَّام إيران الحاليين، ليست سوى رؤيا وخيالٍ وشعارات برَّاقة لا حقيقة لها على أرض الواقع.

في هذا الخِضَمّ نهض أفراد مؤمنون موحِّدون من وسط مجتمع الشيعة الإمامية في إيران، دعوا إلى النقد الذاتي، وإعادة النظر في العقائد والممارسات الشيعية الموروثة، ونبذ البدع الطارئة والخرافات الدخيلة، وإصلاح مذهب العترة النبوية بإزالة ما تراكم فوق وجهه الناصع منذ العصور القديمة من طبقات كثيفة من غبار العقائد الغالية والأعمال الشركية والبدعية، والأحاديث الخرافية والآثار والكتب الموضوعة، والعودة به إلى نقائه الأصلي الذي يتجلى في منابع الإسلام الأصيلة: القرآن الكريم وما وافقه من الصحيح المقطوع به من السنة المحمدية الشريفة، على صاحبها آلاف التحية والسلام، وما أيَّدهما من صحيح هدي أئمّة العترة الطاهرة وسيرتهم، وشمَّر هؤلاء عن ساعد الجِدّ، وأطلقوا العِنان لأقلامهم وخطبهم ومحاضراتهم لإزالة صدأ الشرك عن معدن التوحيد الخالص، ولسان حالهم يقول: «انهض أيها المسلم وامحُ هذه الخرافات والخزعبلات عن وجه الدين، واقضِ على هذا الشرك الذي يتظاهر باسم التقوى، وأعلن التوحيد وحطِّم الأصنام».

لقد اعتبر «حيدر علي قلمداران القمِّي» -وهو أحد أفراد تلك المجموعة من الموحِّدين المصلحين- في كتابه «طريق الاتحاد»، أن سبب هذه التفرقة هو جهل المسلمين بكتاب الله

وسيرة نبيه، وسعى من خلال كشف الجذور الأخرى لتفرُّق الفرق الإسلامية، إلى التقدّم خطوات مؤثرة نحو التقريب الحقيقي بين المذاهب. ولا ريب أن جهود علماء الإسلام الآخرين مثل آية الله السيد أبو الفضل ابن الرضا البرقعي، والسيد مصطفى الحسيني الطباطبائي، وآية الله شريعت سنكلجي، ويوسف شعار وكثيرين آخرين من أمثال هؤلاء المجاهدين في سبيل الحق، هي أسوة ونبراس لكل باحث عن الحق ومتطلِّعٍ إلى جوهر الدين، كي يخطوا هم بدورهم أيضًا خطوات مؤثرة في طريق البحث والتحقيق التوحيدي، مُتَّبِعين في ذلك أسلوب التحقيق الديني وتمحيص الادِّعاءات الدينية على ضوء التعاليم الأصيلة للقرآن والسنة، ليعينوا ويرشدوا من ضلوا الطريق وتقاذفتهم أمواج الشرك والخرافات والأباطيل، ليصلوا بهم إلى بر أمان التوحيد والدين الحق.

إن المساعي الحثيثة التي لم تعرف الكلل لِرُوَّاد التوحيد هؤلاء لَهِيَ رسالةٌ تقع مسؤوليتها على عاتق الآخرين أيضًا، الذين يشاهدون المشاكل الدينية لمجتمعنا، ويرون ابتعاد المسلمين عن تعاليم الإسلام الحيَّة، لاسيما في إيران.

هذا ولا يفوتنا أن نُذَكِّر هنا بأن هؤلاء المصلحين الذين نقوم بنشر كتبهم اليوم قد مرُّوا خلال تحوُّلهم عن مذهبهم الإمامي القديم بمراحل متعددة، واكتشفوا بطلان العقائد الشيعية الإمامية الخاصة -كالإمامة بمفهومها الشيعي والعصمة والرجعة والغيبة و... وكالموقف مما شجر بين الصحابة وغير ذلك- بشكل متدرِّج وعلى مراحل، لذا فلا عجب أن نجد في بعض كتبهم التي ألفوها في بداية تحولهم بعض الآثار والرسوبات من تلك العقائد القديمة لكن كتبهم التالية تخلَّصت منها بل نقدت بشدة كل تلك العقائد المغالية واقتربت من الغاية المنشودة بل إنها عانقتْ العقيدة الإسلامية الصافية والتوحيدية الخالصة.

***

الأهداف

تُمَثِّلُ الكتبُ التي بين أيديكم اليوم سعيًا لنشر معارف الدين وتقديرًا لمجاهدات رجال الله التي لم تعرف الكَلَل. إن الهدف من نشر هذه المجموعة من الكتب هو:

١- إمكانية تنظيم ونشر آثار الموحِّدين إلكترونيًا على صفحات الإنترنت، وضمن أقراص مضغوطة، وفي كتب مطبوعة، لتهيئة الأرضية اللازمة لتعرُّف المجتمع على أفكارهم التوحيدية وآرائهم الإصلاحية، ولتأمين نقل قِيَم الدين الأصيلة إلى الأجيال اللاحقة.

٢- التعريف بآثار هؤلاء العلماء الموحِّدين وأفكارهم التي تشكِّل مشعلاً يهدي الأبحاث التوحيدية وينير الدرب لطلاب الحقيقة ويقدِّم نموذجًا يُحْتَذَى لمجتمع علماء إيران.

٣- حث المجتمع الديني الشيعي على ترك التقليد وإعادة التفكير في معتقداتهم الدينية لأن المجتمع الديني الشيعي عامة وفي إيران خاصة اعتاد التقليد المحض، وتصديق كل ما يقوله رجال الدين دون تفكير، ويتمحور حول المراجع ويحب المداحين. ولذا فإن هذه الكتب تحث إلى إعادة التفكير في أفكارهم الدينية التي أخذوها من رجال الدين وتدعوهم إلى استبدال ثقافة التقليد بثقافة التوحيد، وتريهم كيف أنه نهض من بطن الشيعة الغلاة الخرافيين، رجال أدركوا نور التوحيد اعتمادًا على كتاب الله وسنة رسوله.

٤- إن نشر آثار هؤلاء الموحِّدين الأطهار وأفكارهم، ينقذ ثمرات أبحاثهم الخالصة من مقصِّ الرقيب ومن تغييب قادة الدين والثقافة في إيران لهذه الآثار القَيِّمة والتعتيم عليها، كما أن ترجمة هذه الآثار القَيِّمة لسائر اللغات يُعَرِّف الأمّة الإسلامية بآراء الموحدين المسلمين في إيران وبأفكارهم النيِّرة.

***

آفاق المستقبل

لا شك أنه لا يمكن الوصول إلى مجتمع خالٍ تمامًا من الخرافات والبدع وإلى المدينة الفاضلة التي تتحقق فيها الطمأنينة في ظلّ رضا الله سبحانه وتعالى، إلا باتّباع التعاليم النقيَّة الأصيلة للقرآن الكريم وسنة نبي الرحمة والرأفة ﷺ. إن هدف القائمين على نشر مجموعة آثار الموحِّدين هو التعريف بآثار هؤلاء العلماء المجاهدين، كي تكون معرفة الفضائل الدينية والعلمية لهؤلاء الأعزاء، أرضية مناسبةً لنموّ المجتمع التوحيدي والقرآني في إيران وقوّته، وذلك لنيل رضا الخالق وسعادة المخلوق.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذه الكلمات المختصر وسيلة لعلوّ درجات أولئك الأعزاء، وأن يمنّ علينا بالعفو.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة العبودية له، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله وآخر رسل الله محمد المصطفى وعلى آله الأطهار وصحبه الأبرار.

وبعد، فقد كان المسلمون طول القرون المنصرمة سبَّاقين في تحصيل العلم والمعرفة وتعلُّم العلوم المختلفة، وذلك ببركة تعاليم الإسلام العزيز واتِّباعًا منهم لكلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى صار العلماء المسلمون في أواخر فترة الخلافة العباسية سادة العلوم في عصرهم، وتحول بيت الحكمة الذي تأسس في بغداد في النصف الثاني من القرن الهجري الثاني في عهد خلافة هارون الرشيد العباسي، إلى أكبر مؤسسة علمية وبحثية في العالم، ولا يزال بيت الحكمة يُعتَبر مظهرًا من مظاهر الحضارة الإسلامية، وذلك بفضل نشاطاته الثقافية والعلمية في المجالات المختلفة من تأليف وترجمة واستنساخ وأبحاث متنوعة في المجالات العملية المختلفة سواء الطب والهندسة أم العلوم الإنسانية.

ولا شك أن هذه القوة العلمية للمسلمين كانت بمثابة شوكة في أعين أعداء الإسلام، لذلك سعوا من خلال بثِّ أسباب الفرقة والاختلاف بين المسلمين إلى تحطيم عَظَمَة الإسلام هذه وسؤدده الذي يعود الفضل فيه إلى وحدة المسلمين وتماسكهم والأخوة السائدة بينهم، فأثار أعداء الإسلام عواصف النزاعات والتفرقة بين المسلمين كي يحجبوا جمال الحق عن أبصارهم، ويخفوا شمس الدين المشعة خلف غيوم البدع والخرافات.

إن المساعي المخطط لها وعلى المدى الطويل لأعداء الإسلام، بغية إغلاق أعين المسلمين عن حقيقة الدين وإضعاف المسلمين عن تعلُّم معارف الدين ونشرها، وإبعادهم عن سنة

النبي الأصيلة الهادية، أدت إلى حدوث فجوة عميقة واختلاف كبير في أمة الإسلام وأصبح أبناء الإسلام اليوم يعانون بشدَّة من تبعات هذه الفجوة وآثارها المشؤومة.

وبموازاة مساعي أعداء نبي الإسلام ﷺ الرامية إلى تحريف تعاليم الإسلام وتشويهها وإدخال البدع المختلفة في الدين، أدرك أشخاصٌ مؤمنون أطهار شفيقون هذا الخطر، ونهضوا مشمِّرين عن ساعد الجِد والجهاد المتواصل لإحياء معالم الإسلام والسنة النبوية الأصيلة، وتناولوا بأيديهم -بشجاعة منقطعة النظير- أقلامهم وأخذوا يكتبون ويؤلفون في نشر ثقافة الإسلام الأصيلة والعقائد الإسلامية الصحيحة النقية بين أوساط الشيعة عُبَّاد الخرافات، وصدحوا بينهم بنداء التوحيد بصوت عال أيقظ المتاجرين بالدين والبدع من نوم غفلتهم مذعورين! لقد ضحى هؤلاء الموحدون الطالبون للحق والحقيقة بمصالحهم الشخصية فداء للحقيقة، وقدموا أرواحهم في هذا السبيل هديةً رخيصةً للحق تعالى، وصاروا عن حق مصداقًا لقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ٦٢﴾ [يونس:٦٢].

إن ما جاء في هذه المجموعة ليس سوى غيضٍ من فيض المعارف الإلـهية، ومُنْتَخَبٍ من آثار الموحدين الطالبين لله تعالى الذين كانوا ينتمون في بداية أمرهم لطائفة الشيعة. لقد أشرق نور الله في صدورهم، وصار التوحيد نبراس حياتهم المباركة.

لم تتحول هذه النخبة من الطراز الأول من كبار أعلام المذهب الشيعي في إيران، مرة واحدة، بل اتخذ مسار التحول، التحول التدريجي خطوةً فخطوة. وذلك بعد مجاهدة للنفس ومدارسة للعلم وبحثٍ جاد، وتفكير عميق، ودراسةٍ متأنية، ومناظرات وحوارات مع من تحرر من ربقة تقليد الهوى العنيد، مما يضفي قيمة كبيرة لهذه الكتب التي وُلدت بعد مشقة كبيرة، ومجاهدة عظيمة. ولا يعني هذا أن الجميع قد وصل إلى صفاءٍ تام، بل يعسر على من تربى على شيء أن ينزعَ عنه إلا بشُقة شديدة، وتدرج مع الزمن. لذا فمن الطبيعي ألا تنطبق بعض رؤى وأفكار هؤلاء الإصلاحيين في بعض مراحل حياتهم وكتاباتهم، مع عقيدة أهل السنة والجماعة انطباقًا كاملاً، وعلى الرغم من ذلك، فقمنا بنشر هذه المؤلفات كما هي نظرًا لأهميتها في هداية الشيعة. كما أنه من الجدير بالذكر أن الرؤى والمواقف الفكرية المطروحة في هذه الكتب، لا تعبر

بالضرورة عن رأي الناشر والقائمين على نشر هذه المجموعة من الكتب، هذا على الرغم من أن هذه الكتب تمثل بلا ريب نفحةً من نفحات الحق ونورًا يضيء الطريق لطالبي الحقيقة النائين بأنفسهم عن العصبيات الجاهلية والمذهبية والظنون التاريخية الطائفية الكاذبة.

إن النقطة الجديرة بالتأمّل هي، أن من يريد الوقوف بشكل صحيح على رؤى وأفكار هؤلاء الأعلام، ألا يكتفي بقراءة كتاب واحد من آثارهم، بل لا بد من قراءة حياتهم بشكل كامل، لكي يتعرَّف بشكل كامل على كيفية تحولهم الفكري، ودوافعه وعوامله. فعلى سبيل المثال، ألّف آية الله السيد أبو الفضل البرقعي في الفترة الأولى من بداية تحوله الفكري كتابًا بعنوان «درسى از ولايت» أي «درسٌ حول الولاية»، بحث فيه موضوع الأئمَّة وادعاء الشيعة حول ولايتهم وإمامتهم ورئاستهم المباشرة للمسلمين بعد نبي الله ﷺ. واعتبر أن عدد الأئمَّة ١٢ إمامًا، مصحِّحًا بذلك الاعتقاد بوجود محمد بن الحسن العسكري بوصفه الإمام الثاني عشر، وأنه لا يزال على قيد الحياة، ولكن المؤلِّف نفسه ألّف بعد عدة سنوات كتابًا باسم «دراسة علمية لأحاديث المهدي»، ووضع تحت تصرف القراء نتائج بحثه التي توصل إليها في هذا المجال، أن جميع الأخبار والروايات التاريخية المتعلِّقة بولادة ووجود المهدي إمام الزمان، موضوعة ومكذوبة. فمن خلال هذا المثال ومن أمثلة مشابهة أخرى يتبيَّن لنا أن أفضل طريق لمعرفة المسيرة التحولية لأفكار هؤلاء الموحدين وآثارهم هي قراءة مجموعة كتاباتهم بشكل كامل، مع الأخذ بعين الاعتبار تاريخ تأليف كل مؤلف من مؤلفاتهم من حيث تقدمه أو تأخّره زمنيًا.

نأمل في أن يكون سعينا في نشرِ آثار هؤلاء الأعلام مما يوفق الله به في تحقيق التوحيد، وتنقية العقائد من ظلمات الشرك وشوائبه، ونفْض لغبار البدع وترهّات الخرافة، ومشعلاً يستضيء به الموفق لطريق الهداية، وقبسًا يستنير به طالب النزوع من دروب الظلمة والغواية.

وختامًا: نسأل الله عز وجل أن يجعل عملنا هذا مما تَقَرُّ به أعيننا يوم نلقاه، ونسأله أن يتغمد هؤلاء الأعلام الذين جاهدوا في سبيل الوصول إلى الحق والتوحيد وإفراده عزّ وجلّ بالعبادة بواسع رحمته، إنه رؤوف رحيم، والحمد لله رب العالمين.

ترجمة مختصرة للأستاذ حيدر علي قلمداران

الحمد لله الذي يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، والصلاة والسلام على من أرسل لتبليغ الدين بدعوته، وعلى جميع الأطهار الأخيار من صحبه وعترته. وبعد:

فالهداية نعمة إلهية ومنة ربانية، لا يملكها ولا يستطيع التصرف فيها أحدٌ حتى الملائكة والأنبياء عليهم السلام كما قال سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ٥٦﴾ [القصص: ٥٦].

عدة سنوات مرَّت على وفاة المفكر الإسلامي والعالم الداعية الأستاذ حيدر علي قلمداران رحمة الله عليه. وقد كُتِبت سيرة مختصرة عن حياته النضالية وآثاره العلمية وفاءًا لخدماته الغالية النادرة الخالصة التي قدمها للإسلام والشريعة الإسلامية المقدسة في إيران.

۞ المولد والمنشأ

ولد حيدر علي بن إسماعيل قلمداران في عام ١٢٩٢ هـ.ش الموافق ١٣٣٢هـ.ق في قرية «ديزيجان» على بعد ٥٥ كم من طريق قم- أراك من أعمال مدينة قم من أسرة فقيرة نسبيًا، تشتغل بالزراعة. أصله من مدينة «تفرش» لأن جده لأبيه المرحوم الحاج حيدر علي - وكان رجلاً سخيًّا جدًّا، يقضي حاجات الناس ويحل مشاكلهم - انتقل من تفرش إلى ديزيجان.

توفيت أمُّه وهو ابن خمس سنوات، ولم يكن بإمكانه أن يسجل في الكتّاب عند زوجة إمام الحيّ التي كانت تدرّس أبناء وبنات الحيّ، لأنه ما استطاعأن يدفع الأجرة الشهرية، فكان يقف خلف الباب ويستمع إلى دروس العجوز. ومرّة عجز الطلاب عن إجابة سؤال العجوز، فأجابها «حيدرعلي» الصغير من خلف الباب، فسمحت له أن يحضر الدروس مجانًا. ولأنه لم يكن يملك ثمن الدفاتر والأقلام، فكان يستخدم الدخان الأسود لنار الحمام كحبر، وأعواد الثقاب كأقلام، والأوراق المهملة التي كان يجدها في مسجد القرية بدل الكراسات، حرصًا منه على الاستمرار في دراسته وكتابته.

وقد أشار الأستاذ قلمداران إلى هذا الوضع، في نهاية كتاب الخمس، في رده على رضا أستادي أصفهاني، فقال:

«ليس كاتب هذه السطور - بِمَنِّ اللهِ وَكَرَمِه- سوى ابن قرية صغيرة، أمضى أفضل أوقات عمره في القرية، ولم يكن لديه أيُّ نصيب من متع المُدُن وما فيها من الزينة والرفاهية والتكلُّف، وإنْ كان القضاء والقدر قد أجلسه يومًا أو بضع سنوات وراء منضدة أفضل منصب تعليمي (مدير ثانوية المدينة)، إلا أنه لم يملك أي شهادة علمية، لأنه لم يرَ في طفولته كتّابًا ولا مدرسةً ابتدائيةً، ولا انتقل في شبابه إلى الحوزة العلمية، ولم يأكل في حياته دينارًا من سهم الإمام أو الصدقات ولا لبس العمامة ولا انْتَعَلَ النعلين!![1] بل تربَّى في أحضان الطبيعة ونبت في حديقة أزهار المشيئة.

رغم ذلك، كُنتُ مُحِبًّا جدًّا للعلم والمعرفة من أعماق قلبي، وشغوفًا بالفكر والبصيرة. منذ اليوم الذي مَنَّ اللهُ فيه عليَّ -بلطفه وكرمه- بنعمة القراءة والكتابة، سعيتُ على الدوام - بمقتضى البحث عن الحقيقة الذي غرسه الله في فطرتي- إلى النظر في ملكوت السموات والأرض والتأمل في عجائب عالم الخليقة وغرائبه، واستنتاج الحقائق منه، وكنت أنظر في كل ما هو موجود وظاهر، بعين التحقيق، إلى الحد الذي مكنني اللهُ - واجب الوجود المتعال - منه وأقدرني عليه، ولم أَتَّبِعْ أيَّ مُنادٍ اتباعًا أعمى ولم أعتبر أي إنسان - عاجز محتاج إلى الله

١- إشارة إلى اللباس الرائج لعلماء الدين في بلده. (المُتَرْجِمُ)

مثلي - واجب الطاعة ولازم الاتباع، اللهمّ إلا إذا رأيت فيه فضيلةً وعلمًا تجعلانه أهلاً لقبول قوله واتِّباعه. لهذا السبب لم أَتَّبِعْ - في تحقيق الحقائق وتأسيس عقيدتي - كثيرًا مما هو سائد في البيئة المحيطة بي مِمَّا يُخالف في معظمه العقل والوجدان، بل بنيتُ أساس عقائدي على العقل الذي منحني الله إياه. فقد رأيت الناس في مجتمعي مبتلين بالتكلُّف والعصبيات المذهبية والتعصب للأشخاص، مما ينفُر منه الطبع النقيُّ الحُرُّ. ولذلك رجعت في مسائل الدين وأحكام الشريعة إلى الكتاب والسنة مباشرةً، فحصلت على حقائق تخالف ما هو منتشر في مجتمعنا، فدوّنت ذلك في أوراق دفاتري وأخرجت بعض ذلك أحيانًا بصورة كتاب أو رسالة قمت بطباعتها ونشرها بمشقّة بالغة. ولكن لما كانت البيئة المحيطة بي مخالفة للأفكار التي طرحتها ولم يكن ما طرحته منسجمًا مع مصالح ذوي النفوذ ولا موافقًا لمنافعهم الشخصية، قُوبِلَتْ كتبي بالإعراض والإدبار وكساد السوق وبقي كثير مما كتبته وطبعته حبيسًا في زوايا المنزل مهجورًا متروكًا يعلوه الغبار! ورغم ذلك لم أتوقف عن البحث والتحقيق لحظةً، بدافع فطرتي المشتاقة إلى الوصول إلى الحقيقة!»[١]

كان حيدر علي قلمداران الولد الوحيد المتبقي لأبيه من أصل ثلاثة عشر ولدًا ذكورًا وإناثًا توفوا جميعًا في الصغر بسبب الأوبئة والأمراض الفتاكة. فقد قلمداران والدَه وهو ابن خمس عشرة سنة. كان والده رجلاً سريع الغضب، يعترض على حضور ابنه الحلقات التعليمية، ويرغب بأن ينصرف ابنه إلى مساعدته في الأعمال الزراعية. فكان الشاب حيدر علي يضطر إلى حرمان نفسه من تناول طعام الفطور كي يتمكن من الذهاب إلى المكتب للتعلم في الصباح الباكر كي لا يأخذه والده معه للزراعة في أول النهار.

۞ الدعوة والنشاط عند الأستاذ قلمداران

تزوّج «قلمداران» بعد مضي سبعة وعشرين ربيعًا من عمره، ورزقه الله ثمانية أولاد (خمسة ذكور وثلاث إناث). وفي سن الثلاثين من عمره، عمل في مديرية التربية في مدينة «قم»، فعُيِّن في

١- بحث عميق في مسألة الخمس في الكتاب والسنة وفتاوى علماء الشيعة، ص٣٨٣-٣٨٤. (المُصحح)

بداية أمره كاتبًا لحُسْنِ خطه، ثم أصبح معلمًا في المدارس الثانوية التابعة لمديرية التربية.

ولما نضج علمه وانبرى في ميادين الثقافة بدأ يكتب مقالات في بعض الجرائد مثل: جريدة «استوار» وجريدة «سرچشمه» في مدينة قم، وصحيفة «وظيفة» في مدينة طهران.

وكانت مجلة «يغما» أيضا تطبع الأشعار الرائعة والمقالات القيمة للأستاذ «قلمداران»، وكانت مجلة «الحكمة» تنشر المقالات الفقهية التي يكتبها الأستاذ، وكان آية الله «طالقاني» والمهندس «مهدي بازركان» -رحمهما الله- يكتبان في هذه المجلة.

كان كثير الشغف بالقراءة والبحث ومطالعة الكتب الإسلامية منذ صغره، وما لبث -وهو في ريعان الشباب- أن قرض الشعر وأصبح كاتبًا في عدد من المجلات التي كانت تصدر في عصره في قم وطهران. عمل في سلك التدريس في مدارس مدينة قم، وكان يسخِّر قلمه لكتابة المقالات الإسلامية التي يدافع فيها عن تعاليم الدين الحنيف، ويردّ على مخالفي الإسلام، ويدعو لإصلاح الأوضاع وإيقاظ هِمم المسلمين.

نشرت في إحدى المرات مديرية الثقافة في مدينة قم مقالاً ينال من الحجاب الإسلامي، فكتب الأستاذ ردًا قاطعًا على ذلك المقال ونشرت مجلة «استوار» ردَّه هذا. فغضب رئيس إدارة الثقافة في قم من الأستاذ وهدده بالطرد من الإدارة أمام الجميع.

يقول الأستاذ: فاستأذنت ووقفت أمام المنصة الخطابية ورددت على كلامه السخيف وتهديداته الواهية، وانتهت الجلسة بعد كلامي، ولم يستطع أن يفعل شيئًا، بل بحمد الله نُقل إلى مدينة أخرى.

۞ الأستاذ قلمداران والخميني

قال الأستاذ قلمداران: يحتمل أن السيد روح الله الخميني كان وراء نقل رئيس مديرية الثقافة في قم، إذ كان السيد الخميني في ذلك الوقت يعطي دروسًا في الأخلاق في قم، وكنتُ أحضرُ دروسه أحيانًا. وعندما سمع بقضية مديرية الثقافة، أرسل إليَّ شخصًا يقول: إن السيد الخميني يريد أن يلقاك ويكلّمك، فلمَّا ذهبتُ إليه استفسر مني عن الموضوع (أعني موضوع

المقالة ضد الحجاب وردِّي عليها)، فلمَّا بيَّنتُ له القصَّة قال لي: لا تخف أبدًا، فإنهم لن يستطيعوا فعل شيء ضدَّك، ولن أسمح ببقاء هذا الرُّجَيل (تصغير رجل، ويقصد به رئيس مديرية الثقافة) في قم. فإن قال شيئًا حول هذا الموضوع مرَّةً أخرى فرُدَّ عليه ولا تخشَ شيئًا. (وبالمناسبة أشار الأستاذ قلمداران مرَّةً إلى أن السيد الخميني قال مرةً في إحدى دروس الأخلاق تلك، في معرض حديثٍ له عن الولاية ومقام الولي: "**إذا نفخ الوليُّ بفمه انطفأ مصباح الخليقة!** " قال الأستاذ: فلما رأيت هذا النمط من التفكير لديه، لم أعد أحضر دروسه).

۞ الأستاذ قلمداران والشعر

الأستاذ قلمداران لم يكن شاعرًا بالمعنى الدقيق للكلمة، إلاّ أنه كان يمتلك قريحة شعرية حسنة، فكان يَنْظِمُ أحيانًا بعض الأبيات الشعرية، وكما ذُكِرَ سابقًا كانت مجلة «**يغما**» تنشر بعض أشعاره.

۞ صلة «قلمداران» بالشخصيات المعاصرة

تَعرَّف الأستاذ قلمداران رحمه الله على عددًا من الشخصيات المعروفة في عصره منهم:

١- العلامة الشيخ محمد الخالصي

آية الله العظمى محمد بن محمد بن مهدي الخالصي المولود عام ١٨٨٨م في مدينة الكاظمية بالعراق، درس على كبار علماء عصره وحاز على درجة الاجتهاد في سنٍ مبكرة جدًّا. له آراء إصلاحية كثيرة، توفي في بغداد عام ١٩٦٣م[١].

العلامة الشيخ محمد «الخالصي» من العلماء المجاهدين في العراق. بدأت معرفة الأستاذ بالعلامة الخالصي بسبب ترجمة كتابه «المعارف المحمدية»، واستمرّت علاقته به بعد ترجمته لكتاب «الإسلام سبيل السعادة والسلام» وكتاب إحياء الشريعة في ثلاث مجلدات والآثار الأخرى للعلامة الخالصي. وأعقبت هذه الأعمال الثقافية رسائل ولقاءات بين الأستاذ

---

(١) انظر ترجمته وآراءه ودعواته الإصلاحية في كتاب أعلام التصحيح والاعتدال للبديوي ص ٢٧٨-٣٣٧.

والعلامة، حتى أن السيد الخالصي تأثر بأفكار الأستاذ الإصلاحية والنيِّرة، ونستطيع أن نشاهد علائم هذا التغيير في الآثار التي نشرها الخالصي فيما بعد، وكذا نرى هذا التأثير المشهود من المقدمة التي كتبها العلامة الخالصي على كتاب «أرمغان آسمان = تحفة السماء» للأستاذ «قلمداران». قال عنه:

"شابٌّ مثل الأستاذ حيدر علي «قلمداران» في عصر الغفلة وتجاهل المسلمين، وفي عصر نسيان المسلمين للتعاليم الإسلامية، بل في عصر الجاهلية، يوضح الحقائق الإسلامية وينشرها بشجاعةٍ تامة ودون خوف من المعاندين الجهال، فكيف نستطيع أن نشكر هذه النعمة العظيمة؟! "

تأثّر المؤلف كثيرًا بالمرجع الشيعي المصلح آية الله الشيخ محمد مهدي الخالصي (رحمه الله) وقام بترجمة أغلب كتبه إلى الفارسية، لكنه تجاوز شيخه الخالصي بخطوات أكثر انفتاحًا، وخرج عن إجماع الإماميّة في بعض المسائل، كنَفْيه وجوبَ أداء خُمس المكاسب والأرباح، وقوله بأن الأئمَّة الاثني عشر ليس منصوصًا عليهم من الله تعالى ورسوله ﷺ، بل هم علماء أبرار ربانيون وفقهاء مجتهدون فحسب، وهم أفضل أهل عصرهم وأولاهم بالاتباع. وألف في هذا الموضوع كتابه الشهير «**طريق الاتحاد**». وقد تعرض بعد نشره إلى محاولة اغتيال فاشلة من بعض المتعصبين الغلاة.

كما قال قلمداران بأنه لا ثبوت لإمامٍ غائبٍ مستترٍ إلى الآن ولا رجعة ولا عصمة مطلقة لأحد إلا لرسول الله ﷺ في تبليغ رسالات ربه. ورأى كذلك -من خلال دراسته لتاريخ زيارة القبور في الإسلام- عدم صحة نصب القباب وإقامة الأضرحة على قبور الصالحين، سواء من أئمة آل البيت أو أولادهم وجعلها مزارات يحج الناس إليها ويطوفون بها داعين مستغيثين، ورأى ذلك من مظاهر الشرك في العبادة. وألف في ذلك كتابه «بحث حول زيارة المزارات».

التقى الأستاذ «قلمداران» في أسفاره إلى بعض المدن العراقية وخاصة مدينة كربلاء بكاشف الغطاء وهبة الدين الشهرستاني، مؤلف كتاب «الهيئة والإسلام» وهما من العلماء

الأكابر عند الشيعة الإثني عشرية وتعرّف بهما من قريب، وكان يراسل العلامة الخالصي وأحيانا الشهرستاني ويناقشه في بعض المسائل الكلامية.

٢- المهندس مهدي «بازركان»

المهندس مهدي بازركان المولود عام ١٩٠٥م في طهران والحاصل على الدكتوراه في الهندسة من فرنسا.

الأستاذ نفسُه ينقل لنا كيف تعرّف على المهندس بازركان، ويقول: بينما كنت واقفًا على الشارع بين القرية ومدينة قم أنتظر وصول الحافلة، وكنت -من باب استغلال الوقت- أقرأ كتابًا، فمرّت سيارة أمامي فيها بضعة أشخاص، ثم وقفت السيارة أمامي، وطلب ركابها مني أن أركب معهم.

وأثناء الطريق انتبهتُ إلى أن أحد الركاب هو المهندس بازركان (أول رئيس وزراء في إيران بعد انتصار الثورة، عام ١٩٧٩م)، وكان رئيس «صناعة البترول» آنذاك (سنة ١٣٧٠ أو ١٣٧١هـ) وكان عائدًا من مدينة عبادان أثناء مهمة رسمية للأمور المتعلقة بالنفط. وقال السيد بازركان لي: تعجبتُ جدًّا لما رأيت شخصًا قرويًا يغرق في المطالعة وهو ينتظر الحافلة. وكان هذا الحدَث سببًا في عقد الألفة والمحبة بيننا حتى إن السيد بازركان استفاد كثيرًا من كتاب «الحكومة في الإسلام» في تأليف كتابه «البعثة والإيديولوجي». وكان السيد بازركان معجبًا بكتاب «ارمغان آسمان= تُحفة السماء» تأليف الأستاذ «قلمداران» وعرَّف الدكتور علي شريعتي على هذا الكتاب ووصفه له.

ومن الجدير بالذكر أنه بعد إطلاق سراح المهندس مهدي بازركان من السجن جاء على الأقل مرتين إلى قم لزيارة الأستاذ قلمداران.

٣- الدكتور علي شريعتي

الدكتور علي شريعتي المولود عام ١٩٣٣م في خراسان، والذي يعتبر ملهم الثورة الإيرانية التي قامت عام ١٩٧٩م رغم أنه توفي قبلها بسنتين تقريبًا، عام ١٩٧٧م في لندن.

عدَّه هاشمي رفسنجاني مَعْلَمًا أساسيًا في إرساء النهضة الإيرانية. له أفكار إصلاحية كثيرة نشرها في عدة كتب من أهمها كتاب التشيع العلوي والتشيع الصفوي.

رأى الدكتور علي شريعتي كتاب «ارمغان الهي» تأليف الأستاذ «قلمداران»، وبعدما سمع عن كتاب «ارمغان آسمان» من الباحثين والمفكرين وأساتذة الجامعات، وخاصة من المهندس بازركان، تأثر أكثر فأكثر بالأفكار الإصلاحية والنيّرة التي يحملها الأستاذ «قلمداران». وهذا الأمر بالذات حمل الدكتور شريعتي على كتابة رسالة إلى قلمداران من باريس يطلب فيها منه إرسال الكتاب المذكور إليه. (أدرج نص هذه الرسالة في كتاب «يادگاران مانا= ذكريات باقيات» الذي نشر في ذكرى شريعتي).

ولما رجع الدكتور شريعتي إلي إيران قال لأحد أصدقائه وهو الدكتور «أخروي» الذي كان يعرف «قلمداران» من قريب، إن لقلمداران دورًا كبيرًا في اتجاهاتي الفكرية. وأنا مشتاق لرؤيته، فهلا يسرتم لي اللقاء به. لكن هذا اللقاء لم يتحقق مع الأسف، ولبى الدكتور شريعتي نداء ربه، رحمه الله.

٤ - الأستاذ الشيخ مرتضي «مطهري»

الأستاذ مرتضى مطهري المولود عام ١٣٣٨هـ في خراسان، تتلمذ على كبار علماء الشيعة كصدر الدين الصدر والخميني وعلامة الطباطبائى، وكان من الأعضاء البارزين في إدارة الحكم بعد قيام الثورة. وقد تم اغتياله في طهران عام ١٣٩٩هـ، وله مؤلفات كثيرة[(١)].

كان الأستاذ الشيخ مطهري أيضًا من المعجبين بقلمداران، ولكنه لم يكن يظهر حبه للأستاذ قلمداران خوفًا من لوم زملائه من علماء الدين. وكما قال السيد «قلمداران» إن مطهري قال له مرةً حينما التقيا في أحد الشوارع بعد الخروج من إحدى المحاضرات: **"بخٍ بخٍ! أحسنتَ يا سيد قلمداران، لقد قرأتُ كتابَكَ «ارمغان آسمان» فاستمتعت به جدًّا ووجدته كتابًا ممتازًا "**.

(١)انظر ترجمته في كتاب تراجم الرجال لأحمد الحسيني ٢/ ٨١٧.

٥- آيت الله العظمى حسين علي منتظري

كان بين هذا الفقيه القدير رفيع الشأن والمرحوم قلمداران صداقة ومودَّة متميَّزة منذ سنوات قبل الثورة، وكان منتظري يحب كتابات قلمداران ونظرته الدينية، دون أن يفصح عن ذلك للآخرين. والشواهد الآتية دالَّة على هذا المُدَّعى:

أ) عندما سمع الشيخ منتظري بقضية طباعة ونشر كتاب «الخُمس» للأستاذ قلمداران في أصفهان، أرسل عن طريق المرحوم السيد مهدى الهاشمي مبلغ ١٠٠٠ ريال وقال: هذا أيضًا مشاركة مني في تكاليف طباعة كتاب الخُمْس!

وأذكر أن المرحوم قلمداران كان يقول: لما أُطلِق سراح الشيخ منتظري من السجن قُبَيل انتصار الثورة جاء إلى منزله في قم الكائن في حي «عشقعلي». فلما ذهبتُ إلى لقائه في منزله رحب بي أشدّ الترحاب وأبدى سروره البالغ بهذا اللقاء ثم قال لمن حوله -وأكثرهم من طلاب العلوم الدينية- مبتسمًا مازحًا بلهجته الحلوة: هذا هو الأستاذ قلمداران الذي أخرجَ الخُمسَ من أيدينا وحرمنا منه!

فهذا يدل على أن هذا الفقيه الكبير كان واقفًا تمامًا على الرأي الاستثنائي الذي لا سابقة له للأستاذ قلمداران حول انحصار الخمس في غنائم الحرب.

ب) طبقًا لقول المرحوم قلمداران، كان الشيخ منتظري منذ سنوات قبل انتصار الثورة يدَرِّس طلابه في مدينة «نجف آباد» كتاب «**الحكومة الإسلامية**» المثير والفريد الذي ألفه قلمداران.

ج) من الجدير بالذكر أنه بين السنوات ١٣٦٣ حتى ١٣٦٧هـ.ش. (الموافق لما بين عامي ١٩٨٤ إلى ١٩٨٨م) وبعد أن تعرض المرحوم قلمداران ٣ مرات للجلطة الدماغية، وأصبح طريح الفراش في المستشفى، قام الفقيه الشيخ منتظري بلطفه وكرمه بإرسال مبلغٍ كبيرٍ من المال لأسرته. فعل ذلك مرتين عبر أحد علماء الدين، خشية أن يكون بحاجة إلى المال لأجل الدواء والعلاج. وقد شكرت أسرة المرحوم قلمداران في كلتا المرتين لطف الشيخ المنتظري وثمَّنت موقفه، واعتذرت عن قبول المال لعدم حاجتها

إليه. هذا أيضًا علامة أخرى من علامات المحبة بين الأستاذين. رحمهما الله!

۞ حادثة اغتيال الأستاذ «قلمداران» والحوادث المؤلمة الأخرى في حياته

١- عندما نشر الأستاذ «قلمداران» كتابه «**طريق الاتحاد - دراسة نصوص الإمامة**» -قُبَيل انتصار الثورة - أرسل الشيخ مرتضي حائري، نجل آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري مؤسس الحوزة العلمية في قم رجلاً إلى الأستاذ وطلب منه أن يحضر إلى بيته. لما ذهب الأستاذ إلى بيت الحائري، قال له الحائري: أأنت ألّفت كتاب «**نصوص الإمامة**»؟ فأجاب الأستاذ: أنا لا أقول أنا لم أكتبه! ولكن لا يُرى اسمي على الكتاب! قال له الحائري: يمكن أن تُقتل بسبب تأليف هذا الكتاب! قال الأستاذ: ما أسعدني! لو أُقتل من أجل عقيدتي، ثم قال له الحائري: لو بإمكانك أن تسحب الكتاب من السوق فافعل، ثم ادفنه أو احرقه! فأجاب الأستاذ: ليس هذا بإمكاني، طبعه رجلٌ آخر ونشره، وأنت -لو استطعت- اشتر جميع النسخ واحرقها. ومن جانب آخر، تُطبع آلاف الكتب للدعاية الشيوعية وتبليغ البهائية، فلماذا لا تقفون أمام هذه الكتب؟!

وبعد مُضِيّ بضعة أشهر على انتصار الثورة، وفي ليلة العشرين من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٥٨ هجرية شمسية (١٩٧٩م) عندما كان الأستاذ على عادته يأتي في هذا الشهر إلى مسقط رأسه قرية ديزيجان ويقيم فيها، دخل رجلٌ مأجور -أرسله المتعصبون وأفتوه بجواز قتل المرحوم قلمداران- فدخل بيتَ الأستاذ في منتصف الليل وأطلق عليه رصاصةً وهو نائم، ثم فرّ هاربًا. ولكن رغم قرب المسافة من الهدف، جَرَحَت الرصاصةُ بشرةَ رقبة الأستاذ فقط واستقرَّت في أرض الغرفة!.

ونُقل عن الأستاذ أنه قبل يوم من حادثة الاغتيال جاءه رجلٌ شابٌ من مدينة قم وسأله عن آرائه وعقائده، وكذا سأله عن الكتاب أيضًا!

مما لا شك فيه أن تأليف كتاب الخمس وطريق الاتحاد كانا من الأسباب الرئيسة لمحاولة اغتياله تلك.

على كل حال، لم يشأ الله أن يُقتل الأستاذ، وبعد هذا الحادث كان يأتي القرية ويداوم

على أنشطته كما في السابق مؤمنًا بقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ [التوبة: ٥١].

طبقًا لرواية شهود العيان من أهل القرية الذين كانوا في تلك الليلة مشغولين بسقاية بساتينهم، يمكن شرح حادثة الاغتيال تلك بالصورة الآتية:

دخل ثلاثة أو أربعة أشخاص راكبين سيارةً إلى القرية في ليلة العشرين من شهر رمضان، وأوقفوا السيارة على جسر القرية استعدادًا للفرار. دخل اثنان منهم منتصف الليل بيتَ الأستاذ وكَمَنَا في حديقة البيت بين الأشجار. وكان أبناء الأستاذ يقفلون الباب مرات عديدة من الداخل، ولكنهم كانوا يرون متعجبين أن البابَ مفتوحٌ، لكنهم لم ينتبهوا أصلاً إلى الكارثة التي تنتظرهم. وفي منتصف الليل بعدما رأى المهاجمون أن الكل قد ناموا، دخل القاتل ومعه المصباح الكاشف ومسدّسه غرفةَ النوم الخاصة بالأستاذ، وكانت زوجة الأستاذ تلك الليلة قلقة كثيرًا، ولم تستطع النوم، وحينما رأت الوارد ظنت أنه ابنه علي فنادت: علي!

خاف القاتل وأطلق النار بسرعة على الأستاذ وفرّ من البيت، وكانت زوجة الأستاذ تصرخ ولا تستطيع أن تتكلم من شدّة الفزع. وكذا الأولاد بعدما سمعوا صوت الطلقة النارية صرخوا وقالوا: قتلوا السيدَ الحاجَ، واجتمع أهالي القرية ونقلوا الأستاذ من القرية إلى مدينة قم وأدخلوه في مستشفى «كامكار». وبعد أيام جاء شابٌّ ومن ظاهره أنه كان من طلبة العلم وسأل عن الأستاذ، وتابعه ابن الأستاذ «قلمداران» فرأى أنه دخل إحدى الحوزات العلمية في محلة «يخجال قاضي» في مدينة قم.

٢- والحادثة المؤلمة الأخرى التي أثرت على حياة الأستاذ هي وفاة أحد أبنائه في سنة ١٣٦٠ش/ ١٣٩٩هـ، وتألم الأستاذ كثيرًا بسبب هذا الحادثة المؤسفة، حتى أدى ذلك إلى إصابته بجلطة دماغية، ولم يستطع أن يستمر في التأليف ولكنه لم يترك القراءة ما أمكنه.

٣- الحادثة المؤسفة الأخرى في حياة السيد «قلمداران» هي سجنه في «السجن الساحلي» قم.

ذكر الأستاذ هذه الواقعة قائلاً: كنت في أحد الأيام مستلقيًا على سريري في البيت إثر

السكتتين اللتين أصبت بهما، فجاء رجلان من محكمة الثورة واعتقلاني بتهمة معارضة الثورة، وظفرا ببعض كتبي ونقلاني إلى السجن، وحتى أنهما لم يسمحا لي بأخذ الأدوية التي كنت أحتاج إليها، وكنت في ذاك الوقت مصابا بأمراض خطيرة حتى إنني لم أكن أستطيع أن أسيطر على بولي، وكنت أحمل الجهاز الخاص للمواقع الضرورية. وفي السجن لم يكن معي إلا بطانية صغيرة، وكان زجاج شباك الغرفة مكسورًا، وعانيت حتى الفجر من البرد القارس. ولم أستطِع أن أتناول طعام العَشاء لأن بقية المسجونين لم يتركوا لي شيئًا لآكله. ناولني أحد المسجونين بقية طعامه. ولما رأيت الوضع هكذا في السجن، نويت الصيام من فجر اليوم التالي.

وذهب أولادي إلى بيت آية الله المنتظري وكان آنذاك نائبا عن الخميني (وجديرٌ بالذكر أنه كان بين آية الله المنتظري وبين الأستاذ «قلمداران» معرفة قديمة)، وفي الصباح رأيت أن بعض حرس الثورة دخلوا السجن مضطربين وقدَّموا الاعتذار وأخرجوني من السجن واتصلوا بأبنائي كي يحضروا لي بعض الألبسة، ثم رهنوا وثيقة استملاك البيت وأطلقوني.

الآن تصوروا لولا فضل الله، ولو لم تكن هناك علاقات ودية بين الأستاذ وبين آية الله المنتظري كيف كانت الثورة وحرسها سيتعاملون معه؟!

وجديرٌ بالذكر أن إدارة الثقافة في قم أقامت معرضًا باسم «مجاهدتهاي خاموش = المجاهدات الصامتة» في هذه المدينة ووضعوا بعض كتب الأستاذ على مرأى الناس كأن هذه الكتب تحمل الأفكار والعقائد المنحرفة، كما أنهم وضعوا بعض الوثائق والمستندات ضد آية الله المنتظري في هذا المعرض أيضًا.

۞ الخلق الرفيع عند الأستاذ «قلمداران» وحرّيته

كان رحمه الله طوال حياته رجلاً صادقًا، عفيفًا، صادق الوعد، عابدًا، زاهدًا، شجاعًا، سخيًا وصريحًا. وجميع من كان لهم صلة بالأستاذ كانوا يبجلونه ويعرفون أنه رجل عظيم، بسيط العيش، بعيد عن الرياء والتكلفات الاجتماعية وغير معتنٍ بالطعام واللباس، كأنه

اقتدى بالأخلاق الحسنة بأكابر الدين الحنيف، وكانت حياته تشبه حياة السلف وقادة الأمة الإسلامية.

ومع أنه كان رجلاً قد طبَّقَت شُهرتُه الآفاق وكان باستطاعته أن يقفز إلى المدارج الحكومية الرفيعة ويوفر لنفسه ولأسرته حياةً مرفهةً، إلا أن زهده في الدنيا منعه من أن يضحي بالعلم والتقوى في سبيل التقية والخرافات والأباطيل المروّجة في البيئة الإيرانية، بل وقف مع الحق صامداً ورفض المتع المادية الحقيرة. فما أسعده!

۞ الآثار العلمية للأستاذ «قلمداران»

إضافة إلى المقالات والبحوث التي كان الأستاذ يكتبها في الجرائد والمجلات المختلفة، ترك لنا أيضًا ثروة ثمينة من الكتب، ألف بعضها وترجم البعض الآخر من العربية إلى الفارسية، وكلها كتب نفيسة، منها:

١- ترجمة كتاب «المعارف المحمدية» وهذا الكتاب من آثار العلامة الخالصي، وقد ترجم وطبع قبل سنة ١٣٣٥ هـ. ش. حسب التقويم الإيراني (يطابق سنة ١٩٥٦م).

٢- ترجمة كتاب «إحياء الشريعة» تأليف العلامة الخالصي، وهو رسالة يوضح فيها العلامة الخالصي بعض المسائل الفقهية. وترجمه الأستاذ بعنوان: «آئين جاويدان» وطبعه.

٣- «آيين دين يا أحكام اسلام» ترجمة كتاب «الإسلام سبيل السعادة والسلام» وهذا الكتاب أيضا من مؤلفات العلامة الخالصي. وترجمه الأستاذ «قلمداران» وطبعه في سنة ١٣٧٦هـ.

٤- تأليف كتاب «أرمغان آسمان = بشرى السماء» المشهور في سنة ١٩٦١م. وهذا الكتاب قد نشره من قَبل ضمن سلسلة مقالات في جريدة «الوظيفة».

٥- «ارمغان إلهي» في إثبات وجوب صلاة الجمعة، وهذا الكتاب ترجمة لكتاب «الجمعة» تأليف العلامة الخالصي.

٦- رسالة في الحج أو المؤتمر الإسلامي العظيم في سنة ١٣٦٢هـ.

٧- رسالة «الاستملاك في إيران من وجهة النظر الإسلامي»، وهذا الكتاب مخطوط بخطه

ولم يطبع إلى الآن.

٨- قيام الإمام الحسين عليه السلام.

٩- تأليف المجلد الأول من كتاب نفيس باسم «حكومت در اسلام = الحكومة في الإسلام» ودرس أهمية الحكومة وكيفية تأسيسها ضمن ٦٨ مبحثا، ولم يكتب مثله مِن قبل في إيران حتى هذه اللحظة ليس لهذا الكتاب نظير في المحافل العلمية في إيران.

وسُمع من الأستاذ أنه قال: كان آية الله المنتظري يدرّس هذا الكتاب في نجف آباد إصبهان قبل ثورة الخميني.

وبيّن الأستاذ السبب الدافع لتأليف هذا الكتاب وقال: رأيت في المنام ليلة الإثنين السابع والعشرين من شهر محرم سنة ١٣٨٤ من الهجرة أنني مع بعض الإخوة في كربلاء، وكأن الحسين توفي ولابدّ لي من أن أغسل جثمانه، وسائر الإخوة يساعدونني في هذه المهمة، فهيأت نفسي وقصدت الوضوء قبل كل شيء. فاستيقظت من النوم. وفسّرتُ منامي بأني سأغسل وجه الإسلام من الخرافات والأوهام بتأليف هذا الكتاب والكتب الأخرى وأظهر للناس الوجه الحقيقي الساطع للإسلام. وشكرًا مني لهذه النعمة بدأت بصلاة قيام الليل، والحمد لله.

ثم بدأت من الغد بتأليف هذا الكتاب وكنت في قرية «ديزيجان» في العطلة الصيفية.

١٠- رسالة «هل هؤلاء مسلمون؟»، هذا الكتيب الصغير ترجمة لوصية العلامة الخالصي في المستشفى سنة ١٣٧٧هـ وقد أملاه سكرتيره، ثم طبع بعنوان: «هل هم مسلمون؟» وضمنه رسالة قصيرة باسم: «ايران در آتش ناداني = إيران في نار الجهل» وهي ترجمة لمواضع من كتاب «شر وفتنة الجهل في إيران» من مؤلفات العلامة الخالصي.

١١- مجموعة «راه نجات از شر غلات = طريق النجاة من شر الغلاة» في خمسة مجلدات يشتمل على المباحث التالية: ١- علم الغيب، ٢- الإمامة، ٣- بحث في الولاية وحقيقتها (لم يطبع بعد)، ٤- بحث في الشفاعة، ٥- بحث في الغلو والغلاة. طبع ضمن بحث الشفاعة، ٦- بحث في حقيقة الزيارة وعمارة المقابر، طبع باسم «زيارت وزيارتنامه». (طبع بالآلة

الكاتبة القديمة وصورت منه ٥٠ نسخة تقريبا ونشر بين محبي قلمداران فقط).

١٢- كتاب «الزكاة»، طبع بمساعدة المهندس بازركان في شركة الأسهم، ومنعت السلطة الدينية نشر هذا الكتاب إلى حين.

١٣- كتاب «الخمس» ألفه الأستاذ بعد كتاب الزكاة، ولم يطبع هذا الكتاب لأن الحوزات وعلماء الشيعة لهم حساسية خاصة حول هذا الموضوع، طبعه بعض زملاء الأستاذ بالآلة الكاتبة في أصفهان ونشروه، وكتب آية الله «ناصر مكارم شيرازي» و«رضا استادي» وغيرهما ردودًا على هذا الكتاب القيم، وأجاب الأستاذ «قلمداران» عن جميع هذا الردود وضمها إلى كتابه «الخُمْس».

١٤- كتاب «شاهراه اتحاد = طريق الاتحاد»، ومن المعلوم أن الشيعة تشتعل بسرعة عند سماع مسألة الإمامة. وهذا الكتاب اشتمل على مباحث الإمامة والوقائع بعد رحيل الرسول ﷺ، واجتماع الصحابة في سقيفة بني‌ساعدة، وموضوع الخلافة والإمامة. وهذا الكتاب نُشر من قِبَل بعض زملاء الأستاذ بأعداد قليلة.

١٥- قبل الثورة بعدّة أعوام كتب «ذبيح الله محلاتي»، -من الرجال المذهبيين الشيعة- رسالةً باسم «ضرب شمشير بر منكر غدير = ضربة السيف على منكر الغدير» وأدرج في رسالته مباحث زائفة تخالف الحق والعقل. فأجابه الأستاذ «قلمداران» برسالة عنوانها: «**پاسخ يك دهاتي به آية الله محلاتي** = ردٌّ من رجل قروي على آية الله محلاتي».

١٦- المجلد الثاني من كتاب «الحكومة في الإسلام» ودرس فيه مهام الحكومة الإسلامية والحاكم المسلم.

١٧- رسالة «**سنة الرسول من عترة الرسول** ﷺ».

كان هذا نموذجًا مختصرًا عن مؤلفات الأستاذ قلمداران[1].

(١) بعض كتب الأستاذ طُبعت ضمن هذه المجموعة، ومنشورة في موقع مجموعة موحدين على شبكة الإنترنت: http://www.mowahedin.com أو موقع العقيدة www.aqeedeh.com

ومن الجدير بالذكر أنه بالإضافة إلى المؤلفات والمصنفات وترجمةِ الكتب ونشر المقالات والبحوث الدينية والذب عن حوزة الدين، كان الأستاذ يلقي الخطب والدروس الدينية والثقافية العديدة في طهران (مسجد كذر وزير دفتر أيام آية الله البرقعي) وفي تبريز وأصفهان، وكذا ألقى خطبة مهمة في أيام شبابه في صحن قبر الحسين في كربلاء، وطبعت هذه الخطبة مع كتاب «زيارت وزيارتنامه».

۞ وفاة الأستاذ

توفي هذا العالم النحرير في يوم الجمعة التاسع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٤٠٩هـ (١٥ ارديبهشت ١٣٦٨ هـ ش) وقد مضى من عمره ٧٦ سنة بعدما تحمل المشاق والمتاعب في سبيل نشر الحقائق الإسلامية والوقوف أمام البدع والخرافات الموجودة في المجتمع، وكان عمره ستّ وسبعون سنة، ودفن عصر ذلك اليوم في مقبرة قم في آخر شارع (جهارمردان). حضر جنازته بعضُ أصدقائه وتلاميذه.

كان اجتماعًا متواضعًا خاليًا عن جميع مظاهر البدعة المروّجة في المجتمع الشيعي الإيراني، وقد صلى عليه العلامة الموحد مصطفى الحسيني الطباطبائي.

فرضي الله عنه وعن سائر الدعاة المصلحين.

الدكتور حنيف زرنگار

٢٠/٤/١٤٣١ هـ. ق. المطابق لـ ٥/٤/٢٠١٠ م، و

١٦/١/١٣٨٩هـ. ش.

سلسلة طريق النجاة من شر الغلاة

١

بحث في اختصاص علم الغيب بالله

موقف القرآن والأئمَّة من دعوى علم الأئمَّة بالغيب

نريد فيما يأتي أن نعرف مدى صحة الادّعاء بأن الأئمَّة عالمون بكل ما كان وما يكون في عالم الإمكان ومدى صدق هذا الكلام، وأن نفحص هذا الادِّعاء في ضوء القرآن الكريم وما رُوي عن الأئمَّة أنفسهم من أحاديث، لنرى هل له أي أساس من الصحة؟

لقد أمر اللهُ تعالى نبيَّ آخر الزمان ﷺ فقال: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝٥٠﴾ [الأنعام:٥٠].

كتب الشيخ الطوسي الذي يُعَدُّ من أكبر العلماء والمفسرين الشيعة، في تفسيره لهذه الآية الكريمة يقول: "**أمر الله تعالى نبيه محمدًا صلى الله عليه وآله أن يقول لعباده:** ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ **أغنيكم منها** ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ **الذي يختصّ بعلم الله تعالى فأعرفكم مصالح دنياكم، وإنما أعلم قدر ما يعلّمني الله من أمر البعث والجنة والنار، وغير ذلك، ولا أدَّعي أني ملك، لأني إنسان تعرفون نسبي، لا أقدر على ما يقدر عليه الملك، وما أتبع إلا ما يوحِي الله به إليَّ. وبين لهم أن المَلَك من عند الله، والوحي هو البيان الذي ليس بإيضاح نحو الإشارة والدلالة**"[1].

ثم كتب الشيخ الطوسي (ره) يقول: "وإنما أمره بأن يقول ذلك لئلا يدَّعوا فيه ما ادَّعت النصارى في المسيح، ولئلا يُنْزِلُوهُ منزلةً خلاف ما يستحقُّه. ثم أمره بأن يقول لهم: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾ أي هل يستوي العارف بالله تعالى وبدينه العالم به مع

(١) الشيخ الطوسي، تفسير التبيان في تفسير القرآن، الطبعة القديمة، طهران، ج١/ ص٦١٣، أو الطبعة الجديدة المحققة، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، ط١، طهران، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩هـ، ج٤/ ص ١٤٢.

الجاهل به وبدينه، فجعل الأعمى مثلاً للجاهل والبصير مثلا للعارف بالله ونبيه ". وتابع بعد أسطر يقول: "وإنما المراد ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ فأشاهد من أمر الله وغيبته عن العباد ما يشاهده الملائكة المقرَّبون المختصون بملكوت السماوات "(١). انتهى كلام الشيخ الطوسي.

كانت تلك آية قرآنية يأمر فيها يأمر فيها الرب سبحانه نبيه الكريم أن يُبيّن للناس هذا الأمر الضروري أن نبيّه لا يعلم علم الغيب وأنه ليس ملكًا من الملائكة، أي أنه لا يملك حتى قوة مَلَك من الملائكة!

وكان ذلك تفسير أحد أكبر علماء الشيعة في أهم التفاسير الشيعية لتلك الآية، ولم نضف شيئًا على ما قاله.

فقارنوا الآن مضمون تلك الآية الكريمة وتفسير أكبر علماء الشيعة لها بكلمات الكفر التي قالها آية الله عظمى القرن العشرين(!) حيث قال إن العلم الذي أثبته الله لنفسه بقوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس:٦١]، ثابت بعينه للأئمّة أولياء الله!! قارنوا بين القولين جيدًا واحكموا هل قول آية الله العظمى هذا شرك أم لا؟

وأمر الله تعالى نبيه أن يقول: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨]. فإذا كان النبيُّ لا يملك نفعَ نفسه ولا ضرَّها إلا إلى الحدِّ الذي يشاؤه الله، أي ذاك الاختيار الذي منحه الله للإنسان ليجلب لنفسه النفع والضرر ليكون مسؤولاً عن عمله، فكيف يكون قادرًا على جلب النفع ودفع الضرر عن الناس؟ [أي أن الخاصية التلقائية لامتلاك علم الغيب أن يجلب من يمتلك هذا العلم من البشر لنفسه النفع ويدفع عن نفسه الضر، وليس من المعقول أن لا يستفيد الإنسان من المنافع والخيرات

(١) المصدر السابق.

الخفية عن الخلق والتي يعلم بها هو وحده، كما أنه ليس من المعقول أن يعلم بوجود ضرر وخسارة ولا يحترز منها][١].

وقد فسّر الشيخ الطوسي (ره) هذه الآية الكريمة بقوله: "أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله أن يقول للمكلفين إني ﴿لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ **أن** يملّكني إياه، فمشيئته تعالى في الآية واقعةٌ على تمليك النفع والضرر لا على النفع والضرر، لأنه لو كانت المشيئة إنما وقعت على النفع والضرر كان الإنسان يملك ما شاء الله من النفع، وكان يملك الأمراض والأسقام وسائر ما يفعله الله فيه مما لا يجد له عن نفسه دفعًا.

ومعنى الآية إني أملك ما يملّكني الله من الأموال وما أشبهها مما يملكهم ويمكنهم من التصرف فيها على ما شاؤوا، وكيف شاؤوا. والضرر الذي ملّكهم الله إيّاه هو ما مكنهم منه من الإضرار بأنفسهم وغيرهم، ومن لم يملّكه الله شيئًا منه لم يملكه".

وقال أيضًا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ [الأعراف: ١٨٨] ما نصه: **"معناه إني لو كنت أعلم الغيب لعلمت ما يربح من التجارات في المستقبل وما يخسر من ذلك فكنت أشتري ما أربح وَأتجنّب ما أخسر فيه، فتكثر بذلك الأموال والخيرات عندي، وكنت أعدّه في زمان الخصب لزمان الجدب (وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ) يعني الفقر إذا فعلت ذلك."**

ثم قال الشيخ (ره): **"وقال البلخي: لو كنت أعلم الغيب لكنت قديمًا، والقديم لا يمسه السوء لأن أحدًا لا يعلم الغيب إلا الله**... وقوله تعالى: ﴿إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ [الأعراف: ١٨٨]**معناه لست إلا مخوّفا من العقاب محذّرًا من المعاصي ومبشّرًا بالجنّة حاثًا عليها غير عالم بالغيب** "[٢]. انتهى كلام الشيخ الطوسي.

إذن الآية الكريمة تشير، لا بل تصرّح بأن من ينسب إلى النبي ﷺ علم الغيب، ليس بمؤمن، فما بالك بمن ينسب علم الغيب إلى من هو أدنى من النبيّ؟!

(١) هذا الشرح هو لمحقق الكتاب الحاضر «آية الله برقعي».

(٢) الشيخ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، الطبعة (القديمة) طهران، ج١/ ص٧٧٣.

إن جميع آيات كتاب الله تعالى تؤكِّد هذه الحقيقة وتصدِّقها. فأيّ مرض في قلب آية الله العظمى وأمثاله جعلهم يعمون عن رؤية هذه الشواهد والدلائل الواضحة من كلام الله تعالى في آيات القرآن ومن السيرة العطرة لنبي آخر الزمان وتاريخ وسير الأئمَّة من آله التي تنادي بأعلى صوتها أنه لا النبي ولا أي أحد آخر سوى الله تعالى يعلم الغيب، وتصريح القرآن بأن كل من كان عالمًا بالغيب، سواء كان نبيًّا أم من هو أقل رتبة منه، فإن من الخواص الحتمية والتلقائية لهذا العلم هي أن يجلب لنفسه النفع ويدفع الضرر عنها، وَمِنْ ثَمَّ فلم يكن أحد منهم عالمًا بالغيب لأننا نعلم من سيرتهم علم اليقين أنهم لم يكونوا قادرين على دفع كثير من الأضرار وجلب كثير من المنافع لأنفسهم في كثير من محطات حياتهم. مع هذا يقول هؤلاء الأشقياء الضالون إن الأئمَّة كانوا يعلمون العلم الذي وصفه الله بقوله: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سبأ: ٣].

اللهَ أسألُ أن يهدي هؤلاء المكذبين بآيات الله والمنحرفين عن صريح ما أنزل الله الذين يضلون الناس عن الشريعة الإلهية الحقة!

إنّ الله جل وعلى يقول لنا على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١﴾ [هود: ٣١]. وقد مرّ معنا تفسير هذه الآية الكريمة عندما نقلنا تفسير الشيخ الطوسي للآية الخمسين من سورة الأنعام فلا نكرّر تفسيرها هنا، وإنما ذكرنا هذه الآية الكريمة تأييدًا وتأكيدًا لنفي علم الغيب عن الأنبياء ولنُبيِّنَ أن شعار جميع الأنبياء كان ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾.

وفي سورة هود هذه أيضًا يقول تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣﴾ [هود: ١٢٣].

وكذلك يقول: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]. أي أن ساكني السموات والأرض أيًّا كانوا لا يعلمون الغيب. فعلينا أن نرى ما الذي دفع آية الله العظمى إلى التعامي عن كل تلك الآيات الصريحة والقول بأن الأئمَّة وأولياء الله

يعلمون الغيب، وأي غيب؟ إنه الغيب الذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣].

ولنا أن نسأل ألم يكن الأئمَّة أنفسهم من سُكّان الأرض والسماء؟! أفلا يلزم من ادعاء آية الله هذا أن لا يكونوا من سُكّان الأرض والسماء وأن يكونوا بالتالي -نعوذ بالله- آلهة للسموات والأرض! ألا يستحي ذلك الرجل من الله؟!

إن الآيات في هذا الموضوع كثيرة ونكتفي بما ذكرناه تجنّبًا للإطالة وما ذكرناه كاف لأهل الإنصاف.

النبيُّ لا يعلم من الغيب سوى الوحي!

نذكر فيما يأتي الآيات التي تدلّ دلالة صريحة على أن نبيَّ الله ﷺ لم يكن يعلم شيئًا من الغيب سوى ما يوحيه الله إليه أحيانًا، وأنه كان يطبِّق على الفور ما كان يُوحَى إليه من قول أو فعل، كما كان يقوم حالًا بتبليغ ما أُمر بتبليغه عامَّةَ الموجودين ولم يكن يخفي شيئًا مما أوحاه الله إليه.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩﴾ [الأحقاف: ٩]

ويقول أيضًا: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٨ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ۝١٠٩ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ۝١١٠ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝١١١﴾ [الأنبياء: ١٠٨-١١١]

يقول العالم الجليل الشيخ الطوسي في تفسيره لهذه الآيات:

"﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ يعني إن أعرضوا عن هذا الذي تدعوهم إليه من إخلاص التوحيد، فقل لهم: ﴿ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أي أعلمتكم على سواء في الإيذان تتساوون في العلم به، لم

أظهر بعضكم على شيء كتمته عن غيره، **وهو دليلٌ على بطلان قول أصحاب الرموز، وأن للقرآن بواطن خُصَّ بالعلم بها أقوامٌ.**

وقيل على سواء (في العلم) أي صرت مثلكم، ومثله قوله: ﴿فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ **أي ليستوي علمك وعلمهم.** وقيل معناه: لتستووا في الإيمان به.

وقوله ﴿وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ ١٠٩﴾ معناه **لست أعلم إن ما وعدكم الله به من العقاب أقريب مجيئه أم بعيد.**

وقوله ﴿وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ١١١﴾ **أي لستُ أدري لعلَّ التأخير شدَّةً في عبادتكم يظهر بها ما هو كالسرِّ فيكم من خير أو شر، فيخلص الجزاء بحسب العمل "**[(١)]. انتهى.

هنا يشير الشيخ (ره) إلى نقطة هامة حول بطلان ادّعاءات الغلاة، إذْ يبيِّن أن كل ما يقوله القرآن من تعاليم فإن معرفته والعلم به عام لجميع الخلق على السواء فليس هناك في القرآن شيءٌ خاصٌّ بفريق دون فريق آخر حتى يستطيع بعضهم أن ينفذ من هذه الحجَّة ليصطاد عوام الناس البسطاء!

لو لاحظتم أقاويل الغلاة لرأيتم أنهم يدّعون أن للقرآن بطونًا تصل إلى سبعين بطنًا، وأن العلم بالقرآن خاصٌّ بالأئمَّة فقط ولا نصيب لأحد في الدنيا من العلم به!

ووَاضِحٌ أن هذا يفتح الباب على مصراعيه للغلاة ليُلفِّقوا كلَّ ما عنَّ على خاطرهم من أمور ثم ينسبونه إلى الأئمَّة، فإذا أشكل أحد المؤمنين عليهم وَوجد أن كلامهم غير مقبول لعدم توافقه مع ظاهر القرآن، قالوا له: إن ما نقوله هو واحد من البطون السبعين التي يعلمها الإمام وحده من معاني القرآن! وأنت لا تستطيع أن تفهم ذلك، فليس أمامك إلا أن تقبل هذا الكلام الوارد عنهم.!

وهذا بالضبط ما أتى به آية الله العظمى هذا في الصفحة ٣١١ من كتابه حين نقل عن

---

(١) الشيخ الطوسي، **التبيان في تفسير القرآن**، الطبعة (القديمة) طهران، ج٢، ص ٢٩٧.

ابن عباس قوله: **"لقد فسَّر لي ابن أبي طالب باء بسم الله منذ بداية العشاء وحتى أذَّن المؤذنُ لصلاة الفجر! "**. وأن الإمام [عليًّا] قال له: **"يا ابن عباس! لو شئت لأوقرت سبعين بعيرًا من تفسير فاتحة الكتاب "!**

ولا ندري ما هي تلك المعاني والموضوعات التي لم يقُلْهَا أمير المؤمنين لأحد سوى لابن عباس، ولم يؤثر عن ابن عباس شيء منها!

وهنا يُعربد آية الله العظمى ويقول: «مَن الذي يستطيع أن يكتب حتى كتابًا واحدًا ضخمًا بل كتابًا عاديًّا في تفسير فاتحة الكتاب، أو من الذي يستطيع أن يتكلّم ساعتين على الأقل في تفسير بسم الله [*ويبدو أنه يعتبر من يستطيع أن يفعل ذلك مدبرًا للكون والمكان ومتصرّفًا في عالم الإمكان!*]». ثم ينسب إلى الإمام أمورًا ولا يأتي عليها بأي دليل مع كل أسف.

يظن جناب آية الله أن كلَّ ادّعاء يدعيه الغلاة حقيقةٌ ثابتةٌ! إن كل ذلك التطبيل والتهويل إنما يصحُّ إذا كان لدينا نموذجٌ واحدٌ على الأقل ولو صغيرٌ عن كل ذلك التفسير الذي يملأ سبعين بعيرًا الذي ذكره ابن عباس (هذا إن كان قد قال مثل ذلك أساسًا)، واستطعتم أن تُقدّموه لنا، وإلا فإن ما لا نملك عنه سوى مجرد الادّعاء، لا يمكن لعاقل أن يصدقه أو يجعله دليلاً على عقيدة!

إن هذه الادعاءات أكاذيب صاغتها عقول الغلاة وأعداء الدين ونسبوها إلى أمير المؤمنين والأئمَّة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين، كما قال الشيخ الطوسي أيضًا **إن القول بأن للقرآن بواطنٌ خُصَّ بالعلم بها أقوامٌ** قولٌ باطلٌ.

ومن جملة التفاسير التي نسبها إلى الأئمَّة الصديق الجاهل أو العدو العالم أو أعداء القرآن، ذلك التفسير المنسوب كذبًا للإمام المظلوم الحسن العسكري ، ويا ليت مثل هذا التفسير لم يكن موجودًا بين الشيعة ولا بين المسلمين أصلاً!

ولقد أوضحنا في الصفحات (١٨٨ إلى ١٩٠) من كتابنا «**ارمغان آسمان**» [أي هدية السماء] الذي طبعناه ونشرناه قبل ١٢ سنة، اختلاق هذا التفسير المليء بالكذب وعدم

وثاقته[١]. وَلِـحُسْنِ الحظ أَيَّد العلامة المحقق سماحة الحاج الشيخ «**محمد تقي الشوشتري**»[٢] -أدام الله ظلَّه الوارف- في كتابه القيِّم وعديم النظير الموسوم بـ«**الأخبار الدخيلة**» والذي طُبع ونُشر قبل سنتين، ما نقوله بشأن هذا التفسير بأفضل بيان وأوضح برهان.

في هذا التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري الذي جمع مزيجًا من حقٍّ وباطل وأوقع بعض علماء الشيعة في الخطأ والاشتباه وجعلهم يظنون صحة نسبته إلى الإمام المظلوم، ثمة أقاويل وموضوعات ينفر منها كل من لديه أدنى شعور!

وقد قام **العلامة الشوشتري** -دام بقاؤه- كما قلنا، في كتابه «**الأخبار الدخيلة**» (ص١٥٢إلى ٢٢٨) بانتقاد هذا التفسير وبيان كذب واختلاق مندرجاته ووصل في النهاية إلى القول: "**إذا كانت هذه الأخبار المذكورة في هذا التفسير صحيحة فالإسلام باطل من أساسه! لأنه يتضمن الجمع بين الضدين وهذا من المحالات!** "[٣].

إن مطالعة دقيقة لكتاب العلامة الشوشتري القيِّم تُظْهر حجم الأكاذيب التي افتراها أعداء الدين أو أصدقاءه الجهلاء الذين هم أحيانًا أسوأ من الأعداء، والتي بدأ تلفيقها منذ الصدر الأول وفي فترة حياة الأئمَّة الكرام ذاتها وكانت تُنْسَب إلى أولئك الأئمَّة الأعزّاء،

---

(١) صدر الكتاب المذكور سنة ١٣٣٩هـ.ش. وقد ذكرت هذا الموضوع أيضًا في تنقيحي الثاني لكتاب «**نقد مفاتيح الجنان**» الفصل المتعلق بشهر شعبان. (برقعي).

(٢) هو العلامة المدقِّق والرِّجَالِيّ المحقِّق آية الله الشيخ «محمد تقي بن الشيخ محمّد كاظم الشُّوْشْتَرِيّ» أو «التُستري»، من علماء الإمامية المعاصرين في إيران ولد في النجف عام ١٣٢٠هـ، ثم انتقل مع أبيه صغيرًا إلى «تُسْتَر» جنوب إيران واستقر فيها حتى وافاه الأجل عام ١٤١٥هـ، ترك عدة آثار قيمة أشهرها كتابه «**الأخبار الدخيلة**» في مجلد ثم أضاف إليه فيما بعد مستدركاته في ٣ مجلدات، ويعتبر أول كتاب يعالج موضوع وضع ودس وتحريف الحديث في مصادر الحديث الإمامية. وله «قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» و«النجعة في شرح اللمعة» وله كتاب رجالي ضخم باسم «قاموس الرجال في شرح تنقيح المقال» طبع في ١١ مجلدًا. قال عنه الشيخ المعاصر آية الله جعفر السبحاني: «هو من المشايخ الأعاظم الذي يضنّ بهم الدهر إلاّ في فترات قليلة». (تر)

(٣) محمد تقي الشوشتري، «**الأخبار الدخيلة**»، ص٢٢٨.

وتُبَيِّنُ كيف قتلوا أولئك المظلومين الذي كان كلامهم الحقيقي دُرَرًا، قتلوهم لا بحدِّ السيف والسنان بل بالقلم واللسان! إلى درجة أنهم صوَّروا أولئك الأئمَّة الكرام بصورة أعداء الحقيقة -والعياذ بالله- وبصورة أناس عابدين لذواتهم وجاهلين بالله!

وإذا حصل مثل هذا الدسّ والافتراء في زمن الأئمَّة أنفسهم، فلا عجب أن يحصل أضعافه في الأزمان اللاحقة وفي زماننا!

والأسوأ منهم أولئك الأشخاص الذين يقومون اليوم بنشر تلك الأكاذيب والافتراءات والغلوّ وترويجها بين الناس، ويشوِّهون بذلك الوجه النورانيّ للدين ويجعلونه مكروهًا ومنفورًا لا يمكن لأي عاقل أن يقبل به فضلاً أن يعتبره وسيلة لسعادة آخرته.

كما نرى مع الأسف في عالم العلم والمعرفة حفنة من مدعي العلم والدين يقدِّمون للناس نفايات تلفيقات فلاسفة اليونان وترهات كشكول المتسولين والنسَّاك المرتاضين في الهند وإيران! فيُقدِّمون تلك الأباطيل بثوب جديد، ثم إذا قام عبدٌ من عبيد الله[1] بالردّ على أوهامهم في كتاب باسم «**درس في الولاية**» أو بيَّن لهم عدم وثاقة «**دعاء الندبة**» وأمثال ذلك من الكتب المحقِّقة ونشرها، قامت قيامة مُدَّعي الحرص على الدين ولم تقعد، وبذلوا كل قواهم للرد عليه وملؤوا منابرهم بسبّه وشتمه والنيل منه وتحريض عوام الناس ضدَّه!

أجل، كان كلامنا حول آيات القرآن التي تبيّن بكل صراحة ووضوح أنه لا النبيُّ ولا أحدٌ غيره يعلم الغيب إلا ما أوحاه الله لرسله من أمور ليُبلِّغوها للناس.

يقول القرآن الكريم في هذا الموضوع أيضًا: ﴿وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ١٠١﴾ [التوبة: ١٠١]

كتب الشيخ الطوسي (ره) في تفسيره لهذه الآية: [﴿لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ﴾ أي لا تعرفهم يا محمد ﴿نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ﴾ أي نحن نعرفهم][2].

(١) يقصد به آية الله البرقعي.

(٢) الطوسي، «**التبيان**»، ج ١، ص ٨٥٤.

فالقرآن يصرح بأنَّ نبيَّ الله لم يكن يعلم حتى المنافقين الذين كانوا من حوله! فما بالك بأن يعلم علمًا ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٍ﴾ أو يحيط بعالم الإمكان!!

ويقول الله تعالى للنبي الخاتم ﷺ: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾ [الإسراء:٣٦]. يقول الشيخ الطوسي في تفسيرها: "ثم نهى نبيه ﷺ أن يقفوَ ما ليس له به علم"[١].

ويقول الله تعالى على لسان نبيه الكريم: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٦٩﴾ [ص: ٦٩]. ويقول الشيخ الطوسي: "ثم أمر نبيه صلى الله عليه وآله أن يقول أيضًا ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٦٩﴾ يعني بالملأ الأعلى الملائكة اختصموا في آدم حين قيل لهم ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ في قول ابن عباس وقتادة والسدي، فما علمتُ ما كانوا فيه إلا بوحي من الله تعالى "[٢]. تلاحظون أنه في جميع هذه الآيات الكريمة يوصي اللهُ نبيَّه الأكرمَ ﷺ ليس أن ينفي عن نفسه علم الغيب فحسب بل أن يبيّن أنه لا يعلم حتى بالمنافقين من الأعراب الذين كانوا حوله أو الذين هم من أهل المدينة، وأنه ليس له علم بحقيقة حالهم، كما أنه لا يدري ماذا يفعل الله به وبالناس المعاصرين له؟ ولا يدري أقريب ما كان يعدهم الله به أم بعيد هو؟ كما لا يعلم هل أن هذا التأخير لما يعدهم الله به امتحان لهم أم غير ذلك؟

إذا كان الأمر كذلك فهل نصدق كلام الله تعالى ونعتبره حقًّا أم نصدق ذلك المُسَمَّى بَآية الله العُظْمى (!) الذي يقول إن الأئمَّة وأولياء الله يملكون ذلك العلم ذاته الذي وصف الله به نفسه بقوله: ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سبأ: ٣]؟!

هل كان الله -والعياذ بالله- يكذب بقوله إن النبيَّ لا يعلم شيئًا من الغيب سوى ما أَطْلَعَهُ الله عليه من خلال الوحي وأمر النبيَّ بتبليغه للناس أم أن الآخرين هم الذين يقولون خلاف ذلك هم الذين يكذبون؟؟

(١) الطوسي، «**التبيان**»، ج ٢، ص ٢٠٤.

(٢) الطوسي، «**التبيان**»، ج ٢، ص ٥١١.

ولقد تمسَّك هؤلاء في مقابل كل تلك الآيات المحكمات التي مرَّت معنا والتي نفت علم الغيب عن غير الله وأكدت أن النبي قد أُمر أن يعلن للناس حقيقة عدم علمه بالغيب، اللهم إلا ما يُوحى إليه من مضامين الشرع، وأنه ليس بينه وبين سائر البشر أي امتياز من هذه الناحية، تمسكوا بجزء من آية كريمة وهي عبارة ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن: ٢٦، ٢٨]، وانطبق عليهم قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١]!

كما تلاحظون إن كل ما تقوله تلك الآيات [من سورة الجن] هو أن الله يُطْلِعُ أحيانًا على غيبه من يرتضيه من رسول أو ملاك أو بشر ثم يراقبه حتى يبلِّغ ذلك الغيب الذي هو وحيُ الله، إلى الناس. وفي هذه الآيات عددٌ من النقاط لابُدّ أن نلاحظها:

١- عالم الغيب هو الله تعالى وحده فقط، ولا يظهر أحدًا على غيبه.

٢- أحيانًا يظهر على غيبه من يرتضيه من رسول.

٣- بعد أن يُظهر شيئًا من غيبه لرسوله يراقبه ويحرسه حتى يبلغ ذلك الغيب إلى الناس كما أُوحي إليه.

٤- هذه الحراسة والرقابة هي التي تُسمَّى اصطلاحًا «العصمة» وهي التي تبقى حتى يقوم الرسل بإبلاغ رسالة ربّهم إلى الناس.

٥- اللهُ محيطٌ بكلِّ ما لدى الأنبياء ويحصي كلَّ شيء ويعلم بما يتمُّ من إنقاص أو زيادة - إن حدثت- في إبلاغ رسالته فقد أحصى كلَّ شيء عددًا وأحاط بكل شيء خبرًا.

إذا كان الأمر كذلك فعلينا أن نرى ما هو الغيب الذي يُظهره الله تعالى على من ارتضاه من رسول!

يجب أن نرجع إلى القرآن الكريم نفسه لفهم هذا الأمر، ونبحث فيه عن مضمون هذا الغيب الذي يظهره الله على من ارتضاه من رسول:

يقول سبحانه بعد أن يقصَّ علينا قصة نذر امرأة عمران ما في بطنها لِلَّهِ وولادة مريم والإتيان بها إلى بيت المقدس وكفالة زكريا لها: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ١٠٢﴾ [آل‌عمران: ٤٤].

كلَّ من له معرفة بالتاريخ وقرأ الأناجيل الموجودة اليوم بين أيدي المسيحيين يلاحظ كيف حُرّفت قصة مريم في تلك الكتب السماوية المحرَّفة ويُدرك ويقرُّ أن ما قصَّه القرآن كان من أنباء الغيب، لأنه لم يكن أحد من البشر قبل نزول القرآن يعلم قصة مريم بالكيفية والصورة التي بيّنها القرآن! إن قصة حمل مريم وولادة عيسى عليه السلام وتربية يوسف النجار زوج مريم لعيسى الوليد وسائر المضامين الموجودة في الأناجيل الأربعة تختلف وتبتعد بُعْدَ السماء عن الأرض عما ذكره القرآن في هذا الصدد، مما لم يكن أحدٌ يعلمه قبل نزول القرآن.

وكذلك بعد أن يقصَّ الله تعالى علينا في سورة هود قصَّة نوح ودعوته قومَه إلى التوحيد وأمْرِ الله له بأن يصنع الفلك أي السفينة الكبيرة وأن يركبها هو ومن آمن معه ثم كيفية مخالفة ابن نوح لأبيه وغرقه في الطوفان، يقول: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ...﴾ [هود: ٤٩].

وكذلك بعد أن يقص علينا القرآن الكريم قصة يوسف يقول: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَ﴾ [يوسف: ١٠٢]، مما يبيّن أن قصة يوسف بالصورة والكيفية التي جاءت في القرآن كانت من الأخبار الغيبية التي أظهرها الله لرسوله وقد أبلغها الرسول بتمامها وكمالها للناس، وقد صرحت بداية سورة يوسف بهذا المعنى أي بعدم اطلاع النبي على تلك القصة قبل نزولها عليه فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ٣﴾ [يوسف: ٣].

فتبين بذلك بشكل واضح أن الغيب الذي أظهره الله على بعض رسله المرتضين هو الوحي والأخبار الغيبية التي أصبحنا نعلمها نحن مما في القرآن الكريم ونقرؤها متى شئنا، ولم تعد أمرًا سريًّا ولا غيبًا خفيًّا! بل الرسول مأمور بإبلاغ هذا الغيب للناس والله تعالى يُراقب رسوله ويحفظه من أطرافه وجوانبه عند إبلاغ هذا الغيب للناس كي لا يقع في خطأٍ أو نسيان!

فهل يبقى هناك مجال بعد أن تبيّن ما ذكرناه لمثل هذه الخدع والأكاذيب التي تُلفّق تلك الترهات والتصوُّرات الباطلة والخيالات المخترعة والأوهام البعيدة على الرغم من المعنى الواضح والمقصود البيِّن لتلك الآية؟!

تلك كانت آيات كتاب المسلمين السماوي التي أتينا بها في القسم الأول من هذا الفصل ورأينا أنها تنفي علم الغيب بشكل عام عن جميع مخلوقات الله ثم في القسم الثاني من هذا الفصل الآتي ذكرنا بعض الآيات التي تُبيّن أن الله اختصّ أنبياءه ببعض الغيب بكيفية خاصة. فماذا يقول الغلاة الأشقياء في مواجهة هذه الآيات القرآنية الصريحة؟

في الفصل الآتي سننقل أحاديث عن أئمة الإسلام في هذا الموضوع، يُصدّقها القرآن المجيد.

❁ ❁ ❁

الأئمَّة الأطهار عليهم السلام يتبرؤون من القائلين بهذه العقيدة

بعد أن ذكرنا عشر آيات كريمة من القرآن تنصُّ على عدم علم النبيِّ والأئمَّة بالغيب نذكر في هذا الفصل عشرة أحاديث من كتب الشيعة الموثوقة حول الموضوع ذاته، وهي أحاديث يُصدِّقها القرآن الكريم، ونكتفي -كما هي عادتنا في إثبات كل موضوع- بعشرة أدلة أو أحاديث، «**تلك عشرة كاملة**» ونعتقد أنها كافية لطلاب الحقيقة وأهل الإنصاف.

١- في رجال الكشي (طبع كربلاء، ص ٢٥٢) وَأمالي الشيخ الطوسي (ص ١٤): "عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَرَ عَنِ ابْنِ الْمُغِيرَةِ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ أَبِي الحَسَنِ (أي الإمام موسى الكاظم) أَنَا وَيَحْيَى بْنُ عَبْدِ الله بْنِ الحُسَيْنِ، فَقَالَ يَحْيَى: **جُعِلْتُ فِدَاكَ! إِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ تَعْلَمُ الغَيْبَ؟! فَقَالَ: «سُبْحَانَ الله ضَعْ يَدَكَ عَلَى رَأْسِي فَوَالله مَا بَقِيَتْ فِي جَسَدِي شَعْرَةٌ وَلا فِي رَأْسِي إِلا قَامَتْ. قَالَ ثُمَّ قَالَ: لا وَالله مَا هِيَ إِلا رِوَايَةٌ عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله**» ". أي أن ما أُوحي إلى الرسول من أخبار الغيب ننقله لكم من خلال الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢- بعد ذِكْرِ أمير المؤمنين عليه السلام بعضًا من أخبار الأتراك وَوصفه أحوالَهم وبيانه لبعض حوادث المستقبل "**قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: لَقَدْ أُعْطِيتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِلْمَ الغَيْبِ! فَضَحِكَ (عليه السلام) وقَالَ لِلرَّجُلِ -وكَانَ كَلْبِيًّا-: يَا أَخَا كَلْبٍ! لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ وإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ. وإِنَّمَا عِلْمُ الغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ ومَا عَدَّدَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُ....﴾ الآية. [لقمان: ٣٤] **فَيَعْلَمُ اللهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الأرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ وسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ وشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ ومَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَبًا أَوْ فِي الجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقًا، فَهَذَا عِلْمُ الغَيْبِ الَّذِي لا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلا اللهُ، ومَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللهُ نَبِيَّهُ** (صلى الله عليه وآله) **فَعَلَّمَنِيهِ ودَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي وتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي.** " (نهج البلاغة، الخطبة ١٢٨).

من البديهي أن العلوم التي تحفظ في الصدور ويتّسع لها العقل ليست علم الغيب الذي يتضمَّن الاطلاع في كل آن وساعة على حوادث العالم ومجريات عالم الإمكان، بل هو علم يستطيع كل شخص أن يعلِّمَهُ للآخرين.

٣- وجاء أيضًا في (ص ٢٤٨) من كتاب «**رجال الكشي**» الذي يُعَدُّ من كتب الشيعة المشهورة، والذي لخَّصه الشيخ الطوسي، ما نصُّه:

"عَنْ عَنْبَسَةَ بْنِ مُصْعَبٍ قَالَ قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: أَيَّ شَيْءٍ سَمِعْتَ مِنْ أَبِي الخَطَّابِ؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ إِنَّكَ وَضَعْتَ يَدَكَ عَلَى صَدْرِهِ وَقُلْتَ لَهُ عِهْ وَلَا تَنْسَ! وَإِنَّكَ تَعْلَمُ الغَيْبَ وَإِنَّكَ قُلْتَ لَهُ عَيْبَةُ عِلْمِنَا وَمَوْضِعُ سِرِّنَا أَمِينٌ عَلَى أَحْيَائِنَا وَأَمْوَاتِنَا! قَالَ: لَا وَالله مَا مَسَّ شَيْءٌ مِنْ جَسَدِي جَسَدَهُ إِلَّا يَدَهُ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: إِنِّي قُلْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ! فَوَ الله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا أَعْلَمُ. فَلَا آجَرَنِيَ اللهُ فِي أَمْوَاتِي وَلَا بَارَكَ لِي فِي أَحْيَائِي إِنْ كُنْتُ قُلْتُ لَهُ. قَالَ: وَقُدَّامَهُ جُوَيْرِيَةٌ سَوْدَاءُ تَدْرُجُ، قَالَ: لَقَدْ كَانَ مِنِّي إِلَى أُمِّ هَذِهِ أَوْ إِلَى هَذِهِ كَخَطَّةِ القَلَمِ فَأَتَتْنِي هَذِهِ فَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ مَا كَانَتْ تَأْتِينِي. وَلَقَدْ قَاسَمْتُ مَعَ عَبْدِ الله بْنِ الحَسَنِ حَائِطًا بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَأَصَابَهُ السَّهْلُ وَالشِّرْبُ وَأَصَابَنِي الجَبَلُ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: إِنِّي قُلْتُ هُوَ عَيْبَةُ عِلْمِنَا وَمَوْضِعُ سِرِّنَا أَمِينٌ عَلَى أَحْيَائِنَا وَأَمْوَاتِنَا، فَلَا آجَرَنِيَ اللهُ فِي أَمْوَاتِي وَلَا بَارَكَ لِي فِي أَحْيَائِي إِنْ كُنْتُ قُلْتُ لَهُ شَيْئًا مِنْ هَذَا قَطُّ! ".

٤- وكتب المرحوم الشيخ عباس القمي يقول: روى المسعودي عن «يحيى بن هرثمة» أنه لما انطلق بالإمام الهادي من المدينة وكان يقوم بخدمته ويحسن السلوك معه، وكانوا في الطريق فرأوا يومًا أن الإمام الذي كان راكبًا كان يرتدي قماشًا واقيًا من المطر وقد عقد ذنب فرسه، يقول: فتعجَّبْتُ من صنيعه لأن السماء كانت صافية ولم يكن فيها غيوم بل كانت الشمس ساطعة، ولكن لم تمض برهة من الزمن إلا وظهرت الغيوم في السماء وهطل المطر بغزارة وأصابنا من المطر أمر عظيم فنظر إليَّ الإمامُ وقال لي: إني أعلم أنك أنكرتَ صنيعي وتعجبتَ منه **وظننتَ أنني أعلم من أمر المطر ما لا تعلمه أنت، ولكن الأمر ليس كما ظننتَ،** لكنني كنتُ أعيش في البادية وعرفت الريح التي عقبها المطر فلما أصبحتُ اليومَ وهبَّت الريحُ

عرفت من رائحتها قرب هطول المطر فصنعت ما صنعت... الخ. («**منتهى الآمال**»، كتابفروشي اسلاميه، ج ٢، ص ٣٧٨)(١).

٥- جاء في كتاب «**أصول الكافي**» (باب الإشارة والنص على الحسن بن علي عليهما السلام) وفي كتاب «**نهج البلاغة**» (الخطبة رقم ١٤٩) وفي كتاب «**إثبات الوصية**» للمسعودي (ص١٥٣) باختلاف يسير في اللفظ أنه لما ضرب ابن ملجم -لعنه الله- أمير المؤمنين عليه السلام وحُمل إلى منزله "**فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: كُلُّ امْرِئٍ مُلَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ. الأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ وَالهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ. كَمْ أَطْرَدْتُ الأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هَذَا الأَمْرِ فَأَبَى اللهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ هَيْهَاتَ عِلْمٌ مكنونٌ مَخْزُون**"(٢).

إن هذه الجمل التي صدرت عن الإمام في آخر ساعات عمره الشريف أفضل دليل على أنه لم يكن مطّلعًا على كيفية مقتله، رغم أنه كان راغبًا بالشهادة رغبة شديدة. وفي الوقت ذاته فإن هذه الجمل حجر قوي يُلقم في فم الغلاة الذين يدّعون أن الإمام كان عالمًا بالغيب وأنه

---

(١) لا يخفى أن المؤلف المحترم / أتى في الطبعة الأولى لهذا الكتاب بالحديث الثالث من الباب ١٠٣ من «**أصول الكافي**»، الذي اعتبره المجلسي مجهولاً وكتب عنه يقول: إن الاضطراب والتشويش الباديان في جمل هذا الحديث جعل شُراح الكافي، وحتى المرحوم المجلسي يعجزون عن الخروج بأيّ معنى مفيد من هذا الحديث والسبب في ذلك أن الغلاة لم يكونوا راضين بصدور مثل هذه الأحاديث، لذا كانوا يسعون إلى مسخ صورة هذا الحديث. ولكن على أي حال فإن سياق الحديث يدل على المقصود وتتم به الحجّة و.....

ولقد تكلم راقم هذه السطور إلى حدّ ما عن هذا الحديث وعن الأحاديث التي ينقض آخرُها أولَهَا، أو تتضمن جملًا يُناقض بعضها بعضًا وذلك في التنقيح الثاني لكتابي «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» (ص ٥٠٤ و٥٢٧ حتى ٥٣٠)، فلا أُكرّر هذا الكلام هنا. ولكنني كاتبت المؤلف الكريم قبل ذلك واقترحت عليه تغيير الحديث المذكور واستبدال حديث آخر به، فقبل ذلك الأستاذ الكريم -رحمة الله عليه- الاقتراح وسمح بأن نجعل الحديث الذي ذُكر أعلاه في المتن، مكان الحديث الذي كان مذكورًا في الطبعة السابقة. (**البرقعي**).

(٢) انظر نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٤٩. (تر)

أيقظ قاتله في المسجد! لعنة الله على الغالين المشركين.

٦- روى «محمد بن إدريس العجلي الحلي» في كتابه القيِّم «**السرائر**» (ص٤٨٦)، في قسم المستطرفات منه، نقلاً عن كتاب «محمد بن علي بن محبوب» أنه روى عن عباس عن حماد بن عيسى عن ربعي بن عبد الله عن الفضيل قال: "**ذكرتُ لأبي عبد الله عليه السلام السهوَ فقال: وَينفلتُ من ذلك أحدٌ؟! ربما أقعدتُ الخادمَ خَلفي يحفظ عليَّ صلاتي. إياكم وَالغلو فينا!...**"[1]. من البديهي أن الإمام الذي لا يحفظ أحيانًا أفعال صلاته إلا بمعونة شخص آخر لا يمكن أن يكون مطلعًا على الغيب الذي وصفه الله بقوله: ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سبأ: ٣]!

وكل من يعتقد بمثل ذلك إما مجنون يجب أن يعالج في مستشفى المجانين أو مشرك سيلقى جزاء المشركين.

٧- وروى الكشي في رجاله (ص ٢٥٢) أيضًا بسند صحيح عَنِ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: "**قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ الله عليه السلام: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ! قَالَ: وَمَا يَقُولُونَ؟؟ قُلْتُ: يَقُولُونَ يَعْلَمُ قَطْرَ المَطَرِ وَعَدَدَ النُّجُومِ وَوَرَقَ الشَّجَرِ وَوَزْنَ مَا فِي البَحْرِ وَعَدَدَ التُّرَابِ؟ فَرَفَعَ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ! فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللهِ! سُبْحَانَ اللهِ! لا وَاللهِ مَا يَعْلَمُ هَذَا إِلا اللهُ»!** "[2].

هذا رغم أن معرفة تلك الأمور لا تجعل الشخص عالمًا بالغيب علمًا مساويًا لعلم الله: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ﴾ [سبأ: ٣]، كما لا تجعله مدبرًا للكون والمكان، ومع ذلك فإن الإمام عليه السلام نفى هذا العلم عن نفسه وحصر العلم به بالله وحده.

٨- روى الشيخ الطوسي في كتابه «**تهذيب الأحكام**» (طبع النجف، ج٣، ص٤٠) الحديث رقم ١٤٠، والمجلسي في المجلد ١٨ من «**بحار الأنوار**» (طبع كمباني ص٦٢٥)

---

(١) محمد بن أحمد بن إدريس الحلِّي (٥٩٨هـ)، **السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي**، طبع قم، ١٣١٠هـ، ج ٣، ص ٦١٤. والحر العاملي، **وسائل الشيعة**، ج ٨، ص ٢٥٢. المجلسي، بحار الأنوار ج ١٠/ ص ٩٢، من الطبعة الجديدة. (تر)

(٢) رجال الكشي، ص ٢٩٩. والمجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٥/ ص ٢٩٤. (تر)

فقال: "**عَلِيُّ بْنُ الحَكَمِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ العَرْزَمِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ** عليه السلام **قَالَ: صَلَّى عَلِيٌّ** عليه السلام **بِالنَّاسِ عَلَى غَيْرِ طُهْرٍ وَكَانَتِ الظُّهْرَ فَخَرَجَ مُنَادِيهِ أَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ** عليه السلام **صَلَّى عَلَى غَيْرِ طُهْرٍ فَأَعِيدُوا وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ** ".

وأقول: هل هناك أحمق يُصدق أن الإمام عليًّا عليه السلام الذي كانت صلاة الظهر في نظره أعز الأعمال والعبادات ورغم ذلك لم يدْر أنه صلاها دون طهارة، يعلم علم الغيب وأسرار السموات والأرضين على نحوٍ: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ﴾ [سبأ: ٣]؟! فلعن الله الغلاة الذين افتروا تلك الأوهام وأضلوا الناس.

٩- جاء في كثير من الأحاديث أن الراسخين في العلم هم الأئمَّة الأطهار، من ذلك ما جاء في «**أصول الكافي**» في باب عنوانه: "**بَابُ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي العِلْمِ هُمُ الأئمَّة** عليهم السلام ". وقد جاءت هذه الأحاديث أيضًا في تفسير علي بن إبراهيم القمي، وتفسير البرهان.

هذا رغم أن هذه الصفة (الرسوخ في العلم) تشمل كل شخص عالم راسخ في علمه، كما وصف الله تعالى علماء اليهود والنصارى بهذه الصفة حين قال عنهم: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ﴾ [النساء: ١٦٢] .ولكن لما روت كتب حديث الشيعة خاصة كتاب «**أصول الكافي**» عن حضرة الصادق عليه السلام أنه قال: "**الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ وَالأئمَّة مِنْ بَعْدِهِ** عليهم السلام "[(١)].

فنحن أيضًا نستفيد مما تفضل به أمير المؤمنين عليه السلام في صفة الراسخين بالعلم وبيانه أنهم لا يعلمون الغيب حيث قال: "**وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي العِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ المَضْرُوبَةِ دُونَ الغُيُوبِ الإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الغَيْبِ المَحْجُوبِ فَمَدَحَ اللهُ تَعَالَى اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ البَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخًا**... ". (نهج البلاغة، الخطبة ٩١).

ومراد الإمام هنا من عدم العلم بالغيب نفي العلم بتأويل متشابهات القرآن الذي بيَّنه

---

(١) الكُلَيْنِيّ، **الكافي**، ج ١، ص ٢١٤.

اللهُ تعالى بقوله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ [آل‌عمران: ٧]. إذن الأئمَّة عليهم السلام الذين هم الراسخون في العلم لم يكونوا، حسب بيان أمير المؤمنين عليه السلام، يعلمون تأويل متشابهات القرآن، وقد مدحهم الله تعالى بإقرارهم بجهلهم بهذا الأمر فما بالك بادّعاء علمهم بجمع حوادث عالم الإمكان! ولا أدري ماذا يقول غلاة عصرنا المجانين بشأن هذا البيان الواضح؟

١٠ - جاء في كتاب «**الاحتجاج**» للشيخ الطبرسي، وفي المجلد ١٧ من «**بحار الأنوار**» للمجلسي (طبع كمباني، ص ٣٤٥)، هذا التوقيع الذي صدر عَنْ الإمام الثاني عشر رَدًّا عَلَى الغُلَاةِ، وقد جاء جَوَابًا لِكِتَابٍ كُتِبَ إِلَيْهِ عَلَى يَدَيْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ هِلَالٍ الكَرْخِيِّ، ونورده فيما يلي في ختام هذه الأحاديث العشرة التي ينفي فيها الأئمَّة علمهم بالغيب ليكون ختامه مسكًا، ونص التوقيع الرفيع هو ما يلي:

" يَا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ! تَعَالَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَمَّا يَصِفُونَ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ لَيْسَ نَحْنُ شُرَكَاءَهُ فِي عِلْمِهِ وَلَا فِي قُدْرَتِهِ بَلْ لَا يَعْلَمُ الغَيْبَ غَيْرُهُ كَمَا قَالَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]،...... **يَا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ قَدْ آذَانَا جُهَلَاءُ الشِّيعَةِ وَحُمَقَاؤُهُمْ وَمَنْ دِينُهُ جَنَاحُ البَعُوضَةِ أَرْجَحُ مِنْهُ وَأُشْهِدُ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَكَفَى بِهِ شَهِيدًا وَمُحَمَّدًا رَسُولَهُ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ وَأُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ كُلَّ مَنْ سَمِعَ كِتَابِي هَذَا أَنِّي بَرِيءٌ إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ مِمَّنْ يَقُولُ إِنَّا نَعْلَمُ الغَيْبَ أَوْ نُشَارِكُ اللهَ فِي مُلْكِهِ أَوْ يُحِلُّنَا مَحَلاً سِوَى المَحَلِّ الَّذِي نَصَبَهُ اللهُ لَنَا وَخَلَقَنَا لَهُ أَوْ يَتَعَدَّى بِنَا عَمَّا قَدْ فَسَّرْتُهُ لَكَ وَبَيَّنْتُهُ فِي صَدْرِ كِتَابِي.....**

فَكُلُّ مَنْ فَهِمَ كِتَابِي وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى مَا قَدْ أَمَرْتُهُ وَنَهَيْتُهُ فَلَقَدْ حَلَّتْ عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ مِنَ اللهِ وَمِمَّنْ ذَكَرْتُ مِنْ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ "[١].

ونكتفي بما ذكرناه. ﴿تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ﴾.

---

(١) الحر العاملي، **إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات**، طبع بيروت، ١٤٢٥هـ، ج٥، ص٣٩٢-٣٩٣. بحار الأنوار، ج ٢٥ / ص ٢٦٦ -٢٦٨. (تر)

قبل ذلك أوردنا أكثر من عشر آيات من القرآن الكريم في أن النبي ﷺ غير مطّلع على علم الغيب وأن لا أحد من البشر يعلم الغيب ونقلنا تفسير تلك الآيات من أفضل كتب التفسير الشيعية أعني تفسير «**التبيان**» للشيخ الطوسي، فكل من كان يؤمن بالله ورسوله لا يُمكنه -مهما كان عقله قاصرًا ووجدانه قليلاً- أن ينسب للنبيّ أو أي إمام من الأئمَّة علم الغيب لاسيما ذلك العلم بالغيب الذي: ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سبأ: ٣]!

ولا يدري أحدٌ أيّ مرض عرض لمرضى القلوب وأعوان الشيطان هؤلاء جعلهم يعتقدون دون أيّ حُجة عقلية أو دليل شرعي ووجداني أن مخلوقًا مقيّدًا ومرزوقًا ومحدودًا ومحتاجًا يُسيطر على الموجودات ويُدبّر الكائنات ويعلم بغيب الأرضين والسموات. ورغم كل هذه الأدلة القاطعة من العقل والوجدان والحديث والقرآن فإنهم لا يتراجعون عن كفرهم ويبقون حيارى في تيه ضلالتهم، ويتشبثون ببضعة أحاديث بقيت عن جماعةٍ من السفهاء في كتب القدماء، هي مجهولةٌ سندًا وموضوعةٌ مكذوبةٌ متنًا، تنفر منها الطباع وتهجر معناها العقول، مثلهم في ذلك مثل الغريق الذي يتشبث بكل حشيش! ولا يستحون من الله ولا يخجلون من عقولهم ووجدانهم رغم كل هذا التهديد والوعيد!

عقيدة أصحاب الأئمَّة فيهم

في هذا الفصل بعض النماذج المختصرة لعقيدة خواص أصحاب الأئمَّة عليهم السلام بعلم أئمتهم، تُظهِرُ بوضوح أنهم لم يكونوا يعتقدون إطلاقًا بعلم الأئمَّة بالغيب، بل لم يكونوا يعتقدون بامتلاك الأئمَّة لعلم أقل بكثير من علم الغيب! وذلك لكي تستبين درجة ضلال غلاة عصرنا وبُعدهم عن الحقيقة:

١- جاء في كتاب «**وقعة صفين**» لنصر بن مزاحم (ص٩٩)، والمجلد الثامن من «**بحار الأنوار**» للمجلسي (طبع تبريز، ص٤٥٠)، عبارات بالمضمون التالي:

"وَخَشِيَ مُعَاوِيَةُ أَنْ يُبَايِعَ الْقُرَّاءُ عَلِيًّا عَلَى الْقِتَالِ أَخَذَ فِي الْـمَكْرِ وَأَخَذَ يَحْتَالُ لِلْقُرَّاءِ لِكَيْما يُحْجِمُوا عَنْهُ وَيَكُفُّوا حَتَّى يَنْظُرُوا.

قَالَ: وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ فِي سَهْمٍ: مِنْ عَبْدِ اللهِ النَّاصِحِ فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ أَنَّ مُعَاوِيَةَ يُرِيدُ أَنْ يُفَجِّرَ عَلَيْكُمُ الْفُرَاتَ فَيُغْرِقَكُمْ فَخُذُوا حِذْرَكُمْ ثُمَّ رَمَى مُعَاوِيَةُ بِالسَّهْمِ فِي عَسْكَرِ عَلِيٍّ عليه السلام. فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي يَدَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَقَرَأَهُ ثُمَّ أَقْرَأَهُ صَاحِبَهُ فَلَمَّا قَرَأَهُ وَأَقْرَأَهُ النَّاسَ أَقْرَأَهُ مَنْ أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، قَالُوا: هَذَا أَخٌ نَاصِحٌ كَتَبَ إِلَيْكُمْ يُخْبِرُكُمْ بِمَا أَرَادَ مُعَاوِيَةُ فَلَمْ يَزَلِ السَّهْمُ يُقْرَأُ وَيُرْتَفَعُ، حَتَّى رُفِعَ إِلَى أَمِيرِ الْـمُؤْمِنِينَ.

وَقَدْ بَعَثَ مُعَاوِيَةُ مِائَتَيْ رَجُلٍ مِنَ الْفَعَلَةِ إِلَى عَاقُولٍ مِنَ النَّهَرِ بِأَيْدِيهِمُ الْـمُرُورُ وَالزُّبُلُ يَحْفِرُونَ فِيهَا بِحِيَالِ عَسْكَرِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: «وَيْحَكُمْ إِنَّ الَّذِي يُعَالِجُ مُعَاوِيَةُ لَا يَسْتَقِيمُ لَهُ وَلَا يَقُومُ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يُزِيلَكُمْ عَنْ مَكَانِكُمْ فَالْـهَوْا عَنْ ذَلِكَ وَدَعُوهُ». فَقَالُوا لَهُ: لَا نَدَعُهُمْ وَاللهِ يَحْفِرُون السَّاعَةَ!

فَقَالَ عَلِيٌّ: «يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ لَا تَكُونُوا ضَعْفَي وَيْحَكُمْ لَا تَغْلِبُونِّي عَلَى رَأْيِي». فَقَالُوا: وَاللهِ لَنَرْتَحِلَنَّ فَإِنْ شِئْتَ فَارْتَحِلْ وَإِنْ شِئْتَ فَأَقِمْ فَارْتَحَلُوا وَصَعِدُوا بِعَسْكَرِهِمْ مَلِيًّا وَارْتَحَلَ عَلِيٌّ فِي

أُخْرَيَاتِ النَّاسِ. انتهى[١].

وكذلك قصة رفع المصاحف وتعيين الحكمين حيث قام أصحاب الإمام بفرض تعيين الحكمين عليه [وفرضوا عليه أبا موسى الأشعري ليكون الحكم من طرفه] وعشرات القصص الأخرى التي تبيِّن أن الأكثرية الساحقة لأصحاب الإمام لم تكن تعتقد أنه عالم بالغيب وليس هذا فحسب بل كان كثير منهم -للأسف- يتصورون أنه أقل حنكة في السياسة وإدارة الملك من معاوية، كما نوّه الإمام أكثر من مرة إلى هذا فقال: "الدهر أنزلني أنزلني حتى قيل معاوية وعلي ".

٢- لم يكن أبناءُ عليٍّ أنفُسُهم -طبقًا لما تذكره التواريخ والأخبار- يعتقدون في أبيهم ما اعتقده غلاة الشيعة فيه فيما بعد!

والشاهد على ذلك ما رواه الشيخ المفيد في «**المجالس**» ونقله عنه المجلسيُّ في «بحار الأنوار» (المجلد الثامن/ ص٣٥٣) قال: "**وَ قَالَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ لِعَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ حِينَ أَحَاطَ النَّاسُ بِعُثْمَانَ اخْرُجْ مِنَ المَدِينَةِ وَاعْتَزِلْ، فَإِنَّ النَّاسَ لَا بُدَّ لَـهُمْ مِنْكَ، وَإِنَّهُمْ لَيَأْتُونَكَ وَلَوْ كُنْتَ بِصَنْعَاءَ، وَأَخَافُ أَنْ يُقْتَلَ هَذَا الرَّجُلُ وَأَنْتَ حَاضِرُهُ** "[٢]. فأجاب الإمام ابنَه قائلاً: "**فَقَالَ يَا بُنَيَّ! أَأَخْرُجُ عَنْ دَارِ هِجْرَتِي؟! وَمَا أَظُنُّ أَحَدًا يَجْتَرِئُ عَلَى هَذَا القَوْلِ كُلِّهِ**... "[٣].

من الواضح أنه لو كان الإمام الحسن يعتقد في أبيه الكريم أنه عالم بالغيب وعارف بظاهِرِ كلِّ أمر وباطنِهِ لما أشار عليه بالخروج من المدينة والاعتزال! **أفلا تعقلون؟**

٣- في المجلد الثامن من «**بحار الأنوار**» للمجلسي (طبع كمباني، ص ٣٨٧)، وأمالي الشيخ المُفِيدِ وأمالي الشيخ الطوسي (صص ٥١-٥٢)، بسندهم "عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَ عَلِيٌّ بِالرَّبَذَةِ سَأَلْتُ عَنْ قُدُومِهِ إِلَيْنَا فَقِيلَ خَالَفَ عَلَيْهِ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَائِشَةُ وَصَارُوا

---

(١) نصر بن مزاحم (٢١٢هـ)، **وقعة صفين**، تحقيق وتصحيح عبد السلام محمد هارون، قم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ط٢، ١٤٠٤هـ، ص١٩٠-١٩١.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٣١/ ص٤٨٧. (تر)

(٣) المصدر السابق. (تر)

إِلَى الْبَصْرَةِ فَخَرَجَ يُرِيدُهُمْ فَصِرْتُ إِلَيْهِ فَجَلَسْتُ حَتَّى صَلَّى الظُّهْرَ وَالعَصْرَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ قَامَ إِلَيْهِ ابْنُهُ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ بَكَى وَقَالَ:

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُكَلِّمَكَ، وَبَكَى. فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: لَا تَبْكِ يَا بُنَيَّ وَتَكَلَّمْ وَلَا تَحِنَّ حَنِينَ الجَارِيَةِ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنَّ القَوْمَ حَصَرُوا عُثْمَانَ يَطْلُبُونَهُ بِمَا يَطْلُبُونَهُ إِمَّا ظَالِمُونَ أَوْ مَظْلُومُونَ فَسَأَلْتُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ النَّاسَ وَتَلْحَقَ بِمَكَّةَ حَتَّى تَؤُبَّ [تَئُوبَ] العَرَبُ وَتَعُودَ إِلَيْهَا أَحْلَامُهَا وَتَأْتِيَكَ وُفُودُهَا فَوَاللهِ لَوْ كُنْتَ فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَضَرَبَتْ إِلَيْكَ العَرَبُ آبَاطَ الإِبِلِ حَتَّى تَسْتَخْرِجَكَ مِنْهُ. ثُمَّ خَالَفَكَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَسَأَلْتُكَ أَنْ لَا تَتْبَعَهُمَا وَتَدَعَهُمَا، فَإِنِ اجْتَمَعَتِ الأُمَّةُ فَذَاكَ وَإِنِ اخْتَلَفَتْ رَضِيتَ بِمَا قَسَمَ اللهُ، وَأَنَا اليَوْمَ أَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَقْدَمَ العِرَاقَ وَأُذَكِّرُكَ بِاللهِ أَنْ لَا تُقْتَلَ بِمَضِيعَةٍ.

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ عُثْمَانَ حُصِرَ فَمَا ذَاكَ وَمَا عَلَيَّ مِنْهُ وَقَدْ كُنْتُ بِمَعْزِلٍ عَنْ حَصْرِهِ. وَأَمَّا قَوْلُكَ ائْتِ مَكَّةَ فَوَاللهِ مَا كُنْتُ لِأَكُونَ الرَّجُلَ الَّذِي يُسْتَحَلُّ بِهِ مَكَّةُ. وَأَمَّا قَوْلُكَ اعْتَزِلِ العِرَاقَ وَدَعْ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ فَوَاللهِ مَا كُنْتُ لِأَكُونَ كَالضَّبُعِ تَنْتَظِرُ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْهَا طَالِبُهَا فَيَضَعَ الحَبْلَ فِي رِجْلِهَا حَتَّى يَقْطَعَ عُرْقُوبَهَا ثُمَّ يُخْرِجَهَا فَيُمَزِّقَهَا إِرْبًا إِرْبًا، وَلَكِنَّ أَبَاكَ يَا بُنَيَّ يَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الحَقِّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ العَاصِيَ الْمُخَالِفَ أَبَدًا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي... "[1].

وقصة ابن عباس في ولايته على البصرة وخيانة سائر الولاة من خواصِّ أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام والتي سيأتي بيان بعضها لاحقًا أوضح دليل على أنه لم يكن هناك في ذلك الزمن مثل ذلك الاعتقاد في حق الإمام.

٤- كان «سُفْيَانُ بْنُ أَبِي لَيْلَى»، أحد خواص أصحاب الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ويشهد على مدى قربه من الإمام ما رواه الكشي في رجاله (ص١٥) عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ضمن حديث، أنه: "إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ..... [إلى قوله]... ثُمَّ يُنَادِي

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٢/ ص ١٠٣-١٠٤. (تر)

المُنَادِي «أَيْنَ حَوَارِيُّ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ [وَ] ابْنِ فَاطِمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ»؟ فَيَقُومُ سُفْيَانُ بْنُ أَبِي لَيْلَى الهَمْدَانِيُّ، وَحُذَيْفَةُ بْنُ أَسِيدٍ الغِفَارِيُّ... ".

هذا الحواريُّ الخاصُّ للإمام الحسن عليه السلام الذي سينادَى بوصفه حَوَارِيَّ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ يوم القيامة، قال هو نفسه للإمام الحسن: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُذِلَّ المُؤْمِنِينَ»! وذاك طبقًا للرواية التالية التي رواها الكشي في رجاله (ص١٠٣) عن أبي حمزة عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال:

"جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الحَسَنِ عليه السلام يُقَالُ لَهُ سُفْيَانُ بْنُ لَيْلَى وَهُوَ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ فَدَخَلَ عَلَى الحَسَنِ وَهُوَ مُحْتَبٍ فِي فِنَاءِ دَارِهِ فَقَالَ لَهُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُذِلَّ المُؤْمِنِينَ! فَقَالَ لَهُ الحَسَنُ: انْزِلْ وَلَا تَعْجَلْ فَنَزَلَ فَعَقَلَ رَاحِلَتَهُ فِي الدَّارِ وَأَقْبَلَ يَمْشِي حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِ. قَالَ فَقَالَ لَهُ الحَسَنُ: مَا قُلْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُذِلَّ المُؤْمِنِينَ! قَالَ: وَمَا عِلْمُكَ بِذَلِكَ قَالَ عَمَدْتَ إِلَى أَمْرِ الأُمَّةِ فَخَلَعْتَهُ مِنْ عُنُقِكَ وَقَلَّدْتَهُ هَذَا الطَّاغِيَةَ يَحْكُمُ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالَ فَقَالَ لَهُ الحَسَنُ عليه السلام سَأُخْبِرُكَ لِمَ فَعَلْتُ ذَلِكَ... "[1].

هكذا نرى أن كل ما فعله الإمام الحسن أنه أمر «سفيان بن أبي ليلى» بالصبر والاصطبار، ولم يقل له أبدًا: اسكت! إني عالمٌ بالغيب وعارفٌ بما ستصير إليه الأمور لذا قمت بما قمت به! كما أن «سفيان بن أبي ليلى» أيضًا لم يكن يعتقد في حق الإمام الحسن بمثل تلك العقيدة ولا كان أحد من الشيعة في زمن الحسن يعتقد فيه بمثل ذلك. (للاطلاع أكثر على هذه القضية يُراجع رجال الكشي).

٥- جاء في المجلد العاشر من «**بحار الأنوار** » (ص١١٥) أن «مُسَيَّبِ بْنِ نَجَبَةَ الفزاري» (أحد رؤوس الكوفة ومن شيعة الإمام الحسن) وَ«سليمان بن صُرَد الخزاعي» (أحد الصحابة الأجلاء ومن أشراف الكوفة ومن زعماء الشيعة المعروفين) قالا للإمام الحسن عليه السلام: "مَا يَنْقَضِي تَعَجُّبُنَا مِنْ بَيْعَتِكَ مُعَاوِيَةَ وَمَعَكَ أَرْبَعُونَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ كُلُّهُمْ يَأْخُذُ العَطَاءَ وَهُمْ عَلَى أَبْوَابِ مَنَازِلِهِمْ وَمَعَهُمْ مِثْلُهُمْ مِنْ أَبْنَائِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ سِوَى شِيعَتِكَ مِنْ أَهْلِ

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤ / ص ٢٣- ٢٤. (تر)

الْبَصْرَةِ وَالحِجَازِ ثُمَّ لَمْ تَأْخُذْ لِنَفْسِكَ ثِقَةً فِي العَقْدِ وَلَا حَظًّا مِنَ العَطِيَّةِ فَلَوْ كُنْتَ إِذْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ أَشْهَدْتَ عَلَى مُعَاوِيَةَ وُجُوهَ أَهْلِ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَكَتَبْتَ عَلَيْهِ كِتَابًا بِأَنَّ الأَمْرَ لَكَ بَعْدَهُ كَانَ الأَمْرُ عَلَيْنَا أَيْسَرَ وَلَكِنَّهُ أَعْطَاكَ شَيْئًا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ لَمْ يَفِ بِهِ ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ قَالَ عَلَى رُءُوسِ الأَشْهَادِ إِنِّي كُنْتُ شَرَطْتُ شُرُوطًا وَوَعَدْتُ عِدَاةً إِرَادَةً لِإِطْفَاءِ نَارِ الحَرْبِ وَمُدَارَاةً لِقَطْعِ الفِتْنَةِ فَلَمَّا أَنْ جَمَعَ اللهُ لَنَا الكَلِمَ وَالأُلْفَةَ فَإِنَّ ذَلِكَ تَحْتَ قَدَمَيَّ وَاللهِ مَا عَنَى بِذَلِكَ غَيْرَكَ وَمَا أَرَادَ إِلَّا مَا كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَقَدْ نَقَضَ فَإِذَا شِئْتَ فَأَعِدِ الحَرْبَ خُدْعَةً وَائْذَنْ لِي فِي تَقَدُّمِكَ إِلَى الكُوفَةِ فَأُخْرِجَ عَنْهَا عَامِلَهُ وَأُظْهِرَ خَلْعَهُ وَتَنْبِذْ إِلَيْهِ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الخَائِنِينَ. وَتَكَلَّمَ البَاقُونَ بِمِثْلِ كَلَامِ سُلَيْمَانَ.

فَقَالَ الحَسَنُ عليه السلام: أَنْتُمْ شِيعَتُنَا وَأَهْلُ مَوَدَّتِنَا فَلَوْ كُنْتُ بِالْحَزْمِ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا أَعْمَلَ وَلِسُلْطَانِهَا أَرْكَضَ وَأَنْصَبَ مَا كَانَ مُعَاوِيَةُ بِأَبْأَسَ مِنِّي بَأْسًا وَلَا أَشَدَّ شَكِيمَةً وَلَا أَمْضَى عَزِيمَةً وَلَكِنِّي أَرَى غَيْرَ مَا رَأَيْتُمْ وَمَا أَرَدْتُ بِمَا فَعَلْتُ إِلَّا حَقْنَ الدِّمَاءِ فَارْضُوا بِقَضَاءِ اللهِ وَسَلِّمُوا لِأَمْرِهِ وَالزَمُوا بُيُوتَكُمْ وَأَمْسِكُوا "[1].

يا ترى لو كان هذان الصاحبان الجليلان للإمام الحسن يعتقدان في حقه أنه يعلم الغيب، هل كانا يقترحان عليه مثل ذلك الاقتراح؟! الجواب واضح. أضف إلى ذلك أن الإمام الحسن عليه السلام نفسه لم يدَّعِ أيضًا شيئًا من ذلك في إجابته على اقتراحهما.

وقد أضاف «ابن شهرآشوب» في «**المناقب**» أن «حجر بن عدي» (وهو من خواص أصحاب أمير المؤمنين والإمام الحسن عليهما السلام) كان حاضرًا في ذلك المجلس أيضًا فقال للإمام: لوددت أنك كنت مت في مثل ذلك اليوم ومتنا نحن أيضًا معك! ولم نر مثل هذا اليوم! هل يتكلم من يعتقد بعلم الإمام بالغيب مثل هذا الكلام؟!

وقد ذكرت كتب التواريخ كراهية الإمام الحسين عليه السلام لمبايعة أخيه الإمام الحسن عليه السلام لمعاوية ومن أراد الاطلاع على ذلك يمكنه أن يرجع إلى كتب التاريخ مثل تاريخ دمشق لابن عساكر![2].

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤ / ص ٢٩- ٣٠. (تر)

(٢) يُراجع كتابنا «**شاهراه اتحاد**» (أي طريق الاتحاد) حاشية الصفحة ١٧٩.

٦- كان «زرارة بن أعين» من خواص أصحاب الإمام جعفر الصادق وشيعته المخلصين وقد وردت في فضله أحاديث كثيرة. ورغم ذلك نجد أنه -كما تفيده عدة أخبار في كتب الشيعة- لم يكن يعتقد في الإمام الصادق عليه السلام أنه يعلم الغيب وليس هذا فحسب بل كان يُعرب عن شكه أو تحفظه بشأن بعض أقوال الإمام الصادق أو فتاويه العادية. فمثلاً جاء في رجال الكشي (ص١٤١): "عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن عيسى بن أبي منصور وَأبي أسامة الشحام وَيعقوب الأحمر، قالوا كنا جلوسًا عند أبي عبد الله [الإمام الصادق] (عليه السلام) فدخل عليه زرارة فقال إن الحكم بن عتيبة حدَّث عن أبيك أنه قال: صلِّ المغرب دون المزدلفة؟ فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أنا تأملته، ما قال أبي هذا قط، كذب الحكم على أبي، قال، فخرج زرارة وَهو يقول: **ما أرى الحَكَمَ كذَبَ على أبيه** ".

أقول: من الواضح من هذه الرواية أن زرارة لا يكتفي بعدم اعتقاده بعلم الإمام الصادق بالغيب [*في حين أن أكثر الأخبار التي ذكرت علم الأئمّة بالغيب رُويت عن حضرة الصادق*] بل كان ينفي -تلويحًا- علم الإمام ببعض الأمور العادية التي يُمكن لكل واحد أن يعلم بها!

٧- وفي رجال الكشّي أيضًا (ص ١٢٠) أن زرارة اطّلع على رسالة كتبها الإمام الصادق عليه السلام إلى أحد شيعته الذي اختفى خوفًا من الملاحقة، فلم يقتنع بما كتبه الصادق في الرسالة وقال: "**إني كنت أرى جعفرًا أعلم مما هو...** "[1].

٨- جاء في كتاب «**تنقيح المقال**» (ج١، ص١٦٦) بالإسناد عن عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ القَصِيرِ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: "ائْتِ زُرَارَةَ وَبُرَيْدًا وَقُلْ لَهُمَا مَا هَذِهِ البِدْعَةُ أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»؟؟[2] فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي أَخَافُ مِنْهُمَا فَأَرْسَلَ مَعِي لَيْثَ الْمُرَادِيِّ. فَأَتَيْنَا زُرَارَةَ فَقُلْنَا لَهُ مَا قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام فَقَالَ: **وَالله لَقَدْ أَعْطَانِيَ الِاسْتِطَاعَةَ ومَا شَعَرَ!** ".

وقد روى الكشّي أيضًا هذه الرواية (ص ٢٠٨) وَفي آخرها زيادة: "**وَأَمَّا بُرَيْدٌ فَقَالَ**

(١) رجال الكشي، ص ١٥٧-١٥٨. (تر)

(٢) قال المجلسي في شرح هذا الخبر: كانت بدعتهما في القول بالاستطاعة. (تر)

وَاللهِ لَا أَرْجِعُ عَنْهَا أَبَدًا!! "[١].

٩- وفي رجال الكشّي أيضًا (ص ١٣٣) جاء: "عن زياد بن أبي الحلال، قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن زرارة روى عنك في الاستطاعة شيئًا فقبلنا منه وَصدَّقناه وَقد أحببتُ أن أعرضه عليك. فقال: هاته. قلت: فزعم أنه سألك عن قول الله عز وَجل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴿٩٧﴾﴾ [آلعمران: ٩٧]. فقلتَ: من ملك زادًا وَراحلة، فقال: كل من ملك زادا وَراحلة فهو مستطيع للحج وَإن لم يحج؟ فقلت: نعم. فقال: ليس هكذا سألني وَلا هكذا قلتُ، كذب عليَّ وَالله، كذب عليَّ وَالله، لعن الله زرارة لعن الله زرارة، لعن الله زرارة، إنما قال لي: من كان له زاد وَراحلة فهو مستطيع للحج؟ قلت: وَقد وجب عليه، قال: فمستطيع هو؟ فقلت: لا حتى يؤذن له، قلتُ: فأُخْبرُ زرارةَ بذلك؟ قال: نعم. قال زيادٌ: فقدمت الكوفة فلقيت زرارة فأخبرته بما قال أبو عبد الله (عليه السلام) وَسكتُّ عن لعنه، فقال: **أما إنه قد أعطاني الاستطاعة من حيث لا يعلم، وَصاحبكم هذا ليس له بصيرة بكلام الرجال!** ".

تلك كانت عقيدة زرارة في علم الإمام.

و زرارة هذا – الذي عرفنا رأيه واعتقاده في علم الإمام – هو نفسه رُوِيَ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال عنه: **"رَحِمَ اللهُ زُرَارَةَ بْنَ أَعْيَنَ لَوْلَا زُرَارَةُ لَانْدَرَسَتْ أَحَادِيثُ أَبِي!** "[٢].

ورُوِيَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله (الصادق) عليه السلام يَقُولُ: **"مَا أَحَدٌ أَحْيَا ذِكْرَنَا وَأَحَادِيثَ أَبِي إِلَّا زُرَارَةُ وَأَبُو بَصِيرٍ الْمُرَادِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ وَبُرَيْدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ،**

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢ / ص ٣١٠. (تر)

(٢) المجلسي، **بحار الأنوار**، ج ٤٧، ص ٣٩٠، نقلاً عن كتاب «**الاختصاص**» للشيخ المفيد (ره). وروي نحو ذلك أيضًا عن الإمام الصادق فيما رواه الكشي بسنده "عَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِالله عليه السلام يَقُولُ: بَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ بِالْجَنَّةِ بُرَيْدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْعِجْلِيُّ وَأَبُو بَصِيرٍ لَيْثُ بْنُ الْبَخْتَرِيِّ الْمُرَادِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ وَزُرَارَةُ أَرْبَعَةٌ نُجَبَاءُ أُمَنَاءُ الله عَلَى حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ لَوْ لَا هَؤُلَاءِ انْقَطَعَتْ آثَارُ النُّبُوَّةِ وَانْدَرَسَتْ". انظر: **رجال الكشي**، ص ١٧٠. والحرّ العاملي، «وسائل الشيعة»، ج ٢٧/ ص ١٤٢. (تر)

وَلَوْلَا هَؤُلَاءِ مَا كَانَ أَحَدٌ يَسْتَنْبِطُ هُدًى. هَؤُلَاءِ حُفَّاظُ الدِّينِ وَأُمَنَاءُ أَبِي عَلَى حَلَالِ اللهِ وَحَرَامِهِ وَهُمُ السَّابِقُونَ إِلَيْنَا فِي الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ "[(١)].

وعشرات الأحاديث الأخرى التي يُمكن لمن أراد التفصيل في هذا الأمر أن يرجع إلى كتب الرجال لاسيما رجال الكشي.

١٠ - وفي **رجال الكشّي** أيضًا (ص ١٥٣ و١٥٤) عَنْ شُعَيْبٍ العَقَرْقُوفِيِّ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: "سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام عَنِ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَتْ وَلَهَا زَوْجٌ فَظَهَرَ عَلَيْهَا؟ قَالَ: تُرْجَمُ المَرْأَةُ وَيُضْرَبُ الرَّجُلُ مِائَةَ سَوْطٍ لِأَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْ. قَالَ شُعَيْبٌ: فَدَخَلْتُ عَلَى أَبِي الحَسَنِ [أي الإمام الكاظم عليه السلام] فَقُلْتُ لَهُ: امْرَأَةٌ تَزَوَّجَتْ وَلَهَا زَوْجٌ؟ قَالَ: تُرْجَمُ المَرْأَةُ وَلَا شَيْءَ عَلَى الرَّجُلِ. فَلَقِيتُ أَبَا بَصِيرٍ فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي سَأَلْتُ أَبَا الحَسَنِ عليه السلام عَنِ المَرْأَةِ الَّتِي تَزَوَّجَتْ وَلَهَا زَوْجٌ؟ قَالَ: تُرْجَمُ المَرْأَةُ وَلَا شَيْءَ عَلَى الرَّجُلِ، **فَمَسَحَ صَدْرَهُ وَقَالَ: مَا أَظُنُّ صَاحِبَنَا تَنَاهَى حُكْمُهُ بَعْدُ!"**[(٢)].

وقد روى الكشِّيّ في رجاله الرواية ذاتها بسند آخر عن شُعَيْبٍ العَقَرْقُوفِيِّ وفي آخرها أن أبا بصير: "ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى صَدْرِهِ يَحُكُّهَا [وقال]: **أَظُنُّ صَاحِبَنَا مَا تَكَامَلَ عِلْمُه! "**[(٣)].

تلك كانت عقيدة «أبي بصير» في علم الإمام. والعجيب أن أبا بصير هذا هو الشخص ذاته الذي يروي الغلاةُ أن الإمام الصادق عليه السلام قال له: **"إِنَّ عِنْدَنَا عِلْمَ مَا كَانَ وَعِلْمَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ!! "**[(٤)] كما مر معنا فيما سبق.

تشهد هذه الأمثلة العشرة من مواقف وأقوال بعض أصحاب الأئمَّة عليهم السلام الخاصين أنهم فضلاً عن عدم اعتقادهم بعلم أئمتهم الغيب كانوا يعترضون أحيانًا على رأي الأئمَّة في بعض الأمور العادية، فهل يمكننا أن نصدق أن الأئمَّة كانوا يقولون لمثل هؤلاء الأصحاب

---

(١) الحرّ العاملي، **وسائل الشيعة**، ج ٢٧، ص ١٤٤. (تر)

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٦ / ص ٥٨. (تر)

(٣) المصدر السابق. (تر)

(٤) الكُلَيْنِيّ، **الكافي**، ج ١، ص ٣٩-٤٠. (تر)

إنهم يعلمون الغيب ويعلمون ما كان وما يكون؟!

هذا بمعزل عن أن كل من كان يؤمن بالله والقرآن واليوم الآخر لا يمكنه أن يقول بمثل ذلك القول في حق الأئمَّة، وأن تلك الادعاءات ليست في الواقع إلا من اختراع الغلاة وتلفيقات أعداء الإسلام وأعداء الأئمَّة عليهم السلام.

لو دقَّقتم النظر في جميع الأخبار التي تتحدث عن علم الأئمَّة بالغيب والموجودة في كتب الشيعة مثل «**الكافي**» و«**بصائر الدرجات**» و«**مدينة المعاجز**» وغيرها لرأيتم أنه علاوة على مخالفة متون تلك الروايات للقرآن الكريم، فإن أسانيدها ضعيفة ورواتها غلاة، رغم أنه حتى لو كانت أسانيدها صحيحة لوجب طرح متونها وعدم الاعتناء بها أصلاً طبقًا للأمر المؤكد للأئمة عليهم السلام أنفسهم الذين أمروا أن يضرب بعرض الحائط كل ما يُنقل عنهم مما يخالف كتاب الله.

فمثلاً عقد الكُلَيْنِيّ في كتاب «**الكافي**» الذي يُعتبَر من أفضل وأهم كتب الحديث لدينا معشر الشيعة بعد القرآن، أبوابًا بخصوص علم الأئمَّة -تصلح مستندًا لأمثال آية الله العظمى (مؤلف كتاب أمراء الكون) على دعواه علم الأئمَّة بالغيب- فذكر بابًا بعنوان: «بَابُ أَنَّ الأئمَّة عليهم السلام إِذَا شَاءُوا أَنْ يَعْلَمُوا عُلِّمُوا»، أورد فيه ثلاثة أحاديث، وقد اعتبر العلامة المجلسي في كتابه «**مرآة العقول**» الحديث الأول منها ضعيفًا والحديثين الثاني والثالث مجهولين فالنتيجة صفر! هذا بمعزل عن أن متون هذه الروايات الثلاثة تخالف العقل والقرآن كما سبقت الإشارة إليه.

ثم عقد بابًا بعنوان: «بَابُ أَنَّ الأئمَّة عليهم السلام يَعْلَمُونَ مَتَى يَمُوتُونَ وَأَنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ إِلَّا بِاخْتِيَارٍ مِنْهُم»، وذكر فيه ثمانية أحاديث، الحديث الأول والثالث والرابع والسابع منها ضعيفة والحديث الثاني مجهول والحديث الخامس مرسل والحديثان السادس والثامن حسنان فليس في هذا الباب إذن حديث صحيح واحد، هذا بمعزل عن مخالفة هذه الأحاديث لنص القرآن.

ثم عقد بابًا بعنوان: «بَابُ أَنَّ الأئمَّة عليهم السلام يَعْلَمُونَ عِلْمَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَأَنَّهُ لَا يَخْفَى

عَلَيْهِمُ الشّيءُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِم»[١]، وأورد فيه ستة أحاديث الأول والثاني والثالث منها ضعيفة والحديثان الخامس والسادس منها مجهولان والحديث الرابع فقط اعتبره العلامة المجلسي صحيحًا[٢]، إلا أنه لا يتضمن ما يفيد علم الأئمَّة بما كان وما يكون وكل ما فيه أن الإمام الباقر عليه السلام عاتب تلاميذه لأنهم كانوا يساوون بين علم أئمتهم وعلم أئمة مخالفيهم. وقال: "أَتَرَوْنَ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى افْتَرَضَ طَاعَةَ أَوْلِيَائِهِ عَلَى عِبَادِهِ ثُمَّ يُخْفِي عَنْهُمْ أَخْبَارَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَقْطَعُ عَنْهُمْ مَوَادَّ العِلْمِ فِيمَا يَرِدُ عَلَيْهِمْ مِمَّا فِيهِ قِوَامُ دِينِهِم؟ "[٣].

ومن الواضح تمامًا أن المراد من أخبار السموات والأرض التي فيها قوام الدين ليس علم ما كان وما يكون بالمعنى الذي يذهب إليه الغلاة، بل هو العلم المتعلق بأحكام الدِّين والذي لا شكّ أنّ الأئمَّة الأطهار كانوا كاملي المعرفة به. ولهذا السبب بالذات قال السيد المرتضى علم الهدى[٤] في كتابه «**الشافي في الإمامة**» (ص١٨٨و١٨٩):

"معاذ الله أن نوجب له [إي للإمام] من العلوم إلا ما تقتضيه ولايته، ويوجبه ما وليه، وأسند إليه من الأحكام الشرعية، وعلم الغيب خارج عن هذا ". ثم قال: "**فأين هذا من العلم بالحِرَف والمهن والقيم والأروش، وكل ذلك مما لا تعلق له بالشريعة ولا كلف أحد من الأمة إمامًا كان أو مأمومًا العلم به لا على سبيل الندب ولا الإيجاب؟ وإنما تكليفهم المتعلّق**

(١) راجعوا بشأن أحاديث هذه الأبواب الثلاثة في أصول الكافي كتابنا «**عرض أخبار أصول بر قرآن وعقول**» (أي عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول) ص٥٦٩ فما بعد. (برقعي)

(٢) إن الراوي المتصل بالمعصوم لهذا الحديث هو «ضريس الكناسي» فإذا كان «ضريس بن عبد الواحد الكناسي» فإنه طبقًا لتقييم العلامة المامقاني شخص مجهول، فالحديث مجهول وليس صحيحًا. (برقعي)

(٣) الكُلَيْنِيّ، **الكافي**، ج ١، ص ٢٦١-٢٦٢. (تر)

(٤) هو السيد الشريف أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم، ويُعْرِف بالشريف المرتضى، وهو أخ الشريف الرضي، واشتُهِرَ لدى الإمامية بلقب «السيد المرتضى علم الهدى» (٣٥٥-٤٣٣هـ)، كان علمًا من أعلام الشيعة الإمامية وفقهائهم القدماء المرموقين، تولى رئاسة الطائفة الإمامية في عصره، وترك عدَّة مؤلَّفات قيِّمة أهمها: «الشافي في الإمامة» وكتاب «تنزيه الأنبياء والأئمة» وكتاب «الغُرَر والدُّرَر» ويُعْرَف بـ«أمالي المرتضى»، وكتاب «الانتصار». (تر)

بالشريعة في ذلك أن يرجعوا إلى أهل القيم والمعرفة بالصناعات، لا أن يقوموا ذلك بأنفسهم".

وقال الشيخ الطوسي في كتابه «**تلخيص الشافي**» (ص ٣٢١) أيضًا:

"فأما قولهم إنه يجب أن يكون عالمًا بسائر المعلومات وبالغيب، فلا شبهة في بطلانه، لأن من المعلوم أن جميع ذلك لا تعلق له بباب الدين، ولا الإمام حاكمٌ في شيء من ذلك "[١].

أجل، تلك هي الأحاديث التي جاءت في كتاب «الكافي» في هذا الموضوع ورأينا أنه لا يوجد منها حديث صحيح واحد، رغم أنه حتى لو فرضنا أن بعضها صحيح السند وحتى لو بلغ عدد هذه الأحاديث الصحيحة المئات لما غيّر ذلك من الأمر شيئًا لأنه طبقًا لأمر الأئمَّة أنفسهم -سلام الله عليهم أجمعين- لابد أن نضرب بها عرض الحائط لأن متونها تخالف مخالفة صريحة آيات القرآن الكريم، كما رأينا في استعراضنا للآيات التي تؤكد بكل وضوح وصراحة اختصاص علم الغيب بالله وحده وتنفيه عن أي أحد من البشر.

وأما ما جاء في كتاب «**بصائر الدرجات**» المنسوب لـ«محمد بن الحسن الصفّار»[٢] فقد ذكرنا فيما سبق عدم وثاقة هذا الكتاب حسب ما قاله الشيخ الجليل «محمد بن الحسن بن الوليد» أستاذ الشيخ الصدوق الذي كان يُعْرِضُ عن ذلك الكتاب وربما لم يكن يعتبره من تأليف الصفار أساسًا، وقد ذهب بعض علماء الرجال مثل «ابن داوود» و«الشيخ البهائي» إلى وجود شخصين باسم الصفار أحدهما ثقة والآخر غير ثقة وهو مؤلف «بصائر الدرجات». فإذا كان الأمر كذلك فهل يمكننا أن نحارب القرآنَ كتابَ ربِّنَا وندع عقلنا ووجداننا لأجل أحاديث مذكورة في كتاب مثل كتاب «بصائر الدرجات» هذا؟!

---

(١) الشيخ الطوسي، تلخيص الشافي، تقديم وتعليق السيد حسين بحر العلوم، قم، مؤسسة انتشارات المحبين، ١٣٨٢ هـ ش، ج١/ ص ٢٥٣.

(٢) اعتبر الأستاذ المحقق «محمد باقر البهبودي» الصفّار متساهلاً في رواية الحديث. يراجع في ذلك كتاب «**معرفة الحديث**»، مركز انتشارات علمى وفرهنگى، طهران، ص١٠٩. (برقعي)

ماذا تقول سيرة الأئمَّة عليهم السلام بشأن علمهم بالغيب!

سنذكر في هذا الباب نماذج لوقائع وأحداث وقعت لبعض الأئمَّة، تشهد بكل وضوح، ويفهم منها كل إنسان ذي لبٍّ ووجدان استحالة أن يكون من وقعت لهم عالمين بالغيب أو مطَّلعين على ما وراء حجب المستقبل، فوقوع هذه الحوادث للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعض الأئمَّة عليهم السلام كافٍ وحده لليقين بانتفاء علمهم بالغيب حتى لو لم تأتِ آيات القرآن الكريم التي نفت بشدة علم الغيب عن أحد سوى الله.

١- كان **النبي الخاتم** صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو جوهر الخليقة ولبُّ لبابها وأفضل عباد الله ورسول رب العالمين إلى الخلق أجمعين ينتظر في كثير من الموارد نزول الوحي عليه للحكم في بعض القضايا، بحيث أنه قبل نزول الوحي بشأنها ما كان له علم بها!

وللاطلاع على نماذج لهذه الوقائع لا بد من الرجوع إلى كتب السيرة حيث نجد فيها نماذج كثيرة لهذا الأمر، وسنكتفي هنا بالإشارة إلى أوضح ما جاء في ذلك:

إن **قضية الإفك** وتخلُّف عائشة عن القافلة ومبيتها وحدها في البيداء ثم عودتها في اليوم التالي برفقة «صفوان بن المعطل» وانتشار أقاويل سيئة وبشعة بشأنها تعد من أوضح وقائع تاريخ الإسلام، إلى درجة نزول عدة آيات من القرآن في سورة النور المباركة بشأن تلك الحادثة.

وكلُّنا يعلم أيَّ حال وانزعاج عَرَضَ للنبيِّ من هذه القصَّة حيث اتُّهمت أصغر نسائه بالزنا برجل أجنبي، وقد تناهى إلى سمعه مرارًا، كنايةً أو صراحةً هذا الاتهام لأهله ولم يكن يملك حلاً لردّ تلك التهمة! وطبقًا لما جاء في كتب السيرة وللحديث الذي روته عائشة نفسها بقيَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرابة شهر يعاني من القلق بشأن هذه القضية ولم ينزل عليه فيها وحي بعد. إلى درجة أنه صلى الله عليه وآله وسلم ذهب إلى عائشة يومًا وقال لها: "يَا عَائِشَةُ إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا

وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وَإِنْ كُنْتِ الْـمَمْتِ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ إِلَى اللهِ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ "[١].

وقد ذكرت بعض المصادر أن القضية كانت محيِّرة لرسول الله ﷺ إلى درجة أنه دَعَا أميرَ المؤمنين عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، وَزيد بن حارثة - ابنه الـمُتبَنَّى - يَسْتَأْمِرُهُمَا فِي فِرَاقِ عائشةَ، فَأَمَّا زَيْدٌ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ بعدم تطليقها وقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَهْلَكَ، وَمَا نَعْلَمُ إِلاَّ خَيْرًا، وَأَمَّا أميرُ المؤمنين عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - سلام الله عليه - فَقَالَ: «يَا رَسُولَ الله، لَمْ يُضَيِّقِ اللهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَإِنْ تَسْأَلِ الجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ»، فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ بَرِيرَةَ فَقَالَ: «**أَيْ بَرِيرَةُ! هَلْ رَأَيْتِ عَلَيْهَا مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ؟؟**» فشهدت بَرِيرَةُ بطهارة عائشة[٢].

إلى درجة أنه روي أن أمير المؤمنين عليه السلام ضرب بَرِيرَةَ كي لا تكتم أمرًا حول هذا الموضوع! ومع ذلك قالت بَرِيرَةُ: «**لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْـحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا. ما عَلِمْتُ عَلَيها إِلاَّ خَيْرًا**». حتى نزل الوحي بعد شهر أو أكثر [من بدء الحادثة] وَنزلت الآيات التي مطلعها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ١٢﴾ [النور: ١١- ١٢]، التي أعلنت طهارة عائشة وبراءتها.

وذهب بعضهم إلى أن الآيات المذكورة في سورة النور المباركة إنما نزلت بشأن «مارية القبطية» إذ إنها أيضًا اتُّهمت بما يشبه هذه التهمة، فإن صح هذا فإنه لا يغيِّر من الأمر شيئًا وتبقى صورة الحادثة كما هي!

فإذا كان الأمر كذلك فمن الذي يستطيع القول: إن نبي الله ﷺ كان عالمًا بالغيب ورغم ذلك تألّم جدًّا بشأن هذه الحادثة وسمع تهمًا في هذا الصدد؟ اللهم إلا أولئك الحمقى

---

(١) صحيح البخاري، ٤، ١٧١٥، حديث رقم (٣٩١٠)، وصحيح مسلم، ٤، ٢١٢٩، حديث رقم (٢٧٧٠). (تر)

(٢) المصدرين السابقين. (تر)

الذين يقولون إن هذه الآيات كانت قديمة وحتى أن عليًّا عليه السلام قرأها عند ولادته على النبيّ! أي قرأها قبل ٢٧ من وقوع هذه القضية!

ورغم ذلك لم يكن نبيّ الله يعلمها! فليذهب إلى الجحيم هذا العلم بالغيب الذي لا يستطيع من يمتلكه أن يفهم هل ارتكبت امرأته الزنا أم لا؟ وكما يقول الشاعر الشيخ سعدي [الشيرازي]:

تو بر اوج فلک چه دانی چیست　　　　چون ندانی که در سراىِ تو کیست؟!

أي: كيف لك أن تعلم بما يجري في أعلى الفلك إن كنت تجهل ما يجري في منزلك؟!

إذا كان الأمر كذلك فأيّ مسلم يُمكنه أن يعتقد أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم الغيب؟ يا إلهي! ما أعمى بصيرة مفتري هذه النسبة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وما أبعدهم عن الدين الإلهي؟!

نكتفي بما ذكرناه بشأن أحوال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونشير إلى حادثتي الرجيع وبئر معونة اللتين وقعتا في شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة، واللتين تشهدا بكل وضوح بعدم علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالغيب، ومن أراد التفصيل فنُحيله إلى كتب سيرة النبيّ الأكرم عليه وآله صلوات الله وسلامه.

٢- أما بالنسبة إلى سيرة أمير المؤمنين وأحواله عليه السلام فيجب أن نعلم أن الغلو في حقه كان أشد من الغلو في حق سائر الأئمَّة، وقد لُفِّقت خطب مشحونة بالغلو ونُسبت إليه مثل: «خطبة البيان» و«الخطبة التَّطْنَجِيَّة»[1] التي أوردها آية الله العظمى هذا في الصفحة ٤٥٢ من كتابه نقلاً عن الكتاب الموثوق جدًّا!! لأبي بكر الشيرازي، لذا لابُدّ من الانتباه أكثر إلى سيرة أمير المؤمنين. ففي هذه الخطبة المختَلَقَة الأخيرة نُسب إلى حضرة أمير المؤمنين ادعاؤه الأُلوهيّة بصراحة -والعياذ بالله- وأنه وصف نفسه بما وصف الله به نفسه في قوله: ﴿هُوَ

(١) الخطبة التَّطْنَجِيَّة خطبة موضوعة طويلة رواها ونسبها إلى أمير المؤمنين، الشيخُ حافظ رجب البرسي (كان حيًّا ٨١٣ هـ) في كتابه «**مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين**»، وجاء اسمها من عبارة "أنا الواقفُ على التَّطْنَجَيْن" وهما -كما يزعم البرسي- خليجان من ماء! (مستفاد من ترجمة د. سعد رستم).

ﭽ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣ ﭼ [الحديد: ٣]، فنسبت الخطبة إلى أمير المؤمنين أنه وقف في منبر البصرة خطيبًا ونسب إلى نفسه تلك الصفات وما هو أعلى منها من ذلك قوله:

"أَنَا دَحَوْتُ أَرْضَهَا وَأَنْشَأْتُ جِبالَهَا وَفَجَّرْتُ عُيُونَهَا وَشَقَقْتُ أَنْهَارَهَا وَغَرَسْتُ أَشْجَارَهَا وَأَطْعَمْتُ ثِمَارَهَا وَأَنْشَأْتُ سَحَابَهَا وَأَسْمَعْتُ رَعْدَهَا وَنَوَّرْتُ بَرْقَهَا وَأَضْحَيْتُ شَمْسَهَا وَأَطْلَعْتُ قَمَرَهَا وَأَنْزَلْتُ قَطْرَهَا وَنَصَبْتُ نُجُومَهَا... وَأَنَا... وأنا... [حتى يصل إلى قوله]: وَأَنَا الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم!!! "[1].

لَعْنَةُ اللهِ عَلَى من وضع مثل كلمات الكفر هذه على لسان أمير المؤمنين ، ولَعْنَةُ الله على من يُروّجها وينشرها أبد الآبدين ودهر الداهرين.

إن أكبر دليل وأفضل برهان على وضع مثل هذه الخطبة، بعد دلالة صريح القرآن وشهادة العقل والوجدان، هو تاريخ الإمام وسيرته، ولنعم ما قاله «الشهيد الثاني»: إن أكذب الحديث ما كذبه التاريخ.

إن كل من له أدنى علم بتاريخ الإسلام يعلم أنه بعد مبايعة الناس في المدينة لأميرالمؤمنين بالخلافة ويأس طلحة والزبير من الحصول على المناصب التي كانوا يأملونها، اتفقا مع أم المؤمنين عائشة التي كان لها سابق عداء لأمير المؤمنين وانطلقوا إلى البصرة معادين لأمير المؤمنين وناصرين لعثمان [مطالبين بالقصاص من قَتَلَته] ولقد اختاروا البصرة لأن أهلها لم يقبلوا خلافة أمير المؤمنين وليس هذا فحسب بل كانوا، على إثر دعايات

(١) المجلسيُّ، **بحار الأنوار**، ج ٣٩، ص ٣٤٨، نقلاً عن كتاب «**أبي بكر الشيرازي**». هذا وقد روى المجلسيُّ نقلاً عن كتاب المناقب لابن شهرآشوب رواية منسوبة لعليٍّ في تفسير بعض تلك الألفاظ فقال: "أَنَا الْأَوَّلُ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِرَسُولِ الله وَأَنَا الْآخِرُ آخِرُ مَنْ نَظَرَ فِيهِ لَمَّا كَانَ فِي لَحْدِهِ، وَأَنَا الظَّاهِرُ ظَاهِرُ الْإِسْلَامِ وَأَنَا الْبَاطِنُ بَطِينٌ مِنَ الْعِلْمِ وَأَنَا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فَإِنِّي عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ أَخْبَرَ اللهُ بِهِ نَبِيَّهُ فَأَخْبَرَنِي بِهِ". انظر «**بحار الأنوار**»، ج ٣٩، ص ٣٤٧. والواقع أن كل ذلك باطل لا يصح إذ لا يمكن لمولى الموحّدين أن يتكلم بمثل ذلك الكلام الموهم للشرك، ثم يأتي فيفسره بهذه الطريقة. حاشاه.

مثيري الفتنة، يعتبرون علياً (عليه السلام) قاتل عثمان ويرَوْنَ وجوب قتال علي (عليه السلام)، وقد زاد من عدائهم لأمير المؤمنين الدعايات التي كان أنصار عثمان ومحبّوه -الذين استَوْلَوْا منذ مدّة على البصرة- يبثّونها بينهم ليل نهار حتى صوّروا لهم وكأن أمير المؤمنين أعدى أعداء الإسلام! إلى حد أن أمير المؤمنين لم يستطع إخماد الفتنة ودخول البصرة إلى بعد معركة راح ضحيتها آلاف الأنفس(١).

١- إن ما ذكره المؤلف رحمه الله عن سبب خروج طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى البصرة، غير صحيح للأسباب التالية:

أولاً: إن خروج طلحة والزبير رضي الله عنهما لم يكن طمعًا في الخلافة أو المناصب -كما ذكره المؤلف رحمه الله- بل إن دوافع خروجهما إلى البصرة يرجع إلى أربعة أسباب أساسية -كما ذكرها أحد الكتّاب المعاصرين؛ أولها: الندم والتكفير عما صدر منهما من بعض التهاون في حق عثمان رضي الله عنه، وهذا الدافع ذكره الذهبي. والثاني: إيمانهما بضرورة القصاص من قتلة عثمان المقتول ظلمًا وهذا موقف يشاركهم فيه عامة المسلمين. والدافع الثالث يبدو أنهما رأيا أن عليًّا رضي الله عنه قد تأخر في تنفيذ القصاص في قتلة عثمان، بعد مرور أربعة أشهر من استشهاد عثمان رضي الله عنه. ورغم أن هذا التأخر له ما يبرره، فيبدو أنهما -أي طلحة والزبير رضي الله عنهما- رأيا ضرورة التحرك سريعًا لتنفيذ القصاص. والرابع هو أنهما ربما رأيا أن عليًّا لا يمكّنه وضعه الذي هو عليه، من تنفيذ القصاص، فدفعها ذلك إلى الخروج إلى مكة ثم إلى البصرة لجمع العساكر، وبها يتمكنان من المطالبة بدم عثمان، وكسر شوكة هؤلاء القتلة.

وبالنظر إلى هذه الأسباب الأربعة نجد أنها جميعًا تعود إلى سبب رئيسي واحد وهو القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه.

أما بشأن خروجهما إلى البصرة، ذكر الإمام أحمد في مسنده والطبري في أن طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعائشة أم المؤمنين -رضي الله عنهم- ذهبوا إلى البصرة للمطالبة بدم عثمان المقتول ظلمًا [المسند ج١، ص١٦٥، وتاريخ الطبري ج٣، ص ٣٤-٣٥]. وذكر الذهبي أن طلحة والزبير خرجا من المدينة ليطلبا دم عثمان، ويأخذا بثأره مِن قَتَلَتِهِ. [الخلفاء الراشدون، ص: ٢٨٨]. ونفس الخبر ذكره ابن كثير في البداية والنهاية [ج ٧ص: ٢٣٢]. ففيما يخص رواية أحمد بن حنبل، فقد حسّنها الحافظ الضياء المقدسي، والمحدث شعيب الأرناؤوط، وقال عنها الهيثمي: رواها أحمد بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح [الأحاديث المختارة، ج ٣ص: ٣٣. وسير أعلام النبلاء، ج١ هامش ص: ٥٧. ومجمع الزوائد، ج٧ ص:٢٧]. وأما

رواية الطبري، فهي صحيحة الإسناد لأن رواته ثقات. وأما روايتا الذهبي وابن كثير فقد رويتا بلا إسناد، لكنهما يندرجان ضمن الروايتين السابقتين، فهما يتوافقان ولا يتناقضان. ومن ثم يتبين -مما ذكرناه- أن طلحة والزبير خرجا إلى مكة والبصرة للمطالبة بدم عثمان، والثأر له من قتلته.

فخروج طلحة والزبير -كما ذكر الإمام القرطبي- إلى البصرة ليس عصيانًا ولا إثمًا، لأنه لوكان كذلك لما أخبر عنهما الرسول -عليه الصلاة والسلام- أنهما شهيدَين [كما في صحيح مسلم، ج٤، ١٨٨٠، حديث (٢٤١٧)]، والشهادة لا تكون إلا بقتل في طاعة.

أما **خروج أم المؤمنين عائشة** رضي الله عنها؛ لم يكن خروجها للقتال البتة أو للعداء السابق الذي بينها وبين علي رضي الله عنه، بل إنما خرجت للإصلاح والمطالبة بقَتَلَة عثمان رضي الله عنه. والأدلة على ذلك كثيرة، منها لا للحصر ما ذكره الإمام أحمد في مسنده: فقال لها الزبير: «ترجعين عسى الله عز وجل أن يصلح بك بين الناس». [مسند أحمد الجزء ٦ ص ٩٧ حديث رقم ٢٤٦٩٨ عليق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح] وأيضًا ما رواه ابن حبان عن أم المؤمنين رضي الله عنها قولها: «ما أظنني إلا أني راجعة فقال بعض من كان معها بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله عز وجل ذات بينهم». [صحيح ابن حبان الجزء ١٥ ص ١٢٦ حديث رقم ٦٧٣٢ ال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين]. ولما أرسل علي القعقاع بن عمرو لعائشة ومن كان معها يسألها عن سبب قدومها، دخل عليها القعقاع فسلم عليها، وقال: «أي أُمة، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بنيّ إصلاح بين الناس». قال ابن العربي: «وأما خروجها إلى حرب الجمل فما خرجت لحرب، ولكن تعلق الناس بها وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة وتهارج الناس، ورجوا بركتها في الإصلاح وطمعوا في الاستحياء منها إذا وقفت للخلق، وظنت هي ذلك، فخرجت مقتدية بالله في قوله: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤]». فتقرر أنها ما خرجت إلا للإصلاح بين المسلمين، وهذا سفر طاعة لا ينافي ما أمرت به من عدم الخروج من بيتها، كغيره من الأسفار الأخرى التي فيها طاعة لله ورسوله كالحج والعمرة.

لو كان خروجها للبصرة لأجل سابق عداء مع علي رضي الله عنه، فلماذا لم يقم الإمام علي رضي الله عنه عليها الحد والحكم الشرعي؟ بل أعادها معزَّزة مكرَّمة إلى مكة وأكرمها وكان يناديها بـ«يا أماه». وبعد انتهاء الحرب يوم الجمل جاء على رضي الله عنه إلى عائشة -رضي الله عنها- فقال لها: «غفر الله لك، قالت: ولك، ما أردت إلا الإصلاح». [تاريخ الطبري، والبداية والنهاية، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم]

على كل حال، فإن طلحة والزبير وعائشة ، قد اجتهدوا في الخروج إلى البصرة، والمجتهد مأجور سواء أصاب أم أخطأ، إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد؛ ولذلك فهم الثلاثة ومن وافقهم الرأي مأجورون بإذن الله عز وجل.

ثانيًا: لو كان الزبير وطلحة طامعَين في الخلافة أو المنصب يومًا - فلماذا تنازلا عن حقهما فيها، وذلك عندما رشحهما عمر ضمن الصحابة الستة الذين حصر الخلافة فيهم؟! ولماذا لم يصدر منهما أية معارضة أو مخالفة طوال فترة حكم عثمان وقد كانت اثنتي عشرة سنة؟! ثم لماذا بايعا عليًّا بالخلافة، كما ثبت في الروايات الصحيحة؟! وإذا أراد أن يخرجا طمعًا في الخلافة أو المنصب، فلماذا لم يكن هذا في بداية خلافة علي مباشرة دون انتظار عدة أشهر؟!

ثالثًا: وأما القول بأن طلحة والزبير وعائشة وغيرهم كانوا يرون أن عليًّا كان راضيًا بقتل عثمان، فقول باطل وغير صحيح أصلاً؛ وهذا القول مستند على رواية ذكرها البيهقي مفادها أن طلحة والزبير خرجا للمطالبة بدم عثمان لأن عليًّا كان راضيًا بقتل عثمان، وذلك أن بعض الناس صوّر لهما أن عليًّا كان راضيًا بقتل عثمان، فذهبا إلى عائشة أم المؤمنين وحملاها على الخروج للمطالبة بدم عثمان، والإصلاح بين الناس.

هذه الرواية غير صحيحة، لأنه ليس لها إسناد، ومتنها منكر، لأنه لا يعقل أن يكون طلحة والزبير لا يعرفان موقف علي من قضية قتل عثمان حتى يأتي رجل مجهول فيخبرهما بذلك، فيصدقانه ويخرجان للمطالبة بدم عثمان! مع العلم أن سبب تأخر علي في القصاص من قَتَلَة عثمان ليس هو أنه كان راضيًّا بقتله كما زعمته الرواية، وإنما هو عجزه عن تنفيذ القصاص في قَتَلَة عثمان لقوتهم وسيطرتهم على البلد.

وهكذا لا يوجد دليل صحيح على أن أهل البصرة كانوا يعتبرون عليًّا قاتل عثمان، - - وعلى أنهم كانوا يرَوْنَ وجوب قتال علي .

باختصار، فإن خروج طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة إلى البصرة، كان طلبًا للقصاص من قتلة عثمان .

وأما **بخصوص حرب الجمل**، فكل من له اطلاع على التاريخ وأحداث موقعة الجمل، يدرك أن هذه المعركة لم تقع بتدبير أحد من الصحابة لا علي ولا طلحة ولا الزبير ولا عائشة ، بل إنما وقعت بغير اختيار منهم ولا إرادة لها، وإنما أشعل الحربَ بينهم قتلة عثمان؛ لما رأوا أن الصحابة أوشكوا على الصلح، كما نقل ذلك المؤرخون وصرح به العلماء المحققون للفتنة وأحداثها:

يقول الباقلاني: «وقال جلة من أهل العلم إن الوقعة بالبصرة بينهم كانت على غير عزيمة على الحرب بل فجأة، وعلى سبيل دفع كل واحد من الفريقين عن أنفسهم لظنه أن الفريق الآخر قد غدر به، لأن الأمر كان قد انتظم بينهم وتم الصلح والتفرق على الرضا، فخاف قتلة عثمان من التمكن منهم والإحاطة بهم، فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا، ثم اتفقت آراؤهم على أن يفترقوا ويبدؤوا بالحرب سحرة في العسكرين، ويختلطوا ويصيح الفريق الذي في عسكر علي: غدر طلحة والزبير، ويصيح الفريق الآخر الذي في عسكر طلحة والزبير: غدر علي، فتم لهم ذلك على ما دبروه، ونشبت الحرب، فكان كل فريق منهم مدافعًا عن نفسه، ومانعًا من الإشاطة بدمه، وهذا صواب من الفريقين وطاعة لله تعالى إذا وقع، والامتناع منهم على هذا السبيل، فهذا هو الصحيح المشهور، وإليه نميل وبه نقول».

ويقول ابن العربي: «وقدم علي البصرة وتدانوا ليتراؤوا، فلم يتركهم أصحاب الأهواء، وبادروا بإراقة الدماء، واشتجر بينهم الحرب، وكثرت الغوغاء على البوغاء، كل ذلك حتى لا يقع برهان، ولا تقف الحال على بيان، ويخفى قتلة عثمان، وإن واحدًا في الجيش يفسد تدبيره فكيف بألف». يقول ابن حزم: «وأما أم المؤمنين والزبير وطلحة رضي الله عنهم ومن كان معهم فما أبطلوا قط إمامة علي ولا طعنوا فيها... فقد صح صحة ضرورية لا إشكال فيها أنهم لم يمضوا إلى البصرة لحرب علي ولا خلافًا عليه ولا نقضًا لبيعته... وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قَتَلَة عثمان أن الإراغة والتدبير عليهم، فبيتوا عسكر طلحة والزبير، وبذلوا السيف فيهم فدفع القوم عن أنفسهم فرُدِعُوا حتى خالطوا عسكر علي، فدفع أهله عن أنفسهم، وكل طائفة تظن ولا تشك أن الأخرى بدأتها بالقتال، فاختلط الأمر اختلاطًا لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه، والفسقة من قتلة عثمان، لعنهم الله لا يفترون من شب الحرب وإضرامها»

يقول ابن كثير واصفًا الليلة التي اصطلح فيها الفريقان من الصحابة: «وبات الناس بخير ليلة، وبات قَتَلَة عثمان بشر ليلة، وباتوا يتشاورون، وأجمعوا على أن يثيروا الحرب من الغلس».

ويقول ابن أبي العز الحنفي: «فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من علي ولا من طلحة والزبير، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين".

فهذه أقوال العلماء المحققين كلها متفقة على أن الحرب يوم الجمل نشأت بغير قصد من الصحابة ولا اختيار منهم، بل إنهم كانوا كارهين لها، مؤثرين الصلح على الحرب، ولم يكن لأي أحد من الصحابة أي

فهل هناك من مجنون فضلاً عن عاقل يمكنه أن يصدق أن أمير المؤمنين الذي كان من أعقل العقلاء على الأرض، إضافةً إلى مقام صحبته لرسول الله ﷺ وتربيته في حجره، يأتي إلى مثل تلك المدينة التي يعتبره أكثر أهلها معتديًا وباغيًا وقاتلاً فيصعد المنبر ويخطب في أهلها قائلاً: "أَنَا دَحَوْتُ أَرْضَهَا وَأَنْشَأْتُ جِبَالَهَا وَفَجَّرْتُ عُيُونَهَا وَشَقَقْتُ أَنْهَارَهَا وَأَنَا... وأنا... [حتى يصل إلى قوله]: وَأَنَا الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم "؟!

هل يُعقل أن يقوم أمير المؤمنين، الذي كان يسعى جاهدًا ليُثبت براءته من دم عثمان، لأولئك المخدوعين الممتلئة صدورهم ببغضه، بإلقاء خطبة عليهم يقول لهم فيها: أنا كذا.. وأنا كذا... يعني باختصار: أنني الله؟! ثم لا يعترض عليه أحد من أهل تلك المدينة التي تمرّدت عليه ويقول له: ما هذا الكلام الذي يصدر عنك؟!

ثم كيف لم يذكر أي أحد من المؤرخين والمحدثين من الصديق والعدو مثل هذه القضية المهمة في كتب التاريخ والحديث، سوى أبي بكر الشيرازي الذي لا يعلم أحد أي حيوان كان؟! يا رب أي جنون مطبق وأي حماقة مُحْكَمَة حلّا بهؤلاء الذين يستجيزون إعادة نشر مثل كلمات الكفر هذه بين الناس؟!

ولست أدري، إن لم يكن هذا هو ذلك الغلو الذي كان أئمة الإسلام يحذِّرُون الناس منه مرارًا وتكرارًا ويلعنون أصحابه ويظهرون البراءة منهم، فما هو الغلو إذن؟!

والعجيب أنه في الوقت الذي كان علماء الشيعة القدامى يعتبرون مجرّد نفي السهو عن النبي ﷺ غُلُوًّا[1]، أصبح في شيعة اليوم مَنْ لا يعتبر حتى مثل تلك العبارات المتضمِّنة لادعاء الألوهية غلوًّا، بل يعتبرها من معارف الدين! ويعتبر أن من يشكّك في هذه الخرافات، ناقص الولاية بل ربما قال بتكفيره!

دور في نشوبها ولا سعي في إثارتها، وإنما أوقد جذوتها وأضرم نارها عبد الله ابن سبأ اليهودي الحاقد، وغيرهم من قتلة عثمان رضي الله عنه. (المُصحح)

(١) راجعوا رسالة «تأمُّلٌ في رسالة سهو النبيّ» الملحقة في آخر هذا الكتاب.

يشهد الله أننا لا نقصد أبدًا ببياننا لبعض وقائع تاريخ وسير الأئمَّة أن ننتقص من مقامهم العالي وأن نقلّل من درجتهم، كل ما في الأمر أن غلوّ هؤلاء الغلاة الذي يُعَدُّ انتهاكًا للتوحيد وللأصول المسلّم بها لدين خاتم النبيين هو الذي يدفعنا إلى ذكر هذه الوقائع التاريخية من كتب الشيعة الموثوقة، لكي نوقظَ الناس إلى خطر الغلوِّ في الدين وننقذهم من أن يبتلوا بما نهى عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١] و[المائدة: ٧٧].

٣- نقلت جميع كتب التاريخ المفصّلة والموثوقة قصّة تولية «قيس بن سعد بن عبادة» من قبل أمير المؤمنين عليه السلام على مصر ثم قيام أمير المؤمنين بعزله بناء على أخبار مغلوطة وكاذبة مما أدى في الواقع إلى خروج مصر من يد أمير المؤمنين إلى الأبد ووقوع مصائب وخسائر كبيرة له لهذا السبب. وسننقل فيما يلي طرفًا من هذه القصة من الكتاب القيم الموسوم بـ«**الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة**» (ص ٣٣٦ فما بعد) تأليف «**السيد علي خان بن معصوم الشوشتري**»[١] الذي كان من أعلام علماء الشيعة، فقد جاء في كتابه ما نصه:

"وقال إبراهيم بن سعد بن هلال الثقفي: لما ولى أمير المؤمنين عليه السلام الخلافة قال لـ«قيس بن سعد بن عبادة»: سر إلى مصر فقد وليتكها.......

فخرج «قيس بن سعد» في سبعة نفر من أهل بيته حتى دخل مصر فصعد المنبر وأمر بكتاب معه فقرأ على الناس فيه: " من عبد الله أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المسلمين، سلام عليكم فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو. أما بعد:

وقد بعثت إليكم قيس بن سعد الأنصاري أميرًا فوازروه وأعينوه على الحق وقد أمرته بالإحسان إلى محسنكم والشدة على مريبكم والرفق بعوامكم وخواصكم وهو ممن أرضى

---

(١) هو السيد على خان ابن نظام الدين أحمد بن محمد معصوم بن أحمد نظام الدين المدني الشيرازي الحسيني، يعود في نسبه إلى الإمام زيد الشهيد ابن الإمام السجاد زين العابدين على بن الحسين عليه السلام. كان من أعلام الشيعة في القرن الثاني عشر الهجري، وترك عدة مؤلفات منها كتابه المذكور، و(سلافة العصر) و(أنوار الربيع). توفي سنة ١١٢٠هـ، ١٧٠٨م. (تر).

هديه وأرجوا صلاحه ونصحه. أسأل الله لنا ولكم عملا زاكيًا وثوابًا جميلاً ورحمةً واسعةً. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته "[١].

ثم قال: " قال لما فرغ من قراءة الكتاب قام قيس بن سعد خطيبا فحمد الله وَأثنى عليه وَقال الحمد لله الذي أمات الباطل وَأحيا الحق وَكبت الظالمين. أيها الناس إنا بايعنا خير من نعلم بعد نبينا ﷺ فقوموا فبايعوا على كتاب الله وَسنة نبيه فإن نحن لم نعمل فيكم بكتاب الله وَسنة رسوله فلا بيعة لنا عليكم.

فقام الناس فبايعوا وَاستقامت له مصر وَأعمالها فبعث عليها عماله إلا أن قرية منها قد أعظم أهلها قتل عثمان وَبها رجل من بني كنانة يقال له يزيد بن الحارث فبعث إلى «قيس بن سعد» ألا إنا لا نأتيك فابعث عمالك وَالأرض أرضك وَلكن أقرنا على حالنا حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس! قال وَوثب «مسلمة بن مخلد بن صامت الأنصاري» فنعى عثمان وَدعا إلى الطلب بدمه فأرسل إليه قيس ويحك أعليّ تثب؟! وَالله ما أحب أن لي ملك الشام إلى مصر وَأني قتلتك فاحقن دمك فأرسل إليه مسلمة أني كاف عنك ما دمت أنت والي مصر.

قال: وَكان لـ«قيس» حزم وَرأي فبعث إلى الذين اعتزلوا أني لا أكْرِهُكُم على البيعة وَلكني أدعُكُم وَأكفُّ عنكم. فهادنهم وَهادن «مسلمة بن مخلّد» وَجبى الخراج وَليس أحد ينازعه.

قال وَخرج أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إلى الجمل وَهو [أي قيس] على مصر وَرجع إلى الكوفة من البصرة وَهو بمكانه، فكان [قيس] أثقل خلق الله على معاوية لقربه من الشام وَمخافة أن يقبل إليه عليّ عليه السلام بأهل العراق وَيقبل إليه «قيسٌ» بأهل مصر فيقع بينهما. فكتب معاوية إلى «قيس بن سعد» وَعليٌّ عليه السلام يومئذٍ بالكوفة قبل أن يسير إلى صفين:

«بسم الله الرحمن الرحيم من معاوية بن أبي سفيان إلى «قيس بن سعد»، سلام عليك،

---

(١) **الغارات**، ج١، ص ١٢٧ إلى ١٢٩. (تر). إبراهيم بن سعد بن هلال الثقفي، «الغارات»، ج١/ ص ١٢٧ إلى ١٢٩. (تر)

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإنكم إن كنتم نقمتم على عثمان في أثرة رأيتموها أو في ضربة سوط رأيتموه ضربها أو في شتمة رجل أو تعييره واحدًا أو في استعماله الفتيان من أهله فإنكم قد علمتم إن كنتم تعلمون أن دمه لم يحل بذلك فقد ركبتم عظيمًا من الأمر وَجئتم شيئًا إدًّا. فتب إلى ربك يا «قيس» إن كنت من المجلبين على عثمان إن كانت التوبة من قتل المؤمن تغني شيئًا. وَأما صاحبك فإنا قد استيقنا أنه أغرى الناس به وَحملهم على قتله حتى قتلوه وَأنه لم يسلم من دمه عظم قومك، فإن استطعت يا «قيس» أن تكون ممن يطلب بدم عثمان فافعل وَبايعنا على أمرنا هذا وَلك سلطان العراقين إن أنا ظفرت ما بقيت وَلمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لي سلطان، وَسلني من غير هذا ما تحب، فإنك لا تسألني من شيء إلا أوتيته، وَاكتب إلي برأيك فيما كتبت إليك وَالسلام».

فلما جاء قيسًا كتاب معاوية أحب أن يدافعه وَلا يبدي له أمره وَلا يعجل له حربه فكتب إليه:

«أما بعد فقد وصل إلي كتابك وَفهمت ما ذكرت من قتل عثمان وَذلك أمر لم أقاربه وَذكرت أن صاحبي هو الذي أغرى الناس بعثمان وَدسهم إليه حتى قتلوه! وَهذا أمر لم أطلع عليه وَذكرت أن عظم عشيرتي لم تسلم من دم عثمان فلعمري أن أولى الناس كان في أمره عشيرتي! وَأما ما سألتني من متابعتك على الطلب بدمه وَعرضت عليّ ما عرضت فقد فهمته وَهذا أمر لي فيه نظر وَفكر وَليس هذا مما يعجل إليه وَأنا كاف عنك وَليس يأتيك من قبلي شيء تكرهه حتى ترى وَنرى وَالسلام عليك وَرحمة الله وَبركاته».

قال: فلما قرأ معاوية كتابه لم يره إلا مقاربًا مباعدًا وَلم يأمن أن يكون له في ذلك مخادعًا مكايدًا فكتب إليه معاوية أيضًا:

«بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فقد قرأت كتابك فلم أرك تدنو فأعدك سلمًا وَلم أرك تتباعد فأعدك حربًا، أنت هاهنا كجمل جرور وَليس مثلي من يصانع بالخدائع وَلا يختدع بالمكايد وَمعه عدد الرجال وَأعنّة الخيل، فإن قبلت الذي عرضت عليك فلك ما أعطيتك، وَإن أنت لم تفعل ملأت عليك مصر خيلاً وَرجلاً وَالسلام».

قال: فلما قرأ قيس بن سعد كتاب معاوية وَعلم أنه لا يقبل منه المدافعة وَالمطاولة أظهر له ما في قلبه فكتب إليه:

«بسم الله الرحمن الرحيم من قيس بن سعد إلى معاوية بن أبي سفيان أما بعد فالعجب من استسقاطك رأيي وَاغترارك بي وَطمعك في أن تسومني لا أبا لغيرك الخروج من طاعة أولى الناس بالأمر وَأقولهم بالحق وَأهداهم سبيلاً وَأقربهم من رسول الله ﷺ وسيلة وَتأمرني بالدخول في طاعتك طاعة أبعد الناس من هذا الأمر وَأقولهم بالزور وَأضلّهم سبيلاً وَأبعدهم من رسول الله ﷺ وسيلةً. وَلديك قوم ضالون مضلون من طواغيت إبليس. وَأما قولك إنك تملأ علي مصر خيلاً وَرجلاً فلئن لم أشغلك عن ذلك حتى يكون منك أنك لذو جد وَالسلام».

فلما أتى معاوية كتاب «قيس بن سعد» أَيِسَ منه وَثقُل مكانُه عليه وَكان أن يكون بالمكان الذي هو به غيره أعجب إليه، وَاشتدَّ على معاوية لما يعرف من بأسه وَنجدته فأظهر للناس أن قيسًا قد بايعكم فادعوا الله له وَقرأ عليهم كتابه الذي لان فيه وَقاربه وَاختلق معاوية كتابًا فقرأه على أهل الشام:

«بسم الله الرحمن الرحيم إلى الأمير معاوية بن أبي سفيان من «قيس بن سعد» أما بعد فإن قتل عثمان كان حدثًا في الإسلام عظيمًا وَقد نظرت لنفسي وَديني لم أر يسعني مظاهرة قوم قتلوا إمامهم مسلمًا محرمًا برًا تقيًا وَنستغفر الله لذنوبنا وَنسأله العصمة لديننا. ألا وَإني قد ألقيت إليك بالسلم وَأجبتك إلى قتال قتلة إمام الهدى المظلوم فعوِّلْ عليّ فيما أحببت من الأموال وَالرجال أعجله إليك إن شاء الله تعالى، وَالسلام عليك».

قال: فشاع في أهل الشام أن قيسًا صالح معاوية فسرحت عيون علي بن أبي طالب عليه السلام إليه بذلك فلما أتاه ذلك أعظمه وَأكبره وَتعجب له وَدعا ابنيه الحسن وَالحسين وَابنه محمدًا وَدعا عبد الله بن جعفر فأعلمهم بذلك وَقال ما رأيكم فقال عبد الله بن جعفر يا أمير المؤمنين دع ما يريبك إلى ما لا يريبك اعزل «قيس بن سعد» عن مصر.

فقال [عليٌّ] لهم: **إني وَالله ما أصدِّق بهذا على «قيس»**. فقال له عبد الله بن جعفر: اعزله

يا أمير المؤمنين فو الله إن كان ما قد قيل حقًا لا يعتزلك إن عزلته.....

قال فبعث عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام محمدَ بن أبي بكر إلى مصر وَعزل قيسًا وَكتب معه إلى أهل مصر كتابًا فلما قدم على قيس قال له (قيس): فما بال أمير المؤمنين ما غيَّره؟ أدخل أحدٌ بيني وَبينه؟! قال: لا وَهذا السلطان سلطانك وَكان بينهما نسب وَكانت تحت قيس قريبة بنت أبي قحافة أخت أبي بكر الصديق فكان قيس زوج عمته فقال قيس: لا وَالله لا أقيم معك ساعة واحدة وَغضب حين عزله عليّ عليه السلام عنها فخرج منها مقبلاً إلى المدينة وَلم يمض إلى عليٍّ عليه السلام بالكوفة "[١].

تُعَدُّ هذه القصة من حوادث التاريخ المسلَّم بها والتي وقعت زمن أمير المؤمنين عليه السلام. وكما نعلم لم يستطع «محمد بن أبي بكر» أن يحكم سيطرته على مصر لأنه كان شابًا عديم التجربة وانتهى الأمر بمقتله بأفجع صورة وقد بكى أمير المؤمنين عليّ عليه بكاءً مرًّا، وخرجت مصر بمقتل محمد بن أبي بكر من يد أمير المؤمنين ولم تعد إليه بعد ذلك أبدًا. وقد أعرب أمير المؤمنين عليه السلام نفسه عن ندمه على ما وقع منه، ونجد هذا المعنى في الرسالة التي كتبها أمير المؤمنين عندما أرسل مالك بن اشتر واليًا على مصر، وقد روى هذه الرسالة الشيخ المفيد في أماليه (ص٤٨، المجلس ٩) حيث جاء فيها الفقرة التالية: "أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ وَأَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ الأَثِيمِ وَأَسُدُّ بِهِ الثَّغْرَ المَخُوفَ وَقَدْ كُنْتُ وَلَّيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللهُ مِصْرَ فَخَرَجَ عَلَيْهِ خَوَارِجُ وَكَانَ حَدَثًا لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحُرُوبِ فَاسْتُشْهِدَ رَحِمَهُ اللهُ... "[٢].

أقول ولا يخفى على أهل العلم والفهم أن «قيس بن سعد بن عبادة» كان من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن خواص شيعة أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام ومن الأقوياء في دين الحق ومن شجعان زمانه، وقد جاء في كتاب الرجال للشيخ الطوسي وصفه الملخص بالعبارات التالية: "قيس بن سعد بن عبادة، من السابقين الذين رجعوا إلى أمير

---

(١) إبراهيم بن سعد بن هلال الثقفي، «الغارات»، ج١/ ص١٣٠ إلى ١٣٩. بتلخيص واختصار. (تر)

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٣/ ص ٥٥٢. (تر)

المؤمنين عليه السلام وَهو مشكور، لم يبايع أبا بكر "[١].

كما أن الشهيد الثاني (ره) قال في تعليقه على تلك العبارة ما نصه: "وقال أنس: وكان قيس بن سعد من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير ".

وقد أشار الإمام الرضا عليه السلام إلى إخلاص «قيس بن سعد» وتقواه وذكر أن أفعى (ثعبان) أحاطت بعنقه أثناء سجوده فلما رفع رأسه من السجود غابت في لباسه ولم تصبه بأذى!

كما أن ابن أبي الحديد قال عنه في كتابه شرح نهج البلاغة: "و قيس هو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كان شجاعًا جوادًا من كبار شيعة عليٍّ عليه السلام والمتحقِّقين بمحبته، شهد حروبه كلّها "[٢].

إذن فعزله عن ولاية مصر لم يكن لجهة نقصان ولائه ومحبته وإخلاصه لأمير المؤمنين، بل كانت حنكته وفطنته في غاية الشهرة حتى عدُّوْه من أذكياء العرب. [*وإنما عزله أمير المؤمنين تأثرًا بتلك الشائعة الكاذبة التي نقلها إليه جواسيسه عن أهل الشام*].

فهل ينسجم عزل «قيس» مع القول بعلم الإمام بالغيب؟! خاصةً أنكم تدعون أنه الإمام بعلم عين الغيب الذي وصفه تعالى بقوله: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣]؟!

إذا قلتم إنهم قاموا بتلك الأعمال مع علمهم بالغيب، قلنا: هل من الممكن عقلاً أن يقوم من يعلم الغيب بالإضرار بنفسه على هذا النحو؟ وكيف يتّسق هذا مع القرآن الكريم الذي يصف الله تعالى فيه أحد خصائص العلم بالغيب بأنه يستلزم قهرًا الاستكثار من الخير ودفع الضر عن النفس فيقول: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ [الأعراف: ١٨٨]؟! فكيف يمُكن تفسير صدور تلك الأعمال عن عالمٍ بالغيب خلافًا لحكم العقل والنقل؟!

---

(١) **رجال العلامة الحلي**، ص ١٣٤. (تر).

(٢) ابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة**، ج ١٠، ص ١١١.

٤- من أوضح الأمور التي تدلّ على عدم علم حضرة الإمام علي عليه السلام بالغيب قضية تنصيبه «زياد بن أبيه» واليًا على البصرة والأهواز وفارس وكرمان. فقد كان «زياد بن أبيه» كاتبًا لابن عباس عندما كان ابن عباس واليًا على البصرة مِنْ قِبَل عَلِيٍّ عليه السلام فاكتسب «زياد» من خلال عمله ذاك معرفةً وخبرةً في أمر حكم البصرة، لذا لما قام أمير المؤمنين عليه السلام بعزل ابن عباس عيَّن مكانه كاتبه «زياد بن أبيه» واليًا على البصرة، وكما نعلم أدَّت ولاية زياد في بداية الأمر إلى تعرف الشيعة على عليٍّ بشكل جيِّد، ولما ولي الإمام الحسن عليه السلام الإمامة بعد أمير المؤمنين أبقى «زيادًا» على ولاية البصرة، فكان هذا الأمر في الواقع أحد أسباب وقوع مصائب وكوارث كبيرة بحق شيعة علي عليه السلام فيما بعد، حيث أن معاوية ألحق «زيادًا» به كأخ له من أبيه أبي سفيان وأغراه بمنحه حكومة العراقين [عراق العرب وعراق العجم] وكان لابنه «عبيد الله بن زياد» أفاعيل مدمرة بحق شيعة علي عليه السلام يحتاج شرحها إلى كتاب مفصّل!

ومثل ذلك في دلالته على انتفاء علم الإمام عَلِيٍّ عليه السلام بالغيب تعيينه لـ«المنذر بن جارود» لجمع الصدقات فقام الأخير بأخذ الأموال لنفسه والتحق بمعاوية! فكتب له الإمام بعد اطلاعه على خيانته: "**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ صَلاحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ وظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ وتَسْلُكُ سَبِيلَهُ** فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ لا تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَادًا ولا تُبْقِي لِآخِرَتِكَ عَتَادًا، تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ، وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ **وَلَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقًّا لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَشِسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ** وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى جِبَايَةٍ فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا إِنْ شَاءَ اللهُ" (نهج البلاغة، الرسالة رقم ٧١).

لا يُمكن لشخص يعلم الغيب أن يفعل ذلك بنفسه وبأموال بيت المال ومصالح المسلمين! فعلى من يدَّعي علم الإمام علي وسائر الأئمَّة عليهم السلام بالغيب أن يرينا عملاً واحدًا قاموا به يدل على علمهم بالغيب!

لقد صنع الغلاة وأعداء الإسلام من شخصية عَلِيٍّ عليه السلام شخصيةً رسموها بخيالهم ورفعوها فوق الحدود البشرية، وعرَّفوه بوصفه كائنًا أسطوريًا يقوم أحيانًا بأعمال إلهية

ويحضر في آنٍ واحدٍ في جميع الأمكنة ويعلم جميع الغيوب، ويقوم أحيانًا بالعروج إلى السموات والجلوس على بساط الريح والصعود إلى الفضاء وقتل ثلاثين ألفًا من قوم يأجوج ومأجوج -كما ورد في حديث البساط- ويحضر في وليمة أكثر من أربعين بيتًا، ويصعد إلى المعراج قبل وصول رسول الله ﷺ ليستقبله، ويظهر في إحدى السموات بصورة أسد مفترس، ويقضي بين الملائكة الذين تنازعوا فيما بينهم ولم يرضوا إلا بعليٍّ حكمًا وقاضيًا فاضطر إلى الصعود إلى السماء ليفصل بينهم! وكان حاضرًا في أزمنة الأنبياء الماضين بصور مختلفة فكان يساعد الأنبياء، من ذلك أنه حضر زمان موسى عليه السلام بصورة شخص مرتديًا لباسًا من ذهب وراكبًا فرسًا سرجه من أوراق الذهب وذهب إلى قصر فرعون لتخويفه من مخالفة موسى! ومئات من هذه الأساطير والأوهام والخرافات التي يمكن الاطلاع عليها بالرجوع إلى كتب مثل «**عيون المعجزات**» و«**مشارق أنوار اليقين في ولاية أمير المؤمنين**» و«**مدينة المعاجز**» و«**تحفة المجالس**»(١) وأمثالها.

لكن إذا كان الغلاة وأعداء الإسلام قد لفّقوا تلك الحكايات واختلقوا تلك الأساطير يومًا ما لمآرب خاصّة ودسّوها بين الناس وفي الكتب، فلا ندري ما هو هدف من يقوم اليوم بإعادة نشرها وترويجها؟! أليس في عمله هذا اتباعٌ لأهداف أعداء الإسلام أولئك، ألا يجعلُ من يُرَوِّجُ لهذه الخرافات من نفسه آلةً بلا إرادة لتحقيق مآربهم؟ وما هي الفائدة من نشر هذه الخرافات سوى تنفير العقلاء من الدين؟! أو غرور ووقاحة الجهلة وتصوّرهم أنه إذا كان عليٌّ عليه السلام كذا وكذا وكانوا هم شيعة علي! [*دون أن يعلموا ما هو معنى الشيعة، أو إذا علموا فإنهم لا يخطون أدنى خطوة ولا يتحركون أدنى تحرّك لتنفيذ وتطبيق واجبات الشيعي والتي هي العبودية الخالصة للَّهِ تعالى*](٢) فإن مكانهم سيكون يوم القيامة في صدر الجنة! أجل إنهم

---

(١) **تحفة المجالس**، ألّفه بالفارسية المولى سلطان محمد بن تاج الدين حسن، وجمع فيه ما جاء في كتب من قبله حول ما قال إنه معجزات المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام، وذلك في أربعة عشر مقصدًا ومقدمة في بيان معنى المعجزة، وذكر الكتب التي أخذ منها، طُبِعَ في تبريز سنة ١٢٧٤هـ.ق.

(٢) ما بين المعقوفتين [ ] من كلام محقق الكتاب الحاضر؛ البرقعي.

يتخيّلون أنهم دون عمل صالح سيكونون من المقرّبين عند الله والأعزّاء لديه لمجرّد كونهم - في نظر أنفسهم - من محبي عليٍّ وشيعته!!

نعم هكذا صار عليٌّ في نظر الغلاة كائنًا عجيبًا لا نجد له نظيرًا حتى في أساطير آلهة اليونان القدماء! ويمتلك صفات إلهية تجعله حاضرًا في كل مكان وناظرًا كل شخص وقادرًا على كل شيء و ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

لكن عليًّا في نظر المؤمنين الموحِّدين منزَّهٌ عن هذه الأوهام ومبرَّأٌ من هذه الافتراءات وهم يَبْرؤون من كل من ينسب إليه مثل تلك النسب الباطلة.

إن عدّ فضائل عليّ عليه السلام ليس بالأمر السهل (فله ما لا يُحصى من الفضائل)، ولكن إذا لم يكن قصد الإنسان من ذكر فضائله اتباع هذه الفضائل بل كان يذكرها لمجرّد ذكرها والتلذّذ بسماعها فإن هذا لن يُفيده بشيء على الإطلاق ولا يُمكن لمن يفعل ذلك أن يُقال له شيعة عليّ لأن الشيعي هو التابع والفعّال لا المتكلم والقوّال، إن عليًّا عليه السلام في حدّ نفسه معجزة من معجزات دين الإسلام لأنه يُبيّن أن تعاليم هذا الدين المبين قادرة على تربية شخص بمثل هذه المواصفات وتقديمه إلى المجتمع البشري، والحاصل، إن دين الإسلام جاء ليُربّي أمثال عليّ عليه السلام في المجتمع لا أن يقوم الغلاة بأوهامهم وتخيّلاتهم باختراع عليّ وهميّ لا يُمكن أن نجد نظيره حتى في الأساطير!؟ وبكلمة أخيرة إن «عَلِيَّ» الغلاةِ غيرُ «عَلِيِّ» الموحِّدِين. فهما شخصان منفصلان لا علاقة لأحدهما بالآخر!

نعود إلى موضوعنا إذْ كُنَّا نذكر الشواهد من سيرة الأئمَّة عليهم السلام التي تُظْهِرُ عدم وجود أي أثر لعلم الغيب في حياتهم فلا نجد أي حادثة نافعة لهم يُمكن القول أنهم عملوا بها استنادًا إلى معرفتهم بالغيب، أو حادثة اجتناب لمصيبة وخسارة بفضل معرفتهم بالغيب! بل إن الأمور والأحوال العادية التي نجدها في حياة سائر الناس نجد عينها في حياة الأئمَّة وسيرتهم ومن جملة ذلك القصة التالية التي رويت في أحوال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام:

٥- روى الشيخ الطوسي في كتاب «**الأمالي**» (ج ٢، ص ٣٦، من طبعة النجف) والشيخ الصدوق في «**عيون أخبار الرضا**» (ج ١، صص ٩٣-٩٤)، والمجلسي في «**بحار الأنوار**»

(المجلد ١١، ص ٢١٧، من طبعة تبريز) بسندهم عن علي بن إبراهيم بن هاشم أنه قال:

"سَمِعْتُ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِنَا يَقُولُ لَمَّا حَبَسَ الرَّشِيدُ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ عليه السلام جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ فَخَافَ نَاحِيَةَ هَارُونَ أَنْ يَقْتُلَهُ فَجَدَّدَ مُوسَى عليه السلام طَهُورَهُ وَاسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْقِبْلَةَ وَصَلَّى لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ثُمَّ دَعَا بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ فَقَالَ يَا سَيِّدِي نَجِّنِي مِنْ حَبْسِ هَارُونَ وَخَلِّصْنِي مِنْ يَدِهِ..... قَالَ: فَلَمَّا دَعَا مُوسَى عليه السلام بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ أَتَى هَارُونَ رَجُلٌ أَسْوَدُ فِي مَنَامِهِ وَبِيَدِهِ سَيْفٌ قَدْ سَلَّهُ فَوَقَفَ عَلَى رَأْسِ هَارُونَ وَهُوَ يَقُولُ يَا هَارُونُ أَطْلِقْ عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ وَإِلَّا ضَرَبْتُ عِلَاوَتَكَ بِسَيْفِي هَذَا فَخَافَ هَارُونُ مِنْ هَيْبَتِهِ ثُمَّ دَعَا الحَاجِبَ فَجَاءَ الحَاجِبُ فَقَالَ لَهُ: اذْهَبْ إِلَى السِّجْنِ فَأَطْلِقْ عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ فَخَرَجَ الحَاجِبُ فَقَرَعَ بَابَ السِّجْنِ فَأَجَابَهُ صَاحِبُ السِّجْنِ فَقَالَ: مَنْ ذَا قَالَ: إِنَّ الخَلِيفَةَ يَدْعُو مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْ سِجْنِكَ وَأَطْلِقْ عَنْهُ فَصَاحَ السَّجَّانُ يَا مُوسَى إِنَّ الخَلِيفَةَ يَدْعُوكَ فَقَامَ مُوسَى عليه السلام مَذْعُورًا فَزِعًا وَهُوَ يَقُولُ لَا يَدْعُونِي فِي جَوْفِ هَذَا اللَّيْلِ إِلَّا لِشَرٍّ يُرِيدُ بِي فَقَامَ بَاكِيًا حَزِينًا مَغْمُومًا آيِسًا مِنْ حَيَاتِهِ فَجَاءَ إِلَى هَارُونَ وَهُوَ تَرْتَعِدُ فَرَائِصُهُ فَقَالَ سَلَامٌ عَلَى هَارُونَ فَرَدَّ عليه السلام ثُمَّ قَالَ: لَهُ هَارُونُ نَاشَدْتُكَ بِاللهِ هَلْ دَعَوْتَ فِي جَوْفِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ بِدَعَوَاتٍ فَقَالَ: نَعَمْ،..... فَقَالَ: هَارُونُ قَدِ اسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَتَكَ يَا حَاجِبُ أَطْلِقْ عَنْ هَذَا ثُمَّ دَعَا بِخِلَعٍ فَخَلَعَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا وَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسِهِ وَأَكْرَمَهُ وَصَيَّرَهُ نَدِيمًا لِنَفْسِهِ..... "(١).

فكيف يمكن أن يكون الإمام عالمًا بالغيب ولكنه عندما يسمع قرع باب السجن يقوم مَذْعُورًا فَزِعًا وَهُوَ يَقُولُ لَا يَدْعُونِي فِي جَوْفِ هَذَا اللَّيْلِ إِلَّا لِشَرٍّ يُرِيدُ بِي فيقوم بَاكِيًا حَزِينًا مَغْمُومًا آيِسًا مِنْ حَيَاتِهِ!! هل هذا هو حال من يعلم الغيب؟!

وتوجد العشرات من أمثال هذه الروايات التاريخية التي تُبيِّن هذه الحقيقة.

نكتفي بما ذكرناه وننتقل إلى بيان رأي علماء الشيعة الكبار وعقيدتهم في علم الأئمَّة بالغيب.

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٨/ ص٢١٩ -٢٢٠. (تر)

أقوال كبار علماء الشيعة في نفي علم الأئمَّة بالغيب

تقدم في الفصل الماضي أن خواص أصحاب الأئمَّة أمثال «**قَيْسِ بْنِ سَعْد**» وَ«**سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ الْخُزَاعِي**» وَ«**مُسَيَّبِ بْنِ نَجَبَة**» وَ«**زُرَارَةَ**» ونظرائهم فضلاً عن عدم اعتقادهم بعلم الأئمَّة بالغيب، لم يكونوا يعتبرون علم الأئمَّة في أحكام الدين كاملاً في بعض المراحل! وقد صرَّح بذلك بعض كبار علماء الشيعة وأجلّتهم أمثال «ابن الجُنَيْد»[1] و«الشهيد الثاني»[2] والعلامة «المَجْلسيِّ»[3] و«بحر العلوم الطباطبائي»[4]، فقالوا إن خواصّ أصحاب الأئمَّة لم يكونوا يعتبرون الأئمَّة أكثر من علماء أبرار مفترضي الطاعة ولم يكونوا يعتقدون بعصمتهم من الخطأ والنسيان!

أورد العلامة المجلسي في كتابه «**حق اليقين**»، وفي المجلد الخامس عشر من «**بحار**

---

(١) هو محمد بن أحمد بن الجنيد الكاتب الإسكافي (٣٨١هـ)، أحد أبرز فقهاء الإمامية القدماء وشيخ مشايخ النجاشي والشيخ الطوسي.

(٢) هو زين الدين بن علي بن أحمد العاملي الجبعي (٩٦٦هـ)، من فقهاء الشيعة الأعلام في القرن العاشر الهجري، أشهر كتبه «**الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية**» و«**مسالك الأفهام إلى شرائع الإسلام**»، و«**الدراية**» وَشرحها «**شرح الدراية**» في علم الرواية، و«**منية المريد في آداب المفيد والمستفيد**».

(٣) هو محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الأصفهاني، من أبرز المحدثين والفقهاء الشيعة الإمامية في القرن الهجري العاشر (١٠٣٧-١١١١هـ) ولي مشيخة الإسلام في أصفهان زمن الصفويين، وجمع كتب الحديث الشيعية في موسوعة ضخمة سماها «**بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار**» طبعت في ١١٠ مجلدات!! من كتبه المشهورة بالفارسية «جلاء العيون» و«حياة القلوب». (تر)

(٤) هو آية الله العظمى السيد محمد مهدي بن المرتضى الطباطبائي البروجردي الأصل النجفي المعروف ببحر العلوم (١٢١٢هـ)، كان مرجع الإمامية في عصره. أشهر كتبه: «**رجال السيد بحر العلوم**» المعروف بـ«**الفوائد الرجالية**» طبع في ٤ مجلدات.

الأنوار»، كتاب «الإيمان والكفر»، والمرحوم الشيخ عبد الله الممقاني في كتابه «**تنقيح المقال**» (ج ٢، ص٦٨) في معرض بيانهم لأحوال «محمد بن أحمد الجنيد»، وأيضًا ذكر الشهيد الثاني أنه يكفي لإحراز الإيمان التصديق بإمامة الأئمَّة عليهم السلام والاعتقاد بوجوب طاعتهم ولو كان ذلك التصديق خاليًا من الاعتقاد بعصمتهم من الخطأ! وادّعى أن هذا المعنى هو الذي يظهر بوضوح من مجموع رواياتهم عليهم السلام، وذكر أن عقيدة شيعة الأئمَّة في زمنهم، هي أن الأئمَّة علماء أبرار فرض الله طاعتهم، ولم يكونوا يعتقدون أن الأئمَّة معصومين! ومع ذلك كان الأئمَّة عليهم السلام يحكمون بإيمان شيعتهم هؤلاء وعدالتهم!

كان هذا هو حال أصحاب الأئمَّة عليهم السلام في زمن حياتهم. أما بعد وفاتهم وغيبتهم فإننا نعرف الكثير من علماء الشيعة الكبار منذ ذلك الزمن وحتى زمن تأليف هذا الكتاب ممن لا يعتقدون بعلم الأئمَّة بالغيب، وليس هذا فحسب بل أكثر من ذلك يُجيزون حتى السهو في حقهم كما يُجوّزون عليهم أن يقعوا في غفلة أو ظن خاطئ ويُجيزون عليهم الاجتهاد. ولكننا من باب الاختصار سنضطر لذكر أسماء عشرة أشخاص منهم في هذه الرسالة مع ذكر عقائدهم تيمّنًا، ونترك بيان بقية هؤلاء العلماء إلى فرصة أخرى وعند الاقتضاء سنكتب إن شاء الله تعالى رسالة مستقلّة عنهم كي يعلم الناس أن هذا الغلو والإفراط قام به المتأخرون فقط، وربما كان بسياسة سلاطين مثل سلسلة الملوك الصفويين وأمثالهم دور في نشر هذا الغلو، وإلا فإن العلماء والمشايخ القدماء لم يكونوا يعتقدون أبدًا بمثل هذه العقائد الشركية.

١- كان **مُحَمَّدُ بْنُ الحَسَنِ بْنِ الوَلِيدِ القُمِّيِّ** (٣٤٣هـ) (ره)[1] أستاذَ الشيخ الصدوق، وكان من أكبر علماء الشيعة في عصره وكان مُوَثَّقًا وَمُبَجَّلاً وموضع ثناء وتقدير عامَّة علماء الشيعة وأصحاب كتب الرجال.

من المعروف أن «محمد بن الحسن بن الوليد» لم يكن يعتبر الأئمَّة عالمين بالغيب وليس

(١) قال عنه النجاشي في رجاله (ص ٣٨٣): "محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد: أبو جعفر شيخ القميِّين، وفقيههم، ومتقدمهم، ووجههم. ويُقال إنه نزيل قم، وما كان أصله منها. ثقةٌ ثقةٌ، عينٌ، مسكون إليه. له كتب، منها كتاب تفسير القرآن، وكتاب الجامع".

هذا فحسب بل كان أيضًا يجيز في حقهم لا بل في حق النبيّ ﷺ نفسه -الذي هو أمين الوحي والمأمور بإبلاغ رسالة الله- السهو والنسيان! **ويعتقد أن أول درجات الغلو نفي السهو عن النبي** ﷺ، كما نقل المرحوم الصدوق عنه هذه العقيدة في كتابه «**من لا يحضره الفقيه**». وقد كان احتراز الشيخ «محمد بن الحسن ابن الوليد» من القول بعلم الأئمَّة بالغيب شديدًا إلى درجة أنه كان يمنع ويحرِّم رواية كتاب «**بصائر الدرجات**» المنسوب للصفار لكونه يتضمّن بعض أخبار الغلوّ!

٢- كان المرحوم **الشيخ الصدوق** «محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي» (٣٨١هـ) رئيس المحدّثين الشيعة، ينفي نسبة العلم بالغيب إلى الأئمَّة كما ينفي ما ينسب إليهم عليهم السلام من صدور المعجزات إلى درجة أنه كان يعتبر مجرد نفي السهو والنسيان عن الأئمَّة غلوًا، ويعتبر القائل به غاليًا، والغلاة في نظره أسوأ من المشركين، وبشكل عام موقف الشيخ الصدوق هذا ينطبق أيضًا على جميع علماء الشيعة الكبار في قم الذين كان أكثرهم معاصرين للأئمة عليهم السلام وعلى صلة بهم ومعاشرة لهم، فكلهم كانوا يرون رأي الشيخ الصدوق في هذا الموضوع ذاته، وقد كتبوا في ذلك الأمر كتبًا خاصة.

وكان المرحوم الصدوق يجيز عروض السهو والنسيان للنبي ﷺ، فضلاً عن عروضهما للإمام، وقد وعد في كتابه «**من لا يحضره الفقيه**» بتأليف كتاب خاص في هذا الصدد، وهناك احتمال كبير أن يكون قد ألّف ذلك الكتاب فعلاً إلا أن حوادث الدهر حالت بيننا وبين الوصول إليه! إذ إن الصدوق ترك أكثر من ثلاثمئة مصنف لم يصل إلى أيدينا منها سوى أقل من النصف، وضاع البقيّة. ورغم هذا فقد بقيت أخبار عديدة في موضوع «سهو النبي» في بقية آثار الشيخ الصدوق والتي يُمكن أن تُجمع في كتاب مستقل، وقد أشار هو بنفسه في كتابه «**من لا يحضره الفقيه**» إلى كثرة الأخبار في هذا الموضوع فقال:

"كَانَ شَيْخُنَا مُحَمَّدُ بْنُ الحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الوَلِيدِ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ أَوَّلُ دَرَجَةٍ فِي الغُلُوِّ نَفْيُ السَّهْوِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَوْ جَازَ أَنْ تُرَدَّ الأَخْبَارُ الوَارِدَةُ فِي هَذَا المَعْنَى لَجَازَ أَنْ تُرَدَّ جَمِيعُ الأَخْبَارِ وَفِي رَدِّهَا إِبْطَالُ الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ، وَأَنَا أَحْتَسِبُ الأَجْرَ فِي تَصْنِيفِ كِتَابٍ مُنْفَرِدٍ فِي إِثْبَاتِ سَهْوِ

النَّبِيِّ ﷺ وَالرَّدِّ عَلَى مُنْكِرِيهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى "(١).

فالعجيب أن نرى أن بعض علماء الشيعة مثل الشيخ المفيد والشيخ البهائي اللذَيْنِ يريا أن الشيخ الصدوق لم يتيسَّر له تأليف ما وعد به حول «سهو النبي ﷺ»، يحمدان الله تعالى على ذلك! مع أنه -كما ذكرنا- من المحتمل أن يكون الصدوق قد أَلَّف فعلاً ذلك الكتاب لكنه ضاع كما ضاعت كثيرٌ من كتبه الأخرى، هذا من جهة، ومن الجهة الثانية: لقد أثبت الصدوق هذا الأمر -أي سهو النبي ﷺ- بكل وضوح في كتبه التي بقيت ووصلت إلينا، بما يكفي لمعرفة عقيدته بهذا الشأن، وأيًّا كان الأمر فإن ضياع بعض آثار الصدوق أمر يبعث على الأسف لا على السرور!

وقد ألّف المرحوم الشيخ «المفيد» بعض الرسائل في الرد على الشيخ الصدوق وإحدى رسائله كانت ردًا على عقيدة الشيخ الصدوق هذه بالذات [أي تجويزه سهو النبي ﷺ ونسيانه] حيث هاجم المفيدُ الصدوقَ لذهابه إلى هذا المذهب وأدان قولَه بشدَّة وردّ عليه. ولكن جاء في زماننا العلامة المحقق الحاج الشيخ «**محمد تقي الشوشتري**» [أو **التُّسْتَري**] -أدام الله بقاءه- فأَلَّف رسالةً باسم «**سهو النبيّ**» أُلحقت بالمجلد الحادي عشر من كتابه «**قاموس الرجال**» الذي طُبع وانتشر. وقد أثبت العلامة «الشوشتري» في رسالته هذا الموضوع على أكمل وجه ويمكن لمن أراد أن يراجع رسالته تلك(٢).

إن اعتقاد علماء الشيعة الكبار بجواز سهو الأئمَّة ونسيانهم فضلاً عن عدم علمهم بالغيب كان اعتقادًا مشهورًا إلى درجة أن العلامة المجلسي نقل في المجلد الخامس عشر من «**بحار الأنوار**»، وكذلك الشيخ المفيد في كتابه «**تصحيح الاعتقاد**» (طبع تبريز، ص٦٥) ما يفيد انتشار ذلك بين علماء قم فقالا:

"وقد وجدنا جماعة وردوا إلينا من «قم» يُقصِّرون تقصيرًا ظاهرًا في الدين وينزلون الأئمَّة عليهم السلام عن مراتبهم وَيزعمون أنهم كانوا لا يعرفون كثيرًا من الأحكام الدينية حتى

---

(١) الشيخ الصدوق، «**من لا يحضره الفقيه**»، ج١، ص ٣٦٠.

(٢) راجعوا ملحق «**تأمُّل في رسالة سهو النبي ﷺ**» في آخر هذا الكتاب. الناشر.

ينكت في قلوبهم ورأينا من يقول إنهم كانوا يلتجئون في حكم الشريعة إلى الرأي والظنون"[(١)].

وقد ختم المجلسي (ره) تحقيقه وشرحه لموضوع «سهو النبي» بالعبارة التالية فقال: "**ويظهر منه عدم انعقاد الإجماع من الشيعة على نفي مطلق السهو من الأنبياء** ".

نعم، وكيف يُمكن للشيعة أن يعتقدوا بمثل تلك العقيدة [أي نفي مطلق السهو عن الأنبياء والأئمَّة] مع مخالفتها لصريح آيات القرآن؟ فقد قال الله تعالى عن حضرة آدم - عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ١١٥﴾ [طه: ١١٥]، وقال بشأن موسى ويوشع بن نون اللذين كانا نبيين: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ٦١﴾ [الكهف: ٦١]، وفي السورة ذاتها نقل عن «يوشع بن نون» قوله: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف: ٦٣]، وكذلك قصَّ علينا في السورة ذاتها قول حضرة موسى عليه السلام: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف: ٧٣]، مع أنه كان قد تعهَّد بأن لا يسأل معلّمه شيئًا ولا يخالفه حين قال: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ٦٩﴾ [الكهف: ٦٩]، واعتبر القرآن أن يوسف عليه السلام تعرّض للنسيان وقال عنه: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ٤٢﴾ [يوسف: ٤٢][(٢)].

---

(١) الشيخ المفيد، «تصحيح الاعتقاد»، ص ١٣٥-١٣٦. (تر)

(٢) هذا الكلام مبني على كون الضمير في فعل ﴿فَأَنسَىٰهُ﴾ يعود على يوسف عليه السلام أي أن المقصود من جملة ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾: فأنسى الشيطانُ يوسفَ أن يذكر حاجته لِلَّهِ وحده، وأن لا يذكرها للساقي ليبلغها إلى الملك. فكانت النتيجة أن لبث يوسف في السجن بضع سنين بسبب هذا الاعتماد على المخلوق! وهذا التفسير مال إليه بعض المفسرين ومنهم الفخر الرازي. ولكن الأكثر على أن الضمير في فعل «فَأَنْسَاهُ» يعود على الساقي وأن المعنى أن الساقي بعد أن عاد إلى عمله عند الملك، لم ينفذ ما أوصاه به يوسف من أن يشرح قضيته لربه أي لملك، لأن الشيطان أنسى الساقي ما قاله له يوسف، فكانت النتيجة أن لبث يوسف عليه السلام في السجن مظلومًا بضع سنين. ولعل هذا التفسير هو الأقرب للصواب. والله أعلم. (المنقِّح)

كما نسب القرآن الكريم النسيان إلى النبي الأكرم ﷺ (طبعًا في غير موضوع الوحي التبليغي الذي وعد الله بأن يُقرئه إياه فلا ينساه) فقال عز من قائل: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ٢٤﴾ [الكهف: ٢٤]. وأعلم نبيَّهُ الكريم قائلاً: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦﴾ [الأعلى: ٦]. مما يُفيد احتمال نسيانه لما هو من غير الوحي. إذن السهو والنسيان جائزان على الأنبياء بحكم العقل والقرآن، فإذا جازا على الأنبياء كان جوازهما على الأئمَّة من باب أولى! والوحيد الأوحد الذي لا يعرض له سهو ولا نسيان أبدًا هو ذات رب العالمين كما قال سبحانه: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ٥٢﴾ [طه: ٥٢].

وقد روى الصدوق في «**عيون أخبار الرضا**»: "عَنِ الهَرَوِيِّ قَالَ قُلْتُ لِلرِّضَا عليه السلام: **يَا ابْنَ رَسُولِ الله! إِنَّ فِي الكُوفَةِ قَوْمًا يَزْعُمُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ السَّهْوُ فِي صَلَاتِهِ؟! فَقَالَ: كَذَبُوا لَعَنَهُمُ اللهُ، إِنَّ الَّذِي لَا يَسْهُو هُوَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**"[(١)].

حقًّا إنه لـمِمَّا يثير العجب أن نرى آيات القرآن الكريم تنفي علم الغيب بكل صراحة عن جميع البشر بما في ذلك الأنبياء، وتُبيِّن لنا نفي الأنبياء لهذا العلم عن أنفسهم بصراحة واضحة، كما قال نوح عليه السلام: ﴿قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٢﴾ [الشعراء: ١١٢]، وكما قال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ١٠٤﴾ [الأنعام: ١٠٤]، وكما قال الله لخاتم أنبيائه: ﴿لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ﴾ [التوبة: ١٠١]. وعشرات الآيات المشابهة الأخرى التي مرّ بيانها من قبل، يُضاف إليها الآيات التي ذكرناها آنفًا والتي تُثبت السهو والنسيان للأنبياء، فلا يدري أحد ماذا يريد هؤلاء العاشقون للكفر والنفاق الذين لا يزالون يُصرّون على القول بأن الأنبياء والأئمَّة عالمون بالغيب ولا يجوز في حقهم سهو ولا نسيان! وأن علمهم بالغيب مطابق لعلم الله الذي وصفه بقوله: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سبأ: ٣]. ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠﴾ [التوبة: ٣٠].

---

(١) الشيخ الصدوق، **عيون أخبار الرضا**، ج ٢، ص ٢٠٣، الباب ٤٦، ح٥. والملا محمد هادي بن محمد صالح المازندراني، **شرح فروع الكافي**، ج٣، ص ٢٥٤.

لقد كانت عقيدة الشيعة في زمن الأئمَّة عليهم السلام عقيدة توحيدية خالصة. ولكن لما بدأت تنتشر بين المسلمين -منذ زمن الخلفاء العباسيين- خرافات اليونانيين وأساطير آلهتهم وأوهام اليهود والمجوس والعقائد المغالية المشوبة بالشرك، والتي وجدت في بداية الأمر -بالطبع- ردَّ فعل شديد تجاهها بسبب معارضة الإسلام الشديدة للشرك والخرافات وكل ما يخالف التوحيد، وتمكَّنت تلك العقائد المغالية من مواصلة انتشارها شيئًا فشيئًا بين عامة المسلمين حتى وصل الأمر إلى ادّعاء بعض الأفراد وكثيرًا من أقطاب الصوفية ومرشديهم مثل «بايزيد البسطامي» و«منصور الحلاج» و«الشلمغاني» وأمثالهم لتلك الصفات المغالية، إلى درجة أن طائفة تدعى «الراوندية» ادّعت في حق «أبي جعفر المنصور الدوانيقي»، الألوهية، رغم أنه كان من أظلم الناس وألأمهم في عصره! وفي مثل ذلك الجو الموبوء بدأت تنتشر تدريجيًا بعض العقائد المغالية بين بعض الشيعة وظهر من يدَّعي مثل تلك الادعاءات الجزاف في حق الأئمَّة عليهم السلام! رغم أن أولئك الأئمَّة الأجلاء والكرام كانوا يكافحون بكلِّ شدَّة مثل تلك العقائد المغالية المثيرة للفتنة ويظهرون براءتهم منها ويلعنون قائليها -كما بيّنّا فيما سبق[1] - لكن روح الوثنية التي لها هوى ونفوذ قويان في نفوس العامَّة -كما يقول علماء النفس- إلى حد أنه رغم جميع مجاهدات الأنبياء الكرام ومحاربتهم لهذا الفكر الوثني الخبيث، لا زلنا نرى آثاره المميتة لدى معظم الملل، هذه الروح لم تسمح ببقاء التوحيد الإسلامي على نقائه بل أخذت تشوبه بالخرافات التي كانت تنتشر بين المسلمين يومًا بعد يوم إلى حد أنها أثَّرت في الأزمنة المتأخرة على بعض علماء الشيعة حتى أخذوا يعتبرون علماء قم الكبار من الشيعة القدماء [المحاربين للغلوّ والغلاة] مقصِّرين في حق الأئمَّة!! ويخطِّئون عقيدة قدماء الشيعة ويعتبرون أنفسهم مكمِّلين لتلك العقيدة وأنهم أزالوا ما كان فيها من نقص!

ونجد هذا الأمر منعكسًا في عدّة مواضع لدى المرحوم «الممقاني» ذيل ترجمته لعدد من رجال الحديث في كتابه «**تنقيح المقال**»، ومن جملة ذلك قوله في كتابه «**مقباس الهداية**» [الملحق بكتاب تنقيح المقال] (ص٨٨) ما نصه:

---

(١) راجعوا كتابنا الحالي، مبحث الغلو والغلاة، فصل الغلاة أعظم الآفات وأخبث النكبات.

"ولقد أجاد المولى الوحيد البهبهاني حيث قال: «اعلم أن كثيرًا من القدماء سيَّما القمِّيِّين منهم وابن الغضائري كانوا يعتقدون للأئمَّة عليهم السلام منزلةً خاصَّةً من الرفعة والجلالة ومرتبةً معينةً من العصمة والكمال بحسب اجتهادهم ورأيهم، وما كانوا يجوِّزُون التعدِّي عنها، وكانوا يعدُّون التعدِّي ارتفاعًا وغلوًّا حسب معتقدهم، حتى أنهم جعلوا مثل نفى السهو عنهم غلوًّا، بل ربما جعلوا مطلق التفويض إليهم أو التفويض الذي اختُلِفَ فيه كما سنذكر أو المبالغة في معجزاتهم ونقل العجائب من خوارق العادات عنهم أو الإغراق في شأنهم وإجلالهم وتنزيههم عن كثير من النقائص وإظهار كثرة القدرة لهم وذكر علمهم بمكنونات السماء والأرض ارتفاعًا أو مُوْرِثًا للتهمة به سيَّما بجهة أن الغلاةَ كانوا مختفين في الشيعة مخلوطين بهم مُدَلِّسِين "»[1].

وقال العلامة الممقاني في «**تنقيح المقال**» (ج ٣، ص ٢٣٠) ضمن ترجمه «المعلَّى بن خُنَيْس»: "**إن ما يُعدّ اليوم من ضروريات المذهب في أوصاف الأئمَّة عليهم السلام كان القول به معدودًا في العهد السابق من الغُلوِّ والارتفاع، ويُطعن بالقول به أوثق الرجال ويُرمون بالغلوّ**".

وقال ذيل ترجمته لـ«محمد بن الفرات» (ص ١٧٠) ما حاصله أن «الكشي» روى في ترجمته لـ«محمد بن الفرات» حديثين أظن أن قصده من روايتهما الاستدلال على غلوه، هذا **مع أنه ليس في الحديثَيْن ما يدل على الغلو لأن مضمونهما يُعدُّ اليومَ من ضروريات المذهب!!**".

وقال ذيل ترجمته لـ «محمد بن سنان» (ج٣، ص١٢٥): "وقد بينّا مرارًا عديدة أنه لا وثوق لنا برميهم رجلاً بالغلوّ، **لأن ما هو الآن من الضروري عند الشيعة في مراتب الأئمَّةعليهم السلام كان يومئذ غلوًّا، حتى أن مثل الصدوق (ره) عد نفي السهو عنهم عليهم السلام غلوًا مع أن نفي السهو عنهم اليوم من ضروريات مذهبنا** ".

مثل هذا الكلام نشاهده في أماكن متعددة من كتابه «**تنقيح المقال**» حيث يعتبر مثل هذه

---

(١) الأستاذ علي أكبر غفاري، تلخيص مقباس الهداية للعلامة المامقاني، ص١٥٢. (تر)

العقائد الغالية من ضروريات المذهب في حين يعتبر أن القميين كانوا مقصرين في معرفة الأئمَّة!!

هذا في حين أنه ورد عن الأئمَّة عليهم السلام الكثير من المدح والثناء على شيعة قم إلى حد أن المجلسي أورد في المجلد ١٤ من بحار الأنوار (من ص٢٢٧ إلى ٢٤١) أكثر من أربعين حديثًا عن أئمة أهل البيت في مدحهم، من ذلك قول الإمام الصادق عليه السلام: **"سَلَامُ اللهِ عَلَى أَهْلِ قُمَّ يَسْقِي اللهُ بِلَادَهُمُ الغَيْثَ وَيُنْزِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ البَرَكَاتِ وَيُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ هُمْ أَهْلُ رُكُوعٍ وَسُجُودٍ وَقِيَامٍ وَقُعُودٍ هُمُ الفُقَهَاءُ العُلَمَاءُ الفُهَمَاءُ هُمْ أَهْلُ الدِّرَايَةِ وَالرِّوَايَةِ وَحُسْنِ العِبَادَةِ "**(١).

فهل هؤلاء كانوا مقصِّرين في الأئمَّة! أما غلاة الكوفة وبغداد الذين تلوثت عقائدهم بآلاف الأوهام والخرافات كانوا شيعة كاملين في تشيعهم!؟

وإذا وُجد في بعض الأخبار أحيانًا ذمٌّ للقميين فإنه كان ذمًّا لغلاتهم مثل «علي بن حسكه» و«القاسم بن يقطين» كما جاء في رجال الكشي (ص٤٣٨): "وذكر أبو محمد الفضل بن شاذان في بعض كتبه: إن من الكذابين المشهورين ابن بابا القمي". وطبقًا لما رواه سعدٌ، كتب الإمام العسكري عليه السلام بشأنه: "أبرأ إلى الله من الفهري والحسن بن محمد بن بابا القمي". وسبب البراءة واضح وهو أنهم كانوا من الغلاة!

إذن فتخطئة شيعة قم ونسبة التقصير إليهم أمر بعيد عن الإنصاف والقول بأن مذهب الشيعة كان في زمنهم ناقصًا وأصبح اليوم كاملاً قول خاطئ تمامًا. وليت شعري! كيف يكون الذين عاصروا الأئمَّة وعاشروهم مقصِّرين في معرفتهم لأنهم كانوا يرفضون ما يُنسب إليهم من معجزات خارجة عن المنطق وادعاءات بعيدة عن العقل والشرع، أما الذين جاؤوا بعد مئات السنين ولم يروا الأئمَّة ولا كانوا معاصرين لهم وتأثروا بآلاف الخرافات والأوهام التي شاعت مع الزمن، ولا يعلم إلا الله أيّ سياسات كانت وراء نشرها، يكونون

---

(١) المجلسيُّ، «**بحار الأنوار**»، ج ٥٧/ ص ٢١٧. (تر)

عارفين بالأئمَّة وكاملين في تشيُّعهم لأنهم يقولون بمثل هذه العقائد الباطلة في حقهم؟! اللهم إلا أن يقول قائل -والعياذ بالله- إن نبيًا آخر جاء وأكمل مذهب شيعة زمن الأئمَّة الذي كان ناقصًا، أي أوصله إلى الغلوّ الذي نجده اليوم! نعوذ بالله من هذه الضلالة ونسأله الهداية لنا ولجميع المؤمنين.

٣- العالم الآخر من علماء الشيعة الكبار الذي لم يكن قائلاً بعلم الأئمَّة بالغيب، فضلاً عن علم أي أحد سواهم، هو المرحوم «**محمد بن أحمد بن الجُنَيْد**»، الذي أشرنا سابقًا إليه، وكان يعيش زمن سلاطين بني بويه خاصة معزّ الدولة الديلمي. وقد كان معز الدولة فضلاً عن أنه كان صاحب منصب الرئاسة كان أيضًا عالمًا وشديد التشيع بحيث أنه في زمن خلافة الطائع لِلَّهِ العباسي كان يحض أهالي بغداد يوم عاشوراء على الخروج في مواكب النواح وعزاء سيد الشهداء عليه السلام ويحثُّ الناس في عيد الغدير على الاحتفال وتبادل التهاني وكان يخرج بالناس إلى المصلَّى خارج المدينة لأجل إقامة صلاة عيد الفطر.

وكان الشيخ ابن الجنيد مُعزَّزًا ومُكرَّمًا جدًّا لديه. ورغم ذلك كان الشيخ ابن الجنيد يرى أن الأئمَّة عليهم السلام يفتون باجتهادهم واستعمالهم للرأي كما ذكر ذلك في كتبه، بل ألَّف كتبًا خاصَّةً للردّ على مخالفيه ممن لا يعتبرون مثل هذا الكلام في حقِّ الأئمَّة صحيحًا فانتقد قولهم ودافع عن قوله، ومن جملة ذلك كتابٌ ألَّفه لهذا الغرض وعَنْوَنَهُ بـ «**إظهار ما ستره أهل العناد من الرواية عن أئمة العترة في أمر الاجتهاد**». وكتاب آخر كذلك سماه «**كشف التمويه والإلباس على أغمار الشيعة في أمر القياس**» حيث أثبت فيه صحة استخدام الأئمَّة للقياس في استنباط الأحكام حسب عقيدة الشيعة.

وقد أشكلت هذه العقيدة على بعض علماء الشيعة المتأخّرين، بيد أن العلامة الطباطبائي (= بحر العلوم) برَّرها وقال: "**وأما إسناد القول بالرأي إلى الأئمَّة فلا يمتنع أن يكون كذلك في العصر المتقدّم**". وكما ذكرنا سابقًا كان الشيعة القدماء وأصحاب الأئمَّة لا يعتبرون الأئمَّة عليهم السلام سوى علماء أبرار!!

٤- من علماء الشيعة الكبار الآخرين الذين كانوا لا يعتقدون بعلم الأئمَّة عليهم السلام

بالغيب الشيخ الجليل المرحوم «**محمد بن محمد بن النعمان الحارثي**»[1] المعروف بـ«**الشيخ المفيد**» (توفي ٤١٣ هـ)، وفيما يلي نذكر عقيدته في هذه المسألة من كتبه المختلفة:

أ) أورد المرحوم العلامة المجلسيّ في كتابه الفريد «**مرآة العقول**» ما يلي:

"سُئِلَ الشيخُ المفيد قدَّسَ اللهُ رُوحَهُ في المسائل العكبرية: الإمامُ عندنا مجمعٌ على أنه يعلم ما يكون، فما بالُ أمير المؤمنين عليه السلام خرج إلى المسجد وهو يعلم أنه مقتول وقد عرف قاتله والوقت والزمان؟ وما بالُ الحسين بن علي عليهما السلام سار إلى الكوفة وقد علم أنهم يخذلونه ولا ينصرونه وأنه مقتول في سفرته تلك؟ وَلِمَ لَمَّا حُصِرُوا وعرف أن الماء قد مُنِعَ منه وأنه إن حفر أذرعًا قريبةً نبع الماء لم يحفر وأعان على نفسه حتى تلف عطشًا؟ والحسنُ وادَعَ معاويةَ وَهَادَنَهُ وهو يعلم أنه ينكث ولا يفي ويقتل شيعة أبيه؟

فأجاب الشيخ (ره) عنها بقوله: «وأما الجواب عن قوله: (إن الإمام يعلم ما يكون) **فإجماعنا أن الأمر على خلاف ما قال، وما أجمعت الشيعة على هذا القول**، وإنما إجماعهم ثابت على أن الإمام يعلم الحُكْمَ في كلِّ ما يكون دون أن يكون عالمًا بأعيان ما يحدث ويكون على التفصيل والتمييز، وهذا يسقط الأصل الذي بنى عليه الأسئلة بأجمعها، ولسنا نمنع أن يعلم الإمام أعيان ما يحدث، ويكون[2] بإعلام الله تعالى [له] ذلك، **فأمّا القول بأنه يعلم كلَّ ما يكون فلسنا نُطلقه ولا نصوِّب قائله، لدعواه فيه من غير حجَّة ولا بيان**. [والقول: بأن أمير

(١) هو الشيخ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَان العكبري البغدادي (٣٣٦-٤١٣هـ)، المشهور بالشيخ المفيد ويعرف بابن المعلِّم، شيخ متكلِّمي وفقهاء الشيعة الإمامية في عصره بلا منازع. كان ذا نفوذ كبير بين الشيعة في بغداد، وكان أستاذًا للسيد المرتضى وللشيخ الطوسي وللنجاشي، وكان عضد الدولة البويهي يزوره ويجلُّه. ترك ما يربو على مئتي مؤلَّف في مختلف المواضيع، من أشهرها «تصحيح الاعتقاد»، و«أوائل المقالات»، في العقائد، و«المقنعة» في الفقه، و«الأمالي» أو «المجالس» و«الاختصاص» في الحديث والأخبار، و«الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد» في سيرة النبي والأئمَّة. كان يوم وفاته يومًا مهيبًا إذ خرج في تشييع جثمانه أكثر من ثمانين ألفًا من شيعة بغداد وأهاليها. (تر)

(٢) أي: ويكون علمه.

المؤمنينعليه السلام كان يعلم قاتِلَه والوقت الذي كان يُقْتَلُ فيه فقد جاء الخبر متظاهرًا أنه كان يعلم في الجملة أنه مقتول، وجاء أيضًا بأنه يعلم قاتله على التفصيل، فأمّا علمه بوقت قَتْلِهِ فلم يأتِ عليه أثرٌ على التحصيل، ولو جاء به أثرٌ لم يلزم فيه ما يظنُّه المعترضون، إذْ كان لا يمتنع أن يتعبَّدَه اللهُ تعالى بالصبر على الشهادة والاستسلام للقتل، ليبلغه بذلك علوّ الدرجات مالا يبلغه إلا به، ولعلمه بأنه يطيعه في ذلك طاعةً لو كلَّفها سواه لم يردَّها، ولا يكون بذلك أمير المؤمنين عليه السلام ملقيًا بيده إلى التهلكة، ولا مُعينًا على نفسه معونةً تُسْتَقْبَحُ في العقول]. **وأما علم الحسينعليه السلام بأن أهل الكوفة خاذلوه، فلسنا نقطع على ذلك، إذْ لا حُجَّةَ عليه من عَقْل ولا سَمْع...** "[1].

ب) وقال المرحوم «المفيد» في كتابه «**الإرشاد**»: "**فَأَقْبَلَ الْحُسَيْنُ** عليه السلام **لَا يُشْعِرُ بِشَيْءٍ حَتَّى لَقِيَ الأَعْرَابَ فَسَأَلَهُمْ؟؟ فَقَالُوا: لَا وَاللهِ مَا نَدْرِي غَيْرَ أَنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَلِجَ وَلَا نَخْرُجَ فَسَارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ** عليه السلام... "[2].

ج) وجاء في «**بحار الأنوار**» (ج٧، ص ٣١٨) نقلاً عن كتاب «**المسائل العكبرية**» للشيخ المفيد قوله فيه: "**وَقد يجوز عندي أن تغيب عنه بواطن الأمور فيحكم فيها بالظواهر وَإن كانت على خلاف الحقيقة عند الله تعالى** "[3].

د) ويقول الشيخ المفيد في كتابه «**أوائل المقالات**» (ص ٣٨):

"**فأما إطلاق القول عليهم بأنهم يعلمون الغيب فهو مُنْكَرٌ بيِّنُ الفساد، لأن الوصف بذلك إنما يستحقه من علم الأشياء بنفسه لا بعلم مستفاد، وهذا لا يكون إلا لِلَّهِ -عزَّ وجلَّ -، وعلى قولي هذا جماعة أهل الإمامة إلا من شذَّ عنهم من المفوِّضَة ومن انتمى إليهم من الغلاة** "[4].

---

(١) المجلسيُّ، «**مرآة العقول**»، الطبعة الجديدة، ج٣، ص ١٢٦.

(٢) الشيخ المفيد، «**الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد**»، قم، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، ١٤١٣هـ، ج٢/ ص٧٢. (تر)

(٣) المجلسي، **مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول**، ج٤، ص ٣٠١.

(٤) المجلسيُّ، «**مرآة العقول**»، الطبعة الجديدة، ج٣، ص ١١٨.

إذا كان الأمر كذلك فقد تبيَّن معنا أن من يقول بعلم الأئمَّة بالغيب هل يُعَدُّ من الشيعة الحقيقيين أم من الغلاة والمشركين؟؟

هـ) وفي كتاب «**العيون والمحاسن**» للشيخ المفيد حكاية مناقشة قام بها الشيخ المفيد مع شيخٍ مِنْ حُذَّاق المعتزلة وَأهل التديُّن بمذهبهم سأله فيها الأخير عن سبب الغيبة (غيبة الإمام الثاني عشر) وتفسيرها، فأجابه الشيخ المفيد أن سببها هو أن «الإمام في تقيَّة من أعدائه لا محالة وَهو أيضًا في تقيَّة من كثير من الجاهلين به...»، فسأله الشيخ المعتزلي: «أخبرني الآن إذا لم يكن الإمام في تقية منك فما باله لا يظهر لك فيعرفك نفسه بالمشاهدة وَيريك معجزة وَيبين لك كثيرًا من المشكلات ويؤنسك بقربه وَيعظم قدرك بقصده، وَيشرفك بمكانه إذا كان قد أمن منك الإغراء به وَتيقن ولايتك له ظاهرة وَباطنة؟!».

فأجاب الشيخ المفيد: «**فقلت له: أول ما في هذا الباب أنني لا أقول لك إن الإمام**(عليه السلام) **يعلم السرائر وَإنه مما لا يخفى عليه الضمائر فتكون قد أخذت رهني بأنه يعلم منِّي ما أعرفه من نفسي وَإذا لم يكن ذلك مذهبي وَكنت أقول إنه يعلم الظواهر كما يعلم البشر، وإن عَلِمَ باطنًا فبإعلام الله عز وجل له خاصة على لسان نبيه** (عليه السلام) **بما أودعه آباؤه** (عليهم السلام) **من النصوص على ذلك** أو بالمنام الذي يصدق وَلا يخلف أبدًا أو لسبب أذكره غير هذا، فقد سقط سؤالك من أصله، **لأن الإمام إذا فَقَدَ علم ذلك من جهة الله عز وَجل أجاز عليَّ ما يجيزه على غيري ممن ذكرت فأوجبت الحكمة تَقِيَّتَهُ مني**، وَإنما تَقِيَّتُهُ منِّي على الشرط الذي ذكرت آنفًا، ولم أقطع على حصوله لا محالة، وَلم **أقل إن الله عزَّ وَجلَّ قد أَطْلَعَ الإمامَ عَلَى باطني وَعرَّفه حقيقة حالي قطعًا**»[1].

تلك الاقتباسات الخمسة من كلام وكتب المرحوم الشيخ «المفيد» حول نفي علم الأئمَّة بالغيب، صرَّح بها في كتبه واطَّلع عليها الصديق والعدو وسُجِّلت في الكتب التي وصلت إلينا عنه. فالاقتباس الأول يبيِّن أن «المفيد» كان يوضِّح للشيعة أن الإمام لا يعلم الغيب ويُظْهِر أنه قال ذلك خلال مجادلته لأهل السنة. ولا يخفى أن المرحوم «الشيخ المفيد» كان من

(١) الشيخ المفيد، «**الفصول المختارة من العيون والمحاسن**»، ص ١١٣-١١٤. (تر).

أصلب وأشد الشيعة اعتقادًا بطهارة الأئمَّة وعصمتهم وعلمهم كما تشهد بذلك آثاره الموجودة اليوم، وهو ذاته الذي كتب ردًا شديدًا وعنيفًا حتى أنه خرج فيه عن رعاية الأدب والاحترام على شيخه وأستاذه المرحوم الصدوق (ره) في موضوع «سهو النبي»، حتى أن «المفيد» اتهم أستاذه «الصدوق» وشيخ أستاذه أي الشيخ «محمد بن الحسن بن الوليد» [اللذان يثبتان وقوع السهو من النبي] بأنهما حشويَّان. ومع هذا كانت عقيدة الشيخ المفيد ما بيَّنَّاه من نفي علم الأئمَّة بالغيب.

إذا كان الأمر كذلك فماذا يقول المساكين الضالون الذين يدَّعون هذه الأوهام والخرافات المغالية اليوم؟! هل يريدون بأباطيلهم وزخرف قولهم أن ينشئوا عقيدة جديدة لشيعة آخر الزمان ويُكمِّلوا مذهبهم القديم الذي يعتبرونه ناقصًا؟!

٥- كان المرحوم السيد **المرتضى علم الهدى** (ره) الذي كان من أعلام الشيعة الكبار، من منكري علم الأئمَّة بالغيب أيضًا[١]، وقد قال في كتابه المعروف «**تنزيه الأنبياء**» (ص ١٧٦ من طبعة سنة ١٣٥٢هـ) في إجابته عن إشكالية مسير الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء رغم معرفته بخيانة أهل الكوفة وغدرهم بأخيه، وأنه كيف استجاز أن يحارب بنفر قليل الجموع العظيمة حتى أدّى ذلك إلى استشهاده؟ فقال السيد المرتضى مجيبًا عن هذا الإشكال:

"قلنا: قد علمنا أن الإمام **متى غلب في ظنِّه** يصل إلى حقه والقيام بما فُوّض إليه بضرب من الفعل، وجب عليه ذلك وإن كان فيه ضرب من المشقَّة يتحمل مثلها تحملها، وسيدنا أبو عبد الله عليه السلام لم يسر طالبًا للكوفة إلا بعد توثّقٍ من القوم وعهودٍ وعقودٍ، وبعد أن كاتبوه عليه السلام طائعين غير مكرهين ومبتدئين غير مجيبين. وقد كانت المكاتبة من وجوه أهل الكوفة وأشرافها وقرائها،... وأعادوا المكاتبة بذلوا الطاعة وكرَّروا الطلب والرغبة. ورأى عليه السلام من قوّتهم على من كان يليهم في الحال من قبل يزيد، وتشحّنهم عليه وضعفه عنهم، **ما قوّى في ظنه أن المسير هو الواجب**، تعيَّن عليه ما فعله من الاجتهاد والتسبب، **ولم يكن في حسابه أن**

(١) راجع نهاية مبحث «**عقيدة أصحاب الأئمَّة فيهم** عليهم السلام» في الكتاب الحاضر، وما نقلناه عنه أيضًا مما قاله في كتابه «**الشافي في الإمامة**».

القوم يغدر بعضهم، ويضعف أهل الحق عن نصرته ويتفق بما اتفق من الأمور الغريبة.....

وأما مخالفة ظنّه عليه السلام لظنّ جميع من أشار عليه من النصحاء كابن عباس وغيره، فالظنون إنما تغلب بحسب الإمارات. وقد تَقْوَى عند واحد وَتَضْعُفُ عند آخر، لعلَّ ابن عباس لم يقف على ما كوتب به من الكوفة، وما تردَّد في ذلك من المكاتبات والمراسلات والعهود والمواثيق. وهذه أمور تختلف أحوال الناس فيها ولا يمكن الإشارة إلا إلى جملتها دون تفصيلها ".

كما نرى، فضلاً عن عدم اعتقاد السيد المرتضى بعلم الإمام بالغيب، **كان يرى أن أعمال الأئمَّة عليهم السلام تستند إلى الظن والاجتهاد.** وسبق أن نقلنا عنه أنه حتى على تفسير علم الغيب باطلاع الله تعالى الإمام على كل شيء، كان السيد المرتضى لا يرى ذلك ولا يرى أنه من اللازم للإمام أن يعلم كل شيء مما لا علاقة له بالحكم[1].

٦- الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي[2] (ره) (توفي ٤٦٠هـ وكان يُلقّب بشيخ الطائفة) كان أيضًا عالمًا جليلاً آخر من علماء الشيعة الكبار وفقهائهم الذين لم يكونوا يعتقدون بعلم الإمام بالغيب، وقد أوردنا سابقًا تصريحه بنفي علم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالغيب[3]

(١) تُنْظَر الحاشية السابقة.

(٢) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ)، المعروف بشيخ الطائفة. قال عنه العلامة الحلي في الخلاصة (ص١٤٨): «شيخ الإمامية، ورئيس الطائفة، جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة، عين، صدوق، عارف بالأخبار والرجال والفقه والأصول والكلام والأدب وجميع الفضائل تنسب إليه، صنَّف في كل فنون الإسلام، وهو المهذِّب للعقائد في الأصول والفروع. الخ» انتهى. وهو صاحب كتابين من كتب الحديث الرئيسية الأربعة لدى الإمامية، هما «تهذيب الأحكام» و«الاستبصار فيما اختلف من الأخبار»، وكتابين من الكتب الرجالية الخمسة الرئيسية لدى الإمامية هما «الرجال» و«الفهرست»، وله في العقائد «تلخيص الشافي في الإمامة»، وفي الفقه: «النهاية» و«المبسوط» وفي الفقه المقارن «الخلاف» وفي تفسير القرآن «التبيان». وفي أصول الفقه: «تمهيد الأصول» و«عدة الأصول». (تر)

(٣) تُنْظَر بداية فصل (موقف القرآن والأئمة من دعوى علم الأئمَّة بالغيب) من الكتاب الحالي.

الذي بيَّنه في أكثر من موضع من تفسيره «**التِّبْيان**»، وأما عقيدة الشيخ الطوسي بشأن علم الإمام بالغيب فهي مطابقة لعقيدة شيخه وأستاذه السيد المرتضى، لأنه أورد عين عبارات شيخه في كتابه «**تلخيص الشافي**» (ص ٤٠٠) فقال: "**عَلَى أنَّ الحسين** عليه السلام **أظهر الخلاف [ليزيد] لما وجد بعض الأعوان عليه وطمع في معاونة من خذله، وقعد عنه، ثم إنَّ حاله آلت - مع اجتهاده** عليه السلام **واجتهاد من اجتهد معه في نصرته- إلى ما آلت إليه** "[(١)].

ويقول الشيخ الطوسي أيضًا في كتابه المذكور: "**ولم نوجب أن يكون [الإمام] عالمًا بما لا تعلُّق له بالأحكام الشرعية** "[(٢)].

٧- من علماء الشيعة الإمامية الكبار الآخرين الذين لم يكونوا يقولون بعلم النبي ﷺ والأئمَّة بالغيب المرحوم **الشيخ الطبرسي**[(٣)] (توفي ٥٤٨هـ) صاحب تفسير «**مجمع البيان**»، إذ يقول ذيل تفسيره لقوله تعالى في سورة هود: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [هود: ١٢٣] . ما نصُّهُ:

"ووجدتُ بعض المشايخ ممن يتَّسم بالعدوان وَالتشنيع قد ظلم الشيعة الإمامية في هذا الموضع من تفسيره، فقال: هذا يدلُّ على أنَّ الله سبحانه يختصُّ بعلم الغيب خلافًا لما تقول الرافضة أن الأئمَّة يعلمون الغيب! ولا شك أنه عنى بذلك من يقول بإمامة الاثني عشر وَيدين بأنهم أفضل الأنام بعد النبي ﷺ فإن هذا دأبه وَديدنه فيهم يشنِّع في مواضع كثيرة من كتابه عليهم وَينسب الفضائح وَالقبائح إليهم، وَ**لا نعلم أحدًا منهم استجاز الوصف بعلم الغيب لأحد من الخلق فإنما يستحق الوصف بذلك من يعلم جميع المعلومات لا بعلم**

---

(١) الشيخ الطوسي، «**تلخيص الشافي**»، الطبعة الحديثة في قم، ج ٣، ص ٨٦. (تر)

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص٢٥٢.

(٣) هو الشيخ أمين الإسلام أبو على الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨ هـ)، مفسِّر ومحقِّق ولغوي بارع ومن علماء الشيعة الإمامية البارزين في القرن السادس الهجري، اشتُهر بتفسيره القيِّم «مجمع البيان في تفسير القرآن والفرقان» الذي طبع مرارًا، واختصاره المسمى «جوامع الجامع». وله في السِّيَر كتاب «إعلام الورى بأعلام الهدى». توفي في سبزوار، ونقل إلى المشهد الرضوي. (تر)

مستفاد وَهذه صفة القديم سبحانه العالم لذاته لا يشركه فيها أحد من المخلوقين وَمن اعتقد أن غير الله سبحانه يشركه في هذه الصفة فهو خارج عن ملّة الإسلام. فأمّا ما نقل عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وَرواه عنه الخاص وَالعام من الإخبار بالغائبات في خطب الملاحم وغيرها..... فإن جميع ذلك مُتَلَقَّى عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم مما أطلعه الله عليه فلا معنى لنسبة من روي عنهم هذه الأخبار المشهورة إلى أنه يعتقد كونهم عالمين للغيب "[1].

وقال أيضًا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٦٨﴾ [الأنعام: ٦٨]. ما نصُّهُ:

"قال الجبّائي وَفي هذه الآية دلالة على بطلان قول الإمامية في جواز التقية على الأنبياء وَالأئمَّة وَأن النسيان لا يجوز على الأنبياء!

وهذا القول غير صحيح ولا مستقيم، لأن الإمامية إنما تُجوِّز التقيَّة على الإمام فيما تكون عليه دلالة قاطعة توصل إلى العلم ويكون المكلَّف مزاح العلَّة في تكليفه ذلك، فأمَّا ما لا يعرف إلا بقول الإمام من الأحكام وَلا يكون على ذلك دليل إلا من جهته فلا يجوز عليه التقيَّة فيه. وَهذا كما إذا تقدم من النبيِّ بيانٌ في شيء من الأشياء الشرعية فإنه يجوز منه أن لا يبيِّن في حال أخرى لأمته ذلك الشيء إذا اقتضته المصلحة.

وأما النسيان وَالسهو فلم يجوزوهما عليهم فيما يؤدُّونه عن الله تعالى فأما ما سواه فقد جوَّزُوا عليهم أن ينسوه أو يسهوا عنه ما لم يؤدِّ ذلك إلى إخلال بالعقل وكيف لا يكون كذلك وَقد جوَّزُوا عليهم [أي عَلَى النبيِّ والأئمَّة] النوم وَالإغماء وهما من قبيل السهو؟! فهذا ظنٌّ منه فاسدٌ، وإِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ". انتهى.

هذا التصريح من الشيخ الطبرسي (ره) بجواز السهو والنسيان على النبيِّ والأئمَّة، كان

(١) الطبرسي، تفسير «مجمع البيان»، ط١، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ج٥/ ص٣٥٢-٣٥٣. (تر)

ثقيلاً عسير الهضم على علماء الشيعة زمن الصفوية حتى أن المجلسيَّ علَّق عليه -بعد أن أورده في المجلد الثامن من «**بحار الأنوار**» في «باب سهوه ونومه عن الصلاة» - قائلاً:

"وفيه من الغرابة ما لا يخفى فإنَّا لم نرَ من أصحابنا من جوَّزَ عليهم السَّهْوَ مطلقًا في غير التبليغ. وَإنَّما جوَّز الصدوق وشيخه الإسهاء من الله لنوع من المصلحة. وَلم أرَ مَنْ صرَّح بتجويز السهو الناشئ من الشيطان عليهم مع أن ظاهر كلامه يوهم عدم القول بنفي السهو مطلقًا بين الإمامية إلا أن يُقال مراده عدم اتفاقهم على ذلك، وَأما النوم فستعرف ما فيه فالأصوب حمل الآية على أن الخطاب للنبي ﷺ ظاهرًا وَالمراد غيره!! "(١).

٨- من علماء الشيعة الأعلام الآخرين الذين لم يكونوا يعتقدون بعلم الأئمَّة عليهم السلام بالغيب وليس هذا فحسب بل كانوا يعُدُّون القول بذلك بمنزلة الكفر: حضرة الصدر الإمام وركن الإسلام سلطان العلماء ملك الوعاظ نصير الدين أبي الرشيد عبد الجليل ابن أبي الحسن **محمد بن أبي الفضل القزويني والرازي** (كان حيًا سنة ٥٥٦ هـ). فقد قال في كتابه القيِّم «**بعض مثالب النواصب في نقض بعض فضائح الروافض**» (ص ٣٠٤ فما بعد) ما نصُّهُ: "إن ما ذكره [أي مؤلف كتاب بعض فضائح الروافض]، وما أورده «محمد بن النعمان الأحوال» في كتاب له من أن الأئمَّة يعلمون جميعًا الغيب، وأنهم مطلعون على الغيب وهم في قبورهم إلى حد أنه لو قدم أحد إل زيارتهم يعلمون أنه منافق أو موافق وعدد الخطوات التي قطعها ويعلمون أسماء كل شخص [غير صحيح]. بل إن ما ذكره من كلام لا معنى له وبعيد عن العقل ومخالف للشرع والنقل لأن القرآن الكريم وإجماع المسلمين على أن الغيب مختص بالله تعالى وحده، ﴿فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧﴾ [طه: ٧]، ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]، ﴿فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦﴾ [الجن: ٢٦]، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام: ٥٩]، والنبي المصطفى ﷺ على جلال قدره وعلوِّ منزلته ودرجة نبوَّته، لم يكن يعلم وهو حيٌّ في مسجد المدينة بما يجري في أسواقها وأحوالها الأخرى طالما لم يأته جبريل ويخبره بذلك، والأئمَّة ليس لهم درجة الأنبياء وقد

(١) المجلسيُّ، **بحار الأنوار**، الطبعة الجديدة ج ١٧، ص ٩٨.

رقدوا في أرض خراسان وبغداد والحجاز وكربلاء وتحرَّروا من قيد الحياة، فكيف يعلمون أحوال أهل العالم؟! إن هذا القول بعيدٌ عن العقل والشرع، ولم يقل به إلا جماعة من الحشوية ألصقوا أنفسهم بهذه الطائفة، ونحمد الله أنه لم يبق منهم إلا القليل وقد تبرأ أصوليو الشيعة وتبرؤوا من مثل هذه الدعاوي فلا مجال لأي مجبرٍ أو مشبِّهٍ أن يطعن بالشيعة من هذا الباب". انتهى.

ثم ذكر في الكتاب ذاته (ص٢٧٦) القصة المكذوبة حول الدائن الذي كان له دين على أبي بكر فرجع إلى «محمد بن أبي بكر» ليطالبه بالمبلغ فقال علي عليه السلام لمحمد بن أبي بكر شُقّ محراب أبيك وأعطه الصنم الذي تجده هناك! فعلَّق الشيخ الجليل على هذه الحكاية قائلاً: "لم يكن عليًّا يعلم الغيب فكيف عرف أن هناك صنمًا مخبًا في ذلك المكان؟! ".

٩- من علماء الشيعة الأعلام الآخرين الذين لم يكونوا يعتقدون بعلم الأئمَّة بالغيب الشيخ رشيد الدين **محمد بن شهرآشوب المازندراني** المتوفى عام ٥٨٦هـ[1] حيث يقول في كتابه «**متشابه القرآن ومختلفه**» (طبع طهران، ج١، ص٢١١) ما نصُّهُ:

"النبيّ والإمام يجب أن يعلما علوم الدين والشريعة ولا يجب أن يعلما الغيب وما كان وما يكون، لأنّ ذلك يؤدّي إلى أنّهما مشاركان للقديم تعالى في جميع معلوماته، ومعلوماته لا تتناهى، وأيضًا يجب أن يكونا عالمين لأنفسهما وقد ثبت أنّهما عالمان بعلم محدَث والعلم لا يتعلّق على التفصيل إلا بمعلوم واحد، ولو علما ما لا يتناهى لوجب أن يعلما وجود ما لا

(١) ابن شهرآشوب المازندراني، من علماء الشيعة الإمامية وفقهائهم ومحدثيهم البارزين في القرن السادس الهجري، (٤٨٩ هـ- ٥٥٨هـ)، طاف البلدان يتلقى العلم عن علماء الشيعة والسنة في عصره. من أشهر كتبه: «مناقب آل أبي طالب عليهم السلام» و«متشابه القرآن ومختلفه» وكتاب «أسباب النزول». ترجم له الصفدي في «الوافي بالوفيات»: فقال إنه حفظ القرآن وله ثمان سنين وبلغ النهاية في أصول الشيعة، وكان يُرحَل إليه من البلاد، ثم تقدم في علم القرآن والغريب والنحو، وَوعظ على المنبر أيام المقتفي ببغداد فأعجبه وخلع عليه.... كان واسع العلم كثير الخشوع والعبادة والتهجد...اهـ.، تُوُفِّيَ في حلب شمال سورية، سنة ٥٥٨هـ ودفن بها. (تر)

يتناهى من المعلومات وذلك محال...".

أقول: يا ليت آية الله عظمى زماننا (صاحب كتاب **أمراء الكون**) يفهم هذه الأمور!

١٠- ذكرنا في هذا الفصل أسماء تسعة أشخاص من علماء الشيعة الكبار وفقهائهم الأعلام قبل زمن الصفوية الذين عاشوا على أكثر حد إلى القرن السادس الهجري ولم يكونوا يعتقدون أبدًا بعلم الأئمَّة بالغيب، وبيّنا عقيدتهم بما يكفي، كي يتبيّن أن الشيعة الأطهار المتقدمين كانوا بريئين من مثل هذه العقائد، وكان بإمكاننا أن نذكر أسماء علماء آخرين لكن لما كانت طريقتنا أن نذكر في كل فصل عشرة أدلة لذا اكتفينا بمن ذكرناهم وتركنا الشخص العاشر لأحد العلماء المعاصرين كي يُعلَم أنه حتى بعد سيطرة الصفوية كانت لا تزال عقيدة علماء الشيعة الكبار المحققين في القرون الأخيرة هي كذلك [أي نفي علم الأئمَّة بالغيب]، إلا أن الخوف من العوام جعل كثيرًا من الشيوخ وأنصاف العلماء يحجمون عن إبراز هذه العقيدة، كما نشاهد نحن أيضًا هذه الأوضاع الصعبة وخنق الحريات في زمننا هذا رغم أننا نعيش بما يسمى عصر التنوير وحرية الأفكار! ومع ذلك لو بحثنا في آثار كبار علمائنا لم نعدم عبارات تدل على قولهم بهذه الحقيقة وإيمانهم بها وأن ما أظهروه لم يكن إلا قطرة من بحر ما يموج في صدورهم ورشحة مما يؤمنون به في قلوبهم، وسنذكر مثالاً واحدًا هو غيض من فيض ألا وهو جملة لحضرة العَلَمِ العَيْلَم وَالبحر الخضمّ خاتم المجتهدين **الشيخ محمد حسن النجفي**[1] (توفي سنة ١٢٦٦هـ) صاحب الكتاب الفقهي الموسوعي الكبير الذي لا نظير له: «**جواهر الكلام**»، حيث قال في كتاب «الطهارة» منه، في باب وزن «الكُرّ» وَمساحته التي وقع فيها الاختلاف، ما نصُّهُ:

"إن دعوى علم النبيِّ والأئمَّة (عليهم السلام) بذلك ممنوعة، ولا غضاضة لان علمهم (عليهم السلام)

(١) هو شيخ الفقهاء وإمام المحققين الفقيه الأصولي آية الله الشيخ «محمَّد حسن بن الشيخ باقر بن الشيخ عبد الرَّحيم» النجفي، انتهت إليه الرئاسة العامة ومرجعيَّة التقليد للشيعة الإمامية في عصره، وكان من أعاظم علمائهم المحقِّقين، اشتهر بالشيخ حسن الجواهري نسبةً إلى كتابه الفقهي الموسوعي المقارن: «جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام»، الذي طبع في أكثر من ٥٠ مجلدًا. توفي سنة ١٢٦٦هـ. (تر)

ليس كعلم الخالق عزَّ وجلَّ فقد يكون قَدَرُوهُ بأذهانهم الشريفة وأجرى اللهُ الحكمَ عليه ".

نعم، إن النبيّ والإمام الذي لا يعلم من الله حتى مقدار ماء الكر ومساحته كيف يعلم بأوزان بحار العالم والكائنات الموجودة فيها فضلاً عن أن يعلم بسائر كائنات عالم الوجود أو أن يكون علمه مما ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣]؟!.

ما ذكرناه كان أقوال عشرة من علماء الشيعة الكبار الذين لا تفتخر بهم طائفة الإمامية فحسب بل يفتخر العالم الإسلامي كلّه بوجودهم، وجميعهم كان يعتقد أن الأئمَّة عليهم السلام لم يكونوا يعلمون الغيب بل صرّح بعض أولئك العلماء أن الأئمَّة كانوا يجتهدون أحيانًا حتى في أحكام الدين ويعربون عن رأيهم الذي يستنبطونه من كتاب الله وسنة نبيه. ولو أردنا أن نذكر جميع الأسماء لعلماء الشيعة الآخرين ونبيّن عقيدتهم في موضوع عدم علم الأئمَّة بالغيب لطال بنا الكلام فنكتفي بما ذكرناه فهو كافٍ لأهل الإنصاف ومن أراد التوسع في ذلك فنحيله إلى الكتب الآتية:

١- **شرح نهج البلاغة**، لابن ميثم البحراني، ج ٣، ص ٢٠٩.

٢- **القوانين**، للميرزا القمي، بحث الخاص والعام.

٣- **الفصول المختارة**، للشيخ المفيد، ص٨٠.

٤- **الغدير**، للعلامة الأميني، ج ٥، ص٤٠٧.

٥- **أصل الشيعة وأصولها**، لمحمد حسين آل كاشف الغطاء، ص٩٣.

٦- **الشيعة والتشيع**، محمد جواد مغنية، فصل «**علوم الإمام**»، ص٤٣. وقد صرح في ذلك الفصل أن جميع الأخبار أو الأقوال التي تنسب إلى الأئمَّة علم الغيب يجب ردها ورفضها.

والعجيب أنه رغم كل آيات القرآن الكريمة وأخبار وأحاديث أهل البيت عليهم السلام وسيرهم ووقائع حياتهم، وعقيدة أصحابهم تلامذتهم وعقيدة أكبر علماء الشيعة المؤسسين الأعلام التي أوردنا على كل منها عشرة أمثلة والتي تبين بكل وضوح قاطع أن شيعة أهل

البيت الأطهار لم يكونوا يعتقدون بتلك العقائد السخيفة التي يقول بها غلاة آخر الزمن في عصرنا بل كانوا يعارضونها وينفونها بشدة، ومع هذا نجد أنه بمجرد أن قام أستاذ فاضل[١] بتأليف كتاب «**شهيد جاويد**» [الشهيد الخالد] أو قام عالم آخر[٢] بكتابة «**درسي از ولايت**» [درس عن الولاية]، وبيّنَا عدم صحّة تلك الأوصاف التي ينسبها الغلاة إلى الأئمَّة [ومن جملة ذلك نسبة علم الغيب إليهم] وأخرجا الأئمَّة ولو قليلاً عن حدّ الغلوّ، ثارت ضدهما ضجة وجلبة شديدة من الخاص والعام -كما أشرنا إلى ذلك من قبل- مما لم يكن ليحصل مثله وبشدّته لو كانا قد أنكرا الله واليوم الآخر!! وكُتِبت في الردّ عليهما كتبٌ عديدةٌ وصدرت فتاوى لا سابق لها! والأعجب من ذلك أن بعض الأشخاص المعروفين[٣] نشروا رسائل باسم «**علم الإمام**» خلطوا فيها أقاويل الفلاسفة وأهل العِرفان[٤] بتعاليم الإسلام وروَّجوا لأفكار الغلاة بثوب فلسفيٍّ عِرفانيٍّ جميل! ولا يدري أحدٌ ما هو الداعي إلى هذا العمل وما هي فائدة إصرار البعض على إثبات علم الغيب للأئمَّة؟!

الدافع نحو هذا التفكير المُغَالي المُفْتَقِر إلى الدليل

في رأينا إن السبب الأساسي لهذا النمط من التفكير، كان منذ أول يوم ذات الدافع إلى الغلو الموجود لدى عامة الناس والناشئ من خُلُق الكِبْر والاستكبار، إضافةً إلى دوافع المغرضين الذين يعملون على تقوية العقائد المغالية بهدف تخريب الدين وإفساد قوانينه، وقد اختلط هذا الدافع اليوم بسياسات أعداء الإسلام الماكرة.

---

(١) يقصد العلامة آية الله نعمة الله صالحي نجف آبادي الذي توفي عام ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

(٢) يقصد آية الله العلامة السيد أبو الفضل البرقعي المتوفى سنة ١٩٩٢م.

(٣) يقصد العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب تفسير الميزان [٢٠ مجلدًا]، المتوفى سنة ١٤١٢هـ.

(٤)المقصود بأهل العرفان علماء التصوّف النظري، أو فلاسفة الصوفية أمثال محيي الدين بن عربي وصدر الدين محمد بن إسحق القونوي ومن المتأخرين الملا صدرا والملا هادي السبزواري وأمثالهم. (تر)

أي أن بعض الناس في الحقيقة كانوا يعتبرون أنه من العار عليهم أن يتّبعوا نبيًّا وإمامًا بشرًا مثلهم له الصفات البشرية ذاتها التي لهم!

والكِبْرُ والاستكبار من أخطر الأمراض الروحية لدى البشر، ويَجُرَّان الإنسان إلى أمراض معنوية أخرى أخطرها الإعراض عن اتِّباع الحقِّ وطاعته! وهذا المرض لا يدمر الإنسان فقط بل كان هو الذي دمَّر الشيطان وأطاح به من علياء الملائكة المقربين إلى حضيض أسفل السافلين!

ومرض التكبُّر والاستكبار هو أن يعتبر الإنسان نفسه عظيمًا وَمِنْ ثَمَّ يرى نفسه أكبر من أن يُطيع شخصًا مساويًا له أو أدنى منه في المال أو الجمال، حتى لو كان متفوِّقًا عليه في العلم والكمال المعنوي.

لو قرأنا تاريخ أنبياء الله وهداة البشرية ومرشديها العظام لرأينا أن معارضيهم وأعداءَهم كانوا دائمًا من المترفين الذين كان ثَرَاؤُهُم وما يملكونه من مال وبنين باعثًا لخُيَلائِهِم وافتخارهم بذلك وعنجهيَّتهم حتى أنهم كانوا يتصورون أن مقامهم، الذي نالوه بسبب امتلاكهم لكل تلك الثروات من بيوت وبساتين وأموال، أعلى من مقام الأنبياء! وَمِنْ ثَمَّ كانوا يستكبرون عن طاعة الأنبياء ويأنفون من اتباعهم(١).

هل حال بين الشيطان وبين إطاعته لأمر ربه في السجود لآدم سوى مرض التكبُّر والتعالي والاستكبار؟ يقول تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣٢ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٣٣﴾ [الحجر: ٣٢، ٣٣]. فعلة إباء إبليس أن يسجد لآدم كانت خلْقُ آدم من طين! وقد أوضح القرآن الكريم أن علّة هذا التمرد على الله كانت الكِبْر فقال: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة: ٣٤]، وقال أيضًا: ﴿أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥﴾ [ص: ٧٥].

---

(١) كما قال تعالى مبيِّنًا حال الكفار: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١﴾ [الزخرف: ٣١] (المُنَقِّح).

فلاحظوا كيف منع مرض الكِبْر إبليسَ من السجود وجعله في زمرة الكافرين. إنه يريد أن يكون مسجودُهُ مثلَهُ أو أعلى منه كأن يكون كائنًا نورانيًا يذهب شعاع بصره بالأبصار ويحيّر جمال محياه العقول وتسكر رائحته العطرة النفوس!! [*أما أن يسجد لشخص مثله فلا*].

وقد كشف أمير المؤمنين -سلام الله عليه- هذه الحقيقة حين قال: **"وَلَوْ أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ وَيَبْهَرُ العُقُولَ رُوَاؤُهُ وَطِيبٍ يَأْخُذُ الأَنْفَاسَ عَرْفُهُ لَفَعَلَ وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الأَعْنَاقُ خَاضِعَةً "** (نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢).

هذا المرض الذي كان لدى الشيطان موجود بعينه في روح الإنسان كما أشار إلى ذلك الشاعر جلال الدين الرومي حين قال:

علَّت ابليس أنا خيرٌ بُدَسْت وين مرض در نفس هر مخلوق هست!

أي: كان مرض إبليس أنا خير منه وهذا المرض موجود في نفس كل مخلوق!

فالإنسان أيضًا لا يرضى أن يكون نبيه وزعيمه بشرًا مثله فيطيعه. من هنا نجد أن علة إعراض من أعرض عن اتباع الأنبياء كانت: ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ٢٤﴾ [القمر: ٢٤]، أو كما وصف الله حال الكفار فقال: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ٣٣﴾ [المؤمنون: ٣٣].

أي أنه لما كان النبيُّ ﷺ يأكل من الخبز ذاته الذي يأكلون منه ويشرب الماء عينه الذي يشربون منه ولا تنزل عليه موائد من السماء من عند الله! فمن العار عليهم أن يطيعوه ويتّبعوه، ويقولون في ذلك: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ٣٤﴾ [المؤمنون:٣٤]. ويقولون لنبي الله نوح عليه السلام: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ [هود: ٢٧].

وكذلك عندما نال موسى وهارون مرتبة النبوة وجاءا إلى فرعون وقومه كان أول ما واجههما فرعون به أن قال: ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ٤٧﴾ [المؤمنون: ٤٧]. وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته القاصعة [الخطبة ١٩٢]: **"وَ لَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَلَى فِرْعَوْنَ عَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ**

وَبِأَيْدِيهِمَا العِصِيُّ فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ أَ لَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ العِزِّ وَبَقَاءَ المُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الفَقْرِ وَالذُّلِّ فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ إِعْظَامًا لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ وَاحْتِقَارًا لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ وَلَوْ أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ وَمَعَادِنَ العِقْيَانِ وَمَغَارِسَ الجِنَانِ وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طَيْرَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الأَرْضِ لَفَعَلَ، ولَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ البَلاءُ وبَطَلَ الجَزاءُ وَاضْمَحَلَّتِ الأَنْبَاءُ".

فكما قلنا لقد كانت روحية الكِبر والتعالي هذه وخُلُق الاستكبار لدى الغلاة وأصحاب التفكير الصبياني هو الذي يمنعهم من التسليم لإمام لا يعلم الغيب ولا يتصرف في الكون والمكان ولا يدبّر عالم الإمكان! لأن المتكبر الغالي يقول في نفسه كيف أطيع شخصًا هو بشر مثلي؟! يأكل مما آكل ويشرب مما أشرب ويذهب إلى الأسواق كما أذهب! ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧﴾؟؟ [الفرقان: ٧].

فالإمام الذي لا يقطع الثعبان وهو لا يزال في المهد ملفوفًا بالقماشة، والذي لا يحضر بآن واحد في شرق العالم وغربه، والذي لا يحضر عند كل جنين يولد أو شخص يموت، لا يستحق -حسب ذوق الغلاة- الاتِّباع.

إن روح الاستكبار هذه هي التي تمنع صاحبها من التسليم للحقّ واتّباع إمام لا علم له بالغيب ولا يتصرّف في ملكوت الله وفي رأي مثل آية الله العظمى لابُدّ أن يكون الإمام رئيس وزراء ملكوت الله وإلا فإن طاعته عار وتبعيته شنار!

إن هؤلاء الضالّين المتكبّرين غافلون عن أنّ للأنبياء امتيازٌ آخر تقتضيه شروط العصمة في التبليغ وهو «الطهارة» و«العلم» اللازمان للهداية والإرشاد، فالنبيُّ يعلم مسالك الطريق وسبل الهداية والضلال ويُمكنه أن يقود طلاب الحق والحقيقة إلى جنة الأمن والسعادة. فهو حائز على علم الدين الذي يثمر العمل به سعادة الدارين ونهاية الكمال، وهو المصطفى المختار من قِبَل الله ذي الجلال. وأما ما زاد عن ذلك فليس له تأثير في دين الآخرين ولا في دنياهم.

أما إذا كان الإمام أو النبي متصرفًا في عالم الملك والملكوت وعالمًا بما كان وما يكون لأدى ذلك إلى نقض الغرض من نبوته ومخالفة القصد منها، وبعبارة أخرى كان ذلك غلوًا جزافًا. وشرح ذلك هو أن النبي والإمام، إضافة إلى وظيفته في تبليغ الأحكام وتعليمها، أسوة للناس وقدوة لهم وحجة الله على الخلق من ناحية العمل، أي لا بد أن يكون عاملاً بما يدعو الناس إلى العمل به ومجتنبًا لما ينهى الناس عنه. أما لو كان النبي أو الإمام الذي يدعو الناس إلى الصوم مثلاً ولكنه هو في حد نفسه لا يجوع، أو يستطيع أن يفطر في أماكن متعددة وأزمنة أخرى، كأن يأكل في أربعين وليمة في وقت واحد أو يكون ضيفًا في آلاف المنازل في وقت واحد ويكون في يوم رمضان في المدينة وفي ليله في نيويورك فيفطر هناك لأن الوقت ليل ويصوم هنا لأن الوقت نهار! أو أنه إذا وضع قدمه في ميدان الجهاد فإن الملائكة المقرّبين تخاف من سطوة حضوره وضربة سيفه، ويعلم الغيب فيعلم أنه ليس في هذه المعركة أي خطر عليه بل حتى يملك صلاحية قبض روح العدو، بل يكون مصير سكان العالمين كلهم بيده فهل مثل هذا الإمام أو النبي قابل لاتباعه؟! وهل يكون مثله حجة على العالمين؟ وهل يكون في عباداته أي فضيلة وامتياز؟! إن الإمام أو النبي الذي يمس التراب والحجر فيتحول إلى در وجواهر ويستطيع أن يحول أوراق شجر الزيتون والتين إلى أوراق فضة وصفائح ذهب هل يمكن قبول إنفاقه وصدقاته التي يدعو الناس إليها؟! وهل يمكن الاقتداء به فيما يقوم به من إنفاق لكذا وكذا من المال في سبيل الله؟

إن عليًّا عليه السلام الذي كان ينفق بسخاء والذي كان ممدوح الجميع ولو في تصدقه على المسكين بخبز الشعير، إنما كان كذلك لأن ما كان ينفقه كان يحصل عليه بكدّ يمينه وعرق جبينه، وإلا فالإنفاق من أحجار تحولت إلى ذهب وجواهر بمجرّد لمسها ليس فيه أي فضيلة حتى لو أنفق الإنسان منها جبالاً من ذهب بل العامل الذي ينفق خمسة ريالات من عرق جبينه تكون فضيلته أكثر وثوابه أعظم.

إن هؤلاء الأصدقاء الحمقى -وهم أسوأ من الأعداء- الذين يخترعون تلك الفضائل للأئمَّة، لا يدرون أنهم بذلك يعادون الأنبياء والأئمَّة الذين هم فخر عالم البشرية ويُضيعون

كل فضائلهم النفسية وملكاتهم الروحية التي نالوها بسعيهم وعملهم في طاعة الله وبذل الجهد في عبادته، فيُفْقِدُون سعيهم كلَّ قيمته ويحرمون البشرية من بركات تعاليم أعظم هداة البشر؟!

علم الغيب غير مفيد للإنسان

لننظر الآن ما فائدة معرفة علم الغيب لأفراد البشر من إمام أو نبي أو غيرهما؟

لقد كتبتُ قبل سنوات طويلة (عام ١٣٣٩ هـ.ش) كتابًا بعنوان «أرمغان آسمان» (أي هدية السماء) وطبعتُهُ ونشرتُهُ، وأوضحتُ فيه على نحو كاف ومقنع أن الإمام أو النّبي لا يعلم الغيب وأنه ليس في علمهما بالغيب أي فائدة للبشرية وكذلك في سائر الصفات الإلهية الباطلة [التي ينسبها الغلاة إلى الأئمَّة]، وأذكر هنا ما ذكرته هنالك حول عدم فائدة علم الغيب وسخافة مثل هذه العقيدة الباطلة، بشيء من التصرف:

أولاً: ينبغي أن نعلم أنها أمنية عامية وهوس صبياني أن يشتهي الإنسان الاطّلاع على كل ما وراء عالم الشهود، ومعرفة ما يجري في بواطن العالم ومخلوقات الأرض والسماء، وأن يعرف جميع أحوالهم، لأن مشاهدة بسيطة جدًّا لحقيقة أوضاع العالم تفجر أقوى العقول والأدمغة وتصيب الإنسان، مهما كان عاقلاً وحكيمًا، بالجنون بل بالهلاك.

إن معرفة علم الغيب ولو كان شيئًا ضئيلاً منه، فضلاً عن ذلك الغيب الذي: ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؟! مضرّة بالإنسان حتى ولو كان ذلك الإنسان إمامًا أو نبيًّا، لأن هناك وقائع وحوادث تجري في هذه الكرة الأرضية فضلاً عن الكواكب الأخرى مثل الزلازل والطوفانات والوفيات وعمليات القتل والسطو والاغتصاب والفسق والفجور والمد والجزر والكذب والخيانات والظلم والمظلومين و.... و....مما لا يمكن لأي بشر مهما كان قويًّا أن يتحملها حتى ولو دقيقة واحدة.

ثم إن المعرفة بالغيب تسلب أهم خاصية «**للإمامة**» التي هي القدوة والأسوة للناس في السيرة والأفعال. وفي الأساس لم تكن بعثة الأنبياء من بني البشر ومن جنسهم إلا لكي

يكونوا حجة على الخلق وأسوة لهم بأن يكونوا أنفسهم من أفضل العاملين بما يدعون الناس إليه وما ينهونهم عنه، كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١]، وقال أيضًا: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال كذلك: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: ١١٢].

وكما ذكرنا إذا قام النبيُّ أو الإمام، الذي يأمر الناس بإنفاق أموالهم في سبيل الله وإعطاء الصدقات -ومن الواضح أن إنفاق الشيء يعني فقدانه- بإنفاق مالٍ في سبيل الله أو التصدُّق بطعامه على مسكين أو يتيم أو أسير، ولكن في مقابل ذلك كان النبي أو الإمام يُرْزَقُ في هذه الدنيا بطعام الجنة، ويكون ضيفًا في أربعين منزلاً في آنٍ واحد، والظاهر أنه يأكل الطعام فيها جميعًا، فإن إنفاقه للمال لن يكون أمرًا ذا بالٍ أو عملاً هامًّا، ولن تكون له فيه أي فضيلة، ولن يكون عمله هذا قابلاً للاقتداء به!

إذا كان قوة عليٍّ عليه السلام عظيمة إلى درجة أنه عندما يشهر سيفه تُذعر الملائكة خشية أن يُقتل الثور الذي يحمل الأرض على قرنيه! فيُرسِلُ اللهُ حاملي العرش إلى الأرض ليحولوا دون ذلك ويخففوا من قوة ساعد عليٍّ ويفرشوا أجنحتهم تحت الأرض كي لا يُقْتَلَ ذلك الثور الحامل للأرض! ورغم ذلك يُصاب جناح جبريل بضربة سيف عليٍّ فيُكْسَرَ ويجرح حتى يذهب جبريل إلى خاتم النبيين شاكيًا حاملاً جناحه، ويحكي قصصًا عن ضربة إبهام علي وخراب مدن لوط!

أقول: إن من يمتلك مثل هذه القوة والقدرة ليس له أي فضيلة في إقدامه على الجهاد والمبارزة والتضحية في سبيل الله إذ مثله مثل بطل جبار يأتي إلى محاربة نملة عاجزة أو من يريد أن يهاجم وكر نمل بقنبلة نووية! فهذه الأعمال [أي الجهاد والقتال في سبيل الله] لا يبقى لها أي معنى وفضيلة ولا أي دلالة على شجاعة وتضحية حتى يتأسَّى بها الناسُ ويقتدوا بها. إن عليًّا يمكن أن يكون إمامًا ومقتدى للمسلمين يتأسَّوْن به في إيثاره وإنفاقه الذي وصفه الله بقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ [الإنسان: ٨] إذا كان يبيت جائعًا عندما يتصدق بطعامه وإذا كان ينفق المال ويؤثر الآخرين به رغم حاجته إليه.

إن الحمقى مروجي الخرافات لا يعلمون كيف تكون الفضائل الإنسانية الشريفة والخصال والأخلاق الحميدة! إنهم يتصوّرون أن فضيلة الإنسان تكون في علم الغيب ومعرفته بما يدور في أقطار الدنيا الأربعة أو في الطيران في السماوات أو في امتلاك قوة بحيث لو شهر صاحبها السيف أصاب الجن والإنس الهلع ولاذوا بالفرار أو أن يكون قادرًا على قتل عدة آلاف من الأشخاص بضربة واحدة أو أن يأكل الطعام في ليلة واحدة وآن واحد في منازل عديدة أو أن يعاشر عدة نساء في آن واحد! إنهم يتصورون أن مثل هذه الخيالات الصبيانية تُعَدُّ فضيلة ومعجزة غافلين عن أن فضيلة الإنسان هي في علمه وإيمانه بالله ومعرفته به وفي معرفته بنظام مخلوقاته والتسليم لإرادته تعالى ومشيئته والسيطرة على النفس الأمارة وتحمل إهانات الجاهلين وهداية الضالين وإعانة البائسين. هذه هي الصفات التي كان يتحلّى بها الأنبياءُ والأئمَّة عليهم السلام وهذه هي الفضائل التي ميَّزَتْهُم على الآخرين وجعلتهم أئمَّةً وقدوةً للعالمين. والناس مأمورون أن يتحلَّوْا بهذه الفضائل بقدر استطاعتهم كي ينالوا خير الدنيا وسعادة الدارين والفوز في النشأتين، أما القيام بتلك الأعمال الخارقة الناشئة عن الأوهام والخيالات فليس فيه أي فضيلة.

إن معرفة الإنسان بالغيب المتعلق بمصيره ليست في صالحه بل من شأنها أن تمنع الإنسان من العمل والسعي! لأنه إذا علم أن يوم غد سيكون فيه خير ومنفعة له سيصاب بالغرور والكسل وإذا علم أنه سيكون فيه ضرر له سيحزن ويغتم، فعلى الحالتين لا نفع له في معرفته الغيب.

وإذا كان علم الغيب معرفة أحوال الماضين والآتين ولو كان حال شخص واحد فليس فيه أيضًا فائدةٌ للإنسان، فلقد ورد في الروايات الإسلامية ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ٧٥] أن إبراهيم نظر إلى مشرق العالم ومغربه بالقدر الذي سُمح له فقط، واطلع على جزء مما يجري فيه فرأى في مشرق العالم رجلاً يزني بامرأة أجنبية فلعنه فهلك الزاني! كذلك نظر إلى غرب العالم فرأى منكرًا نظير ذلك فدعا عليه وبمجرَّد أن وقع نظره على حادثة ثالثة جعل الله بين الخليل وبينها حجابًا ساترًا فلم يكن

في استطاعته أن يشاهد تلك العجائب ويقلق أكثر من ذلك بشأن حوادث العالم![1] وهذه الرواية أيًّا كانت درجتها من الصحة إلا أن معناها صادق وهو أن الإنسان لا طاقة له برؤية حوادث العالم لأن الأرض مسكن الإنسان والناس أكثرهم إلا قليلاً منهم كفورون، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ۝١٥﴾ [الزخرف: ١٥]، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢﴾ [الأحزاب: ٧٢]، ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: ٦- ٧]، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ [العصر: ٢]، ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧﴾ [عبس:١٧].

فماذا يأتي من مثل هذا الإنسان سوى الكفران والفساد ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥]. وقال أيضًا: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١]، وعشرات الآيات الأخرى التي يخبرنا الله تعالى خالقُ البشر فيها عن تمرد الإنسان وطغيانه فإذا أُعطي الإنسان بصيرةً يستطيع من خلالها أن يرى أعمال البشر من خير وشر فماذا سيرى؟ هل سيرى سوى الحروب والنزاعات والقتل والزنا والخيانات والمكر والخديعة والغش والسرقات و.... وماذا سيكون حال هذا الإنسان وهو مخلوق ذو عاطفة ووجدان عندما يرى هذه الأمور وماذا سينتفع من معرفتها؟ إلا أن تُعَذَّبَ روحُهُ ويُصابَ بالغمِّ والقلق والحزن؟ أجل لقد أطلع الله تعالى رسوله على جانب من حوادث المستقبل وأخبر النبيُّ ﷺ أصحابَه وأهلَ بيته عما علمه كي يكون في ذلك آية للآتين في المستقبل ومعجزة لمن سيشاهدون تحقق تلك النبوءات مثل إخباره بانتشار الإسلام في جميع أصقاع العالم وفتح المسلمين لبلاد الروم وفارس وهجوم الترك (المغول) على المسلمين والإخبار عن انتشار الفساد بين الناس في آخر الزمن. ولكن ليس في العلم بمثل هذه الأمور أي علاقة بالمعنى الذي يقوله الغلاة حول العلم بالغيب بل إن معرفة تلك الأمور تمَّت حصرًا من خلال الوحي، وهو الوحي الذي يكون للنبي ﷺ فقط، وأما أمير المؤمنين والأئمَّة فإن ما رُوي عنهم حول هذه الأمور من أخبار إنما تعلموه

---

(١) يُنظَر تفسير الآية المذكورة في تفاسير: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي والتفسير الكبير للفخر الرازي وتفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي وتفسير الدُّرّ المنثور للسيوطي. (المُنَقِّح).

من رسول الله ﷺ كما صرح بذلك الإمام علي عليه السلام عندما قال: **"تعلَّمْ من ذي علم "** (نهج البلاغة/ خطبة ١٢٨).

يقول بعض الأفراد السطحيين أحيانًا إن دائرة الأرصاد الجوية اليوم تستطيع أن تخبرنا بحال الطقس في الأيام القادمة، وأجهزة كشف الأجنة تستطيع إخبارنا عن جنس المولود، والسياسيون المحنكون يستطيعون الإخبار بنتائج الحروب ومصيرها فهل الأئمَّة -سلام الله عليهم- أقلّ منهم؟!

هذا القول تصور عامي لأنه على فرض أن إخبار أولئك الأفراد أو الوسائل صحيح دائمًا فإن ذلك إنما يتم من خلال وسائل علمية تم التوصل إليها بعد سنوات طويلة من الأبحاث والتجارب وهي تكشف المعلومات لجميع الناس صالحهم وطالحهم، فلا علاقة لها بالإخبار بالغيب الذي يُنسَبُ للأنبياء والأولياء **والذي يتم دون وسائل بدعوى أنه ينشأ عن قربهم من الله**، وإلا فما الفرق بينهم وبين الآخرين؟

إذن تبيَّن أن ادعاءات الغلاة في نسبة العجائب والمعجزات والخوارق وعلم الغيب للأئمة مخالف للعقل والشرع، وهي أفكار صبيانية ناشئة عن عدم بلوغ الرشد الفكري والثقافي.

إن فضيلة «علي بن أبي طالب» التي تُعَدُّ من أعلى فضائله هي بذله لماله وروحه رخيصة في سبيل الله. فضيلته أنه بات في فراش رسول الله ﷺ «ليلة المبيت» رغم أن احتمال نجاته في تلك الليلة كان واحدًا في الألف وقد كانت هذه التضحية الكبيرة عظيمة عند الله إلى درجة أنه باهى بها ملائكته! فإذا كان عليٌّ عالمًا بالغيب كما يقول الخرافيون وكان يعلم أنه لن يصيبه أذى ليلة المبيت، لما كان في مبيته أي فضيلة، فأنا أيضًا رغم أني لا أصلح أن أكون تراب أقدام ذلك الإمام الجليل، إذا علمت أنه لن يصيبني ضرر ولا خطر مستعد للإقدام على أي مخاطرة! إن فضيلة عليٍّ كانت أنه بعد رحيل رسول الله ﷺ ورغم تقدمه على من سواه في العلم والسبق في الإيمان والجهاد وقوة الجسم والشجاعة و....[1] واستحقاقه أكثر من غيره

(١) إشارة إلى الآية ٩ من سورة الزمر، والآية ١٠ من سورة الواقعة، والآية ٩٥ من سورة النساء، والآية ٢٤٧ من سورة البقرة. (برقعي)

لخلافة رسول الله[١]، مع هذا عندما رأى أن الآخرين سبقوه إلى ذلك المقام وأن أعداء الإسلام يريدون استغلال هذا الأمر حتى أن «أبا سفيان» اقترح عليه التحرّك ضدّ أبي بكر قائلاً: "... **أما والله لئن شئت لأملأنّها على أبي فصيل خيلاً ورجلاً!**..... " قال عليٌّ له: **"يا أبا سفيان! طالما غششت الإسلام وأهله فما ضررتهم شيئا، لا حاجة لنا إلى خيلك ورجلك "**[٢]. وبهذا أفشل مؤامرة المتربصين بالإسلام السوء وفي الوقت ذاته أفهم المتقدمين نقائص عملهم وعيوبه[٣]. ورغم أنه لم يكن يعدم الوسائل لمنافسة من تقدّم عليه إلا أنه أغمض عنها عينًا وأسَدَل دُونهَا ثَوْبًا وطَوَى عَنْهَا كَشْحًا ولم يوفر جهدًا في خدمة برعم الإسلام الناشئ ولم يقصِّر في التعاون مع الآخرين ولم ينعزل عنهم وتحمَّلَ كلَّ كَدَرٍ كي يستقيم دين الله وتُنَفَّذَ أحكام الإسلام ولا يقع أي خلل أو ثغرة في جدار اتحاد المسلمين ووحدة صفهم. هذه هي الفضائل الكبيرة التي يقف العقل الإنساني أمامها مبهوتًا وليس حديث البساط والطيران فوق الغيوم والانغماس في بئر العلم وحرب قصر الذهب وأخذ عُمَر إلى جبل قاف وأمثال تلك الخرافات التي لا تنفع إلا في تسلية الأطفال! الأمان الأمان من جهل الجاهلين وصداقة الحمقى المغفَّلين!

لاحظوا أي ضلال بعيد وقع فيه الناس في مقام الإمام وكيف بنوا ضلالات أخرى على ذلك الضلال ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

---

(١) ولكن بالأدلة القاطعة التي لا مجال لذكرها هنا، وكذلك بإجماع صحابة النبي ﷺ فإن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان أولى الناس وأحقهم بالخلافة بعد النبي ﷺ. ولذلك أجمع الصحابة على بيعته واختياره خليفة وحاكمًا عليهم. لو لم يكن الصديق أهلاً بالخلافة لما بايعه جميع الصحابة الكرام مع علمنا أن الصحابة هم أعلم الناس وأخلصهم بالإسلام وأعرفهم بالشخص الذي يناسب منصب الخلافة بعد الرسول ﷺ. فلذلك كان اختيارهم هو الحق الذي لا مُرية فيه. [المُصحح]

(٢) شرح **نهج البلاغة**، ج ٢، ص ٤.

(٣) يُراجع كتاب «**شاهراه اتحاد**» (طريق الاتحاد)، حاشية الصفحة ٢٧ إلى ٢٩. (برقعي)

وقد وصل الأمر بتصوراتهم الجاهلة والصبيانية إلى تصورهم أنهم بذكرهم لمثل تلك الفضائل العجيبة ونشرهم لمثل تلك المناقب الأسطورية يحصلون على رضا الأئمَّة عنهم ورحمتهم بهم، وأن المبالغة في إطراء الأئمَّة وتمجيدهم ووصفهم بامتلاك القدرة على التصرُّف في كلّ ملكوت الله سينفعهم كما ينفع مدَّاحي الملوك والسلاطين وأصحاب الجاه الذين ينعمون على مداحيهم بعطاءاتهم وصلاتهم حتى لو كانوا عصاةً مذنبين وظلمةً ومسيئين، فكذلك سينقذهم الأئمَّة بفضل تلك المدائح من كربات عرصات القيامة!

وقد فتحوا باب الشفاعة على مصراعيه إلى حدٍّ لم يبقَ معه أي أثر للوعيد الإلهي والإنذارات النبوية، فإن واجهوا حين رجوعهم إلى القرآن آيات العذاب والوعيد بالعقاب فأثقلت أسماعهم واضطروا للإقرار بما صنعوا لأنفسهم بإغواء الشيطان وسيلةً للهروب من هذا العذاب بالمبالغة في أمر الشفاعة. وإذا رأوا أن الوصول إلى السعادة ونيل رضا الله لا يكونان إلا بالإيمان وبذل الروح والنفس والعمل الصالح كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]، ورأوا أن تقديم الروح والمال على النحو الذي أراده الله منهم صعب عليهم، وتصوروا أن جلبَ عطف قلب الإمام الفلاني أو حفيد الإمام الفلاني ممكنٌ قياسًا على أنفسهم حيث أنهم عندما يمتدحهم شخصٌ ويطريهم ويبالغ في الثناء عليهم يجزلون له العطاء، فقاموا بوقف الأوقاف للأئمة وذراريهم، وتقديم النذور العجيبة وقراءة المراثي ولطم الصدور وإقامة مراسم العزاء المبتدعة التي تُثير السخرية منهم، متصوِّرين أن الأئمَّة وحفدتهم أصحاب نفوذ في ملك الله. والسبب الأساسي وراء كل ذلك أنهم لم يفهموا معنى الإمام ولم تتضح لهم مسألة «**الإمامة**» و«**الإمام**» على وجهها الحقيقي الصحيح، رغم كل الكتب والرسائل التي كُتبت وقيلت والتي لم تزدهم إلا ضلالاً إلى ضلالهم وجهلاً إلى جهلهم!

المفهوم الصحيح لـ«الإمام» و «الإمامة»

إن للإمام، كما قلنا وكما يشهد به الشرع والعقل والوجدان، معنيَيْن حقيقيَّيْن وعدَّة معاني مجازية:

المعنى الحقيقي الأول هو: القائد السياسي والاجتماعي والمتصدي لأمر حكم المسلمين، وبهذا المعنى يُطلق الإمام على كل من يتولى زمام أمور الحكم سواءً كان عادلاً أو جائرًا، فإن عدل في حكمه قيل إمام عادل وإن ظلم وجار قيل إمام جائر، وسيرة المسلمين وأحاديث الفريقين مليئة بهذا المصطلح.

المعنى الحقيقي الثاني هو: المرشد إلى الله والهادي إلى طريق الحق والصراط المستقيم. وهذا التقسيم نجده فيما تفضل به أمير المؤمنين عليه السلام عندما قال: **"لا غزو إلا مع إمام عادل، ولا نقل** [أي رواية مقبولة] **إلا مع إمام فاضل "**(١).

والإمام بالمعنى الأول لا يشمل من أئمَّة أهل البيت [الاثني عشر] إلا الذين تولوا السلطة وزمام الأمور بشكل فعلي وهما إمامان فقط: أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي حكم حوالي خمس سنوات، وابنه الإمام الحسن عليه السلام الذي حكم حوالي ستة أشهر، و لم يتصدَّ لمهمَّة حكم المسلمين واستلام زمام أمورهم أحدٌ من بقية الأئمَّة الكرام. أما الإمام بالمعنى الثاني، أي الدليل والمرشد إلى الله والهادي إلى طريق الحق والصراط المستقيم وهادي الناس إلى سبيل السعادة، فإن جميع أئمة أهل البيت يشكلون المصداق الأتم والأكمل والأعلى للإمام بهذا المعنى، كما ينطبق هذا المصطلح أيضًا على كل من يسلك ذلك الطريق ويهدي الناس ويرشدهم بنور علم القرآن(٢).

من الواضح تمامًا أن الإمام المرشد الذي يبذل كل سعيه لهداية الناس والذي يكون كل

---

(١) **مستدرك الوسائل**، الطبعة الحجرية، ج٢، ص٢٤٧.

(٢) كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾ [الفرقان: ٧٤].

همه أن يسلك الناس طريق السعادة ويصلوا إلى مقصد الهداية لا ينتظر من أَحَدٍ مدحًا ولا ثناءً ولا تمجيدًا ولا إطراءً، خاصة عندما ينحرف سالكو الطريق عن المقصد ويتبعون طرقًا معوجة، وبدلاً من الانصياع إلى هداية وتأكيدات إمامهم بسلوك طريق الحق واتباع الصراط المستقيم الموصل إلى المقصود، يقومون بمدح وإطراء الإمام والتملّق له بالثناء والتمجيد ويقومون لهذا الغرض بأعمال لا طائل تحتها بل مضرة (مثل ضرب البدن بالسلاسل وضرب الطبل والصنج وحمل الأعلام الثقيلة و....) ويشغلون أوقاتهم بطقوس مبتدعة من المدائح والثناء ما أنزل الله بها من سلطان بل أُخذت من الأمم والملل الأخرى، ويغفلون عن سلوك الطريق الأصلي الموصل للهدف! فمثل هذه الأعمال إن لم توجب غضب وسخط ذلك الإمام المرشد لذي يتوسلون له بمثل تلك الأعمال فإنها بلا شك لن تجلب رضاه عن فاعليها.

إن الإنسان ليتعجب حقيقة كيف نفذت طقوس وآداب عبادة الأرواح الخاصة بالملل السالفة وتعظيم الأموات لدى المصريِّين القدماء وتوسلهم بأرواح الموتى وأمثالها من العقائد الخرافية إلى أتباع هذا الدين الذي حارب بكل شدَّة مثل هذه الأوهام والخرافات والذي لا نجد في آيات كتابه السماوي أو سيرة نبيه الكريم وأئمته الصالحين أي أثر لتلك الأعمال.

إن وظيفة النبي والإمام هي إرشاد الناس في المسائل الدينية وتعليمهم أحكام شرع الله وهدايتهم إلى طريقه وأن يكون مرجعهم في العمل بأحكام الدين، ولكن هؤلاء الناس تركوا تلك الوظيفة العظمى جانبًا واستبدلوها بالتملق والثناء والمدائح المغالية وطلب الحوائج التي لا تطلب إلا من الله وأمثالها من الأعمال التي إن لم تكن شركًا فهي قريبة من الشرك، ولم يرجعوا إلى النبي أو الإمام في الأمور التي جاءا لأجلها، حتى لو قال لهم شخص: أيها الناس! إن النبي والإمام لم يأتيا لتلبية حوائجكم وشفاء مرضاكم وإعطائكم الأولاد وزيادة رزقكم وأمثال هذه الأمور بل إنما جاءا لهدايتكم وإرشادكم في الأمور الدينية وتعليمكم آداب الشرع وأحكامه، وليس لهما أي علاقة بما تقومون به من أعمال مبتدعة، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]، رأيتهم يثورون سخطًا من فرط تعصبهم ورأيت عروق الغضب تظهر في وجوههم والشرر يتطاير من أعينهم ويقولون: "إن ما نقوم به

توسلٌّ، فهل تقول إن التوسل بالنبي والأئمَّة لا يجوز؟! ". ثم يكيلون لك ما شاؤوا من التهم والإهانات!

أليس هناك من يقول لهم: **أولاً**- إن الله تبارك وتعالى يقبل عبده دون أي واسطة، بل إن اتخاذ الوسطاء بين العبد والرب أمر مناف لتوحيد العبادة، وبالتالي فلا حاجة للتوسُّل بهذا المعنى من أساسه، أوليس الله هو القائل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦]، وهو القائل كذلك: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ١٦﴾ [ق: ١٦]. والقائل أيضًا: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ١٨﴾ [الجن: ١٨]، أوليس هو الذي علَّمنا أن نقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]؟ إذن الاستعانة على طاعة الله لا تكون إلا بالله فقط، والعبادة لا تكون إلا له وحده فقط، وبعبارة أخرى الاستعانة غير المقيدة من غير الله شرك كما أن عبادة غيره شرك.

هل يجوز بعد كل هذه الآيات الواضحات أن يترك الإنسانُ اللهَ الحيَّ القادرَ الذي لا يموت والسميعَ البصيرَ والغنيَّ الباقي والذي هو أقرب إلينا من حبل الوريد، ويتجه نحو من هو محتاج في كل شيء إلى الله وفقير إلى بحر فضل رحمة الله التي لا ساحل لها وإلى الذين أُمروا بنص القرآن أن يعلنوا للناس: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، ﴿وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [يوسف: ٦٧].

ثانيًا- حتى لو فرضنا جدلاً أنه لم يرِدْ نهيٌ عن هذه الأعمال، أليس من الأفضل أن يترك الإنسان تلك الأعمال لما فيها من خطورة الانزلاق نحو وادي الشرك وهاويته السحيقة المهلكة؟ أليس الأولى بالإنسان العاقل، عندما يكون أمامه عدة طرق ويكون بعضها موصلاً إلى الهدف بأقصر طريق ودون أية مخاطر في حين تكون الطرق الأخرى محفوفة بالمخاطر، أن يترك جميع الطريق ويسلك الطريق المضمون الخالي من الأخطار؟

المعنى الحقيقي للتوسُّل و «الوسيلة»

إن الحالة التي آلت إليها أعمال «التوسُّل» بالأئمَّة وبذراريهم من الصالحين في مجتمعنا لم تعد حالة مقبولة مطلقًا، وكثير من الأعمال التي يقوم به الناس هي شرك بعشرات الأدلة، إذ إن من المُسَلَّم به أن الله تعالى لم يطلب منا أن نتوسط إليه بأي واسطة في دعائنا إيّاه وطلبنا الحوائج منه، والله - كما تدل عليه آيات القرآن - قريب منا بل أقرب من أي شيء آخر إلينا، ومعلوم عقلاً أن ترك الله الحي القادر العالم بالسرّ والخفيات والذهاب نحو أشخاص هم عرضة للموت والغفلة والنوم وعدم الإحاطة بالمصالح، عمل لا يمكن تبريره ولا قبوله، هذا بمعزل عن شبهة الوقوع في الشرك الذي يعد أسوأ المعاصي وأشد الذنوب خطرًا لأن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فما الحاجة إذن لهذه الطقوس والأعمال التي هي من آثار الأمم الماضية وعادات الأديان والمذاهب الباطلة؟!

ثالثًا- أين نجد في جميع الآيات والأخبار والأحاديث الصحيحة وغير الصحيحة أن الله أمر أحدًا بالتوجه على نحو غير مقيد إلى النبيِّ أو الإمام ليتوسل به لأجل قضاء حاجته وشفاء مريضه والحصول على ولد أو نحو ذلك من الطلبات؟! ابحثوا في جميع آيات القرآن وسيرة الأنبياء فلن تجدوا أثرًا لهذه الأعمال! فما هذا الاختراع للأصنام ولماذا؟ إنه ليس سوى خيال الإنسان الذي يصنع لنفسه واسطة وشفيعًا لأجل قضاء حاجاته ويصرف هِمَّته إلى مدح هذه الواسطة والثناء عليها وإطرائها والتملق لها وإظهار الحاجة إليها!

وفي مقابل هذا الأمر الواضح نجد أشخاصًا يضربون يمينا وشمالاً ويتشبثون بكل قشة لكي يجدوا رواية تصلح أن يتمسكوا بها كدليل على أعمالهم الشركية، ولما كانت هناك آيات متشابهات في القرآن الكريم وكان أهل الزيغ يفسّرونها بشكل غير صحيح فينخدع بهم العوام ومن ليس له تدبّر وتحقيق كاف في آيات القرآن، كمن يتمسّك بالآيات المتشابهات مثل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]. أو: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]. أو: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]. والتي يستغلها بعضهم ممن وصفهم الله بالذين في قلوبهم زيغ للاستدلال بها على أقوالهم غير

الصحيحة كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ [آل‌عمران: ٧]، وفي هذا الصدد يتمسكون بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]، ويستدلون بها على مرادهم ومقصودهم الشركي كما كتب أحد المعمّمين في صحيفة «وظيفة» مقالاً هاجمنا فيه بشدة مستندًا إلى هذه الآية! ورغم أن بعض مفسِّري الشيعة مثل «علي بن إبراهيم القمي» فسَّر «الوسيلة» بـ«الإمام»، ولكن يجب أن ننتبه إلى أنهم فسروا الآية بقولهم: "تقربوا إليه بالإمام أي بطاعته ". فالمراد من الوسيلة هي طاعة الإمام والتي هي طاعة أحكام الله التي يبيِّنُها النبيُّ والإمام.

لقد فسر [الفيض الكاشاني] في تفسير «**الصافي**» قوله تعالى: ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]. بقوله: "هؤلاء الآلهة يبتغون إلى الله القربة بالطاعة ". وروى الشيخ الصدوق في كتابه «**عيون أخبار الرضا**» (ج٢، ص ٥٨) رواية عن النبيِّ ﷺ في معنى الوسيلة وأنها بمعنى طاعة الأئمَّة لا جعلهم وسيلة لطلب الحاجات والشفاعة في الذنوب، فروى بِإِسْنَادِ التَّمِيمِيِّ عَنِ الرِّضَا عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "**الأئمَّة مِنْ وُلْدِ الحُسَيْنِ مَنْ أَطَاعَهُمْ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ عَصَاهُمْ فَقَدْ عَصَى اللهَ...** "[1].

وروى الكُلَيْنِيّ في «الكافي» عن أمير المؤمنين أنه قال في خطبة الوسيلة: "**وَاسْأَلُوا اللهَ لِيَ الدَّرَجَةَ الوَسِيلَةَ مِنَ الجَنَّةِ قِيلَ يَا رَسُولَ الله: وَمَا الدَّرَجَةُ الوَسِيلَةُ مِنَ الجَنَّةِ قَالَ هِيَ أَعْلَى دَرَجَةٍ مِنَ الجَنَّةِ** "[2]. كما أن ابن شهر آشوب روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أيضًا قوله: "**أنا وسيلته:**

---

(١) الشيخ الصدوق، «عيون أخبار الرضا عليه السلام»، ج٢/ ص ٥٨، والمجلسيُّ، «بحار الأنوار»، ج٣٦/ ص ٢٤٤. (تر)

(٢) هذه الرواية غير موجودة في الكافي وإنما يوجد في الكافي ما يُشبه معناها وهو ما ذكره الكليني في باب دخول المدينة وزيارة النبي وفيه نص الزيارة الذي يتضمن الجملة التالية: «اللَّهُمَّ أَعْطِهِ الدَّرَجَةَ وَالْوَسِيلَةَ مِنَ الْـجَنَّةِ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا يَغْبِطُهُ بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُون». أما الرواية المذكورة أعلاه في متن الكتاب فهي مروية في كتاب «**جامع الأخبار**»، المنسوب لتاج الدين محمد بن محمد الشعيري (عاش في القرن السادس)، ص ٦٠، ونقلها عنه المجلسيُّ، في **بحار الأنوار**، ج ٩١، ص ٦٥. (المنقِّح)

أي طاعتي وبيعتي ".

وقد جعل أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة (الخطبة ١١٠) الإيمان بالله ورسله والجهاد في سبيله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة و..... **وسيلةً** [فقال: "**إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الإِسْلَامِ وَكَلِمَةُ الإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الفِطْرَةُ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا المِلَّةُ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ العِقَابِ وَحَجُّ البَيْتِ وَاعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ الذَّنْبَ وَصِلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي المَالِ وَمَنْسَأَةٌ فِي الأَجَلِ وَصَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الخَطِيئَةَ وَصَدَقَةُ العَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ**.... إلى آخر الخبر "(نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٠).]

فكما نلاحظ، تعاليمُ الأئمَّة تُبيِّنُ أنَّ الوسيلةَ والتوسُّلَ عبارةٌ عن الإيمان بالله وأنبيائه وبما جاؤوا به من أحكام وآيات من عند الله، والجهاد في سبيله. ولا نجد في كلام أحدٍ من الأئمَّة أن التوسل معناه ما ذَهَبَ إليه الغلاة من تفسير اخترعوه من عند أنفسهم، ورغم ذلك نجد الأفراد المكارين والمدلسين، مثل الأشخاص الذين يُزوِّرون الوثائق والأوراق الرسمية فيدسون فيها ما فيه فائدة لهم، يفعلون الأمر ذاته بالقرآن الكريم والأحاديث الصحيحة فتراهم يدسون بين الروايات التي وضعوها بشأن تفسير بعض آيات القرآن الكريم جملاً وكلمات تحقق مقصودهم وما يرمون إليه ويدَّعون أنَّ الآية نزلت هكذا وتلك الآية نزلت كذلك! ونظرة إلى كتب الرواية أو تفاسيرهم بالمأثور وما فيها من الروايات الغريبة تُظْهِرُ هذه الحقيقة بأوضح صورة[1].

عندما نُشر مقالي «**علل انحطاط المسلمين وطريق الخلاص**» في صحيفة «وظيفة» وانقسم الناس بشأنه بين موافق ومعارض، قام أحد المعارضين الذي يعتبر نفسه عالمًا وكاتبًا بارزًا بالردِّ على أحد الموافقين على مقالتي تلك واستند في مسألة التوسُّل إلى الآية المذكورة من سورة المائدة. وبعد أن شتم ما شاء من الشتائم، استند إلى آية: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ

---

(١) على سبيل المثال يمكنكم مراجعة كتاب «**عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول**» ص٥٢٩ إلى ٥٣٩ وص ٧٣٤ فما بعد. (برقعي)

فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾ [البقرة: ٣٧] فنقل عن تفسير الدُّرِّ المنثور [لجلال الدين السيوطي] خبرًا مضمونه أن آدم عليه السلام أقسم على الله وسأله: «**بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، إلا تُبْتَ عليَّ فتاب اللهُ عليه**».

لكنني رددت فورًا عليه وعلى سائر المنتقدين لمقالتي بمقال أرسلته إلى صحيفة «وظيفة» لكن رئيس تحريرها امتنع عن نشره خوفًا من غائلة المتعصبين والمتاجرين بالدين. وأذكر هنا بشكل مجمل ضعف منطق الشخص الذي ردّ على مقالتي:

أولاً: إن قصدنا من التوسل الخاطئ هو هذه الأعمال التي يقوم بها العوام كل صباح ومساء وهم بعيدون عمن يتوسلون بهم فيطلبون حوائجهم من الأئمَّة أو من الصالحين من أحفادهم وذراريهم، فينذرون لهم النذور ويذبحون لأجلهم القرابين ويطوفون حول مراقدهم ويعتبرونهم مطلعين على أحوالهم وذوات صدورهم، فما علاقة هذا بحضرة آدم عليه السلام الذي دعا اللهَ تعالى -حسبما رُوي- فقال: أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبتَ عليَّ؟!

ومتى قلنا إنه لو أقسم شخص على الله بالنبي أو بالأئمَّة أو بشهداء الإسلام العظام أو حتى بدمع الأيتام وحرقة الأرامل فقد أشرك؟!

ثانيًا: إذا كنتَ قد استندتَ إلى خبر من كتب أهل السنة من باب: «الفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الأَعْدَاءُ!» فعليك أن تستند إلى أخبارهم الصحيحة لا إلى أي خبر، أما الاستناد إلى خبر غير صحيح سواء كان منقولاً في كتب السنة أم كتب الشيعة فلا يفيدك شيئًا سوى خداع العوام، وأهل الفنّ يعلمون أن كثيرًا من الأخبار الشيعية والسنية قد اختلط بعضها ببعض وقام كل فريق بوضع أحاديث في إثبات معتقده وإبطال عقائد مخالفيه وسرت أحاديث كل فريق إلى كتب الفريق الآخر، فمجرد الاستدلال بمجيء حديث في كتب السنة لا يثبت عقيدة ما.

ثم استدل المؤلِّف المذكور – كالغريق الذي يتشبَّث بكل قشّة – على لزوم الواسطة بالآية الكريمة: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ٩٧﴾ [يوسف: ٩٦]، فقال:

إذا كان من الممكن لأولاد يعقوب أن يستغفروا الله مباشرةً فلماذا توسلوا بأبيهم وطلبوا منه أن يستغفر لهم؟ واستنتج أن هذه الآية دليل على أنه ليس من الجائز فقط التوسل بالإمام في طلب الحوائج بل إن ذلك لازم وضروري! ولكي يتبين لنا ضعف كلامه ينبغي أن ننتبه إلى النقاط التالية:

أولاً: إن طلب الاستغفار والتماس الدعاء من الشخص الحي الذي يمكننا الوصول إليه ليس هو التوسل الخاطئ الذي ننتقده، لأن المسلمين جميعًا مأمورون بالاستغفار لبعضهم البعض، وقد وردت روايات توصي بمثل هذا الأمر، كالوصية بالاستغفار لأربعين من المؤمنين في دعاء صلاة التهجد، وأمثالها من الروايات، ورُوي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: "**مَنْ قَدَّمَ أَرْبَعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ دَعَا اسْتُجِيبَ لَه** "[1]، بل إنَّ النبيَّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أُمر بالاستغفار لنفسه وللمؤمنين فقال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد:١٩]، فالتماس المسلم من أخيه أن يدعوَ له لا يُعتبَر توسُّلاً، وحتى إن سُمِّيَ توسلاً فهو لا يشبه ما تدعون إليه الناس من ضرورة التوسل بالأئمَّة وأولادهم وأحفادهم وطلب الحوائج منهم!

ثانيًا: إن سبب طلب أولاد حضرة يعقوب عليه السلام من أبيهم أن يستغفر لهم هو الأذى والظلم الذي ارتكبوه بحقه لأنهم آذوا أباهم وحرموه من ابنه العزيز عليه وكذبوا عليه، وكانوا يؤذون أباهم بلسانهم الجارح كلما ذكر يوسف وحنَّ إليه، كما وصفهم تعالى بقوله: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ [يوسف: ٨٥]، وقوله: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥]. فعمل أبناء يعقوب اعتذارٌ وطلبٌ للعفو والصفح بشأن تقصيرهم وإذنابهم في حقِّه، لأنه عندما يُذْنِبُ الإنسانُ ذنبًا يتعلق بانتهاك حق العباد وظلمهم، لا بد للتوبة منه من إعادة الحق إلى المظلومين وطلب الصفح منهم وسؤالهم أن يستغفروا له ويطلبوا من الله مسامحته.

---

(١) الصدوق، **الأمالي**، ص ٤٥٦، الكُلَيْنِيّ، **أصول الكافي**، ج ٢، ص ٥٠٩.

ثم إن أولاد يعقوب عليه السلام لم ينادوه من بعيد وهم في مصر بل جاؤوا إليه وهو لا يزال حيًا واعتذروا إليه وطلبوا منه أن يستغفر لهم فلم يذهبوا إلى قبره ويطوفوا حوله ويطلبوا منه الغفران، فلا يُشبهُ عملُهم ما يقوم به الناس اليوم تحت عنوان «التوسل».

ثالثًا: إن الروايات المنقولة عن الأئمَّة تؤيِّد ما ذكرناه فمن جملة ذلك ما رواه العياشيُّ في تفسيره عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: **"فِي قَوْلِهِ تَعَالَى**: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٩٨] **فَقَالَ: أَخَّرَهُمْ إِلَى السَّحَرِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنَّمَا ذَنْبُهُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُم "**(١).

وفي «**علل الشرائع**» للشيخ الصدوق (ج ١، ص ٥٤) بسنده: "عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الفَضْلِ الهَاشِمِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام: أَخْبِرْنِي عَنْ يَعْقُوبَ عليه السلام لَـمَّا قَالَ لَهُ بَنُوهُ: ﴿يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ٩٧ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٩٧-٩٨]؟ فَأَخَّرَ الإِسْتِغْفَارَ لَهُمْ، وَيُوسُفَ عليه السلام لَـمَّا قَالُوا لَهُ: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢﴾ [يوسف: ٩١-٩٢]؟؟ قَالَ عليه السلام: **لِأَنَّ قَلْبَ الشَّابِّ أَرَقُّ مِنْ قَلْبِ الشَّيْخِ وَكَانَتْ جِنَايَةُ وُلْدِ يَعْقُوبَ عَلَى يُوسُفَ وَجِنَايَتُهُمْ عَلَى يَعْقُوبَ إِنَّمَا كَانَتْ بِجِنَايَتِهِمْ عَلَى يُوسُفَ فَبَادَرَ يُوسُفُ إِلَى العَفْوِ عَنْ حَقِّهِ وَأَخَّرَ يَعْقُوبُ العَفْوَ لِأَنَّ عَفْوَهُ إِنَّمَا كَانَ عَنْ حَقِّ غَيْرِهِ "**(٢).

وكلُّنا نعلم أن الله تعالى لا يغفر الذنوب التي في حق العباد إلا بعد ردّ الحقوق إلى أصحابها، وهناك عدة أحاديث في هذا الصدد، فإذا كان الأمر كذلك فما علاقة هذا بالتوسّل غير المعقول الذي تقومون به؟!

رابعًا: لقد نهت آيات القرآن الكريمة الإنسان صراحةً عن التوسّل ودعاء غير الله دعاءً غيرَ مقيَّد، كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله سبحانه: ﴿فَلَا

---

(١) **تفسير العياشي**، ج ٢، ص ١٩٦. وقارن أيضًا بالكافي للكليني، ج ٢، ص ٤٧٧.

(٢) الصدوق، علل الشرائع، ج١/ ص ٥٤، والمجلسيُّ، «بحار الأنوار»، ج ١٢ / ص ٢٨٠. (تر)

تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [الجن: ١٨]، وقوله عز من قائل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، وآيات أخرى كثيرة.

كما تؤكِّد أخبارُ الأئمَّة هذا المعنى أيضًا، أي وجوب أن يكون دعاءُ الله دعاءً مباشرًا من غير توسيط واسطة بين العبد والله. لقد وصَّى أمير المؤمنين عليٌّ ابنَه الإمام الحسن – عليهما السلام – فقال له: "...**وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ وَتَكَفَّلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُهُ وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْه..** " (نهج البلاغة، الرسالة رقم ٣١).

ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه الذي يرويه عنه «أبو حمزة الثمالي»: "**وَالحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أُنَادِيهِ كُلَّمَا شِئْتُ لِحَاجَتِي وَأَخْلُو بِهِ حَيْثُ شِئْتُ لِسِرِّي بِغَيْرِ شَفِيعٍ فَيَقْضِي لِي حَاجَتِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا أَدْعُو غَيْرَهُ وَلَوْ دَعَوْتُ غَيْرَهُ لَمْ يَسْتَجِبْ لِي دُعَائِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا أَرْجُو غَيْرَهُ وَلَوْ رَجَوْتُ غَيْرَهُ لَأَخْلَفَ رَجَائِي..** "[1].

بناء على ذلك نلاحظ أن القرآن والأخبار كلاهما يشهدان أن لا حاجة في دعاء الله تعالى إلى واسطة أو شفيع، وهذه إحدى مزايا الإسلام العالية، أنه لا يجعل بين العبد وربه أي وسطاء أو شفعاء، خلافًا للأديان الأخرى، بل يربط الإسلامُ العبدَ بِرَبِّهِ مباشرةً ويدعوه إلى أن يطلب منه حاجاته بشكل مباشر، وقد علَّم الله المسلمين ذلك فقال: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ﴾ [فصلت: ٦].

ولكن يا للأسف الشديد! لقد تسرّب كثيرٌ من آداب الملل السابقة وعاداتهم، كآداب وطقوس المصريين القدماء والفرس والسومريين والهنود القدماء، إلى شريعة الإسلام تدريجيًا، عن طريق الذين أسلموا طوعًا أو كرهًا من أهالي تلك البلدان أو عن طريق من

(١) السيد ابن طاووس، **إقبال الأعمال**، ص ٦٧. ونقله عنه المجلسيُّ، في **بحار الأنوار**، الطبعة الجديدة، ج٩٥، ص٨٢-٨٣.

تظاهروا بالإسلام [وأبطنوا اعتقاداتهم السابقة] فوجّهوا بذلك ضربات مهلكة إلى حقائق الإسلام الكفيلة بتأمين السعادة للناس، حتى أصبحنا نرى أغلب آداب تلك الأمم السالفة وعاداتهم وطقوسهم وعقائدهم موجودة بصورة أو بأخرى بين المسلمين اليوم، ولا يَعْدَمُ من يقومون بها أن يجدوا عليها دليلاً من حديث أو حديثين موضوعين وذلك مثل عيد النيروز و.... ومثل موضوع «**الشفاعة**» التي أوقعت في بلاد الإسلام فسادًا أكثر مما أوقعته جيوش جنكيزخان وتيمورلنك!

نظرة إلى التحريف الذي أصاب مفهوم الشفاعة

لم يأتِ موضوع «الشفاعة» في أي موضع من القرآن المجيد على نحو الإثبات، وجاء في كثير من الآيات على نحو النفي كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـًٔا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٌ﴾ [البقرة: ٤٨]، وقوله سبحانه: ﴿يَوۡمٌ لَّا بَيۡعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، و....، وجعلت آياتٌ أخرى الشفاعةَ مرتبطةً ومشروطةً بإذن الله تعالى أولاً [ورضاه عن المشفوع له].

أما الآثار الباقية عن الأديان المنسوخة وروح الغرور والبحث عن الذرائع لدى الفسّاق ولدى الأشخاص الذين يخافون من إنذارات القرآن من جهة ومن الجهة الأخرى يبحثون عن ذريعة تنقذهم من التقيد بتلك الأحكام وتحررهم من وطأتها كي يسترسلوا فيما ترغبه نفوسهم البهيمية وغرائزهم الحيوانية، فقد دفعت أصحابها إلى الترحيب بالسوق التي افتتحها لهم بائعو الجنة تحت عناوين مختلفة، وقد أدى اعتقاد العامة بشفاعة من تصوَّروا أنهم أصحاب الصلاحية المطلقة بالشفاعة يوم المحشر، إلى عدم إبقاء أي تأثير لإنذارات القرآن، وإلى أن يشعر كل فاسق وفاجر ممن يعتبر نفسه مؤمنًا بالقيامة براحة الضمير وعدم القلق من جراء استرساله بشهواته وأهوائه بفضل ما يقدمه للشفعاء من رُشًا من قبيل لطم الصدور وضرب الأبدان بالسلاسل وحمل الأعلام والبكاء عند قبور أئمة الدين الصالحين وزيارة مراقدهم والنذر لهم وذبح الأضاحي لأجلهم وأمثال هذه الأعمال التي يشعر فاعلوها أنهم يكسبون بها رضا شفعائهم على نحو أسهل بكثير من إرضاء الله، وَمِنْ ثَمَّ يضمنون نجاتَهم

من جهنم وعروجهم إلى أعلى درجات الجنة لهم ولأعزائهم!

لا شك أن للشفاعة وجودٌ في الإسلام لكن هذه الشفاعة الإسلامية لا علاقة لها أبدًا بذلك الباب الواسع والمفتوح على مصراعيه والمشجِّع على التجرُّؤ على المعاصي والاغترار والأمن من عقاب الله! تحت اسم الشفاعة المطلقة، فما ننفيه هو الشفاعة بهذا المعنى الأخير الذي يدعيه أصحاب الأهواء وجنود الشياطين(١)!

لو قرأنا تاريخ الأديان الباطلة القديمة مثل عقائد المصريين القدماء وصكوك الغفران والطلاسم التي يعطونها لغفران ذنوب الأموات وكذلك عقائد البابليين والسومريين الفاسدة في كتب المحققين والمؤرخين مثل كتاب «تاريخ الشرق مهد الحضارة» تأليف «ويل ديورانت» وكتاب «مسيرة الحضارة» تأليف «رالف لينتون» و.... لرأينا أن تلك العقائد الخاطئة كانت موجودة قبل آلاف السنين من ظهور الإسلام ولاحظنا كيف كان علماء وأحبار تلك الأديان الباطلة يروجون لمتاع «**الشفاعة**» وكيف كانوا يجذبون نحوهم أشخاصًا لأجل تقوية سوقهم ولفت انتباه الملوك الظالمين والفسقة الفاجرين نحوهم، وكان كل دين من تلك الأديان الملوثة بالخرافات يستعير من الأديان الأخرى ويعيرها كي يتقوى بذلك ثم تصبح تلك العقائد جزءًا لا يتجزأ من الدين! ووصل أمر الشفاعة إلى حد أنه ورد في إحدى الكتب المعروفة أن امرأة كانت تزني وكانت تقوم بحرق أولادها التي تأتي بهم من الزنا خوف الفضيحة ولم يكن أحد يعلم بذلك سوى أمها. فلما ماتت تلك المرأة وأرادوا دفنها كانت الأرض تلفظها ومهما حاولوا دفنها في مكان آخر عادت الأرض فلفظتها، وفي النهاية ذهب أقرباؤها إلى أحد الأئمَّة وعرضوا عليه القصة فسأل الإمام أمها ماذا كانت تصنع ابنتكِ في حياتها؟ فأخبرته الحقيقة، عند ذلك قال الإمام لن تقبل الأرض هذه المرأة لأنه بتعذيبها سيُعَذَّبُ سائر خلق الله! فضعي في قبرها مقدارًا من تربة الحسين عليه السلام، ففعلت فقَبِلَتْها الأرضُ!(٢) لاحظوا: كيف تم حلُّ معصية كبيرة بتلك الفظاعة والشناعة، بمقدار قليلٍ من

---

(١) راجعوا قسم «**بحث حول الشفاعة**» من كتابنا هذا.

(٢) نقل العلامة الحلي هذه القصة في كتابه الفقهي «**منتهى المطلب في تحقيق المذهب**»، ج ١، ص ٤٦١. (المُنَقِّح)

التراب هو في متناول كل شخص!

وأورد شيخٌ آخرُ له عديد من الكتب التي ألَّفها في القرن العشرين في الدعوة إلى دين الإسلام وتعريف الناس – كما يقول – بتعاليم الدين وأحكامه! في أحد كُتُبه قصَّةَ امرأةٍ كانت تُكره ابنَهَا على الزنا بها وكان الابن يفعل ذلك، ورغم ذلك لما ماتت الأم رآها أحدهم في الرؤيا في أعالي الجنة ووجهُها يتلألأ نورًا! فلما استغرب من هذا الأمر العجيب وسألها عنه؟ قالت: كنت أصلِّي على النبيِّ وآله كلَّ يوم سبع مرات!

ويذكرون حكاية أخرى عن امرأة زانية قضت كل حياتها بالفسق والفجور والفاحشة، فإنها في يوم من الأيام ذهبتْ لتأخذ قبسًا من النار من بيت جارها الذي كان قد أقام حفل عزاء للإمام الحسين، فإنها عندما وضعت منقلتها تحت قدر الطعام المخصص للمُعزّين لتأخذ قبسًا من النار، نفخت في النار حتى اشتعلت، ودخل دخان منها عينيها وأدمعهما، فهذه القطرة من الدمعة كانتْ سببًا لغفران جميع ذنوبها.

وهناك أمثلة كثيرة على هذه القصص الخرافية. فالنماذج المذكورة ليست سوى غيض من فيض وما عليكم إلا أن تحضروا مجالس المآتم وقراءة المراثي لتجدوا أنه يندر أن يوجد مجلس منها لا تُذكر فيه أمثال تلك القصص المفتريات التي تهدم أساس الدين وتجتث جذور الأخلاق والإنسانية. ولكم أن تدركوا أي مجتمع توجده مثل هذه الثقافة التي تُروَّجُ بين العوام لاسيما في الأوساط الأُمِّيَّة التي لا علم لديها ولا تربية؟ ولا عجب أن نجد بعد ذلك بعض الأغبياء البهائم الغارقين في شهواتهم يتعرضون لأرواح الناس وأموالهم وأعراضهم ورغم ذلك يعتبرون أنفسهم من أفضل الناس على الأرض! كما قال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾ [الكهف: ١٠٣- ١٠٤].

إن مثل هذه الأوهام والخرافات كفيلة باجتثاث جذور الفضائل الأخلاقية وبقطع الصلة بين الدين والأخلاق حتى إنك لا تجد فرقًا أحيانًا بين المتديِّن وعديم الدِّين من ناحية الأخلاق بل يمكن القول إن بعض مدَّعي التديُّن أكثرُ ضررًا وفسادًا من بعض عديمي

الدين! فنحن في الوقت الذي نجد فيه أن روح التدين ضعيفة لدى أغلب المثقفين بالثقافة العصرية في زماننا، إلا أن هذه الشريحة في المجتمع رغم ما في أصحابها من فسادٍ وتحرُّرٍ من قيود الدين، إلا أنك تجد كثيرًا منهم يعترفون بنظام الطبيعة وقوانينها ويؤمنون بالنظام الاجتماعي والمؤسسات والنظم والهيئات الاجتماعية، في حين أن بعض المتديِّنين الخرافيِّين لا يكترثون بكل تلك الأنظمة، ويُبَيِّضُون بأعمالهم السوداء وجه غير المتديِّنين في المجتمع! وعلَّة ذلك أنهم يرتكبون أكثر المعاصي بسبب اغترارهم بأمر الشفاعة وبسبب عملهم بالحيل الشرعية التي تبيح لهم أكل الربا، وأنهم يسيئون الظن بإخوانهم في الدين [الذين يخالفونهم الرأي] ويحقدون عليهم. ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾.

جولة في رسالة «سهو النبيّ» وآراء العلامة المحقّق آية الله الحاجّ الشيخ محمد تقي التستري (الشوشتري)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لِلَّهِ ربِّ العالمينَ حمدًا صادقًا مُؤبَّدًا بلا نهاية. نحمده أن شرَّفنا بشرف الإنسانية وزيَّنَنا بزينة العقل وهدانا وأكرمنا بتاج فخر الإسلام وأرسل لنا أنبياءه الطاهرين تترى لاسيما خاتمهم حضرة محمد المصطفى ﷺ صاحب المعجزة الخالدة والآيات البينات، فأخرجنا به من ظلمات الجهل والضلالة إلى نور العلم والهداية والفلاح، فملكنا بذلك مفاتيح سعادة الدارين، فصلوات الله وسلامه الأبدي على سيد المرسلين وآله الطاهرين وأصحابه الصادقين. آمين

إن التدين والتشرُّع في المجتمع الإسلامي -خلافًا لما يظنه أغلب الناس- أمر خطير وحساس جدًّا! رغم أن الإسلام شريعة سهلة سمحة(١) وأنه ليس من غرض الله أن يوقعنا في العسر والحرج في أمور الحياة وفي التكاليف الشرعية، لكن الأمر المؤكَّد الذي لا ينبغي الغفلة عنه هو اهتمام الشارع المقدس وتأكيده على اتباع الدين الخالص النقي من كل شائبة(٢)، وحثّه إيَّانا على التفكّر وتكليفه إيَّانا بالتدقيق في ما نؤمن به من عقائد وما نقوم به من أعمال باسم الدين! ولا شك أن الأعمال المخلصة(٣) والنقيّة والمثمرة إنما تنتج عن العقيدة الخالصة والتوحيدية.

---

(١) عن النبي ﷺ: «**بُعِثْتُ بالحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ**». (الجامع الصغير، السيوطي. ونظير هذا الحديث نجده في مسند أحمد بن حنبل، ج ٥، ص ١١٦ و٢٣٣).

(٢) قال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢- ٣]، ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤﴾ [الزمر: ١٤].

(٣) راجعوا الآيات الآتية لمعرفة تعليم القرآن حول العمل الخالص وإخلاص الدين لله: البقرة/ ١٣٩،

أجل، إن إحدى آفات العقائد الدينية في الأديان السابقة وفي دين الإسلام المبين، والتي نهى عنها القرآن الكريم وأئمة الدين آفة «**الغلو**» في الدين وفي الشخصيات الدينية. لقد نهى القرآن الكريم أهل الكتاب عن الغلو [في المسيح] فقال: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]، وقال أيضًا: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧]. ولا شك أن ذكر هذا النهي لأهل الكتاب يراد به تلويحًا تحذير المسلمين أيضًا من الوقوع في نفس الخطأ أي «**الغلو**» في نبيِّهم وفي عقيدتهم وإرشادهم إلى النهج الديني الصحيح!

أما ما ورد عن أئمّة الدين الكرام في النهي عن الغلوّ فهو كثير للغاية ونكتفي منه بالآتي:

أ- رُوِيَ عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: "**هَلَكَ فِيَّ رَجُلانِ مُحِبٌّ غَالٍ ومُبْغِضٌ قالٍ**" (نهج البلاغة، الحكمة ١١٧)[١].

ب- وَرُوِيَ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: "**اِحْذَرُوا على شَبَابِكُمُ الغُلاةَ لا يُفْسِدُونَهُم، فإنَّ الغُلاةَ شرُّ خَلْقِ الله، يُصَغِّرُونَ عَظَمَةَ الله، وَيَدَّعُونَ الرُّبُوبِيَّةَ لِعِبَادِ الله، وَالله إنَّ الغُلاةَ لَشَرٌّ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصارى وَالمجُوسِ وَالذِينَ أَشْرَكُوا**... ". (أمالي الشيخ الطوسي، ص٤٥).

ومن الجدير الانتباه إلى أن إحدى المسائل التي اهتم علماءُ الفريقين بها وسبّبت وقوع الاختلاف بين عدد من العلماء الكبار: موضوع «سهو النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم»، ونريد في هذه المقالة أن نعالج هذا الموضوع بقدر المُسْتَطاع، وببضاعتنا المزجاة من العلم، من خلال دراسة وتحليل الرسالة القيمة التي ألّفها أحد علماء الرجال المعاصرين أعني «**رسالة في سهو النبيّ** صلى الله عليه وآله وسلم» تأليف العلامة المحقق آية الله الحاج الشيخ «محمد تقي الشوشتري» (أو التستري) -دام توفيقه-. إن شاء الله تعالى.

الأعراف/ ٢، يونس/ ٢٢، العنكبوت/ ٦٥، لقمان/ ٣٢، غافر/ ١٤ و٦٥، مريم/ ٥١، الصافات/ ٤٠ و٧٤ و١٢٨، و١٦٠، و١٦٩، ص/ ٨٣، البينة/ ٥.

(١) ونظيرها الحكمة ٤٦٩ في **نهج البلاغة** أيضًا: "**يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ وبَاهِتٌ مُفْتَرٍ**".

لا شك أن عددًا من علماء الشيعة الإمامية الكبار، مثل المرحوم «**الشيخ الصدوق**» وأستاذه «**محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد القمي**»، اللذَيْنِ وثَّقهما عامَّةُ العلماء ورجاليّو الشيعة الإمامية ومدحوهما مدحًا بليغًا وأثنوا عليهما كل الثناء، كانوا يعتقدون بإمكانية عروض السهو والنسيان لنبي الإسلام الأكرم ﷺ والأئمَّة عليهم السلام، وأكّدوا على هذه الحقيقة واعتبروا أن من يُنكر عروض السهو للنبي ﷺ فهو من الغلاة[1].

والمستَنَدُ في ذلك ما جاء في كتب الحديث الأساسية الأربعة لدى الشيعة الإمامية، ونذكر أهمها فيما يلي:

أ) "أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ النُّعْمَانِ عَنْ سَعِيدٍ الْأَعْرَجِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَاعَبْدِالله عليه السلام يَقُولُ: صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ سَلَّمَ فِي رَكْعَتَيْنِ، فَسَأَلَهُ مَنْ خَلْفَهُ: يَا رَسُولَالله! أَحَدَثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ؟ قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالُوا: إِنَّمَا صَلَّيْتَ رَكْعَتَيْنِ. فَقَالَ: أَكَذَاكَ يَا ذَا الْيَدَيْنِ؟ وَكَانَ يُدْعَى ذَا الشِّمَالَيْنِ. فَقَالَ: نَعَمْ. فَبَنَى عَلَى صَلَاتِهِ فَأَتَمَّ الصَّلَاةَ أَرْبَعًا وَقَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الَّذِي أَنْسَاهُ رَحْمَةً لِلْأُمَّةِ أَلَا تَرَى لَوْ أَنَّ رَجُلاً صَنَعَ هَذَا لَعُيِّرَ وَقِيلَ مَا تُقْبَلُ صَلَاتُكَ فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ ذَلِكَ قَالَ قَدْ سَنَّ رَسُولُ الله ﷺ وَصَارَتْ أُسْوَةً. وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ لِمَكَانِ الْكَلَامِ ". (الشيخ الطوسي، «**التهذيب**»، ج ٢، حديث ١٤٣٣) ونلاحظ نظير هذا الخبر أيضًا في الحديثين رقم (١٤٣٨ و١٤٦١) من «التهذيب».

ب) "عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ آبَائِهِ عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله ﷺ الظُّهْرَ خَمْسَ رَكَعَاتٍ ثُمَّ انْفَتَلَ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ الله! هَلْ زِيدَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ؟! فَقَالَ: وَمَا

---

(١) لا يخفى على أهل النظر أنه لا علاقة بين تجويز عروض السهو والنسيان لنبي الإسلام ﷺ وبين مسألة العصمة في إبلاغ الوحي وأحكام الشريعة التي صرّح بها القرآن الكريم. فقول الشيخ الصدوق ومن وافقه -كما سنرى في الصفحات الآتية- يُبيّن بوضوح أنهم يرون أن رسول الله مبرأ من السهو في أمر النبوة وتبليغ أحكام الدين وأنه في هذا الأمر يتمتّع بحفظ الله تعالى وحراسته. وبعبارة أخرى فإن الشيخ الصدوق وأستاذه ومن وافقهما لا يقولون بجواز عروض السهو للنبي على إطلاقه وفي كل شيء، وإنما يقولون بجواز عروض السهو منه في الأفعال والأمور الشخصية المحضة وغير التبليغية.

ذَاكَ؟ قَالَ: صَلَّيْتَ بِنَا خَمْسَ رَكَعَاتٍ قَالَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَكَبَّرَ وَهُوَ جَالِسٌ ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ لَيْسَ فِيهِمَا قِرَاءَةٌ وَلَا رُكُوعٌ ثُمَّ سَلَّمَ وَكَانَ يَقُولُ: هُمَا الْمُرْغِمَتَانِ ". (الشيخ الطوسي، «التهذيب»، ج ٢، حديث ١٤٤٩)[1].

ج) وفي «الكافي» للكُلَيْنِيّ، (كتاب الصلاة، بَابُ مَنْ تَكَلَّمَ فِي صَلَاتِهِ أَوِ انْصَرَفَ قَبْلَ أَنْ يُتِمَّهَا أَوْ يَقُومُ فِي مَوْضِعِ الْجُلُوسِ، حديث رقم ١) بسنده عَنْ سَمَاعَةَ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: قَالَ أَبُوعَبْدِ الله عليه السلام: "مَنْ حَفِظَ سَهْوَهُ فَأَتَمَّهُ فَلَيْسَ عَلَيْهِ سَجْدَتَا السَّهْوِ فَإِنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم صَلَّى بِالنَّاسِ الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَهَا فَسَلَّمَ. فَقَالَ لَهُ ذُو الشِّمَالَيْنِ: يَا رَسُولَ الله! أَنَزَلَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ؟! فَقَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: إِنَّمَا صَلَّيْتَ رَكْعَتَيْنِ! فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم أَتَقُولُونَ مِثْلَ قَوْلِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ. فَقَامَ صلى الله عليه وآله وسلم فَأَتَمَّ بِهِمُ الصَّلَاةَ وَسَجَدَ بِهِمْ سَجْدَتَيِ السَّهْوِ... ". (الكافي، ج٣، ص٣٥٦).

هذا وقد قال المحشِّي الذي حقَّق الكافي معلقًا على هذا الحديث: "حَمَلَ عددٌ من العلماء هذا الخبر على التقِيَّة ". وأقول ينبغي أن نسأله: وكيف يمكن للعلماء أن يدَّعوا أن الإمام الصادق عليه السلام كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟! معاذ الله!

د) وفي الباب السابق ذاته من «الكافي» (الحديث رقم ٣): "عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ الْعَبَّاسِ عَنْ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ صَدَقَةَ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ الْأَوَّلِ عليه السلام: أَسَلَّمَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأَوَّلَتَيْنِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: وَحَالُهُ حَالُهُ؟! قَالَ: إِنَّمَا أَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُفَقِّهَهُمْ " (الكافي، كتاب الصلاة، الحديث ٣).

هـ) وَرَوَى الشيخ الصدوق في «**من لا يحضره الفقيه**» فقال: "رَوَى الْحَسَنُ بْنُ مَحْبُوبٍ عَنِ الرِّبَاطِيِّ عَنْ سَعِيدٍ الْأَعْرَجِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَامَ

---

(١) وفي **مسند الإمام زيد** (بيروت، دار مكتبة الحياة، ص ١٢٣-١٢٤) رواية مشابهة ولفظها: "حدثني زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله الظهر خمسًا، فقام ذو الشمالين فقال: يا رسول الله! هل زيد في الصلاة شيء؟! قال: وما ذاك؟، قال صليت بنا خمسًا، قال: فاستقبل القبلة فكبَّر وهو جالسٌ وسجدَ سجدتين ليس فيهما قراءةٌ ولا ركوعٌ وقال: هما المرغمتان". وقارن بما ورد في **مسند أحمد** (ج٣، ص٧٢، و٨٣، و٨٤).

رَسُولَهُ ﷺ عَنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ. ثُمَّ قَامَ فَبَدَأَ فَصَلَّى الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ ثُمَّ صَلَّى الْفَجْرَ، وَأَسْهَاهُ فِي صَلَاتِهِ فَسَلَّمَ فِي رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ وَصَفَ مَا قَالَهُ ذُو الشِّمَالَيْنِ وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ رَحْمَةً لِهَذِهِ الْأُمَّةِ لِئَلَّا يُعَيَّرَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ إِذَا هُوَ نَامَ عَنْ صَلَاتِهِ أَوْ سَهَا فِيهَا فَيُقَالُ قَدْ أَصَابَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ". («من لا يحضره الفقيه»، أبواب الصلاة/ باب أحكام السهو في الصلاة، حديث ١٠٣١، ج ١، ص ٣٥٨). وبعد أن أورد «الصدوق» هذا الحديث علّق عليه قائلاً:

"إِنَّ الْغُلَاةَ وَالْمُفَوِّضَةَ لَعَنَهُمُ اللهُ يُنْكِرُونَ سَهْوَ النَّبِيِّ ﷺ وَيَقُولُونَ لَوْ جَازَ أَنْ يَسْهُوَ عليه السلام فِي الصَّلَاةِ لَجَازَ أَنْ يَسْهُوَ فِي التَّبْلِيغِ لِأَنَّ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ فَرِيضَةٌ كَمَا أَنَّ التَّبْلِيغَ عَلَيْهِ فَرِيضَةٌ وَهَذَا لَا يُلْزِمُنَا وَذَلِكَ لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَحْوَالِ الْمُشْتَرَكَةِ يَقَعُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِيهَا مَا يَقَعُ عَلَى غَيْرِهِ وَهُوَ مُتَعَبَّدٌ بِالصَّلَاةِ كَغَيْرِهِ مِمَّنْ لَيْسَ بِنَبِيٍّ وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ سِوَاهُ بِنَبِيٍّ كَهُوَ فَالْحَالَةُ الَّتِي اخْتُصَّ بِهَا هِيَ النُّبُوَّةُ وَالتَّبْلِيغُ مِنْ شَرَائِطِهَا[1]. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي التَّبْلِيغِ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ فِي الصَّلَاةِ لِأَنَّهَا عِبَادَةٌ مَخْصُوصَةٌ وَالصَّلَاةُ عِبَادَةٌ مُشْتَرَكَةٌ وَبِهَا تَثْبُتُ لَهُ الْعُبُودِيَّةُ وَبِإِثْبَاتِ النَّوْمِ لَهُ عَنْ خِدْمَةِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ لَهُ وَقَصْدٍ مِنْهُ إِلَيْهِ نُفِيَ الرُّبُوبِيَّةُ عَنْهُ لِأَنَّ الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ هُوَ اللهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَلَيْسَ سَهْوُ النَّبِيِّ ﷺ كَسَهْوِنَا لِأَنَّ سَهْوَهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّمَا أَسْهَاهُ لِيُعْلِمَ أَنَّهُ بَشَرٌ مَخْلُوقٌ[2] فَلَا يُتَّخَذَ رَبًّا مَعْبُودًا دُونَهُ، وَلِيَعْلَمَ النَّاسُ بِسَهْوِهِ حُكْمَ السَّهْوِ مَتَى سَهَوْا. وَسَهْوُنَا مِنَ الشَّيْطَانِ وَلَيْسَ لِلشَّيْطَانِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَالأَئِمَّة

---

(١) لاسيما أن القرآن الكريم صرّح أن النبيّ ﷺ عند أدائه لرسالة ربّه، مصون من الخطأ ومعصوم من السهو والنسيان بواسطة الملائكة الحفظة الإلهيين (ولكننا لا نُشاهد مثل هذا الضمان بالحفظ أثناء الصلاة في كتاب الله). قال تعالى في بيان إبلاغ النبيّ للوحي ولمسائل الشريعة: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ۝٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ [الجن: ٢٦-٢٨]

(٢) هناك حوالي ١٧ آية في القرآن الكريم تؤكد على بشرية الأنبياء عليهم السلام ومنهم نبي الإسلام ﷺ، وعلى سبيل المثال تراجع الآيات الآتية: الكهف: ١١٠، الإسراء: ٩٣، فصلت: ٦، و....

صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ وَعَلَى مَنْ تَبِعَهُ مِنَ الْغَاوِينَ.

وَيَقُولُ الدَّافِعُونَ لِسَهْوِ النَّبِيِّ ﷺ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الصَّحَابَةِ مَنْ يُقَالُ لَهُ ذُو الْيَدَيْنِ وَإِنَّهُ لَا أَصْلَ لِلرَّجُلِ وَلَا لِلْخَبَرِ. وَكَذَبُوا لِأَنَّ الرَّجُلَ مَعْرُوفٌ وَهُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ عُمَيْرُ بْنُ عَبْدِ عَمْرٍو الْمَعْرُوفُ بِذِي الْيَدَيْنِ وَقَدْ نَقَلَ عَنْهُ الْمُخَالِفُ وَالْمُؤَالِفُ، وَقَدْ أَخْرَجْتُ عَنْهُ أَخْبَارًا فِي كِتَابِ وَصْفِ قِتَالِ الْقَاسِطِينَ بِصِفِّينَ[1].

وَكَانَ شَيْخُنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْوَلِيدِ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: **أَوَّلُ دَرَجَةٍ فِي الْغُلُوِّ نَفْيُ السَّهْوِ عَنِ النَّبِيِّ** ﷺ وَلَوْ جَازَ أَنْ تُرَدَّ الْأَخْبَارُ الْوَارِدَةُ فِي هَذَا الْمَعْنَى لَجَازَ أَنْ تُرَدَّ جَمِيعُ الْأَخْبَارِ وَفِي رَدِّهَا إِبْطَالُ الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ وَأَنَا أَحْتَسِبُ الْأَجْرَ فِي تَصْنِيفِ كِتَابٍ مُنْفَرِدٍ فِي إِثْبَاتِ سَهْوِ النَّبِيِّ ﷺ وَالرَّدِّ عَلَى مُنْكِرِيهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى ". انتهى كلام الصدوق، **(من لا يحضره الفقيه**، ج ١، ص ٣٥٩- ٣٦٠).

وقد أشار المرحوم الشيخ آغا بزرگ الطهراني في كتابه القيّم «**الذريعة إلى تصانيف الشيعة**» (ج ١٢، ص ٢٦٥) إلى «**كتاب السهو**» للشيخ الصدوق كما أشار إلى ردّ الشيخ المفيد -تلميذ الشيخ الصدوق- على بعض آراء أستاذه في كتاب مستقل تحت عنوان «**شرح عقائد**

---

(١) ذُكر «ذو اليدين» (الخرباق بن عَمْرو السُّلَمِيّ)، و«ذو الشمالين» في كل من كتاب «**الإصابة في تمييز الصحابة**» تأليف «ابن حجر العسقلاني» في الترجمتين رقم ٢٢٣٨ و ٦٠٤٣، وكتاب «**الاستيعاب في معرفة الأصحاب**» تأليف «ابن عبد البَرّ القرطبي» في باب الأفراد في حرف الخاء والذال. وذُكرا أيضًا باللقبين المشار إليهما في موسوعة «لغت‌نامه» تأليف علي أكبر دهخدا. وقال «النووي» في كتابه «**تهذيب الأسماء واللغات**» (ج١، ص ٢٠٧): "ذو اليدين الصحابيّ، رضى الله عنه:... اسمه الخرباق بن عمرو،... وهو من بنى سليم، وهو الذى قال: يا رسول الله، أقصرت الصلاة أم نسيت؟ حين سلَّم في ركعتين، وليس هو ذا الشمالين الذي قُتل يوم بدر؛ لأن ذا الشمالين خزاعيٌّ قُتل يوم بدر، وذو اليدين سُلَمِيٌّ عاش بعد النبي ﷺ زمانًا حتى روى المتأخرون من التابعين عنه". انتهى.

إذن، ليس ذو اليدين شخصًا مجهولاً بل ذُكر في جميع الكتب في عداد صحابة رسول الله ﷺ.

الصدوق» أو «**تصحيح الاعتقاد**». وذكر أن الشيخ «المفيد» ردّ على قول الصدوق بسهو النبي ﷺ في رسالة خاصة عُرفت باسم «**السهوية**» وقد أشار إليها آغا بزرگ الطهراني في (ج ١٢، ص٢٦٧) من كتابه «**الذريعة**».

وقد أيَّد العلامة المحقِّق الحاج الشيخ محمد تقي الشوشتري (دام عزه) عقيدة الشيخ الصدوق في ثبوت سهو النبي ﷺ ودافع عن هذا القول وردَّ على الشيخ المفيد وفنَّد بشكل وافٍ ومُدلَّلٍ ما ذكره في ردِّه على الصدوق، كل ذلك في رسالة سمَّاها: «**رسالة في سهو النبي** ﷺ»، ذكرها صاحب «**الذريعة**» (ج ١٢، ص ٢٦٧) بعنوان «**رسالة في سهو النبي والانتصار للشيخ الصدوق**». وقد طُبعت هذه الرسالة في آخر كتاب «**قاموس الرجال**» للعلامة الشوشتري مصورة عن نسخة كتبها بخط يده. وسنذكر في مقالتنا هذه أهم ما جاء في تلك الرسالة مع التعليق عليها. ومن الجدير بالذكر أننا بعد تحليلنا لتلك الرسالة سنذكر بعض الشواهد المؤيّدة الأخرى من القرآن الكريم في هذا المجال. إن شاء الله تعالى.

دراسة «رسالة في سهو النبي ﷺ» للعلامة الشوشتري

قال العلامة الشوشتري(١):

"كتب الشيخ المفيد رسالةً في نقض كلام الصدوق في عقيدته بسهو النبي ﷺ فقال: "قد تكلَّف [الصدوق] ما ليس من شأنه، فأبدى بذلك عن نقصه في العلم وعجزه،

(١) يجدر الانتباه إلى أنني ترجمتُ ما أورده المصنف من نص رسالة الشوشتري، عن الفارسية، رغم أن أصل الرسالة قد حرَّرها الشوشتري بالعربية، ولكن لما لم تتوفر لدي أصل رسالته، ترجمت عن ترجمة المرحوم قلمداران لها. وبالتالي فقد يكون هناك شيء بسيط من اختلاف ألفاظي عن ألفاظ الأصل العربي، فليُعلم. والخطب يسير لأن جزء كبير من رسالة الشوشتري اقتباسات من كتب متوفرة لدي ككتاب المفيد في الرد على الصدوق وكتب الرواية كالكافي وغيره فنقلتُ عين عباراتها العربية الأصلية. (المترجم)

ولو كان ممن وُفِّقَ لِرُشْدِهِ لما تعرَّض لما لا يُحسِنُهُ، ولا هو من صناعته "[١].

ثم قال المفيد: "الحديث الذي روته الناصبة، والمقلدة من الشيعة أن النبي صلى الله عليه وآله سها في صلاته، فسلَّم في ركعتين ناسيًا، فلما نُبِّه على غلطه فيما صنع، أضاف إليها ركعتين، ثم سجد سجدتي السهو، من أخبار الآحاد التي لا تثمر علمًا، ولا توجب عملاً، ومَن عَمل على شيء منها فعلى الظن يعتمد في عمله بها دون اليقين، وقد نهى الله تعالى عن العمل على الظن في الدين، وحذر من القول فيه بغير علم ويقين ".

ثم استدل بالقرآن والعقل على بطلان العمل بالظن، وأطال الكلام في إبطال قول من قال بسهو النبي ﷺ في الصلاة. ثم شرع في بيان وجوه الطعن في حديث «السهو» وذكر في ذلك ثلاثة أوجه:

١- أن رواة الأحاديث قد اختلفوا في الصلاة التي زعموا أنه (عليه السلام) سها فيها، فقال بعضهم هي الظهر. وقال بعض آخر منهم: بل كانت عشاء الآخرة. واختلافهم في الصلاة ووقتها دليل على وهن الحديث، وحجة في سقوطه، ووجوب ترك العمل به.

٢- في الخبر نفسه ما يدل على اختلاقه، وَهُوَ مَا رَوَوْهُ مِنْ أَنَّ ذَا الْيَدَيْنِ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ لَمَّا سَلَّمَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مِنَ الصَّلَاةِ الرُّبَاعِيَّةِ: أَقَصُرَتِ الصَّلَاةُ يَا رَسُولَ الله أَمْ نَسِيتَ؟! فَقَالَ ﷺ [عَلَى] مَا زَعَمُوا: "**كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ**". فنفى صلى الله عليه وآله أن تكون الصلاة قصرت، ونفى أن يكون قد سها فيها. فليس يجوز عندنا وعند الحشوية المجيزين عليه السهو، أن يكذب النبي (عليه السلام) متعمِّدًا ولا ساهيًا، وإذا كان قد أخبر أنه لم يسه، وكان صادقًا في خبره، فقد ثبت كذب من أضاف إليه السهو، ووضح بطلان دعواه في ذلك بلا ارتياب.

٣- اختلافهم في جبران الصلاة التي ادَّعَوْا السهو فيها، والبناء على ما مضى منها، أو

(١) نقل المجلسي في بحار الأنوار (ج ١٧، ص ١٢٣ فما بعد) نص هذه الرسالة في الرد على الصدوق وقال أنها "رسالة وصلت إلينا تُنسَب إلى الشيخ السديد المفيد أو السيد النقيب الجليل المرتضى قدس الله روحهما، وإلى المفيد أنسب". انتهى كلام المجلسي. (المُنَقِّح)

الإعادة لها. فأهل العراق يقولون: إنه أعاد الصلاة، لأنه تكلم فيها، والكلام في الصلاة يوجب الإعادة عندهم. وأهل الحجاز ومن مال إلى قولهم، يزعمون: أنه بنى على ما مضى، ولم يُعِدْ شيئًا قد تقضى، وسجد لسهوه سجدتين. ومن تعلق بهذا الحديث من الشيعة يذهب فيه إلى مذهب أهل العراق، لأنه متضمن كلام النبي (ﷺ) في الصلاة عمدًا، وَالتفاته عن القبلة إلى من خلفه، وسؤاله عن حقيقة ما جرى، ولا يختلف فقهاؤهم في أن ذلك يوجب الإعادة. والحديث يتضمَّن أن النبيَّ (ﷺ) بنى على ما مضى ولم يُعِد، وهذا الاختلاف الذي ذكرناه في هذا الحديث أقوى دليل على بطلانه، وأوضح حجة في وضعه واختلاقه ".

ثم قال المفيد في موضع آخر: "ولو جاز أن يسهو النبي ﷺ في صلاته وهو قدوة فيها حتى يسلم قبل تمامها وينصرف عنها قبل كمالها، ويشهد الناس ذلك فيه ويحيطوا به علما من جهته، لجاز أن يسهو في الصيام حتى يأكل ويشرب نهارا في رمضان بين أصحابه وهم يشاهدونه ويستدركون عليه الغلط، وينبهونه عليه، بالتوقيف على ما جناه ولجاز أن يجامع النساء في شهر رمضان نهارا ولم يؤمن عليه السهو في مثل ذلك حتى يطأ المحرمات عليه من النساء وهو ساه في ذلك ظان أنهم أزواجه ويتعدّى من ذلك إلى وطي ذوات المحارم ساهيا. ويسهو في الزكاة فيؤخرها عن وقتها ويؤديها إلى غير أهلها ساهيا، ويخرج منها بعض المستحق عليه ناسيًا. ويسهو في الحج حتى يجامع في الإحرام، ويسعى قبل الطواف ولا يحيط علما بكيفية رمي الجمار، ويتعدى من ذلك إلى السهو في كل أعمال الشريعة حتى يقلبها عن حدودها، ويضيعها في أوقاتها، ويأتي بها على غير حقائقها..! "[1].

---

(١) هذا الكلام غريبٌ وبعيدٌ جدًّا عن شأن الشيخ المفيد الذي كان متكلمًا كبيرًا! لأنه من الواضح تمامًا أنه حتى أفراد البشر العاديين –من العلماء والعامة– الذين ليسوا بأولياء والذين يعترضهم السهو أحيانًا في الصلاة أو في أمور أخرى لا تصدر منهم تلك الأعمال الشنيعة المشار إليها سواء كان ذلك سهوًا أم نسيانًا، اللهم إلا إذا ابتلوا بنوع من الملنخوليا أو الجنون! وبالتالي فالتهويل واحتمال تلك الأمور بشأن النبي إذا جوَّزنا عليه السهو في الأمور الشخصية أبعد بمراتب بعيدة، فما ذكره من احتمالات غير وارد أصلاً!

وفي موضع آخر تعرَّض الشيخ المفيد لكلام الشيخ الصدوق في كتابه «**الفقيه**»[(١)] فقال:

"ثم من العجب حكمه على أن سهو النبي ﷺ من الله، وسهو من سواه من أمته وكافة البشر من غيرهم من الشيطان، بغير علم فيما ادعاه، ولا حجة ولا شبهة يتعلق بها أحد من العقلاء، اللهم إلا أن يدعى الوحي في ذلك، ويبين به ضعف عقله لكافة الألبّاء. ثم العجب من قوله: إن سهو النبي ﷺ من الله دون الشيطان، لأنه ليس للشيطان على النبي ﷺ سلطان، وإنما زعم أن سلطانه على الذين يتولَّوْنَهُ، والذين هم به مشركون، وعلى من اتَّبَعَهُ من الغاوين. ثم هو يقول: إن هذا السهو الذي من الشيطان يعم جميع البشر -سوى الأنبياء والأئمَّة- فكلهم أولياء الشيطان وإنهم غاوون، إذ كان للشيطان عليهم سلطان، وكان سهوهم منه دون الرحمن، ومن لم يتيقظ لجهله في هذا الباب، كان في عداد الأموات[(٢)]. فأما قول الرجل المذكور [يقصد الشيخ الصدوق] إن ذا اليدين معروف، وأنه يقال له: أبو محمد، عمير بن عبد عمرو، وقد روى عنه الناس. فليس الأمر كما ذكر، وقد عَرَّفه بما يدفع معرفته من تكنيته وتسميته بغير معروف بذلك، ولو أنه يُعرف بذي اليدين، لكان أولى من تعريفه بتسميته بعمير. فإن المنْكِر له يقول: من ذو اليدين؟ ومن هو عمير؟ ومن هو ابن عبد عمرو؟ وهذا كله مجهول غير معروف. ودعواه أنه قد روى الناس عنه، دعوى لا برهان عليها، وما وجدنا في أصول الفقهاء ولا الرواة [أي الأصول الأربعمئة] حديثًا عن هذا الرجل، ولا ذكرًا له ". انتهى كلام الشيخ المفيد.

هنا شرع العلامة الحاج الشيخ الشوشتري بالرد على مطاعن الشيخ المفيد الثلاثة في كلام

---

(١) يقصد كتاب «**من لا يحضره الفقيه**» للشيخ الصدوق ابن بابويه القمي.

(٢) الإنصاف يقتضي هنا أن نقول إن إشكال الشيخ المفيد على كلام الشيخ الصدوق إشكال وارد وفي محله، لأنه لا يمكن القبول بأن كل إنسان -خاصة المؤمن والمسلم- سوى النبي والإمام إذا سها كان سهوه من تأثير الشيطان وإضلاله! لأن مثل هذا الحكم سيصيب حتى الشيخ الصدوق نفسه! لأنه مما لا شك فيه أنه كان يعرض له السهو والنسيان -كأي إنسان- فهل يقبل أن يقال له إنه وليٌّ للشيطان وضالٌّ؟ بالتأكيد لا.

الصدوق فقال:

"أما قول الشيخ «المفيد»: "قد تكلَّف [الصدوق] ما ليس من شأنه! " فينبغي أن يُقال في الإجابة عنه: ليس صحيحًا أن من لم يكن له علم باصطلاحات المتكلمين لا يمكنه أن يدلي برأيه في أمر اعتقادي ما. وكيف يكون ذلك وقد أشار عليه حضرة الحجة (عج) في الرؤيا - (والذي يظهر من أخبار المعصومين عليهم السلام أن رؤية النبي والإمام في المنام تعتبر رؤيا صادق) - أن يصنِّف كتابًا حول «**الغيبة**» في الردّ على المخالفين، كما صرَّح الصدوق بذلك في مقدمة كتابه «**إكمال الدين**». كما أنه من اللازم أن نذكر أن الصدوق وُلِدَ بدعاء الحجة (عج) وهو صاحب ٣٠٠ مصنف وقد سمع شيوخ الإمامية الحديث منه وهو لا يزال شابًّا. وقد كان الشيخ الجليل الصدوق من وجوه الشيعة في خراسان، جليل القدر، حافظًا للحديث ناقدًا للأخبار ولم يكن له بين علماء قم نظير في الحفظ وكثرة العلم!

وأما قول الشيخ «المفيد» أن حديث «سهو النبي» "روته الناصبة، والمقلدة من... وأنه من أخبار الآحاد التي لا تثمر علمًا، ولا توجب عملاً.. " فجوابه أن الذين رووا هذا الحديث من رجال الشيعة هم:

١- سماعة بن مهران

٢- الحسن بن صدقة

٣- سعيد الأعرج

٤- جميل بن دراج

٥- أبو بصير

٦- زيد الشحّام

٧- أبو سعيد القمّاط

٨- أبو بكر الحضرمي

٩- الحارث (الحرث) بن المغيرة النصري

وكلهم من أجلة الرواة وثقاتهم، وبعضهم ممن أجمع العلماء على تصحيح ما اتصل صحيحًا عنهم وأقروا بفقههم!

وقد أورد «جميل» الذي كان من أفقه العلماء الستة[1] ومن أصحاب الإمام الصادق‏عليه السلام، نفسَه في عداد بعض الرواة من أمثال زيد الشحام وسماعة بن مهران، لكون كلا الراوِيَين من أصحاب الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام اللذين لا مَطْعَنَ بهما أصلاً.

فكيف اعتبرهم الشيخ «المفيد» من الناصبة، هذا وعدد أخبار السهو أكثر من عدد كثير من الأخبار التي أُدُّعِيَ فيها التواتر في الفقه! إلى درجة أن الكُلَيْنِيَّ عقد لأحاديث السهو بابًا خاصًّا في كتاب «الكافي» تحت عنوان: (**بَابُ مَنْ تَكَلَّمَ فِي صَلَاتِهِ أَوِ انْصَرَفَ قَبْلَ أَنْ يُتِمَّهَا أَوْ يَقُومُ فِي مَوْضِعِ الْـجُلُوسِ**). [ونورد فيما يلي الروايات المتعلقة بهذه المسألة]:

١- مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى عَنْ سَمَاعَةَ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: مَنْ حَفِظَ سَهْوَهُ فَأَتَمَّهُ فَلَيْسَ عَلَيْهِ سَجْدَتَا السَّهْوِ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم صَلَّى بِالنَّاسِ الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَهَا فَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ ذُو الشِّمَالَيْنِ يَا رَسُولَ اللهِ أَنَزَلَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ فَقَالَ وَمَا ذَاكَ قَالَ إِنَّمَا صَلَّيْتَ رَكْعَتَيْنِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَتَقُولُونَ مِثْلَ قَوْلِهِ قَالُوا نَعَمْ فَقَامَ صلى الله عليه وآله وسلم فَأَتَمَّ بِهِمُ الصَّلَاةَ وَسَجَدَ بِهِمْ سَجْدَتَيِ السَّهْوِ قَالَ قُلْتُ أَرَأَيْتَ مَنْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَظَنَّ أَنَّهُمَا أَرْبَعٌ فَسَلَّمَ وَانْصَرَفَ ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ مَا ذَهَبَ أَنَّهُ إِنَّمَا صَلَّى رَكْعَتَيْنِ قَالَ يَسْتَقْبِلُ الصَّلَاةَ مِنْ أَوَّلِهَا قَالَ قُلْتُ فَمَا بَالُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم لَمْ يَسْتَقْبِلِ الصَّلَاةَ وَإِنَّمَا أَتَمَّ بِهِمْ مَا بَقِيَ مِنْ صَلَاتِهِ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم لَمْ يَبْرَحْ مِنْ مَجْلِسِهِ فَإِنْ كَانَ لَمْ يَبْرَحْ مِنْ مَجْلِسِهِ فَلْيُتِمَّ مَا نَقَصَ مِنْ صَلَاتِهِ إِذَا كَانَ قَدْ حَفِظَ الرَّكْعَتَيْنِ الْأَوَّلَتَيْنِ.

٢- عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ الْعَبَّاسِ عَنْ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ عَنِ الْـحَسَنِ بْنِ صَدَقَةَ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي الْـحَسَنِ الْأَوَّلِ عليه السلام أَ سَلَّمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأَوَّلَتَيْنِ فَقَالَ نَعَمْ قُلْتُ وَحَالُهُ حَالُهُ قَالَ إِنَّمَا أَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُفَقِّهَهُمْ.

(١) وهم: جميل بن دراج، وعبد الله بن مَسكان، وعبد الله بن بكير، وحماد بن عيسى، وحماد بن عثمان وأبان بن عثمان.

٣- مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ النُّعْمَانِ عَنْ سَعِيدٍ الْأَعْرَجِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ صَلَّى رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ثُمَّ سَلَّمَ فِي رَكْعَتَيْنِ فَسَأَلَهُ مَنْ خَلْفَهُ يَا رَسُولَ الله أَ حَدَثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ قَالَ وَمَا ذَلِكَ قَالُوا إِنَّمَا صَلَّيْتَ رَكْعَتَيْنِ فَقَالَ أَ كَذَلِكَ يَا ذَا الْيَدَيْنِ وَكَانَ يُدْعَى ذَا الشِّمَالَيْنِ فَقَالَ نَعَمْ فَبَنَى عَلَى صَلَاتِهِ فَأَتَمَّ الصَّلَاةَ أَرْبَعًا وَقَالَ إِنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي أَنْسَاهُ رَحْمَةً لِلْأُمَّةِ أَلَا تَرَى لَوْ أَنَّ رَجُلاً صَنَعَ هَذَا لَعُيِّرَ وَقِيلَ مَا تُقْبَلُ صَلَاتُكَ فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ ذَاكَ قَالَ قَدْ سَنَّ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم وَصَارَتْ أُسْوَةً وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ لِمَكَانِ الْكَلَامِ.

٤- وَرَوَى الشيخ [أي الشيخ الطوسي في التهذيب] بإسناده عن الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ جَمِيلٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام عَنْ رَجُلٍ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَامَ قَالَ يَسْتَقْبِلُ قُلْتُ فَمَا يَرْوِي النَّاسُ فَذَكَرَ لَهُ حَدِيثَ ذِي الشِّمَالَيْنِ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم لَمْ يَبْرَحْ مِنْ مَكَانِهِ وَلَوْ بَرِحَ اسْتَقْبَلَ.

٥- وعَنْهُ عَنْ فَضَالَةَ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ سَمَاعَةَ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام عَنْ رَجُلٍ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَامَ فَذَهَبَ فِي حَاجَتِهِ؟ قَالَ: يَسْتَقْبِلُ الصَّلَاةَ. فَقُلْتُ: مَا بَالُ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم لَمْ يَسْتَقْبِلْ حِينَ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم لَمْ يَنْفَتِلْ مِنْ مَوْضِعِهِ.

٦- وبإسناده [أي الشيخ الطوسي في «التهذيب»] عن أَحْمَدِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ فَضَّالٍ عَنْ أَبِي جَمِيلَةَ عَنْ زَيْدٍ الشَّحَّامِ أَبِي أُسَامَةَ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ صَلَّى الْعَصْرَ سِتَّ رَكَعَاتٍ أَوْ خَمْسَ رَكَعَاتٍ؟ قَالَ: إِنِ اسْتَيْقَنَ أَنَّهُ صَلَّى خَمْسًا أَوْ سِتًّا فَلْيُعِدْ وَإِنْ كَانَ لَا يَدْرِي أَ زَادَ أَمْ نَقَصَ فَلْيُكَبِّرْ وَهُوَ جَالِسٌ ثُمَّ لْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ يَقْرَأُ فِيهِمَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فِي آخِرِ صَلَاتِهِ ثُمَّ يَتَشَهَّدُ وَإِنْ هُوَ اسْتَيْقَنَ أَنَّهُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ انْصَرَفَ فتَكَلَّمَ فَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يُتِمَّ الصَّلَاةَ قَائِمًا عَلَيْهِ أَنْ يُتِمَّ الصَّلَاةَ مَا بَقِيَ مِنْهَا فَإِنَّ نَبِيَّ الله صلى الله عليه وآله وسلم صَلَّى بِالنَّاسِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ نَسِيَ حَتَّى انْصَرَفَ فَقَالَ لَهُ ذُو الشِّمَالَيْنِ يَا رَسُولَ الله أَ حَدَثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ أَصَدَقَ ذُو الشِّمَالَيْنِ؟؟ فَقَالُوا: نَعَمْ لَمْ تُصَلِّ إِلَّا رَكْعَتَيْنِ. فَقَامَ فَأَتَمَّ مَا بَقِيَ مِنْ صَلَاتِهِ.

٧- وبإسناده [أي الشيخ الطوسي في «التهذيب»] عَنْ مُوسَى بْنِ عُمَرَ بْنِ يَزِيدَ عَنِ ابْنِ

سِنَانٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْقَمَّاطِ قَالَ سَمِعْتُ رَجُلاً يَسْأَلُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام عَنْ رَجُلٍ وَجَدَ غَمْزًا فِي بَطْنِهِ أَوْ أَذًى أَوْ عَصْرًا مِنَ الْبَوْلِ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ.... [إلى قوله] إِنَّمَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ سَهَا فَانْصَرَفَ فِي رَكْعَةٍ أَوْ رَكْعَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ مِنَ الْمَكْتُوبَةِ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ أَنْ يَبْنِيَ عَلَى صَلَاتِهِ ثُمَّ ذَكَرَ سَهْوَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم.

٨- وبإسناده عن سَعْدِ بْنِ عَبْدِ الله عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ عَنْ فَضَالَةَ عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْحَضْرَمِيِّ قَالَ صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي الْمَغْرِبَ فَلَمَّا أَنْ صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ سَلَّمْتُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّمَا صَلَّيْتَ رَكْعَتَيْنِ فَأَعَدْتُ فَأَخْبَرْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام فَقَالَ لَعَلَّكَ أَعَدْتَ فَقُلْتُ نَعَمْ فَضَحِكَ ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا كَانَ يُجْزِيكَ أَنْ تَقُومَ وَتَرْكَعَ رَكْعَةً إِنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم سَهَا فَسَلَّمَ فِي رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ ذِي الشِّمَالَيْنِ فَقَالَ ثُمَّ قَامَ فَأَضَافَ إِلَيْهَا رَكْعَتَيْنِ.

٩- وعنه أيضًا وَرَوَى سَعْدٌ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بَشِيرٍ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ الْمُغِيرَةِ النَّصْرِيِّ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ الله عليه السلام إِنَّا صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ فَسَهَا الْإِمَامُ فَسَلَّمَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ فَأَعَدْنَا الصَّلَاةَ فَقَالَ وَلِمَ أَعَدْتُمْ أَ لَيْسَ قَدِ انْصَرَفَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم فِي رَكْعَتَيْنِ فَأَتَمَّ بِرَكْعَتَيْنِ أَلَّا أَتْمَمْتُم.

١٠ – وَروى في **العيون** [أي في كتاب «**عيون أخبار الرضا**» للشيخ الصدوق] في آخر باب «باب ما جاء عن الرضا عليه السلام في وجه دلائل الأئمَّة وَالردِّ على الغُلاة وَالمفوِّضة لعنهم الله» عن تَمِيمٍ الْقُرَشِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ عَنِ الْهَرَوِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِلرِّضَا عليه السلام إِنَّ فِي سَوَادِ الْكُوفَةِ قَوْمًا يَزْعُمُونَ أَنَّ النَّبِيَّ لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ سَهْوٌ فِي صَلَاتِهِ! فَقَالَ: كَذَبُوا لَعَنَهُمُ اللهُ إِنَّ الَّذِي لَا يَسْهُو هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ! قَالَ قُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ الله! وَفِيهِمْ قَوْمٌ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ لَمْ يُقْتَلْ وَأَنَّهُ أُلْقِيَ شَبَهُهُ عَلَى حَنْظَلَةَ بْنِ أَسْعَدَ الشَّامِيِّ وَأَنَّهُ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ كَمَا رُفِعَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام وَيَحْتَجُّونَ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٤١] فَقَالَ كَذَبُوا عَلَيْهِمْ غَضَبُ الله وَلَعْنَتُه.... الحديث.

١١- وفي **الفقيه** [أي كتاب «**من لا يحضره الفقيه**» للشيخ الصدوق]: روى الْحَسَنُ بْنُ

مَحْبُوبٍ عَنِ الرِّبَاطِيِّ عَنْ سَعِيدٍ الْأَعْرَجِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَامَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله عَنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ فَبَدَأَ فَصَلَّى الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ ثُمَّ صَلَّى الْفَجْرَ، وَأَسْهَاهُ فِي صَلَاتِهِ فَسَلَّمَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ، ثُمَّ وَصَفَ مَا قَالَهُ ذُو الشِّمَالَيْنِ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ رَحْمَةً لِهَذِهِ الْأُمَّةِ لِئَلَّا يُعَيَّرَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ إِذَا هُوَ نَامَ عَنْ صَلَاتِهِ أَوْ سَهَا فِيهَا فَقَالَ قَدْ أَصَابَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله.

١٢- وفي الفقه الرضويّ: وَكُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ الْعَالِمِ عليه السلام وَرَجُلٌ سَأَلَهُ عَنْ رَجُلٍ سَهَا فَسَلَّمَ فِي رَكْعَتَيْنِ مِنَ الْمَكْتُوبَةِ ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يُتِمَّ صَلَاتَهُ قَالَ فَلْيُتِمَّهَا وَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيِ السَّهْوِ وَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله صَلَّى يَوْمًا الظُّهْرَ فَسَلَّمَ فِي رَكْعَتَيْنِ فَقَالَ ذُو الْيَدَيْنِ يَا رَسُولَ اللهِ أُمِرْتَ بِتَقْصِيرِ الصَّلَاةِ أَمْ نَسِيتَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله لِلْقَوْمِ صَدَقَ ذُو الْيَدَيْنِ فَقَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ لَمْ تُصَلِّ إِلَّا رَكْعَتَيْنِ فَقَامَ فَصَلَّى إِلَيْهِمَا رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ وَسَجَدَ سَجْدَتَيِ السَّهْوِ.

تلك كانت الروايات الاثني عشر التي أفتى محدثون أجلاء مثل «الصدوق» و[أستاذه] «محمد بن الحسن بن الوليد»، و«السيد المرتضى» - الذي كان أجلّ تلاميذ المفيد - صراحةً بمضمونها! وقد عرفنا حال الأول منهم، أما «محمد بن الحسن بن الوليد» فهو: شيخ القمِّيِّن، وفقيههم، ومتقدِّمهم، ووجههم. وعلى حد قول النجاشي: "ثقةٌ ثقةٌ، عينٌ، مسكونٌ إليه ". وبقول الشيخ الطوسي: "جليل القدر، عارفٌ بالرجال، موثوق به ". وحتى «ابن الغضائري» الذي لا يثني على أحد ثناءً مضاعفًا أثنى عليه ثناءً مضاعفًا كما ذكر ذلك ابن داود.

ولعمري ليس مثله [أي ابن الوليد] بين الأصحاب [أي علماء الإمامية الكبار] في نقد الرجال والأخبار! ويكفي في بيان جلالة قدره وعظمته أن شخصًا كالصدوق قال عنه: "كلّما لم يصحِّحه ذلك الشيخ قُدِّس سرُّه ولم يحكم بصحته من الأخبار فهو عندنا متروك غير صحيح"[1].

---

(١) انظر **تنقيح المقال**، ج٣، ص١٠٠. هذا ومن الجدير بالذكر أنه لم يُمْدَح أي عالم من علماء الإمامية بمثل هذا القول! ولاحظوا أيضًا مدحه الذي جاء في «**قاموس الرجال**» تأليف العلامة الحاج الشيخ الشوشتري -دام عزّه- (ج٨، ص ١٢٠). نعم، لقد حَظِيَ شيعة قم الذين كانوا في زمن الأئمة عليهم السلام

أما عن الشخص الثالث [السيد المرتضى علم الهدى] فقد قيل في حقه: "متوحِّدٌ في علوم كثيرةٍ، مُجْمَعٌ على فضله مقدَّمٌ في العلوم، مثل علم الكلام والفقه وأصول الفقه والأدب والنحو والشعر ومعاني الشعر واللغة وغير ذلك "[١]، وكان أرفع أدباء عصره منزلةً، فقيهًا ومتكلمًا وجامعًا لجميع العلوم.

وقال عنه النجاشي: "حاز من العلوم ما لم يدانه فيه أحدٌ في زمانه، وسمع من الحديث فأكثر، وكان متكلِّمًا شاعرًا أديبًا، عظيم المنزلة في العلم والدين والدنيا "[٢].

***

لقد اتَّضح رأي الأول والثاني بشأن «سهو النبيّ»! أما الثالث [أي السيد المرتضى علم الهدى] فقد قال في كتابه «**تنزيه الأنبياء**» بعد ذكره لآية ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ۝٧٣﴾ [الكهف: ٧٣]:

"فأما فيما هو خارج عما ذكرناه [أي أمر الشرع وما أُمر النبيُّ بتبليغه عن الله] فلا مانع من النسيان ".

ثم ذكر جواز النسيان أو السهو في المأكل والمشرب[٣]. وقال في كتاب «**الناصريات**» بعد

بمدح الأئمة لهم مدحًا شديدًا، ونجد في المجلد ١٤ من بحار الأنوار فقط (طبع كمباني، من ص٣٣٧ إلى ٣٤١) أكثر من أربعين روايةً في الثناء على أهل قم المعاصرين للأئمة. وقال الإمام عليه السلام في حقهم: "هُمْ أَهْلُ رُكُوعٍ وَسُجُودٍ وَقِيَامٍ وَقُعُودٍ هُمُ الْفُقَهَاءُ الْعُلَمَاءُ الْفُهَمَاءُ هُمْ أَهْلُ الدِّرَايَةِ وَالرِّوَايَةِ وَحُسْنِ الْعِبَادَةِ".

(١) العلامة الحلي، **الخلاصة**، ص ٩٤، وانظر الطوسي، **الفهرست**، ص ٩٨.

(٢) النجاشي، **رجال النجاشي**، ص ٢٧٠.

(٣) السيد الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي(-٤٣٦هـ)، «**تنزيه الأنبياء**»، طبع قم، ١٢٥٠هـ، ص ٨٤. وعبارة السيد المرتضى الكاملة التي ذكرها بعد الآية ٧٣ من سورة الكهف هي: "وإذا حملنا هذه اللفظة على غير النسيان الحقيقي فلا سؤال فيها، وإن حملناها على النسيان في الحقيقة كان الوجه فيها أن النبي عليه السلام إنما لا يجوز عليه النسيان فيما يؤديه عن الله تعالى أو في شرعه أو في أمر يقتضي التنفير عنه، فأما فيما هو خارج عما ذكرناه فلا مانع من النسيان. ألا ترى أنه إذا نسي أو سها في مأكله أو مشربه على وجه لا

أن ذكر عدم بطلان الصلاة بالتسليم ناسيًا:

"وخبر «ذي اليدين» يدلُّ على أنَّ من سلَّم ناسيًا لا تبطل صلاته، لأنه روي أن النبي ﷺ سلَّم في الركعتين الأوليين ساهيًا من الظهر أو العصر، ثم بنى على صلاته "[1].

واستدلَّ من هذا الطريق أيضًا على أن من تكلَّم في صلاته ناسيًا لم تبطل صلاته. ويُفهم من كلام الكُلَيْنِيّ في «الكافي» أنه كان يعمل بهذا الحديث، وكذلك عمل الاثنا عشر راويًا بالخبر -ما عدا الشيخ الطوسي- ولم يذكر أحدٌ منهم طعنًا فيه بأنه مخالف للعقل أو للنقل! وكلهم من الرواة الذين أثنى عليهم المشايخ والفقهاء الكبار ووثَّقوهم. فكيف يقال لمثل هؤلاء أنهم مقلِّدة؟! واستنادًا إلى ما ذكرناه يتبين أن هذا الخبر من الأخبار المتواترة أو الملحقة بها، لذا قال «ابن الوليد» **"وَلَوْ جَازَ أَنْ تُرَدَّ الْأَخْبَارُ الْوَارِدَةُ فِي هَذَا الْمَعْنَى لَجَازَ أَنْ تُرَدَّ جَمِيعُ الْأَخْبَارِ** ". وكيف نقبل بأن هذا الخبر خبر آحاد في حين أن الخاصة والعامة اتفقوا على روايته وأجمع عليه الموافق والمخالف؟![2].

ولم يُعْلَم عن أي عالم من علماء الشيعة الإمامية تشكيكٌ بصحة هذا الخبر، ولو وجد لما اكتفى الصدوق بنسبة مخالفة هذا الخبر إلى المفوِّضة والغلاة، بل لَذَكَرَ المخالف وناقشه، كما ناقش في قسم الميراث في «[من لا يحضره] الفقيه» يونس بن عبد الرحمن والفضل بن شاذان، رغم قَدْرِهِما ومنزلتهما - وخطَّأهما في كثير من الموارد!

هذا، ويؤيد كلام الصدوق في أن منكري سهو النبي ﷺ هم الغلاة والمفوضة الحديث السابق الذي نقلناه من «**عيون أخبار الرضا**»، وقد زاد فيه أن منكري سهو النبي ﷺ هم

يستمر ولا يتصل فننسب إلى أنه مغفل فإن ذلك غير ممتنع؟". [لاسيما أن السهو والنسيان ليسا ذنبًا ولا علاقة لهما بالعصمة في إبلاغ الدين].

(١) السيد المرتضى، **المسائل الناصريات**، طبع طهران، رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، ط١، ١٤١٧هـ، ص ٢٤١. (المُنَقِّح)

(٢) لمعرفة ما ورد حول هذا الأمر في كتب العامة يمكن الرجوع إلى كتاب «**التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول**» ج ١، ص٢٢٠.

أنفسهم منكرو قتل الحسين عليه السلام الذين استنبطوا ذلك القول الخاطئ من الآية المذكورة.

ولم ينكر أحدٌ من القدماء قبل الشيخ «المفيد» هذا الخبر. ومفهوم كلام السيد المرتضى في «**المسائل الناصريات**» أن موضوع «سهو النبي» كان أمرًا مُسلَّمًا به ولم يخالف في وقوعه أحد، وقد اتبع الشيخ الطوسي أستاذه الشيخ المفيد في هذا الأمر(١)، واتَّبَع المتأخِّرون الشيخ الطوسي في هذا الأمر - كعادتهم في متابعة الشيخ الطوسي في كثير من آرائه!(٢)

أما «إسحق بن الحسن بن بكران» الذي كان معاصرًا للنجاشي ولقيه في الكوفة، وعدّ النجاشيُّ من كتبه كتاب «نفي السهو عن النبي صلى الله عليه وآله» فقد كان في الظاهر من الغلاة! لأن النجاشي قال عنه: "**هو ضعيف المذهب**"!!

بناء على ما تقدم كيف يدعي الشيخ المفيد أن هذا الخبر خبر آحاد؟ مع أنه إضافة إلى تواتره في حد نفسه له ما يعضده من القرآن الكريم! والميزان في صحة الأخبار موافقتها

(١) يقول الشيخ الطوسي الذي لا يصحح أحاديث سهو النبي، بعد نقله لتلك الأحاديث: "وَإِنَّمَا ذَكَرْنَاهَا لِأَنَّ مَا تَتَضَمَّنَهُ مِنَ الْأَحْكَامِ مَعْمُولٌ بِهَا عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ" (**تهذيب الأحكام**، ج ١، ص ٢٣٦)، وهذا يفيد أنه حتى زمن الشيخ كانت أخبار سهو النبي صلى الله عليه وآله مَعْمُولاً بِهَا. وطبقًا لما نقله العلامة المجلسي، فإن الشهيد الأول قال في «**الذكرى**» (ص ١٣٤) بعد أن نقل رواية صحيحة عن «زرارة» عن الإمام الباقر عليه السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله فاتته صلاة الصبح في بعض أسفاره فصلاها قضاء، قال: "ولم أقف على رادٍّ لهذا الخبر"، ثم نقل المجلسي كلام الشيخ البهائي الذي قال: "وهو [أي كلام الشيخ الشهيد الأول هذا] يعطي تجويز الأصحاب صدور ذلك وأمثاله عن المعصوم وللنظر فيه مجال واسع" انتهى. (**بحار الأنوار**، ج ١٧، ص ١٠٧- ١٠٨).

كما نقل المجلسيُّ كلامَ جناب القاضي عياض اليحصبي الذي قال في كتابه «**الشفا بتعريف حقوق المصطفى**» (ج ٢، ص ٢٦٧ - ٢٧٠): "وأما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الأحكام من أفعاله صلى الله عليه وآله وما يختص به من أمور دينه وأذكار قلبه ما لم يفعله ليتبع فيه فالأكثر من طبقات علماء الأمة على جواز السهو والغلط فيها على سبيل الندرة". (**بحار الأنوار**، ج ١٧، ص ١١٨).

(٢) من هذا الكلام يظهر أن عنوان «المقلدة» الذي استخدمه الشيخ المفيد في حق الشيخ الصدوق وأستاذه ابن الوليد القمي، أحق بكثير أن يشمل المتأخرين وليس أولئك الأستاذين الكبيرين القديمين!

للقرآن[١]، وقد قال الله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧﴾ [الأعلى: ٦-٧]، وقال عن النبي موسى (عليه السلام) وفتاه: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف: ٦١]، وقال أيضًا: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾[الكهف: ٧٣][٢].

ولأجل ذلك بعد أن نقل العلامة المجلسيُّ أخبارَ السهو واستدل على عدم صدورها قال: "**اعلم أن هذه المسألة في غاية الإشكال لدلالة كثير من الآيات والأخبار على صدور السهو عنهم**... و ما أسلفنا من الأخبار و غيرها و إطباق الأصحاب إلا ما شذ منهم على عدم جواز السهو عليهم مع دلالة بعض الآيات والأخبار عليه في الجملة "!. (**بحار الأنوار**، ج ١٧، ص ١١٨ و١١٩. وأيضًا في ج ٢٥، ص ٣٥١).

مناقشة وجوه طعـن الشيخ المفيد (ره)

١- أما الطعن الأول للشيخ المفيد بقوله: "أن رواة الأحاديث قد اختلفوا في الصلاة التي زعموا أنه (عليه السلام) سها فيها، فقال بعضهم هي الظهر. وقال بعض آخر منهم: بل كانت عشاء الآخرة. واختلافهم في الصلاة ووقتها دليل على وهن الحديث، وحجة في سقوطه ".

فهو عجيب من مثل الشيخ المفيد! لأن إيجاب الوهن إنما يكون عندما يكون الاختلاف في نفس الخبر لا فيما هو خارج عنه! وإلا لو كان الأمر كما قال لكان اختلاف الأمة في ماهية «الصلاة الوسطى» موجبًا للطعن في تلك الصلاة، مع أن «الصلاة الوسطى» ذكرت في القرآن! ومن الجهة الأخرى فإن الاختلاف الذي ذكره الشيخ المفيد هو بين علماء العامة!! وليس بين علماء الخاصة اختلاف في ذلك بل كلهم متّفقون على أن ذلك السهو حصل في صلاة الظهر، كما دلّ عليه خبر «سماعة بن مهران» وخبر «الفقه الرضوي».

٢- أما طعن الشيخ المفيد الثاني الذي قال فيه: "إن في الخبر ما يدل على وضعه "! فهو أعجب من طعنه الأول! لأنه ترك جميع أخبار الخاصة واستند إلى خبر العامة ثم اعتبر الطعن

(١) رُوي عن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة: "ما وافق القرآن فخذوه وما خالف القرآن فدعوه".

(٢) ذكرنا في الصفحات السابقة قول السيد المرتضى حول هذه الآية.

في خبر العامة موجبًا للطعن في أخبار الخاصة! وذلك لأن جملة «**كلُّ ذلك لم يكن!**» لم ترد في أي خبر من أخبارنا الخاصة، بل جاء في جميعها أنه لما قال «ذو الشمالين» للنبيِّ ﷺ: صليتَ ركعتين! استفسر النبيُّ ﷺ ممن كانوا خلفه عن صحة قول ذي الشمالين فصدَّقوا قوله!

من هنا يظهر أن لا محل في هذا الباب لقول «المفيد»: "فليس يجوز عندنا وعند الحشوية المجيزين عليه السهو، أن يكذب النبي (عليه السلام) متعمِّدًا ولا ساهيًا "! كما لا وجه لإطلاقه لقب الحشويَّة على الشيخين الصدوق وابن الوليد! لأن كلاً منهما كان عالمًا كبيرًا وكانا من نُقَّاد الأخبار والآثار. فلم يرتضيا مثلاً رواية آثار مثل كتاب خالد بن عبد الله، وأصل الزيدين، وكتاب «بصائر الدرجات» للصفار، وكتاب «المنتخبات» لسعد! كما استثنيا روايات «محمد بن سنان» و«ابن أرومة» و«ابن جمهور» وأمثالهم، مما يشتمل على الغلو والتخليط، كما استثنيا روايات «أبي سمينة» التي تتضمن غلوًا وتخليطًا وتدليسًا أو تفردًا! كما استثنيا من كتب «يونس بن عبد الرحمن» ما تفرد به العُبَيْدي! واستثنيا جماعةً كثيرةً من رواة نوادر حكمة «محمد بن أحمد بن يحيى» وهم:

محمد بن موسى الهمداني، محمد بن يحيى المعاذي وأبو عبد الله الجاموري، وأبو عبد الله السياري، ويوسف بن السخت، ووهب بن منبّه، وأبو علي النيشابوري، وأبو سمينة، وأبو يحيى الواسطي، والآدمي، والعبيدي، وأحمد بن هلال، ومحمد بن علي الهمداني، وعبد الله بن محمد الشامي، وعبد الله بن أحمد الرازي، وأحمد بن يحيى بن سعيد، وأحمد بن بشير الرقي، ومحمد بن هارون، ومحمد بن عبد الله بن مهران، والحسن اللؤلؤي، وجعفر بن محمد بن مالك، ويوسف بن الحرث (الحارث)، وعبد الله بن محمد الدمشقي[(١)].

والأعجب مما سبق، قوله في آخر رسالته: "إن هذه الرواية تقتضي أنه لم يتنبَّه إلى هذا السهو إلا ذو اليدين - وهو مجهول الشخصية من بين الصحابة - دون جميع من حضر من سائر الصحابة بما فيهم أبو بكر وعمر، وأن الرسول صلى الله عليه وآله لما أراد أن يتأكد من

---

(١) الحق والإنصاف أن مثل هذه الدقة في نقد الأخبار والرواة تستحق كل التقدير! وتدل على عمق الإحساس بالمسؤولية تجاه الآثار النبوية الثمينة.

كلام ذي اليدين سأل أبا بكر وعمر عن ذلك؟ دون غيرهما من الصحابة الحاضرين؟! وكل هذه المفارقات تشير إلى أن الرواية إنما وضعت لتشويه سمعة النبي ﷺ، وإسقاط فعله عن الحجية والاعتبار". انتهى.

إن كل ما ذكره الشيخ إنما يصح إذا اعتمدنا على الحديث الوارد من طرق العامة، ولكننا لم نعتمد عليه بل اعتمدنا على الأخبار المتعددة التي مرّت، ولذلك فإن كلّ المطاعن التي ذكرها الشيخ المفيد لا تتجّه للأخبار والرواة المذكورين.

فالطريق الذي سلكه الشيخ من أسوأ المغالطات، وليته إن لم يرجع إلى أخبار الخاصة اكتفى على الأقل بحديث «سعيد الأعرج» في «من لا يحضره الفقيه»!

٣ - أما طعن الشيخ المفيد الثالث بقوله أنه:

"مما يدل على بطلان الحديث اختلافهم في جبران الصلاة التي ادعوا السهو فيها، والبناء على ما مضى منها، أو الإعادة لها. فأهل العراق يقولون: إنه أعاد الصلاة، لأنه تكلم فيها، والكلام في الصلاة يوجب الإعادة عندهم. وأهل الحجاز ومن مال إلى قولهم، يزعمون: أنه بنى على ما مضى، ولم يعد شيئًا قد تقضّى، وسجد لسهوه سجدتين. ومن تعلق بهذا الحديث من الشيعة يذهب فيه إلى مذهب أهل العراق، لأنه متضمن كلام النبيّ (عليه السلام) في الصلاة عمدًا، والتفاته عن القبلة إلى من خلفه، وسؤاله عن حقيقة ما جرى، ولا يختلف فقهاؤهم في أن ذلك يوجب الإعادة. والحديث يتضمن أن النبي (عليه السلام) بنى على ما مضى. وهذا الاختلاف الذي ذكرناه في هذا الحديث أدل دليل على بطلانه، وأوضح حجة في وضعه واختلاقه." انتهى كلام المفيد.

فهذا الطعن للشيخ أعجب من الطعنين السابقين! لأن الصدوق لم يتمسّك بحديث العامة ولأن الشيعة لم يذهبوا إلى مذهب أهل العراق ولأن النبيّ ﷺ لم يتكلم في صلاته عامدًا! لأن الكلام إذا كان بسبب ظنّه أنه قد فرغ من الصلاة هو من باب الكلام سهوًا، ولا أعلم خلافًا بين علماء طائفة الإمامية في هذه المسألة. (**نهاية كلام جناب العلامة الشيخ الشوشتري دام عزّه**).

الخاتمة

كما لاحظنا أبطل العلامة القدير وعالم شوشتر الشهير آية الله الحاج الشيخ وجوه طعن الشيخ المفيد في أخبار سهو النبي ﷺ في الصلاة بكل علميَّةٍ ومهارة وتمكُّنٍ في علم الرواية (الرجال) والدراية، وما ذكَرَهُ كافٍ لمعرفة مبلغه من العلم ودقة البحث.

ولكنني أرى أنه بدلاً من إطالة الكلام في جرح الرجال وتعديلهم وتمحيص الروايات المختلفة في هذا الباب مما يطول الكلام فيه وربما لم يعطنا في النهاية نتيجة قطعية لأن أحوال الرجال أمر مختلف فيه، نرى أن نلجأ في هذه المسألة إلى أصل حجية ظواهر كتاب الله وأن نستعين في هذه المسألة بآيات الكتاب البينات وبتعبير آخر أن نسلك طريقًا مختصرًا يوصلنا مباشرة إلى المقصود!

إن هناك عدة آيات في القرآن الكريم تدل على أن الأنبياء العظام عليهم السلام يعرض لهم أحيانًا النسيان وهذا من لوازم طبيعتهم البشرية! ومن المسلَّم به أن «السهو» الذي هو نوع من أنواع النسيان يعرض لهم أيضًا. والآيات التالية حول هذا الموضوع جديرة بالتأمل:

١- ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤]

كما هو معروف ومشهور في كتب علوم القرآن وأسباب النزول والتفاسير أن قريشًا أرسلت وفدًا إلى علماء أهل الكتاب (اليهود) في المدينة كي يطلبوا منهم بعض الأسئلة ليمتحنوا بها صدق محمد ﷺ. فقال لهم اليهود اسألوه عن «أصحاب الكهف» وعن «ذي القرنين»[١].

فعادوا بهذه الأسئلة إلى مكة وطرحوها على النبي ﷺ فأجابهم قائلاً «سأخبركم عنها

(١) وأضافت بعض المصادر أنهم اقترحوا عليهم أيضًا أن يسألوه عن الروح.

غدًا» ولم يستثنِ بقوله: «إن شاء الله»! فلم ينزل الوحي في اليوم التالي، وكما ذكر الرواة تأخَّر نزول الوحي من ثلاثة إلى ٤٥ يومًا وقد أصاب النبيَّ ﷺ الحزنَ لهذه الفترة في الوحي.

وبعد أن نزل الوحي وبيَّن الإجابة عن أسئلتهم علَّم اللهُ تعالى في بداية الآيات نبيَّه الكريمَ ﷺ أن لا يجزم بقول أو فعل شيء في المستقبل دون إيكال ذلك إلى مشيئة الله وإرادته وقال له: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤]

وقد يقول قائل إن جملة «**إذا نسيتَ**» قضية شرطية ولا تدلّ ضرورةً على تحقّق الشرط وأن النبيَّ ﷺ نسيَ فعلاً. والجواب: إن هذا الكلام مثله مثل أن تقول لشخص تجاوز الخمسين من عمره إذا كنت شابًا فواصل تحصيلك العلمي أي أن تُعَلِّقَ الأمر على محال! فذلك الإشكال يستتبع نسبة الشك إلى علم الله -معاذ الله-، وكأنَّه تعالى لم يكن يعلم أن محمدًا ﷺ لا يمكن أن ينسى أبدًا، فهو يذكِّرُهُ بأمر يستحيل وقوعه منه!! إنه من الواضح تمامًا أن الله تعالى اعتبر بروز النسيان أمرًا طبيعيًا بالنسبة إلى النبي ﷺ لذا أمره أن يذكر ربه إذا نسي.

٢- قال المرحوم الشيخ الطَّبْرَسِيّ صاحب التفسير القيِّم «**مجمع البيان**» ذيل تفسيره لقوله تعالى ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨].

"قال الجبائي وَفي هذه الآيَة دلالة على بطلان قول الإمامية في جواز التقية على الأنبياء وَالأئمَّة وَأن النسيان لا يجوز على الأنبياء! **وهذا القول غير صحيح ولا مستقيم، لأن الإمامية إنما تُجوِّز التقيَّة على الإمام فيما تكون عليه دلالة قاطعة توصل إلى العلم ويكون المكلَّف مزاح العلَّة في تكليفه ذلك، فأمَّا ما لا يعرف إلا بقول الإمام من الأحكام وَلا يكون على ذلك دليل إلا من جهته فلا يجوز عليه التقيَّة فيه.**

وأما النسيان وَالسهو فلم يجوزوهما عليهم فيما يؤدُّونه عن الله تعالى فأما ما سواه فقد جوَّزُوا عليهم أن ينسوه أو يسهوا عنه ما لم يؤدِّ ذلك إلى إخلال بالعقل وكيف لا يكون

كذلك وَقد جوَّزُوا عليهم [أي عَلَى النبيِّ والأئمَّة] النوم وَالإغماء وهما من قبيل السهو؟! فهذا ظنٌّ منه فاسدٌ، وإنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ". (انتهى كلام الطَّبْرَسِيّ).

٣- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١﴾ [التحريم: ١]، وقال سبحانه: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٤٣﴾ [التوبة: ٤٣]

هاتان الآيتان يحملهما علماء الشيعة -لاسيما المتأخرون منهم- على ترك الأولى! ونقول حسنًا! ولكن أليس ترك الأولى بابٌ من أبواب السهو أيضًا؟!

٤- وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤﴾ [البقرة: ٢٠٤]، كما نلاحظ تبين الآية أنه من الممكن لمن هو «ألد الخصام» أن يثير إعجاب النبي بكلامه وإشهاده الله على ما في قلبه، في حين يكون واقع أمر ذلك الشخص خلاف ما يظهره، وهذا أيضًا نوع من «السهو».

ولكن الله تعالى هو وحده المبرأ من كل نقص بما في ذلك السهو والنسيان! كما يقول الباري تعالى: ﴿قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ٥٢﴾ [طه: ٥٢].

وَالسَّلَامُ

وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ

م. س

شهر إسفند ١٣٧٣هـ.ش

الموافق لـ شهر شباط (فبراير) ١٩٩٥م

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

كتب التفسير

١- الطبرسي، الشيخ أمين الإسلام أبو على الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨ هـ)، «مجمع البيان في تفسير القرآن والفرقان» ط١، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٢- الطوسي، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن (٤٦٠هـ)، «التبيان في تفسير القرآن»، طهران (طبعة حجرية)، ١٣٦٥هـ. أو الطبعة الجديدة المحققة، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، ط١، طهران، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩هـ.

٣- علي بن إبراهيم القمي (ال قرن٣؟)، تفسير القمي، ط٣، قم، مؤسسة دار الكتاب، ١٤٠٤هـ

٤- العيَّاشِيّ، الشيخ أبو النضر محمد بن مسعود بن العياش التميمي الكوفي السمرقندي (توفي في بداية القرن ٤ هـ)، «تفسير العياشي»، طهران، المكتبة العلمية الإسلامية.

٥- الفيض الكاشاني، الملا محسن الملقب بالفيض محمد بن مرتضى (١٠٩١هـ) «الصافي في تفسير كلام الله الوافي»، طهران، منشورات المكتبة الإسلامية.

كتب الأخبار وشروحها وأصول الحديث

١- ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن أبي الحسن المدائني (٦٥٥هـ)، «شرح نهج البلاغة»، مصر، ١٣٧٨هـ.[٢٠ جزءاً].

٢- أحمد بن حنبل، الإمام أبو عبد الله الشيباني (٢٤١هـ)، «المسند».

٣- البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (٢٥٦ هـ)، «صحيح البخاري».

٤- الحُرّ العاملي، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن (١١٠٤هـ)، «إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات».

٥- الحُرّ العاملي، «وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة»، طبع أمير بهادر الحجرية. أو ط مؤسسة آل البيت، قم، إيران ١٤٠٩هـ.

٦- الراوندي، قطب الدين الراوندي (٥٧٣ هـ)، «النوادر».

٧- الشريف الرضي، محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى (٤٠٦هـ) «نهج البلاغة» من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق الدكتور صبحي الصالح، قم، انتشارات دار الهجرة.

٨- الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن بابويه القمي (٣٨١هـ)، «إكمال الدين»، ط٢، قم، دار الكتب الإسلامية، ١٣٩٥هـ.

٩- ــــــ، «الأمالي»، ط٤، طهران، المكتبة الإسلامية، ١٤٠٤ هـ.

١٠- ــــــ، «علل الشرائع»، قم، مكتبة الداوري.

١١- ــــــ، «عيون أخبار الرضا عليه السلام» طهران، الطبعة الحجرية. أو بيروت، ١٤٠٤هـ.

١٢- ــــــ، «كتاب التوحيد»، قم، مكتبة الصدوق. أو ط٢، قم، مؤسسة انتشارات إسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم، ١٣٩٨هـ.

١٣- ــــــ، «معاني الأخبار»، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، ١٤٠٣ هـ.

١٤- ــــــ، «من لا يحضره الفقيه»، ط٣، قم، ١٤٠٣هـ.

١٥- الصفار، محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (٢٩٠هـ)، «بصائر الدرجات»، ط٢، قم، انتشارات كتابخانه آية الله مرعشي النجفي، ١٤٠٤هـ.

١٦- الطوسي، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن، «تهذيب الأحكام»، ط٤، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٥ هجرية شمسية.

١٧- علي بن الحسين زين العابدين، الإمام السجاد، «الصحيفة السجادية».

١٨- الكُلَيْنِيّ، محمد بن يعقوب بن إسحاق الكُلَيْنِيّ الرازي (٣٢٩هـ)، «الكافي» (الأصول والفروع والروضة)، ط٤، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٥هـ.ش.

١٩- المامقاني، «مقباس الهداية في علم الدراية». (المطبوع مع كتابه الرجالي: تنقيح المقال).

٢٠- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (١١١١ هـ)، «بحار الأنوار» طبعة كمباني (تبريز) الحجرية، أو طبعة بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٤هـ في ١١٠ مجلدات.

٢١- ــــــــ، محمد باقر بن محمد تقي، «مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول». (شرح وتحقيق لكتاب «الكافي» للكُلَيْنِيّ).

٢٢- محمد باقر البهبودي، «معرفة الحديث» مركز انتشارات علمي وفرهنكي، طهران.

٢٣- محمد بن محمد بن الأشعث (قرن ٤ هـ)، «الأشعثيات» [ويُسَمَّى أيضاً «الجعفريات»].

٢٤- محمد تقي بن الشيخ محمّد كاظم الشُّوْشْتَرِيّ (١٤١٥هـ)، «الأخبار الدخيلة».

٢٥- مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، «صحيح مسلم».

٢٦- المفيد، الشيخ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَان العكبري البغدادي (٤١٣ هـ)، «الأمالي».

٢٧- النوري الطبرسي، الميرزا حسين بن محمد تقي المازندراني (١٣٢٠هـ)، «مستدرك الوسائل»، ط حجرية.

٢٨- الواسطي، عمرو بن خالد القرشي الهاشمي مولاهم، أبو خالد الكوفي ثم

الواسطي، (توفي بين ١٥٠ و١٦٠هـ؟)، «مسند الإمام زيد»، بيروت، دار مكتبة الحياة.

كتب الرجال والجرح والتعديل

١- ابن أبي داود، الحسن الحلي، (توفي في القرن ٨ هجري)، «رجال ابن داود»، نشر مؤسسة النشر في جامعة طهران، ١٣٨٣هـ.

٢- ابن الغضائري، أبو عبد الله أحمد بن الحسين الغضائري (٤١١هـ)، «رجال ابن الغضائري»، قم، مؤسسه اسماعيليان، ١٣٦٤هـ.

٣- الأسترآبادي، الميرزا محمد (١٠٢١ هـ)، «منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال» المعروف بالرجال الكبير، طبع طهران، ١٣٠٦هـ.

٤- بحر العلوم، السيد (١٢١٢هـ)، «الفوائد الرجالية»، تحقيق وتعليق: محمد صادق بحر العلوم، حسين بحر العلوم، ط١، طهران، مكتبة الصادق، ١٣٦٣ هجرية ش.

٥- التستري، الشيخ محمد تقي (القرن ١٤ هـ)، «قاموس الرجال»، طهران، ١٣٧٩هـ [١١ مجلداً].

٦- التفرشي، آقا مير مصطفى بن الحسين الحسيني (١٠١٥ أو ١٠٣١ هـ؟)، «نقد الرجال»، طهران، ١٣١٨هـ.

٧- الحلي، العلامة الحسن بن يوسف بن المطهر (٧٢٦ هـ)، «خلاصة الأقوال في معرفة الرجال».

٨- ــــــ، العلامة، «رجال العلامة الحلي»، قم، دار الذخائر، ١٤١١ هـ.

٩- الطهراني، آقا بزرگ (١٣٨٨هـ أو ١٣٨٩ هـ)، «الذريعة إلى تصانيف الشيعة»، إعداد: السيد أحمد الحسيني، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، بيروت، دار الأضواء.

١٠- الطوسي، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن (٤٦٠ هـ)، «اختيار معرفة الرجال».

١١- ــــــ، شيخ الطائفة، «الفهرست»، طبع كلكوتة.

١٢- ــــــ، شيخ الطائفة، «رجال الطوسي»، تصحيح وتعليق ميرداماد الأسترابادي.

١٣- الكشي، محمد بن عمر بن عبد العزيز (توفي حوالي ٣٥٠هـ)، «اختيار معرفة الرجال أو رجال الكِشِّي»، طبع كربلاء، أو طبع مشهد، مؤسسة النشر في جامعة مشهد، ١٣٤٨ هـ، تحقيق حسن المصطفوي.

١٤- المامَقَانيّ، الشيخ عبد الله (١٣٥٠ أو ١٣٥١ هـ)، «تنقيح المقال في أحوال الرجال»، طبعة حجرية (في ٣ مجلدات).

١٥- النجاشي، الشيخ الجليل أبو العباس أحمد بن علي (٤٠٥هـ)، «الرجال»، طبع بمبئي. وط٥، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤١٦هـ.

كتب العقائد والكلام والفقه

١- حيدر علي قلمداران، «شاهراه اتحاد»، قم.

٢- ــــــ، «مقدمه حقايق عريان در اقتصاد قرآن (زكات)»، قم.

٣- السيد المرتضى علم الهدى، الشريف أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى (٤٣٣هـ)، «تنزيه الأنبياء والأئمَّة».

٤- ــــــ، «الشافي في الإمامة»، حققه عبد الزهراء الحسيني الخطيب، ط٢، طهران، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

٥- الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن بابويه القمي (٣٨١ هـ)، «الاعتقادات في دين الإمامية» أو الطبعة الحجرية (المطبوعة مع شرح الباب الحادي عشر).

٦- الطوسي، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن، «تلخيص الشافي»، تقديم وتعليق السيد حسين بحر العلوم، قم، مؤسسة انتشارات المحبين، ١٣٨٢ هـ شمسية.

٧- عبد الجليل القزويني الرازي، الشيخ، «نقض مثالب النواصب في نقض بعض

فضائح الروافض»، انتشارات أنجمن آثار ملي.

٨- محمَّد حسن الجواهري، محمَّد حسن بن الشيخ باقر بن الشيخ عبد الرَّحيم النجفي (١٢٦٦هـ)، «جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام»، تحقيق وتعليق الشيخ عباس القوچاني، ط٢، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٥ هجرية شمسية (١٩٨٦م.).

٩- المفيد، الشيخ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَان العكبري البغدادي (٤١٣هـ)، «أوائل المقالات»، طبع تبريز.

١٠- ـــــــ، الشيخ، «العيون والمحاسن» أو «الفصول المختارة من العيون والمحاسن».

١١- ـــــــ، الشيخ، «تصحيح اعتقاد الإمامية» ويعرف اختصاراً بـ «تصحيح الاعتقاد».

كتب التاريخ والتراجم والسير والطبقات والمناقب

١- إبراهيم بن سعد بن هلال الثقفي، أبو اسحق الكوفي (٢٨٣هـ)، «الغارات» أو الاستنفار والغارات، ط. طهران أو ط. بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٧ه/ ١٩٨٧م حققه السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب.

٢- ابن سعد، محمد بن سعد كاتب الواقدي (٢٣٠ هـ)، «الطبقات الكبرى»، ليدن، هولندا.

٣- ابن شهرآشوب المازندراني، (٥٥٨هـ)، «مناقب آل أبي طالب» ويُعرف اختصاراً بكتاب «المناقب»، قم، مؤسسة العلامة للنشر، ١٣٧٩هـ.

٤- ابن كثير، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٧٤ هـ)، «البداية والنهاية»، القاهرة، ١٣٥١ هـ.

٥- الاسترآبادى، السيد شرف الدين على الحسينى الاسترآبادى (حوالي ٩٤٠هـ)، «تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة»، ط١، قم، مؤسسة انتشارات

إسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم، ١٤٠٩هـ.

٦- البحراني، السيد هاشم بن سليمان البحراني (١١٠٧ أو ١١٠٩هـ)، «مدينة معاجز الأئمَّة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر»، تحقيق لجنة التحقيق بإشراف فارس حسون كريم، ط١، قم، مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١٥هـ.

٧- البرسي، الحافظ رجب البرسي (كان حياً سنة ٨١٣هـ)، «مشارق أنوار اليقين»، ط١، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٨- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، طبع القاهرة.

٩- عباس القمي، الشيخ المحدث، «منتهى الآمال»، قم، كتابفروشي اسلاميه.

١٠- علي خان بن معصوم الشوشتري، السيد المدنى الشيرازي الحسيني (١١٢٠هـ)، «الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة».

١١- المسعودي، علي بن الحسين بن علي المسعودي الهذلي (٣٤٦هـ)، «مروج الذهب ومعادن الجوهر»، طبع مصر، ١٣٤٦هـ.

١٢- المفيد، الشيخ «الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد»، قم، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، ١٤١٣هـ.

١٣- نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة.

سلسلة طريق النجاة من شر الغلاة

٢

بحث في «الولاية» وحقيقتها

[المقدمة]

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لِلَّهِ رَبِّ العالمين، الواحد في ألوهيّته، الذي لا شريك له في الخلق والرزق والإحياء والإماتة واستحقاق العبادة ولا نظير له، ولا معاون له في تدبير أمور الخلق ولا مشاور ولا نائب ولا وزير، ولا سبيل لأحد من خلقه من الملائكة المقرّبين والأنبياء المرسلين والأولياء الصالحين إلى حريم خالقيّته ولا إلى علم غيبه. وإن أَخْبَرَ اللهُ رسولَه الخاص وأَطْلَعَهُ بالوحي على خبرٍ من المستقبل أو على حَدَثٍ عما كان أو سيكون، ليكون ذلك حُجّةً على رسالته وتصديقًا لنبوته فإن ذلك لطفٌ من رَبِّ العالمين بعامة عباده كي يُقوّي بهذا الإخبار أُسس نبوة هذا الرسول ومنصب إمامته وزعامته ويُثبّتها ويُصدّقها ويُؤيّدها، وإلا فإن غيرة الله منزهة وكبرياءه اللامتناهية محروسةٌ من أن تسمح لأي مخلوق أن يخترق حدود أسرار الله وخفايا علمه وأسرار مكنونات غيبه. ولو أراد الشياطين بأمانيهم الساذجة وأوهامهم الكاسدة أن يطَّلعوا على شيءٍ من مستورات غيبه، وقعدوا من السماء مقاعد للسمع فإن حُرّاس إقليم الأسرار يرمونهم بشُهبهم الحارقة ويجبرونهم على العودة والهبوط والسقوط من حيث أتوا خائبين خاسرين لم ينالوا شيئًا.

والسلام اللامحدود على النبيّ المحمود الذي سدّ برسالته الأبدية الطريقَ أمام أيّ خداع للناس وإضلال، وأغلق بابَ الاستحمار والاستغلال. ولم يُحطّم الأصنام ويُهدّم معابدها فحسب، بل وضع أُسُسَ التوحيد وبنى هيكله فكل من وضع قدمه في طريق شرعه ونهل من منهل شريعته، لن يُفكّر مطلقًا بعبادة الأصنام ولن يجول في مخيّلته وهم صناعة آلهة الأوهام.

ورغم أن ذلك النبيّ المقدّس كان يُمثّل زبدة بني البشر، وأن ماهيته وصورته أدهشت أهل العِلْم والبَصَر، إلا أنه كان في نفسه متواضعًا خاضعًا لِلَّهِ إلى درجة أنه كان يهتم بعبوديته لِلَّهِ أكثر من اهتمامه برسالته، وبمجرّد أن حاول عدد من ذوي اللسان المعسول أن يُطروه

ويتملقوه ويمدحوه ويُثنوا عليه بالطريقة التي كانوا يمدحون فيها صناديدهم وكبارهم، قال: «لا تَرْفَعُونِي فَوْقَ حَقِّي فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى اتَّخَذَنِي عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَنِي نَبِيًّا»(١). وقرّر بأمْرٍ من الله المنَّان ذكر منصب العبودية الإلـهي هذا في تشهُّد الصلاة، كي يذكره عبادُ الله كلَّ صباح ومساء بين يديِ الله الأحدِ بصفة العبودية ويشهدون أن محمدًا عبد الله قبل أن يكون رسوله، كي يُعلم أن شرف العبودية مقدّم على مقام الرسالة ومُفَضَّلٌ عليه.

كان «أنس بن مالك» خادم رسول الله ﷺ يقول بين الحين والآخر إنه عندما نادى جماعة من الرجال رسولَ الله وامتدحوه قائلين: "يَا رسول الله! يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا وَخَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا " قال لهم ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! عَلَيْكُمْ بِتَقْوَاكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ! أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ. وَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ»(٢).

وكما رُوي عن صادق عترته حضرة جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بسند سلسلة الذهب عن آبائه الطاهرين حتى أمير المؤمنين علي -عليه صلوات الله- قال:

"إن رسول الله خَرَجَ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالُوا لَهُ: مَرْحَبًا بِسَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا! فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَضَبًا شَدِيدًا ثُمَّ قَالَ ﷺ: «لَا تَقُولُوا هَكَذَا وَلَكِنْ قُولُوا مَرْحَبًا بِنَبِيِّنَا وَرَسُولِ رَبِّنَا، قُولُوا السَّدَادَ مِنَ الْقَوْلِ وَلَا تَغْلُوا فِي الْقَوْلِ فَتَمْرُقُوا» "(٣).

وعندما تشرّف وفد «عامر بن صعصعة» بالحضور عند النبيّ ﷺ وكان بين الوفد رجل يُدعى «أبو مطرف عبد الله بن الشخير» وقعت عيناه على النبيّ ﷺ فقال: "يا رسول الله! أنت سيدنا وذو الطول علينا"، فاستاء جناب النبيِّ ﷺ وأعرض بوجهه وقال: «السيدُ الله،

---

(١) محمد بن الأشعث (عاش في القرن الرابع الهجري)، «**الأشعثيات**»، ص ١٨١.

(٢) **الإسلام في القرن العشرين**، ص١٢٦. (والحديث رواه الإمام أحمد في **المسند**، ٣، ١٥٣ و٢٤١).

(٣) **الجعفريات** (أو الأشعثيات)، ص١٨٤.

لا يستهوينَّكم الشيطان»[١].

وكان هناك رجل لا يعرف النبيّ ﷺ فلما رآه ارتعدت فرائصه فهدّأ النبيّ من روعه وقال له: «هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ القَدِيدَ!»[٢].

وقال «أنس بن مالك»: "لَمْ يَكُنْ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَى أصحاب رسول الله ﷺ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا إليه لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ كَرَاهَتِهِ لِذَلِكَ "[٣].

وسلام وافر كثير وتحيات لا نهاية لها على آله الأطهار وعترته الأبرار التي حذّر رأس سلسلتها، ذلك الرجل العظيم حضرة علي بن أبي طالب - صلوات الله عليه وآله-، في خطبته القاصعة في نهج البلاغة الناسَ من الإصغاء إلى مديح كبرائهم لأنفسهم وتباهيهم بفضلهم وقال: "أَلَا فَالحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمُ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِم... ". (نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢).

وكان يقول -كما جاء في نهج البلاغة وروضة الكافي والمجلد الثامن من بحار الأنوار-:

"إِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ الوُلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الفَخْرِ وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الكِبْرِ وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ الإِطْرَاءَ وَاسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ وَلَسْتُ -بِحَمْدِ الله- كَذَلِكَ وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ العَظَمَةِ وَالكِبْرِيَاءِ، وَرُبَّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ البَلَاءِ فَلَا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ (البقية) فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا

---

(١) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ١، ٣٣٢. وقارن بما يماثله في المصدر ذاته أيضًا: ٧، ٤٣ وفيه قول الرسول ﷺ: «مه مه، قولوا بقولكم ولا يستجرينكم الشيطان، السيد الله، السيد الله، السيد الله». (**الطبقات الكبرى**، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط١، ١٩٦٨م، [٨ أجزاء]). وانظر سنن أبي داود، ح (٤٨٠٨)، وصححه الألباني. و**مسند أحمد**، ٤، ٢٤ و٢٥. وصححه الأرناؤوط.

(٢) **سنن ابن ماجه**، ٢، ١١٠١، حديث رقم (٣٣١٢)، وصححه البوصيري في الزوائد والألباني.

(٣) أخرج **الترمذي في سننه** نحو هذا الحديث، كتاب الأدب عن رسول الله، حديث رقم (٢٧٥٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وصححه الألباني.

وَفَرَائِضَ لَا بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الجَبَابِرَةُ وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ البَادِرَةِ وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ........ فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ وَلَا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ اللهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى وَأَعْطَانَا البَصِيرَةَ بَعْدَ العَمَى"(١).

ورغم أن صدره كان مليئًا بالعلوم الإلهية التي نهلها من تعاليم حضرة خير البرية، إلا أنه أقرّ بجهله بأسرار الخليقة وسر الموت والحياة حتى في آخر لحظات عمره الشريف وقال: "وَكَمْ أَطْرَدْتُ الأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هَذَا الأَمْرِ فَأَبَى اللهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ. هَيْهَاتَ! عِلْمٌ مَخْزُون "(٢). فكان يُظهر جهله بهذه الأمور ويقول للخليفة الثالث: "... مَا أَعْرِفُ شَيْئًا تَجْهَلُهُ..... إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ... "(٣).

والسلامة والرشاد والهداية والإرشاد لمن لم يبتعدوا عن الصراط الإلهي المستقيم الذي هو الحدّ الوسط بين الإفراط والتفريط والنهج البعيد عن تيئيس الناس وتأميلهم، الذين يسألون ربهم الهداية في كل وقت، وليسوا من المغضوب عليهم ولا من الضالين.

***

الدافع لتأليف هذا الكتاب

ابتُلي دين الإسلام المقدّس في بدء ظهوره بمخالفين وخصومٍ كثيرين مثل مشركي مكة واليهود والنصارى في المدينة وفي اليمن وغيرها من البلدان والقبائل، لكن لم يلبث أولئك

---

(١) **نهج البلاغة**، الخطبة ٢١٦، والكُلَيْنِيّ، **الكافي**، ١، ١٢٣، الحديث رقم ٦.

(٢) **نهج البلاغة**، الخطبة ١٤٩.

(٣) **نهج البلاغة**، الخطبة ١٦٤.

الخصوم والمخالفين أن استسلموا أمام دلائل الإسلام الواضحة وبراهينه المتقنة وأسلموا أو على أقل تقدير كفّوا عن معارضتهم للإسلام وقبلوا بالصلح والجزية، ومنذ ذلك اليوم وحتى الآن لم يُواجه أحد من أعداء الإسلام الذين لا عدّ لهم ولا حصر هذا الدين بسلاح العقل والعلم، ومن فعل ذلك فإنهم أصيب بالخزي ورجع من المواجهة خائبًا خاسرًا مهزومًا مدحورًا.

ورغم كل ما بذله المبشرون النصارى بما يملكونه من طاقات وقوى مادية ومعنوية، ورغم كل الجهود التي بذلوها ولا زالوا يبذلونها لإضعاف الإسلام، فإن التاريخ شاهد والحاضر أيضًا يشهد أنهم لم يستطيعوا فعل شيء في هذا المجال وارتدوا على أدبارهم خائبين عاجزين.

ولكن للأسف فإن الهزائم والدمار والمفاسد والخراب وسفك الدماء والجهل والضربات القاتلة والحوادث المدمرة التي قام بها المسلمون أنفسهم وفرقهم وطوائفهم بحق بعضهم بعضًا ولا يزالون يقومون بها ليست بالأمر الذي يُمكن إخفاؤه أو التغاضي عنه.

بعد غروب شمس النبوة حدثت مباشرةً وعلى عجل قضايا سقيفة بني ساعدة حول خلافة النبيّ الأكرم ﷺ وشكّلت هذه الأحداث أرضيةً استغلّها عبر الزمن صانعو الفتن مما كان له تبعات تحمّل وبالها المسلمون الذين جاؤوا من بعدهم ولا زالت الآثار السيئة لذلك باقيةً حتى اليوم وربما ستبقى إلى يوم القيامة[1].

بعد تلك الأحداث تصارع المسلمون مع بعضهم لأسباب مختلفة وبحجج متنوعة

---

١ - جدير بالذكر أن معظم ما نقله رواة الشيعة وعلماؤهم عن سقيفة بني ساعدة، ما هو إلا نسيجًا من خيالات رواتهم ومؤرخيهم، لا حقيقة لها في الواقع. وما جرى بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة قد انتهى هناك ولم يتعدى مكانه، وانتهى معه كل قول أو خوض فيها لا طائل من ورائه. وأن المسلمين بعد مبايعتهم لأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم لم يظهر منهم أي خلاف يذكر، واستمر ذلك حتى أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه، بل كان الجميع يدًا واحدة في سبيل نصرة الإسلام والدعوة إليه وتبليغه ونشره بكل ما يملكون من طاقة وجهد وقدرة، ولم يكن للخلاف والفرقة أي أثر في حياتهم. (الـمُصحح)

وأوجدوا مشاهد يندى لها الجبين من الحروب الدموية بينهم التي لو جُمعت الدماء التي أُريقت فيها لشكّلت يقينًا بحرًا كبيرًا من الدماء مخيفًا ومرعبًا، ولو أحصينا الأموال والأوقات التي أنفقها المسلمون على إهلاك بعضهم الآخر لعجز المحاسبون عن حسابها! فكم من منازل خُرّبت وكم من نساء ترملن وكم من أطفال تيتموا وضاعوا وكم من نفوس زكية وبريئة احترقت بنار الفرقة والعداوة الطائفية هذه! لا يعلم ذلك إلا الله وحده فقط!

والعجب العجاب أننا إذا بحثنا في الأسس المشتركة ووحدة العقيدة التي يجتمع عليها أبناء هذه الفرق المختلفة والمذاهب المتنوعة لتبين أنهم جميعًا يعبدون الله الواحد ويؤمنون بنبوة «محمد بن عبد الله ﷺ»، وعندهم كتاب واحد وقبلة مشتركة، وأعمالهم وعباداتهم من صلوات وزكاة واحدة وليس بينهم في أيّ مسألة أو موضوع ذلك الاختلاف العظيم الذي يزيد على الاختلاف الموجود بين مقلدي مجتهدين من مذهب واحد!

المسألة الوحيدة التي تُشكّل المصدر الأساسي لهذه العداوة والخصومة هي مسألة «**الإمامة**» التي لم يعد لحقيقتها وشكلها اليوم أيّ أثر فوق الأرض، وفي الحقيقة نزاعهم يُشبه نزاع الأحمقَيْن في قصة الملا نصر الدين [جحا] اللذَيْن كان أحدهما يطلب من الله ألف شاةٍ في حين يطلب الآخر من الله مئة ذئب! وفي النهاية انجرّ هذا الطلب المحال إلى وقوع جدال ونزاع وخصام دموي بينهما!!

لا شك أن الذي يزيد نار العداوة اشتعالاً، ومعركة الجدال والخصام دمويةً، هو أيادي العدو الخفية، وربما كان هو الذي أشعل نار العداوة هذه منذ أول يوم، ولكن أيًّا كان الأمر فإن هذا البؤس والشقاء إنما أوقعه بالمسلمين المسلمون أنفسهم، والعدو يستفيد من ذلك بمكره وحيله وذكائه. والأحمق هو الذي يتوقع من العدو الرحمة والإنصاف!

لقد كان أعداء هذا الدين المبين الخارجيين جالسين له بالمرصاد دائمًا وكانوا يستغلون كل حادثة لإيقاع الفرقة والاختلاف بين المسلمين، ليُحققوا من وراء ذلك هدفهم النهائي وهو إخفاء وجه الحقيقة الناصع وستر حقائق الإسلام المشرقة عن أعين أهل الدنيا، وقد نجحوا في ذلك للأسف.

فمثلاً مسألة «**الإمامة**» هذه التي لم تكن في الأيام الأولى مسألةً ذات أهمية، ولو فرضنا أن هناك انحراف قد حدث في شأنها فإن المُطَالِب الحقيقي بها صرف النظر عن حقه الطبيعي والمشروع بكل شهامة وكرم أخلاق واتّبع السبيل الذي سلكه أكثرية المسلمين بنظره السامي البعيد وبايع هو وأسرته الخليفة المنتخب!

وطالما لم يدعُهُ المسلمون لاستلام زمام الخلافة، جلس في بيته وصرف همّته لتدبير بعض أمور المسلمين حسب طلب من تولى الحكم فيهم، وفي ذلك الوقت ولم يُقصّر في تقديم كل نصح، ثم في تلك السنوات المعدودة التي اضطر فيها مجبرًا إلى تحمل مسؤولية الخلافة، لم يصدر عنه أدنى كلمة بشأن نقل الخلافة إلى أسرته، وعندما أدركته الوفاة، وطُلِبَ منه - حسبما يروي المؤرخون- أن يعهد لابنه «الحسن» بخلافته وحكم المسلمين من بعده قال: "**لا آمركم ولا أنهى** "[(١)]. وبعد أن التحقت روحه الطاهرة بالملأ الأعلى، ورأى ابنه الكريم «الحسن» أنه عاجز عن إدارة أمور البلاد لقلة الناصرين والمعينين وأنه سيضطر إلى مواجهة عدو ماكر محتال، اضطر إلى إيكال أمر الخلافة إلى خصمه السياسي بكل كرم أخلاق وشهامة، حفاظًا على وحدة عالم الإسلام[(٢)].

---

(١) روى المؤرخون أنه "لّما أدركت عليًّا الوفاةُ سُئل: يا أمير المؤمنين! أرأيت إن فقدناك، ولا نفقدك، أنبايع الحسن؟ فأجاب: لا آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر". يُنْظَر: **مروج الذهب**، للمسعودي، ٢، ٤٢٥، و**تاريخ الأمم والملوك** للطبري، ٥، ١٤٦- ١٤٧، و**البداية والنهاية** لابن كثير، ٧، ٣٢٧.

٢- رأي المؤلف ﵀ في هذا الأمر محل نظر؛ لأن بيعة الإمام الحسن ﵁ لمعاوية ﵁ لم تكن عن الضعف العسكري والسياسي للحسن ﵁ بل إنه لما بُويع بيعة عامة، بايعه الأمراء الذين كانوا مع والده، وكل الناس الذين بايعوا لأمير المؤمنين علي ﵁، وباشر سلطته كخليفة، فرتب العمال وأمّر الأمراء وجند الجنود وفرق العطايا، وزاد المقاتلة في العطاء مائة مائة؛ فاكتسب بذلك رضاهم، وكان في وسعه أن يخوض حربًا لا هوادة فيها ضد معاوية، وكانت شخصيته الفذة من الناحية السياسية، والعسكرية، والأخلاقية، والدينية والاجتماعية تساعد على ذلك مع وجود عوامل أخرى، كوجود قيس بن سعد بن عبادة، وحاتم بن عدى الطائي وغيرهما من قادة المسلمين الذين لهم من القدرات القيادية الشيء الكثير، إلا أن الحسن بن على ﵁ مال إلى السلم والصلح لحقن الدماء، وتوحيد الأمة، ورغبة فيما عند الله

ولو لم تدعُ فطرة يزيد بن معاوية المنحطة وطينته الخبيثة إياه إلى انتهاك حريم المحرّمات الإلهية على ذلك النحو ولو لم يطلب أهل الكوفة والبصرة من حضرة الحسين عليه السلام المدد للقضاء على الظلم والجور ولم يمدوا إليه يد البيعة، ربما لم يُقدم ذلك الإمام الهمام أبدًا على النهوض والثورة ولفعل ما فعله والده الجليل الذي كان يقول: **"لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا!** "(نهج البلاغة، الخطبة ٣).

ولو رأينا بعد هؤلاء الأئمَّة الأجلاء أن أبناءهم اعترضوا على السلطة الحاكمة وأحيانًا ثاروا ثورات دموية ضدها فإن الدافع لذلك كان شيئًا واحدًا فقط وهو رؤيتهم لأحكام الإسلام معطلة وأن الحكم لا يسير على ذلك النهج الذي وضعته الشريعة المطهرة، وإلا فإنهم كانوا يقولون مثل جدهم الجليل: "وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْز " (نهج البلاغة، الخطبة ٣). لقد كان أولئك الأجلة الكرام ينظرون إلى الدنيا وحكومتها كما ينظر الرجل العاقل إلى الريح الذي يخرج من دبر العنزة أو المخاط الذي يخرج من أنفها!

وزهدا في الملك. وقد قاد الحسن رضي الله عنه مشروع الإصلاح الذي توّج بوحدة الأمة، وظل زمام الموقف في جانبه وبيده ويد أنصاره، وكانت جبهته العسكرية قوية كما جاء في رواية البخاري في صحيحه، وقد عبر عن ذلك عمرو بن العاص عندما قال: «إني لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها»، وقال الحسن: «كانت جماجم العرب بيدي تحارب من حاربت وتسالم من سالمت». [مستدرك الحاكم، ٣/ ١٧٠]، ولو لم يكن الحسن مرهوب الجانب لما احتاج معاوية رضي الله عنه إلى أن يفاوضه ويوافق على ما طلب من الشروط والضمانات، ولكان عرف ضعف جانب الحسن وانحلال قوته عن طريق عيونه، ولدخل الكوفة من غير أن يكلف نفسه مفاوضة أحد أو ينزل على شروطه، ومطالبه.

قال الدكتور خالد الغيث: "كان الحسن رضوان الله عليه في صلحه مع معاوية رضي الله عنه، وحقنه لدماء المسلمين، كعثمان رضي الله عنه في جمعه للقرآن، وكأبي بكر رضي الله عنه في الردة، ولا أدل على ذلك في كون هذا الفعل من الحسن يعد علمًا من أعلام النبوة، والحجة في ذلك ما أخرجه البخاري من طريق أبيبكرة رضي الله عنه قال: رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر، والحسن بن على إلى جنبه -وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**».[انظر: كتاب أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه – شخصيته وعصره، للدكتور محمد علي الصلابي، ص ٣٥٢].

وإذا صدر عن أولئك الأجلة الكرام كلام حول هذا الموضوع أحيانًا فإنه كان مثل تلك الكلمة التي قالها علي عليه السلام لعمه العباس عندما رجع من عند عمر: "وَاللهِ مَا بِيَ رَغْبَةٌ فِي السُّلْطَانِ وَلَا أُحِبُّ الدُّنْيَا، وَلَكِنْ لِإِظْهَارِ العَدْلِ، وَالقِيَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ "[1].

ومثل ذلك ما قاله ذلك الإمام في قصة ترقيعه لنعليه عندما سأل ابن عباس عن قيمة الخلافة واعتبرها أمرًا لا قيمة له وقال: "وَاللهِ لَـهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقًّا أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلاً " (نهج البلاغة، الخطبة ٣٣)، وكان يقول في مناجاته لربه دائمًا: "اللهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ وَلَا التِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الحُطَامِ وَلَكِنْ لِنَرِدَ المَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ وَنُظْهِرَ الإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ فَيَأْمَنَ المَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ وَتُقَامَ المُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِك " (نهج البلاغة، الخطبة ١٣١).

وعلى كل حال لو كان المراد من «الإمامة»: الزعامة السياسية، فلم تكن الزعامة السياسية في نظر أولياء الله مرغوبًا بها إلى ذلك الحدّ، وإن كان المراد من «الإمامة»: إرشاد الناس وهدايتهم إلى صراط الله المستقيم، فلم يكن في وسع أحد أن يغتصب منهم هذه الهداية والإرشاد. وعندما كان أحد من الناس يسأل أولئك الأئمَّة الأجلاء شيئًا من أمور الدين وأحكام الله وبيان ما أنزل الله كانوا يُبيّنون له ذلك بأوضح صورة، ولو لم يكن خلفاء الزمان ينظرون إليهم بعين المنافس لهم ولا يعتقدون أنهم أعداء ومعارضون لحكمهم لما تعرضوا لهدايتهم وإرشادهم المعنوي أبدًا وذلك لأن ثورات بعض أبناء علي عليه السلام خلقت لدى الجالسين على عرش الخلافة خوفًا من اهتمام الناس بشخص ذي وجاهةٍ وشعبيةٍ مما يُمكن أن يؤدي إلى حدوث ثورة كبيرة ضدهم.

إن مسألة «**الإمامة**» التي لم تكن موضع اهتمام أولياء الله إلى ذلك الحدّ، اتّخذت بمرور الزمن شكلاً آخر، إذ إنه نتيجةً لاختلاط المسلمين مع شعوب بلاد الروم وفارس، وبعد رؤية المسلمين لجلال القياصرة وجبروت الأكاسرة وتقليدهم في ذلك، أصبحت الإمامة موضع اهتمام شديد مِنْ قِبَلِ طالبي الملذات والشهوات، وغني عن الذكر الحالةُ التي سيكون

(١) ابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة**، ٩، ٥١.

عليها الذين حُرموا من نيل هذا المنصب وهُزِموا في الصراع مع خاطفيه، فلما هُزموا في ميدان السباق لم يجلسوا صامتين في ميدان المنافسة! بل توسلوا في كل مناسبة بالوسائل التي في متناول أيديهم لحل عقدتهم، وكانت أسهل الوسائل هي اللسان والقلم اللذَيْن استخدموهما للانتقام وإطفاء نار الحسد في صدورهم وهيأوا الساحة الواسعة لمحاربة خصومهم وأورثوا أبناءهم من بعدهم هذا الأمر، ثم أضاف كل من جاء بعد ذلك شيئًا إلى مقام الخلافة والإمامة حتى وصل الأمر إلى الغاية الحالية!

منذ الأيام الأولى للصراع على الخلافة لم يخرج الأمر كثيرًا عن حالته الطبيعية. لأن بعضهم كان يعتبر أن الأهلية لمنصب الخلافة والحكم ترتبط -حسب سُنَّة الجاهلية- بكِبَر السن وبالوراثة، أما الذين ارتووا من معين تعاليم الإسلام فكانوا يعتبرون أن أهلية الخلافة من نصيب أصحاب العلم والحكمة والسَّبْق في الإسلام والهجرة، ومن يمتلكون فضيلة الجهاد في بدر وأُحد وكانوا يرون في مقام الخلافة أنها هي الجهاز المُنَفِّذ لأحكام الدين من إقامة الصلاة وجباية الزكاة وتأمين الحدود والثغور والقضاء بالعدل بين المظلومين وقمع الظالمين والقيام بالجهاد وأمثال ذلك، والذين كانوا ينالون الخلافة كانوا يريدون احترام هذا المقام بتشبُّثهم بهذه المعاني.

لكن المحرومين المهزومين والمنكوبين المتألمين [الذين لم ينالوا الخلافة] قرّروا لهذا المقام شروطًا صعبةً وثقيلةً وفضائل تفوق قدرة البشر وإمكانياتهم. إلى حدّ أنهم اعتبروا حكم البلاد وسياسة العباد التي كانت ساريةً ومطبّقةً منذ آلاف السنين قبلهم والتي تُطبّق في جميع أنحاء المعمورة، اعتبروها مقامًا يتلو مقام الله ورسوله وأن الحاكم يجب أن يتمتع بعصمة كذا وكذا وطهارة كذا وكذا! وربطوا ذلك بظنونهم الوهمية بأجنحة جبريل الأمين قائلين أن لا حق لأحد في الحكم والإمساك بزمام الأمور إلا إذا كان منصوصًا عليه من جانب الله لهذا المقام الخاص! وقالوا إن هذه الصفة والخاصية لا توجد إلا لدى أفراد معدودين نصبهم الله بالنص الخفي والجلي في هذا المقام، وهم محصورون في عَلِيٍّ وأحد عشر فردًا من أبنائه اختاروهم من بين أبناءِ عليٍّ الكُثُر وجعلوهم متميزين عن سائر أبنائه باسم «الأئمَّة الاثني

عشر»، هذا على الرغم من أنه لم يقم أيّ واحد من أولئك الأئمَّة الأجلاء خلال حياته – باستثناء الإمامين الحسنَين عليهما السلام – بأدنى خطوة ومسعى لحيازة الخلافة، بل حتى عندما اقترح المسلمون هذا المقام على حضرة زين العابدين وجعفر بن محمد عليهما السلام وأخيرًا اقترح المأمون هذا المقام على حضرة علي بن موسى الرضا –سلام الله عليه– امتنعوا جميعًا عن قبول ذلك وأبوا.

ومع ذلك فإن الذين كانوا أكثرَ مَلَكِيَّةً من المَلِك ذاته! اتّخذوا من هذا الموضوع حُجّةً لإشعال نيران الاختلاف والفساد في كل مكان، وكانوا يُحرِّضون –إلى الحدّ الذي يُمكنهم فيه– أحدَ أبناء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب المحبوبين والمشهورين إلى الثورة، فإذا ما أودوا به إلى التهلكة على يد العدو، ذهبوا نحو شخص آخر من أبناء عليٍّ ليفعلوا معه الأمر ذاته!!

ولما لم تُفلح هذه التحرّكات، على الرغم من تشكيل حكومة أو حكومتين مستقلتين ومستمرتين مِنْ قِبَلِ أولاد علي وفاطمة عليهما السلام في مصر واليمن وبعض البلدان، إلا أنَّ الفرق المتعددة والطوائف المختلفة باسم الشيعة هنا وهناك التي كانت تدعو الناس باسم أولاد عليٍّ لم ترضَ بتلك الحكومات إذْ وجَدَتْ أنَّ القائمين عليها لا تنطبق عليهم تلك الشروط العجيبة التي اخترعوها من بنات أفكارهم، لذا بدأت تلك الطوائف بالتحجج والبحث عن آمال أخرى! وفي الوقت ذاته جعلوا دائرة الوصول إلى الحكم أكثر ضيقًا بما ألّفوه من كتب وما ذكروه من شروطٍ للحاكم الشرعي، إلى أن حلّ بهم في نهاية المطاف ما يحلّ بدودة القزّ التي حُبست ودُفنت في وسط الخيوط التي خاطتها حول نفسها، وكما نرى فقدوا الأمل بإقامة حكومة شرعية، تلك الحكومة التي كانوا قد ربوا الأمل بها في أذهانهم بكل تلك الخيالات والأوهام![1]

ولهذا تعطلت أحكام الإسلام الثمينة والحياتية المرهونة بالتطبيق العملي ونُسخت، ومن الجهة الأخرى أصبح المتشرعون الذين يطالبون بالحكومة الحقة على نزاع دائم مع الحكومات القائمة في بلدانهم بسبب سوء الظن بها وأصبحوا في حالة معارضة ونزاع وتمرد دائم تجاهها.

---

(١) يُراجع كتاب «**حكومت در اسلام**» (الحكومة في الإسلام) تأليف مؤلف هذا الكتاب.

ولو اقتصرت الأضرار الناجمة عن الانحراف في مسألة «الإمامة» عن وجها الصحيح على هذه الأضرار الدنيوية التي أشرنا إليها، لربما كان تحملها في نظر بعض الناس الذين لا يُعيرون أهمية لمثل هذه الأضرار ليس صعبًا جدًّا. ولكن الأمر لم ينتهِ عند هذا الحدّ ولم ينحصر ضررها بإيقاع الفرقة بين أبناء أمة الإسلام ووقوع الدمار وسفك الدماء بينهم الأمر الذي أدى إلى حيرتهم واضطرابهم وضياعهم، بل ظهرت «الإمامة» أخيرًا بصورة أوقعت أضرارًا لا تُعَوَّض وذنبًا وإثمًا آخرويًا خطيرًا لا يُغتفر - بنص القرآن الكريم وفتوى العقل السليم-، هذا إضافةً إلى منحها مخالفي مذهب التشيع جرأة أكثر في معارضة المذهب ومخالفته بدعوى أن الشيعة مشركون وغير مسلمين، و وضع وثائق قوية ودلائل محكمة تحت تصرفهم تدفعهم إلى أن يُصبحوا أكثر جرأةً على إذلال الشيعة وتحقيرهم وقتلهم وتدميرهم، مما سيؤدي يقينًا إلى خسرانهم الأخروي الأبدي، وذلك لأنهم مدوا أرجلهم خارج لحافهم وابتدأوا عبادة الأصنام وتعدّد الآلهة من جديد، ورفعوا من شأن موضوع الولاية، فلم يقتصر الأمر على توسعة معناها من المحبة إلى الحُكْم والرئاسة، بل وسّعوها أكثر بكثير وجعلوها تتضمَّن الولاية التشريعية والولاية التكوينية!! وارتفعوا بمقام الأئمَّة الذي كانوا هداةَ الأنام، إلى حدّ القيومية على أمور العالم والقول بأن الله أنابهم عنه في تدبير أمور عالم الإمكان وجعلهم وزرائه في تدبير العالم ومنحهم ولاية مطلقة على شؤونه، وبهذا جدَّدوا في مذهب الشيعة عقائد المفوِّضة - لعنهم الله - بصورة أخرى أشد من ذي قبل، وأحيوا عقيدتهم من جديد!

ما من يوم ينقضي من عمر هذا المذهب إلا ونرى أنه يقع في إفراط وتفريط في العقيدة والعمل، أي أنه كلما زاد غُلُوُّهم في حقّ أولياء الإسلام[1]، نقصوا بالمقدار ذاته أو بأكثر منه من ناحية العمل والتقوى إلى درجة أصبحت فيها أكثر محرّمات الإسلام مباحة بينهم وشائعة، بل عُدّت ضرورية ولازمة، وتُركت جميع الأوامر الإلهية في مجتمعهم وهُجرت بل بطلت وأصبحت منسوخة!! ففي أسواقهم ينتشر الربا والاحتكار والضرر والإضرار

---

(١) إذا قرأنا الكتب التي أُلِّفت قبل عهد الصفويين وقارناها بالكتب التي كُتبت بعد عهدهم اتّضحت لنا هذه الحقيقة بأوضح صورة.

والكذب والاحتيال كالماء الجاري في الأنهار، كما أصبح الفسق والفجور في مجالسهم وخلواتهم متاعًا رخيصًا متوفرًا والكذب والزور في اجتماعاتهم عملةً رائجةً!

ومن حيث المبدأ فإن هذا الأمر هو دأب عامة الغلاة في العالم وطريقتهم وهدفهم الأساسي، لأن عُبّاد الأصنام رفعوا من شأن أصنامهم إلى حدّ إيصالها لمرتبة الآلهة كي يجدوا ملجًا يحميهم ويعفيهم من التعرّض للجزاء والعقاب على أعمالهم التي يندى لها الجبين والتي يشعرون بثقل عذاب الضمير لارتكابها ويشهد عقلهم وفهمهم على قبحها ويعلمون أن آثار هذه الأعمال القبيحة ستحيق بهم بلا ريب، لذلك جعلوا من الأصنام شُفعاء لهم عند الله وقالوا: ﴿.... هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

فاليهود المعاندين الذين سبقوا إبليس في الشيطنة والتزوير والخيانة والخبث والغش والتدليس اعتقدوا أن أنبياءهم أبناء الله واعتبروا أنفسهم أيضًا أبناء الله: ﴿.... نَحۡنُ أَبۡنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨] كي يريحوا ضمائرهم بهذه الوسيلة. والنصارى بسبب إفراطهم في الاستغراق في المعاصي والتجرّد من كل قيد أخلاقي اعتبروا عيسى ابن الله بل اعتبروه الله ذاته واعتبروا محبته تُغني عن جميع العبادات وعن اجتناب المحرّمات وجعلوه في تصورهم شفيعًا لذنوبهم يوم القيامة!

لم يكن للغلاة أيضًا في دين الإسلام المقدّس منذ البداية من هدف سوى إباحة المحرّمات وارتكاب المنكرات كما جاء في قصة الذين ادّعوا إلهية حضرة أمير المؤمنين علي‌عليه السلام عندما رآهم جناب مولى المتقين يتناولون طعام الغداء في نصف النهار في شهر رمضان قال لهم: هل أنتم مسافرون؟ قالوا: لا. قال: فهل أنتم مرضى؟ قالوا: لا. فقال: فبأيّ عذر تُفطرون في شهر رمضان؟! فاعتذروا بأننا لما عرفنا أنك الله أصبحنا في غنى عن العبادة!!!

فأمرهم الإمام بالتوبة فلما أبوا حفر لهم حفرًا وأحرقهم في النار!؟[1]

(١) يُنظَر تفصيل هذه القصة في: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٨، ١١٩ - ١٢٠. والبعض يرى أنها قصة غير ثابتة للاضطراب الشديد في روايتها.

بعد ذلك كان جميع الغلاة الذين ظهروا في الإسلام بشكل عام كالمنصورية والخطّابية والشلمغانية والنصيرية أشخاص وجدوا أنهم لا يستطيعون أن يصرفوا النظر عن شهواتهم ولا أن يكبحوا أنفسهم الأمّارة بالسوء ويغضوا الطرف عن اللذائذ المُحرّمة، أو كانوا أشخاصًا لا يؤمنون أساسًا بالله واليوم الآخر، ووجدوا أن عقائد الناس الدينية تحول بينهم وبين الحصول على اللذات وتحصيل الشهوات بالتمتع بأموال الناس ونسائهم وولدانهم ولا تُمكّنهم من الوصول إليها، لذلك اخترعوا أساطير باسم الدين ولفّقوا أكاذيب ونشروا بين الناس عقائد مغالية لكي يهيئوهم للاستجابة إلى مقاصدهم.

واليوم لو دقّقنا النظر في الأشخاص الذين يُثبتون للأئمة الولاية التكوينية والتصرف المطلق في عالم الوجود ويعتبرون الأئمَّة «**أمراء الكون**»، لرأينا أنهم أشخاص أدركوا أنهم لا يستطيعون التوافق مع الله العليم البصير واللطيف الخبير المنزّه من العواطف البشريّة والمُنزّه من أن يكون له قريب أو أب أو ابن والذي لا يؤثِّر فيه التملّق والمداهنة والمصانعة بل جعل لكل عمل أجرًا ولكل فعل ثوابًا ولكل تصرّف جزاءً وقال:

﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة: ٧-٨]

﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ﴾ [فُصِلّتْ: ٤٦ والجاثية: ١٥].

﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗا﴾ [آل‌عمران: ٣٠].

﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ﴾ [النحل: ١١١].

﴿وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ﴾ [الزمر: ٧٠].

﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ﴾ [الأنعام: ١٣٢]

﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ﴾ [الكهف: ٤٩].

﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٥٤﴾ [يس: ٥٤]

بناءً على ذلك، لا يُمكن لأيّ إنسان أن يأخذ إلا نتيجة عمله ولا أن يحصد إلا ما زرع، وآيات القرآن تدعو الإنسان دائمًا إلى النظر إلى ما قدّمه لغده من عمل خير أو شرّ، وألا يغفل عن نفسه وأعماله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾ [الحشر:١٨]. ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَـٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَـٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ۝٤٠﴾ [النبأ:٤٠]

وقد ضُيّقت مسألة الشفاعة في دين الإسلام إلى حدّ كبير يُجيز لنا اعتبارها كأنها مُلغاة تمامًا! كما تؤكّد الآياتُ الكريمةُ الآتية هذا المُدّعى وتُبيّنه بكل وضوح: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ۝٤٨﴾ [البقرة: ٤٨-١٢٣]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَـٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

فغلاة زماننا لما رأوا أنهم لا يستطيعون التوافق مع مثل هذا الإله وأن عليهم أن يُراقبوا أعمال أنفسهم، لجأوا إلى الغُلوّ في حق الأئمَّة ليكون ذلك وسيلةً إلى الهروب من عذاب الوجدان وافتروا أحاديث غريبة بل أكاذيب عجيبة بعيدة عن منطق العقل والشرع أوصلوا بها بعض أولياء الله إلى مقام الإلهية! وعندئذ فتحوا بابًا للشفاعة بسعة السماء والأرض! كي ينضووا تحت هذا الباب ويأمنوا من المجازاة على أعمالهم، لا بل أكثر من ذلك كي يجعلوا أنفسهم -رغم كل جرائمهم وآثامهم وخطاياهم- مستحقين لجنة الخلد وحائزين لمراتب العليّين، ومطالبين لِلَّهِ بمزيد من الثواب! ما أحسن فهم حضرة سلمان المحمدي الفارسي وقوله، حسبما نقله عنه حضرة الإمام محمد الباقر ؈ الذي قال: "ذَاكَ سَلْمَانُ الْـمُحَمَّدِيُّ، إِنَّ سَلْمَانَ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ ". إِنَّهُ كَانَ يَقُولُ لِلنَّاسِ: "هَرَبْتُمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَى الْأَحَادِيثِ. وَجَدْتُمْ كِتَابًا دَقِيقًا حُوسِبْتُمْ فِيهِ عَلَى النَّقِيرِ وَالْقِطْمِيرِ وَالْفَتِيلِ وَحَبَّةِ خَرْدَلٍ، فَضَاقَ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ وَهَرَبْتُمْ إِلَى الْأَحَادِيثِ الَّتِي اتَّسَعَتْ عَلَيْكُمْ"(١).

(١) **رجال الكشي**، طبع كربلاء، ص ٢٢ و٢٣. والمجلسي، **بحار الأنوار**، طبع بيروت، ٢٢، ٣٨٥.

أجل لقد روّجوا سوق الأحاديث الموضوعة التي تقول إن الإنسان يُمكنه أن يعرج إلى أعلى درجات الجنان وأن يُعفى من المجازاة على جميع السيئات بقراءة دعاء أو زيارة قبر أو ذرف دمعة حتى لو كان ذلك رياءً! وهو ما سنشرحه لاحقًا إن شاء الله ونُبيِّن أن القرآن بريءٌ من هذا اللغو والعبثية.

كان ذلك الدافع للغلوّ دافعًا نفسانيًا بل كان في الحقيقة غرورًا شيطانيًا يُلقيه إبليس في النفوس ليجرّها عن طريق الدين نحو جهنم. إنه الغرور ذاته الذي حذَّر الله الإنسانَ من أن يوقعه الشيطان فيه فقال: ﴿يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ١٢٠﴾ [النساء:١٢٠].

وإذا كان الدافع للغلوّ في أولياء الله الصالحين في الأزمنة الماضية هو الغرور الشيطاني وتسويل النفس الأمّارة بالسوء، أو كان الدافع لذلك هو رغبة أعداء الأئمَّة -عليهم السلام- بالإضرار بالأئمَّة وشيعتهم وإيذائهم من خلال حثّ بعض الأشخاص على نشر مثل هذه الأقوال القبيحة والمنكرة والعقائد السفيهة الشركية بشأنهم كي يستطيعوا بهذه الحُجّة أن يؤذوا الأئمَّة وشيعتهم ويتعرضوا لهم بالتعذيب والاضطهاد والقتل والنهب، فإن علَّة الغلوّ في زماننا هي أمر آخر يُضاف إلى تلك العلل الماضية. هذه العلة هي نكبة وجود دولة مغتصبة باسم إسرائيل تُعَدُّ اليوم ألدّ أعداء الإسلام. إنها دولة اليهود الصهاينة الذين مكّنتهم الدول الاستعمارية لاسيما إنجلترا وأمريكا من السيطرة على قلب عالم الإسلام وقبلة المسلمين الأولى بيت المَقدِس. ولما كان وجود مثل هذه الدولة في قلب عالم الإسلام باعثًا ومحرِّضًا للشعوب المسلمة على الاتّحاد ضدَّها، لأن المسلمين وأبناء كل أرض يخرج منها نداء الله أكبر يعتقدون انطلاقًا من تعاليم دينهم أن بيت المقْدِس متعلِّقٌ بجميع المسلمين وأنه من الواجب على كل فرد مسلم كبيرًا كان أم صغيرًا حتى النساء والفتيات أن يُدافعوا بأرواحهم وأموالهم عن كل أرض من أراضي الإسلام تتعرّض لأطماع الغزاة ولغزوهم، ليصدّوا أولئك الأعداء ويُخرجوهم من ديار المسلمين. هذا رغم أن تلك المبادئ والعقائد [الجهادية] اضمحلّت بين المسلمين بفعل الدسائس الشيطانية التي يقوم بها اليهود في كل فترة ليُبعدوا المسلمين عن مثل تلك المبادئ والعقائد حتى أنه لم يعد أحد يأتي عليها بذكر اليوم في المجالس

والمنابر، ولا يُشار إليها بأدنى إشارة في الرسائل العملية لفقهاء عصرنا، ومع ذلك لا تزال هذه العقيدة تبعث الخوف والرعب في قلب تلك الدولة اللعينة وقلوب الذين أوجدوها.

رغم أن بذرة العداوة والبغضاء بسبب الاختلاف في موضوع الإمامة قد زُرعت بين المسلمين منذ سنوات وقرون بعيدة وأثمرت ثمارًا مُرَّةً ومشؤومةً أدَّت إلى حروب واقتتال ودماء كثيرة، مع ذلك لـمَّا وُجد بين المسلمين بلطف الله وفضله علماء ومثقفون قاموا بتوعية أمة الإسلام إلى هذه المخاطر وتنبيههم إلى حيل الأعداء ومكرهم وسعيهم إلى بثّ الفرقة بينهم عن هذا الطريق كي يُوقعوهم في أسباب الشقاء، وبدأت تلك التوعية تُؤتي أُكلها وبدأت نار العداوة تخبو وتحلّ محلها الألفة والمحبة، فإن تلك الدولة اليهودية الصهيونية الهدامة والمشؤومة أدركت أنه لا بقاء لها بين الدول التي أكثر أهلها من أهل السنة، فلجأت إلى وسيلتين كبيرتين لتفرقة المسلمين وشغلهم ببعضهم، ولطالما استخدم الاستعمار هاتين الوسيلتين للقضاء على معارضيه دون أن يتمكّن من تحقيق أغراضه، بَيْدَ أن الاستعمار لما كان مطمئنًا إلى فعاليّة سلاحه هذا وحماقة معارضيه، عاد إلى استخدام السلاح ذاته وقد نال بواسطته نتائج مفيدة له ولا يزال! هاتان الوسيلتان هما:

١- موضوع القومية والتعصب القومي الذي هو من آثار الجاهلية وعصر البربرية. هكذا تم دفع زعماء بعض الدول الإسلامية إلى رفع الشعارات القومية والتغني بأمجاد العروبة واعتبار العرب قومًا متميّزين ومنفصلين عن سائر المسلمين وبهذا أبعد العرب عن أنفسهم أكثر من ستمئة مليون مسلم غير عربي من مسلمي العالم، وحرموا أنفسهم من نصرة المسلمين غير العرب لهم، واكتفوا بمئة مليون عربي من مسلمين ويهود ونصارى، كما نُلاحظ ذلك حتى اليوم.

٢- والسلاح الآخر وهو أقل خطرًا من السلاح الأول لكن أثره أقوى من أثر جيش ذي مئة مليون جندي! هو إثارة موضوع النزاع القديم بين الشيعة والسنة! وليس هناك أفضل من إحياء هذا النزاع وتقويته، لإيقاع العداوة وبثّ الشقاق بين المسلمين العرب الذين أكثرهم من أهل السنة والمسلمين الشيعة الذين أغلبهم من غير العرب!

ولذلك نجد أنه في هذه السنوات التي نشأت فيها دولة اليهود تمّ تأليف كتب كثيرة وطباعتها ونشرها لأجل تجديد النزاع بين هاتين الفرقتين ووقعت بينهما أعمالٌ لا إنسانية ولا يُقرّها الإسلام لتحقيق ذلك الهدف المشؤوم. من ذلك تأليف كتب مثيرة للفتنة ومحرضة على العداوة مثل «الصراع بين الوثنية والإسلام» وإعادة طباعة كتب مثل «العواصم من القواصم»[١] وعشرات الكتب الأخرى ونشرها بين العرب السنة بهدف بث الفرقة بين أبناء الفرقتين وإيقاع العداوة والبغضاء بينهما، ومقابل ذلك قام كُتّاب من الشيعة بتأليف كتب تشعل نار العداوة أيضًا، ولا يسعنا أن نذكر اسم هذه الكتب لأن مؤلفيها لا يزالون على قيد الحياة ويمتلكون نفوذًا وتأثيرًا، ونكتفي بالإشارة إلى أن هذه الكتابات إنما تُنْشَرُ بهدف إشعال

١- رأي المؤلف رحمه الله بشأن كتاب «العواصم من القواصم» تأليف الإمام ابن العربي رحمه الله، لا يخلو من إشكال؛ لأن من يقرأ هذا الكتاب بعيدًا عن التعصب المذهبي ليدرك أن مؤلف الكتاب لم يهجم على عقائد الشيعة أو أي فرقة أخرى، ولا يجد فيه ما يثير الفتنة ويحرّض العداوة بين أهل السنة والشيعة، بل هو كتاب من تأليف عالم من كبار أئمة المسلمين؛ بين فيه ما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفات الكمال، وأدحض لما أُلصق بهم وبأعوانهم من التابعين لهم بإحسان. يصلح الكتاب على صغر حجمه أن يكون صيحة من صيحات الحق، توقظ الشباب المسلم إلى هذه الدسيسة التي دسها عليهم أعداء الصحابة ومبغضوهم؛ ليتخذوها نموذجًا لأمثالها من الدسائس، فيتفرغ الموفقون إلى الخير منهم لدراسة حقيقة التاريخ الإسلامي واكتشاف الصفات النبيلة في رجاله، فيعلموا أن الله عز وجل قد كافأهم عليها بالمعجزات التي تمت على أيديهم وأيدي أعوانهم في إحداث أعظم انقلاب عرفه تاريخ الإنسانية، ولو كان الصحابة والتابعون بالصورة التي صورهم بها أعداؤهم ومبغضوهم، لكان من غير المعقول أن تتم على أيديهم تلك الفتوح، وأن تستجيب لدعوتهم الأمم بالدخول في دين الله أفواجًا». [مقتبس من مقدمة كتاب العواصم من القواصم لمحب الدين الخطيب]. فالكتاب ليس إلا دفاعًا عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعيهم، وتفنيدًا للشبهات التي أثيرت ضدهم من قبل أعداء الإسلام طعنًا فيهم ليسقطوا بذلك عدالة ناقلي الإسلام وناشريه في أرجاء المعمورة.

فهذا الموقف المنصف للكتاب جعل آيةَ الله العظمى السيد أبا الفضل البرقعي رحمه الله أن يقوم بترجمته إلى اللغة الفارسية، لو كان الكتاب يدعو إلى الفتنة ويثير العداوة والبغضاء بين المسلمين، لما قام فضيلته بترجمته أبدًا. (الـمُصحح)

نار العداوة بين هاتين الفرقتين، وقد تم في هذا الصدد إحياء بعض الكتب القديمة التي كتبها بعض القدماء لتحقيق مصالح السلاطين وأرباب السياسة في الأزمنة الماضية، فأُعيدت طباعتها من جديد حتى أن بعض الكتب التي كانت في مجلد واحد أُخرجت في عشرة أجزاء أو أكثر ونُشِرت بين المسلمين كي تُحقّق تلك الأغراض المشؤومة!

بهذا قدَّم أولئك الكتّاب -دون علم منهم- خدمةً مجانيةً لأعداء الإسلام والمسلمين ووسيلةً فعالةً يُمكنهم استخدامها لتحقيق أغراضهم، هذا رغم أننا على يقين أن كثيرًا من أولئك الكتّاب أناس غافلون لا يُدركون الآثار السيئة التي تحملها كتاباتهم ولا ينتبهون إلى أن أيادي الاستعمار تستغلّ هذه الأمور لتحقيق مآربها. ولكي نُبيِّن للقراء الكرام نموذجًا عن هذا الأمر نُذكِّرهم بقضيّة تأليف كتاب قيّم:

قبل عدة سنوات أَلَّف أحد الكُتَّاب الإيرانيين الفضلاء ويدعى «نعمة الله صالحي نجف آبادي» كتابًا في موضوع شهادة سيد شباب أهل الجنة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام عنوانه «**شهيد جاويد**» (أي الشهيد الخالد)، وقد ذكر في كتابه أدلة عقلية وشرعية حول حقيقة فلسفة الثورة الحسينية. ولم يكن ما ذكره بدعًا من الأمر ولا كان في كتابه أي فكرة ليس لها سابقة، ولما كان المُخاطَبون المستهدَفون من الكتاب هم طبقة المتعلِّمين المثقَّفين فقد راعى مؤلِّفه فيه مطلب كل قارئ متعلِّم مفكِّر، ورغم أنه عرض كتابه -من باب الاحتياط- على عدد من كبار العلماء أولي الأبصار كي يُبدوا ملاحظاتهم عليه، إلى حدّ أن اثنين من كبار الفقهاء قرَّظا الكتاب واعتبراه تأليفًا ممتازًا، إلا أنه بمُجرّد نشر الكتاب بدأ قرَّاء مراثي العزاء المأمورون والخطباء المأجورون - سواء من قرأ الكتاب منهم ومن لم يقرأه (!)- يُطلقون ألسنتهم في معابدهم ومجالسهم بالسوء بحق مضامين هذا الكتاب ويعتبرونه كتابًا ضالاًّ ومُضلاًّ! وقد صدرت فتاوى عجيبة وغريبة من بعض آيات الله في هذا الصدد، وقد كُتب حتى اليوم أكثر من عشرين كتابًا في الرد على ذلك الكتاب!![1] وكأن القيامة قد قامت وكأن

(١) اعلم أن المؤلف الفاضل لكتاب «**شهيد جاويد**» (الشهيد الخالد) أَلَّف كتابًا في دراسة الردود التي أُلِّفت ضدّ كتابه والإجابة عنها وتفنيدها بالشواهد والأدلة. وقد رأيت نسخة من هذا الكتاب المذكور ولم أرَ فيه

الحسين بن عليّ عليه السلام قد قُتل من جديد في كربلاء أو كأن الكعبة المُشرَّفة قد هُدمت!

قد يتصوَّر بعضهم أن الدافع لهذا الموقف هو التعصب المذهبي التقليدي للخطباء والكُتّاب الذي هو نوعٌ من الغيرة الدينية العاميّة والتعصُّب الجاهل! نعم، يُمكن أن تكون المسألة هكذا إذا وجدنا أن هذا الشعب يتصرَّف بهذه الطريقة ويُبْرِز هذه الغيرة الدينيَّة تجاه جميع أو بعض الوقائع التي يجترئُ فيها بعض الناس على المعتقدات الدينية والمذهبية، ولكن لكي نعلم أنه لم يكن لدى أولئك الكُتّاب أو الخطباء تلك الغيرة الدينية ولا التعصب المذهبي، ما علينا إلا أن نُلاحظ أنه في ذات الوقت الذي انتشر فيه كتاب «**شهيد جاويد**» انتشر في طهران والمدن الأخرى كتاب آخر بعنوان «**أفكار الميرزا فتح علي آخوندزاده**» وكان عدد نسخه المطبوعة أكثر، وتمّ فيه إنكار الله والاستهزاء بالنبيّ وبأحكام الشريعة ولم يُوفِّر صاحبُهُ شيئًا من الإهانة لأولياء دين الله، وقد بيعت مئات النسخ من ذلك الكتاب في كل مدينة، ومع ذلك لم ينبس أحد ببنت شَفَة، فلماذا؟ السبب أنه لم يكن هناك محرّض، ولا كان أحد يهتم بأمره!

وكذلك قام في طهران عبدٌ من عباد الله الصالحين بنشر كتاب باسم «**درسي از ولايت**» (أي درس من الولاية)، لم يتجاوز فيه حدود العقل والشرع قَيْدَ أُنملة، بل نقد فيه بعض العقائد الواهية! ولكن لما ذهب بشأن مسألة «**الولاية**» مذهبًا معتدلاً، قامت قيامة بعض الناس ضدَّه ولم تقعد، وبدأت تُكتب الكتب وتصدر الفتاوى في الردّ عليه وقام البعض بتحريض عوام الناس وإثارتهم لضرب المؤلف وقتله! وكذلك لما قام المؤلف ذاته بكتابة كتاب بيَّن فيه عدم صحّة الدعاء المعروف بدعاء الندبة، تحرّكت الغيرة الدينية المقلوبة لدى بعضهم وبدأت تصدر بحقّ المؤلف فتاوى التضليل بل وصل بعضهم إلى حدّ تكفيره! ولا

سوى الاستدلال والاستناد إلى الدلائل الشرعية الصحيحة، ولكن مع الأسف لم يُسمح بطباعة هذا الكتاب في زمن الطاغوت، وأتلفوا نسخ هذا الكتاب، ولكن الأعجب من ذلك أنه لم يُسمح بطباعة هذا الكتاب حتى هذا اليوم الذي أصبح فيه الحكم بيد المشايخ!! (**البرقعي**) [ملاحظة: هذا كان أول الثورة ثم طُبع الكتاب مرتين وعنوانه «**عصاي موسى يا درمان بيماري غلوّ**» (عصا موسى أو علاج مرض الغلوّ)].

زال سوق التفسيق والتضليل رائجًا والمعركة تزداد اشتعالاً[١].

(١) من الصفات المذمومة التي تستلزم الوقوع في كثير من الذنوب -وهي صفة في غاية القبح- أن يحكم الإنسان على كتاب لم يقرأه وعلى عبارات لم يطّلع عليها، وهذه كانت ولا تزال عادة أكثر المُعمَّمين وأهل العلم، في حين أنه لا يجوز لأيّ محكمة أن تُصدر حكمها بشأن ملف لم تقم بالاطّلاع عليه. وهذه الصفة المذمومة مصدرها الحسد والعناد أو الكسل والتعصب، وقد ابتُليت بنفسي بهذه المصيبة وهي حسد المعاصرين لي وعنادهم ضدي وذلك عندما كتبت كتابًا في الردّ على أهل وإبطال أقوال الغلاة عنوانه «**درسي از ولايت**» (درس من الولاية) أثبت فيه بالأدلة الأربعة أن الله وحده هو المتولي لأمور التكوين، أي أن الله المتعال هو وحده الخالق والممدّ والمكوّن والرازق والشافي على الإطلاق وقاضي الحاجات الذي لا يُقيّد فعله قيد ولا يُحدِّده شرط، أما الأنبياء والأئمة والأوصياء و..... الهداة ورؤساء الناس وزعماؤهم والذين يتولون أمور الشريعة فلم يكونوا في أيّ وقت من الأوقات مديرين للكون كما أنهم بعد رحيلهم عن الدنيا ليسوا حاضرين في كل مكان وناظرين لكل شيء (من المستحسن أن يقرأ الناس هذه الكتاب).

أما علماء زماننا فأكثرهم ظلمني وجار عليّ لأنهم إما أساؤوا القول في حقي وعادوني وصوروا للناس أن الموضوعات الدينية التي طرحتها في الكتاب مخالفة للدين وتتعارض مع حبّ الأئمة، أو ثبّتوا عليّ تلك التهم والافتراءات بسكوتهم وصمتهم، وعلى كل حال لقد حرّضوا العوام ضدي ولم يمتنعوا عن شتمي وإساءة القول في حقي والافتراء عليّ سواءً من على منابرهم أو في جلساتهم وأوساطهم!

ومهما كتبتُ وأعلنتُ قائلاً: أيها السادة ما هو الإشكال لديكم؟ لم يُجبني أحد! وكلما وصلت إلى شخص منهم وقلت له: أين يوجد الباطل في هذا الكتاب؟ لم يُجبني أحد إجابةً مستدلةً! وكان أكثر المعادين لي عنادًا وحسدًا وتعصبًا أهل الفلسفة اليونانية والعرفان (التصوف)، البعيدون عن القرآن أو الذين يحملون آيات القرآن على آراء اليونانيين وفلاسفة الصوفية، ومن جملتهم سيد يُدعى «السيد محمد هادي الميلاني» الذي طرح نفسه في مدينة مشهد -التي هي محلّ لاجتماع الزوار وتردّد الناس ذهابًا وإيابًا- مرجعًا للتقليد وحضّ الوعاظ المتملقين وأصحاب المنابر من خلال نشره لرسالته العملية عن طريقهم ومن خلال إعطائهم أموالاً بلا حساب على أن يلفتوا أنظار الناس إليه ويدعوهم إلى تقليده، ومن الواضح بالطبع أنه عندما يجتمع في أي مشهد من المشاهد التي يزورها كثير من الناس الأميين أو ذوي العلم الضئيل، أربعة وعاظ من قراء المراثي ويطرحون من على منابرهم أعلمية أحد المشايخ فإن الناس تقبل منهم ذلك لأن أغلب الناس لا يتمتعون بالاستقلال الفكري بل يتبعون الآخرين في موضوع الذم

والمدح ويقبلون كلام المُعمَّمين دون مطالبتهم بالدليل، كما أنه من المسلَّم به أن أغلب الخطباء يخترعون لنا «**أعلم العلماء**» تلقاء الحصول على بضعة تومانات من المال! لاسيما في زماننا الذي أصبح فيه أكثر الدعاة مُلَطَّخين بالأمور الدنيوية ومُبتلين بحبّ الجاه والمال.

وعلى كل حال، لما قمنا في كتبنا بالردّ على أفكار الفلاسفة والصوفية المضادة للقرآن رأى السيد «الميلاني» أن هذا يوجب عليه معاداتنا ومخاصمتنا. ومن الناحية الأخرى لما قمنا بإيقاظ الناس وتنبيههم وإبعادهم عن الأمور التي لا دليل عليها ولا مستند شرعي لها ونحوها من الخرافات من خلال كتبنا ومنها «**درسي از ولايت**» و «**بررسي دعاى ندبة**» (أي دراسة وتمحيص دعاء الندبة) وكان هذا العمل سببًا في إضعاف التفرقة بين المسلمين وباعثًا لوحدتهم وتقاربهم مع بعضهم، رأى المتاجرون بالخرافات أن دكانهم في خطر الكساد، كما أن أيادي الاستعمار الخفية التي تخشى من يقظة الناس ووعيهم ذهبوا إلى ذلك الرجل الذي جعل من نفسه مرجعًا والذي لا يخاف الله والقيامة وحرّضوه على إصدار بيان يذكر فيه أن كتاب «**درسي از ولايت**» معارض ومخالف للقرآن وكتاب ضلال!! وقاموا بنشر عشرات الآلاف من النسخ من بيانه هذا بين الناس إلى درجة أن المرجع المذكور كان يُعطي المال لقراء المراثي والوعاظ كي يقوموا من على منابرهم بهتك حرمتي والطعن واللعن بحقي وتصويري للناس كرجل ضال، لإبعاد الناس عني.

وقد قمت بكتابة رسالة لهذا الشيخ المذكور قلت له فيها: يا حضرة السيد! ما هو دليلكم على هذا الرأي الذي أبديتموه بحقي؟ وقلت لأصدقائي اكتبوا له أنتم أيضًا رسائل واذهبوا إليه شخصيًّا واسألوه، وقد قام أخي الفاضل جناب السيد جلال جلالي القوجاني بالذهاب إليه عدة مرات لكنه لم يسمع كل مرة منه شيئًا سوى الادعاء والتحريم والتكفير الذي لا دليل عليه!

ومن الجهة الأخرى انطلق سيل من التهم والافتراءات بحقي ونسبوني إلى كل جهة يكرهها الناس، فأحدهم قال إنني من أتباع المرتبطين ببلاط الشاه، وآخر قال إنني سُنّي وثالث قال إنني وهّابيّ وآخذ الأموال من المملكة العربية السعودية. ومن البديهي أن شعبنا الذي تعرّض للكثير من الأذى مِنْ قِبَلِ الاستعمار، لديه سذاجة تجعله يُصدّق كل هذه الأكاذيب وينهض إلى معاداتي وإساءة الكلام بحقي قربةً إلى الله!

والأعجب من ذلك أن كثيرًا العلماء الذين كانوا يعلمون أن الحق معنا وأنني ظُلمت في هذا الأمر لم يكونوا يُظهرون الحق وكانوا يصمتون خوفًا من العوام ولم ينصرني ويقف إلى جانبي سوى عدد قليل من المؤمنين، في حين تركني الآخرون أُواجه العوام وحدي، وبهذا لم يتركوا الناس يُدركون النصح الصادق

لماذا تحدث كل هذه الحركات؟ ومن المستفيد منها سوى دولة إسرائيل المشؤومة وشعبها الصهيوني الملعون؟! وأيّ سلاح يُمكن للصهاينة أن يُنفقوا المال لشرائه يُمكن أن يفيدهم مثل الفائدة التي يجنونها من هذا الأمر؟! أعني بثّ الفرقة بين الشيعة والسنة وإيقاع العداوة والبغضاء بينهم بل حتى بين الشيعة أنفسهم؟!

قلنا: إن الغلاة والأعداء يهدفون من خلال هذه المساعي إلى تحقيق هدفين: الأول: هو سعي الغلاة لاستعطاف قلب أولياء الله الذين يعتقدون أنهم «شفعاؤهم عند الله»، أو مالكو مُلْكِ الله وملكوته، وتصورهم أنهم بتلفيقهم ونشرهم لمثل هذه الأوهام والأباطيل سيبُدّلون قانون الله تعالى وسنّته التي لا تتبدل حول الجزاء على الأعمال وتبديل السيئات بالحسنات! ويعتقدون أنهم بتملّقهم ومدحهم لأولئك الأولياء سيرتقون بأنفسهم لدرجة الرضوان وللحور والقصور في أعالي الجنان!

أما هدف الأعداء من نشر هذه الأوهام فهو تشويه صورة الدين المشرقة وعرضه بصورة كريهة كي ينفر العقلاء من الخاصة من حقائق الدين ويتجرّأ الجاهلون من العامة على الانغماس في المعاصي والفسق والفجور، كما أن الشيطان والنفس الأمارة الموجودَين في باطن كل شخص يُشكّلان - كما ذكرنا - دافعًا قويًّا للغرور وخداع النفس بنشر مثل هذه الأكاذيب.

إن الكتب التي كُتبت في هذا الموضوع في السنوات القليلة الماضية لا تُعدّ ولا تُحصى وقد تنافس في هذا الميدان الجميع من علامة الزمان إلى الطفل الذي تعلّم الأبجدية حديثًا ومن الخطيب المفوَّه إلى قارئ المراثي والمآتم! وتسابقوا في السفاهة! ولا يسعنا في هذا الكتاب المختصر أن نتعرّض لجميعهم وأن نبيّن خطأ ما يقولونه ومناقضة عقيدتهم لأحكام الشريعة الأبدية الإلهية المتقنة، وسنكتفي بذكر ما يُمليه علينا وجداننا وضميرنا أمام رب العالمين،

الذي أقوم به لهم! ومن الجهة الأخرى اتّهمني الوعاظ الخرافيون بمخالفة «**الولاية**» وجعلوا الناس بسبب هذه التهمة يُسيئون الظن بي في حين أنني أؤمن بالولاية وأفتخر بمحبتي لأهل البيت وأعتبر نفسي من أكثر المتبعين لعليّ صدقًا وجدية في الاتباع. والله يحكم بيننا وبينهم يوم القيامة. (**البرقعي**).

وبحمد الله تعالى ليس لنا من هدف من بيان هذه الحقائق سوى رضا الله ربنا وخالقنا وخدمة شريعته ودينه الذي نؤمن به ونلتزم به، وتوعية إخوتنا في الإيمان. وقد اخترنا من بين جميع تلك الكتب والرسائل والمقالات أحد أهم ما كتبه ونشره أولئك الغلاة وهو كتاب «**أمراء هستي**» (أي أمراء الكون) وقمنا بنقده وتمحيص ما جاء فيه.

وسبب انتخابنا لهذا الكتاب هو: أولاً- أن مؤلفه يعتبر نفسه «آية الله العظمى»! وهو أكبر لقب علميّ يُطلق في زماننا على عالم ومرجع ديني، فمؤلفه بتلقيبه لنفسه بهذا اللقب أو برضاه بتلقيب ناشر كتابه له بهذا اللقب يفصح عن اعتقاده أنه مستحقٌّ لمقام المرجعية وجديرٌ بها. وبالتالي فلا يستطيع أصحاب الدكاكين المذهبية وبائعي الخزف أن يحتجوا علينا بأننا بانتقادنا لمذهب معين لا يجوز أن نستند إلى أفعال وأقوال العوام أو الأفراد متوسطي العلم بل لا بد من الرجوع إلى أقوال أئمة المذهب ومراجعه المجتهدين وأفعالهم، لأن الكتاب الذي ننقده تأليف أحد «آيات الله العظمى»!

ثانيًا: قلَّد المؤلف في كتابه العلماء الكبار والمعروفين واستخدم اصطلاحات الفلاسفة والحكماء والمتكلمين وأحيانًا انتقد كلامهم وعلق عليه. فكتابه مهم وجدير بالتدقيق والتأمل من هذه الناحية.

ثالثًا: لم يوفِّر المؤلف في كتابه هذا شيئًا من الأقوال الشركية وعبارات الكفر، بل ابتدع أمورًا لم تكن تخطر أبدًا على بال الغلاة القدماء واخترع لها التوجيهات والتأويلات والتبريرات واعتبر المعصومين الأربعة عشر مُدبِّري الكائنات ومُسيِّري الأرض والسموات!! وقال في حقِّ الأئمَّة ما لم يقل مثله أي مشرك في الأصنام وطرح ذلك بوصفه عقيدةً دينيةً وحكمًا ضروريًا مسلَّمًا به! وبناء على ذلك فمناظرة [ناشر] مثل عقائد الكفر تلك ومحاربة مثل تلك الاعتقادات أوجب وأهم من أي أمر آخر، وسيكون فضح أخطاء هذا المؤلف سبيلاً لإسكات وقطع السبيل على الآخرين من أمثاله.

نقد العبارات الشركية في افتتاحية كتاب «أمراء الكون»

بعد أن ابتدأ حضرة آية الله العظمى! كتابه بسطر ونصف من الثناء على الله ونصف سطر بالشهادة للنبي بالرسالة تقليدًا منه لسنة المؤلفين القدماء، أعقب ذلك بقوله: «**وأشهد أن خلفاءه وأوصياءه مدبرو أمور الخليقة**»!!

فلنأت إلى هذه العبارة التي افتتح بها كتابه ونتأملها على ضوء القرآن الكريم لنرى من هو مدبّر أمور الخليقة؟

يقول القرآن الكريم: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣]، ويقول كذلك: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ [الرعد: ٢]، ويقول أيضًا: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجده: ٥]. والعجيب هو ما يذكره الله تعالى عن المشركين من قوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١، ٣٢].

عندما يُقِرُّ المشركونَ بأن مُدبِّرَ الأمر هو الله رب العالمين وحده فإن ذلك كان يستتبع سؤاله التقريري: فلماذا لا تتقون الله إذن؟ إن الذي يُدبّر الأمر في السموات والأرض هو ربكم فإذا كان هذا هو الحق فلماذا تنصرفون عنه وليس بعد الحق إلا الضلال فأين تذهبون؟!

إذن كان المشركون يقرّون بأن الله هو مدبر أمور الخليقة! فماذا نقول للمسلمين إذن؟ إننا نخاطب مؤلف ذلك الكتاب بجواب الله تعالى ذاته ونقول: أين تذهب وأين تُصرف عن الحق؟ وهل بعد الحق إلا الضلال؟!

ثم يقول حضرة الكاتب في الجمل التالية: «**سكون كل ساكن وحركة كل متحرك بأمرهم**» (أي بأمر الأئمَّة الاثني عشر). وفيما يأتي الردّ من آيات القرآن الإلهية على هذه الجملة الشركية بل الشرك الصريح:

يقول تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ

ٱلْعَلِيمُ﴿١٣﴾﴾ [الأنعام: ١٣]، ويقول كذلك: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ [يونس: ٦٧]، ويقول أيضًا: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود:٥٦]، ويقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ [الفرقان: ٤٥]. فكل الحركات والسكنات تحت أمر الله وبإرادته وحده فقط لا غير!

إلى كم آمر يحتاج المأمور؟ وهل الله الذي هو نفسه الخالق والمبدع للكون والواهب للروح عاجز عن تدبير أمور ما خلق أم أنه أوكل قدرته وشؤون كونه إلى الآخرين؟ هل الخلفاء المعصومون غير الله أم هم عين الله؟ حتى تكون تلك الأمور أُوكلت إليهم؟! إن التزام المجيب بأي من هذه الإجابات سيوقعه في الكفر والشرك! فإذا قال إنهم غير الله [وهم مدبرو الكون والحاكمون فيه] كان قوله شركًا محضًا والمشرك نجس كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، وإن قال إنهم عين الله قال بالاتحاد والحلول! وكلاهما اعتقاد كفري مرادف للشرك ومتناقض مع أسس دين الإسلام بإجماع قاطبة المسلمين.

ثم يقول المؤلف في الجملة التالية: «**ولا ينبت نبات من غير حكمهم**»!

فلننظر إلى مسألة إنبات النبات من وجهة نظر القرآن:

١- يقول تعالى في سورة لقمان: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ [لقمان: ١٠].

٢- ويقول أيضًا: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [الشعراء: ٧].

٣- ويقول كذلك: ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾﴾ [الحجر: ١٩].

٤- ويقول أيضًا: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴿٦٠﴾﴾ [النمل: ٦٠]

كأن الآية الأخيرة تُنبئنا بالضبط عن عقيدة الكفر والشرك التي سيقول بها في المستقبل أمثال أولئك المسلمين [الغلاة] الذين سوف يدَّعون يومًا ما أن مخلوقات الله تُشارك الله في أمره وينسبون إليها إنبات النبات، لذا يسألهم الله باستفهام إنكاري: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ ثم يقول: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ۝٦٠﴾ [النمل: ٦٠]! أي يعدلون عن الحق.

٥- ويقول تعالى أيضًا: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ﴾ [النحل: ١٠- ١١].

ولو أردنا أن نأتي بجميع الآيات في هذا الأمر لطال بنا الكلام وخرجنا عن الاختصار لذا نكتفي بالإشارة إلى أرقام الآيات:

البقرة: ٦١	الأنبياء: ٣٠
الأنعام: ٩٩	عبس: ٢٥-٣١
إبراهيم: ٢٥	ق: ٧-١١.
طه: ٥٣	

ففي جميع هذه الآيات نسب رب العالمين إلى ذاته العلية إنبات الزرع والنباتات، ومن يخالف هذا الاعتقاد فإنه -كما ذكر تعالى في الآية ٦٠ من سورة «النمل»- يتخذ إلهًا آخر مع الله وبالتالي فهو مشرك!

إننا الحيرة لتصيبنا حقًا من جرأة هؤلاء المدَّعين للإسلام في نسبتهم تلك الأمور إلى مخلوقات الله؟! ولما كان المؤلف قد ادعى أنه «ولا ينبت نبات من غير حكمهم»! فيبدو أنه يرى أن إنبات النبات أمر غير الحكم! فتكون النتيجة أن الأئمَّة يحكمون أي هم آمرون والله -والعياذ بالله- هو الذي يُنبت فهو المأمور! والأمر ذاته ينطبق على سائر الأمور!! تَعَالَى الله عَمَّا يقولُ الظالمونَ عُلُوًّا كبيرًا.

وفي الجملة التالية يقول آية الله العظمى (!): «**ولا تقطر قطرة من مطر...**». ومعناها أنه

لا تنزل قطرة من مطر بغير حكم أولئك الأوصياء!

ونحن نكتفي بذكر آية كريمة واحدة من آيات القرآن للردّ على مثل هذا الهذيان وهي قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الحجر: ٢٢].

ونشير بعدها إلى الآيات التي تؤكد المعنى ذاته:

البقرة: ٢٢	الروم: ٢٤
الأنعام: ٩٩	لقمان: ١٠
الأعراف: ٥٧	السجدة: ٢٧
يونس: ٢٤	فاطر: ٢٧
الرعد: ١٧	الزمر: ٢١
إبراهيم: ٣٢	فصلت: ٣٩
النحل: ١٠	الشورى: ٢٨
الكهف: ٤٥	الزخرف: ١١
طه: ٥٣	ق: ٩
الحج: ٥ و٤٣	الواقعة: ٦٨-٧٠
المؤمنون: ١٨ و١٩	الملك: ٣٠
الفرقان: ٤٨	النبأ: ١٤ و١٥
النمل: ٦٠ و٦٣	عبس: ٢٥.
العنكبوت: ٦٣	

في جميع هذه الآيات ينسب الله تعالى إلى نفسه إنزال المطر فكل من يدعي أن هذا الأمر هو من فعل غير الله أيًّا كان يخرج عن إيمان المسلمين ويصبح في عداد المشركين!

ويقول المؤلف في الجملة التالية: «ولا تهب ريح». ونذكر في الرد عليه بعض الآيات من القرآن تيمُّنًا:

يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٤]، ويقول أيضًا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٧]. وقد كرر الله تعالى المعنى ذاته بشيء من الاختلاف في سورة النمل (الآية ٦٣). ونسب الله تعالى في الآيات ٢٢ من سورة الحجر و٤٦ من سورة الروم و٩ من سورة فاطر و٥ من سورة الجاثية هبوب الريح وتحريكها إلى ذاته واعتبر ذلك دليلاً على ألوهية «الله». أي أن الذي يملك التصرّف في هذه الأمور والذي تجري هذه الأمور بأمره وحكمه هو «الله».

إذن إنْ كان المؤلف يصر على أن خلفاءَ النبيِّ المعصومين مدبّرون لتلك الأمور فلا بد عليه أن يلتزم بأنهم الله!! ولعل بعضهم يتحجج ويعتذر عن تلك النتيجة قائلاً: نعم، هذه الأمور متعلقة بالله ولكن الله بإرادته وبإذنه هو الذي أوكل تلك الأمور إلى خلفاء النبي المعصومين! وسنوضح في الصفحات التالية سخافة هذه العقيدة ونرد على هذا العذر الباطل إن شاء الله.

ويكتب حضرة «آية الله العظمى» (!) مؤلف كتاب «**أمراء الكون وحكومة المعصومين الأربعة عشر على جميع الموجودات**» بعد ذلك قائلاً: «**ولا يضيء نجم...**» (أي لا يشرق في السماء نجم دون حكم خلفاء النبي)!!

إنه لمن الصعب جدًّا علينا ونحن نعيش بين شعب يدّعي الإسلام وينسب نفسه إلى دين التوحيد أن نذكر هذه الأمور التي لم يكن حتى نبي الإسلام يرى ضرورة إثباتها في حق المشركين في عصره، لأن المشركين كانوا بفطرتهم يقرّون بأن تدبير أمور الخليقة وسكون كل ساكن وحركة كل متحرّك بيد الله تعالى وكانوا يعلمون أنه من غير حكم الله لا ينبت نبات

ولا تنزل قطرة من السماء ولا يضيء نجم. كما يقول تعالى: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٨- ٨٩].

فكم من المؤسف أن يعتبر الوثنيون والمشركون القدامى تدبير كل أمر بيد الله ثم نجد بين المسلمين بعد ألف وأربعمئة عام من انتشار تعاليم الإسلام رجلاً يدعو نفسه «آية الله العظمى» ويقول إن الخلفاء المعصومين أو المعصومين الأربعة عشر يُسيطرون على جميعَ الموجودات ويملكون التصرف فيها؟!!

ونعود الآن إلى جملة المؤلف «ولا يُضيء نجم» ونعرضها على القرآن لنرى هل تؤيد آيات القرآن مثل هذا الحكم أم أن نبيه -نعوذ بالله- قصّر في إبلاغ آيات الله وتبليغ رسالة ربه في الرد على الكفر والشرك!

يقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧].

ويقول أيضًا: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

ويقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءٗ وَٱلْقَمَرَ نُورٗا﴾ [يونس: ٥].

ويقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

ويقول بشأن المشركين بوجه خاص: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: ٦١].

إذا كان المشركون أنفسهم ينسبون خلق الشمس والقمر - اللذَيْن هما نموذجان واضحان للكواكب والنجوم- إلى الله فكيف يجوز لمن يدَّعي الإسلام أن ينسب ذلك الأمر إلى عباد الله ومخلوقاته؟! فما هذا الهذيان الذي يقوله ذلك المؤلف؟ ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يونس: ٥٩].

ثم يكتب «آية الله العظمى» (!) في الصفحة السادسة بعد تلك الجمل: «**كل معدومٍ وُجد وكلُّ موجود انتقل إلى عالم الفناء، إنما تم برقابة وإشراف الأئمَّة**»!!!

لنرَ الآن فيمن تنحصر صفة المراقبة والشهود من وجهة نظر القرآن؟

يقول تعالى على لسان عيسى بن مريم: ﴿أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١١٧﴾ [المائدة: ١١٧].

ويقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

ويقول: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢﴾ [الأحزاب: ٥٢].

فأمر المراقبة وحفظ العباد وجميع مخلوقات عالم الإمكان مختص برب العالمين ومثل هذا الهذيان كفر وضلال.

ثم يزيد «آية الله العظمى» (!) من شركه وكفره وفضح نفسه فيقول في جملة تالية: «**ولا يعزب عنهم ذرة من عالم الوجود ولا تغيب عن نظرهم وانتباههم**»!! ويقول لإثبات هذه الترهات في الصفحة ١٩٨ من كتابه: "**إن الإمام** عليه السلام **يرى جميع المشارق والمغارب وكل أماكن الوجود حاضرة ومجسمة أمام ناظريه** "!!

لنعرض الآن هذا الادعاء على القرآن الكريم ليقضي كتاب الله بيننا بحكمه. في الآيات التالية يُبيّن الله تعالى أن ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ هو الله وحده:

الأنعام: ٧٣	الزمر: ٤٦
التوبة: ٩٤ و١٠٥	الحشر: ٢٢
الرعد: ٩ و١٠	الجمعة: ٨
السجدة: ٦	التغابن: ١٨

وفي الآية ٩٢ من سورة «المؤمنون» وبعد أن يبيِّن تعالى أن الله ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ يقول مباشرة: ﴿فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٢] ومعنى ذلك أن من يعتبر غير الله عالمًا بالغيب والشهادة فإنه يشرك غير الله معه فهو مشرك! تعالى الله عما يقول المشركون.

وأما الآيات التي تنصُّ على أن الله وحده هو الشاهد على أعمال مخلوقاته وأفعالهم فنذكر منها قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ۝٩٨﴾ [آل‌عمران: ٩٨].

ويقول عيسى لربه: ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝١١٧﴾ [المائدة: ١١٧].

ويقول سبحانه: ﴿ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ۝٤٦﴾ [يونس: ٤٦].

و ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝١٧﴾ [الحج: ١٧].

والآيات التالية أيضًا تؤكد المعنى ذاته:

النساء: ٣٣ المجادلة: ٦

الأحزاب: ٥٥ البروج: ٩

سبأ: ٤٧

ويسأل تعالى بصيغة الاستفهام الإنكاري والتوبيخي فيقول: ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾ [فصلت: ٥٣].

فالقرآن الكريم يُصرّح أن الله تعالى كاف شاهدًا على أمور عباده ويقول: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۝٧٩﴾ [النساء: ٧٩]. والمعنى ذاته نقرأه في (النساء: ٧٩، يونس: ٢٩، الإسراء: ٩٦، الفتح: ٢٨). فهذه الآيات تلقم من يهذون بمثل تلك الشركيات حجرًا في فمهم، إذ تؤكد أنه كفى بالله شهيدًا ولا حاجة لشهيد آخر. وأما الآيات التي تنصُّ على أن الله هو البصير بأعمال عباده فهي كثيرة للغاية إلى درجة تُغنينا عن ذكرها في هذا الكتاب المختصر.

نقد تفسير صاحب كتاب «أمراء الكون» لمعنى «الولاية»

بعد افتتاحه كتابه بكلمات الكفر تلك، يعرب مؤلف كتاب «**أمراء الكون**» عن أسفه الشديد لكون الجَمّ الغفير من أتباع مذهب التشيّع الحقّ محرومون من معرفة الحقيقة بشأن إمامهم وولي عصرهم وذلك بسبب قصور التبليغ الإسلامي في هذا المجال!! [*ولعل هذا*

المؤلف يعتقد أن السبب في شقائهم وتخلفهم هو عدم معرفتهم هذه!!]. ويرى أن التقصير في الدعوة والتبليغ من جهة، [*ليت شعري هل هناك تبليغ أكثر من ذكر هذه الأمور في جميع المجالس والأوساط وفي كلام كل درويش وصوفي وفي النهاية في كلام قراء المراثي والمآتم والمداحين والمتسولين الذين ينشرون مثل هذه الدعايات في معظم أيام السنة؟*] ودسائس الضالين المقصرين الجاهلين أو طلاب الشهرة المعاندين من جهة أخرى أدَّيا إلى انصراف أبناء الشيعة الأبرياء عن الانتباه اللازم إلى ساحة الإمام المقدسة!! [*لا ندري أي ساحة هي؟ ولو انتبهوا إليها فماذا كان سيحصل لهم؟!*]. ونتيجة هذا الانحراف الخطير، فقد سُلبت - في نظره - من عامة الناس «**الولاية**» التي هي الشرط الأعظم لقبول الأعمال والعبادات [*يبدو أن هذا السيد المؤلف قد ذهب إلى أرض المحشر ووصل إلى ساحة القدس الربوبية فلما رأى هناك أن الأعمال لن تُقبل بدون مثل هذه الولاية التي يطرحها قرَّر أن يؤلف كتابه هذا كي ينقذ أبناء الشيعة الأبرياء ويكمل ولايتهم!!*]. ويواصل المؤلف كلامه قائلاً إن هذا الواقع المؤلم [*هل هو مؤلم حقًا!!*] الذي لا تتسع الصفحات لبيان آثاره الوخيمة [*ويا ليته ذكر لنا أثرًا واحدًا من هذه الآثار الوخيمة كي يحكم بشأنه القراء*] دعاه إلى أن يأخذ القلم ويؤلف كتابه(١).

ثم في الصفحة ٨ وبعد أن ينقل لنا كلام أهل اللغة في معنى «**الولاية**» يهيِّئ لادّعائه بأن معنى «**الولاية**» هو تدبير أمور الكائنات والرزق والإحياء والإماتة لأهل الأرضين والسموات!

ثم يواصل بحث «*الولاية*» فيقول إن كلمة «**مولى**» التي لها معان عدة، لا يمكن أن يكون المقصود منها في عبارة «**مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلاهُ**» التي قيلت في حق أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في قصّة غدير خُمّ إلا معنى «**الأولى بالتصرف بالأمور التكوينية**» !، وقال: إن بعضهم يقولون إن الولاية معناها القرب، فإذا كان المقصود من كلمة «مولى» القرب فهذا

---

(١) الجمل الموضوعة بين معقوفتين [ ] في هذه الفقرة، هي لمحقق كتاب قلمداران الحاضر: أي آية الله **البرقعي**. والبقية لمؤلف كتاب «**أمراء الكون**».

أيضًا في نظره قريب من المقصود لأنه نوع عجيب من التقرب المخصوص بالله من ناحية التصرف والتدبير!! وكذلك أولياء الله من ناحية امتلاك أمر جميع المخلوقات هم في أشد مراتب القرب من الله! [*يبدو أن هذا القرب أشد من قرب الله لأن هذا هو ما تفيده سياق العبارة!!*] أما العصاة والكفار والمتمردون فرغم أن أولياء الله أقرب إليهم من حبل الوريد فإنهم لا يتقربون إليهم أبدًا بل تفصل بينهم وبين أولياء الله مسافات بعيدة! حقًّا ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ!!

أيها القارئ الكريم والعاقل! انظر كيف يفسر هذا الذي لقب نفسه بآية الله العظمى(!) الآيةَ الكريمةَ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ١٦﴾ [ق: ١٦] التي تتكلم عن قرب الذات الإلهية المقدسة من العباد والتي تدل الآية التي سبقتها أي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦] على أن ذلك القرب مختص بالذات الأحديّة المقدّسة ولا يمكن نسبته لأحدٍ سوى الله، فيدَّعي [ذلك المؤلِّف] ثبوت مثل هذا القرب من العباد لأولياء الله أيضًا، بل أشدّ مراتب القُرْب قوَّةً!!!

إني لم أرَ في حياتي ولم أعرف أي مشرك ووثني وصل في ادعائه إلى هذا الحدّ! إذا لم يكن مثل هذا الادعاء شركًا وكفرًا فما هو الشرك والكفر إذن؟

ثم يطرح المؤلف كلمة «**ولي**» فيرى أنها مطابقة لكلمة «**مولى**» التي وردت في حديث الغدير. وبعد أن يذكر كلامًا طويلاً في أن كلمة «**ولي**» تحمل معان لفظية ومعنوية مشتركة يستنتج في النهاية أن الولاية في الآية الكريمة التي تقول: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ...﴾ [المائدة:٥٥] معناها «**الأولى بالتصرف**»، ويرى أن كلمة «إنما» قصرت هذه الصفة على الله ورسوله وعليٍّ عليه السلام، أما لو كان معنى كلمتي «**ولي**» أو «**مولى**» الصديق والنصير -لأن الآية الكريمة وردت في سياق النهي عن مصادقة الكفار من اليهود والنصارى وغيرهما ونصرتهم - فإن هذا المعنى أيضًا يصب - في نظره - في معنى الأولى بالتصرف، لأن صداقة الكفار وحدها لا تضر ومحبة الله وموالاته وحدها لا نفع فيها لأي إنسان!

إن محبة الكفار والمشركين وصداقتهم لا تُعْتَبَر محبةً صادقةً وصداقةً واقعيةً لهم إلا عندما

يَعتَبِرُ مُحِبُّهُم عقائدَهم وأعمالَهُم محبوبةً ومرضيةً وفي الحقيقة يعمل بهذه العقائد ويرى صحة طريقتهم التي يسيرون عليها، وكذلك الإنسان عندما يحب الله ورسوله لا يكون صادقًا في هذا الحب إلا عندما يعتقد أن قول الله ورسوله يستوجبان الطاعة والاحترام ويرى فرضًا عليه طاعة أوامرهما (١).

إن آية الله العُظْمى(!) هذا يحاول بكل وسيلة مهما كلَّفه من أمر ولو بكلام مضطرب أن يستخرج من كلمتي «**ولي**» و «**مولى**» معنى تصرف وتدبير الأئمَّة للكون والمكان حتى ولو كانت تينك الكلمتين تتعلقان هنا باليهود والنصارى!

هذا في حين أن سياق الآيات ونصوص التاريخ والسير والروايات تدلُّ بأجمعها على أن آية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ...﴾ [المائدة: ٥٥] جاءت ضمن النهي عن مودَّة اليهود والنصارى والتحالف معهم ونصرتهم على المسلمين حيث نجد أن بداية الموضوع كانت في قوله تعالى: ﴿۞يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١﴾ [المائدة: ٥١].

ثم قال تعالى بعد ذلك في السياق ذاته ولأجل مواصلة المعنى الذي تم التأكيد عليه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ۝٥٥﴾ [المائدة: ٥٥] (٢).

---

(١) يُراجَع كتاب «**شاهراه اتحاد**» (طريق الاتحاد)، الصفحة ١١٤ -١٤١ وحاشية الصفحة ١٨٠-١٨٧.

(٢) نهى القرآن الكريم المؤمنين عن اتخاذ الكفار أولياء وعن اتخاذ غير المؤمنين بطانةً أي مقربين يطلعونهم على أسرارهم [آل عمران، ١١٨]، ونهاهم أيضًا عن مولاة من لم ينضم إلى المؤمنين ولم يلتحق بهم، كما نهى عن موالاة المنافقين الذين اتخذوا دين المسلمين هزوًا وسخرية [النساء/ ٨٩، والمائدة/ ٥٧]، بل نهى من مولاة الكفار المعادين للإسلام حتى ولو كانوا آباء المؤمنين أو إخوانهم [النساء/ ١٤٤] و[التوبة/ ٢٣]. ونهى المؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء لأن بعضهم أولياء بعض [المائدة/ ٥١ و٥٧]. ونهى القرآن عن مولاة المنافقين الذين يعتبرون ما ينفقونه من زكاة غرامةً وأتاوةً [التوبة/ ٥٤ و ٩٨] والذين ﴿وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤]، وفي

في قضيَّة محاصرة المسلمين ليهود بني قريظة، أو ليهود بني قينقاع [بعد خيانتهم العهد وتآمرهم على المسلمين] بأمر النبيّ ﷺ حيث أصبح هؤلاء اليهود في معرض القتل أو مصادرة أموالهم وغنيمتها، جاء رأس النفاق «عبد الله بن أُبَيّ بن سلول» -الذي كان بينه وبين اليهود موالاة وصداقة وحلف- إلى النبي ﷺ بناء على طلب منهم ليطلب منه أن يخفف من حصارهم ويغض الطرف عما فعلوه، في حين أن عبادة بن الصامت الخزرجي جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: "يا رسول الله! إن لي أولياء من اليهود: كثيرًا عددهم، قويّةً أنفسهم، شديدةً شوكتهم، وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم ولا مولى لي إلا الله ورسوله. فقال عبدُ الله بنُ أُبَيّ: لكني لا أبرأ من ولاية اليهود لأني أخاف الدوائر و لا بد لي منهم.. "[(١)] فنزلت هذه الآيات.

فالمعنى الذي استُخْدِمَتْ فيه «**الولاية**» أو «**الولي**» و«**اتخاذ الأولياء**» في الآيات بشأن اليهود والنصارى هو المعنى ذاته الذي جاء في سياق الآيات بشأن الله ورسوله والمؤمنين، والتي أرادت من المؤمنين أن تكون ولاية الله ورسوله والمؤمنين لهم نِعْمَ البَدَل لولاية اليهود

مقابل ذلك دعاهم إلى موالاة المؤمنين الذي يؤتون الزكاة خاضعين لله و راغبين بطاعته و يقيمون الصلاة برغبة وإقبال أي المؤمنين الصادقين في إيمانهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦]، وقد استخدمت الآية صيغة المضارع في بيان أفعال المؤمنين للدلالة على استمراريتها ودوامها، والآيات ٢٢ إلى ٢٥ من سورة المعارج تؤيد تمامًا هذا المعنى والقول الذي قلناه.

(١) أمين الإسلام الطبرسي، تفسير «مجمع البيان»، ذيل تفسيره للآيات / ٥١-٥٣ من سورة المائدة أي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [المائدة: ٥١-٥٣]. (تر)

والنصارى. أما استخراج أي معنى آخر للولاية غير ذلك من الآيات فليس سوى تعدٍّ على معاني القرآن وصرفٍ لمعاني الآيات عن حقيقتها وانحرافٍ عن المقصود وحملٍ لآيات الله على الرأي الشخصي[١].

لكن لما كان «آية الله العظمى» (!) مُصرًّا على أن يستخرج من الآية -زورًا ولجاجًا- معنى تصرُّف أولياء الله في جميع عالم الإمكان كتصرف الله تعالى! فإنه أخذ يضرب يمينًا وشمالاً، ثم عقد في الفصل الثاني من كتابه فصلاً أطال الكلام فيه ليثبت أن مثل هذه الولاية على الكون ممكنة وغير ممتنعة عقلاً، وأخذ يقسِّم الأمور إلى الممكن عقلاً والمستحيل عقلاً وتوصَّل إلى نتيجة تقول إنه من وجهة نظر الفلاسفة فإن تصرف فرد ما من البشر وتدبيره لكل عوالم الخليقة من إحياء وإماتة ورزق وتربية وتعليم والذي يمكن تلخيصه -على حد قوله- بكلمة «**الولاية**» أمرٌ ممكنٌ ذاتًا ووقوعًا!

ثم بحث في موضوع الكمال الذي يؤمّن غاية آمال البشر فقال: لما لم يكن في عالم الوجود كمال مطلق سوى ذات الله تعالى، فكمال البشر النهائي هو أيضًا في التشبّه والتمثّل بصفات الله كالعلم والإرادة والقدرة وأن يصل الإنسان إلى مقام «**الولاية**» أي مقام الحكم والسلطان في ملك الله بأمر من الله ونصب من الله له في هذا المقام [*هدف عرفاني صوفي!*]. وقال إن هذا الكمال لم يكن مُكْتسبًا لدى أهل بيت العصمة والطهارة بل كان ذاتيًا[٢] [*إن كل كمال حتى كمالات أهل البيت كمالات مكتسبة كما يدل عليه العقل والنقل وكما تؤيّد ذلك جميع آيات القرآن والروايات بل حتى هذا الآية الله العظمى نفسه أيّد هذا المعنى في موضع*

(١) ومصير من يفعل ذلك هو النار طبقًا للحديث المشهور: عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ**». (وسائل الشيعة، ج٢٧/ ص ٢٠٤). وهو مروي في مصادر أهل السنة بهذا اللفظ (سنن الترمذي وأبي داود) ومرويٌ أيضًا بلفظ: «**من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار**» (النسائي في سننه الكبرى). (تر)

(٢) إن العقل والنقل يدلان على أن كل كمال، حتى لدى أهل البيت، كسبيّ، وهذا أمر تثبته جميع الآيات والروايات بل حتى هذا الملقب بآية الله العظمى أقر بهذا الأمر في موضع آخر من كتابه! (البرقعي)

آخر من كتابه!]، ويُمكن أن تنال سائر المخلوقات شيء من هذا الكمال من خلال مخالفة الهوى والنفس وطاعة الحق [*لم ينَلْ أيّ إنسان حتى الآن مثل هذه الولاية ولن ينالها اللهم إلا المُدَّعون الكاذبون*]، أما الولاية العامة والشاملة والذاتية التي أُفيضت على أصحابها مِنْ قِبَلِ الله فهي خاصة بتلك الأنوار الطاهرة الأربعة عشر.

ثم أتى بنظرية من عند الشيخ الرئيس أبي علي ابن سينا ليُثبت عقيدته وقال: "كل من جمع بين الحكمة العملية والحكمة النظرية وصل إلى السعادة الكلية، وكل من ضم إلى ذلك خصائص مقام النبوة أوشك أن يصبح إلهًا بصورة إنسان، ولم يبعد أن تكون عبادته جائزة بعد عبادة الله (!!) وأن تُفَوَّضَ إليه أمور العباد وأن يُصبح سلطان عالم الوجود وخليفة الله في أرضه [*لو كانت هذه العبارات فعلاً لأبي علي ابن سينا فإن هذا يدل على أن أبا علي ابن سينا كان جاهلاً جدًّا في معرفة الله، والذي يحتمل جواز عبادة غير الله لا نصيب له في الإسلام*][1].

ثم قال: «إن المقامات والكمالات الموجودة في شخص الولي من ناحية ولايته كُلُّها ترجعُ إلى تكامل قوتي العلم والعمل لديه، أي أنه من الناحية العلمية ينبغي أن يكون عالمًا بجميع الجوانب والجهات الخاصة بعالم الخليقة وأن يكون مطَّلعًا على كل أمر وكل شيء وألا تخفى عن علمه أي حقيقة بل أن يكون مسرح الوجود بأسره حاضرًا مجسَّمًا أمامه»!!

ثم ذكر شعرًا للحاج مُلاّ هادي السبزواري وقال: «في هذه الصورة يعلم أن الماهية الفلانية يجب أن تكتسي بكسوة الوجود وأن الموجود الفلاني لا يصلح أن يصل إلى الحد المُعيّن من التربية والكمال لا أكثر ولا أقل...».

ثم أطلق لقلمه العنان في شرح هذه الفلسفة وأتى بحديث عن أبي ذر واستنتج منه نتيجةً خاطئةً، هذا بغض النظر عن أن هذا الحديث مختلقٌ -احتمالاً- ومن وضعِ الغلاة!

يقول الحديث: «قَالَ أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ: "كُنْتُ سَائِرًا فِي أَغْرَاضٍ مَعَ أَمِيرِ الْـمُؤْمِنِينَ عليه السلام

---

(١) كل العبارات الموضوعة بخط مائل بين معقوفتين [ ] هي لآية الله البرقعي (محقق كتاب قلمداران الحاضر).

إِذْ مَرَرْنَا بِوَادٍ وَنَمْلِهِ كَالسَّيْلِ السَّارِي فَذَهَلْتُ مِمَّا رَأَيْتُ فَقُلْتُ: اللهُ أَكْبَرُ! جَلَّ مُحْصِيهِ! فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: لَا تَقُلْ ذَلِكَ يَا أَبَا ذَرٍّ! وَلَكِنْ قُلْ: جَلَّ بَارِيهِ! فَوَ الَّذِي صَوَّرَكَ إِنِّي أُحْصِي عَدَدَهُمْ وَأَعْلَمُ الذَّكَرَ مِنْهُمْ وَالْأُنْثَى بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ! "[1].

حتى لو فرضنا صحة هذا الحديث فإنه لا يدل أبدًا على تصرف أولياء الله في الموجودات لأن معرفة أعداد النمل الأسود أو الأبيض في جحر من جحوره أو في قطعة من الأرض أمر سهل على كل من كان له علم بحياة النمل العادي أو النمل الأبيض أو حياة النحل وتشكيلاتها المنظمة. وذلك لأن بناء جحور النمل أو خلايا مملكة النحل يعتمد على قاعدة منظمة وهندسة دقيقة تبعًا لعدد سكان الجحر أو الخلايا كما أن توليد الذكر والأنثى منها يتم طبق حساب مضبوط ومحدد. فمن كان عالمًا بالعلوم الطبيعية وعلم الأحياء لا يُعتَبر تحديده لعدد الذكور والإناث من سكنة جحور النمل أو خلايا النحل أمرًا خارقًا [*وللتحقيق في هذا المطلب يُراجع كتاب «**النمل والنحل والأرضة**» تأليف «موريس مترلينغ» البلجيكي*].

فالتمسُّك بمثل هذا الحديث -إنْ فرضنا صحته- لإثبات مثل تلك الولاية التكوينية لعلي عليه السلام هو من قبيل تشبُّث الغريق بكل حشيش!! هذا رغم أن جميع الأدلة التي يذكرها «آية الله العظمى» هذا هي على هذا النحو، كما سنُبيِّن في الصفحات الآتية ضعفها جميعًا إن شاء الله تعالى.

بعد أن أثبت مؤلف كتاب «**أمراء الكون**» عقلاً -بزعمه وخياله الباطل- تصرُّف أولياء الله تعالى في عالم الوجود، انتقل إلى حل إشكال جسمانية أولياء الله! فقال: «إذا توهَّم

---

(١) السيد شرف الدين على الحسيني الأسترآبادي (حوالي ٩٤٠هـ)، **تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة**، ط١، قم، مؤسسة انتشارات إسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم، ١٤٠٩هـ، ص ٤٨٠. نقلاً عن كتاب «**مصباح الأنوار**» للشيخ أبي جعفر الطوسي.

والسيد هاشم بن سليمان البحراني (١١٠٧هـ)، **البرهان في تفسير القرآن**، قم، مؤسسة البعثة، ط١، ١٣٧٤هـ.ش، ٤/ ٥٦٩. وله أيضًا: **مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر**، قم، مؤسسة المعارف الإسلامية، ط١، ١٤١٣هـ، ٢/ ١٣٢-١٣٣.

أحدهم أن الوصول إلى كل نقطة من أماكن الوجود موقوفٌ على الذهاب إلى تلك النقطة والحضور هناك، وبنى على ذلك أن على شخص الولي أن يتواجد في آن واحد في آلاف الأماكن وأن يحضر عند ولادة أو موت الأشخاص الذين يموتون ويحيون في كل لحظة في أماكن متباعدة للغاية، وتصور أن مثل هذا العمل ما دام يتم بالبدن العنصري الجسمي وهو بدن واحد فحسب، فإن وجود البدن الواحد في آلاف الأماكن في وقت واحد يستلزم اجتماع النقيضين واجتماع الجزء مع الكل وهو من المحالات، كما أن التصرُّف والتأثير في الأمور الجسمية دون القرب منها والحضور الجسمي المكاني لديها محال أيضًا».

ثم أخذ المؤلِّف في رفع هذا الإشكال بزعمه فقال: «والجواب عن هذه الشبهة هو أنه لو كان التصرف والتأثير وتنفيذ الإرادة موقوف على الحضور في المكان المراد التأثير فيه والدخول إلى تلك النقطة، ولو كان التأثير دون الحضور محال عقلاً، للزم من ذلك أن يكون تدبير الله وتصرفه في أجزاء العالم مستلزمًا لمجيئه وقدومه إلى ذلك الجزء. ولكن لما كان هذا الأمر يستلزم حلول الله في الأمكنة وهو أمر يتنزَّه عنه الله، استتبع ذلك أن تكون تصرفات الله في العالم مُحالة. ولا فرق في المحال العقلي بين الله وغيره فإذا كان أمرٌ ما محالاً عقلاً، كان محالاً بالنسبة إلى البشر وبالنسبة إلى الله أيضًا»!!

أقول: لاحظوا كيف يُسيء هذا المُتَلَقِّب بآية الله العُظْمى استخدام قاعدة عقلية بشكل فاضح وبشكل مخادع للعوام؟!

نعم، القاعدة تقول: كلُّ ما كان محالاً بالنسبة إلى الله فإن قدرته لا تتعلّق به، ومن البديهي وبالطبع سيكون محالاً أيضًا على ما سوى الله. لكن لا يُمكن أبدًا استنتاج العكس من هذه القاعدة وأن نقول: كل ما كان محالاً بالنسبة إلى البشر لابُدَّ أن يكون محالاً أيضًا بالنسبة إلى الله العليِّ القدير!!

من الواضح أن كلامه في الموضوع الذي هو في صدد الحديث عنه، ليس عن استحالة التأثير وتنفيذ الإرادة والقصد بالنسبة إلى الله -الذي هو موجود غير محدود وغير مقيّد- دون الحضور في أماكن متعدّدة، بل النزاع هو بشأن مخلوقات الله التي هي كائنات محدودة ومقيّدة.

لكن جناب «آية الله العظمى»! يقول إن هذا العمل إذا اعْتُبِرَ مستحيلاً على غير الله فلابُدَّ أن استحالته هذه استحالة عقلية، وإذا كانت الاستحالة استحالة عقلية فينبغي أن تكون محالة بالنسبة إلى الله أيضًا!! وطالما أنها غير محالة على الله فليست إذن محالاً عقليًا وبالتالي فهي غير مُحالة بالنسبة إلى غير الله!

يا للعجب! ألا ينتبه جناب آية الله العظمى (!) أن كثيرًا من خصائص الله تعالى وصفاته لا تقبل التفويض لغير الله؟ ومن ذلك لا محدوديته وعدم تقيّده وغناه المطلق؟! وبالتالي فإن البرهان الذي يسعى لاستخدامه للوصول إلى مقصوده يعاني من إشكالين أساسين:

الإشكال الأول: أنه لا يُمكن القول إن كل ما كان محالاً على غير الله لابُدّ أن يكون محالاً عقليًا حصرًا، ثم يستنتج أنه محالٌ عقلاً على الله أيضًا.

والإشكال الثاني: أنه حتى لو لم يكن أمرٌ ما محالاً عقلاً أي كان غير محال بالنسبة إلى الله، فإن هذا لا يعني بالضرورة أنه ممكنٌ بالنسبة إلى من سوى الله أو يقبل أن يُفَوَّض إلى غير الله. ولكن مع الأسف الشديد فإن جناب آية الله العظمى هذا ليس راغبًا بفهم هذه الحقائق الواضحة والبسيطة!

حقًا ينبغي أن نقول: لتقرّ عين عالَم الإسلام بمثل آية الله العظمى هذا الذي يحل الإشكالات على هذا النحو؟! لاحظوا ماذا يقول هذا الفيلسوف العظيم؟! إنه يقول: إن كل ما كان محالاً بحق البشر لابُدَّ أن تكون استحالته استحالة عقلية حصرًا، ثم يستنتج أن هذا المحال العقلي سيكون محالاً أيضًا بالنسبة إلى الله!!!

حقًا إننا لنتساءل هل كان آية الله العظمى هذا بكامل قواه العقلية عندما كتب هذه العبارات؟ هل كان عاجزًا عن فهم أن الإتيان بالعالَم من العدم إلى الوجود محالٌ على البشر وعلى من فوق البشر أي على كل ما سوى الله، لكنه غير محال على الله؟!

إن خلق الإنسان ذاته من عدم مستحيل على الإنسان وعلى كل قدرة سوى الله، لكنه غير مستحيل على الله: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾ [مريم: ٩]، و﴿أَوَ لَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ۝٦٧﴾ [مريم: ٦٧].

إن الموت والدفن والتحلل إلى ذرات العالَم ثم جمع تلك الذرات من كل مكان لبعث الإنسان من جديد كلها مستحيلة بالنسبة إلى البشر، -وحتى أن الفيلسوف «أبو علي ابن سينا» يتفق على استحالتها لأنه يصرِّح أنه يؤمن بحشر الأجساد يوم القيامة تعبُّدًا لا عقلاً! ويعتقد بالمعاد الجسماني الذي يتم مع الروح(١)- لكن ذلك الأمر ممكنٌ تمامًا بالنسبة إلى الله لأنه على كل شيء قدير.

ثم ما هي النسبة أو العلاقة بين الله والبشر؟! وبأي حق يقول إن ما كان محالاً على البشر لابُدَّ أن يكون محالاً على الله فأين التراب الفاني من الله المتعال الباقي؟ تعالى الله عما يقول الجاهلون علوًّا كبيرًا.

مرحى لقلّة الحياء هذه! ولهذا الجهل الفاضح! قياس البشر العاجز على خالق الكون والمكان وموجد العالَم وخالق الكون؟! والمساواة بين الإنسان وبين من وهب الوجودَ لعالَم الإمكان!

إنه يقول إن كل ما هو محال بالنسبة إلى البشر لابُدّ أن يكون محالاً بالنسبة إلى الله تعالى أيضًا!! حقًا إننا نتساءل، ما عدا آية الله العظمى هذا هل هناك عاقل قال مثل هذا الكلام؟! إنني لم أعثر حتى في دار المجانين على مثل هذا المجنون الذي يتصور أن كل ما هو محال على الإنسان فلابُدَّ أن يكون محالاً على الله أيضًا!

ثم بدأ «آية الله العظمى» بذكر أدلَّةٍ على مُدَّعاه فقال:

«مثلاً اجتماع النقيضين الذي يُمكن القول بأنه مرجع جميع المحالات العقلية محال بالنسبة إلينا ومحال بالنسبة إلى الله ولا يمكن لأحد أن يقول إن الله قادر على الجمع بين النقيضين بأن يضع في وعاء حجمه متر بمتر شيئًا حجمه مترين بمترين دون أن يكبر الوعاء أو يصغر ذلك الشيء، فمثل هذا العمل لا نستطيع نحن أن نفعله كما لا تتعلق قدرة الله به

---

(١) حول آراء ابن سينا من المفيد مراجعة الكتاب الذي ألفه أخونا الفاضل جناب السيد «مصطفي الحسيني الطباطبائي» بعنوان «**نقد آراء ابن سينا في الإلهيات**» **(البرقعي)**.

لأنه محال. أو أن يضع الله تعالى العالم داخل بيضة، دون أن تكبر البيضة أو يصغر العالم فهذا أيضًا محال عقلي».

ثم أتى بحديث يُجيب فيه الإمام عليٌّ عليه السلام عَلَى من سأله عن قدرة الله على مثل ذلك العمل (إدخال العالم في بيضة دون أن تكبر البيضة أو يصغر العالم) قائلاً: «إن الله لا يُنْسَبُ إلى العجز ولكن ما سألتَهُ لا يكون»[1]، هذا مع أن هذا الحديث لا يدل على أن الله لا يقدر على فعل ذلك العمل بل ما قاله الإمام هو أن ما تسأل عنه لا يكون، أي هو أمر محال الوجود.

إن كثيرًا مما كان محالاً على البشر أصبح اليوم ممكنًا وكثيرًا من المحالات بالنسبة إلينا يُمكن للقدرة أن تتعلَّق بها، وعقل الإنسان المحدود لا يُمكنه أن يكون ميزانًا لحقائق عالَم الوجود ومعيارًا لما يُمكن أن يتحقَّق وما لا يُمكن أن يوجد، وقد أجبنا عن هذه التصوُّرات الساذجة في الصفحات التالية.

ثم واصل «آية الله العظمى» التظاهر بالعلم ورصف الدلائل على هذا الادّعاء فقال: «إذن تصرُّف الله في أرحام الأمهات وتصوير الأجنَّة وخلقها وتسوية أبدانها في أحسن تقويم عجيب دون الذهاب إلى الأرحام ودون امتلاك قلم ودواة وألوان مختلفة، لابُدّ أن يكون -عقلاً- محالاً، وذهاب الله من مكان إلى مكان وما يلزم عنه من التحيز سيكون محالاً أيضًا. وحسب الظاهر نحن لا نرى مصورًا ولا دواةً وحبرًا في الأرحام، كما لا نسمع وقع أقدام أي شخص يتردد جيئةً وذهابًا في الأرحام، كما لا نشاهد مهندسًا ومخطّطًا يحمل دواة الألوان في بساتين الزهور وعند براعمها، إذن لابُدّ أن نقول إن كل هذه الأمور تتم بمجرد إرادة الحق تعالى فقط. وإذا كان الأمر كذلك فإننا نقول إن الأمر ذاته أيضًا يُمكن أن يتم من خلال إرادة الوجود الأقدس لأولياء الله وبإذن الله وتأييده وأن يتم في أقصى نقاط العالم دون الحاجة إلى الذهاب والإياب»!

---

(١) الشيخ الصدوق، **كتاب التوحيد**، ط٢، قم، مؤسسة انتشارات إسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم، ١٣٩٨هـ، ص ١٣٠.

لاحظوا كيف يتفلسف آية الله العُظْمى هذا في حل هذه المسألة؟!! الأمر الذي هو محال بالنسبة إلى البشر، اعتبره محالاً أيضًا بالنسبة إلى الله، وبما أن الله تعالى يُصوّر الأجنة في الأرحام دون أن يذهب إليها أو يستخدم قلمًا ودواةً وألوانًا ودون أن يُسمع صوت ذهابه وإيابه ومع ذلك يصوّر الورود ويلونها في الحقول والبساتين! لذا نسأل كيف يقوم بهذا العمل؟ والجواب بالطبع أنه يقوم بها بإرادته. هنا يقفز المؤلف إلى الاستنتاج بأن أولياء الله أيضًا يفعلون ذلك بإرادتهم، غاية ما في الأمر أنهم يقومون بذلك بإذن الله وتأييده!!

وإذا كان الأمر كذلك فينبغي أن نرى لماذا يقوم أولياء الله بهذه الأعمال؟ هل الله بحاجة إلى مساعدة من أولياء الله للقيام بتلك الأعمال؟ أم أن عملهم ذاك عمل هامشيٌّ شرفيٌّ فقط؟ وإذا كان الله محتاجًا لذلك -والعياذ بالله - فهل أولئك الأولياء جزء من ذات الله أم خارجون عن ذاته؟ وأساسًا ما هو الدليل على أن أولياء الله يقومون بهذه الأعمال؟! وهل يُمكن لصفات الله اللامحدودة واللامقيدة أن تُفَوَّض إلى المخلوقات أم لا؟

إنها أسئلة موجّهة إلى «آية الله العظمى» هذا. ولما كان من المعلوم أن ادّعاءه كاذب ولا يعدو زخرف القول فإن الإجابة عن تلك الأسئلة ستتضّح قريبًا وما أحسن قول من قال بحجر واحد يمكن إبعاد مئة غراب.

الدلائل على بطلان ادّعاءات آية الله العظمى!

يَدَّعِي آية الله العظمى (!) أن شخص «الوليّ» يجب أن يذهب في كل لحظة إلى آلاف الأمكنة وأن يحضر عند ولادة كل من يولد أو وفاة كل من يموت من الناس في لحظة واحدة ولو في أماكن متباعدة عن بعضها جدًّا، وأنَّه لما كان هذا العمل مستحيلاً بالنسبة إلى البدن العنصري فلابدَّ أن يتمَّ حضور الولي في كلِّ مكان دون ضرورة لانتقال بدنه العنصري، تمامًا كما يحضر الله تعالى في كل مكان دون أن يكون له بدن عنصري وحركة وانتقال أساسًا. وإذا كان هذا محالاً بالنسبة إلى الإنسان، فسيكون محالاً بالنسبة إلى الله أيضًا، وإذا كان ممكنًا بالنسبة إلى الله تعالى، فهو ممكن أيضًا بالنسبة إلى «وليِّ الله»!!

وخلاصة دليله هو أنه: إما أن تكفُّوا عن الاعتقاد بأن «الله» حاضر ناظر في كل مكان كي أكفَّ أنا أيضًا عن القول بمثل هذه العقيدة بالنسبة إلى الوليّ!! أو بمُجرّد أن تؤمنوا بأن الله حاضر في كل مكان -بأي دليل كان- فعليكم أن تقبلوا أن الولي أيضًا يُمكنه أن يحضر في آنٍ واحدٍ في كل مكان!

ولما كان تصرُّف الله وتدبيره مستلزمًا لحلوله في الأمكنة وكنتم تنزِّهون الله عن التحيُّز والحلول في الأمكنة فتصرُّفه في العالَم بهذه الطريقة محال. وإذا كان من المحال للبدن العنصري الواحد أن يتصرّف في العالَم دون ذهاب وإياب وكان هذا من المحالات العقلية!!! فسيكون هذا المحال محالاً بالنسبة إلى الله تعالى أيضًا لأن كل ما كان محالاً عقليًّا بالنسبة إلى البشر فهو محال عقلي أيضًا بالنسبة إلى الله. وفي الختام، وبما أن الله لا يستطيع أن يضع شيئًا حجمه مترين بمترين داخل وعاء حجمه متر بمتر دون أن يكبر الوعاء أو يصغر الشيء فنحن أيضًا لا نستطيع أن نفعل ذلك، وبما أن الله لا يستطيع أن يضع العالَم داخل بيضة دون أن يصغر العالم

أو تكبر البيضة فنحن أيضًا لا نستطيع ذلك!!

ولكن بما أن الله يستطيع دون الدخول إلى الأرحام ودون استخدام دواة وقلم أن يُصوِّر الأجنَّة أحسن تصوير بإرادته المحضة فكذلك «الولي» يستطيع بإرادته المحضة أن يحضر في كل مكان وأن يحضر عند كل ولادة أو وفاة. فما يقدر الله على فعله بواسطة إرادته فقط يُمكن للبشر أيضًا أن يفعلوه بواسطة إرادتهم!! هذه هي خلاصة ونتيجة ادعاء جناب آية الله العُظْمى!

الآن علينا أن نبحث ونتساءل ما الذي دفع «آية الله العُظْمى» إلى النشاط وبذل الجهد في بحث هذه القضية، وما علَّة ادّعائه لتلك الدعاوي؟

أما بالنسبة إلى الدافع فإننا لا نتصور دافعًا سوى ما ذكرناه في صدر كتابنا هذا والله أعلم بحقيقة عباده. وأما بالنسبة إلى دليله على ما يقول، فمن الواضح أنه ذلك البيت من الشعر الذي وضعه السيد الحميري على لسان أمير المؤمنين عليه السلام وأنه قاله للحارث بن الأعور:

يَا حَارِ هَمْدَانَ مَنْ يَمُتْ يَرَنِي مِنْ مُؤْمِنٍ أَوْ مُنَافِقٍ قُبُلا!(١)

والواقع إن قصة دخول الحارث الأعور على أمير المؤمنين عليّ عليه السلام من جملة القضايا التي لم تقع أصلاً واخترع لها السيد أشعارًا.

ثم هناك بعض الأحاديث في هذا الشأن [أي حضور علي بن أبي طالب عند كل إنسان لحظة وفاته] أوردها الكُلَيْنِيّ في كتاب «الجنائز» من كتابه «**الكافي**».

أما بالنسبة إلى الشعر المذكور فيكفي أن قائله هو «السيد إسماعيل الحميري» وهو صاحب السوابق المضطربة، وكان طبقًا لما تذكره كتب التاريخ والرجال رجلاً فاسقًا، وقد قلنا سابقًا إن الفسّاق والفجّار أراحوا أنفسهم بالاعتقاد بمثل هذه الأوهام التي أغواهم الشيطان بها لكي تزيد جرأتهم على ارتكاب المعاصي والآثام. وقد اتَّفقت جميع كتب الرجال

(١) المجلسي، **بحار الأنوار**، ج ٦، ص ١٨٠، نقلاً عن كتاب **المجالس** للشيخ المفيد.

التي تُرجمت له على أنه كان مستمرًا في شرب الخمر إلى حين احتضاره ومفارقته الحياة!

ورغم أن بعض الأخبار تنقل أنه قال في آخر ساعات عمره أشعارًا استغفرَ اللهَ فيها من مذهبه الماضي الذي كان مذهب الخوارج والكيسانية وقال البيت المعروف:

"تَجَعْفَرْتُ بِاسْمِ اللهِ وَاللهُ أَكْبَرُ وَأَيْقَنْتُ أَنَّ اللهَ يَعْفُو وَيَغْفِرُ "[1]

رغم أن هذه القصَّة غير صحيحة برأي أهل الأدب أيضًا، لأن هذا البيت لا يشبه أبدًا أشعار «إسماعيل بن محمد الحميري» الجميلة والطريفة، يُضاف إلى ذلك أن المذكور في تاريخ ولادته أنها كانت سنة ١٧٣هـ، وبالتالي فالرواية التي تُذكر أنه التقى بحضرة الإمام الصادق وتاب على يديه أو انصرف عن مذهبه السابق وأن الإمام الصادق عليه السلام قال شيئًا بشأن العفو عن شربه الخمر، رواية غير صحيحة من أساسها لأن الصادق توفي سنة ١٤٨هـ أي قبل ٢٥ عامًا من ولادة «السيد الحميري»!

ولكي نتأكد أن ذلك البيت من الشعر ليس لأمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام بل هو من كلام السيد الحميري نفسه فإننا نحيل القارئ الكريم إلى الكتاب النفيس الذي ألفه العلامة الكبير المرحوم السيد «محسن الأمين العاملي» بعنوان «**جمعة النفيس**» حيث أتى فيه بما يلي:

"لا بأس أن نشير إلى بعض ما يوجب القطع بفساده ألا وهو نسبة بعض المذكور في الديوان إلى أمير المؤمنين..... " [ثم يصل إلى القول أنّ البيت الذي يقول]:

يَا حَارِ هَمْدَانَ مَنْ يَمُتْ يَرَنِي مِنْ مُؤْمِنٍ أَوْ مُنَافِقٍ قُبُلا

في حين أن هذا البيت هو للسيد «الحميري» وأوله يقول:

قَوْلُ عَلِيٍّ لِحَارِثٍ عَجَبٌ كَمْ ثَمَّ أُعْجُوبَةً لَهُ حَمَلا[2]

وهذا صريح في أن ما يقوله حكاية لقول الإمام وليس عين كلامه. وقد نسب الشيخ الطوسي (ره) أيضًا في المجلس الثامن عشر من أماليه ذلك البيت من الشعر إلى السيد

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٧/ ص ٣١٧، نقلًا عن كتاب إكمال الدين للشيخ الصدوق. (تر)

(٢) المجلسي، **بحار الأنوار**، ج ٦، ص ١٧٩، نقلاً عن كتاب **المجالس** للشيخ المفيد.

«الحميري» وأتى بذلك البيت في مطلع القصيدة. نعم لقد اشتبه الأمر على «ابن أبي الحديد» شارح نهج البلاغة فقال: إن الشيعة تروي ذلك البيت عن أمير المؤمنين ". (انتهى كلام العلامة السيد محسن الأمين).

أما الأحاديث التي أوردها الكليني في كتاب «الجنائز» من كتابه «الكافي» فقد ذكر ستة عشر حديثًا في هذا الباب معظمها لا يدل على ذلك المطلب بصراحة. وكل تلك الأحاديث طبقًا لتشخيص العلامة المجلسي (ره) في كتابه «**مرآة العقول**» إما ضعيفة أو مجهولة**!!** ومعظم رواتها من الغلاة الضالين من أمثال «سهل بن زياد» و«محمد بن سنان» و«بنو الفضّال» وقد ذكرنا ترجمة أحوالهم في الجزء الثاني من هذا الكتاب المتعلق بالزيارة وأدعية الزيارات.

ولا يوجد من بين تلك الأحاديث الستة عشر سوى حديث صحيح واحد. وهو لا يتعلق بحضور «الولي» أو الإمام عند المحتضر بل مضمونه أن المؤمن ستقرّ عينه عند موته بنتيجة أعماله.

والأحاديث التي جاءت في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري وفي تفسير العياشي وسائر الكتب حول هذا الموضوع جميعها لها نفس الدرجة من الصحة أيضًا أي هي أحاديث ضعيفة أو مجهولة وغير معتبرة. وعلى فرض أن كل تلك الأحاديث صحيحة وكلها تذكر أن أولياء الله يحضرون عند موت المؤمن أو المنافق فليس معناها أن شخص الإمام يحضر بجسمه أو روحه أو بمشيئته وإرادته! بل أفضل تفسير وتأويل لمثل تلك الأخبار هو ما ذكره الشيخ الجليل الشيخ المفيد (ره) حيث قال:

"[القول في رؤية المحتضرين رسول الله ﷺ وَأمير المؤمنين عليه السلام عند الوفاة: هذا باب قد أجمع عليه أهل الإمامة وَتواتر الخبر به عن الصادقين من الأئمَّة عليهم السلام وَجاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال للحارث الهمداني (ره):

يَـا حَـارِ هَمْـدَانَ مَـنْ يَمُـتْ يَـرَنِي ... مِـنْ مُـؤْمِنٍ أَوْ مُنَـافِقٍ قُـبُلاً

يعرفنـي طـرفه وَأعـرفه ... بعينـه وَاسـمه وَمـا فعـلا

في أبيات مشهورة وَفيه يقول إسماعيل بن محمد السيد (ره):

وَيــــراه المحضـــــور حـــــين تكــــون الـــــروح بــــين اللهـــــاة وَالحلقـــــوم
وَمتـــى مـــا يشـــاء أخـــرج للنـــاس فتـــــدمى وجـــــوههم بـــــالكلوم]

غير أني أقول فيه إن معنى رؤية المحتضر لهما عليهما السلام هو العلم بثمرة ولايتهما أو الشك فيهما والعداوة لهما أو التقصير في حقوقهما على اليقين بعلامات يجدها في نفسه وَأمارات وَمشاهدة أحوال وَمعاينة مدركات لا يرتاب معها بما ذكرناه، دون رؤية البصر لأعيانهما ومشاهدة النواظر لأجسادهما باتصال الشعاع، وقد قال الله عزّ وجل: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [الزلزلة: ٧]، وإنما أراد جل شأنه بالرؤية هاهنا معرفة ثمرة الأعمال على اليقين الذي لا يشوبه ارتياب وقال سبحانه: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍ﴾ [العنكبوت: ٥] ولقاء الله تعالى هو لقاء جزائه على الأعمال وعلى هذا القول محققو النظر من الإمامية. [وقد خالفهم فيه جماعة من حشويتهم وزعموا أن المحتضر يرى نبيَّه ووليَّه ببصره كما يشاهد المرئيات وأنهما يحضران مكانه ويجاورانه بأجسامهما في المكان!!] ". انتهى كلام الشيخ المفيد[1].

ومثله التفسير والتأويل الذي ذكره السيد جليل القدر المرتضى علم الهدى كما نقل ذلك العلامة المجلسي في الجزء الرابع من بحار الأنوار (١٤٧) حيث قال:

"الخامس ما ذكره السيد المرتضى (رض) وهو أن المعنى أنه يعلم في تلك الحال ثمرة ولايتهم وانحرافه عنهم لأن المحبّ لهم يرى في تلك الحال ما يدلّه على أنه من أهل الجنّة وكذا المبغض لهم يرى ما يدلّه على أنه من أهل النار فيكون حضورهم وتكلُّمهم استعارة تمثيلية "[2].

ومما يؤكّد ذلك صراحة بعض الأخبار في إفادة هذا المعنى، كما جاء في حديثٍ للكافي:

---

(١) الشيخ المفيد، **أوائل المقالات**، طبع تبريز، باب "القول في رؤية المحتضرين رسول الله وأمير المؤمنين عند الوفاة"، ص ٧٤.

(٢) المجلسيُّ، **بحار الأنوار**، ج ٦، ص ٢٠١. وقد ضعف المجلسي قول السيد المرتضى هذا.

"عَنْ سَدِيرٍ الصَّيْرَفِيِّ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ! هَلْ يَكْرَهُ الْمُؤْمِنُ عَلَى قَبْضِ رُوحِهِ؟ قَالَ: لَا وَاللهِ إِنَّهُ إِذَا أَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ لِقَبْضِ رُوحِهِ جَزِعَ عِنْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ لَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ يَا وَلِيَّ اللهِ لَا تَجْزَعْ فَوَ الَّذِي بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وسلم لَأَنَا أَبَرُّ بِكَ وَأَشْفَقُ عَلَيْكَ مِنْ وَالِدٍ رَحِيمٍ لَوْ حَضَرَكَ. افْتَحْ عَيْنَكَ فَانْظُرْ. قَالَ: وَيُمَثَّلُ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَالأَئِمَّةُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمِ عليهم السلام ... "[1].

فكان من الأفضل لآية الله العظمى! أن يصرف النظر عن هذه الأحاديث ومعانيها كي لا يضطر إلى ذكر كل تلك الترهات وتلفيق كلمات الكفر تلك إلى حد قوله: إذا كانت المشكلة هي الجسمية فإن تصرّف الله في الأرحام وتصوير الأجنة يحتاج إلى الذهاب والإياب؟! فأي مسلم قال إن تدبير الله للأمور يستلزم حضور جسم عنصري حتى يجيب عليه حسب خياله ويردَّ قوله؟!

ولو فرضنا محالاً -والعياذ بالله- أن الله جسم ومادة! فهل حضوره في كل مكان مماثل لحضور البشر الذين يحتاجون إلى الحركة والتنقل وأن يسمع الناس صوت أقدامهم ويروا أيديهم وقلمهم ودواتهم!؟!

إن الله تعالى محيط بجميع عالَمِ الإمكان دون مادة أو زمان، وليس وحده محيطًا بذلك بل حتى بعض مخلوقاته تحضر في أغلب الأمكنة ومع ذلك لا يُمكن قياس البشر عليهم.

فمثلاً الأمواج الكهرطيسية موجودة في سائر أنحاء العالَم ويمكن لأجهزة الراديو والتلفاز وأمثالها أن تلتقطها، ولكن البشر لا يملكون مثل تلك الخاصية والقدرة ولن يملكوها. وكذلك قوة الجاذبية التي تؤثر في جميع أنحاء الكون وفي نظام المجرات ولا يمكن تصور مثل هذه القدرة للبشر.

وكذلك تستطيع أشعة اكس والأشعة فوق البنفسجية والقوى الأخرى التي تقع تحت القدرة العلمية للبشر اليوم، أن تقوم بأعمال لا يمكن لفكر الإنسان أن يتصوَّرَها! فما هذا

---

(١) الكُلَيْنِيّ، **الكافي**، ج٣، ص ١٢٧- ١٢٨.

القياس الخاطئ الذي يقوم به آيتنا العُظْمى هذا! إذ يقيس الله على البشر الذي هو بشهادة العلوم الطبيعية إن لم يكن أعجز المخلوقات وأضعفها فليس بأقواها بالتأكيد. والأسوأ من ذلك قوله إن الذي يكون تحقيقه بالنسبة إلى الإنسان محالاً عقلاً فكذلك سيكون محالاً بالنسبة إلى الله! ويقول بما أن الله لا تتعلق قدرته بأن يضع العالم في بيضة دون أن يصغر العالم أو تكبر البيضة فنحن أيضًا لا نقدر أن نفعل ذلك! انظروا إلى هذا القياس المقلوب والخاطئ.

أولاً: يجب أن يُقال لهذا المؤلف إن الله ليس عاجزاً حتى عن القيام بمحالك العقلي هذا! فخلق العالم من لا شيء من المحالات ولكن الله أوجد العالَم من لا شيء على رغم أنف الفلاسفة، حيث قال: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس:٨٢]. وقال أيضًا: ﴿وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـًٔا ٩﴾ [مريم: ٩]. وقد ورد في الخبر «كان الله ولم يكن معه شيء»[1].

يا حضرة الآية العُظْمى! رغم كل ادعاءاتك لا يمكنك أن تدعي أنك تعيش في كون وسعته وحقيقته بمقدار ما يمكنك تصوره فقط لا غير!

وذلك لأن عقل الإنسان ليس معيارًا للحقائق، بل العقل شعلة ضعيفة منحها الله للإنسان تعويضًا عن حرمانه من الغرائز الطبيعية المرشدة كي يستطيع من خلاله تلمس سبيله نحو العيش، وليس هنا موضع إثبات هذه الأمور.

في حياة الإنسان التي يُمضي ثلثَها على الأقل في النوم، تحدث في عالم الرؤيا أمورٌ لا يُمكن أبدًا أن نقيسها بمقاييس المادة والزمان، ولا يمُكن تطبيق قاعدة المحالات العقلية عليها أبدًا. فالإنسان في عالَم الرؤيا يقوم في لحظات بأعمال لا يُمكنه في عالم اليقظة أن يفعلها ولا في سنين من الزمن، ويتكلّم ويتبادل الحديث بما لا يستطيع أن يفعله خلال أشهر من

(١) بحار الأنوار، ج ٥٤/ ص ٢٣٤. والحديث رواه من أهل السنة البخاري في صحيحه (كتاب بدء الخلق/ ح٣٠١٩) بسنده عن «عمران بن حصين» بلفظ: «**كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيءٌ غَيْرُهُ**، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ». وفي رواية لابن حبان في صحيحه (كتاب التاريخ، ج١٤/ ص١١): «**كان اللهُ ولم يكن شيءٌ قبله**، وكان عرشه على الماء». (تر)

حالة اليقظة! وتحدث خلال الرؤية عجائب مثل مرور الجمل في سم الخياط وطيران الإنسان وعروجه وسقوطه... دون أن يعتبر أحدٌ ما شُوهد محالاً عقليًا، مع أنها أمورٌ لا يمكن تصديقها أبدًا في غير حالة الرؤيا ومنطقها يختلف كليًا عن منطق اليقظة وهي تشكِّل ثلث حياة الإنسان وأهميتها في الشريعة جزء من ٤٦ جزء من النبوة، بل هي دليل كبير على المعاد (البعث) فلا يُمكن غض الطرف عنها.

كما أن على آيتنا العُظْمى أن يجيب عن هذا السؤال: لماذا تحوّلت عصا موسى ﵇ بأمر الله ثعبانًا مبينًا وابْتَلَعَتْ -كما ينصُّ على ذلك القرآن الكريم- جميع الآلات والعصيّ والأدوات التي ألقاها سحرة فرعون والتي تزن مقدارًا كبيرًا من الكيلوغرامات من النحاس والحديد والخشب والحبال، فقال تعالى: ﴿تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ﴾ [طه: ٦٩]، هل كَبُرَتْ عصا موسى أم صَغُرَت حبال سحرة فرعون وعِصِيُّهم عندما دخلت في بطن ثعبان موسى؟! كيف اتَّسعت جميع تلك الحبال والعِصِيّ في ثعبان عادي من مترين أو ثلاث دون أن يكبر الثعبان أو تصغر العصيّ والحبال؟

يشهدُ الله ويعلم أننا لسنا بصدد التقليل من حرمة نعمة العقل العظيمة الذي كرَّمَه القرآن الكريم تكريمًا عظيمًا ولا نريد إنكار وجود محالات عقلية، بل كل ما نرمي إليه هو ألا يعتبر بعض علماء الدين كل ما كان مستحيلاً على غير الله مستحيلاً أيضًا على الله بوصفه محالاً عقليًا، بل أن يدركوا أن كثيرًا من المحالات هي محالات بالنسبة لنا فقط وليست محالات عقلية وجودية، فعليهم أن يتأمّلوا ويحتاطوا كثيرًا عندما يتكلّمون عن الذات الإلهية.

ثانيًا: ننصح آية الله العظمى هذا الذي يستند أكثر من الآخرين إلى كتب الروايات والأخبار، وكثيرٌ من دعاويه مستقىً من الخرافات والقصص الموجودة في كتب الروايات، ألا يحتجّ إلى هذا الحدّ بعقل الإنسان الضعيف لأن كثيرًا من مستندات اعتقاداته -كما سنرى- مخالفة للقرآن كما هي مخالفة للعقل والعلم والتاريخ.

ونقول له: أنت نفسك مضطرٌّ طبقًا لعقائدك المذهبية- ونحن نلزمك بقول علماء مذهبك- أن تسلِّمَ وتقرَّ بكثير من المحالات العقلية. حتى بالنسبة إلى القضية ذاتها التي

تذكرها، أعني هل يستطيع الله أن يضع جميع العالم داخل بيضة دون أن يصغر العالم أو تكبر البيضة، هناك في كتاب «الكافي» حديث حول هذا الموضوع عن «عَبْدِ الله الدَّيَصَانِيِّ» يذكر أنه تناقش في هذا الأمر مع «هشام بن الحكم» فسأل هشامٌ الإمامَ الصادقَ عن هذه المعضلة فكانت إجابة الإمام إمكانية فعل ذلك بالنسبة إلى الله!! [1].

وطبقًا لما يُقال في مجالسكم واجتماعاتكم المذهبية وما رُوي في كتبكم، -والتي لم نسمع من العلماء والمراجع نهيًا عنها أو اعتراضًا عليها-. [قال الإمامُ الكاظم عليه السلام لصورة أسد مصوَّرة على بعض الستور: يا أسد الله! خذ عدو الله! فوثبت تلك الصورة كأعظم ما يكون من السباع فافترسته وذلك في محضر هارون الرشيد[2]]. وكذلك صورة الأسد التي كانت على المسورة في محضر الخليفة المتوكل، والتي ضرب عليها الإمام الهادي عليه السلام بيده فَوَثَبَتْ الصُّورَةُ مِنَ الْـمِسْوَرَةِ فَابْتَلَعَتِ المشعبذ الهندي -الذي أحضره الخليفة المتوكل ليهين الإمام

---

(١) ولفظ الحديث: «عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ إِنَّ عَبْدَ الله الدَّيَصَانِيَّ سَأَلَ هِشَامَ بْنَ الْـحَكَمِ فَقَالَ لَهُ أَلَكَ رَبٌّ؟ فَقَالَ بَلَى. قَالَ: أَقَادِرٌ هُوَ؟ قَالَ نَعَمْ قَادِرٌ قَاهِرٌ. قَالَ: يَقْدِرُ أَنْ يُدْخِلَ الدُّنْيَا كُلَّهَا الْبَيْضَةَ لا تَكْبُرُ الْبَيْضَةُ وَلا تَصْغُرُ الدُّنْيَا؟؟ قَالَ هِشَامٌ: النَّظِرَةَ. فَقَالَ لَهُ قَدْ أَنْظَرْتُكَ حَوْلًا. ثُمَّ خَرَجَ عَنْهُ فَرَكِبَ هِشَامٌ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَهُ فَقَالَ لَهُ يَا ابْنَ رَسُولِ الله! أَتَانِي عَبْدُ الله الدَّيَصَانِيُّ بِمَسْأَلَةٍ لَيْسَ الْـمُعَوَّلُ فِيهَا إِلا عَلَى الله وَعَلَيْكَ. فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام عَمَّا سَأَلَكَ؟ فَقَالَ: قَالَ لِي كَيْتَ وَكَيْتَ. فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: يَا هِشَامُ كَمْ حَوَاسُّكَ؟ قَالَ: خَمْسٌ. قَالَ: أَيُّهَا أَصْغَرُ؟ قَالَ: النَّاظِرُ. قَالَ: وَكَمْ قَدْرُ النَّاظِرِ؟ قَالَ: مِثْلُ الْعَدَسَةِ أَوْ أَقَلُّ مِنْهَا. فَقَالَ لَهُ: يَا هِشَامُ فَانْظُرْ أَمَامَكَ وَفَوْقَكَ وَأَخْبِرْنِي بِمَا تَرَى؟ فَقَالَ: أَرَى سَمَاءً وَأَرْضًا وَدُورًا وَقُصُورًا وَبَرَارِيَ وَجِبَالًا وَأَنْهَارًا. فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: إِنَّ الَّذِي قَدَرَ أَنْ يُدْخِلَ الَّذِي تَرَاهُ الْعَدَسَةَ أَوْ أَقَلَّ مِنْهَا قَادِرٌ أَنْ يُدْخِلَ الدُّنْيَا كُلَّهَا الْبَيْضَةَ لا تَصْغُرُ الدُّنْيَا وَلَا تَكْبُرُ الْبَيْضَةُ. فَأَكَبَّ هِشَامٌ عَلَيْهِ وَقَبَّلَ يَدَيْهِ وَرَأْسَهُ وَرِجْلَيْهِ وَقَالَ: حَسْبِي يَا ابْنَ رَسُولِ الله!». أصول الكافي، ١/ ٧٩، باب ٢٤، ح ٤. (تر) فإن كان الآية العظمى! لا يقبل بهذا الحديث فعليه ألا يقبل نظائره ولا يستند إليها. (برقعي)

(٢) الصدوق، أمالي الصدوق، ص ١٢٧، ح ١٩، وعيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١/ ص ٩٥، ح ١. (تر)

ويضحك الناس منه-، وَعَادَتْ الصورة فِي الْـمِسْوَرَةِ كَمَا كَانَت[١]. وعندما طُلب من الإمام الكاظم ﷺ أن يعيد ما ابتُلع قال: «إِنْ كَانَتْ عَصَا مُوسَى رَدَّتْ مَا ابْتَلَعَتْهُ مِنْ حِبَالِ الْقَوْمِ وَعِصِيِّهِمْ فَإِنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ تَرُدُّ مَا ابْتَلَعَتْهُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ»![٢].

وفي مسألة المعراج النبوي التي تُعدّ من أعظم معجزات خاتم الأنبياء ﷺ وكراماته[٣] والتي يعتقد معظم الشيعة [كما يعتقد سائر المسلمين] بأنه كان معراجًا بالجسم والروح، فإن السؤال المحيِّر هو ما تذكره الروايات من أنه عندما عاد رسول الله ﷺ من رحلة المعراج التي عرج فيها من فراشه إلى السموات العلى في رحلة عجيبة شاهد فيها عجائب ملكوت الله في أقل من لحظة، وقطع مسافات الكون التي كشفت التحقيقات العلمية الحديثة والأجهزة والمراصد المتطورة اليوم أن مسافته تزيد عن مليار سنة ضوئية (علمًا أن النور يقطع في كل ثانية أكثر من ٣٠٠ ألف كيلو متر!!) والتقى ﷺ بكل أولئك الملائكة وأهل الجنة والنار وتحادث مع الأنبياء وتلقَّى الأحكام والشرائع من الله، فلما عاد إلى سريره كانت جرَّة الماء التي كان يضعها عند رأسه والتي سُكِبَتْ عندما ارتطمت بقدمه الشريفة لا تزال تنسكب، كما أن حلقة الباب التي تحرَّكت عند ذهابه كانت لا تزال تتحرك! كما أن سريره كان لا يزال ساخنًا!

فكيف استطاع جسم عنصري أن يقطع في تلك المدة القليلة جدًّا كل تلك المسافات الهائلة وكل تلك العوالم الكثيرة؟ هل صَغُر حجم العالم أم كبر جسم رسول الله أم صغرت ملايين ملايين الأجسام؟!

وصور الأسد التي -حسب قولكم- افترست عدو الإمام الكاظم وعدو الإمام الهادي وابتلعتهما هل كبرت أم أن عدوَّيْ الأئمَّة الملعونَين صغرا؟!

إن الأسود لم تكبر، وأجساد أولئك الأشخاص لم تصغر، فكيف اتّسعت الأجسام التي

---

(١) المجلسيُّ، «بحار الأنوار»، ج ٥٠/ ص ١٤٦- ١٤٧. (تر)

(٢) المجلسيُّ، «بحار الأنوار»، ج ٤٨/ ص ٤٢. (تر)

(٣) من الواضح بالطبع أن الاعتقاد بأن معراج خاتم الأنبياء كان معراجًا روحانيًّا لا تتجه إليه الإشكالات المذكورة.

حجمها عدة أمتار في صورة ليس لها حجم؟!

وأنتم تدَّعون فيما تنقلونه من روايات أن الإمام الجواد أجاب عن ثلاثين ألف مسألة مشكلة في مجلس واحد! فلو فرضنا أن الإجابة عن كل مسألة تحتاج إلى أقل من دقيقتين، فمعنى ذلك أن الإمام كان يحتاج إلى ستين ألف دقيقة أي حوالي خمسين يومًا وليلةً للإجابة عن تلك المسائل!! فإما أن تكون المسائل قد استغرقت أقل من دقيقتين أو أن يكون المجلس قد طال إلى خمسين يوم وليلة؟!

فمن العجيب أنكم تريدون أن تقنعوا الناس بهذه المسائل من خلال هذه التلفيقات الفلسفية التي لا تمتلكون دليلاً عليها سوى أن بعض الغلاة أو أعداء الدين وضعوها ودسّوها بين الأخبار والكتب.

حضرة آية الله العظمى! يبدو أنكم رغم كل ادعاءاتكم العلمية لم تتعلموا المنطق جيدًا، فمن بين النسب الأربعة بين الأشياء، قضيتنا هنا هي من باب العموم والخصوص المطلق [*ليس كُلُّ شيء كرويٍّ حَبَّةُ جوزٍ رغم أن كَلّ حَبَّةِ جوزٍ كُرَوِيَّةٌ*]، في حين أنكم في القياس الاقتراني المنطقي الذي ذكرتموه جعلتموها من الشكل الأول أو الثالث [*كل ما هو ممكنٌ للَّهِ فهو ممكنٌ أيضًا للبشر!*] ونتيجة هذا القياس ستكون أن الإنسان أيضًا إله! ويكفيكم هذا الخطأ الكبير الذي لا يمكن لمجنون أن يرتكبه فضلاً عن أن يقول به من يدعي أنه آية الله العظمى!

إن نشر مثل هذه الأفكار نوع من الرشوة والبشارة للفسَّاق والفجَّار الذين يتصوَّرون أنه بما أن عليًّا عليه السلام سيحضر عند رأسهم عند وفاتهم، والحال أنهم يعتبرون أنفسهم من محبيه وشيعته إما لأنهم كانوا من جملة الدراويش أو لأنهم كانوا من الذين يضربون أنفسهم [في ذكرى وفاته] بالسلاسل والسيوف، ويعتبرون ذلك أقوى دليل على ولايتهم له، فإن أمورهم ستكون محلولة وسيكونون في أسعد حال!

وإلا فماذا يفيد نشر مثل هذه الأفكار في التربية وهداية الأرواح إلى الله عزَّ وجلَّ؟! أليس في نشر مثل تلك الأفكار تشجيع لعامة المنتسبين إلى التشيّع على التجرُّؤ أكثر على

ارتكاب المعاصي والذنوب. إن نظرةً إلى ما يجري في الأسواق تكفي لرؤية مقدار تجاهل الناس لموضوع الربا والاحتكار ومخالفة أحكام الشريعة.

وبصرف النظر عن كل ذلك فما الحاجة لإثبات مثل هذا الأمر سوى وسوسة الشيطان ودسائس الأعداء الذين يدفعون الإنسان نحو أودية الكفر والشرك الخطيرة، ويشوّهون دين الإسلام ومذهب التشيُّع في نظر عقلاء العالَم حيث يصوِّرونه مذهبًا مليئًا بالأوهام مفتقرًا إلى العقل والتفكير السليم؟!

لو قلنا إن محمدًا وعليًّا عليهما السلام لا يحضران عند رأس المولود حين ولادته أو الميت عند مفارقته الروح، فأيُّ خلل يصيب أركان الإيمان وأيُّ ضرر يصيب المولود أو الميت؟! هل يعجز الله تعالى -والعياذ بالله- عن الإتيان بالمولود إلى عالم الدنيا أو أخذ الميت من هذا العالم دون وجود محمدٍ وعليٍّ، حتى تتجشمون كل هذا العناء لإثبات هذه القضية؟ طبعًا نحن نعلم أن قصدكم من هذا الأمر ليس سوى التشبث بدليل لإثبات مدّعاكم الشركي ولو كان هذا الدليل مثل الحشيش!

وليت شعري! هل اعتقاد الناس بحضور محمدٍ وعليٍّ أو سائر الأئمَّة -عليهم السلام- عند رأس الميت أو المولود يساعد على نشر حقائق الإسلام في العالم واكتشاف الناس عظمة الإسلام وأنه دين الحق؟! أم على العكس من ذلك من شأن نشر مثل هذه الأفكار والأوهام أن ينفُرَ حتى الأفراد المسلمون الواعون وذوو الفهم، من الدين، ويحال بينهم وبين سماع حقائق الدين الحقيقية! كما نرى ذلك فعلاً.

ثم بدأ آية الله العظمى بشرح الفرق بين عمل أصحاب الرياضات الرهبانية وبين طريقة أولياء الله، وذلك لكي يحل إشكال وجود أفراد من الملل الأخرى يدَّعون القدرة على التصرفات في الكون مشابهة لما يُروى عن بعض الأئمَّة عليهم السلام، وفي الحقيقة قام بإثبات باطل استنادًا إلى باطل. لقد ادعى أن الفرق بين أعمال أولياء الله وبين تصرّفات بعض النُسَّاك وأصحاب الرياضات الروحية هو أن قدرات أولياء الله ذاتية بينما قدرات النُسَّاك مكتسبة! هذا رغم أنه اضطر في صفحات أخرى من كتابه إلى الإقرار بأن كل ما ناله أولياء الله من

مقامات فهو نتيجة لعبادتهم لِلَّهِ، وهو أمر صحيح تؤيده الأخبار.

ثم بدأ يتحدّث عن أباطيل لا تستحق النقل والعناية بها ولما وقع في إشكال توارد العلل على معلول واحد حاول التهرب منه والإجابة عنه بقوله: إن ورود الإرادات المتعددة على مراد واحد كما تفيده آية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾ [المائدة: ٥٥]، إنما يؤدي إلى إشكال إذا كانت الإرادات متفاوتة ومتباينة عن بعضها البعض، لأن الفلسفة تقول إن توارد علتين أو ثلاث علل على معلول واحد من المحالات العقلية، ولكن هنا لما كانت إرادة الله والرسول والولي إرادة واحدة فليس هناك من إشكال في الأمر! ثم شبَّه ذلك بجهاز السلاطين والوزراء وجعل الله مثل السلطان والرسول والأولياء مثل وزرائه ورئيس وزرائه الذين يمتلكون جميعًا إرادة واحدة.

لقد أتى بالفلسفة ذاتها التي اخترعها المسيحيون للأقانيم الثلاثة فقالوا إن الأب والابن وروح القدس ثلاثتهم واحدٌ وهم في الوقت ذاته ثلاثة أيضًا!! بل يمكننا أن نقول إن فلسفة المسيحيين أقل ضعفًا مما يذكره!

إن هذه التخيلات العامية بل الصبيانية التي يقوم بعرضها بأسلوب فلسفي تؤدي إلى إيقاع هؤلاء المساكين بفكرة أن الله مثل الملك [*لأنهم في البيئة التي يعشون فيها لا يعرفون عظيمًا سوى المَلِك!!*]، ولما كان لكل ملك وزراء ومستشارون وخدم وحشم لذا فإنهم يعتقدون بوجود مثل هؤلاء لدى الله، وعندئذ عندما يرون أن وزير الملك قدرته أكثر من الآخرين فإنهم يثبتون لرسول الله ذلك المقام وتلك القدرة ثم عندما يشاهدون أن سائر الوزراء يملكون صلاحيات واسعة بعد صلاحيات الوزير الأول، لذا يثبتون مثل هذه الصلاحيات لأوصياء رسول الله، وقِس على ذلك...

وفي الواقع لقد نشأت مسألة التوسل والشفاعة انطلاقًا من هذه التخيلات والتصورات الباطلة ذاتها، مع فارق أنه في جهاز السلطنة تكون قدرة الملك وعظمته محفوظتان دائمًا ومحترمتان بحيث أنه يملك أن يعزل رئيس وزرائه أو أي وزير من وزرائه متى شاء وأحيانًا يأمر بضرب عنقه!! أما في جهاز السلطنة الإلهية عند هؤلاء فإن قدرة ونفوذ رئيس الوزراء

والوزراء تكون في تزايد دائم إلى حد أنه مع وجود الأولياء وكل ما يملكونه من قدرات وصلاحيات يبدو وجود الله زائدًا وإضافيًا!!

والسبب في ذلك أن وزراء الله يقومون بجميع أعماله وأحيانًا -كما تفيده بعض الأخبار الموضوعة- يقومون بالأمر قبل أن يريده منهم *[وذلك مثل نزول القرآن الذي قبل أن يُنزله الله على خاتم أنبيائه ويُبلغه إياه، قرأه عليٌّ المرتضى كله عند ولادته على رسول الله!!]*[(١)].

ولعلهم قاسوا قدرة وزراء الله هذه على قدرة الوزراء في بلاط السلاطين الصفويين لأن كثيرًا من هذه الكتب المذهبية كُتبت في زمن أولئك السلاطين، وقد اتسعت قدرة الأئمَّة عليهم السلام على أيدي كتّاب ومؤلفين مثل صاحب «**مدينة المعاجز**»[(٢)] و«**إثبات الهداة**»[(٣)] وأمثالهما في زمن أولئك السلاطين، وإلا فإن علماء ومؤلفي الشيعة لاسيما القدماء منهم لم يكونوا أبدًا يعتقدون في حق الأئمَّة بمثل تلك القدرات على التصرف في الكون. كما سيأتي شرحه إن شاء الله تعالى.

وهذه المبالغة والإفراط في قدرة الأئمَّة وفي نفوذهم وسيطرتهم نجدها تنعكس في التوسل والشفاعة في البلدان الشيعية التي نجد المشاهد فيها عامرةً أكثر من المساجد ونجد الأوقاف والنذور فيها على المقابر أكثر من الزكوات والصدقات التي تُنْفَق على الفقراء والمصالح العامة، ونجد دعاء الأولياء والاستغاثة بعلي والحسين عليهما السلام فيها أكثر من الاستغاثة بالله ومن نداء «يا الله»، ونجد جماعات النائحين واللاطمين لصدورهم فيها أكثر من جماعات صلوات الجماعة وقراءة القرآن، ونجد تمني زيارة قبر الحسين والرضا عليهما السلام أكثر

---

(١) نذكِّر بأن العبارات التي بين معقوفتين [ ] هي لمحقق الكتاب العلامة **البرقعي**.

(٢) واسم الكتاب الكامل: «**مدينة معاجز الأئمة الإثني عشر ودلائل الحُجَج على البَشَر**» تأليف السيد هاشم بن سليمان الكتكتاني البَحراني (١١٠٧هـ)، وطُبع عام ١٤١٣هـ في قم في ٨ مجلدات!! ويُذكَر أن مؤلفه أخباري النزعة جدًّا وهو مؤلف تفسير: «البرهان في تفسير القرآن».

(٣) اسم الكتاب الكامل: «**إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات**» تأليف الشيخ المحدِّث محمد بن الحسن الحُرّ العامِلي (-١١٠٤هـ)، ويقع في مجلدين وفيه أكثر من عشرين ألف حديث!! يُذكَر أن الحُر العاملي أخباري المشرب وهو صاحب كتاب «وسائل الشيعة» المعروف.

من تمني زيارة بيت الله الحرام، والخوف من حضرة العباس و«شاه چراغ» أكثر من خوف الله و....و....

لماذا يحدث كل هذا؟ إن السبب في ذلك أن الناس لم يعرفوا اللهَ حقَّ المعرفة، ولأن أمثال «آية الله العظمى» هذا يوجهون الناس في خطبهم ودروسهم نحو إلـهٍ أعوان بِلاطِهِ يهتمُّون بالناس أكثر من اهتمامه بهم! ويحقِّقون -بما يملكونه من قدرة عظيمة- آمال محبيهم وأمانيهم بصورة أسرع!!! ومؤدَّى هذا التبليغ الذي يقومون به هو أن دعاء الله وإطاعة أوامره ونواهيه ليست لازمة على نحو قطعي! لأنه يُمكن من خلال تملق أولياء الله والخضوع أمامهم وتقديم الأعذار لهم والبكاء عليهم، استعطاف قلبهم، وبما أن الأولياء بشر فلابُدّ أن تكون لهم عواطف بشرية، وبالتالي يمكن للمتوسِّلين بهم استمالة قلبهم بصورة أسرع فيحقِّقون لهم مطالبهم فلا تبقى هناك حاجةٌ لِلَّهِ بعد ذلك!

هذا هو منشأ المفاسد في هذه البلدان وهو قلّة المعرفة بالله أو ذلك التصور المغلوط عن الله كما سيأتي شرحه إن شاء الله تعالى.

وأما إجابته الثانية عن إشكال توارد العلل فخلاصته ما يلي: ولاية الأولياء مثلها مثل الحاجة إلى الأسباب، ولما كان عالَمُ الوجود هو عالَمَ الأسباب والمسببات لذا فإن أولياء الله أيضًا سبب لإفاضة الفيض الإلهي بالحياة والموت والرزق والحركة و... وكل الفيوضات الأخرى!

وأقول: هذه الإجابة أيضًا لا تعدو السفسطة والمغالطة لأنه: رغم أن عالم الشهادة هو عالم الأسباب والوسائل، والعلل والمعلولات، لكن سبب كل شيء هو ما يكون لزومه معلومًا في الحياة العادية والطبيعية للبشر، ويكون البشر ملزمين ومحكومين بإعداد تلك الأسباب والأخذ بها ضمن نظام العالَم المتقن فمثلاً: البشر ملزمون لأجل تأمين رزقهم بالسَّعْيِ إلى الكسب والصناعة والزراعة، وملزمون لأجل تأمين سلامتهم بمراعاة مبادئ الصحة والنظافة، وملزمون لأجل التغلب على أعدائهم بإعداد القوة اللازمة، أما ما يتعلّق بالله ونظام الخليقة، فالله وحده هو الذي يعلم بهذا النظام ويقوم به ولا يطلب من أحد

معرفته والقيام به!

إن الأنبياء والأولياء واسطة الفيض الإلهي لهداية البشر فقط لا غير. ولم يُرد الله منهم أكثر من ذلك، لأنه لم يُعطِهِم أصلاً أكثر من ذلك، لأن الله تعالى لا يحتاج في ملكه إلى وزير ولا إلى مشير ولا إلى رئيس وزراء ولا إلى وكلاء! وتصور مثل هذه الأمور في حق الله -كما قلنا- لا يعدو خيالات صبيانية وتصورات عامية وأوضح مثال عليه تصور الأقانيم الثلاثة.

ثم لخص آية الله العُظْمى (!) في ختام هذا الفصل كل ما ذكره فيه، وانطلق نحو الفصل الثالث الذي عَنْوَنَ له بعنوان «**عدم امتناع الولاية في نظر الشرع**». وهنا ذكر عدة أحاديث من التي تُعجِب الصوفيةَ مثل حديث «التقرُّب بالنوافل»[1] -الذي لا علاقة له كثيرًا بمدعياته- وأتى بقصة إحضار عرش بلقيس -التي ذكر القرآن فيها أن عفريتًا من الجن كان قادرًا على الإتيان به قبل أن يقوم سليمان من مقامه في حين أن الذي كان عنده علم من الكتاب أحضر العرش قبل أن يرتد طرف سليمان إليه! وبعد أن ذكر دعاءً عن الإمام السجّاد عليه السلام في التضرُّع والابتهال لِلَّهِ تبارك وتعالى، وكأنه يريد أن يقول لنا نَعَمْ نحن أيضًا نعلم ذلك ونؤمن به! ومع ذلك نعرف وننحرف عما نعرفه على علم!! بدأ بالهجوم على من يعتبرون أمثال هذه الأدعية [التوحيدية] دليلاً واضحًا على عدم تصرّف الأئمَّة في الكون وإقرارًا مِنْ قِبَل أولياء الله أنفسهم بالعجز والعبودية، فقال [عن أولئك الموحدين]: "إن هذه الجماعة الشقية (!) التي لا علم لها، عمدت إلى إشاعة هذه الأباطيل بسبب غلبة السفاهة والجهل

---

(١) يشير إلى الحديث النبوي الذي يقول: «...**وَمَا يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَيَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّافِلَةِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ إِذًا سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا إِنْ دَعَانِي أَجَبْتُهُ وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ**..». رواه الكُلَيْنِيّ في «الكافي» بسنده عَنْ أَبَانِ بْنِ تَغْلِبَ عَنْ الإمام أَبِي جَعْفَرٍ الباقر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وبسنده عَنْ حَمَّادِ بْنِ بَشِيرٍ عن الإمام أبي عَبْدِ الله جعفر الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. الكافي، ج٢/ ص٣٥٢-٣٥٣، الحديثان رقم ٧ و٨. والحديث مروي من طرق أهل السنة أيضًا في صحيح البخاري (٦١٣٧) وصحيح ابن حبان (٢/ ٥٨) وسنن البيهقي الكبرى (٦٦٢٢) عن أبي هريرة مرفوعًا. (تر)

عليها (!) أو بهدف الشهرة على مبدأ «خالِف تُعرف»، [*لُيلاحظ القراء المحترمون كيف يرمي هذا المؤلف مخالفيه بذنبه وينطبق عليه المثل «رمتني بدائها وانسلّت»، وينبغي أن يُقال له: إن أمثالك هم الذين يخدعون العوام الذين هم كالتيوس الذين يُقلّدون تقليدًا أعمى*]، مستغلِّين في ذلك بساطة العوام والمقلِّدين ليبعدوا الناس الأبرياء عن فهم حقيقة مقام الأولياء وعن الاستضاءة بأنوارهم المقدَّسة والاستنارة بأشعَّتهم الملكوتية، وبالنتيجة ليحرموهم من امتلاك قوة الإرادة والنفس للتشبُّه برجال الله العظماء أولئك "!! اهـ

ونقول له: افْرِضْ أن الناس اعتقدوا هذا الاعتقاد الذي تريده منهم وآمنوا أن أولياءَ الله قبلةُ حاجاتهم ومدبرو الكائنات والمتصرِّفون في جميع الأرضين والسموات، -ولحسن الحظ أو لسوء الحظ لقد اعتقد كثير من الناس فعلاً في هذا البلد بهذه الأمور بسبب التبليغ المتواصل لهذه الأوهام ليل نهار من أمثالكم ومِنْ قِبَلِ قراء المراثي والمداحين-، فأي نفع سيعود به مثل هذا الاعتقاد على الناس؟؟ وأي خير سيجلبه إليهم وأيُّ شرٍّ سيدفعه عنهم؟! وليت شعري! ما هو الخير والحُسْن في نشأة مثل هذه العقيدة في نفس الإنسان؟ اللهم إلا أن يستغيث الإنسان بأولئك الأولياء فيجعلهم شركاء لِلَّهِ ويتصوَّر أنهم سيكونون شفعاءه عند الله ومنقذيه من عقاب الله على أعماله السيئة، فتزداد بذلك جرأته على ارتكاب المعاصي والفسق والفجور؟! كما يحصل فعلاً! ويندفع إلى صرف أمواله على تزيين مقابر الأئمَّة والأولياء ويقتصر في أعماله على التضرع لهم؟!

وإن كان هدفكم من التشبه بأولئك الرجال الرواد العظماء أن يسعى المتشبهون بهم إلى أن يصبحوا مثلهم [حسب عقيدتكم] أصحاب قدرة وتصرُّف في عالم الملك والملكوت أو أصحاب تلك العظمة والجبروت! فإنكم أنفسكم قلتم في المباحث التالية من كتابكم أنه لا يحق حتى للأنبياء والملائكة أن يتمنوا مقامهم وأن تلك الأمنية الساذجة هي التي أوقعت الناس في المصائب! خاصة أن مقامات وفضائل المعصومين الأربعة عشر تلك مقامات وفضائل ذاتية وليست كسبية! [فلا يمكن إذن التشبُّه بهم في الحصول عليها!].

إذن لا يبقى من الاستضاءة والاستنارة بنورهم - حسب اقتراحكم- إلا أن يطلب

الناس منهم الأعمال التي لا تُرجى إلا من الله! وهو الشرك بعينه الذي حاربته آيات القرآن والذي حاربه أنبياء الله وأولياؤه العظماء دائمًا، والقرآن الكريم يردُّ بكل صراحة وحزم على تلك الكفريات فيقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ﴾ [الأعراف: ١٩٤]. فإن أصررتم على موقفكم جاءت الإجابة الربانية القارعة لتصفعكم وتقول لكم: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢﴾ [سبأ: ٢٢]. إذن فلتقل ما تشاء [أيها المسمِّي نفسه آية الله] فقولُ الله أصدقُ وأحقُّ.

ثم انتقل «آية الله العظمى» بعد ذلك إلى مبحث بعنوان «**انسجام الولاية مع التوحيد**» أراد من خلاله أن يُوفّق - زورًا - بين التوحيد وبين ما يطرحه من معنى «للولاية» وهو توفيق يشبه ما فعله ويفعله علماء الأقانيم الثلاثة من جمع بين التثليث والتوحيد!

هنا اعتبر أن الله لا شريك له في صفاته وأفعاله وقال: «إن الذي يتصور أن وجود أولياء الله إلى جانب الحق تعالى في تنظيم وتنفيذ أمور الخليقة مستلزم للشرك والكفر، فعليه أن يعتبر أن توسل الناس بالأسباب والوسائل، مثل سعيهم لتحصيل الرزق، ومراجعتهم الطبيب لمعالجة المرض، واستعمالهم الدواء للشفاء، وسائر أنواع التوسل بالوسائل والتمسك بالأسباب كفرًا وزندقة وإلحادًا من باب أولى!».

ثم أخذ - متذاكيًا - بالمجادلة والسفسطة فقال: «وذلك لأن مثل هذه الأعمال والتوسل بالأسباب تتضمن أيضًا اعتبار غير الله دخيلاً في أمور الكون وتتضمن استمدادًا مما سوى الله، واعتقادًا بوجود شريك له في الأفعال، وهو شريك لا يَفْهَمُ ولا يعقل ولا يشعر ولا يحس، مثل الدواء والغذاء والأرض وحانوت التجارة والمحراث والمجرفة والفأس والشمس والغيم والريح وأمثالها. والتوسل بمثل هذه الأسباب أقبح وأشنع بكثير من التوسل بأولياء الحق الذين هم رجالٌ أصحاب حسٍّ وإرادةٍ وفهمٍ وسَمْعٍ وبصرٍ وعقلٍ وعلمٍ»!

وأقول: حقًا لتقرّ عين عالم الإسلام وعالم الشيعة بمثل آية الله العظمى هذا!! الذي ليس بوسع حتى أفلاطون وأرسطو أن يكونا تلميذين له في الاستدلال والمنطق!!

وإننا لنسأل: كيف عرف هؤلاء الله؟! وبأي فهم يدركون دينه وشرعه؟! هل تناول الطعام وأخذ الدواء والسعي لأجل الكسب والرزق ومراجعة الطبيب مثله مثل طلب الرزق الغيبي من المخلوقين المرزوقين والاستغاثة وطلب الشفاء من البشر الذين هم عرضة للمرض والعلل، أو مثل سؤال من هم أنفسهم محتاجون لغيرهم، وطلب الحياة من الأموات؟!

هل استخدام المجرفة والفأس يماثل رفع أكف الضراعة والدعاء بلا قيد ولا شرط نحو مخلوقين محتاجين إلى ربهم رحلت أرواحهم إلى دار السلام وودَّعوا دار الفناء والتحقوا بدار البقاء ولم يبق مهم في الدنيا سوى مقبرة من التراب والحجر؟! (هذا بالطبع بغض النظر عن تعاليمهم الباقية).

أي إنسان حتى لو كان مجنونًا أو جاهلاً لا يعلم أنه عند الجوع عليه أن يتجه نحو الطعام وعند البرد عليه أن يطلب النار وعند الحر عليه أن يتجه نحو الظل؟ وأي عاقل يذهب لأجل كسب معاشه نحو المقبرة ويذهب لأجل شفاء مرضه نحو أرواح الراحلين؟!

حتى لو فرضنا أنه ليس ثمة شرع ولا دين فإن البشر يعلمون بفطرتهم التي أودعها الله فيهم أنهم يحتاجون إلى السعي وإلى العمل للحصول على رزقهم، كما أن الله منح الإنسان عقلاً يدرك به أنه حتى لو لم تمنعه الشريعة من ذلك فإن التوسل بالأموات دون السعي والعمل لن يؤمِّن له رزقه ومعاشه.

ونحن عندما نعارض مثل هذه العقائد الشركية بله الشرك الصريح ونخالفه فلأنه بصرف النظر عن أن هذه الأمور ينكرها ويأباها العقل السليم، فإن الشارع الحكيم ذاته نهى عنها أيضًا!

لا شك أن الإنسان يضطر عندما يفقد كل حيلة أمام حوادث الحياة والآفات والكوارث التي تهدده بالفناء إلى البحث عن ملجأ وملاذ مطلق ليس لقدرته أي حد أو قيد وقد دلَّنا الشارع الحكيم على هذا الملجأ وهو التوسل بالذات الإلهية المقدسة فقط لا غير: ﴿.. وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٣٢﴾ [النساء: ٣٢]. وقال: ﴿وَقَالَ

رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٢].

لقد اعتبر القرآن الكريم اللجوء إلى الله عند الاضطرار من فطرة الإنسان وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا...﴾ [يونس: ١٢]. وقال أيضًا: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ..﴾ [الزمر: ٨].

وأكَّد الأمر بدعائه في مثل هذه الأحوال فقال: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف:٥٥]

وأمر نبيَّهُ مؤكِّدًا فقال: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وفي الوقت ذاته نهى هذا الشارع ذاته وكتابه الذي ﴿لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾ أي القرآن الكريم، الناسَ عن التوسل والدعاء غير المشروط لأحد سوى الذات الأحدية وقال بكل صراحة ونهي شديد: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]. وأقل امتثال لهذا الأمر الإلهي أن لا يقول الإنسان على نحو الاستعانة والاستمداد غير المقيد ولا المشروط: «يا محمد ويا علي....»(١). إن القرآن اعتبر بصراحة أن دعاءَ غير الله شركٌ صريحٌ كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الجن: ٢٠].

لقد أوجب دين الإسلام وكتابه السماوي على جميع مسلمي العالم أن يقولوا عشر مرات في اليوم والليلة على الأقل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥]. أي أن العبادة لا

---

(١) يشير إلى الدعاء الذي اخترعه السيد ابن طاوس في كتابه «جمال الأسبوع» وفيه: «اللَّهُمَّ عَظُمَ الْبَلَاءُ وَبَرِحَ الْخَفَاءُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ وَضَاقَتِ الْأَرْضُ وَمُنِعَتِ السَّمَاءُ وَإِلَيْكَ يَا رَبِّ الْمُشْتَكَى وَعَلَيْكَ الْمُعَوَّلُ فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الَّذِينَ أَمَرْتَنَا بِطَاعَتِهِمْ وَعَجِّلِ اللَّهُمَّ فَرَجَهُمْ بِقَائِمِهِمْ وَأَظْهِرْ إِعْزَازَه. **يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ اكْفِيَانِي فَإِنَّكُمَا كَافِيَانِي يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ انْصُرَانِي فَإِنَّكُمَا نَاصِرَانِي يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ احْفَظَانِي فَإِنَّكُمَا حَافِظَانِي**...». انظر وسائل الشيعة، ج٨/ ص ١٨٥. (تر)

تكون إلا لِـلَّهِ والاستعانة الغيبية لا تكون إلا بالله حصرًا.

ولكنك يا جناب آية الله (!) تدعو الناس بتلك الترهات التي تقولها إلى أن يدعوا الأئمَّة مع الله ويستعينوا بهم ويستمدوا منهم تلبية الحوائج التي يختص بفعلها اللهُ، وليس هذا فحسب بل ربما تدعوهم إلى أن يدعوا هؤلاء الأولياء فقط لا غير كما هو مشهود لدى الكثيرين!

إن الذين يدعون غير الله دعاءً غير مُقَيَّدٍ ويستمدون المدد منهم يقومون -طبقًا لتعاليم القرآن الصريحة الواضحة ولدلالة العقل- بعمل عبثيٍّ لا فائدة منه فضلاً عن كونه شركًا صريحًا، حتى لو كان المدعُوّ هو محمد المصطفى وعلي المرتضى عليهما السلام، إذْ يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤﴾ [الأعراف: ١٩٤].

ومن الواضح تمامًا من قوله تعالى: ﴿عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ﴾ أن المقصود ليس الأصنام الحجرية بل أشخاص من البشر كانوا عبادًا لِـلَّهِ، ولا شك أن المصداق الكامل لعباد الله هم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآل محمد. فالآية تنهى عن دعائهم وتبين أنه لا جدوى منه.

وفي السورة ذاتها يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٧﴾ [الأعراف: ١٩٧].

ويقول تعالى أيضًا في سورة الإسراء: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلاً ٥٦﴾ [الإسراء: ٥٦]. وبنحو ذلك يقول سبحانه أيضًا: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ﴾ [الرعد: ١٤]. ويقول كذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣﴾ [فاطر: ١٣].

وإذا قام أولئك الذين يُزَيِّنُونَ الشرك للعوام ويخدعونهم بالتشبيه على العوام وادعاء أن الذي نهت الآيات عن دعائه إنما هو الأصنام التي لا روح لها فقط! فإن صراحة تلك الآيات ذاتها ترد عليهم وتصفعهم في وجوههم بشدة لأنها تقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ﴾ أي الذين تدعونهم من دون الله هم مثلكم ومن جنسكم أي هم بشر كسائر البشر يحتاجون للنوم والطعام ويفتخرون بعبوديتهم لِلَّهِ، فهؤلاء المدعوون ليسوا سوى عباد الله الصالحين أو اصطلاحًا أولياء الله.

وأهل اللغة العربية والأدب يعلمون أن ضمائر (كم) و(هم) تعود لذوي العقول ولا تعود أبدًا إلى أحجار صماء لا روح فيها، هذا فضلاً عن أنه حتى لو كانت تعود إلى الأصنام فإن هذا لا يوجب انحصار النهي عن دعاء غير الله بها فقط بل عموم النهي يشمل دعاء كل ما سوى الله. خاصة أن الله تعالى اعتبر في قرآنه أن مثل هذا الدعاء عبادة. ولكي تتضح الفكرة أكثر نعود مرة ثانية إلى آيات القرآن الكريم تلك والقرآن هو أولى من أي شيء آخر بالاتباع والطاعة:

عندما يأمر الله تعالى في القرآن الكريم الناس بدعائه وسؤاله فيقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر:٦٠]، يردف أمره هذا مباشرة بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر: ٦٠]، فهل هناك أوضح من هذا النص في أن الدعاء على ذلك النحو غير المقيد وغير المشروط هو عبادة محضة؟ (ادعوني ← عبادتي).

ويقول تعالى أيضًا: ﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٦﴾ [غافر: ٦٦].

ويقول كذلك: ﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ٥٦﴾ [الأنعام: ٥٦]

إن القرآن يدعو بشكل مستمرّ الناسَ إلى دعاء الله وحده أي الإخلاص في دعائه والإعراض عمّا سواه لأن الله حيٌّ حاضرٌ أقربُ من أيِّ شيءٍ إلى عباده فيقول سبحانه: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [غافر: ٦٥]. فهو الحيُّ دائمًا وغيره -حتى أعظم الأنبياء- يموتون[١].

---

(١) يقول الله تعالى لنبيه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠﴾ [الزمر: ٣٠]

ولو فرضنا – من باب فرض المحال- أن الأنبياء والأولياء لهم تصرُّف كما تدَّعِي جنابك ويستطيعون أن يساعدوا الذين يدعونهم ويستغيثون بهم، فإن العقل الصُّراح يقضي ألا يُعرِضَ الإنسانُ عن الله الحيِّ الحاضر القادر الأقرب إليه من أي شيء آخر، ويمد يديه بدلاً من ذلك نحو أولياءٍ مخلوقين، حتى لو فرضنا جدلاً أنهم يملكون التصرف في الملك والملكوت. وذلك لأننا مهما تصورنا من قدرة لأولئك الأولياء فإنهم بلا ريب لن يكونوا سوى قطرة أمام بحر الله الذي لا ساحل له، وإنه لمن قمة الجهل أن يَدَعَ الإنسانُ القدرة المطلقة التي لا حدود لها والمحيط الذي لا ساحل له ويتجه بيد الحاجة نحو قطرة! لأن الله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦]

إن هذه الآيات المباركات تسْطَع على قلوب كل من لم يصدأ قلبه بالكفر والشرك بنور كالنور الذي يشرق على جبل الطور ويدك الصخور الصماء. وكل مؤمن بالله يفهم منها بوضوح أنه لا يجوز الدعاء والطلب بدون قيد وشرط من أحد سوى الله وحده.

والواقع أنه قد وردت أحاديث وآثار عن أئمة الهدى –سلام الله عليهم- تتطابق تمامًا مع آيات الله تلك وتؤيد مضمونها وهي تثبت دعوانا بأن دعاء الله وحده مباشرةً دون واسطة وسيط ولا شفاعة أي وليّ وحبيب أمر تريده الذات الأحدية من العباد، كما جاء في كتاب نهج البلاغة، باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته إلى ابنه الإمام الحسن عليه السلام: "واعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ وتَكَفَّلَ لَكَ بِالإِجَابَةِ وأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ وتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ ولَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ " (نهج البلاغة، الرسالة ٣١).

ويدعو الإمام عليُّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام بالدعاء الذي رواه عنه أبو حمزة الثمالي فيقول: "وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أُنَادِيهِ كُلَّمَا شِئْتُ لِحَاجَتِي وَأَخْلُو بِهِ حَيْثُ شِئْتُ لِسِرِّي بِغَيْرِ شَفِيعٍ فَيَقْضِي لِي حَاجَتِي.. ".

مما يبيِّنُ بوضوح أنه لا حاجة عند دعاء الله إلى وساطة أي وسيط أو شفاعة أي شفيع

لأن توسيط الواسطة حتى لو سلم من الشرك والكفر يبقى عملاً تطفليًا لا حاجة له فضلاً عن أنه لا يحقُّ لأحد أن يُقدم عليه دون أمر من الشرع!

هذا مع أننا نعلم جميعًا أنَّ ما يحصل فعلاً [مِنْ قِبَل العوام الجهلاء] هو الشرك والكفر الذي لا يغفره الله أبدًا والذي نهى عنه رب العالمين بشدة ولعن فاعليه.

لقد اعتبر القرآنُ كلَّ من يدعو غير الله في حال الاضطرار على نحوٍ غير مقيَّد فيطلب منه جلب النفع ودفع الضر مشركًا وقال في حق من يفعل ذلك: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢].

فختام الآية يدل على أن من يعتقد بأن غير الله يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف الضرّ يكون قد اتخذ إلهًا مع الله.

إذن استنادًا إلى كل تلك الآيات الكريمة فإن دعاء غير الله دعاءً غير مقيّد وسؤاله سؤالاً غير مقيَّدٍ كفرٌ وشركٌ والمعتقد به مشركٌ ونجس!

أما ما يسعى إليه بعض المتسمِّين بالآية العظمى (!) لأجل ستر الكفر والشرك بقولهم: نعم ليس هناك أي تأثير في الوجود لعمل الأولياء من ناحية أنفسهم واستقلالاً عن الله، بل هم مثلهم مثل سائر الأسباب والوسائل قد أوكل لهم الحق تعالى تنفيذ نظامه وأوامره في العالم! فنقول في الردّ عليه:

أولاً: لا ندري ما فحوى عبارة «التأثير المستقل» هذه وما دليلها ومن الذي اخترعوها؟

ثانيًا: وهل كان عبَّاد الأصنام الذين يدعون أصنامهم ويعبدونها يعتقدون باستقلالها في أفعالها؟! إنهم لم يكونوا يعتقدون بذلك أبدًا، فقد قصَّ علينا القرآن قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

إذن كانت الأصنام في عقيدتهم مجرّد وسائل تُقرّب الذين يدعونها ويعبدونها من الله، وهذا التقريب من الله هو لأجل أن تُقضى حوائجهم، وإلا فما هي فائدة تقريب الوثنيين -

الذين لا يؤمنون بالآخرة ولا يعرفون تلك المعاني العرفانية ولا معنى الرضوان الإلهي- من الله؟! هذا على الرغم من أنهم لو كانوا يؤمنون فعلاً بالآخرة وبالرضوان الإلهي لطلبوا ذلك أيضًا من الله. وأضف إلى كل ما سبق أنه لم يكن لأصنامهم في عقيدتهم مقام الولي المتصرف في جميع الكون والمكان والمسيطر والحاكم على جميع موجودات عالَم الإمكان التي تُثبتونها أنتم للأئمة!

أما الأصنام التي اخترعتموها بأوهامكم وتخيلاتكم فقد جعلتموها هي بذاتها آلهة العالم!!؟ مهما تذرَّعْتم بعبارة «على نحو غير مستقل!».

عندما ذمّ القرآن المشركين قال عنهم: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

إن الله تعالى لم يُثبت في أيَّ آيةٍ من آيات كتابه العزيز هذه الشفاعة التي يعتقدها الناس اليوم في مجتمعنا، بل إنه نفى مثل هذه الشفاعة نفيًا تامًا، وبكل صراحة، في الآيات الأخيرة من كتابه التي أنزلها في المدينة في آخر أيام حياة النبي الشريفة. وقد أشرنا إلى ذلك من قبل.

وفي تتمة الآية ١٨ من سورة يونس التي ذكرناها للتوّ يقول تعالى مباشرةً: ﴿..قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ [يونس: ١٨].

أي أنه لا يوجد عند الله أصلاً مثل هذا الأمر! والله منزَّهٌ وأرفع شأنًا من أن يستطيع موجود أن يتدخل في ملكه أو يكون له تأثير في سلطانه وحكمه. والاعتقاد بوجود شفعاء عند الله يملكون حق الشفاعة بشكل مطلق هو – بنص القرآن – شرك، كما قال تعالى في آخر الآية السابقة: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ [يونس: ١٨].

لقد ذهبتم في عقيدتكم بشفاعة الأصنام الذين اخترعتموها بخيالكم وأوهامكم أبعد بكثير مما ذهبت إليه عقيدة الشفاعة لدى المشركين من أهل الجاهلية! وسنبحث هذا الأمر في قسم مفصل من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

ولا ندري ما التميُّز الذي توجده عبارة «على نحو الاستقلال» أو «على نحو غير

مستقل» التي اخترعتموها، بينكم وبين المشركين عباد الأصنام؟!

فمن جهة تعتبرون [بعض] أولياء الله الصالحين مدَّبري أمور الكائنات والمتصرِّفين في الأرضين والسموات إلى درجة أنهم يملكون التصرُّف في الكون والمكان باختيارهم وإرادتهم الحرة، ومن الجهة الأخرى تعتبرونهم مجرد وسائل مثل المجرفة وَالمِعْوَل!! فمثلاً المعجزة التي رويتموها في الصفحة ٣٣٩ من كتابكم عن حضرة سيد الشهداء عليه السلام ونسبتم إليه فيها أنه أخرج العنب والموز من أحد أعمدة المسجد لأجل ابنه علي الأكبر [*لعل الهدف منها أن يكتمل إيمان علي الأكبر!!*]، هل كان الحسين فيها مجرد وسيلة وأداة ولم تكن له أيَّة إرادة في فعله لتلك المعجزة، بل كان أداةً فقط وجرت قدرة الله بواسطة تلك الأداة لأجل علي الأكبر؟![1]

وكذلك معجزة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام التي رويتموها في ص ٣٤٠ من كتابكم: "أن عمار بن ياسر، قال: أتيت مولاي يومًا فرأى في وجهي كآبة، فقال: مالك؟ فقلت: دين أتى

(١) معجزة إخراج العنب والموز من عمود المسجد رواها الشيخ هاشم بن سليمان البحراني في كتابه «مدينة المعاجز» نقلاً عن كتاب «**دلائل الإمامة**» لـ «محمد بن جرير الطبري الإمامي»، وفي سندها «عَبْدُ الله بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَلَوِيُّ» عن «عُمَارَةَ بْنِ زَيْدٍ»، وفيما يلي ما قاله علماء الرجال عنهما:
قال النجاشي في رجاله: «الْبَلَوِيُّ» رجلٌ ضعيفٌ مطعونٌ عليه. وقال عنه ابن الغضائري: «عَبْدُ الله بْنُ مُحَمَّدِ بنِ عُمَيْرِ بنِ مَحْفُوظٍ الْبَلَوِيُّ أبو محمَّدٍ المصرِيُّ كذَّابٌ وضَّاعٌ للحديث لا يُلْتَفَتُ إلى حديثه ولا يُعْبَأُ به». كما طعن به العلامة الحلي في الخلاصة، وذكره ابن داود في عداد المجروحين والمقدوحين. وقال العلامة الحلي في رجاله (ص ٢٤): «وقد سُئِلَ عبد الله بن محمد البلوي فقيل له: من عمارة هذا الذي تروي عنه؟ فقال: رجلٌ نزلَ من السماء فحدَّثني ثم عَرَجَ!! وأصحابُنا يقولون: إنه اسمٌ ليس تحته أحدٌ، وكلُّ ما يرويه كذبٌ والكذبُ بيِّنٌ في وَجْهِ حَدِيثِهِ.» انتهى.
وأما «عُمَارَةُ بْنُ زَيْدٍ» الذي روى هذه المعجزات فهو باتفاق علماء الرجال اسمٌ بلا مُسمَّى! فمثلاً يقول عنه ابن الغضائري: «إنه اسمٌ ليس تحته أحدٌ، وكلُّ ما يرويه كذبٌ والكذبُ بيِّنٌ في وَجْهِ حَدِيثِهِ».
أجل هؤلاء هم الذين رووا لنا كل هذه المعجزات عن الأئمة عليهم السلام ووضعوا تحت تصرّف هؤلاء الآيات العظام (!!) كل هذه الوثائق والمستندات التي تدل على سيطرة أولياء الله على الكون وتصرفهم به وحكمهم له! (**البرقعي**)

مطالب به، فأشار إلى حجر ملقى وقال: خذ هذا واقض منه دينك. فقال [عمار]: إنه لَـحَجَرٌ؟! فقال له أمير المؤمنين ﷺ: ادع الله بي يحوِّل لك ذهبًا. قال عمار: فدعوت باسمه، فصار الحجر ذهبًا. فقال لي: خذ منه حاجتك. فقلت: وكيف تلين؟ فقال: يا ضعيف اليقين! [*وهو عمار الذي قال عنه رسول الله ﷺ: "مُلئ إيمانًا إلى مشاشه " لكن هنا يوصف بأنه ضعيف اليقين*!!][1] ادع الله بي حتى تلين فإن باسمي ألان الله الحديد لداود. قال عمار: فدعوت الله باسمه، فَلانَ، فأخذت منه حاجتي، ثم قال: ادع الله باسمي حتى يصير باقيه حجرًا كما كان "[2]!!

لقد روى حضرة آية الله العظمى(!) هذه المعجزة في الصفحة ٤٣٠ من كتابه نقلاً عن كتاب «**مدينة المعاجز**»[3].

هل نفَّذ عليٌّ هذه المعجزة بلا إرادة واختيار منه؟ أم نفَّذها لكي يُقوِّي بها إيمان عمار بن ياسر الذي يبدو من ظاهر الرواية أنه ضعيف اليقين!! بهدف أن يقوي عليٌّ بها إيمانه فقط؟! فجرت المعجزة على يديه دون إرادة منه بل كأداة جرت بواسطتها إرادة الله؟!

ومعجزة الإمام السجَّاد ﷺ في قَلْبِ غُسَالة الماء التي كانت تُصَبُّ في الطست إلى ياقوت أحمر وَدُرٍّ أبيض وَزُمُرُّدٍ أخضر لأجل صديقه البلخي[4].

---

(١) هذه العبارات التي بين معقوفتين [ ] لمحقق هذا الكتاب العلامة البرقعي.

(٢) رواها السيد هاشم بن سليمان البحراني، «**مدينة المعاجز**»، ج١/ ص ٤٣١، ح رقم (٢٩١)، نقلًا منه عن كتاب «**مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين**» المحشوّ بالشرك والخرافات تأليف الشيخ المغالي [بل من أشد الغلاة] الحافظ رجب البرسي (كان حيا ٨١٣ هـ)، في ص ١٧٣ منه. (تر)

(٣) رواها السيد هاشم بن سليمان البحراني، «**مدينة المعاجز**»، ج١، ص ٤٣١، ح رقم (٢٩١)، نقلاً منه عن كتاب «**مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين**» المحشوّ بالشرك والخرافات تأليف الشيخ المغالي الحافظ رجب البرسي (كان حيًّا ٨١٣ هـ)، في ص ١٧٣ منه.

(٤) السيد هاشم بن سليمان البحراني، «**مدينة المعاجز**»، ج ٥، ص ٣١٢-٣١٣، بنقل شفهي دون سند عن الشيخ فخر الدين النجفي.

وكذلك معجزة قرصي الخبز الذين أدّيَا إلى غِنى شخص من محبي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وعشرات من أمثال هذه المعجزات التي ذكرتَها يا حضرة «آية الله العظمى» في كتابك للاستدلال بها على إثبات ولاية الأئمَّة بمعنى تصرّفهم في ملكوت الله وأن الأئمَّة عليهم السلام يغنون أولياءهم وأصدقائهم بالمال! كالمعجزة المنقولة في الصفحة ٣٤٥ والتي تنقل عن إبراهيم بن سعيد "أنه رأى الإمام الجواد (عليه السلام) يضرب بيده إلى ورق الزيتون فيصير في كفه ورقًا (أي عملة من الفضة) [*لعله لو حصلت هذه المعجزة في زماننا لتحولت ورقة الزيتون إلى أوراق بنكنوت من فئة الألف تومان!*]، فأخذ منه كثيرًا وأنفقه في الأسواق، فلم يتغيَّر "[1]. وأن الإمام الجواد إنما لُقِّب بجواد الأئمَّة بسبب أمثال هذه العطايا[2].

ومعجزات تقول إن الأئمَّة كانوا يحوِّلون بعض أعدائهم إلى امرأة أو كلب! كتلك المعجزة التي تقول إن الإمام الصادق عليه السلام جلس وهو في طريقه إلى الحج تحت نخلة يابسة، فحرَّك شفتيه بدعاء ثم قال: يا نخلة أطعمينا مما جعل الله فيك مما يرزق عباده، فتمايلت النخلة نحو الصادق عليه السلام بأوراقها وعليها الرطب، فقال لرفيقه: ادن وقل بسم الله فكل، يقول فأكلت منها رطبًا أطيبَ رطب وأعذبَه، فإذا نحن بأعرابي يقول: ما رأيت كاليوم سحرًا أعظم من هذا، فقال الصادق عليه السلام: نحن ورثة الأنبياء ليس فينا ساحر ولا كاهن، بل ندعو الله فيجيب دعانا، وإن أحببت أن أدعو الله أن يمسخك كلبًا تهتدي إلى منزلك وتدخل عليهم

(١) هذه المعجزة رواها هاشم البحراني في كتابه «مدينة المعاجز» (ص ٥٢٤ من الطبعة القديمة) [أو في ج ٨/ ص ٣١٩ من الطبعة الجديدة]، نقلًا عن كتاب «**دلائل الإمامة**» لـ «محمد بن جرير الطبري الإمامي»، وفي سندها «**عَبْدُ الله بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَلَوِيُّ**» الذي مر بيان حاله قبل قليل وصاحب رواية معجزة إخراج العنب والموز من عمود المسجد لأجل علي الأكبر، عن «**عُمَارَةِ بْنِ زَيْدٍ**» الذي بينا ثمَّة أنه اسم بلا مسمَّى!!

(٢) هذه المعجزة رواها هاشم البحراني في كتابه «**مدينة المعاجز**» (ص ٥٢٤ من الطبعة القديمة) [أو في ج ٨، ص ٣١٩ من الطبعة الجديدة]، نقلاً عن كتاب «دلائل الإمامة» لـ «محمد بن جرير الطبري الإمامي»، وفي سندها «عَبْدُ الله بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَلَوِيُّ» الذي مرّ بيان حاله قبل قليل وصاحب رواية معجزة إخراج العنب والموز من عمود المسجد لأجل علي الأكبر، عن «عُمَارَةِ بْنِ زَيْدٍ» الذي بينا ثمَّة أنه اسم بلا مسمَّى!!

فتبصبص لأهلك. فقال الأعرابي لجهله: بلى، فدعا الله فصار كلبًا في وقته![1]

وأمثال هذه الأوهام التي تسمونها معجزات، وحتى الآن لا تعلمون المعنى الحقيقي المعجزة؟!

والحال أن المعجزة إنما تكون لأجل إتمام الحجة على منكري رسالات الرسل ولا تقع إلا في حالة وجود تحدٍّي للمنكرين ومطالبتهم بالمعجزة، وفي حال رأى الله تعالى المصلحة في إظهارها لأجل إثبات نبوّة نبيٍّ من أنبيائه، وهي تتمّ أمام ملأ عام وفي حضور آلاف المعارضين والموالين، مثل معجزة النبي صالح أو معجزات النبي موسى أو عيسى – عليهما السلام – وغيرهم من الأنبياء مما بيَّنه القرآن لنا.

وليست المعجزة أن يحصل أمرٌ خارقٌ للعادة في السرِّ والخلوة! للمؤمنين الصادقين ذوي الإيمان الراسخ أمثال عمار بن ياسر وحضرة علي الأكبر، أو لأشخاص مثل إبراهيم بن سعيد البلخي مجهول الهوية الذي ادُّعِيَ أنه كان مرافقًا للإمام السجاد، والتي اخترعها راوٍ غالٍ ومشركٌ مثل الحافظ رجب البرسي ورواته الكذابون أمثال «**عبد الله البلوي**»، و «**عمارة بن زيد**» الاسم بلا مُسمَّى أو «**علي بن حمزة البطائني**» الملعون!

---

(١) هذه المعجزة رواها أيضًا هاشم البحراني في كتابه «مدينة المعاجز» (ص٣٨٣ من الطبعة القديمة) [أو في ج ٦، ص ٣٥٩-٣٦٠ من الطبعة الجديدة]. نقلاً عن «ثاقب المناقب» عن «علي بن أبي حمزة البطائني» الذي كان -طبقًا لتصريح علماء الرجال- واقفيًّا، حتى أن «علي بن فضَّال» ذاته (الذي وصفه الفقيه ابن إدريس الحلي صاحب «السرائر» بأنه ملعونٌ ورأس كل ضلال هو وأبوه) قال عن البطائني: «كذَّابٌ ملعونٌ»! (وويلٌ لمن كفَّره نمرود!).

وقال ابن الغضائري -ره- عن «البطائني»: "عليُّ بن حمزة لعنه الله أصل الوقف وأشدّ الخلق عداوةً للمولى «يعني الرضا عليه السلام» بعد أبي إبراهيم". وقال الكشي في رجاله (ص ٤٤٤-٤٤٥): إن حضرة الإمام أبي الحسن الكاظم عليه السلام قال لعليِّ بن أبي حمزة: "إِنَّمَا أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ يَا عَلِيُّ أَشْبَاهُ الحَمِير". وقال يونس بن عبد الرحمن أن الإمام الرضا عليه السلام قال بشأن ابن أبي حمزة البطائني: "قد دخل النارَ". وقد كان ابن البطائني أحد الكذّابين المشهورين نظير محمد بن سنان ويونس بن ظبيان! هاشم البحراني، «مدينة المعاجز»، ج ٦/ ص ٣٥٩-٣٦٠. **(البرقعي)**

إن مثل هذه المعجزة التي قائلها وسامعها مجهولان إنما تفيد البلهاء الذين لفّقوها وصدّقوها!! وإلا فإنَّ مثل هذه الأقاويل لا تُثبت حقًا ولا تقيم حُجَّةً! نعم إن الفائدة الوحيدة لرواية مثل هذه القصص الوهمية هي فرار الناس من الدِّين ونفورهم من المذهب الذي يُروِّج لمثل هذه الخرافات ويدعو إليها!

أجل، لقد تساءل المؤلِّف في كتابه (الصفحات من ٥٢ إلى ٥٧) عن "أن الأئمَّة هل يتصرَّفون في الكائنات على نحو مستقل عن الله أما أنهم مجرّد أدوات لِلَّهِ وليس لديهم من أنفسهم أي استقلال أو إرادة مستقلة؟ ".

واختار الشق الثاني فشبّهَ الأئمَّة "بحوانيت التجارة والمزارع والعمارات أو الطاولات والكراسي والمنصب والمقام التي يظن الطغاة العنيدون - على حدِّ قوله- أنها سبب رزقهم، فيطمحون إليها، ويفترضون أنها مسبِّب الأسباب، كما يفعل العوام البسطاء والعاديون الذين يطلبون حوائجهم مباشرة من الأولياء ويعتبرونهم مستقلين في تلبية حوائجهم وينسون أن شأنهم هو الشفاعة والوساطة فقط، فيقعون في ورطة الشرك ". انتهى كلامه.

حسنًا! وأقول: رغم أننا لا نعتبر العوام البسطاء الذين أقررتم أنفسكم بأنهم واقعون في ورطة الشرك مقصّرين أبدًا بل نعتبر أن علّة شركهم وسببه أنتم أنفسكم وكتاباتكم هذه التي نتيجتها الطبيعية صدور مثل تلك الأعمال، التي أشرتم إليها، عن العوام. ولكن رغم ذلك نقول: ثمَّة جانبان لما تطرحونه من عقيدة ونظرية وكلامكم كلام غير مفهوم وغير مترابط!

فأنتم تقولون: إن الأئمَّة عليهم السلام مجرد أسباب في أمور الرزق والإحياء والإماتة وأمثالها، مثلهم مثل كون الدكان والمزرعة والطاولة والمجرفة والمعول مجرّد أسباب، أو مثل الطعام الذي هو وسيلة للشبع والدواء الذي هو وسيلة للشفاء، فنقول:

أولاً: إن لنا كلامًا على تشبيهكم هذا الذي نراه غير مناسب أصلاً. لأنه قد ثبت من خلال التجربة والعمل عبر آلاف السنين أن تلك الوسائل والأسباب مثل الدكان والمزرعة والمجرفة والمعْوَل تُحقِّق الأغراض المطلوبة منها ولكن لا تُحقِّق جميع الأعمال، ولذلك لا يوجد عاقل يطلب من المجرفة الفاكهة أو يطلب من المعول حذاءً! لأن هذه الأدوات

أُوجِدَت لأجل أعمال محدَّدة منوطةٍ بها. ولكن لم يوجد أي فرد من أفراد البشر، مهما كان شخصًا استثنائيًا، قد تحقَّق بشأنه، بالتجربة العملية، أنه خالقٌ للبريَّات ومحي للأموات وكاشف للبلايا. ولم يوجد إنسانٌ عاقلٌ في تاريخ البشرية كلِّه اعتبر كائنًا ما غير الله مُدبِّرًا للكائنات ومتصرِّفًا في الأرضين والسموات، ولم يوجد أي فرد ذي شعور اتّجه لتحقيق مثل تلك الأمور نحو إنسان مثله اللهم إلا إذا كان واقعًا تحت تأثير تبليغات أمثالكم التي حرفته عن فطرته وأضلته!!

ثانيًا: ليس هناك من يقوم بعد تناول الطعام وشبعه بشكر الطعام نفسه وتمجيده وإطرائه! ولا من يقوم بعد تناول الدواء الناجع بحمد الدواء الذي أوقف ألمه وشكره والثناء عليه!! إن الطعام وسيلة محدودة ومقيَّدة جعلها الله بدلاً لما يتحلل من جسمنا وسببًا لشبعنا، والدواء أيضًا خلقه الله للعلاج والشفاء. فالحمد والشكر يجب توجيههما إلى ساحة الخالق عزّ وجلّ لا إلى الدواء والطعام.

أما أنتم فتقومون بشكر أولياء الله وتمجيدهم إلى حدّ رفعهم إلى مقام الإلهية بل أكثر، وتُقدّمون الثناء والمدائح لحيِّهم وميِّتهم! وتُعظِّمون قبورهم وتُزَيِّنونها وتهتمُّون بها أكثر من المساجد، إلى درجة أنكم لا تقدِّمون لِـلَّهِ تعالى واحدًا بالمئة ممَّا تقدمونه لأولئك الأولياء من خضوع وتعظيم وثناء ومديح وأنماط العبادة.

ثالثًا: لا ينتظر أحدٌ من المجرفة والمِعْوَل أو من السيف والبندقية ثواب موالاتها وعقاب معاداتها، لأن الكل يعلم أنها مجرد أدوات وآلات لا تعرف صديقًا ولا عدوًا ولا تحبُّ أحدًا ولا تُبغضه! أما الأولياء فهم - طبقًا لما تُعلِّمُونه- يتصرَّفون في الكون والمكان ويحبُّون أولياءَهم ويُبغضون أعداءَهم بتعصُّب شديد! فيمنحون محبيهم لقاء أدنى درجة من المحبة والخدمة ثوابًا عظيمًا قد يصل إلى أعالي الجنان! في حين يُرسلون أعداءَهم في غاية الذل إلى أسفل دركات جهنم!! وحتى أنكم تقولون إن عبادات الناس مهما كانت مبنية على الإخلاص إذا لم تترافق بموالاة الأئمَّة ومحبتهم فلن تُحسب شيئًا أبدًا وستكون هباءً منثورًا في يوم القيامة، ذلك اليوم الذي سيكون أمره وأمر الميزان والكتاب والحساب فيه بيد أوليائكم

أولئك الذين سيفعلون بأوليائهم كيت وكيت وبأعدائهم كيت وكيت! وكما قلنا سابقًا إن هذا المعنى بالذات والطمع بهذا المقصود هو الذي جرّكم نحو هذا الكفر والضلال!

أنتم أنفسكم في الصفحة ٤٨٠ من كتابكم «**أمراء الكون**» كتبتم تحت فصل بعنوان «حساب القيامة وإشراف الإمام»: "قال المُفسِّرون المعصومون في تفسير الآيات الأخيرة من سورة الغاشية أي قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ٢٥- ٢٦] [١]، إن إياب الخلق إلينا وحسابهم علينا. من ذلك ما رواه الفيض الكاشاني في تفسيره «الصافي» عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: "يَا سَماعَةُ! إِلَيْنَا إِيَابُ هَذَا الخَلْقِ وَعَلَيْنَا حِسَابُهُمْ، فَمَا كَانَ لَـهُمْ مِنْ ذَنْبٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَمْنَا عَلَى اللهِ فِي تَرْكِهِ لَنَا فَأَجَابَنَا إِلَى ذَلِكَ، وَمَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّاسِ اسْتَوْهَبْنَاهُ مِنْهُمْ وَأَجَابُوا إِلَى ذَلِكَ وَعَوَّضَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ!"[٢].

كما نقرأ في «الزيارة الجامعة الكبيرة»: "وَمِيرَاثُ النُّبُوَّةِ عِنْدَكُمْ وَإِيَابُ الخَلْقِ إِلَيْكُمْ وَحِسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ!!!"[٣].

وفي الصفحة ٤٩٠ من كتابكم المذكور رويتم عن الإمام السجاد عليه السلام ما خلاصته أنه قال: "نحن يوم القيامة أصحاب حوض الكوثر نسقي منه أولياءنا ولا يصلون إليه إلا بتوسلهم بنا. فمن سرّنا أسررناه ومن آذانا وغصب حقنا كانت نطفته غير طاهرة ونال في الآخرة جزاء أعماله "!!

واستنتجتم في الصفحة ١٧٩من بعض الأخبار أن "أهل المحشر يتعلَّقون بأذيال الشيعة ويتعلَّق الشيعةُ بأذيال الأئمَّة فيذهب الجميع إلى الجنة وكل جماعة تصل إلى ثواب ذلك العالم بالتوسل بجماعة أخرى، كما نجد في هذا العالم أيضًا أن التوصل إلى الحاجات والنجاة من المصائب والبلايا طريقته الوحيدة هو التشبث بعناية ونظرة آل البيت الكرام! " انتهى.

---

(١) لاحظوا أن سورة الغاشية مكية [أي نزلت قبل أن يكون هناك أئمة].

(٢) الملا محسن الفيض الكاشاني، **تفسير الصافي**، ج ٥، ص ٣٢٣.

(٣) الشيخ الصدوق، «من لا يحضره الفقيه»، ج٢/ ص ٦١٠. (تر)

نحن نعلم أن دافع أكثر الكتّاب وجميع الغلاة هو هذا الغرور الشيطاني بالذات ولا شك أن أعداء الإسلام أيضًا يقومون إما مباشرة أو بواسطة أياديهم الخفية بنشر مثل هذه الأفكار المورثة للغرور والمُفتنة وذلك لأجل إضعاف المسلمين بشكل عام والشيعة بشكل خاص. إذ ما هو أكثر طمأنينة من أن يحصل المرء على هذا الأمل الذي لا قيود له ويُبَشّر بشفاعةٍ بابُها مفتوحٌ على مصراعيه ليُعْتَقَ من الإنذارات والوعيد الإلهي الذي ﴿تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ [الزمر: ٢٣]، فما كان حقًّا لِلَّهِ وهبه الله للأئمة وما كان من حق الناس يهبه الناس للأئمة، عندئذ يُصبح الشيعة -ومن البديهي أن ذنوبهم ستكون أكثر من ذنوب سائر الناس جميعًا بسبب هذه الدوافع- ناجين أو مُنجين بسبب تعلُّقهم بأذيال الأئمَّة وتعلّق الناس بأذيالهم فيذهب الجميع إلى الجنة!! مع فارق أن الشيعة سيكونون سادة الآخرين ومُنجيهم!! وسنُثبت في بحث الشفاعة إن شاء الله تعالى تهافت وكذب ووضع هذه الروايات ووهن هذه التصوّرات.

وهنا نريد فقط أن نثبت أن ما تدَّعُونه من كون الأئمَّة الأطهار مجرد أسباب ووسائل في مملكة الإله الواحد القهار وأن الذي ينتفع بهم مثله مثل الذي ينتفع بالدكان والمزرعة والمجرفة والمعْوَل التي هي أشياء لا إرادة لها ولا شعور، ادّعاء مزخرف وهذيان مُنَمَّقٌ مُلَفَّق!

إذ إن الأئمَّة باعتقادكم مالكو ملكوت الله ويستطيعون أن يفعلوا بأعدائهم وأوليائهم ما يريدونه، لأن مفاتيح الجنة والنار بأيديهم! وهم من الجهة الأخرى يمتلكون عواطف شديدة وتعصب بشري حادّ، [*هذا بالطبع طبقًا للصورة التي تُصوّرون الأئمَّة بها*] فمن يُقدّم لهم أدنى خدمة أو إظهار مودة يُدخلونه الجنة ومن يستبيح في حقهم أدنى أذى أو إهانة يُدخلونه جهنم!

إن هذا الدافع والطمع هو الذي دفع ويدفع عوام الناس المساكين في هذه البلاد إلى الإعراض عن أوامر الشريعة ونواهيها جميعها التي بُعث بها جميع الأنبياء ونزلت بها جميع الكتب السماوية والقرآن الكريم فيتخذونها ظهريًا ويتصرفون تجاه الأصول والمبادئ الدينية والدنيوية على نحو أسوأ مما تتصرَّف به الشعوب نصف المتوحشة!! ولأجل الحصول على

رضا الأئمَّة -حسب خيالهم- يقومون بتعطيل أعمالهم في مناسبات وفيات الأئمَّة أو يحتفلون بمناسبات ولاداتهم رغم أنه لا يوجد أي دليل ومستند من الشرع أو العقل على مثل هذه الاحتفالات، ويصْرِفُون لأجل إحياء مراسم عزائهم وإقامة مآتمهم ملايين التومانات لشراء السلاسل والسيوف والمجسّمات المعدنية والأعلام وإقامة تمثيليات تُجسِّد الشخصيّات التاريخيّة على المسارح التي تُنْصَب في تلك المناسبات ويخرجون في مئات المواكب من لاطمي الصدور ولاطمي الظهور بالسلاسل وحاملي «الشبيه»! كما يصرفون المليارات على مراقدهم وتعميرها وتزيين قبابها وأضرحتها وإعطاء الرواتب لخدمها وسدنتها وأمثال ذلك[1] و... و....

لماذا يفعل الناس كل ذلك؟! لأنكم أفهمتم الناس أن الدنيا والآخرة بيد الأئمَّة! فلا بد من إرضائهم بمثل تلك الوسائل! وإلا فلا!! وأُقْسِمُ بالله لولا تبليغاتكم وتطميعاتكم تلك لما قام عاقل بتلك الأعمال السفيهة ولما أنفق الناس كل أوقاتهم تلك وأموالهم وأعمارهم وفكرهم على مثل تلك الأمور التي لا يوجد عن الله ونبيّه أدنى إشارة أو قول أو فعل يدل على الحض عليها والدعوة إليها.

أنتم أنفسكم تؤمنون بأن رب العالمين بَعَثَ لهداية البشر أكثرَ من مئة وأربعة وعشرين ألفَ نبيٍّ[2] [*هذا رغم قولكم بأن أولئك الأنبياء الكرام كانوا تحت ولاية أئمة الشيعة ومن الآكلين من سفرتهم وإحسانهم!*]، ورغم ذلك فإنه -طبقًا لما رواه «إسحق بن عبد الله أبي فروة» وغيره- لا يوجد لجميع أولئك الأنبياء الكرام، الذين مدحهم الله تعالى في القرآن، من

(١) يراجع في ذلك مقدمة كتاب «حقائق عريان در اقتصاد قرآن (زكاة)» (حقائق مكشوفة حول اقتصاد القرآن (الزكاة))، الفصل الثامن.

(٢) الكُلَيْنِيّ، «الكافي»، ج١/ ص ٢٢٤، حديث ٢. ومن طرق أهل السنة ورد ذلك في حديث أخرجه أحمد في مسنده والطبراني في معجمه الكبير عن أبي ذر الغفاري ﷺ فيه: «قلت: يا نبيَّ الله كم عدد الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، الرسلُ من ذلك ثلاث مائة وخمسة عشر»... الحديث». قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الكبير. ومداره على علي بن يزيد وهو ضعيف. اهـ (تر)

قبر معلوم أو مزارٍ، سوى ثلاثة قبور، إذْ قال: "ما يُعلم قبر نبي من الأنبياء إلا ثلاثة:

(١) قبر إسماعيل، فإنه تحت الميزاب بين الركن والبيت.

(٢) وقبر هود، فإنه في حَقْفٍ من الرَّمل تحت جبلٍ من جبال اليمن عليه شجرة تندى، وموضعه أشدّ الأرض حرًّا.

(٣) وقبر رسول الله ﷺ [في المدينة المنوّرة]. فإن هذه قبورهم بحق "[١].

---

(١) انظر ابن سعد، «**الطبقات الكبرى**»، ج١، ص ٥٢. (تر).

إن آفة هذا الكلام قائل الكلامِ نفسُه، فإن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة (المتوفى ١٤٤ هـ)، قد ضعّفه كثير من المحدثين كالزهري وابن سعد والإمام أحمد. قال ابن سعد: «كان كثير الحديث يروي أحاديث منكرة لا يحتجون بحديثه». وقال الإمام أحمد بن حنبل: «لا تحل عندي الرواية عنه». قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب: «متروك». ثُمّ إن مثل هذا الأمر يحتاجُ إلى نقلِ المعصومِ محمدﷺ الذي لا ينطِقُ عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى بأنّ إسماعيلؑ دُفِنَ في الحِجرِ، و غيره من الأنبياء دُفن في مكان كذا، وأنّى لهم ذلك، فإنّ بيننا وبين إسماعيل وهود ؑ وأجيالٌ وأجيالٌ بل ألوفٌ من السنينَ؛ فمن أين يُجزَمُ بمكانِ قبرِهما أو محلِّ دفنِهما ما لم يرد في ذلك نص صحيح من النبيﷺ؟!! قال الشيخ الألباني: «لم يثبت في حديث مرفوع أن إسماعيل ؑ أو غيره من الأنبياء الكرام دفنوا في المسجد الحرام، ولم يرد شيء من ذلك في كتاب من كتب السنة المعتمدة كالكتب الستة ومسند أحمد ومعاجم الطبراني الثلاثة وغيرها من الدواوين المعروفة، وذلك من أعظم علامات كون الحديث ضعيفًا بل موضوعًا عند بعض المحققين، وغاية ما روي في ذلك آثار معضلات بأسانيد واهيات موقوفات، أخرجها الأزرقي في أخبار مكة (ص ٣٩ و ٢١٩ و ٢٢٠) فلا يلتفت إليها وإن ساقها بعض المبتدعة مساق المسلَّمات». [الألباني، تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ص ٦٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ؒ في «مجموع الفتاوى»: «القبر المتفق عليه هو قبر نبينا محمدﷺ، وقبر الخليل ؑ فيه نزاع، لكن الصحيح الذي عليه الجمهور أنه قبره، وأما يونس وإلياس وشعيب وزكريا فلا يعرف». وقالؒ في موضع آخر: «وليس في الأرض قبر اتفق الناس على أنه قبر نبي غير قبره، وقد اختلفوا في قبر الخليل وغيره».

وقال ابن الجزري ؒ: «لا يصح تعيين قبر نبي غير نبينا عليه الصلاة والسلام، نعم قبر إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في تلك القرية لا بخصوص تلك البقعة». (المُصحح)

فهذه القبور الثلاثة هي فقط المراقد الحقيقية للأنبياء، وبقية القبور وَهْمٌ ومجهولة الحقيقة! لكن انظروا إلى القبور والمزارات والمشاهد في أقطار الشيعة تجدون أن عددها يصل إلى مئات الآلاف، هذا على رغم كلّ النهي الصريح الذي ورد في شريعة الإسلام من طرق العامة والخاصة[١] عن تعمير القبور وتجصيصها والبناء عليها! ولا يعلم إلا الله وحده كم تُنفق من أموال كلَّ عامٍ على هذه الأمور التي نهى الله تعالى عنها! وسنذكر شيئًا من ذلك للقراء الكرام في بحث «المقابر وزيارتها» إن شاء الله تعالى[٢].

لماذا؟! لأنكم بتبليغاتكم هذه جعلتم الناس يعتقدون أن أصحاب هذه القبور مدبِّرُو أمور الكائنات والمتصرِّفُون في الأرض والسموات ومُلَبُّو الحاجات ودافعو المصائب والبلايا ومنزلو البركات ورافعو الدرجات في الدنيا والآخرة!! ولا شك أن كل حيوان فضلاً عن الإنسان العاقل يسعى إلى ما فيه خيره ونفعه وما يدفع عنه الشر والبلاء، لذا نجد الناس يُقْدِمُونَ بكلِّ حَمَاسٍ ورغبة واندفاع على دفع الدرهم أملاً بالحصول على مئة دينار في المستقبل وعلى تقديم القليل للحصول على الكثير!

ويتصوَّر العاميّ أنه يُمكنه التعامل بسهولة مع الأئمَّة الذين يملكون عواطف بشرية جياشة جعلتهم مستعدين لأجل نجاة محبيهم ومواليهم إلى التضحية حتى بأنفسهم وجعلتهم يغضبون على أعدائهم إلى درجة أنه بمجرّد أن شك العربي البدوي في الصحراء بقدرة الإمام على استخراج التمر من النخلة اليابسة حوَّلَهُ الإمام إلى كلب! و... و....، ويمكنه أن يستجلب رضاهم بسهولة، خاصة إذا ما قورن ذلك بصعوبة إرضاء الله تعالى المنزَّه عن العواطف البشرية والتعصب الإنساني! والذي هو بالمرصاد لجميع الظالمين والمجرمين أيًّا كانوا، كما قال تعالى﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ١٤﴾ [الفجر: ١٤]، والذي هو عدوٌّ لجميع

---

(١) من الجدير بالتوضيح أن قصد المؤلف من العامة والخاصة هو السنة والشيعة طبقًا لما هو متعارف عليه في أدبيات الشيعة من وصف السنة بالعامة والشيعة بالخاصة.

(٢) يُراجع كتاب «**الزيارة ونصوص الزيارات**» لراقم السطور (قلمداران). يقول المترجم: وقد قمتُ بترجمة ذلك الكتاب إلى اللغة العربية بعنوان «بحث في زيارة المزارات وأدعية الزيارات»، وتمت طباعته ونشره. (تر)

الكافرين كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ۝٩٨﴾ [البقرة: ٩٨]، والذي سيحاسب الناس على النقير والقطمير كما قال سبحانه: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وكما قال سبحانه على لسان لقمان الذي يعظ ابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ ...﴾ [لقمان: ١٦]، وكما قال أيضًا: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

فكيف يُمكن مواجهة مثل هذا الإله الحكيم المنزه عن العواطف البشرية المنحازة إلى فريق دون فريق والبريء من التعصب، والذي -كما يقول المثل- يُخْرِجُ الشعرة من العجين؟! لذا فإن العوام يلوذون بالأئمَّة الذين يُحَتِّمُون على الله(!) - [على حد قول الرواية] -أن يترك للناس ما قصَّروا فيه من حقوقه والذين يستوهبون حقوق الناس منهم!! ويبدو أن الناس الذين هُضمت حقوقهم في الدنيا لا يمكن أن يردُّوا طلب الأئمَّة في الآخرة وَيُخْجِلوهم بل سيتنازلون عن حقوقهم المهضومة لأجلهم! بهذا تتم تسوية وإنهاء مشكلة حساب القيامة؟! وبعد ذلك فإن مفتاح الجنة والنار بيد الأئمَّة أي أصدقاء الشيعة وأوليائهم(!) الذين لن يتوانوا عن إدخال أعزائهم وأحبائهم ومواليهم الجنة وإرسال أعدائهم ومخالفيهم إلى جهنم وبئس المصير! فما أسهل هذه المعاملة وما أربحها! فلماذا لا يقومون بها؟

هذا هو الدافع الذي يدفع العوام إلى حدّ الوقوع -كما اعترافكم بأنفسكم -في الشِّرك. هذا مع أنني أرى أن السبب الحقيقي والدافع الأصلي لوقوع العوام في الشرك هو أنتم أنفسكم بما تروونه لهم من أحاديث عجيبة وغريبة وضعها الغلاة أو أعداء دين الإسلام، فتشبيهكم الأئمَّة بمجرّد أدوات ووسائل لجريان إرادة الله! غير صحيحٍ ومغالطة ومخالفة لواقع الحقيقة وهو الغلوُّ والكلام الجزاف بعينه. وإلا لو كان الأمر أمر أدوات ووسائل للفيوضات الإلهية فليس هناك من أداة ووسيلة أظهر وأوضح من الشمس التي قُلْتُم أنفسكم في الصفحة ٥٨ من كتابكم: "إن للقمر والشمس آثار كبيرة في تربية الكائنات على الأرض من جماد ونبات وحيوان ولها تدخُّل تامٌّ في ذلك لا شك فيه، كما أنها بلا شك وسيلة للحياة

الجسمية والمادية لسائر الكواكب والسيارات التي تستفيد من إشعاع الشمس، ولكن الشمس ليس لها أي استقلال ذاتي في تربيتها وتأثيرها بالكائنات بل هي تفعل ذلك بإرادة الله وبأمره".

وأنا أضيف على ما تقولونه إن مثل هذا الفيض والتربية لا تخفى على أكثر الناس بل جميعهم مطَّلعون عليها، ولكننا لم نسمع حتى اليوم عن أي مسلم اتَّجه نحو الشمس بالخضوع وإظهار الولاء والمحبة؟ أو قام بالثناء عليها وتمجيدها وحمدها وإطرائها؟! لماذا؟! لأنه يعلم أن الشمس ليس لها عاطفة وميول وتعصُّب لفريق دون آخر ولا إرادة لها من ذاتها ولا معرفة لها بمدح أحد لها أو قدحه بها. إنها تعطي ما أعطاها الله وتقوم بما أمرها به ولا تُسَرُّ من إقبال أحد عليها ولا تغضب من إعراض أحد عنها! لذا لا يوجد مسلم يتخذها محبوبة ويسعد من لطفها أو يخاف من غضبها فهذه فعلاً آلة للفيض الإلهي، وإذا كان هناك من يستحق الشكر والثناء فهو الله وحده رب العالمين الفياض على الإطلاق. فهل الأئمَّة وسائط للفيض على هذا النحو؟![1]

أما من ناحية العقل والدِّين فإن ربَّ العالمين لا يحتاج أبدًا في إدارة أمور العالم وتدبير شؤونه إلى أي موجود سواء كان نبيًا أم وليًا أم وصيًا أم وزيرًا أم مُعينًا أم وكيلاً أم مُشيرًا! ولا

---

(١) وكما ذكرتُ في كتابي «**درسي از ولايت**» (أي درس عن الولاية) قياس الرسول والإمام على الشمس قياس مع الفارق وهو أمر يحكم الجميع ببطلانه. إن الشمس في عالم التكوين مثل الآلات والأسباب، ولما كانت لا تملك إرادةً ولا اختيارًا فإن فعلها يُنسب إلى مسبّب الأسباب: الله تعالى، وذلك مثل المنشار والفأس السببين في صناعة الباب والمنبر فعندما يُصْنَع الباب يُقال: إن النجار صنعه؛ ولا يُقال إن المنشار والفأس صنعاه! ولما كان الرسول والأئمة بشرًا ذوي إرادة حرّة واختيار فإن قاموا بعمل ما لا يُقال إن الله فعله بل يُنسب فعلهم إليهم، لأن الإنسان فاعل مختار. مثلاً لو أكل رسول الله طعامًا لا يُقال إن الله أكل الطعام، وهذا بعكس الشمس التي تفتقر إلى الإدراك والإرادة وفعلها غير اختياري فالآثار التي تصدر عنها تُنسب إلى خالقها أي الله عزّ وجلّ، وهذا مثل الربيع الذي تنبت فيه الأزهار فيقولون أنبت الله النباتات والزرع. (**البرقعي**).

يملك أحدٌ سبيلاً إلى حريم ملكوته ولا لأحد علمٌ بأسرار خليقته وعلوم غيبه إلا ما أبلغه الله لنبيِّهِ عن طريق الوحي حسب المصلحة والحكمة، أما تلك الأفكار التي تقولون بها فليست سوى أفكار صبيانية وتصورات عامية تنشأ من قلب خال من العلم والفكر الصحيح!

فمن ناحية العقل، كل تلك القصص الموضوعة التي رويتموها كمعجزات وكرامات وتصرفات للأئمة في أمور الحياة والمات والرزق وحاجات البشر والحيوانات، لا تعدو حكايات مخترعة وأكاذيب مُلفَّقة! ولقد ملأتَ [يا آية الله العظمى] الصفحات من ٣٨٥ إلى ٣٩٤ ومن ٤٣٩ إلى ٤٤٩ في كتابكَ منها وكلُّها من أوهام الغلاة وافتراءاتهم! وذلك لأن المعجزة التي يرويها شخص مجهول واسم بلا مسمّى مثل «عمارة بن زيد»، أو شخص سيء الصيت مثل «علي بن أبي حمزة البطائني» أو غال كذاب مثل «محمد بن سنان» وكذاب مثل «يونس بن ظبيان»، وقصص مجاهيل مثل قصة الأعرابي والرجل البلخي!! ونحوها من الموضوعات والأوهام والخرافات، لا يُمكن لأي عاقل أن يستدل بها على ثبوت تصرف الأئمَّة في تدبير أمور الكائنات، بل تلك المعجزات المخترعة لا تفيد إلا قصاصين مثل رواتها وسامعين مثل عماتهم!! وفضلاً عن أنها ليست بحجة أصلاً فإنها فضيحة وخفّة لقائلها وسامعها!

إن مئات أمثال تلك الأحاديث تتهاوى أمام آية واحدة من القرآن الكريم تُخالفها، مثلما تندحر أكوام القشّ أمام سيلٍ جارفٍ جرَّارٍ، وهذا بالطبع بالنسبة إلى من يؤمن بالله واليوم الآخر. لأنه لا يمكن لأي عاقل أن يغضّ الطرف عن حقائق القرآن المُبيّنة بكل هذه الصراحة والوضوح ويدع عقله ووجدانه جانبًا لأجل تُرَّهات وأباطيل لفَّقها الغالي الفلاني أو الكذَّاب الفلتاني!! لقد أظهرت تلك الأحاديث الملفّقة الموضوعة أولياءَ الله تعالى -الذين أمضوا حياتهم كلَّها في العبادة والتقوى وكانت سيرتهم عامرة بخشية الله والخوف من يوم الجزاء وكانوا خير المعلِّمين والداعين إلى إخلاص العبودية إلى الله- بصورة أشخاص لا هَمَّ لهم إلا تمجيد أنفسهم والعُجْب بذواتهم والأنانية؟! وكأن جميع الكائنات والمخلوقات لم تُخلق إلا لأجل تعظيمهم وتمجيدهم وعبادتهم والخضوع أمامهم فحسب؟! تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُ

الجاهلون عُلُوًّا كَبِيرًا.

إن المعجزات المنسوبة إلى الأئمَّة عليهم السلام التي أوردتموها في كتابكم واعتبرتموها دليلاً نقليًا وشرعيًّا على تصرُّفهم في جميع الممكنات والموجودات، حتى قلتم في الصفحة ٦٠: «إن التأمل في معجزات المعصومين الأربعة عشر والتدقيق فيها يكشف أنها مليئة بالخَلْق والإيجاد وتغيير الماهيات وتبديلها والإخبار عن الغيب وسائر الأعمال الإلهية والولائية»!![١]

إن هذه المعجزات المُدَّعاة إذا صحَّ اعتبارها دليلاً على تصرُّف أصحابها في أمور العالم ونظام الكون وتدبير شؤونه، فإن كلَّ طائفة من ملل الدنيا ونِحَلِهَا لديها نظائر لهذه المعجزات المخترعة والأوهام الملفَّقة تنسبها لأوليائها. والمعجزة التي ينقلها شخصٌ واحدٌ ويرويها وحدَهُ -حتى ولو كان عادلاً- لا يمكن لأي عالم أن يقبل بها ويطمئنَّ إلى صحَّتها، فما بالك إذا كان رواتُها من الكذَّابين الغلاة أمثال «محمد بن سنان» و«يونس بن ظبيان» و«عمارة بن زيد» مجهول الهوية والوجود و«علي بن أبي حمزة» الملعون على لسان الأئمَّة!

[ما ترويه بعض كتب الصوفية من خوارق لمرشديهم وأقطابهم يفوق ما تذكُرُه عن الأئمَّة!!]

اقرؤوا فقط أحوال أولياء الصوفيّة المذكورة في كتبهم لتروا أن ما تُثبته تلك الطائفة من كرامات لأقطابها ومرشديها ربما لا يصل إلى مستواها ما تذكرونه من معجزات للأئمة الاثني عشر -صلوات الله عليهم-!! فنَظْرةٌ سريعةٌ إلى كتب بعض الصوفيَّة مثل كتاب «**تذكرة الأولياء**» للشيخ عطار، أو كتاب «**نفحات الأنس**» للجامي، أو كتاب «**إسعاف الراغبين**» لليافعي وأمثالها تُبيِّن أنها تنسب آلاف المعجزات الغريبة والعجيبة لأوليائها. ونذكر فيما يلي

---

(١) وكذلك روى سائر المذاهب الإسلامية عجائب وكرامات كثيرة لأئمتهم مثل «مالك بن أنس» و«أبو حنيفة» و«الشافعي» و«أحمد بن حنبل». وللاطلاع عليها يراجع الجزء الأول من كتاب «**الإمام الصادق والمذاهب الأربعة**»، تأليف أسد حيدر، والجزء الخامس من كتاب «الغدير»، تأليف العلامة الأميني التبريزي. (**البرقعي**).

نماذج مختصرة عنها:

الشيخ عطار [النيسابوري] مثلاً الذي يفتتح كتابه «**تذكرة الأولياء**» باسم حضرة الإمام جعفر الصادق قطب الصوفية الكبير –حسب عقيدته بالطبع- لا يذكر عن الإمام الصادق أي معجزة مهمة! أما بالنسبة إلى «الحسن البصري» - الذي يعتبره كثيرٌ من علماء الشيعة الكبار كالعلامة المجلسي وآخرين، من مخالفي الأئمَّة خاصة أمير المؤمنين علي عليه السلام - فإن «عطار النيسابوري» يقول: إن «الحسن البصري» وجد حبَّةَ تمر فأعطاها لشخص فأكلها فتحوَّلت نواتُها إلى ذهب! ويقول إن «الحسن» كان يصلِّي كلَّ يوم صلاةً في البصرة ثم يذهب إلى مكة ويصلي الصلاة التالية فيها ثم يعود إلى البصرة فيصلي فيها! ويقول إن شمعون المجوسي وضع يده في النار فلم تحترق فأسلم، فكتب «الحسن» له كتابًا ضمن له فيه الجنة فأمضى الله ما كتبه «الحسن» ونفَّذه!!

ويذكر من معجزات «مالك بن دينار» أن ثعبانًا ذا قرن من النرجس كان يروّح الهواء بقرنيه لمالك بن دينار! وأن دهريًا وضع يده في النار فلم تحترق لأنه كان جالسًا إلى جوار «مالك بن دينار»! أو أن شخصًا ضرب «مالك بن دينار» سوطًا فدعا «مالك بن دينار» عليه، فقُطعت يد ضارب السوط في اليوم التالي!

ويذكر أن «حبيبًا العجمي» الذي كان من أقطاب الصوفية، كان يذهب إلى المسجد كل يوم ويعبد الله تعالى، ويقول لأهله إني أشتغل عاملاً عند شخص ولم أقبض أجرتي منه بعد، وفي اليوم العاشر أحضر بعضهم إلى بيته طنًّا من الدقيق ولحمًا وزيتًا وعسلاً! أو أنه كان يأتيه الطعام من عالم الغيب لأجل ضيوفه!! أو أنه لما هرب «الحسن البصري من الحجاج واختبأ في منزل «حبيب العجمي» وجاءت الشرطة إلى بيته لتقبض عليه، لم يشاهدوه رغم أنهم لمسوه بأيديهم كرامةً «لحبيب العجمي» وثوابًا على صدقه في إخباره أن الحسن عنده في هذا البيت!! أو أنه كان يسير فوق الماء الجاري ولا يغرق!! أو أنه لما وقعت إبرة من يد «حبيب العجمي» أضاء المنزل المظلم لكي يراها!! أو أنهم صلبوا قاتلاً فلما مرّ حبيبٌ عليه استحق الجنة!!

وذكر من كرامات «عتيبة بن غلام» أنه عبر من فوق ماء البحر، حتى أن الحسن البصري ذاته الذي كانت له كل تلك المعجزات، تعجَّب من ذلك!! أو أنه قدّم لشخص -دون مقدمات- رطبًا طازجًا في فصل الشتاء.

وكتب «عطار النيسابوري» عن كرامات رابعة العدوية فقال: إنها لما وُلِدَت جاء لأبيها مالٌ كان يستطيع أن يشتري به كل ما يشاء! وأن حمارها الذي مات في سفر الحج عاد إلى الحياة من جديد! وأن مقامها عند الله كان عظيمًا إلى درجة أن الكعبة بذاتها جاءت لاستقبالها!!! وناقل هذه المعجزة والكرامة هو «الشيخ علي فارمدي» وهو وإن كان من الكذابين إلا أنه ليس بأكثر كذبًا من علي بن حمزة أو محمد بن سنان أو عمارة بن زيد. أو أن رابعة كانت تضع أمام ضيوفها رغيفي خبز فيأتيها عشرون رغيفًا من عالم الغيب! أو أن قِدْرَ رابعة كانت تغلي دون أن توضع على النار فأكلت منها مع الحسن البصري الذي قال أنه لم يأكل طعامًا أفضل منه في حياته![1]

وكتب عن كرامات «الفضيل بن عياض» أن يهوديًّا عرض عليه نقل تلة من الحصى في مقابل عتقه من الرق، فأرسل الله ريحًا نقلت دفعة واحدة كل تلّة الحصى!

وكتب عن كرامات إبراهيم بن الأدهم أن ثعبانًا تحول إلى جلد كي يلبَسَهُ إبراهيم بن الأدهم ويقي نفسه به من البرد! وأنه لما سقطت منه إبرة في البحر فطلبها خرجت آلاف الأسماك بإبر ذهبية في أفواهها لأجله! ولقد أتيت أنت في كتابك هذا أيضًا بهذه القصة!

أو أنه لما خرج إبراهيم بن أدهم برفقة صحبه إلى الصحراء وأشعلوا نارًا وتمنَّوْا لحمًا حلالاً لشيّه أرسل الله لهم أسدًا قد افترس حمارًا وحشيًا وقدَّمه لهم!

وفي كرامات ذي النون المصري ذكرت كتب الصوفية: إنه لما فُقدت جوهرةٌ في سفينة

(١) كتب العلامة عبد الجليل الرازي القزويني في كتابه القيم «**النقض**»، س ٣٨ نقضًا وردًا قال: وصل الحسن البصري في طريق البادية مع رابعة العدوية فسأل رابعةَ: ماذا تأكلين؟ فمدَّت رابعة يدها نحو تراب البادية وأخذت قبضةً من التراب وقالت للشيخ: خذ وكل؛ لما كان التراب ترابًا في البادية كان مجرد تراب ممزوج ببول الجمال، فلما وصل إلى فم الشيخ من يد رابعة صار لوزًا وسكرًا!!

واتَّهَمَ أهلُها ذا النون بسرقتها خرجت آلف الأسماك وفي فم كلٍّ منها جوهرةٌ لتقدِّمها إلى ذي النون! أو أنه لما أنفق شابٌّ مئة ألف درهم على فقراء الصوفية الدراويش ثم ندم على ذلك جاء ذو النون المصري وحول دواء من ثلاث حبات إلى ياقوت!! أو أنه عندما جاء رجل إلى ذي النون وقال له عليَّ ديْنٌ، تناول ذو النون حَجَرةً وأعطاها له فانقلبت في يده زمرّدةً قيمتها أربعمئة درهم.

إلى حدّ أن المتوكل الملعون الذي لم يستطع إمامُ الشيعة العاشر أن يهديه للصلاح رغم كل المعجزات والكرامات التي فعلها أمامه، صار مريدًا لذي النون لِـمَا رآه من كراماته!! وعندما كانوا يحملون جثمان ذي النون بعد وفاته جاءت طيور وظلَّلت جنازته كي تقيَها من حرّ الشمس.

أما عن كرامات «بايزيد البسطامي» فقد كتبوا أن الشيخ أبا سعيد أبي الخير الذي كان من كبار الصوفية قال: رأيت ثمانية عشر ألف عالمًا ممتلئًا من بايزيد البسطامي!! إلى حد أن بايزيد ادَّعى الألوهية فقال: «سبحاني ما أعظم شأني»!!

وتوجد في ديوان «المثنوي» لجلال الدين الرومي قصة عجيبة حول هذا الأمر. أو ذلك الحوار الذي كان بين بايزيد وكلب واحتج فيه على الكلب. أو أنه كان يحضر في طبرستان جنائز الموتى إلى حد أن أحد مريدي بايزيد واسمه «أبو سعيد الراعي» استخرج من عصا الرعي عنبًا أبيضًا وأسودًا كان يأكل منه هو وضيوفه!! أو قصة معراج «بايزيد» العجيبة التي ذكرها العطار في عدة صفحات من كتابه.

ورووا أن عبد الله بن المبارك شفا ضريرًا من العمى وأعاد إليه بصره، وأن سفيان الثوري دعا على الخليفة وأركان الدولة فخُسفت بهم الأرض! وأن الطير الذي كان سفيان قد رآه في قفص فاشتراه كان يذهب إلى قبر سفيان بعد موته ويرفرف بأجنحته فوقه.

وفي باب «بشر الحافي» ذكروا أنه سار –طبقًا لوعد قد أعطاه– حافيًا فوق ماء نهر دجلة وأنه طيلة حياته لم يكن أيٌّ من الأنعام يتغوَّطُ ويسقط روثه في المدينة وأن أهل العرفان إنما علموا بموت «بشر الحافي» عندما رأوا أن بغلةً أخرجت روثَهَا!!

ورَوَوْا أن الحسين بن منصور الحلاج غضب يومًا على أسد ضرغام فأخذ بيده ثعبانًا وخرج من بوابة بغداد ودار حول المدينة وهو يقول «أنا الحق».

وروى أن أبا الخير التيناني كان يطوي الأرض من طرابلس إلى مكة. وكان الشيخ روز بهان يُخبر عما يدور في ضمائر الأشخاص ويجول في أذهانهم! وهو طبقًا للاتّفاق الذي تعاهد به مع الشيخ أبي بكر بن طاهر كان يقرأ بعد وفاته في كل سحر عشر القرآن عند القبر! والمثير أن هذا الشيخ ذاته رغم كل عشقه لِلَّهِ عشق امرأة مغنية وترك خرقة التصوف مدة من الزمن!

وهناك كثيرٌ من أمثال هذه الكرامات والمعجزات المنسوبة لأقطاب الصوفية والتي يطول نقلها وهي مروية في كتب الصوفية المكتوبة بالعربية أو الفارسية، والتي تُرَوَّجُ في عصرنا بسبب سياسة الاستعمار التي تشجِّع على نشر مثل تلك الخرافات فليُراجعها من شاء.

فإذا صحَّ الاستناد إلى مثل تلك الأوهام للاستدلال على تصرُّف بعض البشر في تدبير أمور الأرضين والسموات لكان جميع أولئك الأفراد الذين نُسبت إليهم تلك الكرامات مدبري أمور الكائنات! ولأصبح المتصرِّفون في أمور العالم، بدلاً من أربعة عشر معصومًا، أربعة عشر ألفًا بل أربعمئة ألف متصرف أو بعبارة أبسط «إله». ولم تعد هذه الفضيلة منحصرةً بأئمة الشيعة!! بل إن نسبة الكرامات والمعجزات إلى أولياء الدين ليست مقتصرة على المسلمين بل أهل كلّ ملّة ودين ينسبون إلى أوليائهم مثل هذه الأوهام.

وقد ادّعى بعض النصارى في تاريخ كنيستهم وقوع معجزات عجيبة لبعض رهبانهم وقديسيهم من النساء والرجال إلى حد أن أحد العلماء الكبار مثل «كاميل فلامريون» عالم الفلك الفرنسي الموحِّد، الذي لا يؤمن أصلاً بالكنيسة ورجال الدين النصارى، صدّق تلك المعجزات، وأورد بعضًا منها في مؤلفاته!

إن كُلَّ إشكال توردونه على هذه الادعاءات يمكن إيراد مثله على ادعاءاتكم! لأنه إذا كان رواة تلك المعجزات وناقلوها أفرادًا أو كان عددهم قليلاً فإن الأمر ذاته ينطبق على رواة المعجزات المنسوبة للأئمة!

وإن قلتم إن رواة تلك المعجزات كانوا من الصوفية والرهبان ولم يكونوا صادقين ولا عدولاً، فإن رواة المعجزات التي تنسبونها إلى الأئمَّة أيضًا أشخاص ليست عدالتهم وصدقهم مشكوك فيها فحسب بل كثير منهم -بتصريح كتب علم الرجال- كذّابون وغلاة!

إذن لا يمكن إثبات عقيدة بمثل تلك الحكايات والأوهام ولا يمكن اعتبار القيل والقال الصادران من كل مبتدع ضال حجَّةً ودليلاً.

[اعتراف صاحب كتاب «أمراء الكون» بعدم ادّعاء الأئمَّة لمقام الإمارة على الكون! ومحاولته الفاشلة للإجابة عن هذا الإشكال]

ثم ذكر آية الله العظمى(!) في الفصل الثالث من كتابه بعض الإشكالات التي قد ترد على ما ذكره من ادعاءات ثم شرع في الإجابة عنها: فقال في الصفحة ٨٠ مثلاً: «من الإشكالات الأخرى التي يطرحها بعضهم أن الأئمَّة أنفسهم لم يدّعوا أبدًا مقام حكم وقيادة العالم والسلطنة على الكون بل كذّبوا قولاً وعملاً كلَّ من ينسب إليهم مثل ذلك، وعلّة ذلك أنّ تلك الولاية والسلطنة المفترضة -كما ذكرنا- إنما تنشأ من كمال العلم والإرادة والعمل، أي لا بد أن يكون شخص الولي من ناحية العلم، محيطًا بجميع الأمور وبجميع جوانب عالم الملك والملكوت ومطَّلعًا على الغيب وعلى ظاهر العالَم وباطنه، لا تخفى عليه خافية ولا يعجز عن الإجابة عن أي سؤال ولا يحتاج إلى غيره لحل أي مشكلة، كما أنه من ناحية القوة لا يعجز عن التغلّب على أي عدو، ولا يمكن لأي حادثة أن تستأصله ولا لأي كارثة أو مصيبة مالية أو بدنية أن تقهره، ويجب عقلاً أن يكون معصومًا ومنزهًا من كل عيب ونقص عمليٍّ ومبرًّا ومطهَّرًا من كلِّ زلَّة وخطأ، كي يتمكَّن من إحراز مقام النيابة عن المنوب عنه الذي هو الله العالِم القدير المتَّصف بجميع صفات الكمال والمنزه عن جميع صفات النقص والعجز، ولكي يستحقَّ الخلافَةَ عن المستخلَف وقيادة ملكوت الله»! انتهى كلامه.

وأقول: **أولاً**: في الجمل المذكورة يقرّ آية الله العظمى! ذاته أن الأئمَّة عليهم السلام لم يدَّعوا لأنفسهم أبدًا مقام السيطرة على عالم الكون والتحكُّم فيه وقيادته وكذَّبوا هذه النسبة وخطَّأُوها قولاً وعملاً. بل إنهم -كما سنرى في بحث الغلو والغلاة من هذا الكتاب- لعنوا

لعنًا شديدًا، كرروه مئات المرات وربما آلاف المرات، كلَّ من نسب لأحدهم شيئًا من تلك الصفات بل حتى من نسب إليهم ما هو أقل من ذلك، وتبرؤوا منه، وحذَّروا أصحابهم ومحبيهم وشيعتهم من مجالسة أمثال هؤلاء الغلاة الذين ينسبون إليهم تلك المقامات.

لكن العجيب أن «آية الله العظمى» هذا يريد أن يثبت للأئمة عليهم السلام عين ما كانوا يكذِّبونه ويخطِّئون القول به- حسب إقراره نفسه-!!

أجل، كثيرًا ما يوجد بين المريدين والأصدقاء أفرادٌ حمقى وجهلاء تدفعهم محبتهم إلى الإساءة إلى محبوبهم، وذلك مثل قصّة الدبّ الذي أنقذه صاحبه من فم الثعبان فأراد أن يكافئ صاحبه على ذلك فلما رآه نائمًا ورأى ذبابة تحطُّ على وجهه وتزعجه أخذ صخرةً ورماها على الذبابة فأودى بحياة الرجل! وانطبق عليه المثل الصديق الأحمق عدو! و ربما كان سبب ادعاء من ادعى الألوهية من أمثال فرعون وشدَّاد ونمرود وزعماء الملل والنحل الباطلة كالباب والبهاء، هو فرط حماقة مريديهم وأتباعهم. كما نقلوا في أحوال الميرزا «حسين علي البهاء المازندراني» [مؤسس نحلة البهائية الباطلة] أنه قال لأحد مريديه المتحمِّسين ويدعى الميرزا «روح الله»: أيها الميرزا لو أنني أقررت لك أنني لستُ الله فهل تكف عن إيمانك بألوهيتي؟ فأجابه الميرزا روح الله قائلاً: كلا يا سيدي! لو فرضنا جدلاً أنك كففت يومًا ما عن قولك بألوهيتك فإنني سأقوم بدعوتك إلى ألوهية نفسك وأثبت لك بالدليل أنك الله!!!

وهنا فإن صاحبنا آية الله العظمى الذي قَرَأَ نفسَه أخبار أهل بيت النبي الأطهار التي يعلنون فيها مرارًا وتكرارًا براءتهم ممن ينسب إليهم تلك الكفريات، ويلعنون أصحابها الغلاة، وحسب قوله يُخطئونهم ويكذبونهم، ورغم ذلك يُصروا على إثبات أن الأمر غير ذلك!

لو كان الأئمَّة أنفسهم عليهم السلام حاضرون لربما أراد بمثل هذه الأدلة المتهافتة المتهاوية أن يُبلِّغهم قائلاً: كلا إن الأمر ليس على ما تقولون، أنتم متصرّفون في الكون والمكان ومدبّرون لعالَم الإمكان!! رغم أنكم تُظهرون البراءة من القائلين بهذا الأمر وتلعنونهم، أي أنكم أنتم أنفسكم لا تعلمون أنكم آلهة ولكن الآخرين يعلمون ذلك!!

ثانيًا: لقد ظنّ جناب آية الله العظمى هذا أن القدرة على إدارة أمور العالم وتدبير أمور المخلوقات وكل ما في مُلْكِ الله وملكوته من الأرض والسموات يحتاج فقط إلى "أن يكون الشخص قادرًا على الإجابة عن كل سؤال وغير محتاج إلى غيره لحل أي مشكلة، كما أنه من ناحية القوة لا يعجز عن التغلب على أي عدو، ولا يمكن لأي حادثة أن تستأصله ولا لأي كارثة أو مصيبة مالية أو بدنية أن تقهره... "، هذا مع أنه من الممكن أن يوجد بين أفراد البشر بعض من يتصف ببعض تلك الصفات دون أن يؤدي ذلك إلى كونهم الله! هذا رغم أنه مما لا ريب فيه أن الأولياء والأئمَّة لم يكونوا أبدًا متصرفين في الكون والمكان وأن تاريخهم وسيرتهم تشهد أنهم لم يكونوا يملكون أيًّا من تلك الصفات الإلهية المنسوبة إليهم، كما يُقِرُّ آية الله هذا ذاته بذلك، حين يقول في الصفحة ٨١ من كتابه: «ولكننا عندما ندرس تاريخ حياة الأئمَّة وكيفية معيشتهم نرى أنهم حسب الظاهر لم يكونوا يتمتَّعون بتلك المراتب الثلاثة التي بيّناها، بل نجد في حياتهم أمورًا توهم خلاف تلك المقامات».

ثم بدأ بشرح عجز الأئمَّة عن الاتصاف بتلك المراتب، ببيان أنهم كثيرًا ما كانوا يُبيِّنون عدم اطلاعهم على بعض الأمور وأنهم كانوا محكومين للظروف المحيطة بهم ومقهورين للطبيعة وحوادث الزمان، ومن ناحية العصمة يمكن أن نجد في أقوالهم ما يخالف ذلك خاصة ضمن أدعيتهم ومناجاتهم لِـلَّهِ حيث يعترفون بذنوبهم ويقرون بخطاياهم!

فأقول: **أولاً**- حتى لو كان هناك شخصٌ متمتِّعٌ بما ذكرته من أوصاف أي أن يكون محيطًا بجميع الأمور وبجميع جوانب عالم الملك والملكوت ومطلعًا على الغيب وعلى ظاهر العالَم وباطنه، لا تخفى عليه خافية ولا يعجز عن الإجابة عن أي سؤال ولا يحتاج إلى غيره لحل أي مشكلة، وقويًّا إلى درجة لا يعجزه معها التغلب على أي عدو، ولا يمكن لأي حادثة أن تستأصله ولا لأي كارثة أو مصيبة مالية أو بدنية أن تقهره....الخ، أقول حتى في مثل هذه الحالة المفترضة، لا يمكن لم أُتصف بذلك أن يكون نائبًا عن الله المتصف بجميع صفات الكمال والمنزه عن جميع صفات النقص، ولا أن يكون خليفةً لِـلَّهِ في إدارة ملك الله، لأن الله أعظم وأكبر بكثير وكثير جدًّا مما تتصوَّره، وإدارة أمور العالم وتدبير عالم الإمكان يحتاج إلى

صفات كاملة أكثر بكثير وكثير جدًّا جدًّا مما تظنه ومما تذكره من عدم عجزه عن الإجابة عن أي سؤال و......! هذا بمعزل عن أن الله المتعال لا يحتاج إلى نائب أو وزير أو خليفة لينوب عنه في إدارة أمور مملكته، ومن يقول بمثل ذلك يكون من أسوأ المشركين والكفار!

ثانيًا- لدينا أخبار وآثار عديدة عن الأئمَّة الأطهار عليهم السلام تدل على أنهم كانوا يبرؤون من نسبة تلك الأمور إليهم وأنهم كانوا يتأذَّون ممن ينسب إليهم ذلك ويلعنونه ويدعون عليه، وأنهم كانوا يُظهرون في مناجاتهم وأدعيتهم كمال العبودية والعجز والتقصير أمام الله. ومع ذلك تأتي لتثبت استنادًا إلى عدد من الأحاديث الموضوعة الواهية التي لا تعدو تُرّهات افتراها بعض الغلاة وأعداء الدين والتي ذكرتَ نماذج عديدة منها في كتابك، أن الأئمَّة كانوا نوّاب الله وخلفاءه في إدارة أمور ملكه رغم أنه حتى لو صحت جميع تلك الروايات الكاذبة والمغالية فإنها لن تثبت ذلك المعنى الذي تريد إثباته!

فهل تريد القول إن أولئك الأجلّاء الكرام كانوا يُظهرون عجزهم وعبوديتهم في خلوتهم مع الله، أما في جلوتهم وأمام الناس فكانوا يدَّعون الصفات الإلوهية!! وهذا معناه أنهم كانوا -والعياذ بالله- منافقين مخادعين للعوام!!

أي أنهم كانوا مثل فرعون إذا خلا بينه وبين الله عرف عبوديته وأظهرها، أما إذا كان في حضور الناس ادَّعى أنه ربهم الأعلى، خلافًا لموسى عليه السلام الذي كان يظهر في خلوتِه وجلوتِه عبوديتَه المحضةَ لِلَّهِ تعالى، فهل هناك من تهمة أسوأ من ذلك يمكن أن يُتَّهَمَ بها الأئمَّة عليهم السلام ؟! **والآن لنرَ ما هي أدلتك لحل ذلك الإشكال الذي ذكرته:**

كتب آية الله العظمى(!) وهو يتحدث عن موضوع علم الإمام وإحاطته بجميع جهات العالم وجوانبه: "اعلم أن علم أولياء الله إراديٌّ يعني أنهم إذا أرادوا أن يعلموا عَلِمُوا وإذا لم يريدوا أن يعلموا بموضوع ما لم يعلموا به "!

فإن قلنا ما الدليل على أن علمهم إراديٌّ على هذه الصورة؟ [*والمعنى بالطبع في قلب الشاعر!*] لعلّهم سيُجيبوننا ببعض الأحاديث المعلولة ذات السند الضعيف المليئة بالمجاهيل، وقد أتى العلامة المجلسي (ره) في شرحه لأحاديث الكافي في كتابه «**مرآة العقول**»، بثلاثة من

تلك الأحاديث تحت عنوان «باب في أن الأئمَّة إذا شاؤوا أن يعلموا علموا» فحكم على اثنين منها بالضعف وعلى الثالث بالجهالة! فكيف يمكن إثبات عقيدة مخالفة للعقل والنقل، بشأن الأئمَّة -سلام الله عليهم-، بثلاثة أحاديث ضعيفة ومجهولة؟!

وأما من ناحية العقل، فمن المعلوم أن الإنسان متعطِّش بطبيعته للعلم والمعرفة. والعلمُ بكلِّ شيء أفضلُ من الجهل به، فكيف ولماذا لا يريدون أن يعلموا؟!

ومن ناحية النقل، فإن رسول الله ﷺ وهو أفضل المخلوقات - أُمر، كما تفيده آيات القرآن الكريمة، أن يطلب من الله أن يزيده علمًا ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [طه: ١١٤]. فكيف يُمكننا أن نصدِّق بأمر مخالف للعقل والوجدان ومباين ومضاد لآيات القرآن استنادًا إلى مثل تلك الأحاديث الضعيفة المتهافتة؟

الآن لنأتِ إلى الأحاديث التي ذكرها آية الله العظمى واعتبرها دليلاً على ادعائه علم الأئمَّة بجميع العلوم:

أحدها خبرٌ عن أمير المؤمنين أنه قال لابن عباس في تفسيره لآية البسملة: «**أنا نقطة باء بسم الله**»![1].

أقول: إنني مقيمٌ الآن وأنا أخط هذه السطور في فصل الصيف هذا، في قريةٍ من قرى «قُم» (قرية ديزيجان)[2] ولا أملك الوصول إلى مكتبتي حتى أحقق في سند هذا الحديث، لكن رغم ذلك يمكنني الجزم استنادًا إلى وقائع التاريخ المسلَّم بها أن هذا الحديث موضوعٌ وكاذبٌ. وأكذَبُ الحديث ما كذَّبه التاريخ! كما يقول الشهيد الثاني (ره) في كتابه «**الدراية**».

وتوضيح ذلك أنه طبقًا للتواريخ المعتبرة لم يبدأ تنقيط المصاحف أي وضع النقاط فوق أو تحت الحروف ذات النقط إلا في زمن عبد الملك بن مروان [الأموي]، وأما قبل ذلك فلم

---

(١) الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي (١٣٢٤هـ)، **منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة**، ج ١٩، ص ٣٢٤.

(٢) هي مسقط رأس المؤلف قلمداران رحمه الله، وهي قرية صغيرة تقع على بعد حوالي ٥٠ كيلومترًا إلى الجنوب الغربي من مدينة «قم» وكان المؤلف يقضي فيها الصيف فرارًا من شدَّة حرِّ مدينة «قم». (تر)

تكن هناك أي نقطة في نسخ المصاحف المنتشرة بين أيدي المسلمين، كما نشاهد ذلك اليوم فيما تبقَّى من نسخ مخطوطة قديمة للمصاحف التي تعود إلى ذلك الزمن، حيث لا نجد فيها أيّة نقاط. إذن لم تكن في زمن أمير المؤمنين ﵇ أيُّ باء ذات نقطة حتى يقول عن نفسه أنه باء بسم الله! فالحديث بتصديق التاريخ مكذوب مختلقٌ من أساسه[1].

والحديث الآخر الذي أتى به وأراد أن يثبت به العلم غير المتناهي (!) للأئمة ﵈ قصة مناظرة الإمام الصادق لأبي حنيفة، وهي قصة مستبعدة يصعب تصديقها رغم ورودها في بعض كتب الحديث! ونعتذر عن تحليل سندها هنا للعلة ذاتها التي ذكرناها أعلاه[2]. ولكننا لا يمكننا عقلاً أن نصدق أبدًا أن يكون الإمام الصادق في صدد الطعن في الأئمَّة والفقهاء المعاصرين له ولا أن يكون معاديًا لأبي حنيفة الذي كان من محبي الإمام الصادق وكان لا يُخفِي محبته لأهل البيت ونصرته لهم.

ومع ذلك فإن آية الله العظمى! كتب يقول: «سأل الإمامُ الصادقُ ﵇ أبا حَنِيفَةَ وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: يَا نُعْمانُ! أَيُّهُمَا أَطْهَرُ الْـمَنِيُ أَمِ الْبَوْلُ؟ قَالَ: الْـمَنِيُّ قَالَ: فَقَدْ جَعَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْبَوْلِ الْوُضُوءَ وَفِي الْـمَنِيِّ الْغُسْلَ؟ وَلَوْ كَانَ يُحْمَلُ عَلَى الْقِيَاسِ لَكَانَ الْغُسْلُ فِي الْبَوْلِ. وَأَيُّهُمَا أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ الزِّنَاءُ أَمْ قَتْلُ النَّفْسِ؟ قَالَ: قَتْلُ النَّفْسِ. قَالَ: فَقَدْ جَعَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَتْلِ النَّفْسِ شَاهِدَيْنِ وَفِي الزِّنَاءِ أَرْبَعَةً وَلَوْ كَانَ عَلَى الْقِيَاسِ لَكَانَ الْأَرْبَعَةُ الشُّهَدَاءُ فِي الْقَتْلِ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ. وَأَيُّهُمَا أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ الصَّلَاةُ أَمِ الصَّوْمُ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ قَالَ فَقَدْ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْـحَائِضَ أَنْ تَقْضِيَ الصَّوْمَ وَلَا تَقْضِيَ الصَّلَاةَ وَلَوْ كَانَ عَلَى الْقِيَاسِ لَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ تَقْضِيَ الصَّلَاةَ فَاتَّقِ اللهَ يَا نُعْمَانُ وَلَا تَقِسْ فَإِنَّا نَقِفُ غَدًا نَحْنُ وَأَنْتَ وَمَنْ خَالَفَنَا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ فَيَسْأَلُنَا عَنْ قَوْلِنَا وَيَسْأَلُكُمْ عَنْ قَوْلِكُمْ فَنَقُولُ قُلْنَا قَالَ اللهُ وَقَالَ رَسُولُ اللهِ وَتَقُولُ أَنْتَ

---

(١) راجعوا كتابنا «**عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول**»، ص٢٣٩ و٢٤٠ و ٢٩١. (**البرقعي**)

(٢) من رجال سند هذه القصة: «بشير بن يحيى العاملي» وهو مهمل، و«ابن أبي ليلى» وقد ضعّفه بعض علماء الرجال، و«عيسى بن عبد الله القرشي» وهو مهمل أيضًا (**البرقعي**).

وَأَصْحَابُكَ رَأَيْنَا وَقِسْنَا فَيَفْعَلُ اللهُ بِنَا وَبِكُمْ مَا يَشَاء![1].... فعجز أبو حنيفة عن الإجابة على جميع تلك الأسئلة وأُفحم ولم يحر جوابًا»!!

أقول: يبدو أن آية الله العظمى يرى أن مثل هذا يثبت أهلية الإمام لإدارة الكون والتصرف في عالم الإمكان!! والواقع أنني أعتقد أن مثل هذه المناظرات الْمُخْتَلَقَة افتُريت مِنْ قِبَل أشخاص مُتعصِّبين كانوا يريدون إثبات عداوة وهمية بين الإمام الصادق عليه السلام وأبي حنيفة وأن يُصوروهما خصمين يُواجه أحدهما الآخر، كي يتوصلوا من خلال إظهار غلبة الإمام لأبي حنيفة وإفحامه له إلى المباعدة بين أتباع الإمامين أكثر فأكثر! وإلا فإن ما ذُكر من أمور لا يمكن أن تخفى على فقيه مثل أبي حنيفة (رح) أو على عالم يُراد اعتباره عالمًا بالكون والمكان ومدبِّرًا لأمور العالم مثل الإمام الصادق عليه السلام؟!!

والعجيب أن الإمام الصادق نفسه -حسب ادعاء الرواية- لم يجب على تلك المسائل المشكلة (!) واكتفى بإشكال نقضيّ على كلام أبي حنيفة!!

وفيما يلي الإجابة عن هذه المسائل من هذا العبد الفقير إلى الله الذي لا يدعي أي علم وفضل، ويشهدُ الله أنني لم أسمع حتى الآن أي جواب لا عن الإمام الصادق ولا عن غيره عن هذه المسائل، ولكنني بالميزان الذي أملكه من علوم الإسلام الشرعية، أجيب عن تلك الإشكالات إجابة تكفي لإخراج أبي حنيفة -الْمُتَخَيَّل- من الإفحام الذي ادُّعِيَ أنه وقع فيه. وفي الواقع تكفي لبيان كذب مختلق هذه القصة، وإنما أفعل ذلك انطلاقًا من محبتي الصادقة للإمام جعفر الصادق عليه السلام وآبائه الكرام عليهم السلام.

فأقول: إن قول أبي حنيفة -حسب ادعاء الرواية- أن البول أشدُّ نجاسةً من المنيِّ قولٌ صحيحٌ، لأن العلم والتجربة أثبتتا أن البول أنجس من جميع النجاسات، [حيث يحتوي على جميع الفضلات والسموم التي يطرحها الدم عن البدن] كما أن شرع الإسلام المطهر يقول

---

(١) هذا الخبر منقول في كتاب «**دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام**» لأبي حنيفة النعمان بن محمد المغربي الشيعي (-٣٦٣هـ)، ج ١، ص ٩١. ونقله عنه ابن شهرآشوب في كتابه **المناقب**، ج ٤، ص ٢٥٣، والطبرسي في **الاحتجاج**، ج٢، ص ٣٦١، والمجلسي، **بحار الأنوار**، ج ٢، ص ٢٨٧.

بذلك إذْ يكتفي في غسل كل نجاسة بعد زوال عينها بغسلها مرَّةً واحدةً إلا البول فإنه يأمر بغسله مرتين على الأقل.

أما لماذا وجب الغسل من خروج المنيِّ ولم يجب من خروج البول؟ فَعِلَّتُه أن عملية قذف المنيّ تتشارك فيها جميع الأعصاب، ولما كانت الأعصاب بمثابة الشبكة المحيطة بجميع البدن، فإننا نجد أنه عند المعاشرة وقذف المني تحدث قشعريرة وارتخاء في جميع أعضاء الجسم، كما يخرج من الإنسان عرقٌ ذو رائحة خاصة بعد قذفه للمنيِّ مما يدلّ على أن جميع البدن اشترك وتفاعل خلال عملية القذف هذه. لذا وجب غسل جميع البدن مرَّةً على الأقل [كي يستعيد البدن نشاطه]. وليس في ذلك ما يتنافى مع كون البول أشدُّ نجاسةً من المنيّ.

أما عن المسألة الثانية التي ادَّعَتْ الروايةُ أن الإمام الصادق سأل أبا حنيفة عنها وهي: هل الصلاة أفضل أم الصوم؟ وإجابة أبي حنيفة بأنها الصلاة! فأقول إن إجابة أبي حنيفة صحيحةٌ تمامًا والصلاة أفضل من الصوم فعلاً بدليل العقل والنقل، وقد قال النبي ﷺ فيما رُوي عنه: «**وجُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصلاة**». أما لماذا وجب على الحائض أن تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة، فعلة ذلك أنه لا يوجد في السَّنَة كلِّها سوى شهر واحد للصوم، فإذا حاضت المرأة فيه - ونعلم أن أقل مدة الحيض ثلاثة أيام وأكثرها عشرة - وأخذنا بأكثر مدة الحيض، لما وجب على المرأة سوى قضاء صوم عشرة أيام في السنة كلها [وهذا أمر ميسور]، بخلاف الصلاة، التي حتى لو أخذنا بأقل مدة الحيض أي ثلاثة أيام، تترك فيها الحائض الصلاة، وقلنا بوجوب قضائها لوجب على المرأة قضاء مئة وثمانين صلاة في السنة وهذا تكليف شاق والشريعة السمحة السهلة لا تكلف النفس بمثله لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، و﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ [الحج: ٧٨]، لذا أُعْفِيَت المرأة من قضاء الصلاة رغم أفضليتها على الصوم.

أما عن سؤال الإمام هل قتل النفس أعظم أم الزنا وإجابة أبي حنيفة بأنه القتل، فإن جواب أبي حنيفة صحيح تمامًا، لأن الله تعالى اعتبر في آيات القرآن إثم القتل أكبر من إثم الزنا

(سورة المائدة: ٣٢)[١]، ولأن العقل السليم أيضًا يشهد بهذا بكل وضوح، ومما يدل على ذلك أن حد الزنا -بعد ثبوته- مئة جلدة أما حد القتل فهو القتل. أما لماذا اكتُفي لإثبات القتل بشاهدين في حين لم يكف لإثبات الزنا إلا أربعة شهداء فعلة ذلك أن وقوع القتل معلوم وغير قابل للتشكيك به لذا كل ما يلزم هو معرفة مرتكبه وهذا يمكن أن يتحقق من خلال شاهدين. أما وقوع الزنا فهو أمر غير معلوم وإثباته صعب، ولذلك فإن مجرد وجود امرأة ورجل غير محرم في سرير لا يثبت وقوع الزنا ولا يتم إثبات ذلك إلا بمشاهدة أربعة أشخاص لكيفيةٍ تثبت وقوع الجرم [كالميل في المكحلة] أما سائر الكيفيات كالتقبيل والمعانقة والعري في مكان واحد....الخ فلا تكفي في إثبات وقوع الزنا. إذن تبين أن إثم القتل أكبر من إثم الزنا، رغم ثبوت القتل بشاهدين وحاجة إثبات الزنا إلى أربعة شهود.

ثم إنه من الواضح أن معرفة جواب تلك المسائل لا تجعل صاحبها محيطًا بجميع جوانب عالم الملك والملكوت ومطّلعًا على جميع الغيوب وعلى باطن العالم وظاهره!! ولم يكن الإمام الصادق عليه السلام -إن صحت هذه الرواية عنه- يسعى من خلال طرح تلك الأسئلة إلى إثبات تلك الصفات لنفسه، لأن أبا حنيفة لم يكن يدَّعي ذلك أو ينفيه. فإتيانك بمثل هذه الرواية أمر لا فائدة منه وقد أبعدك عن قصدك مسافات بعيدة!! وكما قلنا من الظاهر أن من اختلق هذه المناظرة كان يهدف إلى تقوية النزاع الطائفي بين مذاهب المسلمين و تعميق الفرقة بينهم، وإلا فإن أبا حنيفة -كما ذكرنا- كان من محبي الإمام الصادق وسائر أئمة أهل البيت الكرام[٢]، كما صرح بذلك الشيخ الطوسي (ره) في كتاب «**أسماء الرجال**» طبقًا لما رواه

(١) أي قوله تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا....﴾ [المائدة: ٣٢].

(٢) قال العلامة عبد الجليل الرازي -ره- في كتاب «**النقض**» (١٣٠): "امتنع أبو حنيفة عن الإقرار بإمامة أبي جعفر المنصور رغم إصرار الأخير وإلحاحه عليه في ذلك وكان أبو حنيفة يقول: إن الإمامة لزيد بن علي أو جعفر الصادق أو من اختاراه. ولذلك قام أبو جعفر المنصور بسجن أبي حنيفة ثم سمّه في الحبس فمات وهو محبوس. وفضلاء أصحاب أبي حنيفة يعلمون أن أبا جعفر المنصور قتل أبا حنيفة بسبب ولائه

العلامة عبد الجليل الرازي في كتابه «**النقض**» (ص٢٠٤): "وكان محمد بن إدريس الشافعي من أصحابنا ". إذن تبين أن أبا حنيفة والشافعي كلاهما كانا من محبي أهل بيت رسول الله ﷺ.

ثم دخل آية الله العظمى في الصفحة ٣٢٤ من كتابه في موضوع كيفية علم الإمام فقال: "وأما كيفية علم الأئمَّة ومقدار علمهم وميزانه فإن هذا المختصر لا يتسع لبيانه وشرحه بشكل وافٍ ". يعني هل لو كان كتابكم مفصّلاً أكثر كان بإمكانكم بيان ذلك؟!

ثم أتى لأجل إثبات مدعاه ببعض الأحاديث الواردة في باب علم الإمام في كتاب أصول الكافي والتي تنسب إلى الأئمَّة عليهم السلام قولهم إننا كذا وكذا....، ومن جملة ذلك حديث تحت عنوان: «بَابٌ فِيهِ ذِكْرُ الصَّحِيفَةِ وَالْـجَفْرِ وَالْـجَامِعَةِ وَمُصْحَفِ فَاطِمَةَ عليها السلام»، ونصه: "عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الْـحَجَّالِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الْـحَلَبِيِّ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ! إِنِّي أَسْأَلُكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ، هَاهُنَا أَحَدٌ يَسْمَعُ كَلَامِي؟؟ قَالَ: **فَرَفَعَ أَبُو عَبْدِ الله** عليه السلام **سِتْرًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَيْتٍ آخَرَ، فَاطَّلَعَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ! سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ...** "[1].

لآل الرسول وحبه لهم... وقد رَوَى [أبو حنيفة] عن محمد الباقر وجعفر الصادق وكان موحدًا وعدليًّا ومتوليًّا لآل المصطفى وانتقل إلى جوار رحمة ربه." انتهى. قلت: فقول المؤلف المحترم إن أبا حنيفة كان من محبي الإمام الصادق وأئمة هل البيت الكرام قول صحيح تمامًا وقد أيد أبو حنيفة الإمام زيد بن علي بن الحسين في خروجه على هشام بن عبد الملك الأموي. وقال حضرة الإمام الصادق: "**رحم الله أبا حنيفة لقد تحققت مودته لنا في نصرته لزيد بن علي**". **(البرقعي)**

(١) روي هذا الحديث في **أصول الكافي** (١، ٢٣٨ - ٢٣٩) عن «أحمد بن محمد» عن «عبد الله الحجال» عن «أحمد بن عمر الحلبي» عن أبي بصير. والسؤال هو: كيف أمكن لأحمد بن عمر الذي كان من أصحاب الإمامين الرضا والجواد أن يروي مباشرة وبلا واسطة عن أبي بصير الذي كان من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم؟!

ومن المفيد أيضًا الرجوع بشأن هذا الحديث وسائر أحاديث الباب إلى التنقيح الثاني لكتابنا «**عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول**»، ص ٥٥٤ فما بعد. **(البرقعي)**.

واللطيف في هذا الخبر أن الإمام الذي قيل إنه يعلم بما كان وما يكون -حسب عقيدة الغلاة- ويحيط بجميع عوالم الوجود، لم يكن يعلم بما في الغرفة المجاورة في بيته خلف الستارة ويحتاج إلى إزاحة الستر ليطمئن إلى عدم وجود أحد يسمع كلامه في الغرفة المجاورة! والأطرف من ذلك أنه لما كان أبو بصير يريد سؤال الإمام عن علم الغيب فإن الإمام بعمله ذاك أجاب عن جميع أسئلته! لأن من يخفى عليه ما يجري في الغرفة المجاورة من بيته كيف تسأله أنت عن علوم الغيب؟!

فإن قيل: إن رفع الستر الذي قام به الإمام الصادق عليه السلام كان لأجل أبي بصير كي يرى أن لا أحد في الغرفة المجاورة! فالجواب أن أبا بصير كان أعمى فلم يكن يحتاج إلى رفع الستر للنظر أصلاً. فإذا رفع الإمام الستر فقد فعل ذلك لأجل نفسه وليطمئن إلى عدم وجود أحد.

ويقول هذا الحديث إن الإمام قال لأبي بصير: "**إِنَّ عِنْدَنَا عِلْمَ مَا كَانَ وَعِلْمَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ. قَالَ: قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ! هَذَا وَاللهِ هُوَ الْعِلْمُ. قَالَ: إِنَّهُ لَعِلْمٌ وَلَيْسَ بِذَاكَ! قَالَ قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ! فَأَيُّ شَيْءٍ الْعِلْمُ؟! قَالَ: مَا يَحْدُثُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِ الْأَمْرِ وَالشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ!**"(١). وليس من الواضح في هذه الجمل هل قال الإمام إن هذا العلم خاص بنا أم خاص بالله!

هذا في حين أن هناك أحاديث أخرى تقول: إن مصحف فاطمة ليس فيه سوى الأحكام ولا علاقة له بعلم ما كان وما يكون الذي يدّعونه، أي كان فيه تلك الأحكام التي يحتاج إليها الناس فحسب. وعلى كل حال حتى لو امتلك شخص مصحف فاطمة الذي فيه علم ما كان وما يكون فإنه لا يُصبح بذلك مدبّرًا لعالم الإمكان ومتصرّفًا في الكون والمكان. ولم يكن أبو بصير يعتقد أبدًا في حق الأئمَّة بمثل هذه العقيدة! كما سيأتي شرح ذلك قريبًا في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وقال جناب آية الله العظمى (!) مستنتجًا من هذا الحديث: "بناء على ذلك لا يخفى عن

---

(١) الكُلَيْنِيّ، **الكافي**، ١، ٢٤٠. [تر].

علمهم شيءٌ مهما كان بعيدًا في الزمان أو المكان ومحجوبًا خلف الأستار، فهم مطّلعون على ضمائر القلوب وقعر الأرض وأوج السماء وأعماق البحار "!

لاحظوا كيف يستنتج من ذلك الحديث الواحد كل هذه النتائج العجيبة والغريبة! ثم يستنتج أيضًا قائلاً: "إن رئيس وزراء البلاط الإلهي لا بد أن يكون مطلعًا على جميع بقاع مملكة الوجود "!!

وأقول: لو صح هذا التشبيه فيجب أن ننتبه إلى أن رئيس الوزراء يجب أن يكون أكثر اطّلاعًا من الملك نفسه على أحوال المملكة لأن عدم اطّلاع الملك على بقعةٍ من مملكته لا يعيبه بقدر ما يعيب عدم اطّلاع رئيس وزراءه على ذلك! ولكن علينا أن نرى هل يحتاج الله إلى رئيس للوزراء حتى يكون رئيس وزرائه مطّلعًا على جميع بقاع مملكته أم لا؟ إن كل مُوَحِّد مؤمن بالقرآن يعتقد أن القول برئيس للوزراء في سلطان الله شرك وكفر!

ثم أورد حديثًا من كتاب «بصائر الدرجات» ينسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام قوله: "**فقال يا رميلة! ليس من مؤمن يمرض إلا مرضنا بمرضه ولا يحزن إلا حزنًا بحزنه ولا يدعوا إلا آمنًا لدعائه!...** "[(١)].

وينبغي أن نقول: **أولاً**- إن متن هذا الحديث أيًّا كان مصدره مخالفٌ للعقل ومردودٌ. لأنه إذا كان الأئمَّة يمرضون لمرض كل مؤمن ويحزنون لحزنه للزم من ذلك أن يكونوا مرضى وحزانى على الدوام وفي جميع الأوقات وأن يزيد مرض كل فرد من الشيعة من شدة مرض الإمام إلى أن تصبح درجة حرارة الإمام مئات آلاف الدرجات المئوية مما لا يتحمّله أي صخر جلمود أو جبل أشمّ، والأمر كذلك بالنسبة إلى حزنهم!!

اللهم إلا أن نقول: إن شيعة الإمام أفراد قليلون جدًّا لا يتجاوزون عدد أصابع اليد الواحدة! أو أن نقول إن طاقة الأئمَّة في تحمل الأمراض طاقة هائلة يمكنهم معها أن يتحملوا

---

(١) محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (٢٩٠هـ)، «**بصائر الدرجات**»، ط٢، انتشارات كتابخانه آية الله مرعشي النجفي، ١٤٠٤هـ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠. (تر).

مليون درجة حرارة مئوية! وكلا التصورين حماقة وسذاجة!!

ثانيًا- إن الكتاب الذي نقل «آية الله العظمى» عنه هذه الرواية، أي كتاب «**بصائر الدرجات**» المنسوب إلى محمد بن الحسن الصفار، يشتمل على الكثير من الغلو والأباطيل وكثير من الأمور البعيدة عن العقل والإنصاف، إلى درجة أن الشيخ الجليل «محمد بن الحسن بن الوليد» (ره) الأستاذ الكريم للشيخ الصدوق، والشيخ الصدوق نفسه أيضًا وأبوه، كلُّهم اعتبروا أن ذلك الكتاب ليس من تأليف الصفار بل هو كتاب منحول ولا يستحق الاعتناء به[١].

ثالثًا- راوي تلك الرواية هو «**أبو داوود نفيع بن الحارث السبيعي**» الذي صرّح المرحوم ابن الغضائري بأن في رواياته مناكير ولا بد من التوقُّف فيها[٢]. وأورده العلامة الحلي في خلاصته ضمن الضعفاء[٣].

رابعًا- في متن الرواية المذكورة أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لرميلة: **"يا رميلة ليس يغيب عنا مؤمن في شرق الأرض ولا في غربها "!**

هل تريد يا آية الله العظمى(!)أن تثبت تصرف الإمام وعلمه بما كان وما يكون بمثل هذا الحديث المتهافت الباطل المنكَر؟! أم أنك تثبت في الواقع أن الغريق يتشبّث بأي حشيش!

ثم استنتجَ من هذا الحديث نتيجةً عجيبةً غريبةً تُعتبَر كفرًا صريحًا فكتب يقول: "والخلاصة إن علم الأئمَّة كان عين علم الله الذي أشار إليه الربّ عزّ وجلّ بقوله: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣] "!! (**أمراء الكون**، ص ٣٢٩).

أقول: لم نسمع من أي مشرك حتى الآن شركًا بمثل هذه الصراحة، وحقًّا إن كل من له

(١) قال الشيخ الصدوق: "كلما لم يصححه ذلك الشيخ قُدِّس سره ولم يحكم بصحته من الأخبار فهو عندنا متروك غير صحيح". (**تنقيح المقال**، ج٣، ص١٠٠).

(٢) **تنقيح المقال**، ٣، ٣٧٥. و**رجال التفرشي**، ص٣٦٦.

(٣) **رجال العلامة الحلي**، طبع النجف، ص٢٦٢.

أدنى اطّلاع على أسس الإسلام ومن كان مؤمنًا بعقائد هذا الدين، يعسر عليه جدًّا أن يتحمّل مثل هذا الكفر لاسيما أن كلمات الكفر هذه تُعرّض أبناء ديننا ومواطنينا إلى الذل والشقاء أمام سائر المسلمين بل أمام جميع عقلاء العالم، وهذا هو السبب الذي جعلني أتجشّم العناء وأتحمّل الأضرار والتهم التي يُوجّهها إليّ بعض الجهلة وعوام الناس الذين غرّر بهم أمثال آية الله العظمى(؟!) هذا، وأقوم بتأليف هذه الرسالة عن الشيعة الصادقين وتنزيه الأئمَّة الكرام عليهم السلام من هذه الأمور الباطلة التي تُنسب إليهم كذبًا وزورًا، ولم تأخذني في هذا السبيل لومة لائم لأن الأمر قد وصل إلى حدّ لم يعد فيه جائزًا الخوف من القتل والنهب والحرق والضرب في هذا السبيل ولابُدّ من إزالة هذه البدع وهذا الشرك بكل وسيلة ممكنة. ويعلم الله أن الجهاد في هذا السبيل أعلى وأكثر فائدة بكثير من جهاد الكفار والمشركين. لأن الفتنة طلعت برأسها من الداخل والعدوّ هاجمنا من داخل منزلنا، وعلى الإنسان أن يتوقّى من العدو الداخلي أكثر من اتّقائه الخصم الخارجي! وبالله التوفيق وعليه التكلان وهو المستعان.

عدوى در خانه خنجر تيز كرده تو از خصم برون پرهيز كرده؟!

[وترجمته]:

العدو سنَّن حدَّ خنجره في داخل البيت

وأنت مشغولٌ بتوقِّي عدوّك الخارجي؟!

سلسلة طريق النجاة من شر الغلاة ٣

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾

[البقرة: ٢٥٤]

بحث حول الشفاعة وحقيقتها

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين، الْـحَمْدُ لِـلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين.

قبل عدة سنوات، ألّفتُ كتابي «**راه نجات از شرِّ غُلاة**» (أي سبيل النجاة من شر الغلاة) للردّ على كتاب «**أمراء هستى**» (أي أمراء الكون) وأعطيته لإحدى المطابع في قم لطباعته، إلا أنه مع الأسف بسبب عرقلة المسؤولين لطباعة الكتاب والموانع التي أوجدوها - وكانت مُتَوَقَّعة في مثل تلك البيئة- تمّ إعاقة إكمال طباعة الكتاب مما اضطرني إلى تقسيمه إلى عدة أجزاء وطباعة كل جزء على حدة في بلدة أو بلدتين في عدة مطابع. والكتاب الحالي هو القسم المتعلق ببحث الشفاعة من كتابنا المذكور أعني «**راه نجات از شرِّ غُلاة**» أُقدِّمُهُ اليوم بعون الله تعالى لطالبي الحق والحقيقة آملاً أن يكون سببًا ليقظة مجتمعنا الضال وهدايته، إذ إننا نعلم أن السبب الأصلي والأهم لنفور جيل الشباب من مسائل الدين والإيمان هو انتشار الخرافات واتّساع الأوهام التي تُرَوَّج بين الناس باسم حقائق الدين، وأهم تلك الأوهام هو موضوع الشفاعة التي جَرَّأَ مفهومُها الخاطئ هذا الشعبَ على ارتكاب أنواع الفسق والفجور والفساد إلى درجة أن الإنسان يرى أحيانًا أن لو كان هذا المجتمع عديم الدين بنحو كامل لربما كانت تحجزه فطرته عن الآثام على نحو أفضل من مثل هذا الدين المشوَّه والمذهب المُحَرَّف الذي لم يَبْقَ في نظام حياته حدٌّ ولا سدٌّ بسبب الغرور بمفهوم الشفاعة الخاطئ الذي انتشر وراج إلى درجة لم تُبقِ لكثيرٍ من أفراد هذا المجتمع إسلامًا بل إنسانيةً!

إن فائدة الدين والمذهب هي أن يحفظ لأفراد المجتمع أرواحهم وأموالهم وأعراضهم ويجعلها في أمان ويحدِّد لكل إنسان حدًّا يقف عنده وينتفع به بالمقدار الذي يفيد مجتمعه، ولكن لسوء الحظ إذا لم تُبْقِ الأوهام لشخصٍ عقلاً إلى درجة تجعله غير قادر على أن يُقارِن مجتمعه بالمجتمعات المتقدمة الراقية، عندئذٍ لن يفهم في أي جهنم يعيش. على كل حال،

سنقدم للقرّاء الكرام شرحًا واضحًا قدر المُستطاع لحقيقة مسألة الشفاعة في الشريعة الإسلامية كما يُبيِّنها القرآن الكريم. وبالله التوفيق.

حيدر علي قلمداران

محرّم الحرام ١٣٩٢هـ ق.

موضوع الشفاعة وحقيقتها

إن عقيدة الشفاعة التي اتَّسعت إلى هذا الحد لدى شعبنا بسبب ترويجها مِنْ قِبَلِ خطباء أغلبهم جاهل بحقائق الدين، لا علم له بحدود الشرع المبين، بل كثير منهم أميٌّ لا يعرف حتى القراءة والكتابة، تصدّروا المنابر -التي هي أماكن الأنبياء والمرسلين والأولياء الصديقين- غصبًا و زورًا، واشتغلوا بإضلال الشعب بخرافاتهم التي يبثّونها فيه كل صباح ومساء باسم قراءة المراثي، ومنهم مشعوذون قد غمرتهم الذنوب والجرائم من رأسهم إلى أخمص قدميهم يجمعون الناس حولهم ويسوقونهم إلى أودية الهلاك بما يبثونه فيهم من مفتريات وأحاديث مكذوبة ومخترعة.

وإذا دقَّقنا في الأمر تبيّن لنا أن دافع هؤلاء الذين يفتحون باب الشفاعة على مصراعيه ليجعلوا قضية الشفاعة واسعةً سعة السموات والأرض، علاوةً على إغواء الشيطان لهم، أمران نفسيان: أحدهما أنهم لما رأوا أنفسهم ملطّخة بأقذار المعاصي قد لبستهم الذنوب من مفرق رؤوسهم إلى أخمص أقدامهم فأحسوا في وجدانهم بالإثم والحقارة فأرادوا أن لا يكونوا وحدهم في هذا الوادي بل أن يكون لهم فيه شركاء ورفقاء يشاطرونهم حالهم هذا كي لا يستوحشوا من الوحدة والانفراد، فصاروا يدعون الناس إلى ما يُؤدي بهم إلى عين الحال الذي هم عليها، ويجرّونهم إلى ما هم فيه، وكأنهم يظنون أن البلوى لو عمَّت وطمَّت وصار لهم نظراء كثر جدًّا فإن الله سيضطر إلى صرف النظر عن عذابهم وسيعفو عنهم ويضرب الصفح عن مجازاتهم!!

والعلة الأخرى لهذه الدعوة إلى الشفاعة الواسعة هي رغبة الداعين لها في الحصول على رضا مستمعيهم وسرورهم كي يبذل المستمعون لهم، المال ويُلبّوا لهم طلباتهم، فيستفيدوا من المستمعين الاستفادة المطلوبة.

نعم، إضافةً إلى ذلك فإن مما يُؤسف له أن عقيدة الشفاعة فتحت لنفسها سوقًا رائجةً في كتب الأحاديث والروايات، ولم يسلم من ذلك حتى أفراد مشهورون ومحترمون ذكروا مثل ذلك المفهوم الباطل للشفاعة في كتبهم التي ألَّفوها وتركوها لنا، وصارت مع الأسف مستمسكًا لأعوان الشيطان ودليلاً محكمًا يرجعون إليه، كما نجد على سبيل المثال في أحد الكتب الفقهية المعروفة التي دوَّنها فقيهٌ مشهورٌ جليل القدر روايةً عجيبةً مَرْوِيَّةً بلا سندٍ ولا مصدرٍ تقول إنه رُوْيَ أنَّ امرأة كانت تزني ثم تحرق أولادها الذين يأتون من الزنا خشية الفضيحة! ولم يكن يعلم بهذا الفعل الشنيع سوى أمها فلمّا ماتت تلك الزانية وأرادوا دفنها لفظتها الأرض، وَمَهْمَا حاولوا دفنها في بقع أخرى واجهوا المشكلة نفسها، فذهب أهلُها في النهاية إلى إمام الوقت عليه السلام وعرضوا عليه الواقعة، فطلب أمَّها -التي كانت لا تزال حيَّةً- وسألها عن القضية فكشفت له حقيقة ما كانت تصنعه ابنَتُها، فأمر بأن يُوضع في قبرها مقدارٌ من تربة قبر الحسين عليه السلام وبهذا قبلتها الأرض وخُفِّف عنها!![1].

وهناك شيخٌ معروفٌ آخر ذكر في أحد كتبه التي ألفها في هذا العصر، لينشر بزعمه معارف الإسلام ويوضِّح معالم الدين!! حكايةً لا نعلم من أين أتى بها عن قصَّة امرأةٍ كانت تُسْكِرُ ابنَها كي يزني بها وكان الابن يفعل ذلك على الدوام!! ولكن بعد موتها رأوا تلك المرأة في أعلى درجات الجنة! فلمّا سألوها مستغربين قالت: كنتُ أصلي على النبي وآله سبع مرات في اليوم!!

وتوجد مئات من مثل هذه الأباطيل والحكايات التي لا أساس لها نسمعها في مجالسنا الدينية! هذا في حين أنكم لو رجعتم إلى القرآن الكريم لرأيتم ليس فقط أن مثل هذه الشفاعة لا وجود لها في القرآن بل أن الشفاعة أساسًا لا أساس لها ولا مكانة في القرآن وليس لأحد في عَرَصَات القيامة أيّ قدرة وجرأة على الكلام سوى الذات الأحدية، فمسألة الشفاعة بهذه الصورة الرائجة ليست سوى إغواء من الشيطان يجد مدده من أهواء النفس ولا حقيقة له في تعاليم الإسلام. ولو رجعنا إلى عقلنا ووجداننا لما استطعنا أبدًا أن نُصدّق أن نبيًا بُعث مِنْ قِبَلِ ربّ العالمين لإصلاح العباد وهدايتهم وأتى من عند الله بشريعة حكيمة محكمة القواعد

---

(١) انظر كتاب «**منتهى المطلب**» للعلامة الحلي، ج ١، ص ٤٦١.

يُمكنه أن يطرح مثل هذه الشفاعة التي هي بمثابة المِعْوَل الذي يقتلع ذلك البناء المحكم من جذوره ويجعله خرابًا؟!

في رأينا أن السبب في المصائب والذل الذي يُعاني منه الشرق وخاصةً نحن المسلمون ولاسيما نحن الإيرانيون، إذْ لم يَعُدْ لأيّ قانون أو قاعدة أيّ احترام واستقرار بيننا، واستفحل هذا التلوث الأخلاقي لدى شعبنا إلى درجة أصبح من العسير على أيّ نظام أو دين أن يُصلح هذا الأمر، هو وجود مثل هذه المسائل. وذلك لأنه عندما يغترّ الإنسان بالشفاعة فإنه يتجرّأ على انتهاك حرمات الشرع ولا تبقَ لأيّ قواعد وتشريعات وقوانين أيّ حرمة في نظر مثل هذا الشعب المتشبّع بهذا التصور للشفاعة، وهذا لعَمْرِي خسران عظيم.

لذا ندعوكم أيّها القراء المحترمون إلى قراءة هذه الرسالة المختصرة كي تروا ما هي حقيقة مسألة الشفاعة التي أوقعت في أمّتنا كل هذه الخسائر والمصائب وما هو وزنها في نظر الشريعة الإسلامية. وما توفيقي إلا بالله.

إن السبب في اتساع عقيدة الشفاعة وإيمان الناس بها على هذه الصورة: بأن أولياء الله والمقرّبين منه تعالى يستطيعون يوم القيامة أن يشفعوا للعصاة وأحيانًا أن يرفعوا مقام عصاة ممتلئين من الذنوب والآثام ويرتقوا بهم إلى أعلى درجات الجنة، أو يُحقّقوا لهم في الدنيا غاية آمالهم، وهي الصورة التي بيّناها في هذا الكتاب، السبب في اتساع هذه العقيدة هو قياس الشفاعة عند الله على الشفاعة الشائعة في بلاط السلاطين المتجبّرين وقصور الحُكّام المستبدين، التي تجيز نقل مجرم مفسد مستحق للإعدام من تحت حبل المشنقة إلى قصر المَلِك وموضع أسراره، وتوصله، رغم كل جرائمه، إلى أعلى مقام وترتقي به إلى أرفع الدرجات، بسبب شفاعة شفيع له من أقربائه أو من أحباب السلطان الجبار، وتسمح بوصول شخص غير مؤهل وحقير إلى أشرف الوظائف وأرفع المناصب من الإمارة والوزارة، بفضل هذه الشفاعة، كما تسمح لفرد صالح ومؤهل أن يُصبح عرضةً لغضب المَلِك بلا أيّ سبب وبلا أيّ ذنب ارتكبه!

نعم، مثل هذه العقائد والأفكار تستمدّ جذورها من مثل هذه البلدان التي تحكمها مثل

هذه الحكومات التي ابتعدت عن العدل والإنصاف وهجرت العقل والشرع، وتترعرع وتنمو في مثل هذه البيئات الظالمة. وذلك لأن كل شعب لا يسوده العقل والعدل ولا قيمة لديه للصدق والأهلية، بل تقوم أموره كلّها على المحسوبيات والوساطات والشفاعات، وأغلب المناصب والمقامات تُنال لديه بتملّق أصحاب السلطة ومدحهم والخضوع أمامهم وبالثناء على الجبّارين وتملّق السلاطين، وغالبًا ما ينال شخص غير مؤهل أعلى المناصب مع أنه خالٍ عن العلم والمعرفة والمهارة والإنسانية والعفة والشخصية والأهلية لأن هذه الأمور لا قيمة لها في هذه البيئة. فيظنون أن الأمر عند الله هو على النحو ذاته الذي يكون في بلاط السلاطين الجبارين، فهم يَنشَؤون للأسف على هذا النحو ويتربون على هذا النمط من التفكير!

ولذلك لا يُمكن لمثل هذا الشعب الفاسد أن يصلح حاله ويتّجه إلى السداد والتقوى والانضباط والعفة والأخلاق الرفيعة، ولا يُمكن أن يسلك الطريق الصحيح الذي يقطع فيه مراحل الحياة بالصفات الحميدة والخصال المجيدة، بل لا نجد فيه شيئًا سوى التملّق وعبادة الشخصيات وعدم الاهتمام بأسس الحقائق وأركان الحياة وعدم إعطاء أيّ قيمة للفضائل الأخلاقية، ولن ينشأ فيه جيلٌ صالحٌ أبدًا!

نأمل أن تتضح للقارئ المحترم بعد قراءته هذه الرسالة حقيقة الشفاعة كما هي لا كما يتصورها الناس، فيعود الذين يتصورون أنهم يُمكنهم تحقيق ما يصبون إليه من خلال تملّق الشفعاء والتوسّل إليهم، إلى أنفسهم ويُلقّنوا أنفسهم هذه الحقيقة وهي أنه في حضرة الله تعالى عالمِ الغيب والشهادة ومالك يوم الدين لا يُمكن التقرّب إلى الله إلا بالصدق والعيش بالحقيقة، فيؤوبوا إلى الله مسرعين. نأمل أن ينجو مجتمعنا من هذا الذل والانحطاط الذي ابتُلي به للأسباب المذكورة أعلاه والذي اعتاد عليه الناس وأنسوا به، وأن يشدوا عزيمتهم ويشمِّروا عن ساعد الهمَّة ليعودوا -إما هم أو على الأقل الجيل الآتي منهم- إلى مجد مسلمي الصدر الأول وعظمتهم الذين كانوا مُبَرَّئين من مثل هذه العقائد السخيفة، ومن الله التوفيق وعليه التكلان وهو المستعان.

حيدر علي قلمداران

السبب الأساسي لنشر كتب الغلاة وعقائدهم

قلنا في الفصل السابق إن السبب في انتشار الغلو في حق الأئمَّة كان في بداية الأمر قيام أعداء الإسلام بنشر هذه الأفكار بين المسلمين وترويجها، ثم قام أرباب الفسق والفجور من المسلمين الغافلين والغارقين في الشهوات بتبليغ هذه العقيدة ونشرها، لأن الذين كانوا يرغبون بطبعهم بارتكاب المنكرات ويهوون القيام بالمحرّمات كانوا يشعرون بالانزعاج من تهديد آيات القرآن ووعيدها لمن يرتكب مثل هذه المنهيات، لذلك سارعوا إلى قبول هذه الشفاعة بدافع هوى النفس ووساوس الشيطان لأنهم وجدوا بها ملجًا يلجؤون إليه في مواجهة إنذارات آيات الله وتهديداتها، لذلك فتحوا باب الشفاعة في الإسلام بهذا الاتِّساع حتى وصل الأمر إلى القضاء على جميع أحكام الإسلام في مسلخ الشفاعة ومذبح الغلو في الولاية، وكان ذلك في الواقع بابًا فتحه الشيطان قبل آلاف السنين من ظهور الإسلام للأمم الماضية والأديان المنسوخة ورأى النتيجة الممتازة له!

ففي المسيحية مثلاً أصبح موضوع محبة المسيح سببًا لسدّ باب التكليف وإعطاء الحرية في ارتكاب الفسق والفجور، وكانت نتيجة ذلك أنه لم يبقَ شيءٌ من الشريعة التي بلّغها أنبياء الله ورسله منذ آدم ﵇ إلى ذلك الزمن ونشروها ودعوا الناسَ إليها، ولم يبقَ مجال للأحكام ولا للحلال والحرام. وقد جعل بولس النصراني بدعاياته اليهودية المزوّرة حبّ المسيح والإيمان به بديلاً عن الأحكام، وجعل شفاعة المسيح ذخيرةً لجميع المسيحيين يوم القيامة[1].

---

(١) تستمد عقيدة الشفاعة في النصرانية جذورها من كتبهم الدينية أو ما يُسمّى بالأسفار السماوية وتقول هذه العقيدة: إن الإنسان لا يستطيع أن يطلب حوائجه من الله تعالى مباشرة بل هو بحاجة إلى واسطة وشفيع كي يطلب تلك الحاجة من الله تعالى باللغة التي تعرفها الواسطة! وهذا يتعارض تمامًا مع تعاليم الإسلام ويُخالف ما علّمه القرآن للمؤمنين بقوله: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، وقوله: ﴿فَإِنِّي

ورغم كل ما بذله الإسلام في هذا الباب إلى درجة أنه سدّ باب الشفاعة من أساسه تقريبًا، إلا أن الغرور الشيطاني والأهواء النفسية وإغواء أعداء الدين وطمع الفاسقين والفاجرين الساذج فتح من جديد باب الضلالة هذا بأكبر ما يُمكن من سِعَة كما كانت عليه زمن الجاهلية وفي النصرانية أمام المسلمين، وحَدَث ما حَدَثَ!!

إن أعداء الإسلام الذين كانوا يرون أن دين الإسلام الذي يستمد أساسه من الإيمان بالله ويوم القيامة والذي ينص قرآنه المجيد على أنَّ كلَّ نفس مرهونة بعملها: ﴿كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨﴾ [المدثر: ٣٨]، وأن: ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۝٢١﴾ [الطور: ٢٠]، و ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ۝٤١﴾ [النجم: ٣٩-٤١]، ويُعلّم أن سبيل دخول الجنة إنما يكون بتقديم الأنفس والأموال رخيصةً في سبيل الله فيقول: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١]، ولا يعتبر أن دخول الجنة أمرٌ سهلٌ متاحٌ بلا مشقّات وصبر على المكاره فيقول أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ۝٢١٤﴾ [البقرة: ٢١٤]، ويقول: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٢﴾ [آل‌عمران: ١٤٢]، ويقول: ﴿إِنَّ

قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقره: ١٨٦].

وجاء في رسالة بولس إلى أهل روما (الإصحاح ٨، الآية ٢٦): "وَكَذَلِكَ الرُّوحُ أَيْضًا يُعِينُ ضَعَفَاتِنَا لأَنَّنَا لَسْنَا نَعْلَمُ مَا نُصَلِّي لأَجْلِهِ كَمَا يَنْبَغِي. **وَلَكِنَّ الرُّوحَ نَفْسَهُ يَشْفَعُ فِينَا** بِأَنَّاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا".

ففي تعاليم الديانة النصرانية لابُدّ من شفيع وواسطة بين العبد والله وهذا الشفيع يُقرّب العباد من الله بما يقوم به من الفداء والتضحية بنفسه لأجلهم. وجاء في رسالة بولس إِلَى تِيمُوثَاوُسَ (الإصحاح ٢، الآيتان ٥- ٦): "لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلَهٌ وَاحِدٌ **وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ**: الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْـمَسِيحُ، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لأَجْلِ الْـجَمِيعِ"!! والفدية هي الغرامة التي يُقدّمها المجرم للمجني عليه، فلما ضُحِّي بحضرة عيسى في سبيل خلاص البشر والإصلاح بين أبناء آدم والله، فوض الله للمسيح مقام الشفاعة لأنه هو الأُضحية التي قُدِّمت في سبيل الأمة التي سوّدت المعاصي وجهها!!!

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٤٠﴾ [الأعراف:٤٠].

فمثل هذه التهديدات وأصناف الوعيد إذا سمعها الإنسان ليس من الله بل من أصحاب السلطة المستعارة التي كل ما لدى أصحابها مُلْكٌ لِـلَّهِ، لن يغمض له جفن، فلقد كان المسلمون يسمعون رسول الله ﷺ يُبلّغها عن الله تعالى ويُدركون أنه عند نهاية هذا العالم ووقوع القيامة لن يكون لهم سوى أحد مكانين: ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾ [الشورى: ٧]. لذلك كانوا يرون أنهم إذا أرادوا الحصول على رضا الله ودخول الجنة والرضوان الإلهي والتنعم بنعم الله التي لا نهاية لها فعليهم أن يُضحّوا بأرواحهم وأموالهم ويُقدّموها من كل قلبهم في سوق السعادة الأبدية على طبق من إخلاص لِـلَّهِ عزّ وجلّ وهم يشعرون بالخوف والرجاء! ولقد كانت نتيجة مثل هذه العقيدة أن بذل المسلمون كل جهد لنشر الإسلام في أنحاء العالم سواء في زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ أو زمن خلفائه من بعده ولم يبخلوا بتقديم الروح والمال بكل شوق ورضا عندما تَطَلَّب الأمر منهم ذلك، وكانت ثمرة ذلك أن أضاء نور الإسلام جوانب العالم خلال نصف قرن من الزمن وملأت عدالته أطراف الدنيا وأُخْرِجَ الناسُ من ظلمات الشرك والجهل إلى نور التوحيد والعلم، وأُقيمَت حكومة العدل والنظام الأحسن الذي لم يكن يدرِ في خَلَد مخلوق قبل ذلك!

ولكن بمجرّد أن اختلط المسلمون -على إثر اتساع رقعة الإسلام- بأرباب الملل والنحل والأديان التي كانت قبل الإسلام وكانت مشوبةً بالخرافات وممزوجةً بالأوهام، بدأت تسري إلى عقول وقلوب بعضهم بعض العقائد الباطلة والآراء الكاسدة لتلك الأمم، كما نَشُطَ أعداء الإسلام ببثِّ خرافاتهم وأوهام أديانهم التي كانت مسؤولة عن هزيمتهم أمام الإسلام، بين المسلمين، سعيًا منهم إلى إيقاف مدّ الإسلام، واحتالوا لذلك حيلاً شتى. فمثلاً كانوا يتظاهرون باعتناق الإسلام بل يجعلون أنفسهم في عداد العلماء بالدين، مثل كعب الأحبار وعبد الله بن سبأ والشيخ رجب البرسي الغالي الذين كانوا يحنّون إلى أديانهم السابقة كاليهودية أو النصرانية أو الزردشتية، فقاموا من خلال أخبار وأحاديث موضوعة، نسبوها

إلى أئمة الإسلام ونشروها باسمهم بين المسلمين، بإتاحة الجنة للناس بأرخص الأثمان، كقولهم إن قراءة صلوات معيّنة أو دعاء مُعَيَّن أو صوم بضعة أيام أو قراءة زيارة لا محتوى لها أو ذرف الدموع على الفاجعة الفلانية، كفيلٌ بأن يجعل الشخص العاصي المذنب الذي يقوم بذلك مالكًا لقصور الجنة وللحور العين وجليسًا للأنبياء والأئمَّة!!

واستطاعوا من خلال هذا الطريق أولاً: أن يوقفوا المسلمين عن النشاط والحركة والبذل والتضحية لنشر الإسلام وحفظ حدوده وتشريعاته، وثانيًا جرّأوا العوام على ارتكاب المعاصي والفسق والفجور، الأمر الذي يُشكِّل أفضل وسيلة لهلاك الأمم وذهاب ريحها، لأن هذا كان هو السبب في شقاء سائر الملل كما أخبرنا الله تعالى عن أحوالهم في القرآن الكريم حين قال: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٤﴾ [آل‌عمران: ٢٣، ٢٤].

أي أن الناس دُعوا إلى الرجوع إلى كتاب الله كي يحكم كتاب الله في أعمالهم وأفعالهم، لكن المجرمين المغرورين أعرضوا عن كتاب الله وادّعوا أنهم حتى لو ذهبوا إلى جهنم -لا سمح الله- فإنهم لن يُعذَّبوا فيها سوى أيام معدودات، أو لفَّقوا هذه الظنون والرغبات الجميلة بين أنفسهم واغترُّوا بها!!

ألم يكن اليهود كذلك؟ ألم يدّع النصارى عن المسيح مثل ذلك وأنه تكفي محبّة المسيح وولايته والإيمان به للنجاة يوم القيامة بدلاً من تجشّم عناء الأعمال والالتزام بالشرع والأحكام المُنزلة من عند الله؟!

إن هؤلاء لا يُدركون أن ولاية النبي والإمام التي تُفيد المسلم هي تلك الولاية والنصرة التي كانت في حال حياة النبي والإمام، وكانت منشئًا للجهاد والنصرة والتضحيات والبذل في ركاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ أو الإمام، أي كانت ولايةً تستتبع العمل بأوامر المُتَوَلَّى، ولم تكن مجرّد محبّة قلبيَّة خالية وكلامية! خاصَّةً إذا كانت محبةً لهم بعد وفاتهم التي لا تستتبع أعمالاً وخيرًا؟! إن عشق الميت ليس أمرًا عقلانيًا، فما هو معنى محبّة الذين ذهبوا إلى عالم آخر

لا نستطيع الوصول إليه؟ فمثلاً ماذا أنجز شيعة عليّ عليه السلام الذين يُظهرون توليهم له ومحبّتهم طول هذه المدة؟ في تلك الأيام التي كان الإمام فيها حيًا وكان بحاجة إل نُصرة الناس له لم يكن هناك أيّ خبر عن ولايته بل تقاعس الناس عن نُصرته، أما اليوم فأيّ عمل يقوم به مدّعو الولاية؟! ألم يقل النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك اليوم الذي أمر الناس بولاية عليّ ومحبّته: "... **اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاَهُ اللَّهُمَّ عَادِ مَنْ عَادَاهُ** "؟

فهل مراد النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من الولاية هنا مجرد ولاية قلبية دون عمل؟! ألم يُطالب المؤمنين في هذا البيان بالولاية بنُصرة عليّ ومعاونته؟ فأيّ نُصرة قدّمها مدّعو الولاية لعليّ أو يُقدّمونها الآن؟ إذن مسألة الولاية والشفاعة التي يُكثر القوم من التشبث بها اليوم ليست بعيدة عن مسألة محبة المسيح وشفاعته. ولا شك أن هذه العقيدة إن لم يكن النصارى قد أدخلوها بين المسلمين فعلى الأقل دعموها وقوَّوْها، إذ إنها تمنع الأمة الإسلامية من النشاط والتحرّك، كما تفتح أمام العامة مجال المعصية والفسق والفجور الذي ستكون نتيجته الحتمية الضعف والحاجة للأجانب وأن يُصبح المسلمون أسرى للأمم الأخرى! ويبدو أنه قد بُذلت جهود كبيرة لفتح باب الشفاعة ومورست دعايات واسعة في هذا المجال حتى رُفعت درجة أئمة أهل البيت والشفعاء يوم القيامة إلى الحدّ الذي أصبحوا فيه تالين لِـلَّهِ والعياذ بالله تعالى؟!!

كان مسلمو الصدر الأول يؤمنون أن خالق العالم يملك القدرة والإرادة والمشيئة في وعده ووعيده، وأنه بيَّن لنا في مئات الآيات القرآنية بأن كل إنسان سيلقى جزاء عمله ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦]. ولمّا كان وعيد الله وإنذاراته تتصدَّع لها القلوب فلا بُدّ من اللجوء إلى قوة موازية ليُصبح الإنسان في أمان منها! لأن الضعيف ليس بإمكانه أن يُقاوم القوي! لذا اخترعوا في أذهانهم أولياءَ لِـلَّهِ أو قُلْ أندادًا لِـلَّهِ هم على قول العوام لدينا (عزيز كرده‌ى خدا) أي أعزّاء لدى الله، يستطيعون أن يُقاوموا قوانين الله وسُننه، أو حسب قول آية الله العظمى، أولياءُ يُدبّرون عالم الإمكان ويتصرّفون في الكون والمكان وهم المالكون لكل شيء! هكذا تمّ توسعة الشفاعة إلى هذا الحدّ الذي أصبح

فيه القيام بعمل سهل يسير كفيل بجعل الإنذارات الإلهية كلها بلا أي قيمة، ومنح صاحبه الجنة والنعيم الأبديّ! وكأنَّ الشريعة الإلهية نُسخت كلها أو تمّ تعطيل العمل بها! وهذا هو عين ما يُريده العدو، وقد تحقق له بكل سهولة!

إن مفهوم الشفاعة الجديد المنحرف يبتني على استبدال السعي والمجاهدات والتضحيات والصبر على المكاره والأعمال الصالحة التي مرّ ذكرها باستعطاف قلب إنسانٍ مخلوق، من خلال مدحه وإطرائه وقراءة أنواع الثناء عليه وتملّقه والتمسّح بأعتابه – أو بالأحرى بأعتاب قبره – وطلب الشفاعة منه، فإذا فعل الإنسان ذلك نال شفاعته ولم يَعُد بحاجةٍ إلى التقيُّد بالحلال والحرام وإجراء الأحكام، وصار في غنىً عن بذل الروح والمال للدفاع عن حدود الإسلام وثغوره وعن مال المسلمين وعرضهم، والجهاد لأجل نشر راية الدين وتقديم الروح العزيزة في سبيل من هو أعزّ منها أي دين الله، لأن كل ذلك يُمكن استبداله بعدّة قطرات من الدموع وبالدعاء والثناء والمحبة لعدد من أولياء الله المخلوقين مثله، محبَّة ليس لها أي انعكاس على صعيد العمل والالتزام لأن المحبوب فيها قد رحل عن الدنيا ولم يَعُدْ له أمرٌ ولا نهيٌ ولا إمكانيةَ أن يَطْلُبَ من مُحِبِّهِ شيئًا! أجل لقد وصل أعداء الإسلام إلى منتهى أملهم بأيسر طريق، ألم يُحقِّقوا بهذا الأمر مرادهم؟

١- لقد أرادوا إغماد سيف جهاد المسلمين لأن برقه المترافق بنور هداية القرآن كان يذهب بأبصارهم، ويُدخل الناس فوجًا فوجًا في دين الله. لذلك كان أعداء الإسلام يتمنون بقاء هذا السيف مغمدًا. ولقد وصلوا إلى هدفهم هذا من خلال فتح باب الولاية التي هي كذا وكذا وباب الشفاعة التي هي كيت وكيت، وما أحسنه من طريق لتحقيق هدفهم! لقد سلبوا من المسلمين روح الجندية والبسالة في سبيل الدين وأنقذوا أنفسهم بهذه الوسيلة من مصيبة سيطرة الإسلام والمسلمين عليهم ثم بدأوا بالانتقام من الإسلام وفعلوا بالمسلمين ما فعلوه ولا زالوا يفعلون!

٢- أصبح المسلمون الذين كانوا لا يجترئون على ارتكاب الإثم أو إشاعة الفسق والفجور، مُبتلين بأنواع الكبائر نتيجةً لاعتمادهم على شفاعة الأولياء واطمئنانهم إليها، وإلى

أنهم يستطيعون النجاة يوم القيامة بالقيام ببعض الأعمال المبتدعة، إلى حدّ أصبحت فيه اليوم البلدان الإسلامية في المناطق الشيعية غير آبهةً بالأنظمة والقوانين الموجبة لسعادة المجتمع، والموجودة في الإسلام على أفضل وجه والتي أوصى الإسلام بتطبيقها توصيةً شديدةً، ولا تحترم هذه القوانين وفاقت بهذا الإهمال للأنظمة والقوانين أكثر دول العالم حتى الشعوب التي لا دين لها أو الوثنية، وهذه المخالفة للأحكام الإلهية والإعراض عنها سيؤدي بها إلى السقوط بسرعةٍ لا نظير لها في أودية الهلاك والفناء.

إن هذه التعاليم الشيطانية المغرضة ودعايات السوء الإبليسية التي لا أساس لها من الصحة التي انتشرت بين جميع المذاهب الإسلامية عامَةً هي أشدّ انتشارًا في مذهب الشيعة بسبب وجود الغلو والغلاة فيه ولأن البواعث والدواعي لهذه التعاليم المغرضة أكثر لدى الشيعة منها لدى سائر المذاهب الإسلامية، لأنه يُمكن من خلال هذا المذهب إيجاد فجوة كبيرة بين المسلمين تحول دون الوحدة الإسلامية، وبهذا يتم إبعاد المسلمين عن الاتّحاد الإسلامي ويتمّ تطبيق القاعدة المعروفة: فرّق تسد. لهذا السبب يبذل أعداء الإسلام والدول الاستعمارية جهودًا مختلفة للتفرقة بين المسلمين وإبعاد بعضهم عن بعض ومن الوسائل المفيدة لهذا الغرض تربية العلماء الاستعماريين وكتابة الكتب الاستعمارية وتشكيل المجالس الاستعمارية، وباختصار فعل كل ما هو مفيد للاستعمار!! ومنذ ذلك الحين وإلى اليوم نجد أنه كلما قام رجال مصلحون وعلماء ومثقفون منورون مسلمون لإصلاح هذا الفساد ولردم هذه الفجوة بين المسلمين ولتقريب المسلمين من بعضهم والتحرّك نحو الوحدة الإسلامية فإن عمال الاستعمار وأياديه أولئك ذاتهم والخطباء الاستعماريون والكتب الاستعمارية أو العلماء المتعصبون المندفعون بالعاطفة أو أصحاب الدكاكين المذهبية يقومون بمهاجمة هؤلاء المصلحين بطرق مختلفة، وغالبًا ما تنجح هجماتهم في تحقيق أغراضها وتؤدي عاجلاً أم آجلاً إلى القضاء على أولئك المصلحين والمثقفين المتنورين، وتكون النتيجة معكوسة أي يقع المزيد من الاختلاف وتتسع الفجوة بين مذاهب المسلمين أكثر من ذي قبل، لأن مساعي المفرّقين أضعاف مساعي المصلحين.

الكلام في الشفاعة التي أصبحت مصدراً للغُلُوّ بين المسلمين عامَّةً والشيعة خاصَّةً

لنعد إلى أصل موضوعنا الذي كان الحديث عن الشفاعة التي أصبحت مصدرًا للغلو بين المسلمين عامة والشيعة بشكل خاص.

إن لمسألة الشفاعة سوابق تاريخية عريقة في الأمم الماضية والأديان الباطلة، إذ نجد هذه المسألة في العقائد الأسطورية للإغريق وفي الديانة الزردشتية وفي الأديان المصرية القديمة وفي بابل وفي الديانة النصرانية وأخيرًا لدى مشركي الحجاز وعُبّاد الأصنام العرب الذين كان لعقيدة الشفاعة لديهم أهميةٌ بالغةٌ وجذورٌ عميقةٌ بل تُمثِّل هذه العقيدةُ الركيزةُ الأساسيةُ في ديانتهم الشركيّة.

وعلَّة ذلك أنه بعد إيمان البشر بوجود إلهٍ عظيمٍ كانوا يتصوَّرون وجود آلهةٍ خاضعةٍ له ولكلٍّ منهم منصبٌ ودورٌ عُهد إليه في تسيير شؤون أمور العالم، فهو يقوم بتدبير شأن من شؤون الخليقة، فكان أولئك الوثنيون يصرفون وجوه العبادة والتذلل إلى تلك الآلهة، فمثلاً يطلبون – في أيام القحط– المطرَ من إله المطر، ويُقدّمون له القرابين لرفع غضبه، ويقدّمون لإله النهر والبحار القرابين التي كانت أحيانًا فتيات جميلات يرمون بهنَّ في نهر النيل جلبًا لرضا إلهه وتفاديًا لغضبه الذي يؤدي إلى طغيان مائه وطوفانه. وهكذا كان هناك إله للحرب وإله للسلام. الخ، إلى أن جاء دين زردشت فعدّل الأمر ودعا إلى الإيمان بمدبِّرٍ واحدٍ للكون وصانعٍ للعالم «يزدان» وأن هناك إلهًا ثانيًا هو إله الشرِّ «اَهريمن» والذي هو مصدر الشرور في العالم (الذي سيخضع لإله الخير في النهاية)، وبذلك أُحيلت جميع الآلهة الأخرى إلى التقاعد وتحوّلوا إلى ملائكة يعملون برتق وفتق أمور العالم بأمر (يزدان). ومنذ ذلك الحين دخل إلى ساحة العمل بدلاً من إله المطر، ملاك المطر الذي يُدعى «تَشْتَر»، ودارت بينه وبين «أپوش آهريمن» الحرب!! كما أن الملكان «مهر» و«امرداد» تسلّما منصبيهما الخاصين واشتغلا في تدبير أمور العالم!!

كما تطوّرت أساطير الإغريق حول الآلهة من خلال انتشار آراء الفلاسفة اليونانيين القدماء وتحوَّلت إلى القول بالعقول العشرة والأفلاك التسعة، وتلك الآلهة والملائكة والعقول

والأفلاك رغم أنها أخلت مكناها -فيما بعد- لِـلَّهِ الواحد العظيم وأصبحت خاضعة لرئاسته إلا أنها بقيت محتفظة في مقامها الاختصاصي بنوع من الاستقلال، لأن أساطير اليونانيين كانت تَعْتَبِرُ أن مبدأ الوجود الأول الذي فاضت عنه سائر الكائنات هو على درجة من التجرُّد والتعالي تجعله أرفع شأنًا وأجلّ مرتبةً من أن يهتمّ بأمور الخليقة السفلى ويشتغل بقضاياها من إحياء وإماتة ورزق وعطاء وسائر أمور وجزئيات العالم، لا بل يجلّ عن إدراك تلك الجزئيات! ولذلك فقد عُهد بمسؤولية القيام بمثل هذه الأمور إلى الملائكة والآلهة الصغيرة أو الوسطاء والشفعاء الذين ينبغي على الناس أن يتّجهوا من خلالهم إلى الإله الكبير، فكان الجاهلون في خوف ورجاء دائمَين من إعراض تلك الآلهة وإقبالها!! وقد ترك هذا أثره في مفهوم التشفُّع بالملائكة لدى عرب الجاهلية المشركين(١)، فمثلاً يذكر الآلوسي في كتابه «**بلوغ الأرب**» (ج ٢، ص٢٥٣) أن العرب كانوا يعتقدون أن حملة العرش أربع ملائكة كل واحد منها بشكل كائن ذي روح: "وأن الذي في صورة رجل هو الذي يشفع لبني آدم في أرزاقهم، وأما الذي في صورة نسر فهو الذي يشفع للطير في أرزاقهم ".

فمسألة شفاعة الملائكة ذات تاريخ قديم في الأديان الماضية، ولما وُجدت الأنظمة الملكية بين البشر ونشأت مؤسسةُ السلطنة والرئاسة وتقريبُ الأفراد وإبعادُهم ومكافأتُهم وعقابُهم، ثم تطور الأمر إلى أن الأشخاص الذين كان السلطان أو رئيس العشيرة أو القبيلة يغضب عليهم يلتجئون إلى أقرباء السلطان أو الرئيس أو أحد أعزّائهما وحاشيتهما ويستفيدون من جاهه لدى السلطان ليحميهم من غضبه وسخطه، كانت النتيجة الحتمية لذلك أن تقع محبة الشفيع في قلب المتشفِّع فيكرمه ويخدمه.

فمنشأ الاعتقاد بهذه الشفاعة هو التعوّد على ما اعتاده البشر في أنظمة السلاطين

(١) كان الجاهليون يتصوَّرون الملائكة العظام بوصفها بنات الله فيعبدونها رجاء منهم أن تشفع لهم عند الله وتقرّبهم إلى الله زُلْفَى، كما تدل على ذلك عدد من الآيات القرآنية. وقد نقلت لنا كتب أخبار وقصص العرب طرفًا من تلك العقائد، يُراجع في ذلك كتاب «**الأصنام**» للكلبي وكتاب «**المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**» للدكتور جواد علي. (المُنَقِّح)

الجبّارين الذين لديهم أشخاص مُدَلَّلُون ومُقَرَّبُون منهم يمكن لمن ارتكب إثمًا واستحقَّ عقابًا أن يلجأ إليهم لينقذوه من غضب السلطان ويرفعوا عنه عقابه.

هذه العقيدة ذاتها سرت إلى المتدينين الذين تصور عوامُّهم أن الآلهة الصغيرة أو الأوثان المعبودة أو الملائكة العظام أو الأنبياء والأولياء لهم معزّة واحترام وجاه عند الله على نحوٍ يمكِّنهم من التوسط لديه والتأثير عليه ليغيِّر حكمه ويرفع عقابه، لذا لا بد من اللجوء إلى هؤلاء الشفعاء عند القحط والغلاء والتوسل إليهم ليشفعوا لمحبيهم وعابديهم عند الله حتى يرفع عنهم ذلك البلاء! وكانت مثل تلك الشفاعة تُطْلَبُ في بادئ الأمر لأجل الأمور الدنيوية وإصلاح أمور المعاش ولم تكن لأجل الأمور الآخروية لأن عرب الجاهلية المشركين، الذين كان لموضوع الشفاعة في دينهم – كما ذكرنا – أهمية بالغة وانتشار واسع، لم يكونوا يؤمنون بالمعاد، فكانوا يعبدون الأصنام رجاء نفعها لهم في الدنيا وكشفها الضر عنهم ويبررون ذلك بقولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨] هذا وقد جاء في التواريخ الموثوقة أن منشأ عبادة الأصنام بين عرب الجاهلية يعود إلى «عَمْرِو بْنَ لُحَيّ» الذي كان من طبقة الأشراف في مكة و "خَرَجَ مِنْ مَكّةَ إلَى الشّامِ فِي بَعْضِ أُمُورِهِ فَلَمّا قَدِمَ مَآبَ مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ، وَبِهَا يَوْمَئِذٍ الْعَمَالِيقُ – وَهُمْ وَلَدُ عِمْلَاقٍ، وَيُقَالُ عِمْلِيقُ بْنُ لَاوِذْ بْنِ سَامَ بْنِ نُوحٍ – رَآهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ فَقَالَ لَهُمْ مَا هَذِهِ الْأَصْنَامُ الّتِي أَرَاكُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا لَهُ: هَذِهِ أَصْنَامٌ نَعْبُدُهَا، فَنَسْتَمْطِرُهَا فَتُمْطِرُنَا، ونَسْتَنْصِرُهَا فَتنْصُرُنَا، فَقَالَ لَهُمْ أَفَلَا تُعْطُونَنِي مِنْهَا صَنَمًا فَأَسِيرَ بِهِ إلَى أَرْضِ الْعَرَبِ، فَيَعْبُدُوهُ؟ فَأَعْطَوْهُ صَنَمًا يُقَالُ لَهُ «هُبَلُ» فَقَدِمَ بِهِ مَكّةَ، فَنَصَبَهُ وَأَمَرَ النّاسَ بِعِبَادَتِهِ وَتَعْظِيمِهِ. "(١).

واستمر ذلك إلى الحدِّ الذي انتظر فيه المشركون وتمنَّوا من حضرة النبيِّ محمَّدٍ رسولِ الله ﷺ أن يوافق على عبادة أصنامهم لأن شفاعتها مرجوَّة! كما هو مسطور في قصة «الغرانيق» حين نطق الشيطان بجملة "تلك الغرانيق العلا وإنَّ شفاعَتَهُنَّ لتُرْتَجى ". لكن هذه الشفاعة أيًّا كان أمرها، فإن العرب كانوا يهدفون من ورائها إلى تحقيق أمورهم الدنيوية

---

(١) يُنظر **سيرة ابن هشام**، ج ١، ص٨٣، و**البداية والنهاية** لابن كثير ج ٢، ص١٨٨.

وإصلاح أمر معاشهم لأن عرب الجاهلية والوثنيين لم يكونوا يؤمنون بالآخرة حتى يطلبوا من الأصنام أن تشفع لهم عند الله كي يُنقذهم من العذاب ويُدخلهم الجنة! كما قال الآلوسي: "شُبهات العرب كانت مقصورة على إنكار البعث وجحد إرسال الرسل "[1]. كما تشهد بذلك آيات عديدة في القرآن الكريم التي تُبيِّن هذا المعنى وهو أن المشركين العرب لم يكونوا يؤمنون بالحياة بعد الموت وكانوا يسخرون من رسول الله ﷺ الذي كان يُخبرهم بأنه ستكون لهم بعد حياتهم في هذه الدنيا حياةٌ جديدةٌ أبديةٌ لا نهاية لها في عالم آخر ويقولون: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧﴾ [سبأ: ٧]. وجاء أحدهم بعظمة مهترئة لإنسان ميت وقال للنبيّ: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨﴾ [يس:٧٨]. ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝١٦ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ۝١٧﴾ [الصافات: ١٦- ١٧]. ومن أشعارهم المعروفة:

حياةٌ ثم موتٌ ثم نشرُ حديثُ خرافةٍ يا أمّ عَمْرو[2]

وكان «قُسُّ بْنُ ساعِدَة» أول من آمن بالبعث من العرب وقالوا: "هو أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية ". وكان معاصرًا لرسول الله ﷺ، وذكر الجاحظ في كتابه «**البيان والتبيين**» أن رسول الله ﷺ نقل كلامًا سمعه من «قُسِّ بن ساعدة» واستحسن كلامه وأيّده. فكان هو وحده من يعتقد بالبعث بعد الموت ولم يكن هناك فرد آخر من أهل الجاهلية اشتُهر بإيمانه بالحياة بعد الموت.

إذن لم يكن بين عرب الجاهلية من يعتقد بالآخرة حتى تُطرح مسألة الاستشفاع بالأصنام لغفران الذنوب، إذ لم يكن هناك من يعتقد بالآخرة فلم يكن العرب يطلبون من أصنامهم ومعبوداتهم الشفاعة الآخروية بل كانوا يطلبون منها الشفاعة في أمور حياتهم الدنيوية، والأمر ذاته كان لدى المجوس في عقيدتهم بالملائكة الذين كانوا ينتظرون منهم الشفاعة والترّحم ليُمطر الله على الناس المطر ويُنبت الزرع والثمر، وكانت النصرانية هي

(١) الآلوسي، **بلوغ الأرب**، ج ٢، ص ١٩٨.

(٢) الآلوسي، **بلوغ الأرب**، ج ٢، ص ١٩٨.

الدين الوحيد الذي يتحدث عن الحياة بعد الموت ودخول ملكوت السماء، ومع ذلك فقد طُرح موضوع الشفاعة أيضًا فيها بكل قوة ولكن بصورة مختلفة.

فكثيرٌ من آيات الشفاعة في القرآن التي تبيِّن أن الشفاعة موقوفة على إذن الله ومنوطة بمشيئته، يشير إلى تلك الشفاعة التي كانت الأمم الماضية -لاسيما عرب الجاهلية- يؤمنون بها لأجل حاجاتهم في الدنيا ولإصلاح أمور معاشهم كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فقد جاء قبل تلك الجملة قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وجاء بعدها قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة:٢٥٥]، فلم يأتِ هنا كلامٌ عن الآخرة حتى يكون هدف الشفاعة غفران الذنوب فيها. ويقول تعالى أيضًا: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [يس: ٢٣]. ويقول تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣]، ويقول: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ [السجدة: ٤] وآيات أخرى.

فهذه الآيات تنفي الشفاعة بمعنى نفي قدرة الشفعاء على تدبير أمور السماء والأرض وإيصال الضرّ والنفع بدون إذن الله، أي تلك الشفاعة ذاتها والتوسل والتوسط ذاته الذي كان الزردشتيون ينتظرونه من الملائكة وكان أتباع الفلاسفة ينتظرونه من العقول العشرة، وكان أهل الجاهلية ينتظرونه من أصنامهم وآلهتهم الملائكة أيضًا.

نعم إن القرآن الكريم يُصدِّقُ حقيقةَ أن الملائكة أُوكل إليها القيام ببعض شؤون الخليقة، مثل ملك الموت المأمور بتوفي نفوس العباد كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة: ١١]. أو قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام: ٦١]، ومثل الملائكة التي أُوكل إليها تدبير بعض الأوامر كما في قوله سبحانه: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾﴾ [النازعات: ٥]، أو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ

عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠﴾ [الانفطار:١٠]، وقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤﴾ [الطارق: ٤]، ولكن أيًّا من هؤلاء الملائكة لا يمكنهم التصرف في الكون والمكان دون إذن من رب العالمين، وأكثرهم لا تصرف له أصلاً في أمور الخليقة كما نقرأ في سورة النجم قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ۝٢٦﴾ [النجم: ٢٦]. فالخطاب في هذه الآية موجه في الواقع إلى عُبّاد الأصنام الذين أشارت الآيات التي قبلها إلى أنهم كانوا يعبدون الملائكة وينحتون أصنامًا على شكلها الذي يتصورونه وذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ۝٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ۝٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢﴾ [النجم: ١٩، ٢٢]، كما أنها ذات علاقة بالشفاعة العامة والاستغفار الذي تقوم به الملائكة للمؤمنين.

وبعد أن ينفي اللهُ سبحانه وتعالى الشفاعةَ عن الملائكة إلا لمن يأذن له ويأمره بها بحق من يرتضيه، يقول عقب ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ۝٢٧﴾ [النجم: ٢٧،٢٨]، وهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة هم ذاتهم الذين وصفتهم الآية التالية من السورة ذاتها في قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝٢٩﴾ [النجم: ٢٩]، فلم يكونوا يتوقعون من الملائكة الشفاعة في أمور الآخرة بل كانوا يظنون أن الملائكة تشفع لهم في أمور الدنيا وأحوال المعيشة. وقد ذمّهم الله تعالى بسبب اعتقادهم بتلك العقيدة وبيّن لهم أنه لا يوجد كائنٌ أيًّا كان يمكنه أن يتدخل -بدون إذن الله وأمره- في أمور الدنيا والآخرة. ويقول سبحانه وتعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ۝٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٤٤﴾ [الزمر: ٤٣، ٤٤]، فهذه الآية تُبيِّن أن مُلْك السموات والأرض بيد الله وحده لأنه خالقها فليس لأحد حق التطفل في مُلْكه، وَمِنْ ثَمَّ فطلب شيء من غير الله على نحو مطلق غير مقيّد شرك، وكل من أراد طلب شيء أو انتظار تحقيق أمر فعليه أن يطلبه من الله وينتظر تحقيقه من الله وحده. وإذا كان المشركون أيضًا يؤمنون بوجود أرواح بعد الموت فإنهم لم يكونوا يعتقدون بالحساب والثواب والعقاب كي يحتاجوا إلى من يشفع لهم في هذا الشأن،

فالشفاعة في مذهب المشركين كانت مقصورة على الأمور الدنيوية، وقد نفى الله هذه الشفاعة أو بيّن أنها موكولة إليه وموقوفة على إذنه، وبيّن أنه إذا كان للملائكة يد في تدبير الأمور فإن ذلك كان يتم بإذن الله وأمره الذي عهد إليهم بتلك الأمور وهم لا يقومون بها إلا بأمر الله وإذنه وبحول الله وقوّته.

ولا توجد في القرآن حتى آية واحدة تُثبت شفاعة كائن لكائن آخر على ذلك النحو وتلك الصورة التي يُحِبّ عامة الناس حصولها لهم يوم القيامة. بل على العكس من ذلك تنفي آيات القرآن بشكل صريح وواضح أن يُغْنِيَ شخصٌ عن آخر شيئًا يوم القيامة أو يكفيه من عذاب ذلك اليوم، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الدخان: ٤١]، ويقول: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴿٤٨﴾﴾ [البقرة: ٤٨]، ويقول أيضًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة: ٢٥٤] أي أن كثيرًا من الناس يرتكبون المعاصي ويظلمون أنفسهم نتيجةً لغرورهم بالشفاعة والخلّة.

لاحظوا أن الآية الأخيرة تبتدئ بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ ثم تنفي كل صور الشفاعة والوساطة يوم القيامة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ مما يُبْطِلُ بشكل قاطع دعوى الذين يتصوَّرون أن نفيَ الشفاعة خاصٌّ بالشفاعة للكفار وعبّاد الأصنام أمّا المؤمنين فسيتمتَّعون يوم القيامة بشفاعة مستجدّة أخرويَّة، فكأن الله يريد أن يقول إن الذين لا يُصدّقون بهذا المعنى ويتصورون شفعاء لأنفسهم يُنقذونهم من عذاب الله كانوا كافرين بهذه الآيات وظالمين لأنفسهم. وأيضًا يقول تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنعام: ٥١][(١)] ويقول في

---

(١) لا شكّ أن الذين يخافون أن يُحْشَرُوا إلى ربّهم هم من المؤمنين الموحِّدين، ومع ذلك بيّن تعالى بكل وضوح أنه ليس لديهم ذلك اليوم – أي يوم القيامة – أيُّ وليٍّ أو شفيعٍ. (المُنَقِّح)

السورة ذاتها: ﴿وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ﴾ [الأنعام: ٧٠] ففي كل تلك الآيات تمّ نفي الشفاعة بشأن الإنقاذ من العذاب الأخروي المستحق على نحو لم يترك لطامعٍ أيَّ مطمعٍ وعلى نحوٍ يجعل المؤمنين يائسين من هذا الباب كليًا.

نعم إن ما يتمسَّك به مُدَّعو الشفاعة بشأن الجزاء الأخرويّ هو ما جاء من استثناء بحرف «إلا» عقب بعضِ الآيات القرآنية النافية للشفاعة كقوله تعالى في سورة مريم: ﴿وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ٨٦ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ٨٧﴾ [مريم: ٨٦- ٨٧]. في حين أن القرآن الكريم ينفي مثل هذا العهد في أغلب الآيات كما ينفي الشفاعة. فمثلاً إذا رجعنا إلى عدة آيات قبل الآيات المذكورة في سورة مريم ذاتها نجد أن الله تعالى يقول موبخًا الكفار: ﴿أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ٧٨ كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ٧٩﴾ [مريم: ٧٨-٧٩] أو ذمّ اليهود لقولهم: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠﴾ [البقرة: ٨٠]، أي أنكم لو اتخذتم مثل هذا العهد مع الله بأنكم مهما ارتكبتم من جرائم وذنوب فإن الشفاعة ستنالكم وستُغفر جرائمكم وآثامكم، فإن الله سيفي حتمًا بعهده لكم!! والحقيقة أن بيان الآية تقريعي أي أنه لا يوجد مثل هذا العهد أصلاً ولم يُعطِ الله وعدًا لأيّ أحد بمثل ذلك. ومن حيث المبدأ فإن عهد الله مع عباده هو أن يعبدوه وحده ولا يعبدوا الشيطان [يس: ٦٠] وأن يلتزموا بالعدل وبأحكام الشريعة، وإلا فإن الله تعالى بيَّن في القرآن الكريم أنه لم يعقد بأي وجه من الوجوه مع أيّ أحد من المخلوقات عهدًا وميثاقًا بأن يتجاوز عن جرائمه ومعاصيه أو يتجاوز عن معاصي من يتوسط الشفعاء له. وبيَّن تعالى أنه لم يقبل حتى شفاعة نوح عليه السلام لابنه [هود: ٤٥ و٤٦]، ولا شفاعة إبراهيم بشأن قوم لوط [هود: ٧٦] كما لم يقبل شفاعة نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم بشأن المنافقين [التوبة: ٨٠]

ومن حيث المبدأ فإن القرآن الكريم ينفي تمامًا مسألة الشفاعة التي انتشرت بين العوام إلى درجة أنه -كما ذكرنا سابقًا- عندما ينقل الله تعالى لنا قولَ المشركين الوثنيين الذين يقولون: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ يُعَقِّب على قولهم مباشرةً بقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس: ١٨]، أي أن الله لا يعلم وجود مثل هؤلاء الشفعاء في مُلْكه على الإطلاق(١).

وهذا المَثَل يُماثِلُ قول شخص لك إن الشخص الفلاني شريك لك في لباسك أو بيتك! أو أن في بيتك الشيء الفلاني أو الشخص الفلاني، فتُبدي أنت استنادًا إلى علمك الكامل بعدم وجوده عدم معرفتك بمثل هذا الأمر وتلوم قائله بالجهل وبأنه يتطفل ويتكلم كلامًا لا أساس له من الصحة. بعدئذ يعتبر الله تعالى مسألة الاستشفاع شركًا ويعتبر مثل هذه الشفاعة تطفلاً وقحًا في مُلْك الله وملكوته ويقول طردًا وردًّا: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] أي أن الله تعالى منزّه ومتعال عما يدعيه المشركون من شركاء لِلَّهِ في مُلْكه. كما يعتقد غلاة الشيعة بمثل هذه الشفاعة بشأن أئمتهم أو يعتقد بعض أتباع المذاهب امتلاك أئمتهم لمثل هذه الشفاعة.

❊❊❊

(١) ذكرنا سابقًا أن نفي العلم هذا هو من باب عدم تعلّق العلم بالمعدوم.

حقيقة الشفاعة الصحيحة ومفهومها في الكتاب والسنة[1]

---

١ - لمعرفة عقيدة أهل السنة والجماعة في الشفاعة، أحب أن أذكر التعليق التالي، حتى يكون القارئ على بينة من أمره في معرفة عقيدة أهل السنة في الشفاعة:

الشفاعة هي التوسط للغير في جلب المنفعة أو دفع المضرة. **وهي قسمان**: القسم الأول: الشفاعة التي **تكون في الآخرة** - يوم القيامة -. القسم الثاني: الشفاعة التي **تكون في أمور الدنيا**. فأما الشفاعة التي **تكون في الآخرة فهي نوعان:**

النوع الأول: الشفاعة الخاصة، وهي التي تكون للرسول ﷺ خاصة لا يشاركه فيها غيره من الخلق وهي أقسام:

أولها: الشفاعة العظمى - وهي من المقام المحمود الذي وعده الله إياه، في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء:٧٩]. وحقيقة هذه الشفاعة هي أن يشفع لجميع الخلق حين يؤخر الله الحساب فيطول بهم الانتظار في أرض المحشر يوم القيامة فيبلغ بهم من الغم والكرب ما لا يطيقون، فيقولون: من يشفع لنا إلى ربنا حتى يفصل بين العباد، يتمنون التحول من هذا المكان، فيأتي الناس إلى الأنبياء فيقول كل واحد منهم: لست لها، حتى إذا أتوا إلى نبينا ﷺ فيقول: «أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا». فيشفع لهم في فصل القضاء، فهذه الشفاعة العظمى، وهي من خصائص النبي ﷺ. [صحيح البخاري (٣٣٤٠، ٤٤٧٦، ٤٧١٢)، وصحيح مسلم (٣٢٢، ٣٢٦)]

ثانيها: الشفاعة لأهل الجنة لدخول الجنة: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ». [صحيح مسلم (٣٣٣)].

ثالثها: شفاعة الرسول ﷺ لعمه أبي طالب، كما في صحيح البخاري (١٤٠٨) وصحيح مسلم(٣٦٠).

رابعها: شفاعته ﷺ في دخول أناس من أمته الجنة بغير حساب: وهذا النوع ذكره بعض العلماء واستدل له بحديث أبي هريرة الطويل في الشفاعة وفيه: «ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ

مِنْ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ الْأَبْوَابِ». [رواه البخاري (٤٣٤٣) ومسلم (٢٨٧)].

النوع الثاني: **الشفاعة العامة**، وهي تكون للرسول ﷺ ويشاركه فيها من شاء الله من الملائكة والنبيين والصالحين وهي أقسام: **أولاها**: الشفاعة لأناس قد دخلوا النار في أن يخرجوا منها. [انظر: صحيح مسلم (٢٦٩)]

ثانيها: الشفاعة لأناس قد استحقوا النار في أن لا يدخلوها، وهذه قد يستدل لها بقول الرسول ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ». [صحيح مسلم (١٥٧٧)] فإن هذه شفاعة قبل أن يدخل النار، فيشفعهم الله في ذلك.

ثالثها: الشفاعة لأناس من أهل الإيمان قد استحقوا الجنة أن يزدادوا رفعة ودرجات في الجنة. [صحيح البخاري، ج٨، ص ٤١، صحيح مسلم ج٢ ص٦٣٤].

شروط هذه الشفاعة: دلت الأدلة على أن الشفاعة في الآخرة لا تقع إلا بشروط، هي:

١) **رضا الله عن المشفوع له**، لقول تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٨]. وهذا يستلزم أن يكون المشفوع له من أهل التوحيد لأن الله لا يرضى عن المشركين.

٢) **إذن الله للشافع أن يشفع** لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقال تعالى: وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ﴾ [سبأ: ٢٣].

٣) **رضا الله عن الشافع**، لقوله تعالى: ﴿لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩].

القسم الثاني: **الشفاعة المتعلقة بالدنيا، وهي على نوعين:**

الأول: ما يكون في مقدور العبد واستطاعته القيام به؛ فهذه جائزة بشرطين:

١) أن تكون في شيء مباح، فلا تصح الشفاعة في شيء يترتب عليه ضياع حقوق الخلق أو ظلمهم، كما لا تصح الشفاعة في تحصيل أمر محرم. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]

٢) أن لا يعتمد بقلبه في تحقيق المطلوب ودفع المكروه إلا على الله وحده، وأن يعلم أن هذا الشافع لا يعدو كونه سببا أَذِنَ الله به، وأن النفع والضر بيد الله وحده، وهذا المعنى واضح جدًّا في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ.

فإذا تخلف أحد هذين الشرطين صارت الشفاعة ممنوعة منهيا عنها.

الثاني: ما لا يكون في مقدور العبد، وطاقته ووسعه كطلب الشفاعة من الأموات وأصحاب القبور، أو من الحي الغائب معتقدا أن بمقدوره أن يسمع وأن يحقق له طلبه فهذه هي الشفاعة الشركية التي تواردت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بنفيها وإبطالها لما في ذلك من وصفهم بصفات الخالق عز وجل، لأن من صفاته عز وجل أنه هو الحي الذي لا يموت.

وشبهة هؤلاء أنهم يقولون: إن الأولياء وإن السادة يشفعون لأقاربهم، ولمن دعاهم، ولمن والاهم، ولمن أحبهم، ولأجل ذلك يطلبون منهم الشفاعة، وهذا بعينه هو ما حكاه الله عن المشركين الأولين: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨] يعنون معبوداتهم من الملائكة، ومن الصالحين، وغيرهم، وأنها تشفع لهم عند الله. وكذلك المشركون المعاصرون الآن؛ يقولون: إن الأنبياء والأولياء والأئمة يشفعون لنا، وإننا لا نجرؤ أن نطلب من الله بل نطلب منهم وهم يطلبون من الله، ويقولون: إن النبي ﷺ وسائر الأنبياء والصالحين أعطاهم الله الشفاعة، ونحن ندعوهم ونقول: اشفعوا لنا كما أعطاكم الله الشفاعة. ويضربون مثلاً بملوك الدنيا فيقولون: إن ملوك الدنيا لا يوصل إليهم إلا بالشفاعة إذا أردت حاجة فإنك تتوسل بأوليائهم ومقربيهم من وزير وبواب وخادم وولد ونحوهم يشفعون لك حتى يقضي ذلك الملك حاجتك، فهكذا نحن مع الله تعالى نتوسل ونستشفع بأوليائه وبالسادة المقربين عنده، فوقعوا بهذا في شرك السابقين، وقاسوا الخالق بالمخلوق. والله تعالى ذكر عن الرجل المؤمن في سورة يس قوله: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴿٢٣﴾﴾ [يس: ٢٣]. وذكر الله تعالى أن الكفار اعترفوا على أنفسهم بقولهم: ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٣-٤٨]

والنبي ﷺ وإن أعطي الشفاعة يوم القيامة، إلا أنه لن يتمكن منها إلا بعد إذن الله تعالى، ورضاه عن المشفوع له.

تُبيِّنُ بعضُ الآيات الكريمة في القرآن أن أمر الشفاعة موكول إلى إذن الله الذي يأذن بها بحق من رضي عنه أي المؤمنين الموحدين وفي هذا الصدد يقول تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ

ولهذا لم يدع ﷺ أمته لطلب الشفاعة منه في الدنيا، ولا نقل ذلك عنه أحد من أصحابه ﷺ، ولو كان خيرًا، لبلَّغه لأمته، ودعاهم إليه، ولسارع إلى تطبيقه أصحابه الحريصون على الخير، فعُلم أن طلب الشفاعة منه الآن منكر عظيم؛ لما فيه من دعاء غير الله، والإتيان بسبب يمنع الشفاعة، فإن الشفاعة لا تكون إلا لمن أخلص التوحيد لله.

وأهل الموقف إنما يطلبون من النبي ﷺ أن يشفع لهم في فصل القضاء، لحضوره معهم، واستطاعته أن يتوجه إلى ربه بالسؤال، فهو من باب طلب الدعاء من الحي الحاضر فيما يقدر عليه. ولهذا لم يرد أن أحدًا من أهل الموقف سيطلب منه ﷺ أن يشفع له في مغفرة ذنبه.

وهؤلاء الذين يطلبون منه الشفاعة الآن، بناء على جواز طلبها في الآخرة، لو ساغ لهم ما يدّعون، للزمهم الاقتصار على قولهم: يا رسول الله، اشفع لنا في فصل القضاء!! ولكن واقع هؤلاء غير ذلك، فهم لا يقتصرون على طلب الشفاعة، وإنما يسألون النبي ﷺ -وغيره - تفريج الكربات، وإنزال الرحمات، ويفزعون إليه في الملمات، ويطلبونه في البر والبحر، والشدة والرخاء، معرضين عن قول الله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢]

ومن خلال ما سبق يتضح لكل منصف أن الشفاعة المثبتة هي الشفاعة المتعلقة بإذن الله ورضاه، لأن الشفاعة كلها ملك له. ويدخل في ذلك ما أذن الله به من طلب الشفاعة في أمور الدنيا من المخلوق الحي القادر على ذلك، وينتبه هنا إلى أن هذا النوع إنما جاز لأن الله أذن به، وذلك لأنه ليس فيه تعلقٌ قلبيٌ بالمخلوق وإنما غاية الأمر أنه سبب كسائر الأسباب التي أذن الشرع باستخدامها. وأن الشفاعة المنفية هي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، لأن غير الله لا يملك الشفاعة ولا يستطيعها حتى يأذن الله له بها، ويرضى. فمن طلبها من غيره فقد تعدى على مقام الله، وظلم نفسه، وعرضها للحرمان من شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة، نسأل الله العافية والسلامة، ونسأله أن يُشفِّع فينا نبيه محمدًا ﷺ. آمين.

للاستزادة ينظر كتاب الشفاعة عند أهل السنة والجماعة للشيخ ناصر الجديع، والقول المفيد للشيخ محمد ابن عثيمين (١ /٤٢٣) وأعلام السنة المنشودة (١٤٤) للشيخ حافظ بن أحمد بن علي الحكمي. [نقلاً عن موقع الإسلام سؤال وجواب للشيخ محمد صالح المنجد بتصرف يسير. المُصحح]

ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾ [طه: ١٠٩]، ونلاحظ أن كلمة تنفع فعل مضارع في حين أن كلمة أذن فعلٌ ماضٍ أي أن الشفاعة لا تنفع في ذلك اليوم (أي يوم القيامة) إلا بحق الأشخاص الذين أذن لهم الله تعالى من قبل ورضي قولهم. وفي سورة سبأ يقول تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣].حيث يؤكد تعالى في هذه الآية أيضًا أن الشفاعة لا تنفع عنده إلا لمن سبق أن أَذِنَ له بها، ويوضح تعالى في موضع آخر مَنْ هُم هؤلاء الذين أَذِنَ لهم بالشفاعة فيقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٤ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٥ وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [الزخرف: ٨٤، ٨٦]. ونحوه قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٨] (هذه الآية الكريمة تشرح صفات الملائكة واختصاصاتهم).

بعد أن يُذكّرنا رب العالمين في تلك الآيات المباركات بأن ذاته المقدسة محيطة بملكوت السموات والأرض، وأن من سوى الله ممن يدعوه المشركون لا يملكون أيّ شيء، عندئذ يُبيّن منح حقّ الشفاعة بشأن مَنْ رضي الله عنهم ومَنْ شهدوا بالحق وعملوا وآمنوا بشريعة الله وعملوا بها ومَنْ هم عالمون بحدود الشفاعة ووظائفها عند قيامهم بها، أي يعلمون لمن يشفعون وفي أيّ مورد من الموارد يشفعون! فمن هذه الآيات يتبيّن أن هناك شفاعة وأن الذين سيستفيدون منها هم الأشخاص الذين رضي الله عنهم وارتضاهم وهم الذين يشهدون بالحق ويعملون به والذين هم في خشية دائمة من الله ويعملون بأوامره! هذا في حين أننا رأينا في الآيات السابقة أنه لن تكون هناك يوم القيامة أيّ شفاعة أصلاً!! فما قصة

هذا الاختلاف في هذا الأمر؟! إليكم إن شاء الله تعالى توضيح هذا الأمر على ضوء هداية القرآن الكريم الذي هو مدد العقل والوجدان السليم:

ذكرنا فيما سبق أنه لا توجد في كتابنا السماوي المجيد حتى آية واحدة أو إشارة واحدة إلى «**شفاعة**» تحصل يوم القيامة من إنسان من بني آدم – نبيّ أو غير نبيّ- لإنسان أو أناس آخرين بهدف رفع الجزاء الأخروي أو تخفيفه، وكل الآيات التي وردت فيها كلمة «الشفاعة»- سواء كانت تثبتها أو تنفيها – ناظرةٌ إلى شفاعة الأصنام التي كانت آلهة معبودة للمشركين أو إلى الملائكة المدبِّرة لشؤون الخلق والمتصرِّفة بأمور السموات والأرض طبقًا لأمر الله ومشيئته، وهاتان الطائفتان (الأصنام المعبودة والملائكة) كلاهما ليس من الإنس، فبالتأمل الدقيق والتعمّق في آيات القرآن الكريمة يتبيّن أنه لم تأت كلمة «**الشفاعة**» أو مشتقاتها في الكلام عن إنسانٍ «يشفع» يوم القيامة لإنسان آخر لينقذه من العذاب، والآيات الوحيدة التي يمكننا أن نستنبط منها شفاعة إنسان لإنسان آخر هي الآيات التي ورد فيها استغفار المؤمن للمؤمنين سواء كان المؤمنُ المستغفِرُ نبيًّا أو غير نبيّ، فشفاعة الإنسان للإنسان هي هذا الأمر فقط! وحتى شفاعة الملائكة أيضًا هي في الواقع استغفار للمؤمنين أي طلبٌ لمغفرة ذنوبهم والرحمة بهم.

ويدل على هذا المعنى– إضافة إلى تشخيص العقل والوجدان وصريح آيات القرآن كما سيأتي بيانه- نصوص الأحاديث الصحيحة التي رواها الفريقان والتي تُثبت أن الشفاعة هي في الغالب الاستغفار عينه لا غير كما يأتي:

١- جاء هذا المعنى بصراحة في الحديث الشريف الذي أورده المجلسي في بحار الأنوار (ج ١٨، ص ٦٠، طبع كمپاني) نقلاً عن كتاب «**الأمالي**» (ص ٤٥٦) للشيخ الصدوق (ره) بسنده عَنِ الحُسَيْنِ بْنِ عُلْوَانَ عَنِ الصَّادِقِ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ: "**مَا مِنْ مُؤْمِنٍ أَوْ مُؤْمِنَةٍ مَضَى مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ أَوْ هُوَ آتٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَهُمْ شُفَعَاءُ لِمَنْ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ». وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُسْحَبُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ: يَا رَبَّنَا! هَذَا الَّذِي كَانَ يَدْعُو لَنَا فَشَفِّعْنَا فِيهِ فَيُشَفِّعُهُمُ اللهُ فَيَنْجُو**

"[١]. فشفاعة المؤمنين لبعضهم بعضًا هي استغفارهم لبعضهم بعضًا ومنه استغفار المؤمن لأربعين مؤمن في صلاة الليل أي شفاعته لأربعين مؤمن، كما جاء استحباب ذلك في الأخبار.

٢- وأيضًا في المجلسي في بحار الأنوار (ج ١٨، ص ٢٨٠، طبع كمپاني) نقلاً عن «**علل الشرائع**» (ج ١، ص ٢٦٧) و«**عيون أخبار الرضا**» (ج ٢، ص ١١٣) للشيخ الصدوق: عن الفضل بن شاذان فيما رواه من العلل عن الرضا عليه السلام قال: "**إِنَّمَا أُمِرُوا بِالصَّلَاةِ عَلَى الْـمُيِّتِ لِيَشْفَعُوا لَهُ وَلِيَدْعُوا لَهُ بِالْـمَغْفِرَةِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ أَحْوَجَ إِلَى الشَّفَاعَةِ فِيهِ وَالطَّلِبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ...**[٢].... **إِنَّمَا أُرِيدَ بِهَا** [أي الصلاة على الميت] **الشَّفَاعَةُ لِهَذَا الْعَبْدِ الَّذِي قَدْ تَخَلَّى عَمَّا خَلَفَ وَاحْتَاجَ إِلَى مَا قَدَّم**... ".

أجل، لـمّا أصبح الميت في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة وكان المؤمنون الأحياء عالمين بأعماله وأخلاقه فإنهم يسألون له المغفرة والرحمة فهذا هو مقصود حضرة الإمام من الشفاعة أي أن حسن الأعمال دافع لاستغفار المؤمنين له.

٣- ويقول المرحوم «الطُّرَيْحِيّ» في «مجمع البحرين» ذيل كلمة «شفع»: "المراد بالشفاعة الحسنة الدعاء للمؤمنين، والشفاعة السيئة الدعاء عليهم، وفي حديث الصلاة على الميت: "وَإِنْ كَانَ الْـمُسْتَضْعَفُ مِنْكَ بِسَبِيلٍ فَاسْتَغْفِرْ لَهُ عَلَى وَجْهِ الشَّفَاعَةِ مِنْكَ لَا عَلَى وَجْهِ الْوَلَايَة ""[٣].

---

(١) وروى نحوه الكُلَيْنِيُّ في **الكافي**، ج ٢، ص ٥٠٧. (المُنَقِّح). الشيخ الصدوق، كتاب الأمالي، ص ٤٥٦. والحديث رواه الكُلَيْنِيُّ في كتاب «الكافي» بلفظ قريب كما يلي: (مَا مِنْ مُؤْمِنٍ دَعَا لِلْمُؤْمِنِينَ والْـمُؤْمِنَاتِ إِلَّا رَدَّ اللهُ عَزَّ وجَلَّ عَلَيْهِ مِثْلَ الَّذِي دَعَا لَهُمْ بِهِ مِنْ كُلِّ مُؤْمِنٍ ومُؤْمِنَةٍ مَضَى مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ أَوْ هُوَ آتٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ الْعَبْدَ لَيُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُسْحَبُ فَيَقُولُ الْـمُؤْمِنُونَ والْـمُؤْمِنَاتُ يَا رَبُّ هَذَا الَّذِي كَانَ يَدْعُو لَنَا فَشَفِّعْنَا فِيهِ فَيُشَفِّعُهُمُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ فِيهِ فَيَنْجُو). «الكافي» (ج٢/ ص ٥٠٧). (المترجم)

(٢) الشيخ الصدوق، «علل الشرائع»: ١- باب علل الشرائع وأصول الإسلام، ج١/ ص٢٦٧، و«عيون أخبار الرضا»، ج٢/ ص ١١٣.

(٣) هذا الحديث رواه الصدوق في «من لا يحضره الفقيه»، ج١، صص ١٦٨-١٦٩، و الكُلَيْنِيّ في الكافي، ج ٣، ص ١٨٧. (المُنَقِّح)

ويقصد بالمستضعف غير الشيعيّ أي أنك تستغفر له لأنه مسلم فتشفع له بهذا الاستغفار.

٤- نقل الملاّ الفيض الكاشاني في تفسير «الصافي» ذيل تفسيره للآية الكريمة ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ﴾ [النساء: ٨٥] حديثًا من أصول الكافي عن حضرة زين العابدين بن علي بن الحسين عليهما السلام يؤيد المعنى الذي ذكرناه للشفاعة بأنها الاستغفار.

٥- ويروي الشيخ الصدوق في «**من لا يحضره الفقيه**» (ج ١، صص ١٦٨-١٦٩)، في بَاب الصَّلَاةِ عَلَى المَيِّتِ حديثًا عن الإمام الصادق عليه السلام هو ذلك الحديث ذاته الذي أشار إليه الطريحيّ بأنَّ الشفاعة هي دعاء المؤمنين لبعضهم بعضًا، جاء فيه: "**وَإِنْ كَانَ الْمُسْتَضْعَفُ مِنْكَ بِسَبِيلٍ فَاسْتَغْفِرْ لَهُ عَلَى وَجْهِ الشَّفَاعَةِ مِنْكَ لَا عَلَى وَجْهِ الْوَلَايَةِ** "(١).

٦- ويروي الشيخ الكُلَيْنِيُّ في «**الكافي**» (ج ٣، ص ١٨٥)، بَابُ الصَّلَاةِ عَلَى الْـمُؤْمِنِ وَالتَّكْبِيرِ وَالدُّعَاءِ، "عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الْـخَالِقِ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام **فِي الصَّلَاةِ عَلَى الجَنَائِزِ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ خَلَقْتَ هَذِهِ النَّفْسَ وَأَنْتَ أَمَتَّهَا تَعْلَمُ سِرَّهَا وَعَلَانِيَتَهَا أَتَيْنَاكَ شَافِعِينَ فِيهَا فَشَفِّعْنَا**... ".

٧- وفي الكتاب ذاته (ج ٣، ص ١٨٨)،، بَابُ الصَّلَاةِ عَلَى الْـمُسْتَضْعَفِ وَعَلَى مَنْ لَا يَعْرِفُ "عَنْ ثَابِتٍ أَبِي الْـمِقْدَامِ قَالَ كُنْتُ مَعَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَإِذَا بِجَنَازَةٍ لِقَوْمٍ مِنْ جِيرَتِهِ فَحَضَرَهَا وَكُنْتُ قَرِيبًا مِنْهُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: **اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ هَذِهِ النُّفُوسَ وَأَنْتَ تُمِيتُهَا وَأَنْتَ تُحْيِيهَا وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِسَرَائِرِهَا وَعَلَانِيَتِهَا مِنَّا وَمُسْتَقَرِّهَا وَمُسْتَوْدَعِهَا اللَّهُمَّ وَهَذَا عَبْدُكَ وَلَا أَعْلَمُ مِنْهُ شَرًّا وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ وَقَدْ جِئْنَاكَ شَافِعِينَ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ فَإِنْ كَانَ مُسْتَوْجِبًا فَشَفِّعْنَا فِيهِ**

---

(١) ورواه الكُلَيْنِيُّ في الكافي (ج ٣، ص١٨٧)، بَابُ الصَّلَاةِ عَلَى الْـمُسْتَضْعَفِ وَ عَلَى مَنْ لَا يَعْرِفُ، بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قَالَ: إِنْ كَانَ مُسْتَضْعَفًا فَقُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْـجَحِيمِ، وَإِذَا كُنْتَ لَا تَدْرِي مَا حَالُهُ فَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ يُحِبُّ الْـخَيْرَ وَأَهْلَهُ فَاغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَتَجَاوَزْ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ الْمُسْتَضْعَفُ مِنْكَ بِسَبِيلٍ فَاسْتَغْفِرْ لَهُ عَلَى وَجْهِ الشَّفَاعَةِ لَا عَلَى وَجْهِ الْوَلَايَةِ".

وَاحْشُرْهُ مَعَ مَنْ كَانَ يَتَوَلَّاهُ "[١].

٨- ويروي صاحب «**جواهر الكلام**» في كتاب الصلاة نقلاً عن «**من لا يحضره الفقيه**» / باب الصلاة على الميت حديثًا عن حضرة الإمام الباقر عليه السلام يقول فيه: "**مَنْ تَبِعَ جَنَازَةَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ أُعْطِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَرْبَعَ شَفَاعَاتٍ وَ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا إِلَّا قَالَ لَهُ الْـمَلَكُ وَلَكَ مِثْلُ ذَلِكَ** "[٢].

٩- ويقول العلامة الحليّ (ره) في «**تذكرة الفقهاء**» (ص٤٥): "والصلاة على الميّت استغفارٌ وشفاعةٌ "، ويؤيِّدُ ذلك الحديثُ الذي أورده المرحوم الشهيد الأول في كتابه «**الذكرى**» عن الإمام الرضا عليه السلام قال: "**إمَامُكَ شفيعُك إلى الله عزّ وجلّ فلا تجعل شفيعَك سفيهًا ولا فاسقًا** ".

١٠- ويروي المرحوم الحاج النوري الطبرسيّ في كتاب «**مستدرَك الوسائل**» (ج ٢، ص٢٩٢): "الشَّرِيفُ الزَّاهِدُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْـحُسَيْنِيُّ فِي كِتَابِ التَّعَازِي، بِإِسْنَادِهِ عَنْ صَالِحِ بْنِ هِلَالٍ عَنْ أَبِي الْـمَلِيحِ بْنِ أُسَامَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ يَقُولُ: **لَا يُصَلِّي عَلَى رَجُلٍ أَرْبَعُونَ رَجُلاً فَيَشْفَعُونَ فِيهِ إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهُ** ".

إن الأحاديث التي تدلّ على أن شفاعة المؤمنين بحق بعضهم بعضًا وشفاعة النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) بحق الأمّة هي الاستغفار الذي يتم في هذه الدنيا ويتجسّم في الآخرة فينتفع منه المشفوع له نكتفي منها بهذه الروايات العشرة التي ذكرناها، وقد جاءت روايات في كتب العامّة في نفس المعنى وسنذكر فيما يلي نماذج عنها ليتيقَّن القارئُ أن الشفاعة التي تنفع في الآخرة هي الشفاعة ذاتها التي تتم بحق شخص في هذه الدنيا ويستحقها ذلك الشخص، إن شاء الله تعالى:

١- في صحيح مسلم (ج ٣، ص ٥٣): "عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.... إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) الكُلَيْنِيُّ في «الكافي» ج٣/ ص١٨٨.

(٢) الشيخ الصدوق، «**من لا يحضره الفقيه**»، ج ١، ص١٦١، حديث رقم٤٥٣. والكُلَيْنِيُّ، «**الكافي**»، بَابُ ثَوَابِ مَنْ مَشَى مَعَ جَنَازَةٍ، ج ٣، ص١٧٣.

يَقُولُ: مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَّعَهُمْ اللهُ فِيهِ "[١].

٢- وفي سنن النسائي (ج ٤، ص ٦٢)، كتاب الجنائز، باب فضل من صلى عليه مائة: "عَنْ عَائِشَةَ أمِّ المؤمنين عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ أَنْ يَكُونُوا مِائَةً يَشْفَعُونَ إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ ".

٣- وفي صحيح مسلم (ج ٣، ص ٥٣) وفي سنن النسائي (ج ٤، ص ٦٢): "عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَزِيدَ رَضِيعِ عَائِشَةَ عَنْ عَائِشَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ أَنْ يَكُونُوا مِائَةً يَشْفَعُونَ إِلاَّ شُفِّعُوا فِيهِ "[٢].

٤- وفي سنن النسائي أيضًا "عن أبي بَكَّارٍ الْـحَكَمُ بْنُ فَرُّوخَ قَالَ: صَلَّى بِنَا أَبُو الْـمَلِيحِ عَلَى جَنَازَةٍ فَظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ كَبَّرَ فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ وَلْتَحْسُنْ شَفَاعَتُكُمْ. قَالَ أَبُو الْـمَلِيحِ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ وَهُوَ ابْنُ سَلِيطٍ عَنْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْـمُؤْمِنِينَ وَهِيَ مَيْمُونَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: أَخْبَرَنِي النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنْ النَّاسِ إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ، فَسَأَلْتُ أَبَا الْـمَلِيحِ عَنْ الْأُمَّةِ فَقَالَ أَرْبَعُونَ ". وهذا الحديث جاء أيضًا في مسند أحمد بن حنبل، ج ٦، ص ٣٣١ و ٣٣٤.

٥- وفي سنن ابن ماجه (ص ٤٧٧) ومسند أحمد بن حنبل (ج ١، ص ٢٧٧) "عَنْ كُرَيْبٍ مَوْلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: هَلَكَ ابْنٌ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ لِي: يَا كُرَيْبُ! قُمْ فَانْظُرْ هَلْ اجْتَمَعَ لِابْنِي أَحَدٌ؟ فَقُلْتُ نَعَمْ. فَقَالَ: وَيْحَكَ كَمْ تَرَاهُمْ أَرْبَعِينَ؟ قُلْتُ: لَا بَلْ هُمْ أَكْثَرُ. قَالَ: فَاخْرُجُوا بِابْنِيَّ فَأَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: مَا مِنْ أَرْبَعِينَ مِنْ مُؤْمِنٍ يَشْفَعُونَ لِمُؤْمِنٍ إِلَّا شَفَّعَهُمْ اللهُ "[٣].

(١) **صحيح مسلم**، كتاب الجنائز، باب من صلى عليه أربعون شُفِّعُوا فيه.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنائز/ باب من صلى عليه مائة شُفِّعوا فيه. (المترجم)

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب ما جاء في الجنائز، باب فيمن صلى عليه جماعة. (المترجم)

فهذه الأحاديث التي يتفق عليها جميع أئمة الحديث من أهل الإسلام تُظهر أن الشفاعة هي الاستغفار الذي يؤديه المؤمنون لشخص مؤمن لاسيما أثناء صلاة الجنازة على الميت وذلك لأنهم في الدنيا يشهدون أعمال بعضهم البعض ويفرّقون إلى حد ما بين الصالح والطالح فيطلبون الغفران والرحمة لمن يجدوه أهلاً لذلك أي يشفعون له.

ولقد تفطَّن إلى ذلك العلامة فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير «**مفاتيح الغيب**» (ج١، ص٣٥) فقال: "قوله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [محمد: ١٩] دلَّت الآية على أنه تعالى أمَرَ محمدًا بأن يستغفرَ لكلِّ المؤمنين والمؤمنات... ...... ولا معنى للشفاعة إلا هذا "، أي فذلك الاستغفار الذي أمر الله تعالى به نبيَّه هو شفاعته للمؤمنين.

وهذه الحقيقة تؤيدها وتبيِّنُها الروايات الواردة عن أئمة الإسلام: فقد ذكر المرحوم الشيخ الطوسي في تفسيره القيّم «**التِبيان**» (ج ١، ص ٤٤٣، طبع طهران): ذيل تفسيره للآية الكريمة سورة النساء التي تقول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤﴾ ".... وذكر الحسن في هذه الآية: أن اثني عشر رجلاً من المنافقين اجتمعوا على أمر من النفاق وائتمروا به فيما بينهم، فأخبره الله بذلك، وقد دخلوا على رسول الله، فقال رسول الله: إن اثني عشر رجلاً من المنافقين اجتمعوا على أمرٍ من النفاق، وائتمروا به فيما بينهم، فليقم أولئك فليستغفروا ربهم، وليعترفوا بذنوبهم حتى أشفع لهم. فلم يقم أحد! فقال رسول الله ﷺ: ألا تقومون؟ مرارًا. ثم قال: قم يا فلان وأنت يا فلان، فقالوا يا رسول الله! نحن نستغفر الله ونتوب إليه، فاشفع لنا. قال الآن أنا كنت في أول أمركم أطيب نفسًا بالشفاعة، وكان الله تعالى أسرع إلى الإجابة أخرجوا عني، فأُخْرِجُوا عنه حتى لم يرهم "[1].

فهذه القصَّة دليلٌ واضحٌ على أن الشفاعة هي الاستغفار، وليس في الآخرة بل الاستغفار في هذه الدنيا، كما تشير إليه بعض الأحاديث الشريفة، لا بل تصرّح بأن نبيَّ

(١) الشيخ الطوسي، «التبيان»، ج ٣/ ص ٢٤٤. (المترجم)

الإسلام ﷺ إنما يشفع للمؤمنين الذين رضي الله عنهم في الدنيا وليس يوم القيامة وإن كانت نتيجة تلك الشفاعة ستعود فائدتها إلى المشفوع له يوم القيامة، ومن جملة ذلك ما رواه علي بن إبراهيم القمي (أستاذ الكُلَيْنِيّ) في تفسيره ذيل تفسيره لقوله تعالى ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ بسنده عن الإمام عليه السلام أنه قال: "لَا يَشْفَعُ أَحَدٌ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ وَرُسُلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَأْذَنَ اللهُ لَهُ، إِلَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ مِنْ قَبْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِلْأَئِمَّةِ مِنْ وُلْدِهِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ "(١). وسنوضح هذه النقطة أكثر فيما بعد إن شاء الله.

وهناك نوعان من الشفاعة في القرآن الكريم كلاهما يتم بالطبع بإذن الله تعالى:

١- الشفاعة في الأمور الطبيعية وشؤون الخليقة التي تتم بواسطة القوى التي أوْكَلَ اللهُ تعالى إليها بعض المهام في تدبير شؤون العالم، مثل الإحياء والإماتة والمطر والقحط والوفرة والمرض والصحة وغيرها، وهي الشفاعة ذاتها التي كان يعتقد بها المشركون والثنوية ويلتمسونها من أوثانهم وملائكتهم والموجودات الروحانية والسماوية حيث يطلبون منهم أن يشفعوا لهم عند الله ليعينهم في القضايا المذكورة، وعلى كل حال مثل تلك التصرفات للملائكة وقوى العالم الروحاني رغم أنها موجودة في عالم الإمكان إلا أنها لا تتصرف في شؤون الكائنات إلا بإذن خالق البريات وأمره كما مرَّ معنا في الآيات سابقة الذكر.

٢- الشفاعة في أمور الآخرة أي في غفران الذنوب والتجاوز عن السيئات ورفع الدرجات يوم القيامة، والقرآن ينفي حصول مثل هذه «الشفاعة» بهذا اللفظ والمسمَّى يوم القيامة ويؤكد مرارًا أنَّ يومَ المحشر ﴿يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ﴾ [البقرة: ٢٥٤]. كما جاء في عديد من الآيات التي سبق ذكر بعضها.

نعم يذكر القرآن شفاعةً يمكنها أن تنفع بعض المؤمنين يوم القيامة وهم المؤمنون الذين

---

(١) علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، قم، مؤسسة دار الكتاب، ط٣، ١٤٠٤هـ، ج ٢، ص ٢٠٢. ورواه عنه المجلسي في بحار الأنوار، ج ٨، ص ٣٨.

رضي الله عنهم وأَذِنَ بأن يُشفع لهم، لذا يقوم النبيُّ أو الملائكة بالاستغفار للمؤمنين حال حياتهم في هذه الدنيا مما ينفعهم في الآخرة وينجيهم من عذابٍ موعودٍ أو يخففه عنهم، أو يوجب رفع درجاتهم في الجنة، ولكن مثل هذه الشفاعة مشروطة بثلاثة شروط وتعتمد على ثلاثة أصول:

- **الشرط الأول**: أن يكون المشفوع له من المؤمنين لأن الاستغفار لغير المؤمنين لا فائدة منه إطلاقًا كما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]، وقوله سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣].

- **الشرط الثاني**: أن يكون المشفوع له -إضافةً إلى كونه مسلمًا ومؤمنًا - مستحقًا للشفاعة ولائقًا بها وبالتالي أن يرتضيه الله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨].

- **الشرط الثالث**: أن هذه الشفاعة موقوفةٌ على إذن الله تعالى وموكولةٌ إلى مشيئته كما أشارت إليه الآية الأخيرة وكما تشير إليه آيات عديدة أخرى كقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ١٠٩﴾ [طه: ١٠٩]، ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣].

فالشفاعة يوم القيامة لا تنفع إلا من تحققت فيه الشروط الثلاث المذكورة.

وقلنا إن شفاعة النبي ﷺ لأفراد الأمة أو شفاعة المؤمنين بعضهم لبعض لا بد أن تتوفر فيها ثلاثة أصول أو شروط: (١) أن يكون المشفوع له مؤمنًا (٢) أن يأذن الله بالشفاعة للمشفوع له (٣) مورد الشفاعة.

الأصل الأول: الإيمان، أي إيمان المشفوع له، وتدل عليه آياتٌ عديدةٌ كقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ١٠٩﴾ [طه: ١٠٩]، وقوله سبحانه: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل‌عمران: ١٥٩]، و[النور: ٦٢

والممتحنة: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]. ففي هذه الآيات الكريمة أذِنَ اللهُ لنبيه الأكرم بل أمره أن يستغفر للمؤمنين ويدعو لهم، وفي مقابل ذلك نهاه الله تعالى عن الاستغفار للمشركين أو الكفار والمنافقين والدعاء لهم: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ٨٤﴾ [التوبة: ٨٤] ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة:١١٣].

وأما الأصل الثاني والثالث فقد دلت عليهما الآيات المذكورة ذاتها لأن إِذْنَ الله تعالى هو أمره لنبيه بالاستغفار للمؤمنين، وأمره للمؤمنين بالاستغفار لإخوانهم والمؤمن لا بد أن يكون عاملاً ومرضيًّا من الله، وإن شملته الشروط والعلل المخفَّفة[1]، كان قابلاً للشفاعة ومستحقًّا لها.

وهنا لا بد من التأكيد على نقطة مهمة وهي أنه في كل موضع في القرآن الكريم أُوكل فيه أمر الشفاعة لإذن الله جاءت لفظة الإذن بصيغة الفعل الماضي أي «أَذِنَ» حتى لو كانت كلمة «شفع» أو «نفعها» بالمضارع، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [طه: ١٠٩] ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]. فمضمون الآيتين يدلُّ على أن الشفاعة لا تنفع إلا لمن سبق له الإذن من الله، وهذه هي الحقيقة ذاتها التي بيناها من أن الشفاعة هي التي أَذِنَ اللهُ بها وأَمَرَ بها خلال الحياة الدنيا وقام بها النبي والمؤمنون وظهر نفعها في الآخرة، وإلا فإن حصول شفاعة متجدِّدة يوم القيامة بتلك الصورة التي تصورها المغرورون الضالُّون لا وجود لها. هذا ولربما تمت مثل هذه الشفاعة في الدنيا مِنْ قِبَلِ النبيِّ أو المؤمنين أو الملائكة لأشخاصٍ ظاهرهم غير باطنهم أي ما كانوا جديرين بها، فهؤلاء لن ينتفعوا بها يوم القيامة، كما جاء في عدد من آيات الكتاب الحكيم كقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾ [المدثر: ٤٨]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ١٢٣﴾ [البقرة: ١٢٣]، وقوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ

(١) تختلف هذه الشروط والعلل المخففة من شخص لآخر، وهي مبنية على الحكمة الإلهية الخافية عنا تمامًا.

سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ [التوبة: ٨٠]، وقوله عز من قائل: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ [المنافقون: ٦]..

إذَنْ من الممكن أن يستغفر النبي ﷺ والمؤمنون لمن ظاهره الإيمان دون أن يعلموا ما في باطنه من الكفر، فمثل هذا الاستغفار والشفاعة لن تجدي ذلك المنافق نفعًا كما لم تجدِ شفاعة نوح عليه السلام لابنه ولا شفاعة إبراهيم عليه السلام لأبيه، ولا شفاعة رسول الله ﷺ لأحد من أقربائه.

وكما ذكرنا سابقًا لم يأتِ في كتاب الله تصريحٌ واضحٌ ولا حتى لمرة واحدة بأن عمل «الشفاعة» سيقوم به، يوم القيامة، إنسانٌ من بني آدم – أيًّا كان- للناس الآخرين، بل كل ما جاء من ذكر لكلمة «الشفاعة» إنما كان الكلام فيه عن الملائكة سواء كان التشفّع لأجل الأمور الدنيوية أو يوم القيامة للأمور الأخروية. وتوضيح ذلك كما يأتي إن شاء الله:

ذكرنا سابقًا الآيات القرآنية الكريمة التي تثبت شفاعة الملائكة في أمور الخليقة وأما شفاعتهم في أمور المعاد والآخرة فقد جاءت في القرآن الكريم آياتٌ تؤيد تلك الشفاعة كقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٨]

فكما قلنا سابقًا لم تأت كلمة «الشفاعة» في القرآن الكريم إلا عن الملائكة سواء كانت شفاعتهم في أمور الخليقة أم في أمور يوم القيامة مع العلم أن كلا النوعين من الشفاعة موقوف على الإذن السابق لله تعالى ومشيئة ربّ العالمين.

وشفاعة الملائكة في أمور الآخرة ليست سوى استغفارهم للمؤمنين لا كما يظنه المشركون الغلاة، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٧]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الشورى: ٥] فيتبين أن الملائكة أيضًا يشفعون بالاستغفار وطلب العفو والرحمة، مع العلم أن هذا التشفُّع لا يكون إلا بإذن الله. وهنا تجدر الإشارة إلى نقطتين بشأن نفع الشفاعة:

النقطة الأولى: أن شفاعة الملائكة لأهل الأرض نابعة من فطرة الملائكة التي هي الخير المحض فلا تريد الملائكة لأهل العالم إلا كل خير وصلاح وهناك عدة روايات تؤيد هذا المعنى.

النقطة الثانية: أنَّ الملائكةَ المقربين من الله مثلَ حملة العرش والذين هم حول العرش، لا يستغفرون إلا للمؤمنين أما الملائكةُ الآخرونُ فيستغفرونَ لعامَّة أهل الأرض رغم أن استغفارهم هذا لن ينفع إلا من ارتضاهم الله من العباد وهو المعنى الذي يُستَنبط من الآية ٢٦ من سورة النجم: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم: ٢٦] ومن قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾ [المدثر: ٤٨].

وإذا اتضحت هاتان النقطتان فإنَّ هناك عدة أمور تنتج عنهما هي التالية:

١- لا وجود أبدًا للشفاعة بذلك المعنى الذي يعتقده الغلاة يوم القيامة من أن النبي أو الإمام سيشمِّران عن ساعد الجِدَّ أو بالأحرى سيتجرآن في ساحة المحشر على الشفاعة للمذنبين المجرمين المستحقين لعذاب جهنَّم لينقذوهم من عقاب الله، بل حتى شفاعة الصالحين لا تتم في مثل ذلك اليوم إذا لم تكن قد تمّت من قبل، أي إذا لم يكن قد أذن الله بها من قبل! وما جاء خلاف ذلك من روايات وأخبار فهو من نسج خيال الوضاعين الذين أغوتهم شياطين الإنس والجن ليجرِّئوا المجرمين والمترفين على معصية الله وتجاوز حدوده ويسوقوا أمة الإسلام بذلك إلى مهاوي الذل والهوان كما حصل ذلك فعلاً!

٢- لم تُسْتَخدَم كلمة الشفاعة في القرآن الكريم -سواء كانت الشفاعة يوم المعاد أو الشفاعة في أمور الدنيا- إلا بشأن الملائكة الذين وظَّفهم الله تعالى بالقيام ببعض أمور الخليقة والطبيعة. وهؤلاء لا يمكنهم أن يقوموا من عند أنفسهم بعمل من الأعمال التي أوكلت إليهم دون إذن الله لهم ومشيئة ودون حول الله وقوته، فليس لهم أي استقلال في أي أمر من الأمور، ولا لهم اعتماد على إرادتهم أو رغبتهم وميلهم في أي شيء من الأشياء.

وأما شفاعتهم في أمر الآخرة فهو الاستغفار للمؤمنين أو لعامة أهل الأرض وأمره

موكولٌ إلى الله إن شاء قبله وإن شاء لم يقبله. وهذا الاستغفار يتم في هذه الحياة الدنيا.

٣- لا توجد في القرآن الكريم آيةٌ تنصُّ بصراحةٍ على وجود شفاعة إنسان لإنسان يوم القيامة وفائدتها له، سواء كان الشفيع نبيًّا أم إمامًا أم مؤمنًا، بل إن آيات الكتاب تنكر مثل هذه الشفاعة وتؤكد أن ذلك اليوم لا تملك فيه نفسٌ لنفسٍ شيئًا والأمرُ يومئذٍ لِلَّهِ وحدَه وأن ذلك اليوم لا تنفعُ فيه شفاعةٌ ولا يغني فيه أحدٌ عن أحدٍ بل كلُّ نفسٍ ستكونُ رهينةً لأعمالها التي كسبتها في هذه الحياة الدنيا، وإذا أردنا أن نستنبط من القرآن الكريم إرادة خير وتشفُّع يقوم به إنسان لإنسان آخر فسنجد أنه الاستغفار الذي قام به النبيُّ ﷺ لبعض المؤمنين من أمته عملاً بأمر الله تعالى أو هو استغفار المؤمن للمؤمن وطلب الرحمة له في هذه الدنيا التي هي دار عمل ومحل عبادة وطاعة، أما غير ذلك فلا يجرؤ أحد يوم القيامة على الكلام أمام الله تعالى وحمله على تغيير حكمه وثنيه عن إنزال ما أوجبه من عذاب على مستحقيه من العباد كُلٌّ بحسب أعماله، كيف وهو يعلم أنه لن تنفع أحد شفاعةٌ ولن يُؤخذ من أحدٍ فديةٌ ولا هم يُستعتبون، بل كل امرئ سيكون مشغولاً بنفسه وغافلاً عن غيره.

٤- ليس قبولُ الله تعالى للشفاعةِ والاستغفارِ الذي تقوم به الملائكة أو النبيُّ والمؤمنون للآخرين حتميًا إلا إذا وقع على مستحقه أي كان المشفوع له مؤمنًا صادق الإيمان مرضيًا من الله، وذلك لأن الملائكة حاملي العرش وكذلك الأنبياء والمؤمنين لا يعلمون على نحو اليقين أن من يستغفرون لهم مؤمنون مرضيون مِنْ قِبَلِ الله أم لا؟ خاصة أن الملائكة حسب فطرتهم ملهمون بالخير المحض فلا يظهر منهم إلا تمني كل خير لكل أهل الأرض، على عكس الشياطين الأشرار بطبيعتهم فلا يريدون لأهل الأرض إلا الشرّ والسوء، فاستغفار أولئك الملائكة مَثَلُهُ مثل مطر الرحمة الذي يهطل على الأرض ولكن لا تنتفع منه إلا الأرض الخصبة كذلك استغفارهم لا ينتفع منه إلا من كان جديرًا به وقابلاً له، وكذلك النبي ﷺ الذي أكد لنا القرآنُ الكريمُ أنه لا يعلم الغيب ولا يعلم جميع المنافقين من أهل المدينة وما حولها كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْۚ﴾، قد يستغفر لأناس مردوا على النفاق لكن شفاعته هذه لن تفيدهم شيئًا لأنهم ليسوا ممن ارتضاه الله.

٥- إن هذه الشفاعة الصحيحة التي أوضحناها تستلزم أن يسعى كل مؤمن يرجو الخلاص يوم القيامة للإكثار ما استطاع من الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة لكي يستحق استغفار الملائكة والمؤمنين ويكون جديرًا بشفاعتهم وطلبهم من الله تعالى الرحمة له ولكي يقبل الله تعالى استغفارهم وشفاعتهم في حقِّه ويتغمّدهم برحمته ومغفرته.

٦- ومثل هذه الشفاعة هي في الحقيقة نتيجةٌ لعمل الإنسان ذاته الذي يصبح من خلال تكراره للأعمال الصالحة ومداومته على الأخلاق الفاضلة مستحقًا لنيل مثل هذا الفيض وذلك خلافًا للشفاعة بمفهومها الخاطئ التي تورث الغرور والتي يتصور صاحبها أنَّ تقرّبه ومغالاته بحق النبي أو الإمام ستنيله شفاعتهما التي ستُقبَل حتمًا ولو كان المشفوع له من الآثمين المجرمين الذين لم يكونوا يراعون لِلَّهِ حرمةً ولا يتورَّعون عن الكبائر والموبقات، وماتوا مصرِّينَ عليها، والذين مصيرهم الذي يستحقونه في الأساس أن يكونوا حطبًا لجهنَّم! فلعمري ما ظنّ أولئك إلا غرورٌ من الشيطان.

٧- إن شفاعة الملائكة والنبي والمؤمنين التي وصفناها بأنها الاستغفارُ للمؤمنين في الدنيا، تتجسم يوم القيامة الذي تتجسم فيه الأعمال، فيظهر الشفعاء والمشفوع لهم في عَرْصَات القيامة، سواء الذين قُبلت الشفاعة فيهم أو الذين لم تقبل، وهنا يتحسر المنافقون والمجرمون الفاجرون على عدم قبول شفاعة النبيِّ ﷺ والمؤمنين بشأنهم وهو ما تشير إليه الآية التي سبق وأوردناها من سورة المدثر في قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨].

لقد ظهر مما بيناه وأوضحناه أن مفهوم الشفاعة المنتشر اليوم على ألسنة وأفواه خطباء المنابر لا أساس له من الحقيقة وهو الغرور الشيطاني عينه الذي كان في الأديان الباطلة المنسوخة قبل الإسلام كاليهودية والمسيحية وغيرها والتي روجها الشيطان بين أتباعها ليضلهم عن سبيل الله واتبع سننها كثيرون في أمة الإسلام وكانت نتيجة ذلك ما نعلمه ونشهده من ذلّ وانحطاط نتيجة لاتّباع الشهوات وتعدّي حدود الله والتخلف عن أوامره وانتهاك محرماته مما هو مشهود بين المسلمين عامة وبين الشيعة خاصة الذين راج فيهم كثيرًا

هذا المفهوم المنحرف للشفاعة الذي يورث الغرور.

إن الشفاعة التي جاءت في الإسلام وبينها القرآن لا تجرِّئ أحدًا على المعصية ولا تورثه الغرور وليس هذا فحسب بل هي بحد ذاتها أفضل دافع ووسيلة مؤثرة للقيام بالأعمال الصالحة والتخلق بالأخلاق الفاضلة التي تجعل المؤمن مستحقًا لدعاء إخوانه المؤمنين له بالمغفرة والرحمة والذي يتقبله الله ويساعده إن كانت أعماله الصالحة غير كافية للنجاة من العذاب أو يساعده في رفع درجاته في الجنة.

والنقطة ذات الأهمية البالغة التي تستحق الانتباه الدقيق من القرَّاء الكرام هي ما ذكرناه أنه كلما ذُكرت الشفاعة في يوم القيامة جاء معها كلمة «أَذِنَ» بصيغة فعل الماضي أي أنه لا بد أن يكون الإذن بالشفاعة قد تمَّ إعطاؤه سابقًا حتى ينتفع بها المؤمن، وكلمة «تنفع» جاءت بصيغة المضارع، أي أن الشفاعة التي تمَّت، لن تنفع إلا إذا وقعت بعد الإذن، وشرط الإذن هو بصيغة الماضي ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩]

ومن البديهي أن ما ينتظره المؤمن يوم القيامة هو «نفع الشفاعة» لا «وقوع الشفاعة» والآيات الكريمة تدلُّ على هذا المعنى بوضوح وتصرّح بأنه لن تحصل يوم القيامة أي شفاعة، ولو وقعت –على سبيل فرض المحال– فلن تفيد ولن تُقبَل. وإنما قلنا على سبيل فرض المحال لأن القرآن قرنها بأعمال هي من المحالات ليبيِّنَ لنا أنه حتى وقوع المحالات لن يكون نافعًا ولا مقبولاً، فقرن عدم نفعها بعدم نفع إعطاء الفدية ولا نفع تقديم كل ما لدى الإنسان من مال ولو كان الدنيا وما فيها وبعدم نفع صداقة الخلّان، فقال تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨]وقال ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [البقرة: ١٢٣]، وقال: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ [الأنعام: ٧٠].. فمن الواضح أنه لا يوجد يوم القيامة تقديم فدية ولا عدل حتى يقبل أو لا يقبل، ومثله قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩] مع أنه لا مال يوم القيامة ولا بنون يمكن تقديمهم حتى ينتفع بذلك الإنسان أو لا ينتفع، أي أن الله يريد أن يقول حتى لو كان هناك بفرض المحال مالٌ أو بنون يوم القيامة أو مجالٌ لتقديم فِدْيَة أو الافتداء بتقديم

أموال لدنيا وما فيها أو الاستفادة من شفاعة صديق خليل فإنها لن تنفع ولن تُقبل.

والشفاعة الوحيدة التي تنفع وتُقبل هي أن يرى الله تعال عبده في الدنيا قد قام بالأعمال الصالحة التي جعلته مرضيًا عند الله عندئذ تستغفر له الملائكة والأنبياء والمؤمنون أي يطلبون له الغفران والرحمة، وهذا الاستغفار هو الشفاعة التي ستنفعه يوم القيامة وتُوجب غفران سيئاته أو رفع درجاته وأكبر دليل على ذلك هو مجيء الإذن الإلهي بصيغة الماضي أي أنه أعطى الإذن للشفاعة -أي الاستغفار- في الدنيا فظهرت نفعها يوم القيامة.

هنا قد يأتي سؤال أنه قد ورد في بعض آيات القرآن لفظ الإذن بالشفاعة أو الشفاعة نفسها بصيغة المضارع كقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم: ٢٦] وقوله سبحانه: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، فهنا نقول:

كما بينا سابقًا وسنبينه لاحقًا، هذه الشفاعات خاصة بالملائكة وهي مستمرة نظرًا إلى استمرار توالد بني البشر وتناسلهم على الدوام، مثلما هو استغفار الملائكة للمؤمنين الذي جاء بصيغة المضارع لأنه مستمر، فليس الأمر مربوطًا بالشفاعة بشأن الجزاء يوم القيامة، فلا تناقض ولا اختلاف في آيات الكتاب لمن تأمل من أولي الألباب، بل مطالب القرآن يؤيد بعضها بعضًا ويعضد بعضها الآخر، كالبناء الرفيع المنيع الذي أتقنته يد الخالق ومشيئته، وشاهدته قوة العقل والفهم لدى كل مؤمن واعٍ فقال: تبارك الله رب العالمين. فشفاعة النبي ﷺ مثل رسالته: بشارةٌ وإنذارٌ، ينتفع بها من عمل لها واستحقَّها. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١﴾ [فاطر: ٣١]

[اعتراضٌ والإجابةُ عنه]

يتمسّك بعض الذين يريدون إثبات وقوع الشفاعة يوم القيامة بمفهوم المخالفة للآيات التي جاء فيها أن الكفار والمجرمين يتحسّرون يوم القيامة على حرمانهم من الشفيع كما جاء في سورة الشعراء: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ١٠١﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠١]، وكما

جاء في سورة المدّثّر: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝٤٨﴾ [فاطر: ٤٨]. وكما جاء في سورة غافر: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ۝١٨﴾ [غافر: ١٨]، أو يتحسرون على عدم وجود شفعاء لهم كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۝٥٣﴾ [الأعراف: ٥٣].

فيريد المعتقدون بالشفاعة الأخروية أن يستداوا بمفهوم المخالفة في هذه الآيات على أن هناك شفاعة للمؤمنين حُرم منها الكافرون، مع أن المتأمل لتلك الآيات ونظائرها يدرك أنه لا مفهوم مخالفة لها، فهؤلاء الكفار يتمنَّون يوم القيامة أن يكون لهم حميمٌ يُطاعُ؟ فهل هذا يدل على أن للمؤمنين حميمٌ يُطاع؟ إن هذه الأمنية شأنها شأن سائر الأمنيات الأخرى التي لا مصداق لها يوم القيامة تمامًا مثل تمنيهم أن يُرَدُّوا إلى الدنيا ليعملوا غير ما كانوا يعملون: ﴿أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ﴾، ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ﴾ [المؤمنون: ٩٩- ١٠٠]، وهي - كما أسلفنا - أمنية مُحالة يستحيل تحققها لأي أحد (سواء الكافرين أم المؤمنين).

ألا نرى أن الله تعالى يقول: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠﴾ [المعارج: ٨-١٠]، ألم يقُلْ الله تعالى بعدها: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤﴾ [المعارج: ١١، ١٤]. فهل هذه الحالة خاصَّة بالمجرمين؟ أليست هذه من الأمنيات المستحيلة؟ ألم يقل الله تعالى عن جميع الناس يوم القيامة: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾ [عبس: ٣٣، ٣٧].

فهذه الحالة تقع للجميع، وتلك الآمال والأمنيات التي يتمناها الآثمون لاسيَّما الذين يرجون أن يكون لهم شفيع أو حميم مطاع، أمنيات مستحيلة لأنه لن يكون هناك يوم القيامة شفيعٌ يَشْفَع ولا حميمٌ يَنْفَع، ولا عودة إلى الحياة الدنيا ولا فديةٌ تؤخَذ......

بهذا البيان يتضِّح أن أساس مسألة الشفاعة ليس على ذلك النحو الذي نشره الغلاة

وأعداء الدين على السنة الناس وأفواههم، وقضوا على تعاليم الدين به، بل لا بد من فهم الشفاعة على ضوء القرآن الكريم لا طبقًا لمت تُمليه الأهواء والرَّغَبات، وكما قلنا، لقد نفى القرآن الكريم الشفاعة يوم القيامة مكررًا كما في قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨﴾ [البقرة: ٤٨]، وقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣﴾ [البقرة: ١٢٣].

لقد صرحت الآيتان السابقتان بأن الشفاعة يوم القيامة لا تُقبل ولا تَنفع.

ولعل الطامعين الباحثين عن حجة يتمسكون بها، والجهلاء اللجوجين، يحاولون الهروب من قبول هذه الحقيقة، ويقولون: إن أقصى ما تفيده الآيات المذكورة أن هناك شفاعة يوم القيامة ولكنها لن تقبل ولن تنفع. ونقول لهؤلاء إن تلك الآيات التي نفت قبول الشفاعة وفائدتها نفت كذلك قبول العدل (الفدية) وفائدتها، فكلاهما على حدٍّ سواء لن يكون موجودًا ولا حاصلاً يوم القيامة، إذ من البديهي أن لا أحد يقدر على تقديم فدية يوم القيامة ولذلك يتمنى المجرم أن يتمَّ تقديم شخص آخر بدلاً منه فديةً عنه، حتى ولو كان ذلك الآخر أعزّ الناس إليه مثل أبنائه أو زوجته وإخوته: ﴿يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ١١﴾ [المعارج:١١]، والآية التالية من سورة الحديد تصرح بانتفاء أي فدية في ذلك اليوم: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الحديد: ١٥]، فهل هل ثمَّة فدية في يوم القيامة حتى لا يأخذها الله من المنافقين أو من الكافرين؟ ويأخذها مثلاً من المؤمنين؟ أم أن في متناول المجرم في ذلك اليوم أن يقدم أبناءه أو زوجته أو إخوته فديةً لكن الله لن يقبل ذلك منه؟ بالطبع ليس ثمَّة فدية ولا شيء في متناول الكافر وغيره يوم القيامة، بل هذا مجرد أماني كما ذكر الله تعالى عن الكافرين والمجرمين مرارًا تمنيهم مثل هذه الأماني يوم القيامة، وتمنيهم أن يفدوا أنفسهم من العذاب بكل ما يتاح لهم لكنهم لا يملكون لا فدية ولا يجدون شيئًا يعطونه ليخلصوا أنفسهم من العذاب ولو فرض أن وجدوا شيئًا فإن الله لن يقبله منهم. كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ وَأَسَرُّواْ

ﱡٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖﱠ [يونس: ٥٤]، ويقول في الآية ١٨ من سورة الرعد: ﱡلِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٨ﱠ، ويقول في الآية ٤٧ من سورة الزُّمَر: ﱡوَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ٤٧ﱠ. ويقول في الآية ٣٦ من سورة المائدة: ﱡإِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦ﱠ.

فكما أنه لا مجال لتقديم «فدية» ولو كانت كل ما في الأرض ومثله معه، وعلى فرض امتلاك مثل هذه الفدية - ولو كان فرضًا مُحالاً - فإن دفعها لن يغني صاحبها شيئًا ولن ينقذه من العذاب الأليم، كذلك كلمة الشفاعة التي جاءت في الآيات مجاورة لكلمة الفدية وكذلك الصديق والحميم، فهي كلها غير متاحة أصلاً يوم القيامة، ولو فُرِضَ وجودها - ولو كان فرضًا مُحالاً - فلن تنفع أصحابها وقد صرَّح القرآن الكريم بذلك في خطابة للمؤمنين في الآية ٢٥٤ من سورة البقرة: ﱡيَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞﱠ فهذه رد صريح قاطع على مثبتي الشفاعة يوم القيامة لأنه تفيد بكل وضوح أنه لا توجد شفاعة يوم القيامة تمامًا كما لا يوجد بيع ولا خلَّة.

وفي جميع آيات القرآن لا توجد أدنى إشارة إلى وجود شفاعة يوم القيامة بل كلها تنفي هذه الشفاعة تمامًا. نعم، الشفاعة التي في القرآن هي الشفاعة التي يقوم بها المؤمنون أو الملائكة أو النبيّ ﷺ بواسطة استغفار بعضهم لبعض وطلب الرحمة والعفو ومن خلال العبادة، لأن الدنيا دار عمل وعبادة: «اليوم عمل ولا حساب وغدًا حساب ولا عمل». وهذا الاستغفار أيضًا لا يكون إلا بإذن الله وللمؤمنين فقط.

بهذا البيان يتَّضح كيف أنه لا يوجد أي تناقض في آيات القرآن الكريم. وتظهر مسألة الشفاعة على صورتها الحقيقية طبقًا للعقل والنقل الصحيح. أما ما يذكره الطامعون بالشفاعة الآخروية ففيه تناقض واضح: فمن جهة يُبيِّن القرآن بصراحة أن لا شفاعة يوم القيامة، ومن

الجهة الأخرى يربط اللهُ الشفاعة بإذنه السابق، ومن جهة ثالثة يتمنّى المجرمون شفيعًا ينفعهم، ومن الجهة الرابعة نجدهم فتحوا باب الشفاعة بأقصى ما يُمكن من سعة!؟ نعم، يرى المجرمون الطماعون هذه الآيات ويروا التناقض فيما بينها ولما كانت روح الطمع قوية في الإنسان فإن الغرور ومكر الشيطان ودسائس الغلاة وأعداء الدين أظهرت هذه القضية بصورة وكأن الله والنبيّ -والعياذ بالله- يهذيان! فمن جهة يُخيف الله تعالى الآثمين والمجرمين من عذاب جهنم الشديد الذي سينالونه عقابًا على ما ارتكبوه من خطايا ومعاصي وتعدٍّ لحدود الله، ومن الجهة الأخرى يفتح الله نفسه أمامهم باب الشفاعة على مصراعيه! أي أنه بعد أن يبني للناس بناء الدين وصرح التشريعات ذي البنيان المحكم والذي تمت هندسته على أفضل نحو، يأتي بمسألة الشفاعة ليُوجّه ضربة إلى أساس ذلك البنيان الشامخ القوي فيهدمه كله على أنقاضه! حتى لا يبقى منه أثر ولا حجر! هذا في حين أن القرآن من حيث المبدأ لا يُصدّق أيَّ شيء من أوهامهم وزخرف القول الذي يدّعونه بل يقبل بحكمته الكاملة الشفاعة في الدنيا بإذن الله للمؤمنين التي هي الاستغفار، الذي تعود فائدته للمؤمنين يوم القيامة بغفران ذنوبهم ورفع درجاتهم، أما تلك الشفاعة المُختَلَقَة فلا خبر عنها يوم القيامة بل هي مجرّد أماني ألقاها الغرور الشيطاني في نفوس الضالين.

إن هؤلاء سيُفاجَؤُون يوم القيامة بذهاب آمالهم أدراج الرياح فيصيحون: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠١]، وعندئذٍ سيُقَال لهم: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ... وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: ٩٤]، فلن يبقى لهم سوى الحسرة والندم!

❁❁❁

الأئمَّة عليهم السلام ينفون الشفاعة عن أنفسهم ويحصرون النجاة بالتقوى والورع

عمدةُ مستند القائلين بالشفاعة الآخروية، التي ستقع يوم القيامة من قِبَل النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمَّة عليهم السلام، وغيرهم من المؤمنين، ومستمسكهم الأساسي في هذه المسألة، مجموعةٌ من الأحاديث الضعيفة والموضوعة المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو الأئمَّة المعصومين عليهم السلام. وسنقوم لاحقًا بتمحيص تلك الأحاديث وبيان حالها سندًا ومتنًا بالاستفادة من كتب الرجال والدراية، هذا رغم أن مثل تلك الأحاديث المتضمنة لمطالب تعارض كتاب الله تعالى بوضوح يجب أن يُضرب بها عرض الحائط [طبقًا لتعاليم الأئمَّة عليهم السلام أنفسهم] مهما كان حال سندها. فلا ينبغي للعقلاء وأصحاب الإيمان أن يعتنوا بها أو يعيروها أية أهمية.

ولكن قبل تمحيص تلك الأحاديث نبدأ بذكر مجموعة من الأحاديث المروية عن الأئمَّة الأطهار سلام الله عليهم ينفون فيها الشفاعة بذلك المفهوم عن أنفسهم ويؤكدون أنهم لن يُغْنُوا يوم القيامة عن أحدٍ شيئًا، وأن النجاة في ذلك اليوم العسير لن تكون إلا لمن تحلَّى بالتقوى والورع والعمل الصالح. ومن الجدير بالذكر أن هذه الأحاديث توافق تعاليم القرآن تمامًا فهي صحيحة من هذه الجهة بغض النظر عن حال أسانيدها:

١- في كتاب «**الأمالي**» للشيخ الطوسي (ره) (ج ١، ص ٣٨١) عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال لخَيْثَمَةَ: **"أَبْلِغْ شِيعَتَنَا أَنَّهُ لَنْ يُنَالَ مَا عِنْدَ الله إِلَّا بِعَمَلٍ وَأَبْلِغْ شِيعَتَنَا أَنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ وَصَفَ عَدْلاً ثُمَّ يُخَالِفُهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَأَبْلِغْ شِيعَتَنَا أَنَّهُمْ إِذَا قَامُوْا بِمَا أُمِرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الفَائِزُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ "**(١).

---

(١) الشيخ الطوسي، «الأمالي»، ص ٣٧٠.

٢- وفي «**مشكوة الأنوار**» للشيخ الطبرسي[١] (ص ٣٢)، وفي المجلد ١٨ من «**بحار الأنوار**» للمجلسي (أو ج ٦٧، ص ٣٠٩ من الطبعة الجديدة) نقلاً عن دعائم الإسلام، بسندهم عن الفُضَيْل عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: "قال لي: يا فُضَيْل! أَبْلِغْ من لقيتَ مِنْ مَوَالِينَا عنَّا السَّلام وَقُلْ لَهُمْ إِنِّي لا أُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ الله شيئًا إلا بالوَرَع فَاحْفَظُوا أَلْسِنَتَكُمْ وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَعَلَيْكُمْ بالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ، إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ".

٣- وفي «**الروضة من الكافي**» للشيخ الكُلَيْنِيِّ (ص ٣٤٢، المطبعة الإسلامية) عن الإمام الصادق عليه السلام: "..... **وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الله وبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَنْ دُونَ ذَلِكَ مِنْ خَلْقِهِ كُلِّهِمْ إِلَّا طَاعَتُهُمْ لَهُ فَاجْتَهِدُوا فِي طَاعَةِ الله إِنْ سَرَّكُمْ أَنْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ حَقًّا**... (إلى قوله): **وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ يُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ الله أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ شَيْئًا لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَنْ دُونَ ذَلِكَ، فَمَنْ سَرَّهُ أَنْ تَنْفَعَهُ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ عِنْدَ الله فَلْيَطْلُبْ إِلَى الله أَنْ يَرْضَى عَنْهُ** "[٢].

لاحظوا كيف يتطابق مضمون هذا الحديث مع الآية الكريمة التي تقول: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩].

٤- اتّفق الفريقان على صحة الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال مرارًا: "**يا فاطمة بنت محمد ويا صفيّة عمة رسول الله.... اعملا لما عند الله.... فإني لا أُغني عنكما من الله شيئًا** "[٣].

---

(١) هو أبو الفضل علي بن الحسن بن الفضل بن الحسن الطبرسي، ابن الحسن بن الفضل صاحب كتاب «مكارم الأخلاق»، وحفيد أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطبرسي مؤلف تفسير «**مجمع البيان**». وهو من كبار علماء الإمامية في القرن السادس الهجري. (المُنَقِّح)

(٢) **الروضة من الكافي** للكُلَيْنِيُّ، ج ٨، ص ١١.

(٣) هذه الرواية نُقلت بالصورة الآتية أيضًا: "**يا فاطمة سليني من مالي ما شئت، لا أُغني عنك من الله شيئًا**" (برقعي).

قلت: وأشار الشيخ الطوسي إلى هذا الخبر في تفسيره «التبيان» ذيل تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ

إن هذا الكلام الذي تفضّل به حضرة النبيّ ﷺ في آخر سنة من عمره الشريف هو مضمون الآية الكريمة التي تحدثت عن زوجتي النبيين نوح ولوط عليهما السلام فقالت: ﴿فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا﴾ [التحريم: ١٠]. ومثلها قوله تعالى عن أبناء يعقوب على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٦٧] وقد صدّق الله قول يعقوب هذا فقال: ﴿مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [يوسف:٦٨]

٥- وفي كتاب «**الأمالي**» للشيخ الطوسي (ص ٣٠٢)... عن جابر بن يزيد الجعفي، قال خدمتُ سيدَنا الإمامَ أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام ثماني عشرة سنة، فلما أردتُ الخروج ودَّعْتُهُ، وقلتُ أَفِدْنِي. فقال: بعد ثماني عشرة سنة يا جابر؟! قلت: نعم إنكُم بَحْرٌ لا يَنْزِفُ وَلا يُبْلَغُ قَعْرُهُ. فقال: **يَا جَابِرُ! بلِّغْ شيعتي عَنِّي السَّلامَ، وَأَعْلِمْهُمْ أَنَّهُ لا قَرَابَةَ بَيْنَنَا وبَيْنَ اللهِ عزَّ وَجَلَّ، وَلا يُتَقَرَّبُ إِليْهِ إلا بِالطَّاعَةِ لَهُ. يَا جَابِرُ! مَنْ أَطَاعَ اللهَ وأَحَبَّنَا فهو وَلِيُّنَا، وَمَنْ عَصَى اللهَ لم يَنْفَعْهُ حُبُّنَا، يَا جَابِرُ!** مَنْ هذا الذي يسأَلُ اللهَ فَلَمْ يُعْطِهِ، أو تَوَكَّلَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَكْفِهِ، أَوْ وَثَقَ بِهِ فَلَمْ يُنْجِهِ؟... "[1].

٦- وفي «**مشكاة الأنوار**» للطبرسي (ص ٥٦، طبع النجف): "عَنْ عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ بِلَالٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام وَنَحْنُ جَمَاعَةٌ فَقَالَ: **كُونُوا النُّمْرُقَةَ الْوُسْطَى يَرْجِعُ إِلَيْكُمُ الْغَالِي وَيَلْحَقُ بِكُمُ التَّالِي، وَاعْلَمُوا يَا شِيعَةَ آلِ مُحَمَّدٍ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللهِ مِنْ قَرَابَةٍ وَلَا لَنَا**

عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] حيث قال: "وقيل: ذَكِّر عشيرتَك الأقربين أي عَرِّفْهُم إنَّكَ لا تُغْنِي عَنْهُم مِنَ اللهِ شيئًا إن عَصَوْهُ... وقد فعل (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) ذلك". كما روت صحاح أهل السنة وسننهم نحو هذا الخبر وكنموذج نذكر ما جاء في المسند لأحمد بن حنبل: "يَا بَنِي عَبْدِ الـمُطَّلِبِ! اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ اللهِ، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ! وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ! اشْتَرِيَا أَنْفُسَكُمَا مِنْ اللهِ لَا أُغْنِي عَنْكُمَا مِنْ اللهِ شَيْئًا سَلَانِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمَا"، هذا وقد نقل العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره الميزان (ج ١٥، ص٣٣٣) هذه الروايات ذيل تفسيره للآية المذكورة أي قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾. (المُنَقِّح)

(١) الشيخ الطوسي، «الأمالي»، ص ٢٩٦. (المترجم)

عَلَى اللهِ حُجَّةٌ، وَلَا يُتَقَرَّبُ إِلَى اللهِ إِلَّا بِالطَّاعَةِ، مَنْ كَانَ مُطِيعًا لِلَّهِ نَفَعَتْهُ وِلَايَتُنَا، وَمَنْ كَانَ عَاصِيًا لَمْ تَنْفَعْهُ وِلَايَتُنَا. قَالَ: ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا وَقَالَ: لَا تَغْتَرُّوا وَلَا تَفْتَرُوا. قُلْتُ: وَمَا النُّمْرُقَةُ الْوُسْطَى؟ قَالَ: أَلَا تَرَوْنَ أَهْلاً تَأْتُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلنَّمَطِ الْأَوْسَطِ فَضْلَه؟ "[١].

٧- وفي **روضة الكافي** للكليني (ص ٢٦)، (أو ج ٨، ص ١٦ من الطبعة الجديدة) عن صحيفةَ الإمامِ عليِّ بنِ الحُسَين زين العابدين عليه السلام التي رواها عنه أبو حمزة الثمالي: "...**وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَبِيدُ اللهِ ونَحْنُ مَعَكُمْ يَحْكُمُ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ سَيِّدٌ حَاكِمٌ غَدًا، وَهُوَ مُوقِفُكُمْ وَمُسَائِلُكُمْ فَأَعِدُّوا الْجَوَابَ قَبْلَ الْوُقُوفِ وَالْمُسَاءَلَةِ وَالْعَرْضِ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾. وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يُصَدِّقُ يَوْمَئِذٍ كَاذِبًا وَلَا يُكَذِّبُ صَادِقًا وَلَا يَرُدُّ عُذْرَ مُسْتَحِقٍّ وَلَا يَعْذِرُ غَيْرَ مَعْذُورٍ، لَهُ الْحُجَّةُ عَلَى خَلْقِهِ بِالرُّسُلِ وَالْأَوْصِيَاءِ بَعْدَ الرُّسُلِ، فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ وَاسْتَقْبِلُوا فِي إِصْلَاحِ أَنْفُسِكُمْ وَطَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ مَنْ تَوَلَّوْنَهُ فِيهَا...** "[٢].

٨- وفي «**مشكاة الأنوار**» للطبرسي (ص ٦٣، طبع النجف):..... عن عمر بن يزيد... ثم أقبل علينا أبو جعفر (أي الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام) فقال: "**وَاللهِ مَا مَعَنَا مِنَ اللهِ بَرَاءَةٌ وَمَا بَيْنَنَا وبَيْنَ اللهِ قَرَابَةٌ وَلَا لَنَا عَلَى اللهِ حُجَّةٌ ولَا يُتَقَرَّبُ إِلَى اللهِ إِلَّا بِالطَّاعَةِ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُطِيعًا نَفَعَتْهُ وَلَايَتُنَا وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ عَاصِيًا لِلَّهِ لَمْ تَنْفَعْهُ وِلَايَتُنَا** "[٣].

٩- وفي كتاب «**صفات الشيعة**» للشيخ الصدوق (ص ٦، طبع طهران) من جملة بيانات وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشريفة: "عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: "لما

---

(١) أقول ويشبهه في المعنى ما رواه الكُلَيْنِيُّ، في الكافي، (ج ٢، ص ٧٥- ٧٦) عن أَبِي جَعْفَرٍ الباقر عليه السلام قَالَ: "**يَا مَعْشَرَ الشِّيعَةِ شِيعَةِ آلِ مُحَمَّدٍ! كُونُوا النُّمْرُقَةَ الْوُسْطَى يَرْجِعُ إِلَيْكُمُ الْغَالِي وَيَلْحَقُ بِكُمُ التَّالِي..... وَاللهِ مَا مَعَنَا مِنَ اللهِ بَرَاءَةٌ وَلَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللهِ قَرَابَةٌ وَلَا لَنَا عَلَى اللهِ حُجَّةٌ، وَلَا نَتَقَرَّبُ إِلَى اللهِ إِلَّا بِالطَّاعَةِ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُطِيعًا لِلَّهِ تَنْفَعُهُ وِلَايَتُنَا وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ عَاصِيًا لِلَّهِ لَمْ تَنْفَعْهُ وِلَايَتُنَا. وَيْحَكُمْ لَا تَغْتَرُّوا! وَيْحَكُمْ لَا تَغْتَرُّوا!**". (المُنَقِّح)

(٢) الكُلَيْنِيُّ، قسم «الروضة» من كتاب «الكافي»، ج ٨/ ص ١٦. (المترجم)

(٣) علي بن الحسن الطبرسي، «مشكاة الأنوار»، نشر المكتبة الحيدرية في النجف الأشرف، ١٣٨٥ هـ.

فتح رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) مكة قام عَلَى الصَّفَا فَقَالَ يَا بَنِي هَاشِمٍ! يَا بَنِي عَبْدِ الْـمُطَّلِب! إِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ وَإِنِّي شَفِيقٌ عَلَيْكُمْ، لَا تَقُولُوا إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا فَوَالله مَا أَوْلِيَائِي مِنْكُمْ وَلَا مِنْ غَيْرِكُمْ إِلَّا الْـمُتَّقُونَ، أَلَا فَلَا أَعْرِفُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَأْتُونِي تَحْمِلُونَ الدُّنْيَا عَلَى رِقَابِكُمْ وَيَأْتِي النَّاسُ يَحْمِلُونَ الْآخِرَةَ! أَلَا وَإِنِّي قَدْ أَعْذَرْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَفِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ الله عَزَّ وَجَلَّ فِيكُمْ، وَإِنَّ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُم! "[1].

وهنا من المناسب أن ننقل ما ذكره ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة (ج ٢، ص٨٦٣، طبع بيروت) حيث روى في هذا الصدد ما يلي:

"**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَيسَ بَيْنَ الله وَبَيْنَ أَحَدٍ نَسَبٌ وَلا أمرٌ يُؤتيه بِهِ خَيْرًا أَوْ يَصْرِفُ بِهِ عَنْهُ شَرًّا إِلَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ ألا لَا يَدَّعِيَنَّ مُدَّعٍ وَلَا يَتَمَنَّيَنَّ مُتَمَنٍّ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْـحَقِّ لَا يُنْجِي إِلَّا عَمَلٌ مَعَ رَحْمَةٍ وَلَوْ عَصَيْتُ لَهَوَيْتُ، اللهم قد بلغت** ". ولما كان هذا الحديث موافقًا للقرآن الكريم الذي يقول: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٥﴾ [الأنعام: ١٥- يونس: ١٥ زمر: ١٣] قمت بإضافته إلى أحاديث الشيعة.

١٠ - وفي كتاب «**صفات الشيعة**» للصدوق (ص٥٣)[2] وأيضًا في «**مشكوة الأنوار**» للطبرسي (ص٥٦) باختلاف يسير: "... **عَنْ جَابِرٍ الْـجُعْفِيِّ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ**(عليه السلام)**: يَا جَابِرُ! أَيَكْتَفِي مَنِ اتَّخَذَ التَّشَيُّعَ أَنْ يَقُولَ بِحُبِّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ؟! فَوَ الله مَا شِيعَتُنَا إِلَّا مَنِ اتَّقَى اللهَ وَأَطَاعَهُ، وَمَا كَانُوا يُعْرَفُونَ إِلَّا بِالتَّوَاضُعِ وَالتَّخَشُّعِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَكَثْرَةِ ذِكْرِ اللهِ وَالصَّوْمِ**

(١) وقد روى الكُلَيْنِيّ في روضة الكافي (ج ٨، ص ١٨٢) أيضًا ما يشبه هذا الحديث وفيما يلي نصُّه: "عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ(عليه السلام) قَالَ: **قَامَ رَسُولُ الله** (صلى الله عليه وآله) **عَلَى الصَّفَا فَقَالَ يَا بَنِي هَاشِمٍ يَا بَنِي عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ إِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ وَإِنِّي شَفِيقٌ عَلَيْكُمْ؛ وَإِنَّ لِي عَمَلِي وَلِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ عَمَلَهُ. لَا تَقُولُوا إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا وَسَنَدْخُلُ مَدْخَلَهُ؛ فَلَا وَالله مَا أَوْلِيَائِي مِنْكُمْ وَلَا مِنْ غَيْرِكُمْ يَا بَنِي عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ إِلَّا الْـمُتَّقُونَ. أَلَا فَلَا أَعْرِفُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَأْتُونَ تَحْمِلُونَ الدُّنْيَا عَلَى ظُهُورِكُمْ وَيَأْتُونَ النَّاسُ يَحْمِلُونَ الْآخِرَةَ، أَلَا إِنِّي قَدْ أَعْذَرْتُ إِلَيْكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَفِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيكُمْ**". (المُنَقِّح)

(٢) أو ص ١٢ - ١٣ من الطبعة الجديدة. (المُنَقِّح)

وَالصَّلَاةِ وَالْبِرِّ بِالْوَالِدَيْنِ وَالتَّعَهُّدِ لِلْجِيرَانِ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَأَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَالْغَارِمِينَ وَالْأَيْتَامِ وَصِدْقِ الْحَدِيثِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَكَفِّ الْأَلْسُنِ عَنِ النَّاسِ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ، وَكَانُوا أُمَنَاءَ عَشَائِرِهِمْ فِي الْأَشْيَاءِ. قَالَ جَابِرٌ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ! مَا نَعْرِفُ أَحَدًا بِهَذِهِ الصِّفَةِ؟ فَقَالَ لِي: يَا جَابِرُ! لَا تَذْهَبَنَّ بِكَ الْمَذَاهِبُ حَسْبُ الرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ أُحِبُّ عَلِيًّا صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَأَتَوَلَّاهُ فَلَوْ قَالَ إِنِّي أُحِبُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَرَسُولُ اللهِ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُ سِيرَتَهُ وَلَا يَعْمَلُ بِسُنَّتِهِ مَا نَفَعَهُ حُبُّهُ إِيَّاهُ شَيْئًا. فَاتَّقُوا اللهَ وَاعْمَلُوا لِمَا عِنْدَ اللهِ. لَيْسَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ قَرَابَةٌ أَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللهِ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَيْهِ أَتْقَاهُمْ لَهُ وَأَعْمَلُهُمْ بِطَاعَتِهِ. يَا جَابِرُ! مَا يَتَقَرَّبُ الْعَبْدُ إِلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا بِالطَّاعَةِ مَا مَعَنَا بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَلَا عَلَى اللهِ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ حُجَّةٌ. مَنْ كَانَ لِلَّهِ مُطِيعًا فَهُوَ لَنَا وَلِيٌّ وَمَنْ كَانَ لِلَّهِ عَاصِيًا فَهُوَ لَنَا عَدُوٌّ. وَلَا تُنَالُ وَلَايَتُنَا إِلَّا بِالْعَمَلِ وَالْوَرَعِ "(١).

كانت تلك عشر روايات تنطبق مضامينها مع آيات القرآن الكريمة ومع حكم العقل والوجدان ولهذا أوردناها دون بحث في رجالها وأسانيدها عملاً بقول النبي والأئمة عليهم السلام: "فَمَا وَافَقَ الْقُرْآنَ فَخُذُوهُ " وقد اكتفينا بما ذكر رغم وجود أحاديث عديدة أخرى في هذا المجال واللبيب من الإشارة يفهم، أما الجاهل المعاند فلم تكفِهِ توراةُ موسى وعصاه ولا إنجيل عيسى ومعجزاته! فكم حري بأمة الإسلام وخاصّةً شيعة آل خير الأنام أن يرجعوا إلى أنفسهم ويعودوا إلى جادّة الحق والصواب وينقذوا أنفسهم من شر الدجالين والشياطين والكاذبين الغلاة الذين أوقعوا كل ذلك الخسران في دنيا المسلمين وآخرتهم، وإلا فسينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ﴾ [الحج: ١١] لقد أضحت مسألة الشفاعة، بهذا الاتساع والكيفية التي شاعت بين الناس، أكبر مصيبة وأهم سبب لعدم تطبيق أحكام الشريعة وأقوى دافع لارتكاب المعاصي وأشد مشجِّع على الكذب والبدعة، مع أنها - كما يشهد العقل والوجدان، وكما تبينه آيات القرآن بكل صراحة، وكما تقر به أقوال أهل بيت رسول الله - ليس لها أي أساس من عقل ولا من شرع ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣﴾ [البقرة: ٢١٣]

❖❖❖

(١) المصدر السابق، ص ١١- ١٣.

عامَّة أحاديث الشفاعة ضعيفة سندًا

سيقول الذين لا علم له بدسائس الوضّاعين بله الدجَّالين: إذن ما هي قصة هذه الشفاعة التي لا حدَّ لها ولا حساب التي نسمعها ليل نهار من قراء المراثي وخطباء المنابر والمدّاحين و وُعَّاظ مجالس العزاء والمآتم في كل مجلس بل نجدها في كل قصيدة وشعر والتي يبلغ اتساعها درجة يمكن معها حتى لأمثال شِمْر بن ذي الجوشن وسِنان[1] أن ينالا الغفران وجنَّة الرضوان نتيجةً لشفاعة الأئمَّة عليهم السلام ؟!

لذا سنمحِّصُ فيما يلي أهمَّ أحاديث الشفاعة كما جاءت في أوسع كتب الحديث والرواية لدى الشيعة الإمامية وأكثرها شموليَّةً أي كتاب «**بحار الأنوار**» للعلامة المجلسي (ره) والتي أوردها في المجلد الثامن المخصَّص للمعاد ضمن بابٍ خاصٍّ عنوانه (باب الشفاعة)[2] ونضعها أمام القراء الكرام المنصفين وسليمي الفطرة ليروا بأم أعينهم أي تشويه لدين الله أحدثه محرِّفو الكتاب ومخرِّبُو سنة سيد المرسلين وأي مصابٍ جللٍ أوقعوه بحقائق الإسلام الناصعة.

يبتدئ باب الشفاعة في المجلد الثامن من بحار الأنوار من الصفحة ٣٤ وينتهي في الصفحة ٦٣. معظم هذه الأحاديث التي أوردها المجلسي في هذا الباب منقولة عن كتاب «**تفسير العياشي**» وقد قال علماء الرجال بشكل عام عن «العياشي» أنه "**يروي عن الضعفاء كثيرًا** " وأنه من أصحاب «**علي بن الحسن بن فضَّال**» الذي بيّنّا في كتابنا «**الزكاة**» حاله الوخيمة التي يتَّضح منها أنه من أسوأ رواة الحديث وأكثرهم كذبًا، وقد كان من قبل فطحيّ

---

(١) قاتلا الإمام أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام .

(٢) شغلت أحاديث ذلك الباب أي باب الشفاعة الصفحات من ٢٦٢ حتى ٢٧٢ من المجلد الثالث لبحار الأنوار، الطبعة الحجرية.

المذهب ثم أصبح يقول بإمامة جعفر الكذاب وله في تخريب الشريعة سهم وافر ومن أراد تفصيل حاله فليرجع إلى كتابنا «**الزكاة**»[1] ونكتفي هنا بالإشارة إلى ما قاله فيه الفقيه «محمد بن إدريس الحِلِّيّ» صاحب كتاب «السرائر» -الذي كان من كبار علماء الشيعة- حيث قال: "**عليُّ بن فضّال ملعونٌ ورأس كل ضلال هو وأبوه**".

وبصرف النظر عن ذلك توجد في تفسير العياشي مطالبُ لا يمكن لأي مسلم يؤمن بالقرآن ولا لأي شيعيٍّ من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام أن يقبل بها أو يصدّقها، فقد أورد المجلسي في بحار الأنوار (ج ٨، ص٤٥-٤٧، حديث ٤٦) نقلاً عن تفسير العياشي عن خيثمة - وهو ذاته الذي مرّ قبل صفحات روايته عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه خاطبه قائلاً: "أبلغ شيعتنا أنا لا نغني عنهم من الله شيئًا" - روايةً طويلةً هي التالية:

"عَنْ خَيْثَمَةَ الْـجُعْفِيِّ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ (الصادِق) عليه السلام أَنَا وَمُفَضَّلُ بْنُ عُمَرَ لَيْلاً لَيْسَ عِنْدَهُ أَحَدٌ غَيْرُنَا [أي أنه حديثٌ سِرِّيٌّ!] فَقَالَ لَهُ مُفَضَّلٌ الْـجُعْفِيُّ: جُعِلْتُ فِدَاكَ! حَدِّثْنَا حَدِيثًا نَسُرُّ بِهِ، قَالَ: نَعَمْ! إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ حَشَرَ اللهُ الْـخَلَائِقَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً. قَالَ فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ! مَا الْغُرْلُ؟ قَالَ: كَمَا خُلِقُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ.........

ويُحَدِّثهما حضرة الصادق عن أهوال يوم القيامة وكيف أن الناس يُلْجِمَهُمُ الْعَرَقُ ثم يأتون آدم فيطلبون منه أن يشفع لهم فلا يجيبهم إلى ذلك فإذا يئسوا منه ذهبوا إلى نوح فم يسعفهم وهكذا يذهبون من نبيٍّ إلى آخر - عليهم السلام - دون جدوى، إلى أن يأتوا حضرة خاتم النبيين صلى الله عليه وآله قال: فيقولون:

"يَا مُحَمَّدُ! سَلْ رَبَّكَ يَحْكُمْ بَيْنَنَا وَلَوْ إِلَى النَّارِ! قَالَ فَيَقُولُ: نَعَمْ! أَنَا صَاحِبُكُمْ **فَيَأْتِي دَارَ الرَّحْمَنِ** وَهِيَ عَدْنٌ وَإِنَّ بَابَهَا سَعَتُهُ بُعْدُ مَا بَيْنَ الْـمَشْرِقِ وَالْـمَغْرِبِ **فَيُحَرِّكُ حَلْقَةً مِنَ الْـحَلَقِ!!** [أي من حلقات باب الله تعالى!!] **فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِ**. فَيَقُولُ: أَنَا مُحَمَّدٌ. فَيُقَالُ: افْتَحُوا لَهُ. قَالَ: فَيُفْتَحُ لِي، قَالَ: فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى رَبِّي مَجَّدْتُهُ تَمْجِيدًا لَمْ يُمَجِّدْهُ أَحَدٌ كَانَ قَبْلِي وَلَا

(١) يُراجَع كتاب «**الزكاة**»، الفصل ٢٥ إلى ٢٨ (ص ١٨٩ - ٢٠٣).

يُمَجِّدُهُ أَحَدٌ كَانَ بَعْدِي، ثُمَّ أَخِرُّ سَاجِدًا فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ قَوْلُكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَ. قَالَ: فَإِذَا رَفَعْتُ رَأْسِي وَنَظَرْتُ إِلَى رَبِّي مَجَّدْتُهُ تَمْجِيدًا أَفْضَلَ مِنَ الْأَوَّلِ ثُمَّ أَخِرُّ سَاجِدًا. فَيَقُولُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ قَوْلُكَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَ. فَإِذَا رَفَعْتُ رَأْسِي وَنَظَرْتُ إِلَى رَبِّي مَجَّدْتُهُ تَمْجِيدًا أَفْضَلَ مِنَ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي ثُمَّ أَخِرُّ سَاجِدًا فَيَقُولُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ قَوْلُكَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَ فَإِذَا رَفَعْتُ رَأْسِي أَقُولُ رَبِّ احْكُمْ بَيْنَ عِبَادِكَ وَلَوْ إِلَى النَّارِ. فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا مُحَمَّدُ! قَالَ ثُمَّ يُؤْتَى بِنَاقَةٍ مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ وَزِمَامُهَا زَبَرْجَدٌ أَخْضَرُ !!.......

[إلى أن يقول] "**فَيَجْلِسُ عَلَى الْعَرْشِ رَبُّنَا وَيُؤْتَى بِالْكُتُبِ....** ". والحديث حتى نهايته كله مثل هذه الأوهام والتُّرَّهات، وفي آخره ذكرٌ لشفاعةٍ واسعة بلا حصرٍ ولا حساب.... ثم يقول الراوي -لحسن الحظ أو لسوئه!!-: "ثُمَّ جَاءَتْهُ جَارِيَةٌ لَهُ فَقَالَتْ: إِنَّ فُلَانًا الْقُرَشِيَّ بِالْبَابِ، فَقَالَ: ائْذَنُوا لَهُ ثُمَّ قَالَ لَنَا اسْكُتُوا! ".

لاحظ أيها القارئ اللبيب أي عبارات أوردها العياشي في هذا الحديث مما يخالف أصول مذهب الشيعة بل يخالف ضروريات الإسلام!! فأيُّ مؤمن يمكنه أن يقبل بمثل هذه الموهومات والأباطيل مثل أن الله تعالى ساكنٌ في منزلٍ له بابٌ وله حلقتان!!... والنبيُّ يقرع عليه الباب فيخرج الربّ فيراه الرسول!!... ويحصل بينهما ذلك التحاور وتبادل الحديث!!... ويجلس الربّ على العرش ويقرأ الكتب!!...

ولّما كان العياشيّ في أول عمره من العامة[1] ثم صار بعد ذلك من الشيعة فإنّ في أحاديثه آثارًا كثيرةً من عامّيّته السابقة.

وجزءٌ آخر من أحاديث الشفاعة نُقِلَ من التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وهذا التفسير- كما يعلم المطّلعون وكما بيناه فيما سبق- كتابٌ غيرُ موثوقٍ على الإطلاق بل لا يوجد بين كتب الشيعة كتابٌ أكثرُ فقدانًا للاعتبار والثقة وأكثر امتلاءً

(١) أي من أهل السنة كما هو رائج لدى علماء الشيعة من التعبير عن أهل السنة بعبارة «العامة».

بالأوهام والتُّرَّهات والأباطيل من ذلك التفسير![1]

وجزء آخر من أحاديث الشفاعة نقله المجلسي من كتب أخرى مثل كتاب كتاب «**كنز الفوائد**» للكراجكيّ[2]، كالحديث الذي جاء فيه "**إن إلينا إياب هذا الخلق وعلينا حسابهم**" الذي يُعتبر من أهم مستندات الغلاة أمثال آية الله العظمى(!!) صاحب كتاب «**أمراء هستى**» (أي أمراء الكون)، وفيما يلي نص الحديث:

روى الكُلَيْنِيُّ في **الكافي** (باب تفسير قوله تعالى: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ۝٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةً۝٤﴾ [الغاشية: ٣-٤] ج ٨، ص ١٦٢) عن سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنِ ابْنِ سِنَانٍ عَنْ سَعْدَانَ عَنْ سَمَاعَةَ قَالَ: كُنْتُ قَاعِدًا مَعَ أَبِي الْـحَسَنِ الْأَوَّلِ عليه السلام والنَّاسُ فِي الطَّوَافِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فَقَالَ: يَا سَمَاعَةُ! إِلَيْنَا إِيَابُ هَذَا الْـخَلْقِ وعَلَيْنَا حِسَابُهُمْ فَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ ذَنْبٍ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ حَتَمْنَا عَلَى اللهِ فِي تَرْكِهِ لَنَا فَأَجَابَنَا إِلَى ذَلِكَ ومَا كَانَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ النَّاسِ اسْتَوْهَبْنَاهُ مِنْهُمْ وأَجَابُوا إِلَى ذَلِكَ وعَوَّضَهُمُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ".

إن مَتْنَ هذا الحديث يعارضُ كتابَ الله ودين الإسلام معارضةً صريحةً ويخالفُ العقلَ والوجدان بل يجتث الدين وأحكامه ويقتلعه من جذوره! ويشجع الناس على الهرج والمرج ويسوقهم إلى الفجور والوحشية، وألفُ رحمةٍ على البابا وصكوك غفرانه أمام مثل هذا الحديث! لأن صكوك الغفران -على الأقل- تمنح الجنة للمجرمين والفاسقين الذين دفعوا أموالاً، أما هذا الحديث فيفتح باب الجنة على مصراعيه للمجرمين الفاجرين مجانًا وبلا أي مقابل!! إن هذا الحديث حتى لو كان سنده من أصح الأسانيد يجب أن يُضرب به عرض الحائط، ولكن لحسن الحظ أو لسوئه فإنه حديث مخدوش من حيث السند والرجال.

---

(١) يُراجع قسم «بحث اختصاص علم الغيب بالله» فصل: النبي لا يعلم من الغيب سوى الوحي.

(٢) هو الشيخ أبو الفتح، محمد بن علي الكراجكي الطرابلسي من علماء الشيعة في القرن الخامس الهجري، وكان معاصرًا للشيخ الطوسي، وكان فقيهًا وأصوليًّا وعالـمًا بالرياضيات والنجوم وأديبًا وعارفًا بعلوم الحديث والفلسفة والكلام والنحو والأخلاق والتأريخ والرجال والتفسير وكان طبيبًا، وتوفي في مدينة صور في جنوب لبنان سنة ٤٤٩ للهجرة. [تر].

هذا وجملة «**حَتَمْنَا عَلَى اللهِ فِي تَرْكِهِ لَنَا**» فيها من الوقاحة وسوء الأدب مع الله ما لا يخفى على أحد، فأيُّ كائن يملك أن يحتم على الله ويجبره على أمر؟! (لاحظ أن الحتم في اللغة هو الأمر الواجب الذي لا يمكن إسقاطه، كما ذكر ذلك الطُّرَيْحي في مجمع البحرين). فيلزم من هذا الحديث أن الإنسان الذي ضيَّع حقوق الله فلم يُصَلِّ ولم يَصُمْ ولم يحجَّ ولم يجاهد ولم يَقُمْ بشيء من العبادات وارتكب كل نوع من أنواع المعاصي الشخصيَّة من شرب الخمر والزنا واللواط وأمثالها ممن ليس فيه أكل حق الناس، سَيَحْتُمُ الأئمَّة على الله أن يكل تلك الأمور إليهم وهم سيعفون شيعتهم من تبعاتها!! وأما ما كان من حقوق العباد فهذا أيضًا سيستوهبه الأئمَّة منهم!! أهكذا يكون الحساب يوم القيامة؟!

وهل يمكن لأئمّة الهدى عليهم السلام الذين نهضوا لأجل هداية الناس وصلاح أمرهم وأفنوا أعمارهم للترويج لدين نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم أن ينطقوا بمثل هذا الكلام الذي يقضي على كل أتعاب ذلك النبي الكريم ويذهب بها أدراج الرياح؟! هل يمكن لعاقل أن يصدق مثل هذا الكلام؟ وأي شيء في هذا الحديث يوافق كتاب الله؟ وما معنى عرض الأحاديث على الكاتب ورفض ما يخالفه منها؟ أي كتاب وأي عقل وأي وجدان يمكنه أن يصدق مثل ذلك الحديث؟! ألا يخالف هذا الحديث وأمثاله كتابَ الله مخالفة صريحة وواضحة؟

كان ذلك «**مَتْن**» هذا الحديث الشريف جدًّا!! ومتون الأحاديث المشابهة له!

وفيما يلي نضع أمامكم حقيقة «**سَنَد**» كي تدركوا وزنه وقيمته. هذا الحديث موجود في «**الكافي**» أي أول كتاب حديثي جامع لدى الشيعة (الإمامية) أي ذلك الكتاب الذي يضم ستة عشر ألف حديث، وحكم العلامة المجلسي في كتابه «**مرآة العقول**» بأن ٩٠٠٠ حديث منها ساقطٌ عن درجة الصحة، وعلى كل حال إليكم بيان حال سند هذا الحديث استنادًا إلى كتب الرجال الشيعية:

أول رواة الحديث «سهل». وهو «سهل بن زياد الآدمي الرازي أبو سعيد»، الذي يعتبره علماء الرجال من أصحاب حضرة الإمام الجواد عليه السلام. ويقول عنه النجاشي في رجاله (ص١٤٠، طبع طهران): "سهل بن زياد أبو علي الآدمي كان ضعيفًا في الحديث غير مُعتَمَدٍ

فيه وكان أحمد بن محمد بن عيسى يشهد عليه بالغلوّ والكذب وأخرجه من قم إلى الريّ ".

وقال عنه الشيخ الطوسي (ره) في «الاستبصار»: "إن أبا سعيد الآدميَّ ضعيفٌ جدًّا عند نُقّاد الأخبار ".

وقال الغضائري (ره) عنه كما جاء في تنقيح المقال للمامقاني (ج٢، ص٧٥): "سهل بن زياد الآدميّ الرازيّ كان ضعيفًا جدًّا فاسد الرواية والدين، وكان أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري أخرجه من قم وأظهر البراءة منه والرواية عنه ويروي المراسيل ويعتمد المجاهيل ".

واعتبره الفضل بن شاذان أيضًا أحمقًا، كما اعتبره بن داوود في رجاله (ص٤٦٠) ضعيفًا وفاسد الرواية ومن أهل الغلو والكذب، وكذلك وصفه مير مصطفى التفرشي في «نقد الرجال» بمثل تلك الأوصاف. فهذا هو حال أول رواة ذلك الحديث الشريف جدًّا!!

وقد روى سهل حديثه هذا عن «محمد بن سنان» وفيما يلي بيان حاله:

أ) قال النجاشي في رجاله (ص٢٥٢): "هو رجل ضعيف جدًّا لا يُعوَّل عليه ولا يُلْتَفَتُ إلى ما تفرّد به. وكان الفضل بن شاذان يقول: لا أستحل أن أروي أحاديث محمد بن سنان ".

ب) ويقول ابن الغضائري عنه: «محمد بن سنان غالٍ لا يُلتفت إليه».

ج) ويقول الشيخ أبو عمرو الكشيّ في رجال (ص٣٣٢): عن أيوب بن نوح أنه كان يقول: "لا أستحلّ أن أروي أحاديث محمد بن سنان ". وفي الصفحة ٤٢٧ يقول: "روى حمدويه بن نصير عن أيوب بن نوح أن «محمد بن سنان» قال حين وفاته: «كل ما حدثتكم به لم أسمعه من أحد بل وجدته!» ".

د) وقال ابن داوود في رجاله (ص٥٠٥) بعد ذكره لمحمد بن سنان في قسم الضعفاء: "إن محمد بن سنان كان يقول: «لا تَرْوُوا عنِّي مما حدثتُ شيئًا، فإنَّما هي كُتُبٌ اشتريتُها من السوق!» ثم قال: والغالب على حديثه الفساد وعلماء الرجال

متَّفِقُون على أنه من الكذَّابين ".

روى محمد بن سنان هذا الحديث الشريف جدًّا عن «سعدان». قال المقاني في تنقيح المقال (ص٢٣) عن «سعدان» هذا: "أهمله في الخلاصة والذخيرة والبُلغة وغيرها ولم يتعرضوا له أصلاً، وفي موضع من الذخيرة: إنه ضعيفٌ، وفي موضع آخر منه غير موثوق في كتب الرجال ".

«سعدان» المهمل والمجهول والضعيف وغير الموثَّق روى حديثه هذا عن «سماعة بن مهران» الذي اعتبره الشيخ الصدوق في كتابه «**من لا يحضره الفقيه**» باب ما يجب على مَن أفطر أو جامع في شهر رمضان، واقفيًا، في حين اعتبره بعض علماء الرجال فطحيًّا فاسد المذهب. كما أورده بن داوود في رجاله (ص٤٦٠) ضمن الضعفاء والمجروحين. هذا ويذكر ابن الغضائري والنجاشي أنه تُوفي في زمان حياة الإمام الصادق عليه السلام سنة ١٤٥هـ.، وَمِنْ ثَمَّ فإن روايته لهذا الحديث عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام افتراءٌ على الإمام لا أساس له من الصحة وكذبٌ محضٌ!! فالحديث كذِبٌ في كَذِبٍ!!

أجل بمثل هذه الأحاديث الباطلة قام آية الله العظمى هذا ونظراؤه بمحاربة القرآن وعقد في كتابه «**أمراء هستى**» (أي أمراء الكون) بابًا تحت عنوان «التصرف في الكون والمكان وتدبير عالم الإمكان في ولاية الأئمَّة» !، وبابًا آخر فتح فيه باب شفاعة الأئمَّة يوم القيامة على مصراعيه أمام الفسّاق والفجّار! وصوَّر أئمة الشيعة من آل الرسول الذين كانوا من أخلص عباد الله الصالحين وأكثرهم تواضعًا وكأنهم آلهة والعياذ بالله مهيمنين وحاكمين على ربّ العالمين، وأظهر مذهب شيعة أهل البيت وكأنه مذهب مملوءٌ بالشرك!

ولعلك أيها القارئ العزيز تتصور أن ذلك الحديث الذي مرّ سابقًا والذي جاء فيه أن الرسول قرع بيت الله وفتح له فشاهده...الخ هو فريد في بطلانه وموهوماته وخرافيته خلافًا لسائر أحاديث الشفاعة التي تتمتع بالصحة والثقة، لذا سأضطر إلى أن أذكر جميع أحاديث الشفاعة واحدًا واحدًا، كما أوردها «المَجْلِسِيُّ» ضمن «باب الشفاعة» من موضوع «المعاد» في كتابه «**بحار الأنوار**»، وأمحّصها من حيث السند لكي يتبين لك أن كل تلك الأحاديث واهنةٌ

بل ساقطةٌ سندًا وغير موثوقة ولا يمكن الاعتماد عليها، هذا رغم أنه عندما يكون متن الحديث باطلاً ومخالفًا لصريح آيات القرآن الكريم فأيًّا كان سنده حتى ولو كان -على فرض المحال- مسموعًا من المعصوم مباشرةً فلا يجوز إلا أن يُضرب به عرض الحائط طبقًا لوصية الأئمَّة عليهم السلام أنفسهم إضافة إلى حكم القرآن والعقل والوجدان.

وفيما يلي نذكر كل تلك الأحاديث التي أوردها المجلسي في باب الشفاعة، ونبيِّن للقراء المحترمين حال أسانيدها لكي يدركوا بعين الإنصاف بماذا يتمسَّك القائلون بالشفاعة الآخروية الواسعة:

الحديث الأول: منقول عن كتاب **الخصال** للشيخ الصدوق، رواه عن رواة العامة مثل أبي الحسن طاهر بن محمد بن يونس عن محمد بن عثمان بن الهروي وإلى أنس بن مالك وكلهم رواة لا نجد لهم ذكرًا في كتب رجال الشيعة.

وأنس بن مالك بشهادة من التاريخ كان من المنحرفين عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وقد عده الإمام الصادق عليه السلام من الذين كانوا يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وآله. لذلك فإن حديثه لا يعتد به[1]. للتحقيق عن حاله، راجع تنقيح المقال (١/ ٤٥٤). ومتن الحديث،

١- إن ما ذكره المؤلف رحمه الله عن الصحابي الجليل خادم رسول الله صلى الله عليه وآله أنس بن مالك رضي الله عنه غير صحيح للأسباب التالية:

أولاً: إن أنس بن مالك رضي الله عنه كان خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قد تربى ونشأ في بيت النبوة، وقد لازمه في أسفاره ومعظم غزواته، وكان في خدمته صلى الله عليه وسلم وملازمته وصحبته لعشر سنوات، من العاشرة حتى العشرين من عمره، وهو السن الذي يتشكل فيه الإنسان، وتتكون صفاته وأخلاقه تأثرًا بقدوته الذي يعيش معه، أو بمربيه وأستاذه، أو بوالده ومن حوله. فلا غرو أن يكون أنس مقتديًا برسول الله صلى الله عليه وسلم خلقًا وسلوكًا وأدبًا وعبادة، وهذا الاقتداء لو لم يكن واجبًا دينيًّا لكان من أنس أمرًا طبعيًّا تربى عليه، وثبت في طبعه وتصرفه وأصبح جزءًا من كيانه لا يستطيع أن يخرج عنه ولو قيد أنملة؛ لأنه بيئته التي وجد نفسه فيها. لذلك كان من أكثر الصحابة تشبها بالنبي صلى الله عليه وسلم في حركاته وسكناته وفي كل حياته. ويدل على ذلك روايات كثيرة، [انظر على سبيل المثال، صحيح البخاري، (١١/ ٣٤)، رقم (٦٢٤٧)، ومسند أحمد ح (١٣٣٣٢)، وطبقات ابن سعد (٩/ ١٩-٢٠)]. وقد تخلق أنس بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم مما نتج عنه أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو

قدوته، فيستحيل عقلاً أن يتخلق أنس بأخلاق النبيﷺ ثم يكذب عليه، فهل من الممكن بعد ذلك أن نطعن في عدالته ونتهمه بالكذب؟! ثم إن رسول اللهﷺ وهو أكيس الناس وأعقلهم، لو أنه لاحظ عليه شيئًا من ذلك، ما قبله خادمًا ورفيقًا، ولكن رسول اللهﷺ وجد فيه الصدق والأمانة، فجعله حاملاً لأسراره، وأسرار بيته، وهي أخص خصوصيات المصطفىﷺ. وقد دعا له ﷺ بأن يرزقه الله مالاً وولدًا ويبارك له. [متفق عليه].

ثانيًا: لقد عرف عن أنس بن مالك الزاهد الورع، أنه كان حريصًا أشد الحرص على ألا يقع في الخطأ وهو يحدث عن رسول اللهﷺ. قال ابن سيرين: «كان أنس بن مالك، قليل الحديث عن رسول اللهﷺ فكان لا يحدث – وقلما تحدث – إلا قال حين يفرغ: «أو كما قال رسول اللهﷺ». [تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الحافظ المزي، (٣/ ٣٧٠-٣٧٢)]. وتعددت الروايات عن إقلال أنس رضي الله عنه في الحديث والتحرز فيه، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن أنس بن مالك رضي الله عنه من أشد المخلصين للسنة النبوية، فهو يخشى مجرد الوقوع في الخطأ وهو يحدث عن رسول اللهﷺ فيتحرز في روايته، وهذا ما يرويه أحمد بسنده عن أنس بن مالك، قال: «لولا أني أخشى أن أخطئ لحدثتكم بأشياء سمعتها من رسول اللهﷺ لكنه قال: من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار». وبعد هذا أيُعقل أن يتهم شخص مثله أن يكذب على رسول الله ﷺ.

ثالثًا: لم يثبت عن أنس رضي الله عنه ولا عن أحد من الصحابة الكرام أنه تعمد الكذب على رسول اللهﷺ، وهكذا لم يثبت عن عن أحد من صحابة رسول اللهﷺ اتهم أنسًاﷺ بالكذب على رسول اللهﷺ. فهل يتهمه بذلك من لا فضل لهم، ولا منقبة، ولا خلق، ولا دين؟!

رابعًا: الرواية المنسوبة إلى الإمام جعفر الصادق لا تصح نسبتها إليه، وإنما هي من افتراءات رواة الشيعة الرافضة المغرضين الذين لا يرقبون في صحابة رسول اللهﷺ إلاً ولا ذمة، وقد كان هدفهم من ذلك إسقاط معظم الشريعة الإسلامية التي جاءت في القرآن والسنة، والتي نقلها إلينا هؤلاء الصحابة الأخيار عن طريق الطعن فيهم، وهم من كل تهمة براء. فهذا الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه أحد المكثرين من رواية الحديث، لهذا قصدوا الطعن فيه، فقد روى ألفين ومائتين وستة وثمانين حديثًا، يقول أبو زرعة الرازي رحمه الله: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من صحابة رسول اللهﷺ فاعلم أنه زنديق؛ وذلك لأن الرسول حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى ذلك كله إلينا الصحابة، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة». [الكفاية في معرفة أصول علم

أن رسول الله ﷺ قال: «**وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

الحديث **الثاني**: لا علاقة له بالشفاعة فلا حاجة لمناقشة سنده.

الحديث الثالث: نقله المجلسي عن كتاب **الخصال** للشيخ الصدوق ومضمونه أن أمير المؤمنين قال: لا تُعَنُّونَا في الطلب والشفاعة لكم يوم القيامة فيما قدمتم. ولما لم يذكر الراوي سنده فيما رواه فلا ندري عمَّن روى ومن أين أتى بالحديث؟ وراويا الحديث [اللذَيْن نقله عنهما الصدوق] هما محمد بن عيسى اليقطيني والقاسم بن يحيى وكلاهما ضعيف وغالٍ.

الحديث الرابع: جاء في سنده إبراهيم بن هاشم الذي لم توثقه كتب الرجال، ورواه عن علي بن معبد الذي قال عنه في تنقيح المقال (ج٢، ص٣٠٩): "لم يُنَصّ فيه بالتوثيق ولا مُدِح" وفي (الصفحة ١١٠) اعتبره إماميًّا مجهولاً.

الحديث الخامس: هو رأي الصدوق وليس حديثًا.

الحديث السادس: أورده عن كتاب **الأمالي** للصدوق عن «أبي قلابة عبد الملك بن محمد» وهو رجل لا ذكر له ولا أثر في كتب الرجال. وهو رواه «عن غانم بن الحسن السعدي» وهو أيضًا اسمٌ بلا مسمّى، وهو رواه «عن مسلم بن خالد المكي» الذي اعتبره

الرواية، الخطيب البغدادي، (١/ ١٨٨)] [للمزيد انظر: موقع بيان الإسلام للرد على شبهات حول الإسلام، مقال اتهام أنس بن مالك بالكذب على رسول الله ﷺ].

خامسًا: إن أنس بن مالك رضي الله عنه قد بايع الخلفاء الراشدين الأربعة ولم يتخلف عن بيعة أحدهم. وقد كان يحب عليًّا رضي الله عنه كحبه لبقية الخلفاء الراشدين وصحابة حبيبه صلوات ربي وسلامه عليه. وقد روي عنه أنه لما ذكر عنده أنه لا يجتمع حب علي وعثمان في قلب عبد أبدًا فقال أنس: كذبوا والله إنا نحب عليًّا ونحب عثمان. وفي رواية قال: «وكذبوا والله قد جمع الله حبهما في قلوبنا». (تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٣٩، ص ٥٠٠).

ولذلك، فإن ما نقله رواة الشيعة الرافضة في أنس بن مالك رضي الله عنه على أنه كان منحرفًا عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أو أنه -نعوذ بالله- كان يتعمد الكذب على رسول الله ﷺ، كله كذب وافتراء وبهتان، وقد رأينا بطلانه. [المُصحح]

صاحب تنقيح المقال (في ص٢١٤ وص١٤٩) من المجاهيل.

ومضمون الحديث أن فاطمة عليها السلام قالت لرسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ): "يا أبتاه! أين ألقاك يوم الموقف الأعظم ويوم الأهوال ويوم الفزع الأكبر؟ قال: يا فاطمة عند باب الجنة ومعي لواء الحمد وأنا الشفيع لأمتي إلى ربي. قالت: يا أبتاه! فإن لم ألقك هناك؟ قال: القيني على الحوض وأنا أسقي أمتي. قالت: يا أبتاه! إن لم ألقك هناك؟ قال: القيني على الصراط وأنا قائم أقول ربِّ سلِّم أمّتي. قالت: فإن لم ألقك هناك؟ قال: القيني وأنا عند الميزان أقول ربِّ سلِّم أمّتي. قالت: فإن لم ألقك هناك؟ قال: القيني على شفير جهنم أمنع شررها ولهبها عن أمتي. فاستبشرت فاطمة بذلك صلى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها!".

الحديث السابع: نقله المجلسي عن **تفسير القميّ** عن ابن محبوب عن زرعة عن سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام، و«زرعة» طبقًا لما صرح به الشيخ الطوسي في رجاله (ص٣٥٠) كان واقفيًا، وأورده ابن داوود أيضًا في رجاله (ص٤٥٣) في عداد المجروحين والضعفاء، وكذا فعل العلامة الحلي الذي أورده في القسم الثاني من رجاله المخصَّص للضعفاء (ص٢٤٤). وقد روى زرعة حديثه عن «سماعة» الذي بيّنا حاله فيما سبق حيث ذكرنا -في معرض نقدنا للحديث الذي استشهد به آية الله العظمى - أنه كان واقفيًّا. وعلى كل حال فهذا الحديث ساقطٌ عن درجة الصحَّة، ومضمونه عين مضمون الحديث الذي رواه العياشي في تفسيره والذي يذكر انتقال الناس من نبي إلى آخر طلبًا للشفاعة إلى أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فَيَأْتِي دَارَ الرَّحْمَنِ ويُحَرِّكُ حَلْقَةً مِنَ الْـحَلَقِ.... الخ!!

الحديث الثامن: نقله المجلسي عن تفسير القمي عن محمد بن أبي عمير عن معاوية وهشام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لو قد قمت المقام المحمود لشفعت في أبي وأمي وعمي وأخ كان لي في الجاهلية".

وأقول: لـمّا كان هذا المتن لا يتناسب مع المطلب الذي نحن في صدده فلا حاجة بنا إلى مناقشة سنده.

الحديث التاسع: نقله المجلسي عن تفسير علي بن إبراهيم القمي أيضًا عن جعفر بن

أحمد عن عبيد الله بن موسى عن ابن البطائني عن أبيه. ولما كان «ابن البطائني» في كتب الرجال: إما علي بن حمزة البطائني أو ابنه الحسن بن علي بن حمزة، فإن كان الأول فقد قال عنه ابن الغضائري: "علي بن حمزة لعنه الله أصل الوقف وأشدّ الخلق عداوةً للمولى «يعني الرضاﷺ»"، وأورد صاحب تنقيح المقال (ج٢، ص٢٦١) عشرات الأحاديث في ذمه. وأغلب الظن أنه هو. أما إن كان ابنه أي الحسن بن علي بن حمزة فقد قال الغضائري عنه: "الحسن بن علي بن حمزة البطائني مولى الأنصار أبو محمد، واقفي بن واقفي، ضعيف في نفسه". وقال عنه الكشي: "الحسن بن علي بن حمزة كذّاب". وأوضح صاحب تنقيح المقال حاله الوخيمة (ج١، ص٢٩٠). ولذلك فإنَّ مثل هذا الرجل لا يستحق السماع.

ومضمون الحديث تفسير آية: ﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ٨٧﴾ [مريم: ٨٧]. قال: "لا يشفع ولا يشفع لهم ولا يشفعون إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْدًا إلا من أذن له بولاية أمير المؤمنين والأئمَّة من بعده فهو العهد عند الله.... الخبر ".

الحديث العاشر: نقله المجلسي عن أمالي الصدوق وعن كتاب «بشارة المصطفى» بسندهما عن سلمة بن الخطاب عن الحسين بن سعيد عن إسحاق بن إبراهيم عن عبد الله بن صباح عن أبي بصير عن أبي عبد الله الصادق ﷺ.

قال النجاشي في رجاله (ص١٤٢) عن «سلمة بن الخطاب»: "كان ضعيفًا في حديثه "، وأورده العلامة الحليّ في القسم الثاني من خلاصته (ص١٠٤) واعتبره من الضعفاء، وكذلك أورده ابن داوود في القسم الثاني من رجاله (ص٤٥٨) المخصص للضعفاء والمجروحين وقال: "كان ضعيفًا في حديثه ". كما اعتبره التفرشي في **نقد الرجال** (ص١٥٧) ضعيفًا، وفي «تحرير الطاووسي» ذُكر أنه كان واقفيًا. وبقية رجال السند مجاهيل لذا الحديث غير معتبر ولا موثوق.

أما مضمون الحديث فيقول: "إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فتغشاهم ظلمة شديدة فيضجون إلى ربهم ويقولون يا رب اكشف عنا هذه الظلمة قال: فيقبل قوم يمشي النور بين أيديهم قد أضاء أرض القيامة، فيقول أهل الجمع: فهؤلاء

أنبياء الله، فيجيئهم النداء من عند الله: ما هؤلاء بأنبياء فيقول أهل الجمع: فهؤلاء ملائكة، فيجيئهم النداء من عند الله ما هؤلاء بملائكة، فيقول أهل الجمع: هؤلاء شهداء فيجيئهم النداء من عند الله ما هؤلاء بشهداء. فيقولون: من هم؟ فيجيئهم النداء: يا أهل الجمع! سلوهم من أنتم فيقول الجمع: من أنتم؟ فيقولون: نحن العلويُّون نحن ذرّيّة محمد رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) نحن أولاد عليٍّ وليِّ الله نحن المخصوصون بكرامة الله نحن الآمنون المطمئنُّون فيجيئهم النداء من عند الله عز وجل اشفعوا في محبِّيكم وأهل مودّتكم وشيعتكم فيشفعون فيُشَفَّعُون"!

الحديث الحادي عشر: نقله المجلسي عن كتاب «**علل الشرائع**» للشيخ الصدوق الذي رواه عن محمد العطار عن جعفر بن محمد بن مالك عن أحمد بن مدين عن محمد بن عمار.

أما «جعفر بن محمد بن مالك» فقد قال عنه النجاشي ره في رجاله (ص٩٤): "كان ضعيفًا في الحديث وكان أحمد بن الحسين يقول عنه: كان يضع الحديث وضعًا، ويروي عن المجاهيل، وسمعت من قال كان أيضًا فاسد المذهب والرواية ". انتهى. وقد روى هذا الوضّاع حديثًا عمن أسماه «أحمد بن مدين» الذي لا نجد له ذكرًا في كتب الرجال فيبدو أنه من مخترعاته ومثله الراوي التالي في سلسلة السند أي «محمد بن عمار» (انظر تنقيح المقال: ج٣، ص١٦٢).

مضمون الحديث أن حضرة الإمام الصادق عليه السلام قال: "شيعتُنا من نور الله خلقوا، وإليه يعودون، والله إنكم لملحقون بنا يوم القيامة وإنا لَنَشْفَعُ فَنُشَفَّعُ ووالله إنكم لَتَشْفَعُونَ فَتُشَفَّعُونَ، وما من رجل منكم إلا وسترفع له نار عن شماله وجنة عن يمينه فيُدْخِلُ أحِبَّاءَه الجنَّةَ وأعداءَه النَّارَ "!

الحديث الثاني عشر: نقله المجلسي عن كتاب **الأمالي** للصدوق عن ابن المتوكل عن محمد العطار عن ابن أبي الخطاب عن النضر بن شعيب عن القلانسي.

أما «النضر بن شعيب» فقال عنه المامقاني في تنقيح المقال (ج٣، ص٢٧٢) أنه مجهول، وكذلك اعتبره الشهيد الثاني (ره) مجهولاً، وأما سائر رواة الحديث فكلُّهم مجاهيل لذا

فالحديث ساقط من الاعتبار.

مضمون الحديث ينسب إلى الصادق جعفر بن محمد روايته عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) أنه قال: "إذا قمت المقام المحمود تشفَّعت في أصحاب الكبائر من أمّتي فَيُشَفِّعُني الله فيهم، والله لا تشفَّعْتُ فيمن آذى ذُرِّيَّتي ".

الحديث الثالث عشر: رواه المجلسي نقلاً عن **أمالي الصدوق** عن القطّان عن السكري عن الجوهري عن محمد بن عمارة عن أبيه.

أما «أحمد بن القطان» فطبقًا لما ذكره المامقاني في تنقيح المقال (ج١، ص٥٦) عن السيد صدر الدين وحواشيه في منتهى المقال: عاميٌّ. وأما السكري فليس له اسم في كتب الرجال، و«محمد بن عمارة» مجهول الحال (كما في تنقيح المقال: ج٣، ص١٦٤) وكذلك أبوه (ج٢، ص٣٢٢) لذا فالحديث ساقط عن الاعتبار.

مضمون الحديث أن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: "من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا المعراج والمساءلة في القبر والشفاعة". وهذا لا صلة له بموضوعنا فما من أحد ينكر أصل هذه الأمور الثلاثة. بعد يذكر حديثًا بلا سند عن أبي ذر وسلمان.

الحديث الرابع عشر: رُوِيَ عن أبي أسامة. ولم يُذْكَر اسمُ بقية الرواة. وأبو أسامة هذا هو «زيد الشحّام»، اعتبره ابن الغضائري وإسحاق بن علي بن عمّان وغيرهما ضعيفًا، وأشار بن داود في رجاله (ص١٦٤) إلى أنه كان واقفيًا. وعلى أيِّ حال حتى لو كان أبو أسامة ثقةً، فبما أن جميع رجال السند بين أبي أسامة والإمام الصادق عليه السلام غيرُ مذكورين، فالحديث مرسل أو منقطع وساقط من الاعتبار.

مضمون الحديث أن الإمامين الصادق والباقر قالا: "والله لنشفعنّ والله لنشفعنَّ في المذنبين من شيعتنا حتى تقول أعداؤنا إذا رأوا ذلك: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ١٠١ فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٢﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠٢] ".

الحديث الخامس عشر: نقله المجلسي عن «تفسير علي بن إبراهيم القمي». عن معاوية بن عمار عن أبي العباس المكبر. أما «مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمَّارٍ» فقد جاء في «تنقيح المقال» (ج٣،

ص٣٢٤) أنه «مختل العقل»، وفي قاموس الرجال (ج٩، ص٤٢) قال عنه «علي بن أحمد العقيقي» الذي يُعَدُّ من كبار علماء الرجال: "لم يكن معاوية بن عمار عند أصحابنا مستقيمًا، كان ضعيف العقل متهمًا في حديثه ". وبما أن ابن داود قد صرح في رجاله (ص ٣٥٠) أنَّ «معاوية بن عمار» عاشَ مئةً وخمسًا وسبعين سنةً ومات سنة خمس وسبعين ومئة، وروى عن «أبي العبّاس المكبر» ولا نعلم من هو، وأيًّا كان فقد روى معاوية بن عمار هذا الحديث في سن الشيخوخة ولا شك أنه رواه في الوقت الذي كان فيه طاعنًا في السن مختل الحواس.

مضمون الحديث أن الإمام الباقر عليه السلام قال: "ما أحدٌ من الأوَّلين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة. وإن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشفاعة في أمته ولنا شفاعة في شيعتنا ولشيعتنا شفاعة في أهاليهم... ".

الحديث السادس عشر: يكفي في بطلانه أن من رواته «محمد بن سنان» الغالي والكذَّاب المشهور الذي بيَّنَّا حاله فيما سبق. وخلاصة مضمون هذا الحديث قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهَا أَحَدٌ قَبْلِي: جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُحِلَّ لِيَ الْـمَغْنَمُ وَأُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ". وقد بينا كذب مضمون هذا الحديث في كتاب «**الخُمْس**».

الحديث السابع عشر: نقله المجلسي عن كتاب **الخصال** للصدوق الذي رواه عن علي بن الحكم عن أبان عن محمد بن الفضل الزرقي. أما «علي بن الحكم» فهو مجهول الحال في كتب الرجال وكذلك «أبان»، وأما «محمد بن الفضل الزرقي» فاعتبره الشيخ الطوسي في رجاله (ص٣٦٠) ضعيفًا، واتهمه في موضع آخر (ص ٣٨٩) بالغلوّ. وكذلك اعتبره العلامة الحلي في خلاصته (ص٢٥٠) ضعيفًا. واعتبره التفرشي في نقد الرجال (ص٣٢٧) ضعيفًا وغاليًا.

ومضمون الحديث أن للجنة ثمانية أبواب بابٌ يدخل منه النبيُّون والصدِّيقون وبابٌ يدخل منه الشهداء والصالحون وخمسة أبوابٍ يدخل منه شيعتنا ومحبُّونا فلا أزال واقفًا على الصراط أدعو وأقول: ربِّ سلِّم شيعتي ومحبِّيَّ وأنصاري ومن تولّاني في دار الدنيا، فإذا النداء من بطنان العرش: قد أجيبت دعوتك وشُفِّعْتَ في شيعتك..... الحديث".

الحديث الثامن عشر: نقله المجلسي عن **أمالي** الطوسي بسنده عن الفحّام عن المنصوري. وكلاهما مجهول الحال لا ذكر له في كتب علم الرجال لا بجرح ولا بتعديل، فالحديث مجهول، وراجع في ذلك تنقيح المقال (ج١، ص٣١٠).

ومضمون الحديث قول أمير المؤمنين سمعت النبيّ ﷺ يقول: "إذا حُشِرَ الناسُ يوم القيامة ناداني مناد: يا رسول الله! إن الله جلَّ اسمه قد أمكنك من مجازاة محبيك ومحبي أهل بيتك الموالين لهم فيك والمعادين لهم فيك فكافهم بما شئت...!".

الحديث التاسع عشر: نقله المجلسي عن **أمالي** الطوسي قال: "أَخْبَرَنَا الْـحَفَّارُ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍ الدِّعْبِلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ كَثِيرٍ، -[وكلاهما لا ذكر له في كتب الرجال] - قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى أَبِي نُوَاسٍ الْـحَسَنِ بْنِ هَانِئٍ -[وهو الشاعر الفاجر أبو نواس ذاته كان له ألف ليلة وليلة وأنشد: صلى الإله على لوط وشيعته!!] - وجاء في هذا الحديث أن عِيسَى بْنُ مُوسَى الْـهَاشِمِيُّ دخل على أبي نواس الشاعر يعوده في مرضه الذي تُوُفِّيَ فيه: "يَا أَبَا عَلِيٍّ، أَنْتَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا، وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ، وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ الله هَنَاتٌ، فَتُبْ إِلَى الله (عَزَّ وَجَلَّ). قَالَ أَبُو نُوَاسٍ: أَسْنِدُونِي، فَلَمَّا اسْتَوَى جَالِسًا قَالَ: إِيَّايَ تُخَوِّفُ بِالله، وَقَدْ حَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): لِكُلِّ نَبِيٍّ شَفَاعَةٌ، وَإِنِّي خَبَأْتُ شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَ فَتَرَى لَا أَكُونُ مِنْهُمْ! ". [أي فلماذا أخاف الله إذن؟].

نعم مثل هذه الأحاديث لابد أن يكون رواتُها أشخاصٌ مثل أبو نوَّاس! والغريب أن لا أحد من رواة هذه الرواية إماميٌّ، رغم أن حمّاد بن سلمة مُدح في كتاب «ميزان الاعتدال»، وثابت البناني أيضًا اسم مشترك بين عدة شخصيات، ولكن لـمّا كانت الرواية منقولة عن أبي نواس الشاعر الفاسق المعروف بشرب الخمر واللواط وكان مضمون روايته أيضًا مخالفًا للقرآن المجيد ولروح الإسلام ولتعاليم جميع الأنبياء فالحديث ساقط من أساسه. لو كانت شفاعة النبي ﷺ قد أُعِدَّت لمرتكبي الكبائر والموبقات فما هي فائدة الدين والشريعة؟ وسنذكر لاحقًا إن شاء الله المزيد عن خبث أبي نواس الذي لم يكن يؤمن بالقيامة، ونكتفي هنا بذكر أن حضرة

الإمام الهادي عليه السلام كان يطلق عليه لقب أبي نواس الباطل (الكنى والألقاب).

الحديث العشرون: نقله المجلسي عن كتاب «**عيون أخبار الرضا**» للصدوق عن أحمد بن أبي جعفر البيهقي عن علي بن جعفر المدني عن علي بن محمد بن مهرويه القزويني عن داود بن سليمان عن حضرة الرضا عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة وُلِّينا حسابَ شيعتنا فمن كانت مظلمته فيما بينه وبين الله عز وجل حكمنا فيها فأجابنا ومن كانت مظلمته بينه وفيما بين الناس استوهبناها فوهبت لنا ومن كانت مظلمته فيما بينه وبيننا كنا أحق من عفا وصفح!". أي أن عالم الخليقة ونظامه مُسَخَّرٌ لإرادة أخلّاء وأحباب خاصِّين!!،

مضمون هذا الحديث يذكّرنا بمتن الحديث الذي رواه آية الله العظمى صاحب كتاب «**أمراء الكون**» مع فارق أن الحديث هنا منسوب إلى الرسول صلى الله عليه وآله ومنسوبٌ هناك إلى حضرة الإمام الكاظم، ورُواة الحديث من الإمام الرضا حتى أمير المؤمنين من المعصومين، فما أعظمه من سند يستفيد منه المغرورون المخربون لدين الإسلام إذ يفتح الباب للاجتراء على كل معصية مما يخرب الدين أكثر من فعل مئة ألف جندي.

أما حال رجال سنده فإن «أحمد بن أبي جعفر البيهقي» و«علي بن جعفر البيهقي» و«علي بن جعفر المدني» لا ذكر لهم في كتب الرجال، بل هناك ذكر للرواة التالين فقط أي «علي بن مهرويه القزويني» الذي اعتبره المامقاني في تنقيح المقال (٢/ ١٣٠) مجهول الحال، و«داوود بن سليمان» الذي اعتبره الوحيد البهبهاني[1] (ج١، ص٤١٠)[2] عاميًّا. والواقع أن علي بن

---

(١) الوحيد البهبهاني هو محمد باقر بن محمد أكمل البهبهاني (توفي ١٢٠٥هـ)! أحد أهم مراجع الشيعة الإمامية في عصره ومحيي طريقة الأصوليين المجتهدين والقاضي على طريقة الأخباريين التي كانت قد استفحلت قبله بفضل محمد أمين الأسترآبادي (-١٠٣٦هـ) وتلامذة مدرسته. وقد جعل مركزه العلمي مدينة كربلاء. (تر)

(٢) لم يذكر المؤلف أن هذا الجزء والصفحة من أي كتاب؟ والظاهر أنها من تعليق البهبهاني على كتاب «**منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال**» للميرزا محمد الأسترآبادي (١٠٢١هـ). (تر).

مهرويه أيضًا من رواة العامة، وقد ذكر ابن حجر العسقلاني في «ميزان الاعتدال» (ج٢، ص٨) بشأنه ما نصُّه:

"داود بن سليمان الجرجاني الغازي: عن علي بن موسى الرضا وغيره كذَّبه يحيى ابن معين ولم يعرفه أبو حاتم وبكل حال فهو شيخٌ كذَّابٌ له نسخة موضوعة عن علي بن موسى الرضا رواها علي بن محمد بن مهرويه القزويني، وقد رواها الصدوق عنه، فمن هذا يظهر أن تلك الرواية هي مما أتحفنا به الشيخ الصدوق عليه الرحمة نقلاً عن العامة أو بالأحرى عن الكذابين منهم، ولمّا كان «داوود بن سليمان» هذا من المخالفين للشيعة ولأهل البيت فلا عجب أن ينسب مثل تلك الرسالة المشحونة بالكذب إلى الإمام الرضا عليه السلام لكي يشوّه صورة مذهب الشيعة وأئمتهم! وإلا فلو صحّ ذلك الحديث لم يبقَ هناك معنىً لبعثة الرسل وإنزال الكتب! ومن الجهة الأخرى أيُّ قرابةٍ ونَسَبٍ بين الله تعالى والشيعة مما لا يوجد مثله بين الله وبقية عباده؟! فهل هناك ضلالٌ أوضح من ذلك، ولا ندري ربما كانت هناك أيادٍ نصرانية خفيّة وراء دسّ مثل هذا الحديث.

الحديث الواحد والعشرون: هو حديث لا سند له ومتنه مطابق لمتن الحديث الرابع الذي مرّ.

الحديث الثاني والعشرون: (وهو الحديث رقم ٢٦ في الطبعة الجديدة لبحار الأنوار) رواه المجلسي نقلاً عن كتاب «**ثواب الأعمال**» بسنده عن أبي وَلَّاد (حفص بن يونس) عن ميسر وكلاهما مجهول الحال، يُراجَع تنقيح المقال (ج١، ص٣٥٦) و(ج٣، ص ٢٦٤). مضمون الحديث أيضًا لا يتعلق بالشفاعة، بل بالحقوق التي يملكها رجلٌ على شخصٍ مؤمن والتي تؤدي إلى نجاة الرجل بفضل طلب المؤمن من الملاك أن يخلي سبيل الرجل!!

الحديث الثالث والعشرون: نقله المجلسي أيضًا عن «**ثواب الأعمال**» للصدوق بسنده عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنِ النَّضْرِ عَنْ يَحْيَى الْـحَلَبِيِّ عَنْ أَبِي الْـمَغْرَاءِ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ عَلِيٍّ الصَّائِغِ. أما «مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ» فقال عنه ابن الغضائري، كما في تنقيح المقال (ج٣، ص١١٣): "محمد بن خالد البرقي، حديثه يُعرف ويُنكر، ويروي عن الضعفاء ويعتمد على المراسيل".

وأورده ابن داود في رجاله (ص٥٠٣) في عداد المجروحين والمجهولين وعدّه من الضعفاء في القسم الثاني من كتابه.

مضمون الحديث أن المؤمن ليشفع لحميمه إلا أن يكون ناصبًا، ولو أن ناصبًا شفع له كلُّ نبيٍّ مرسل وملك مقرب ما شُفِّعوا ".

لو قُصد بتلك الشفاعة الشفاعة في الدنيا (بمعنى الدعاء والاستغفار وطلب الرحمة للمشفوع له) لما كان في متنه إشكال، أما إن قُصد حصول ذلك في الآخرة فلا يصحّ كما أسلفنا.

الحديث الرابع والعشرون: (وهو الحديث رقم ٢٨ في الطبعة الجديدة) نقله المجلسي عن كتاب **المحاسن** للبرقي بسنده عن سعدان بن مسلمبينا هويته في الحديث الذي اختاره آية الله في كتابه، وذكرنا أن علماء الرجال اعتبروه مهملاً وقالوا أنه ضعيف وغير موثوق. و«معاوية بن وهب» مجهول الحال (انظر تنقيح المقال ج٣، ص٢٢٦). ومضمون الحديث قول الصادق إن شفاعتنا لشيعتنا لا تُردُّ!

الحديث الخامس والعشرون: وهو مرويٌ أيضًا عن سعدان المذكور في الحديث السابق ومتنه مشابه لمتن الحديث السابق. وقد ذكرنا مرارًا أن الشفاعة بمعنى استغفار الملائكة والأنبياء والأولياء للمؤمنين في الدنيا شفاعة صحيحة ثابتة.

الحديث السادس والعشرون: متنه كمتن الحديث الرابع والعشرين بيد أن في سنده محمد بن الفضل الذي بينا ضعفه وغلوه في التعليق على الحديث السابع عشر.

الحديث السابع والعشرون: وهو عن محمد بن الفضل أيضًا. ومتنه أن محمد بن الفضل سأل أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى:﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فقال نحن أولئك الشافعون!.

الحديث الثامن والعشرون: نقله المجلسي عن **المحاسن** للبرقي أيضًا عن القاسم بن محمد عن علي بن أبي حمزة. ومضمونه مثل مضمون الحديث الحادي عشر. و«القاسم بن محمد» طبقًا لما صرح به علماء الرجال، واقفيٌّ، ولم يوثقه أحد، وردّ جميع الفقهاء روايته

وطعنوا به (انظر تنقيح المقال، ج٣، ص ٢٤). وأمّا «علي بن أبي حمزة» فهو ذلك الملعون ذاته الذي تكلمنا عنه في تعليقنا على الحديث الثامن.

الحديث التاسع والعشرون: عن **المحاسن** للبرقي أيضًا عن «حمزة بن عبد الله» الذي لا ذكر له في كتب الرجال، ورواه عن «ابن عميرة»، وهي كنية رشيد بن مالك السعدي وهو من أصحاب رسول الله ﷺ ولا يمكن أن يروي عن الإمام الباقر. جاء في فصل الكنى (ص٢٨) من كتاب تنقيح المقال: لم أعرف اسمه ولا حاله! فالحديث مجهول. ومضمونه أيضًا ليس بشيء. وفيه أن أبا جعفر عليه السلام قال: إن لرسول الله ﷺ شفاعة! ". نعم ليس فقط رسول الله ﷺ بل كثيرون آخرون أيضًا.

الحديث الثلاثون: عن كتاب **المحاسن** للبرقي أيضًا عن أبان عن أسد بن إسماعيل عن جابر بن يزيد قال: قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: يا جابر، لا تستعن بعدونا في حاجة ولا تستعطه ولا تسأله شربة ماء...... الخ ".

و«أسد بن إسماعيل» مجهول الحال كما في «تنقيح المقال» (ج١، ص٧) فضلاً عن أن متن الحديث لا علاقة له بتلك الشفاعة الواسعة المدّعاة.

الحديث الواحد والثلاثون: نقله عن **المحاسن** للبرقي أيضًا عن أبي فضالة عن الحسين بن عثمان عن أبي حمزة.

أبو فضالة كنية ثابت بن أسلم البناني، الذي كان من أصحاب رسول الله ﷺ وقتل في صفين مجاهدًا تحت راية أمير المؤمنين علي عليه السلام ولا يمكن لمثل هذا الشخص أن يروي عن الحسين بن عثمان، ولا يوجد أبو فضالة آخر بين أصحاب الأئمَّة، ولكن طبقًا لما صرح به الممقاني في تنقيح المقال (ج ١، ص ١٨٨) أهمل صاحب الذخيرة ذكره. والحديث من كلام أبي حمزة وليس مرفوعًا إلى المعصوم فلا حجة فيه. وعلى كل حال فشفاعة النبي ﷺ لأمته ثابتة ولكن بمعنى استغفاره لهم وطلبه الرحمة لهم، لأنه الله أمره بهذه الشفاعة لأمته بقوله: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾. [محمد:١٩]

الحديث الثاني والثلاثون: نقله المجلسي عن كتاب «المناقب» لابن شهرآشوب كالتالي: "علي بن الجعد عن شعبة عن قتادة عن أبي الجوزاء عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨] قال: يعني ما تنفع كفار مكة شفاعة الشافعين ثم قال: أول من يشفع يوم القيامة في أمته رسول الله وأول من يشفع في أهل بيته وولده أمير المؤمنين وأول من يشفع في الروم المسلمين صهيب وأول من يشفع في مؤمني الحبشة بلال**!**".

وأقول: جميع رواة سند الحديث من العامة وهو موقوف على ابن عباس وليس من كلام المعصوم.

إن جامعي أحاديث الشفاعة حريصون جدًّا بأن يفتحوا للناس باب الجرأة والوقاحة على ارتكاب المعاصي وهدم بنيان الإسلام.

هنيئًا لأولئك العصاة الذين يتنعمون ويتلذذون في هذه الدنيا بالشهوات ثم تشفع لهم في الآخرة فيدخلون الجنة**!!**

الحديثان الثالث والثلاثون والرابع والثلاثون: منقولان عن العامة أيضًا ومضمونهما بعيد عن الشفاعة المدعاة ولا يعارض ما ذكرناه.

الحديث الخامس والثلاثون: منقول عن «التفسير» المنسوب للإمام الحسن العسكري الذي سبق وبينا أنه كتاب منحول وغير موثوق بل ضعيف ومكذوب.

الحديث السادس والثلاثون: ومضمونه مشابه لحديث الشفاعة المتهافت الطويل المنقول عن «**تفسير العياشي**» والذي فيه أن رسول الله يقرع حلقة باب بيت الله فيخرج الله ويسأل مَن بالباب...الخ. مما سبق بيان بطلانه عقلاً وشرعًا.

الأحاديث ٣٧-٣٨-٣٩: كلها منقولة عن تفسير العياشي دون سند متسلسل فلا حجة فيها ولا تستحق الاعتناء. (وهو الحديث رقم ٤٦ في الطبعة الجديدة).

الحديث الأربعون: (وهو الحديث رقم ٥٣ في الطبعة الجديدة): نقله المجلسي عن كتاب «**بشارة المصطفى**» بالسند التالي: يحيى بن محمد بن الحسن الجواني عن جامع بن أحمد

الدهستاني عن علي بن الحسن بن العباس الصندلي عن أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي عن يعقوب بن أحمد السري. وهؤلاء الرواة مجهولون كلُّهُم وليس لهم ذكر في كتب رجال الشيعة، والأخير يرويه عن «محمد بن عبد الله بن محمد» وهو إن لم يكن مجهولاً فلا بد أنه «محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله» الذي اعتبره النجاشي ضعيفًا. والراوي التالي «عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي عن أبيه» وأبوه أي (أحمد بن عامر الطائي) قال عنه المامقاني في تنقيح المقال (ج١، ص٦٣): مجهول الحال. وأحمد هذا روى الحديث عن عامر بن سليمان بن صالح وهو شخص مجهول لا ذكر له في كتب الرجال. فهذا الحديث مجهولٌ وفاقد للاعتبار من جميع الجهات.

مضمون الحديث أن رسول الله ﷺ قال: "أربعةٌ أنا لهم شفيعٌ يوم القيامة المكرِم لذريِّتي والقاضي لهم حوائجهم والساعي في أمورهم ما اضطروا إليه والمحب لهم بقلبه ولسانه عند ما اضطروا".

الحديث الواحد والأربعون (أو رقم ٥٤ في الطبعة الجديدة): نقله المجلسي عن «الكنز» بسند هو: عن محمد بن العباس عن أحمد بن هوذة عن إبراهيم بن إسحاق عن عبد الله بن حماد عن عبد الله بن سنان. أما «محمد بن العباس» و«أحمد بن هوذة» كلاهما مجهول الحال (انظر تنقيح المقال: ج٣، ص١٣٥ وج١، ص٩٩). وأما «إبراهيم بن إسحاق» فاعتبره الشيخ الطوسي في رجاله (ص٤٥١) ضعيفًا، وقال الشيخ الطوسي في الفهرست (ص٢٩): "إبراهيم بن إسحاق أبو الإسحاق النهاوندي كان ضعيفًا في حديثه متهمًا في دينه". وقال العلامة في القسم الثاني من خلاصته (ص١٩٨): "إبراهيم بن إسحاق... كان ضعيفًا في دينه وفي مذهبه ارتفاع، وأمره مختلط، لا أعمل على شيء مما يرويه".

والراوي التالي «عبد الله بن حماد» قال عنه ابن الغضائري: "عبد الله بن حماد أبو محمد الأنصاري نزل قم، لم يروِ عن أحد من الأئمَّة وحديثه يُعرف تارة ويُنكر أخرى".

مضمون الحديث أنه إذا كان يوم القيامة وكلنا الله بحساب شيعتنا.... !".

الحديث الثاني والأربعون (أو رقم ٥٥ في الطبعة الجديدة): متنه كالحديث السابق

وسنده مشترك معه في بدايته إلا أنه يصل في آخره إلى «عبد الله بن حماد» عن «محمد بن جعفر» عن أبيه الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وقد عرفنا حال الرواة من بداية السند وحتى عبد الله بن حماد، وبقي أن نتعرف على حال «محمد بن جعفر»:

ذكر الشيخ المفيد في كتابه «**الإرشاد**» أن «محمد بن جعفر» كان يرى رأي الزيدية في الخروج بالسيف،(١) وقد خرج بذاته على المأمون في مكة سنة ١٩٩هـ، ودعا إلى نفسه وتسمَّى بأمير المؤمنين وبويع له بالخلافة، واتبعته الزيدية الجارودية، فخرج لقتاله عيسى الجلودي ففرق جمعه وأخذه وأنفذه إلى المأمون...(٢). وجاء في كتاب «كشف الغمّة بمعرفة الأئمَّة» لعلي بن عيسى الإربلي، في الحديث عن موسى بن جعفر ما نصُّه: "ومات (الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام) في حبس (هارون) الرشيد وقيل سعى به جماعة من أهل بيته منهم محمد بن جعفر بن محمد أخوه ومحمد بن إسماعيل بن جعفر ابن أخيه والله أعلم"(٣).

وروى الشيخ الصدوق في «**عيون أخبار الرضا**» عن عمير بن يزيد قال: كنتُ عند أبي الحسن الرضا عليه السلام فذُكِرَ «محمد بن جعفر بن محمد» فقال: "إني جعلتُ على نفسي أن لا يُظِلَّني وإيَّاه سَقْفُ بَيْتٍ! ". وفي موضع آخر من «عيون أخبار الرضا»: عن علي بن جعفر قال جاءني محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد وذَكَرَ لي أنَّ محمد بن جعفر دخل على هارون الرشيد فسلَّم عليه بالخلافة ثم قال له: ما ظننت أن في الأرض خليفتين حتى رأيت أخي

---

(١) أي عقيدة الزيدية في أن الإمامة بعد الحسن والحسين شورى بين أولادهما، فمن خرج منهم، سواء كان من ذرية الحسن أو من ذرية الحسين، وشهر سيفه ودعا إلى نفسه فهو المستحق للإمامة، ولذا فقد ساقت الزيدية الإمامة إلى كلِّ فاطميٍّ عالمٍ زاهدٍ شجاعٍ سخيٍّ خرج للإمامة بالسيف، فاعتبرته إمامًا واجب الطاعة. (المترجم)

(٢) انظر الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ج٢، ص ١١١ - ١١٢، و بهاء الدين علي بن عيسى الإربلي (المتوفى ٦٩٢هـ)، «**كشف الغمَّة بمعرفة الأئمَّة**»، ج٢، ص ٣٠٠. (تر).

(٣) بهاء الدين علي بن عيسى الإربلي، «**كشف الغمَّة بمعرفة الأئمَّة** »، ج٢، ص ٢٥٢.

موسى بن جعفر عليه السلام يُسَلِّمُ عليه بالخلافة!"[١]. وفي «**عيون أخبار الرضا**» أيضًا، كما في «**الإرشاد**» أنه: "لما خرج محمد بن جعفر بمكة ودعا لنفسه ويسمى بأمير المؤمنين وبويع له بالخلافة ودخل عليه أبو الحسن الرضا عليه السلام فقال: يا عم! لا تكذِّب أباك وأخاك فإن هذا الأمر لا يتم". وقُبح قصَّة خلافته مذكور في التاريخ.

الحديث الثالث والأربعون: (وهو رقم ٥٨ في الطبعة الجديدة): نقله المجلسي عن «**علل الشرائع**» للصدوق عن محمد بن سنان عن ابن مسكان. ويكفي في بيان فساد هذا الحديث أن في سنده «محمد بن سنان» الذي سبق أن بينَّا حاله في كلامنا على الحديث الذي اختاره آية الله العظمى صاحب كتاب «**أمراء الكون**»، وبينا أنه ضعيف غال. مضمون الحديث أن فاطمة عليها السلام تقف يوم القامة على باب جهنم فتنقذ من النار كلَّ من أحبَّها وتولاها وأحب ذريتها وتولاهم!!

الحديث الرابع والأربعون: (وهو رقم ٥٩ في الطبعة الجديدة): نقله المجلسي عن تفسير «فرات بن إبراهيم» عن سهل بن أحمد الدينوري. و«سهل بن أحمد» هذا قال عنه ابن الغضائري – كما ذكر المامقاني في تنقيح المقال (ج٢، ص٧٤) -: "كان يضع الأحاديث ويروي عن المجاهيل! "، كما وصفه العقيقي بأنه: "كان واقفيًّا غاليًا". ومعنى واقفيًا أي لم يكن يعتقد بإمامة الأئمَّة بعد الإمام الكاظم.

مضمون الحديث أنه إذا كان يوم القيامة نصب للأنبياء والرسل منابر من نور فيكون منبري [أي منبر رسول الله] أعلى منابرهم يوم القيامة (ويذكر أنه يُنْصَبُ لعليٍّ منبرٌ وللحسنين منبرٌ و.. و.. حتى يقول): فيقول الله تعالى يا أهل الجمع إني قد جعلت الكرم لمحمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة يا أهل الجمع طأطئوا الرؤوس وغُضوا الأبصار فإن هذه فاطمة تسير إلى الجنة....... [إلى قوله] فيقول الله يا بنت حبيبي ارجعي فانظري من كان في قلبه حب لك أو لأحد من ذريتك خذي بيده فأدخليه الجنة...الحديث بطوله!! ".

---

(١) الشيخ الصدوق، **عيون أخبار الرضا**، ج١، ص ٧٣.

ولم يذكر المجلسي تفصيل السند المشار إليه وكل ما ذكر هو الراوي «سهل بن أحمد الدينوري»، وهذا كاف لمعرفة كذب الحديث، لأن «سهل بن أحمد» هذا جاء تضعيفه وجرحه بالوضع الغلو في جميع كتب الرجال، فابن داود الحلي مثلاً أورده في قسم الضعفاء من رجاله (ص ٤٦٠)، والتفرشي قال عنه في «**نقد الرجال**» (ص ١٦٤) أنه هو الذي وضع التفسير المنسوب إلى الإمام، وانظر أيضًا «**قاموس الرجال**» للتُسْتَرِيّ (ج٥، ص ٣٢).

الحديث الخامس والأربعون: نقله المجلسي عن **أمالي** الطوسي عن التفليسي عن أبي العباس الفضل بن عبد الملك. أما التفليسي فهو لقب «بشر بن بيان» الذي اعتبره في تنقيح المقال (ج١، ص١٧٢) مجهولاً وذكر في صفحة ٢٠ أنه لا وجود له. وإن كان المراد من التفليسي «بيان بن حموان» فهو أيضًا مجهول كما في (ج١، ص١٨٥) من تنقيح المقال. وإن كان المراد منه «شريف بن سابق» فهو حسب قول الغضائري ضعيف ومضطرب الأمر، وعلى قول صاحب تنقيح المقال (ج٢، ص٨٤): "كلهم يتسالمون على ضعف الرجل ".

ومضمون الحديث أن أعداء المؤمنين إذا رأوا شفاعة الرجل منهم لصديقه يوم القيامة تحسَّروا وقالوا: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝١٠١﴾ [الشعراء: ١٠٠- ١٠١].

الحديث السادس والأربعون: متن هذا الحديث صحيح موافق للقرآن ولما بيناه من حقيقة الشفاعة. ونصه أن الإمام الصادق عليه السلام قال في رسالته إلى أصحابه: "واعلموا أنه ليس يغني عنكم من الله أحد من خلقه شيئا لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا من دون ذلك فمن سره أن ينفعه شفاعة الشافعين عند الله فليطلب إلى الله أن يرضى عنه ".

الحديث السابع والأربعون: حديثٌ طويلٌ جدًّا أورده المجلسي نقلاً عن تفسير «فرات بن إبراهيم الكوفي» بلا سند عن ابن عباس، ولمّا كان فاقدًا للسند فلا حجة فيه. ومضمونه يحكي عن قدوم فاطمة عليها السلام إلى أرض المحشر على نحو مخصوص..الخ.

الحديث الثامن والأربعون: نقله المجلسي عن **علل الشرائع** للصدوق عن أحمد بن إدريس عن حنان بن سدير. أما «حنان بن سدير» فتذكر كتب الرجال أنه كان واقفيًا (رجال الكشي ص٤٦٥) وذكره ابن داود في رجاله مع المجهولين والمجروحين والضعفاء

(ص٤٥٠) كما اعتبره العلامة (ص٢١٨) واقفيًا ونقل عن الشيخ الطوسي قوله: "إنه ثقة، وعندي في روايته توقُّفٌ... "، ولا ندري أن الجملة الثانية، أي التوقف في روايته، هي رأي الطوسي أم قول العلامة والأظهر أنها قول الطوسي. واعتبره النجاشي (ره) في رجاله (ص١١٣) غير ثبت.

وقال عنه صاحب تنقيح المقال (ج١، ص٣٨١): "حنان ضعيف لأنه كيساني"، وقال جميع علماء الرجال أن حنانًا لم يدرك الإمام الباقر عليه السلام ومع ذلك فإنه روى هذا الحديث بصيغة: "سمعتُ أبا جعفر عليه السلام " مما يبين أن حديثه كذب من أساسه.

مضمون الحديث قول الإمام الباقر عليه السلام: "لا تسألوهم فتكلِّفُونا قضاء حوائجهم يوم القيامة".

الحديث التاسع والأربعون: سنده كسابقه ومتنه شبيه به فلا اعتبار له.

الحديث الخمسون: نقله المجلسي عن أمالي الطوسي: عن ابن عبدون (أحمد بن عبد الواحد) عن ابن الزبير عن علي بن الحسن بن فضال. أما ابن عبدون فقال عنه المامقاني في تنقيح المقال (ج١، ص٦٦): "لم يرد في الرجل توثيق صحيح". وأما «ابن الزبير» فقد اعتبره الوحيد البهبهاني غاليًا. وأما علي بن فضال فهو من أسوء رجال الحديث سمعةً وقد سبق أن بينا حاله. وسائر رجال السند مجهولون لا ذكر لهم في كتب الرجال. وبالتالي فهذا الحديث واه من حيث السند بل من أوهن الأحاديث وأضعفها ثقةً.

ومضمون الحديث قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا تستخفوا بشيعة علي فإن الرجل منهم ليشفع لعدد ربيعة ومضر "!!

الحديث الواحد والخمسون: من تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي "معنعنًا عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام. هذا الحديث كما هو ظاهر مروي هنا بدون سند ولكن هذا خطأ لأنه جاء في تفسير القمي (ص٤٧٣ من الطبعة القديمة) مسندًا عن إبراهيم بن هاشم عن الحسن بن محبوب عن أبي أسامة عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

وأبو أسامة هو زيد الشحّام الممدوح لدى أكثر أرباب الرجال ولكن الغضائري اعتبره

ضعيفًا، وإبراهيم بن هاشم لم يوثقه كثير من علماء الرجال.

ومضمون الحديث قول الإمام إن الله تعالى يفضلنا ويفضل شيعتنا حتى إنا لنشفع ويشفعون فإذا رأى ذلك من ليس منهم قالوا: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝١٠١﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠١]!

الحديث الثاني والخمسون: (وهو حديث رقم ٧٠ في الطبعة الجديدة) نقله المجلسي عن «الكافي» للكُلَيْني. أحد رواته «عليُّ بن فضال» الذي عرفناه فيما سبق، وبقية رواته مجهولون ومهملون.

ومضمونه أن محبي الأئمَّة يدخلون الجنَّة والنواصب ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝١٠١﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١] ". وهذا يمكن فهمه على نحو يتفق مع مفهوم الشفاعة الشرعية الذي سنشرحه لاحقًا.

الحديث الثالث والخمسون: هو الحديث التشبيهي الفاضح ذاته الذي استند إليه آية الله العظمى وقد بينا ضعفه في الصفحات السابقة.

الحديث الرابع والخمسون: عن تفسير فرات بن إبراهيم: عنى محمد بن القاسم بن عبيد معنعنا عن بشر بن شريح البصري. أقول: إذا كان الراوي «محمد بن القاسم» هو «محمد بن القاسم الأسترآبادي» فهو كذاب متروك الحديث لأن الغضائري قال عنه - كما في تنقيح المقال: "ضعيف كذَّاب، وهو الذي وضع التفسير المنسوب إلى الإمام ". أما إذا كان «محمد بن القاسم بن عبيد» فهو مجهول وكذلك الراوي الذي بعده أعني «بشر بن شريح»، فالحديث ساقط من الاعتبار لأن في سنده مجاهيل لا ذكر لهم في كتب الرجال. ومن الجدير بالذكر أن اسم «بشر» جاء في «تفسير فرات الكوفي» باسم «نشر» وهو أيضا مجهول!

مضمون الحديث معنى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ٥]: الشفاعة والله الشفاعة والله الشفاعة ".

الحديث الخامس والخمسون: منقول عن التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري

الذي بينا فيما سبق أنّه كتاب موضوع مكذوب. ومضمون الحديث ليس صحيحًا لأنه يُثبت فضيلة وشفاعة لأسامة بن زيد، وهو كان من المتخلفين عن أمير المؤمنين [في حروبه]، وليست له تلك الفضيلة.

الحديث السادس والخمسون: من كتاب «**صفات الشيعة**» للصدوق (ره) عن عمار الساباطي. كان عمّارٌ الساباطيُّ فطحيَّ المذهب، قال عنه صاحب «كاشف الرموز»: "عمَّارٌ فطحيٌّ لا أعمل على روايته". وقال عنه الشيخ الطوسي في الرواية التي أوردها حول السهو في صلاة المغرب: "هو فطحيٌّ ملعونٌ من الكلاب المطورة".

مضمون الحديث: "لَا تَسْتَخِفُّوا بِفُقَرَاءِ شِيعَةِ عَلِيٍّ وَعِتْرَتِهِ مِنْ بَعْدِهِ فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ لَيَشْفَعُ لِمِثْلِ رَبِيعَةَ وَمُضَر! ".

الحديث السابع والخمسون: عن كتاب «دعوات الراوندي»: عن سماعة بن مهران. قال الشيخ الصدوق: "أنا لا أفتي برواية سماعة بن مهران". ثم إن سماعة هذا مات عام ١٤٥هـ زمن الإمام الصادق عليه السلام، ومع ذلك فإنه يروي هذه الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام الذي ولد عام ١٤٨هـ! [فهذا يدلُّ إما على الانقطاع في السند أو كذب في الرواية].

ومضمون الحديث أنه إذا كان يوم القيامة لم يبق ملكٌ مقرَّبٌ ولا نبيٌّ مرسَلٌ ولا مؤمنٌ ممتحنٌ إلا وهو يحتاج إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام في ذلك اليوم.

الحديث الثامن والخمسون: منقولٌ من غير سند عن «التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري» الذي ذكرنا مرارًا أنه كتابٌ منحولٌ موضوعٌ، فضلاً عن أن متن الحديث الطويل يتضمَّن مطالب واضحة البطلان تنضح منها علامات الوضع، كحكايته عن رجل من شيعة عليٍّ يأتي يوم القيامة وقد وضع له في كفّة سيئاته من الآثام ما هو أعظم من الجبال الرواسي والبحار السيارة وليس عنده حسنة واحدة! (وليت شعري كيف يُعَدُّ مثل هذا المجرم الأثيم من شيعة علي؟!)، ومع ذلك تُغْفَرُ له كل ذنوبه عندما يَهَبُهُ عليٌّ عليه السلام ثواب نَفَسٍ من أنفاسه ليلة مبيته في فراش النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم!! وغير ذلك من التّرَّهات غير المستغربة من مثل ذلك الحديث الملفَّق المكذوب.

الحديث التاسع والخمسون: منقول عن تفسير العياشي، وقد بيّنّا سابقًا أن العياشي ضعيف في الرواية. ومضمون الحديث لا علاقة له بالشفاعة بل يذكر أن الله لا يقبل يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً، وأن الصَّرْف النافلة والعدل الفريضة!

الحديث الستون: منقول كذلك عن تفسير العياشي ولا سند له.

ومضمونه أن أبان بن تغلب قال: "سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن المؤمن ليشفع يوم القيامة لأهل بيته فيشفع فيهم حتى يبقى خادمه فيقول فيرفع سبابتيه يا رب خويدمي كان يقيني الحرّ والبرد فيشفع فيه ".

في مبحث حقيقة الشفاعة سيتضّح هذا المعنى أنه لو استغفر حال حياته لأخيه فإن هذا الاستغفار سوف يتجسم يوم القيامة بصورة الشفاعة.

كانت ذلك ستون حديثًا في الشفاعة جمَّعها المجلسي من كتب الرواية المختلفة في كتابه «**بحار الأنوار**» باب الشفاعة، وكما لاحظنا لم يوجد بينها حديث صحيح واحد، هذا رغم أنه حتى لو كانت كلها صحيحة سندًا فإنها تبقى مرفوضة وساقطة من الاعتبار لكون معظم متونها يخالف للقرآن ويتعارض معه.

ومع ذلك لاحظوا ما قام به الرُوَاةُ المُضِلُّون الدجَّالون الذين أغواهم الشيطان؟ وأي أحاديث وقصص وأحلام وخيالات افتروها وكيف هجروا كتاب الله وتركوا دينه وجعلوا إنذارات رسول الله صلى الله عليه وآله عديمة الفائدة والأثر؟

(ملاحظة: ذُكِرَ في الطبعة الجديدة للبحار أكثر من ستين حديثًا في باب الشفاعة، وقد اكتفينا بستين منها لأن بعضها الآخر ليس بحديث والبعض لا سند له).

الشفاعة وحقيقتها

[الشفاعة عند الله لا تُقاس على الشفاعة عند سلاطين الدنيا]

بيَّنَّا فيما سبق للقرَّاء الكرام أنَّ الشفاعة بمعنى توسُّط شخص مقرَّب ذي حظوة ومنزلةٍ لدى سلطانٍ حاكمٍ لأجل تخفيف العقاب أو العفو والسماح عن شخص مجرم ارتكب ما يستوجب العقاب، كان عادةً رائجةً زَمَنَ السلاطين الجبارين والمستبدين المتكبرين، ونقول: إن مثل هذا النمط من الشفاعة لا يمكن أن يوجد في نظام عالم الوجود الخاضع بشكل مطلق لإرادة و مشيئة رب العالمين، بل القول بمثله فيه نوع من الجهل بالله والتجرُّؤ على ساحة ربوبِيَّتِهِ المقدّسة، فقياس الشفاعة لديه على الشفاعة لدى سلاطين الدنيا قياس مع الفارق الكبير، بل قياس أمر على آخر لا علاقة له به.

فالقول بشفاعةٍ بمعنى قيام النبي أو الإمام بالتدخل والتوسط لدى الله تعالى لحمله على تغيير حكمه والرحمة بحق شخص قد أجرم إما لتخفيف العقاب عنه أو رفعه كليةً والسماح عنه، فيه نوع من الجهل بالله والوقاحة وإساءة الأدب بحق ذاته العلية وتشبيهه بسلاطين عالم الدنيا، مما لا تقره شريعة الإسلام المطهّرة. ولذا فقد جاء في كتاب «**البداية والنهاية**» للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ج١، ص١١): "...... **عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال: أتى رسول الله ﷺ أعرابيٌّ فقال: يا رسول الله! جهدت الأنفس وجاعت العيال ونهكت الأموال وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا فإنّا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك. قال رسول الله ﷺ: «ويحك أتدري ما تقول؟؟» وسبح رسول الله ﷺ فما زال يُسبِّح حتى عُرِفَ ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال: «ويحك إنه لا يُسْتَشْفَعُ بالله على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك»**.... ".

وفيما يلي نذكر أهم خصائص الشفاعة التي تتم عند السلاطين الجبارين في الدنيا لنرى

كيف أن مثل هذه المواصفات لا تنسجم ولا يمكن أن يُقال بمثلها بحق الباري تبارك وتعالى:

١) المجرم يرتكب أعماله في غيبة السلطان الحاكم الذي لم يكن مطلعًا عليه أثناء ارتكابه لجرائمه.

٢) عندما يصل الأمر إلى محضر السلطان الحاكم ويتضح لديه ما عمله المجرم فإنه يصدر أمرًا بمجازاته وعقابه وليس لهذا الجزاء قاعدة ثابتة وإنما يخضع لهوى السلطان وما يراه من المصلحة!

٣) لا يملك المجرم أي وسيلة لتبرئة نفسه إذْ لا يستطيع أن يدافع عن نفسه بنفسه، لأن قوة السلطان وجبروته وهيبته لا تتيح له أي فرصة لذلك، وكم من بريءٍ يُتَّهم ظلمًا وزورًا ثم يُحبس أو يُعدَم لأنه لا يجد أي وسلة للدفاع عن نفسه وإثبات براءته.

٤) عندما يتوسل مرتكب الجرم بصاحب الجاه والحظوة لدى السلطان ويرجوه أن يشفع له عند السلطان فإن صاحب الجاه إذا عرف أن هذه الشفاعة فيها نفع له أكبر من ثِقَل ترجّي السلطان فإنه يشفع وإلا لو شعر أن شفاعته لن تفيده ماديًا ولا معنويًا فإنه يأبى الشفاعة.

٥) الشفيع الذي يتدخل ويتوسط للمجرم لدى السلطان عادةً ما يقدم للسلطان أعذارًا وتبريرات لما فعله المشفوع له، أو يبين له أن من يشفع لأجله لم يرتكب في الواقع ذلك الجرم المنسوب له، أو أنه ارتكبه جهلاً منه ودون قصد أو عن غير عمد، أو يبين للسلطان أن هذا المشفوع له وإن أجرم إلا أنه في مقابل ذلك له إيجابيات فيها فائدة للسلطان وحكمة، فالأَوْلى العفو عنه والاستفادة منه، فعندئذ يقتنع السلطان ويقبل الشفاعة ويعفو عن المشفوع له.

٦) قبول السلطان لشفاعة الشفيع ينجم عادة عن عدم اطلاعه الكامل على ما فعله المشفوع له واحتماله القوي أو يقينه بأن ما يقوله الشفيع حول عدم تقصير المجرم أو استحقاقه العفو صحيح، أو أنه يقبل شفاعة الشفيع كي لا يخيب أمله ولا يغضبه، إذ قد يكون لرفض شفاعته آثار وتبعات سلبية تضر بالسلطان لذا فإنه يقبل

وساطته تجنبًا لتلك التبعات.

٧) نتيجة مثل هذه الشفاعة تكون عادةً نجاة المجرم من العقاب المستحق عليه، وَمِنْ ثَمَّ يحظى الشفيع الذي نجح في مسعاه باحترامٍ لدى الناس أكثر من الاحترام الذي يحظى به السلطان لديهم! إذْ يشعر الناس أنهم مدينون للشفيع وأنه يستحق التذلل له أكثر من السلطان، لأنهم يدركون أن السلطان ليس مبسوط اليد في بلاده تمامًا وأن هناك من يؤثر على أحكامه وقدرته...

فالمجرمون في مثل هذه الحالة يرضون عن الشفيع أكثر من رضاهم عن السلطان وتقع محبة الشفيع في قلوبهم أكثر لأنه هو الذي حال دون تنفيذ العقاب بحقهم!

والآن أيها القارئ الكريم ضع هذه النقاط السبع للشفاعة أمامك وقارنها بإرادة خالق العالم ومشيئته المطلقة وقدرته وسلطانه التي لا حدّ لها، وانظر هل من الممكن القول بمثل ذلك المفهوم للشفاعة بحق الباري عزّ وجلّ؟

هل الله تعالى غير مطلع على أفعال عباده؟ هل نظام الخليقة قائم على الهوى أم على السنن والقوانين الإلهية التي لا تتخلّف؟ هل يحتاج العباد لوسطاء وشفعاء لمخاطبة الله تعالى مع أنه القائل: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

هل الشفعاء الذين اخترعهم الغلاة والجاهلون لأجل يوم القيامة بحاجة إلى المجرمين والاستفادة منهم؟ وهل هم - والعياذ بالله - أرحم بخلق الله من الله تعالى!؟ هذا مع أن محمدًا ﷺ وعليًّا عليه السلام نفسيهما -اللذَين يعتقد أولئك القوم أنهما رحماء بأتباعهما ومحبين حبًّا جمًّا لشيعتهما- لن تكون محبتهما وشفقتهما بالعباد، مهما بلغ قدرها، أكثر من قطرة في بحر رحمة الله ومحبته لعباده.

وهل يمكن للشفعاء أيًّا كانوا أن يُثْنُوا اللهَ عن حكمٍ اتخذه وَيَحْمِلُوهُ على تغييره؟! وهل الله تعالى يحسب حسابًا للشفعاء ويخشى عدم إرضائهم!؟

إن القول بأي واحد مما سبق يُعدُّ كفرًا بالله، «تَعَالَى اللهُ عمَّا يقولُ الجاهلونَ عُلُوًّا كَبِيرًا».

والخطأ الآخر في مسألة الشفاعة هو أن القائلين بها على ذلك النحو يتصورون أن نتيجة الشفاعة هي النجاة من عذاب جهنم ودخول الجنة، مثلما يحصل في الدنيا إذ أنه يحصل في الدنيا أحيانًا أن المجرم الذي يستحق العقاب يتم العفو عنه بعد شفاعة الشفيع صاحب المنزلة لدى صاحب السلطة، فينجو من العقاب، وليس هذا فحسب بل قد يحظى بالتقرُّب من السلطان فيصبح من جلسائه وذوي المقام لديه، وهذا وإن كان وقوعه في الدنيا قليلاً لكنه يحصل أحيانًا خاصةً عندما يكون المجرم صاحب كفاءات وملكات بارزة وشخصيّة قويّة، فيقرِّبُهُ السلطان بعد عفوه عنه وقد يعطيه منصبًا وزاريًا أو قد يرتقي به إلى أعلى من ذلك!!

ولكن مثل هذا التصوّر للشفاعة لا مكان له مطلقًا في يوم المحشر لأن العذاب أو الثواب المستحقان على العبد هنالك نتيجة حتميّة ودقيقة لأعماله ولأهليته وشخصيته فإن كان معذبًا فلأجل ملكاته الخبيثة التي تكوَّنَت في نفسه نتيجة أعماله، ومثل هذا لو سيق فرضًا إلى جنّات الفردوس فلن يتلذذ بشيء منها، مثله مثل المريض الذي فقد كل إحساس في جهازه الهضمي نتيجة عطب في ذلك الجهاز إذا أعطوه طعامًا لذيذًا ليأكله لن يشعر بطعمه ولن يتلذذ به، أو مثل الرجل العنين والعجوز الذي فقد كل قواه الجنسية حتى لم يبق له حسّ اللمس ولا البصر ما عساه أن يستفيد من رؤية الحور العين وكيف سيتمتّع بهنّ؟ إن الشفاعة لا يمكن أن تضفي على المشفوع له كمالاً آنيًّا في ساعة واحدة وتبدِّلَ ملكاته السيئة بكمالٍ ورقيٍّ معنويٍّ يتمتَّعُ فيه بنعيمِ جنَّةِ الرضوان، وينطبق عليه مثل الشاعر بابا طاهر الذي يقول: (أمسيتُ كرديًا وأصبحتُ عربيًا)! فليس في كون الله مثل هذه الطفرات. إن إدراك مقام الرضوان الإلهي والسعادة والنعيم الآخروي يحتاج إلى مقام العبادة والرياضة ولا يمكن تحصيل تلك الكمالات إلا في الدنيا كما قال أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام: "وإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ ولا حِسَابَ وغَدًا حِسَابٌ ولا عَمَلَ". (الخطبة ٤٢ من نهج البلاغة).

إن دين الإسلام لا يؤمن بالتناسخ والحياة الجديدة على الأرض بعد الموت كما في البوذية والبرهمية فلا يمكن تحصيل مقام القرب والعروج نحو الذات الأحدية في فرص الحياة الجديدة المتكررة بعد الموت بل هذه الحياة الدنيا هي فرصة الإنسان الوحيدة لتحصيل

الكمالات وتهذيب النفس والقرب من الله كما قال الشاعر:

چه رفتى از جهان يكباره رفتى *** دگر هرگز بعالم در نيفتي

أي: إذا رحلت عن العالم رحلت نهائيًا ولن تعود بعدها أبدًا إلى الدنيا ثانيةً.

قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [مريم: ٣٩]. وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ [المؤمنون: ٩٩- ١٠٠].

إن المقام الأخروي هو الدرجة نفسها التي وصل إليها الإنسان في هذا العالم ولا يمكن أن تحصل خلال لحظة بسبب الشفاعة!

وإذا كان من غير الممكن الحصول على المقامات والمراتب العلمية في الدنيا بغتةً وفي لحظةٍ واحدةٍ عن طريق هبتها لشخص، بل لا بد من سهر الليالي وتعب السنوات وبذل الجدّ والاجتهاد للوصول إلى تلك المراتب، فإنَّ تحصيل المراتب المعنوية والدرجات الأخروية أكثر أهمية وصعوبة من تلك المراتب العلمية في الدنيا، ولا بدّ للحصول عليها من سنوات طويلة من العبادات وجهاد النفس ورياضتها، وهذا ما تدل عليه آيات كثيرة في القرآن الكريم كقوله تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٣٢]. ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩﴾ [النجم: ٣٩] ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۝١٩ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۝٢٠ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۝٢١﴾ [الإسراء: ١٩، ٢١] ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝١٩﴾ [الأحقاف: ١٩] ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝٧٥ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ۝٧٦﴾ [طه: ٧٥، ٧٦].

والآيات التي تدل على هذا المعنى وأن درجات الجنة وإدراك لذاتها سيكون بقدر تزكية النفس وكمالاتها ومقدار السعي إلى الآخرة الذي قام به العبد في الدنيا وبقدر درجة العلم بالله

التي اكتسبها العبد في الدنيا، كثيرةٌ وهي كلها تؤكد بوضوح ما ذكرناه بأن عالم الخليقة ليس اعتباطيًا ولا طفرات فيه، وحساب الآخرة أدق بكثير من حساب الدنيا، فإن كان تقسيم الأرزاق في هذه الدنيا بتقدير من الله فإنَّ مصير الإنسان في عالم الآخرة رهين بسعيه وأعماله وما كسبته يداه:

﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ [الطور: ٢١]، ﴿كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدثر: ٣٨] فحتى لو فرضنا وجود شفاعة آخروية بالمعنى الذي يقولونه فلا يمكن الوصول عن طريقها إلى الدرجات العالية في الجنة التي لا تحصل إلا بطي مقامات الإنسانية بواسطة العبادات والمجاهدات. إن هذا الكمال لا بدّ أن يحصل في نفس الإنسان بواسطة العلم والعرفان والإسلام والإيمان والإحسان ولا يحصل في لحظةٍ واحدةٍ.

إنه لمن العجيب حقًّا كيف يغفل الإنسان العاقل عن نفسه وعن الهدف من خلقه، مع أنه كلما حصّل مقامًا في هذه الدنيا لم يقتنع به وسعى إلى إحراز مقام أعلى وأفضل، رغم أن مقامات الدنيا، أيًّا كانت، فانية وزائلة ولا تعادل شيئًا بالنسبة إلى الآخرة، ولكن ذلك الإنسان بدلاً من سعيه إلى كسب المقامات الآخروية التي تورثه السعادة الأبدية التي لا تزول يغرّ نفسه بشفاعة من ذلك النوع والمفهوم الذي لا أساس له من الصحة لا عقلاً ولا شرعًا بل هو من أوهام وخيالات الغافلين ودسائس ومكر أعداء الإسلام الذين قادوا المسلمين إلى وضعهم التعيس الذي نراه!

إننا اليوم لا نرى أحكام الإسلام التي فيها قوام حياة المسلمين وعزّتهم مطبقة بينهم، لاسيما فريضة الدفاع عن حياض الدين والجهاد وإقامة الحكومة الإسلامية واتحاد المسلمين، بل نرى أعمالاً وبدعًا اخترعها الغلاة والدجّالون واعتبروها من أفضل الأعمال في حين أن ضررها واضح للعيان، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤]، فحقيقة الشفاعة هي ما ذكرناه من قبل من أن الملائكة المجبولين على حبّ الخير وإرادته للمؤمنين، يستغفرون لهم كما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٧]، وبعضهم

يطلب الخير لجميع أهل الأرض ويستغفرون لهم كما قال تعالى::﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥]، ولكن هذا الاستغفار والشفاعة لأهل الأرض لن ينفع جميع الناس بل لن ينتفع منه إلا الذين رضي الله عنهم كما قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾. وهذه الشفاعة تشمل حتى الأنبياء لأنهم ممن يدخلون تحت عموم ﴿لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾، وهذا هو ما كان يتمناه النبي ﷺ إذْ كان يقول: «**إن ربي قد وعدني درجة لا تنال إلا بدعاء أمتي**»(١). ولما كانت ملائكة السماء - كما ذكرنا سابقًا - تريد الخير لأهل الأرض وتستغفر لهم، كما جاء في الآية ٥ من سورة الشورى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾، وقد أخبرنا الله تعالى أن استغفار حملة العرش لا يكون إلا للمؤمنين فقط كما جاء في سورة غافر: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾ [غافر: ٧- ٨].

إذن الشفاعة وطلب الرحمة والغفران الذي تقوم به الملائكة من غير حملة العرش لعامة أهل الأرض لا يشمل إلا من كان قابلاً للشفاعة ومستحقًا للغفران ومثل هذه القابلية والاستعداد إنما تحصل لدى الأفراد من كل جيل لكل من يطوي مقامات القرب من الله وهذا الأمر يتكرر على الدوام لذا جاء التعبير في الآية المذكورة سابقًا بصيغة المضارع ﴿وَكَم

(١) لم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ، ولكن هناك حديث صحيح معناه قريب منه وهو ما رواه الإمام أحمد في مسنده (٣، ٨٣) (وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع الصغير (٧١٥١)» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قال: "الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة فسلوا الله أن يؤتيني الوسيلة" وروي بلفظ: "إن الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة فسلوا الله أن يؤتينيها على الخلق يوم القيامة" رواه السيوطي في الجامع الصغير وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير (١٩٨٨)». (المُنَقِّح)

مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦] فهذه هي حقيقة الشفاعة التي عرضناها في الصفحات السابقة وبينا أنها ذلك الاستغفار والدعاء ذاته الذي تقوم به الملائكة ويقوم به النبي للمؤمنين أو يقوم به المؤمنون لبعضهم بعضًا(١) وكل ذلك منوط بإذن الله: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩]. فالشرط المهم لقبول الشفاعة أن يكون الله قد أذن بها سابقًا في الدنيا للملائكة والنبي والمؤمنين، لذا جاء الإذن بصيغة الماضي ﴿إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ﴾، وهو الإذن الذي أذنه الله للملائكة وأشار إليه الله تعالى بقوله: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٧]، كما أذن به للنبي وهو ما أشار إليه في مواضع عديدة من كتابه كقوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [محمد: ١٩]. وقال سبحانه:: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٢﴾﴾ وقال تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ [آل‌عمران: ١٥٩] وقال عز من قائل: ﴿فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة:١٢] وهو ما قام به خليل الله إبراهيم عليه السلام عندما دعا قائلاً: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: ٤١]. وكذلك ما قام به حضرة نوح عليه السلام من دعائه لنفسه و والديه والمؤمنين كما في قوله تعالى عنه: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِىَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [نوح: ٢٨]. فكل هذه الأدعية وطلب الغفران الذي يقوم به الأنبياء هو نفس الشفاعة التي أذن بها الله والتي ستنفع المؤمنين الذين يرتضيهم الله، أما غير المؤمنين فلن ينتفعوا منها بشيء، وهو معنى أكدته عديد من الآيات التي بينت أن استغفار الملائكة

---

(١) من الجدير بالذكر أنه كما أُمر النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) بالشفاعة لأمته أي أن يستغفر لهم ويطلب الرحمة لهم فإن الملائكة أيضًا تستغفر للنبي لأنها تستغفر لجميع المؤمنين بل لجميع أهل الأرض وهو (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) منهم، وكذلك أُمرت الملائكة أن تصلي على النبي بشكل خاص، ومعلومٌ أن الصلاة معناها طلب الرحمة وعلوّ الدرجة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب/ ٥٦)، والمؤمنون كذلك مأمورون بالصلاة على النبي، ولذلك ورد عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ): "إن ربي قد وعدني درجة لا تُنال إلا بدعاء أمتي".

والأنبياء لمن كانوا من المنافقين أو من كانوا من العصاة المصرين على آثامهم الظالمين لأنفسهم لن تنفعهم شيئًا ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ۝٢٨﴾، وقال تعالى لرسوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٦﴾ [المنافقون: ٦]، وقال كذلك: ﴿إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ﴾ [التوبة: ٨٠]

فالشفاعة لا فائدة منها ولا يستفيد منها إلا المؤمنون الذين رضي الله عنهم والذين أذن الله سابقًا لرسوله وللملائكة وللمؤمنين أن يستغفروا لهم. أما تلك الشفاعة المتاحة بلا حساب ولا حدود فليست سوى غرور شيطاني ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢٠﴾ [النساء: ١٢٠].

ولما ضاق الأمر على بعض المعتقدين بالشفاعة وأعوزهم الدليل الواضح من القرآن الكريم لإثبات عقيدتهم تشبَّثوا بأوهام مفهوم المخالفة لبعض الآيات القرآنية الكريمة، كمفهوم الآية ٤٨ من سورة المدّثّر ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝٤٨﴾، أو آيتي سور الشعراء﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝١٠١﴾، فقالوا إذن هناك شفاعة يوم القيامة ولكن لكنها لن تنفع الكفار، ورغم أننا أجبنا في الصفحات السابقة عن مثل هذه الظنون، وبينا أنه في ذلك اليوم لن يكون هناك صديق ولا حميم لا للكفار ولا لغيرهم، وبالمثل لن يكون هناك شفعاء لا للكفار ولا لغيرهم، كما قال تعالى: ﴿يَوۡمٌ لَّا بَيۡعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌۗ﴾ [البقرة: ٢٥٤]. ويجب أن نلاحظ أن كلمة الشفاعة في الآية الأخيرة وردت نكرةً في سياق النفي فهي تفيد العموم أي تشمل أنواع الشفاعة جميعها، أي أنه يوم القيامة لن تقع أي شفاعة على الإطلاق. ولم يأتِ في أي آية من آيات القرآن – حتى على نحو الكناية – إثبات وقوع شفاعة يوم القيامة لأي أحدٍ من الناس. ولكن لما كان عشاق الشفاعة المفتوحة الإنقاذية يريدون أن يستخرجوا من مفهوم المخالفة لتلك الآيات ثبوت الشفاعة، فإننا نرد عليهم قائلين: هل يدل قوله تعالى في وصف القيامة: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨﴾ [الشعراء: ٨٨]. على أنه سيكون لدى الناس يوم المحشر أموال وبنون إلا أنها لن تنفعهم؟!! بالطبع لن يكون هناك مال أصلاً حتى ينفع أو لا ينفع. وكذلك عندما يقول تعالى: ﴿وَلَا

يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٌ﴾ [البقرة: ٤٨]، هل يدل ذلك على أن الناس يوم القيامة يملكون فدية أو قرابين يمكنهم أن يقدِّموها إلى الله كبلدٍ عن عذابهم؟ وكذلك عندما يقول تعالى: ﴿يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ۝١١﴾ [المعارج: ١١]. هل يدل هذا على أن لأحد يوم القيامة أبناء يمكنه تقديمهم فديةً عن نفسه حتى لا يناله العذاب؟ أو يدل على أنه إن كانت هذه الفدية لا تُقبَل من المجرمين فإنها تُقبل من غيرهم؟! بالطبع أن كل ذلك لا يكون يوم القيامة، فالقضية في الحقيقة سالبة بانتفاء الموضوع. ليس هناك شفاعة أصلاً ومن الأساس حتى تنفع أو لا تنفع. كما أنه لن يكون هناك مالٌ يوم القيامة من الأساس حتى ينفع أحدًا أو لا ينفعه، وبالمثل لن يملك أحد أبناء يوم القيامة يمكنه أن يقدمهم فدية، حتى تُقبَل هذه الفدية منه أو لا تُقبَل. وكذلك لن يكون هناك صديق حميم لأحد. وبالمثل لن يكون هناك شفيع أصلاً حتى يشفع لأحدٍ أو لا يشفع سواء كان هذا الأحد من الكفار أو المذنبين. ولكن لما كانت روح الطمع قويةً لدى الإنسان وكان يطمع بالشفاعة بمجرد سماعة كلمة الشفيع، شفاعةً واسعة إنقاذية كما يظن. لاسيما أن الشيطان يساعد الإنسان على هذا التصور، لذا فإن تلك الآيات أتت لتبين شدة العذاب يوم القيامة وشقاء الإنسان (المستحق للعذاب) وأنه لا مفر له من العقاب، لا لإثبات الشفاعة.

ليس في القرآن الكريم أي آية أو إشارة بشأن قيام الأنبياء بالشفاعة في الدنيا أو في الآخرة لأحدٍ من الناس سوى استغفارهم للمؤمنين.

ألم يبين الله تعالى أن شفاعة إبراهيم لقوم لوط لم تُقبَل؟! ألم يبين لنا في سورة هود أن شفاعة نوح لابنه لم تُقبل، كما قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٣٦ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ۝٣٧﴾ [هود: ٣٦- ٣٧] فقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ أي لا تلتمسني وتتضرع إليّ وتشفع للذين ظلموا. ثم يقص الحق تعالى علينا كيف بدأ نوح‰ صناعة السفينة الضخمة، وكيف كان قومه يستهزئون منه ويسخرون من عمله، كيف كانت نتيجة كل ذلك، قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ

كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ
ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ
إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ
وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ
أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا
تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ
بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾
[هود: ٤٢-٤٧]

فهذا يؤكد تلك الحقيقة القرآنية أنه لدى مقام العزة والجلال الإلهي لا يوجد نسبٌ ولا قرابةٌ ولا وساطةٌ بل كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزمر: ٤٤]، فلا يوجد إلا الإيمان والتقوى، ولا مكان للأنساب. وثانيًا: لن يكون لشفاعة أي نبي لمجرم أو كافر أي فائدة كما بين تعالى عدم فائدة شفاعة إبراهيم عليه السلام لقوم لوط فقال: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ﴿٧٦﴾﴾ [هود: ٧٤- ٧٦]. نعم لم تقبل شفاعة إبراهيم عليه السلام بشأن قوم لوط، بل ليس هناك أي شفاعة على النحو الذي يتصورنه مِنْ قِبَلِ أي نبيٍّ من الأنبياء. فإذا اعتبرنا **الاستغفار والدعاء** شفاعةً فلن يكون لها أي أثر إلا بمن كان مستحقًّا لها.

ثالثًا: لا بد أن يكون الاستغفار -الذي هو الشفاعة ذاتها- لأشخاصٍ هناك علم ولو إجمالي بإيمانهم وعملهم الصالح، أما الدعاء والشفاعة لمن ليس هناك علم بصلاحهم و أو بسوئهم، أو للذين نعلم يقينا بأنهم من المسيئين، فهو عمل خاطئ يعرض صاحبه للوم الحق تعالى له. ونحن نعلم أن الشفعاء الذي يظنهم المغرورون (الأنبياء والأئمَّة والمؤمنين) ليس لديهم أي علم بأحوال أفراد أمتهم وحقيقة بواطنهم، حتى يشفعوا لهم يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ

ٱلۡغُيُوبِ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة: ١٠٩] وكما حكي سبحانه وتعالى عن نوح: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ﴿١١٣﴾﴾ [الشعراء: ١١١- ١١٣].

وكما قال تعالى عن نبينا محمد ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ [الأنعام: ٥٠] فهو (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) لا يعلم الغيب ولا يعلم بالتالي بواطن أفراد أمته لأنه من الغيب، وقد صرح تعالى بعدم معرفة نبيه بكثير من المنافقين الذين مردوا على النفاق فقال: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ﴾ [التوبة:١٠١]، لذا فهو لا يعرف جميع الصالحين من الطالحين من أمَّته فكيف يمكن أن يشفع لمن لا يعرفهم!؟ وقد قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾ [الإسراء: ٣٦]..

وخلاصة الكلام أنه بمعزل عن عدم وجود دليل على الشفاعة الأخروية المتجددة بالمعنى المشهور وإن كانت توجد فليس هناك أي آية تدل صراحةً أو كنايةً على أن النبيَّ والأئمَّة سيقومون بها يوم القيامة، أما إذا قلنا بالمعنى الذي طرحناه أي الشفاعة بمعنى الاستغفار والدعاء بالغفران والرحمة فهذه واقعة وصحيحة ولن ينتفع منها سوى المؤمنين الموحِّدين الذين ارتضاهم الله!

خلاصة بحث الشفاعة

١- إن مسألة الشفاعة بالصورة التي راجت بين أمة الإسلام عمومًا وفي مذهب الشيعة خصوصًا لا أساس لها من الشرع ولا العقل ومن اليقين أنها سرت إلى المسلمين من الملل والنحل السابقة، ومن شأن التحقيق في تلك الملل والأديان أن يكشف هذه الحقيقة ويؤكد هذا المطلب.

٢- إن الشفاعة بالصورة التي فُهمت لدى العامة هي من طراز وكيفية شفاعة المقربين للسلاطين الجبارين الذين يقوم حكمهم على إرادتهم المستبدة وتنفيذ غضبهم وشهوتهم الظالمة والجاهلة، ولا تتناسب لا من قريب ولا من بعيد مع إرادة ربّ العالمين الحكيمة ومشيئته العالمة وسنته العادلة، وتصور مثل تلك الشفاعة بحق خالق العالم وصانعه الحكيم نهاية الجهل بالله كما سبق وأوضحناه.

٣- معظم آيات الشفاعة في القرآن الكريم جاءت ردًّا ودفعًا للعقائد الجاهلية التي كانت رائجة قبل الإسلام لاسيما بين العرب المشركين عبّاد الأوثان والمجوس وأتباع فلاسفة اليونان القائلين بتعدد الآلهة والأرباب المسيِّرين لنظام الخليقة والذين لديهم قدرة ومشيئة خاصة بهم مثل إله الريح والمطر وإله الحرب والسلام وإله القحط والخصوبة وإله المرض والصحة وغير ذلك وكلٌ له سلطانه وعزّته واحترامه ومقامه لدى الإله الواحد الكبير تخوّلهم أن يطلبوا منه إيصال النفع لفلان وفلان من العبيد الذي تقرَّب إليهم وطلب الشفاعة منهم، فيقبل الإله الكبير شفاعة تلك الآلهة، وينجز تلك الطلبات التي كانت في الواقع طلبات دنيوية لأن المشركين زَمَنَ نزول القرآن لم يكونوا يؤمنون بالآخرة فعبادتهم للآلهة رجاء شفاعتها كان هدفه تحقيق رغباتهم ومصالحهم الدنيوية، والتأمل بدقّة في آيات القرآن الكريمة يوضّح هذا المعنى

لطالبي الحقيقة كما أوضحناه.

٤- إن آيات الشفاعة التي تشير إلى أنه ثمة شفاعة أذن بها الله تعالى أو يأذن بها يوم القيامة وسينتفع بها المؤمنون الذين ارتضى الله الشفاعة بحقِّهم، إنما تشير إلى شفاعة ملائكة السماء والأنبياء والمؤمنين لسائر المؤمنين بواسطة الاستغفار لهم وطلب الرحمة لهم ومثل هذه الشفاعة كما شرحناه سابقًا لها أصول وشروط،

أولها: أن يكون الشخص المشفوع له مستحقًا وجديرًا بشفاعة الملائكة واستغفارهم له وأهلاً لشفاعة النبيّ والمؤمنين له، أي أن يكون مُوحدًا مرضيًا لِـلَّه.

ثانيًا: أن يأذن الله تعالى بالاستغفار له والشفاعة على هذا النحو: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [التوبة:٨٠] أو ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٧]

ثالثًا: أن تتم هذه الشفاعة والاستغفار أثناء حياة ذلك الشخص في هذا العالم وإلا فيوم القيامة: ﴿يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌۗ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، أي أن أثر تلك الشفاعة واستغفار الملائكة والنبيين للمؤمنين في حال حياتهم في الدنيا ينعكس في الآخرة التي تتجسَّم فيها الأعمال وينتفع بها المؤمنون الموحِّدون كما يفيده قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ١٠٩﴾ [طه: ١٠٩].فالآيات التي تتحدث عن الشفاعة والإذن بها يوم القيامة لا تشير بالضرورة إلى وقوع الشفاعة مجدَّدًا في القيامة بل تشير إلى نفعها أو عدم نفعها في ذلك اليوم.

٥- جميع الأحاديث التي جاءت في كتب الرواية في باب الشفاعة الأخروية الشاملة مخدوشةٌ متنًا وغير صحيحة سندًا بل ضعيفة متهافتة كما مرّ تفصيله.

٦- من المؤكد أن الدافع وراء توسيع موضوع الشفاعة والمبالغة بها على ذلك النحو الرائج هو سعي الغلاة وأعداء الإسلام لحرف المسلمين عن قرآنهم وإنذاراته وتسهيل باب الفسق والفجور والانهماك في الشهوات عليهم لإضعافهم وإيقاف انتشار دين الإسلام لأن الأمة التي ينتشر فيها الكسل والتباهي والغرور تسير نحو الانحطاط فيصل بذلك أولئك الأعداء إلى هدفهم!

٧- إن دعاة السوء الجاهلون ينشطون في منابرهم في نشر وإشاعة ذلك المفهوم الباطل للشفاعة مدفوعين من قبل أعداء الإسلام سواء علموا بذلك أم لم يعلموا، ويستفيدون بذلك إقبال العامة عليهم لما يَلْقَى هذا المفهوم لدى العامة من استقبال كونه محبّبًا إلى نفوسهم منسجمًا مع روح الطمع والطبيعة الحيوانية فيهم، وإلا فإن أدنى تعقّل وتفكّر وتدبّر لآيات القرآن تبيّن فساد ذلك المعنى وحقيقة الشفاعة التوحيدية.

الشفاعة التي في القرآن

الشفاعة التي يبينها القرآن الكريم لا تبعث على الغرور والتجرّؤ على المعاصي كما هو شأن التصوّر المشوّه للشفاعة بل على العكس هي بحد ذاتها أفضل وسيلة لتربية الإنسان وترقيّه الروحي وبث روح خشية الله فيه وتشجيعه على الأعمال الصالحة، ولمّا كانت هذه النقطة مهمة جدًّا فإننا نوضحها فيما يلي بمزيد من الشرح والتفصيل:

في الكتاب المجيد السماوي لدين التوحيد كل الحول والقوة والإرادة والمشيئة وخاصَّةً يوم القيامة مختصة باللـه ربّ العالمينِ مالك يوم الدين وحده، ولا تأثير ولا قُوَّةَ و لا حُكْمَ لأحد من المخلوقات سواء كانوا من الملائكة المقربين أم من الأنبياء المرسلين أم من الأولياء الصالحين في ذلك اليوم، لا بل حتى لا يجرؤ أحدُ على قول كلمة في محضر الله إلا بعد أن يأذن لم يشاء ممن يقول قولاً صوابًا كما قال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ٣٨﴾ [النبأ: ٣٨]، ويقول عن ذلك اليوم: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ٦٥﴾ [يس: ٦٥] ففي منطق القرآن لم يُعطَ وعد الشفاعة يوم القيامة لأي أحد من عباد الله من الإنس سواء كانوا من الأنبياء أو الأئمَّة والصالحين، لا بل أكثر من ذلك لقد جاء في القرآن ردّ شفاعة بعض الأنبياء لأقربائهم كردّ شفاعة نوح عليه السلام لابنه ورفض شفاعة إبراهيم عليه السلام لأبيه وشفاعته لقوم لوط عليه السلام ورفض شفاعة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لبعض أقربائه أو صحبه ممن كان من المنافقين.

أما الشفاعة التي يصرِّح بها القرآن فهي عبارةٌ عن بعض الأمور التي يقوم بها بعض الملائكة بتسيير بعض شؤون نظام الطبيعة بأمر الله وإذنه وتقديره، كما هي عبارة عن استغفار الملائكة من حملة العرش للمؤمنين واستغفار سائر الملائكة لأهل الأرض أجمعين لما جبلوا عليه في طبيعتهم الملكوتيّة من الخير المحض، وهو طلب للغفران أي شفاعةٌ لن تنفع إلا أصحاب الاستحقاق الجديرين بها من عباد الله الذين رضيها الله لهم وأذن بها في حقهم: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦]. والشفاعة التي يُثبتها القرآن للبشر من بني آدم هي ذات الاستغفار أي طلب الرحمة وغفران الذنوب الذي يقوم به الأنبياء للمؤمنين أو يطلبه المؤمنون ويدعون به لبعضهم البعض، وتعود بركته على المستحقين له الجديرين به يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[محمد:١٩]، وقال:﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ﴾ [الممتحنة: ١٢]، وقال: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

وأثر الإيمان بمثل هذه الشفاعة أن يسعى المؤمنون - خلال حياتهم الدنيوية من خلال الإيمان والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة- في أن يكونوا أهلاً لذلك الاستغفار وجديرين بدعاء النبي والمؤمنين بالغفران لهم، أي يسعون أن يكونوا مرضيين لله تعالى، لا أن يغتروا بشفاعةٍ مطلقة يستفيد منها كل واحد مهما فعل فيستسهلوا الانغماس في أودية الفسق والفجور وإشباع الشهوات وارتكاب المحرمات فيستحقون العذاب الإلهي الأبدي وينالون الذلّ في الدنيا والآخرة كما هو مشهود!

وأثر الإيمان بهذه الشفاعة التوحيدية هو أن يعرف المؤمن أن لا معبود في عالم الوجود سوى الله الواحد الأحد، فلا يُوَلُّون وجوههم شطر أندادٍ وأولياء شركاء لله بوصفهم شفعاء عنده، كما كان يفعل المشركون من قبل، بل يتجهون بكل قلوبهم وأرواحهم لذات الواحد الأحد الذي بيده الشفاعة جميعًا و له الحكم له وحده: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٦]، فيكونون موحدين

حقيقيين لا يدعون إلا الله ولا يلتجئون إلا إليه ولا يشركون بعبادة ربهم أحدًا كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وأثر تلك الشفاعة التوحيدية أيضًا أن يسعى كل فردٍ للالتزام بأوامر الشرع ومعاملة الناس معاملة تجعل النبي والمؤمنين يستغفرون له ويطلبون له العفو والرحمة من صميم قلبهم لأنهم كانوا راضين عن عشرته وسلوكه في الدنيا فعندئذٍ تشمله شفاعة النبي والمؤمنين التي تنفعه في الآخرة فتوجب نجاته أو تخفيف العذاب عنه أو رفع درجاته في حين أن مثل هذه الشفاعة التوحيدية لن تنفع المجرمين ولا الكفار ولا المشركين كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨].

أجل، مثل هذه الشفاعة توجب رقيَّ النفس وعلوّ روح المؤمنين وتجعلهم لائقين لمجالسة المؤمنين والصالحين يوم القيامة، وهي منسجمة مع منطق القرآن والعقل والوجدان وما عدا ذلك كله ليس سوى إلقاءات من الشيطان وخداع من الأعداء.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ورحمة الله وبركاته.

حيدر علي قلمداران

[في الختام]

إن القراء الأكارم الذين يتابعوننا فيما نكتب يعلمون أن الموضوعات التي نبحثها في تأليفاتنا تأتي غالبًا على خلاف المشهور المعتاد [المتداول لدى علماء الشيعة]، كالزكاة والخمس والحكومة والزيارة والولاية وأمثالها. لذلك فإن الذين يعارضوننا لـمّا عجزوا عن أن يردوا [على ما نكتب ردًّا علميًّا قائمًا على الأدلة والبراهين] ولا يستطيعون أن يدافعوا عن عاداتهم وتقاليدهم التي تخالف الحق والحقيقة فيلجؤون إلى استخدام طرق ووسائل أخرى [التي لا تنبني على العلم والاستدلال والبرهان بل يستخدمون وسائل وأساليب أخرى] تبلغ حد السب والشتم والاتهام والضرب والقتل.

ولأجل أن يتبين الحق والحقيقة لقرائنا الأكارم الذين لم يطلعوا على هذا الموضوع اطلاعًا تامًّا، نقول: إن هؤلاء الذين يقعون في مثل هذه الشبهات ويقبلون المشهور [الباطل] بدلاً عن الحق والحقيقة، يجب عليهم أن يجدوا جوابهم في قول مولى الموحدين أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي قال في الرد على من استنكر عليه قتاله ضد طلحة والزبير [رضي الله عنهما] اللَّذين كانا قد بلغا في ذلك العصر مبلغًا عظيمًا من الشهرة والفضيلة لعلهما كانا يدعيان فضائل مساوية لفضائل علي أو أكثر منها. فرد عليهم أمير المؤمنين: «الحَقُّ لَا يُعْرَفُ بِالرِّجَالِ، وَإِنَّمَا يُعْرَفُ الرِّجَالُ بِالحَقِّ، فَاعْرِفْ الحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَهُ».

لو عرفتم الحق بالمعيارين اللَّذين معكم، وهما (العقل والقرآن) فستعرفون أهله، فحينئذ لا تتحكم عليكم العادات والشهرة.

على سبيل المثال، في مسألة الشفاعة، كما ترون أن المفهوم الرائج والمشهور للشفاعة [عند الشيعة وغيرهم] يتعارض مع نظام الكون وحكمة الخالق الحكيم الرحيم، ولا

توجد أيضًا في القرآن الكريم أية إشارة إلى وقوع الشفاعة في القيامة بل وردت كلمة الشفاعة في قوله تعالى: ﴿وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ بصيغة النكرة في سياق النفي التي تفيد العموم فتشمل جميع أنواع الشفاعة. علمًا أن المسألة التي يعتني بها القرآن كثيرًا، هي الإصرار على أن الشفاعة لا تنفع المشفوع له الذي لم يأذن الله له من قبل بالانتفاع من الشفاعة ولم يقبل الله في حقه الشفاعة ولا رضي له ذلك. وقد وضحّنا هذه الحقيقة بالتفصيل من الصفحة ٣١٧ وما بعدها.

إن الذي يقرأ في هذه المسألة بصورة علمية دقيقة وهو خالي الذهن عن الأمور الخرافية المشهورة الرائجة ولا يبالي بالسلطة القائمة على المجتمع ويستعمل معه عقله وضميره في ضوء هداية القرآن وحقائقه ابتغاءَ الوصول إلى الحق والحقيقة، فلا ريب أن الحق سيكشف له كالشمس في رابعة النهار. وكذلك فإن كل من اتبع هذا المنهج لأجل معرفة الحقيقة في جميع الموضوعات التي أشرنا إليها سابقًا وبحثناها في هذا الكتاب بفضل الله ومنّه، فسيتبين له الحق جليًّا بتوفيق من الله وهدايته.

﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾.

سلسلة طريق النجاة من شر الغلاة

بحث في زيارة المزارات وفقه الزيارات

مقدمة

أوردنا في كتابنا «**طريق النجاة من شرّ الغلاة**» خمسة مباحث أحدها بحثٌ حول زيارة القبور، ذلك أن غلاة هذا الزمن يستندون في ادِّعاءاتهم حول الولاية التكوينيَّة وتصرّفات المعصومين الأربعة عشر[1] في ملكوت الأرض والسماء إلى بعض الفقرات الواردة في الزيارات، مثل: "**السلام عليك يا عين الله الناظرة! ويده الباسطة** " وأمثالها...، لذا رأينا لزامًا علينا أن نبحث في أصل مسألة «**الزيارة**»[2] ومشروعيَّتها بحثًا علميًّا محقَّقًا:

لا ريب أن «**الزيارة**» بالصورة والكيفية التي تتم اليوم لا أساس لها في دين الإسلام المقدس، وهي ليست من أحكام «**ما أُنْزِلَ به الكتابُ ولا أُرْسِلَ به الرسولُ**» قطعًا، ولم يأتِ أيُّ نبيٍّ في شريعته بأحكامٍ حول زيارة القبور، كما أنه لم تُشرع في أي دين من الأديان الإلهية الحقَّة عبادةٌ باسم زيارة القبور. والشاهد على هذا الأمر، الكتبُ السماويةُ الموجودةُ وعدمُ وجود قبور معروفة لأنبياء الله ورسله، وأبنائهم وذراريهم الذين لا يُعَدُّونَ ولا يُحْصَوْنَ. كما أنه لم تأتِ في كتاب الله المجيد وقرآنه الحميد أيُّ آيةٍ أو إشارةٍ إلى تلك الأعمال، وكل ما يوجد في هذا الصدد إشارة قد يُستفاد منها، صراحةً أو كنايةً، ذمُّ زيارة القبور وهي قوله تعالى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ

---

(١) يقصد بالمعصومين الأربعة عشر؛ النبيَّ محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ وابنتَه فاطمةَ عليها السلام ثم الأئمة الاثني عشر بدءًا من علي بن أبي طالب وانتهاء بالمهدي الغائب المنتظر عليهم السلام.

(٢) المقصود بـ«**الزيارة**» في هذا المبحث كله: رَسْم وطَقْس شدّ الرِّحال لأجل زيارة مشهد أو مزار يضم قبرًا لأحد الصالحين للاستشفاع به والعبادة عنده، وطلب الأجر العظيم من الله على هذه الزيارة بتصور أنها من أفضل العبادات والقربات! (المُنَقِّح)

﴿٤﴾ [التكاثر: ١- ٤][1].

إن كانت زيارة مراقد الأولياء تتم في زمنٍ سابقٍ ابتغاء رضوان الله وبما يرضي الله، فإن أكثر ما تتم لأجله زيارة المراقد والمشاهد اليوم أمورٌ نهى الشارعُ عنها وأعمالٌ ذمَّها الله تعالى توجبُ الحسرةَ والندامةَ يوم الحشر، لأنه كما قلنا كانت زيارة القبور في بداية بعثة حضرة خاتم الأنبياء ﷺ عملاً مذمومًا ومكروهًا شرعًا، كما تدل على ذلك -بكل وضوح- الجملةُ المتواترةُ: **"قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ "**، فإذا استندَ مُدَّعٍ إلى ما جاء في تتمّة الحديث من قوله ﷺ بعد نهيه: **"فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْآخِرَةَ (الموت) "**[2]، قلنا:

من البديهي أن زيارة القبور التي تُذَكِّرُ الإنسانَ بالآخرةِ والموتِ مشروعةٌ وممدوحةٌ ولكنها لا علاقةَ لها من قريبٍ ولا من بعيدٍ بتلك الزيارات وشدّ الرحال إلى المشاهد والأضرحة الفخمة المزخرفة المزينة بجميع أنواع زينات الدنيا والتي تضم قبورًا مرتفعة ملبسة بأقمشة الحرير المذهَّبة، ومسيَّجة بسياج من الفضَّة المعطَّرة، إلى القباب ورؤوس المآذن المطلية بالذهب، إلى الكريستال الفاخر والسجاد الثمين والشمعدانات الجميلة والثريات المتدلية الفخمة، بل مثل هذه الزيارة لا تذكّر الإنسان بالآخرة والموت وليس هذا فحسب،

---

(١) إن تفاخر الإنسان وتكاثره إما أن يكون في المزايا والفضائل التي تكون في نفس الإنسان مثل العلم والشجاعة والفهم... أو يكون في الفضائل التي هي خارج نفسه مثل المال والجاه والأقرباء والمنسوبين... فالافتخار بالعلم والشجاعة والكمالات النفسية إذا لم يكن وليد العُجب بالنفس وتزكية النفس بل بهدف تشجيع الآخرين وترغيبهم بتلك الصفات فهو ليس عملاً مذمومًا.

أما الافتخار بالمزايا التي هي خارج النفس فليس أمرًا مرضيًّا.

وزيارة القبور إن كانت لهذا السبب (الافتخار بشيء خارج النفس) فهي مذمومة مِنْ قِبَل الخالق والخلق، وفي الزيارات الرائجة الآن كثيرًا ما ينتهي الأمر بالزائرين إلى قولهم بلسان الحال: «إذا كان عليّ لديّ فأيّ غمّ لديّ؟!!».

(٢) هذا الحديث مقبول لدى الفريقين، كما جاء في «السنن الكبرى» للبيهقي(ج٤، ص٧٧): «**كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ ثُمَّ بَدَا لِي فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُرِقُّ الْقَلْبَ وَتُدْمِعُ الْعَيْنَ وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ فَزُورُوا وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا**». ومثله ما جاء في كتاب «**الذكرى**» للشهيد الأول باختلاف يسير.

بل على العكس من ذلك تُعتبر مشاهدة هذه الفخفخات والزينات عاملاً مُحرِّكًا قويًّا في نفس الإنسان يحثُّه على جمع زينة الدنيا والاهتمام بها. أضف إلى ذلك فإن أمر الشارع في هذه المسألة -أي قوله فزوروها فإنها تذكِّركم الآخرة- ليس منحصرًا بزيارة قبور المؤمنين بل يتساوى فيه زيارة قبور المؤمنين والكفار، لأن كلا الزيارتين تذكِّران الإنسان بالموت والآخرة وتدعوانه إلى العبرة من أحوال الغابرين، بشرط أن يكون القبر قبرًا عاديًا وليس بناءً شامخًا عظيمًا ومزخرفًا، كما جاء في الحديث.

وإذا تشبَّث المخالفون بالمفهوم المخالف للآية الكريمة ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٨٤]، مستدلين بأن الله تعالى نهى فيها نبيَّه ﷺ أن يقوم على قبر المنافق مما يدُلُّ بمفهوم المخالفة على جواز قيامه على قبر المؤمن!

قلنا: إن كان هذا المعترض من أهل الإنصاف وكان طالبًا للحقِّ فعلاً وليس كالغريق الذي يتشبث بالحشيش، فإنه يستطيع بتأمل بسيط للآية أن يُدرك أن المراد من القيام على القبر فيها، هو العمل الذي يتم بعد أداء صلاة الجنازة على الميت أي: دفنه ومواراته التراب، ولا علاقة لهذا بالزيارة، كما جاء في اللغة «قام على الأمر»: أقدم عليه.

وبغض النظر عن عدم وجود مثل هذا العمل في أيّ دين وشريعة من الشرائع الإلهية الحقة[1]، وعدم وجود مثل هذا الحكم في الكتاب والسنة، فإن تاريخ مسلمي صدر الإسلام والسيرة النبوية العطرة ليس فيهما أي خبر عن مثل هذا العمل، إلى حد أنه بعد أكثر من ثلاثين أو أربعين سنة من رحيل الرسول الكريم ﷺ، لمّا ذَهَبَتْ عائشةُ زوجُ النبيِّ إلى زيارة قبر أخيها «عبد الرحمن ابن أبي بكر»، في عهد خلافة معاوية، لامها بعض التابعين، **وذكَّرَها بِنَهْيِ**

---

(١) وفي الإنجيل كذلك لم تأت أية وصية ببناء المزارات وبزيارة القبور، بل اعتبر السيد المسيح أن بناء الأبنية على القبور نوع من أنواع الرياء، من ذلك ما جاء في إنجيل متى (الإصحاح ٢٣، الآيات ٢٩-٣٢): **"الوَيلُ لكُم يا مُعَلّمي الشّريعةِ والفَرّيسيّونَ المُراؤونَ! تَبنونُ قُبورَ الأنبياءِ وتُزَيّنونَ مدافِنَ الأتقياءِ، ٣٠** وتَقولونَ: لو عِشنا في زَمَنِ آبائِنا، لما شارَكْناهُم في سَفْكِ دَمِ الأنبياءِ. ٣١ فتَشهَدونَ على أنفُسِكُم بأنّكُم أبناءُ الّذينَ قَتلوا الأنبياءَ. ٣٢ فتَمّموا أنتُم ما بَدأَ بِه آباؤُكُم!".

النَّبِيِّ ﷺ عن زيارة القبور، فأخبرته أنه سمح بها بعد ذلك[١]!

فمثل هذا العمل لم يكن شائعًا في الصدر الأول، ولذلك كان «**الشعبي**» (أبو عمرو عامر بن شراحيل الكوفي المتوفى ١٠٤ هـ ق) -الذي يُعتَبر من علماء الإسلام الكبار، وقد لَقِيَ أكثر من مئة وخمسين صحابيًا، وأخذ عنهم الحديث-، يقول -كما ينقل عنه ابن بطّال -: "**لولا أن رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور لزرت قبر النبيّ** [وفي رواية: **لَزُرْتُ قبرَ ابْنَتِي**]"[٢].

وهناك روايات أخرى تتضمن هذه الحقيقة وهي أن زيارة القبور لم تكن عبادة وليس هذا فحسب بل كانت عملاً تنهى عنه الشريعة، كما ذكر عبد الرزاق الصنعاني الشيعي في كتابه القيّم «**المصنَّف**» فقال: "**عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أن رسول الله ﷺ قال: من زار القبور فليس منّا** "[٣].

أي أنه حتى بعد مرور مئة عام على الهجرة لم يكن هناك زيارات فرديَّة للمراقد بالصورة التي نشأت وراجت فيما بعد. ولا ندري متى شاعت هذه البدعة بين المسلمين ومتى راجت كل هذا الرواج بين الشيعة؟ وأما ما قيل من أن أول من زار الإمامَ **أبا عبد الله الحسين** عليه السلام في كربلاء، كان الصحابي الجليل «**جابر بن عبد الله الأنصاري**»، فلا يمكننا أن نصدق مثل هذه الروايات ونستند إليها، وذلك لكثرة الرواة الكذبة والغلاة الذين لا حصر لهم بين رواة تلك الزيارات، وعلى فرض صحة تلك الرواية فليس فيها مطلقًا ما يدل على أنَّ جابرَ إنما زار ذلك

---

(١) البيهقي، **السنن الكبرى**، ج٤، ص٧٨. أخرج البيهقي في سننه الكبرى (ج٤/ ص٧٨) بسنده عن عبد الله بن أبي مليكة «**أن عائشة أقبلت ذات يوم من المقابر فقلتُ لها: يا أم المؤمنين! من أين أقبلتِ؟ قالت: من قبر أخي عبد الرحمن بن أبي بكر. فقلتُ لها: أليس كان رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور؟ قالت: نعم! كان نهى ثم أمر بزيارتها**». (المترجم)

(٢) ورد هذا الحديث في عدد من كتب الحديث، مثل «**المصنف**» لـ عبد الرزاق الصنعاني، ج٣، ص٥٦٩. وفي بعض طرقه كلمة «ابنتي» بدلاً من كلمة «النبي»، فالحديث يتضمن النهي في كلتا الحالتين!

(٣) **المُصنَّف**، ج٣، ص٥٦٩، حديث ٦٧٠٥.

القبر بوصفه يؤدي عملاً عباديًا، وذلك لأن مرقد ذلك الإمام الهمام كان في ذلك الزمن فاقدًا للبناء والضريح و......، ولم يقم ذلك الصحابي الجليل بالأعمال التي يقوم بها الزائرون اليوم في حرم ذلك الإمام ومرقده مثل الطواف وطلب الحوائج والاستشفاع...، بل أكثر ما يمكن قوله هو أن جابرًا زار قبر سيد الشهداء عليه السلام ليدعو الله تعالى الحيّ القيوم له بالرحمة والغفران. وأيًّا كان الأمر فلا يمكن اعتبار هذه الواقعة دليلاً محكمًا وشاهدًا معتبرًا على شدّ الرحال لزيارة القبور.

وسنذكر فيما يأتي بعض الأخبار والآثار الواردة في الكتب الموثَّقة والمعتبرة التي تؤيد هذا المعنى وتثبت مُدَّعانا في أن السفر لأجل «**زيارة الأضرحة**» لم يكن في أي وقتٍ -في نظر شارع الإسلام- عملاً ممدوحًا ولم يجعله أمرًا مُهِمًّا ولم يعتبِرْهُ من العبادات والحقائق الشرعية بل كان -بدلالة الروايات الآتية- عملاً نهى عنه الرسولُ المختار صلى الله عليه وسلم وكان أصحابه الأجلاء في صدر الإسلام ينكرونه، وعلى أقل تقدير لم يكن عبادةً مأمورًا بها:

١- كما ذكرنا آنفًا روى الحافظ «**عبد الرزاق الصنعاني**» (٢١١هـ)[1] في كتابه القيّم «**المصنَّف**» الذي يُعَدُّ أحد أقدم كتب الحديث في الإسلام، كما أن مؤلِّفَه كان معاصرًا للأئمة عليهم السلام من زمن الإمام الصادق وحتى الإمام الجواد، وكان -طبقًا لتصريح علماء الرجال- شيعيّ المذهب، الرواية التالية: **"عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من زار القبور فليس منّا"!**[2].

---

(١) هو الحافظ عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، مولاهم، أبو بكر الصنعاني (١٢٦-٢١١هـ) من حفاظ الحديث الثقات، من أهل صنعاء. كان يحفظ نحوًا من سبعة عشر ألف حديث. له (المصنف في الحديث) ويقال له «**الجامع الكبير**» قال فيه الذهبي: وهو خزانة علم، ويُعَدُّ من أقدم كتب الحديث. (المُنَقِّح)

(٢) تقدم تخريجه قبل صفحتين. (المُنَقِّح)

٢- وروى الحاكم النيسابوري[١] بإسناده عن عبد الله بن عمرو بن العاص[٢] قال: **"قَبَرْنَا[٣] مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا، فَلَمَّا رَجَعْنَا وَحَاذَيْنَا بَابَهُ إِذْ هُوَ بِامْرَأَةٍ لَا نَظُنُّهُ عَرَفَهَا، فَقَالَ:** «**يَا فَاطِمَةُ! مِنْ أَيْنَ جِئْتِ؟**» **قَالَتْ: جِئْتُ مِنْ أَهْلِ الْمَيِّتِ رَحِمْتُ إِلَيْهِمْ مَيِّتَهُمْ وَعَزَّيْتُهُمْ. قَالَ:** «**فَلَعَلَّكِ بَلَغْتَ مَعَهُمُ الْكُدَى[٤]؟**» **قَالَتْ: مَعَاذَ اللَّهِ! أَنْ أَبْلَغَ مَعَهُمُ الْكُدَى، وَقَدْ سَمِعْتُكَ تَذْكُرُ فِيهِ مَا تَذْكُرُ، قَالَ:** «**لَوْ بَلَغْتِ مَعَهُمُ الْكُدَى مَا رَأَيْتِ الْجَنَّةَ حَتَّى يَرَى جَدُّ أَبِيكِ**». «والكدي: المقابر»[٥]. ومعنى الجملة الأخيرة إنه من المستحيل عليكِ إن فعلتِ ذلك أن تدخلي الجنَّةَ! فهذا الحديث الشريف يُبَيِّن إلى أي حدّ كانت زيارة القبور في ابتداء أمر الإسلام مكروهةً في نظر الشارع.

٣- وهناك عدة روايات وأحاديث مأثورة أخرى عن رسول الله في نهيه ﷺ عن زيارة القبور في بداية بعثته... مثل الحديث القائل: **"إني نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها..."**، فأمر بزيارتها لأجل الاعتبار وتذكّر الموت، وقد روت كتب العامة والخاصة، وروى الزيدية أيضًا في مسند الإمام زيد بن علي عليه السلام، كلهم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: **" نهانا رسول الله ﷺ عن زيارة القبور"**[٦].

(١) الحاكم النيسابوري هو محمد بن عبد الله بن حمدويه الضبي الطهماني الشهير بالحاكم، أبو عبد الله (٣٢١ - ٤٠٥ هـ ق) من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه. مولده ووفاته في نيسابور. رحل إلى العراق وحج وجال في بلاد خراسان وما وراء النهر، وأخذ عن نحو ألفي شيخ. صنف كتبًا كثيرةً أهمها في الحديث: «**المستدرك على الصحيحين**» طبع في أربع مجلدات، و«معرفة الحديث» طبع أيضًا. (المترجم)

(٢) كان عبد الله بن عمرو بن العاص ممن أجاز له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ كتابة حديثه.

(٣) أي دَفَنَّا. (المترجم)

(٤) الكدىَ: جمع كُدية وهي القطعة الصلبة من الأرض تحفر فيها القبور والمراد القبور. (المترجم)

(٥) **المستدرك على الصحيحين**، ج١، ص٣٧١.

(٦) مسند الإمام زيد، بيروت: دار مكتبة الحياة، باب الأكل من لحوم الأضاحي ص٢٤٦.

٤-كما جاء من طرق العامة والخاصة أنه ﷺ قال: **"لَعَنَ اللهُ زَوَّرَاتِ الْقُبُورِ"**[١].

٥-كما روى جميع المسلمين أن رسول الله ﷺ قال مرارًا: **"لا تتخذوا قبري عيدًا "**[٢] وسنشرح هذا الحديث بتفصيل أكثر لاحقًا إن شاء الله.

٦- ومن الأحاديث الشديدة التي يرتجف لها الإنسان والتي جاء فيها النهيُ الشديدُ والكراهةُ العظيمةُ لهذا العمل، ما رواه عطاء بن يسار عن النبي الأكرم ﷺ أنه تضرّع إلى رب العزّة والجلال قائلاً: **"اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ "**. ثم قال: **"لَعَنَ اللهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ "**[٣].

٧- ويدل عليه مضمون حديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يَقُمْ مِنْهُ: **"لَعَنَ اللهُ اليهودَ والنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أنبيائِهِم مَسَاجِدَ. (قالت عائشة): ولولا ذلك لأبرز قبره إلا أنه خشي أن يُتَّخَذَ مَسْجِدًا "**[٤].

٨- مما يدل على ذلك أيضًا عدم اهتمام رسولِ الله ﷺ وأصحابِه الأخيار بقبور الأنبياء

---

(١) ورد هذا الحديث في كتاب «**التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول**»، (ج ١، ص٣٨٢)، بلفظ: قال رسول الله ﷺ: **"لَعَنَ اللهُ زَائِرَاتِ القبور، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا المَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ"**.

(٢) رَوَى الشَّيْخُ الطُّوسِيُّ فِي أَمَالِيهِ (أو مجالسه): بسنده عَنْ أَمِيرِ الْـمُؤْمِنِينَ (علي) عليه السلام قَالَ: **"سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا وَلَا تَتَّخِذُوا قُبُورَكُمْ مَسَاجِدَكُمْ وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا"** (انظر مستدرك الوسائل، ٥٥-بَابُ كَرَاهَةِ بِنَاءِ الْـمَسَاجِدِ عِنْدَ الْقُبُورِ، ج٢، ص٣٧٩.). (تر).

(٣) روى الشيخ الصدوق في «**علل الشرائع**»، ج ٢، ص ٣٥٨، «عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ: الصَّلَاةُ بَيْنَ الْقُبُورِ قَالَ: صَلِّ فِي خِلَالِهَا وَلَا تَتَّخِذْ شَيْئًا مِنْهَا قِبْلَةً، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ: وَلَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي قِبْلَةً وَلَا مَسْجِدًا، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَعَنَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ!»، وروى الصدوق ما يشبهه أيضًا في كتابه «**من لا يحضره الفقيه**» (ج١، ص ١٧٨).

(٤) روى هذه الرواية ابن أبي شيبة في المصنف (ج٢، ص٢٦٩). هذا وقد ورد في مسند الإمام زيد (ص١٧٧، باب غسل النبي وتكفينه) عن حضرة أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"اللَّحدُ لنا والضريح لغيرنا"**. (ومعنى ذلك أن الضريح كان لغير المسلمين كأهل الكتاب أو المشركين من أهل الجاهلية.).

والأولياء التي كانت موجودة في ذلك الزمن - سواءً كانت قبورًا واقعية أم موهومة- مثل قبر سيدنا إسماعيل وهاجر في مكة، وقبر سيدنا إبراهيم الخليل وسيدنا يوسف عليهما السلام في أرض فلسطين من بلاد الشام، وقبر سيدنا هود عليه السلام في اليمن، فلم يُرْوَ عنه أنه صلى الله عليه وآله وسلم زار أيًّا من تلك القبور.

كما إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد أعزةً عليه في الدنيا، وكان من الممكن أن يجعل قبورهم مزارات فلم يفعل، كقبر أم المؤمنين خديجة عليها السلام وقبور شهداء بدر وأحد، وقبور الصحابة الكبار أمثال عثمان بن مظعون وغيرهم، والتي لم يُرْوَ أن أيًّا منها كان قبرًا مبجلاً ومزارًا يأتي الناس إليه! وحتى قبور أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسه لم تتحول أبدًا إلى مزارات يُطاف حولها، كما كان حال قبر إبراهيم ابن رسول الله في المدينة الذي لم يتحول إلى مزار، طبقًا لما رواه الشيخ الصدوق (ره) في كتابه «**من لا يحضره الفقيه**»، والكليني في «**الكافي**» حيث قالا: "**وَفِي رِوَايَةِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ الله قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ: كَانَ عَلَى قَبْرِ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم عَذْقٌ يُظِلُّهُ مِنَ الشَّمْسِ حَيْثُمَا دَارَتْ فَلَمَّا يَبِسَ الْعَذْقُ ذَهَبَ أَثَرُ الْقَبْرِ فَلَمْ يُعْلَمْ مَكَانُهُ!**"[(١)].

فلو كان هناك استحباب لزيارة القبر والطواف حوله لكان أولى الناس بذلك قبر ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لا أن نرى ذلك مندرسًا لا يُعْرَف له أيُّ أثرٍ في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذاته! وكذلك لم يكن قبر عمّ النبي حمزة سيد الشهداء عليه السلام مزارًا يُزارُ[(٢)].

وقد روت جميع التواريخ وكتب السير والطبقات بما في ذلك **سيرة ابن هشام** و«**مغازي الواقدي**» و«**تفسير عليٍّ بن إبراهيم القميّ**»، والمجلد السادس من «**بحار الأنوار**» للمجلسيّ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمّا رأى جسد حمزة عليه السلام في سفح جبل أُحد عريانًا ومُمَثَّلاً به قال: "**لَوْلَا أَنْ يُحْزِنَ ذَلِكَ نِسَاءَنَا، لَتَرَكْنَاهُ لِلْعَافِيَةِ - يَعْنِي السِّبَاعَ وَالطَّيْرَ - حَتَّى يُحْشَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ**

(١) **من لا يحضره الفقيه**، للشيخ الصدوق، ج ٣، ص ٤٧٣، **والفروع من الكافي**، ج٣، ص٢٥٤.

(٢) كما أن الإمام علي عليه السلام لم يأمر في عهد خلافته ببناء مزار وضريح للمرقد المطّهر لنبي الإسلام ولا لشهداء صدر الإسلام العظام. (بُرقعي).

بُطُونِ السّبَاعِ وَحَوَاصِلِ الطّيْرِ"[١].

بديهيٌّ أنه لو كان عمل الزيارة مطلوبًا ومستحبًّا إلى تلك الدرجة التي يدّعيها القائلون بذلك، لما كان رسول الله ﷺ يرضى أبدًا بترك جثمان عمه سيد الشهداء دون أن يجعل له قبرًا يُزار!

٩- وردت أخبارٌ عديدة تنهى عن البناء على القبور أو تعميرها وتجصيصها، ومن الواضح تمامًا أنه لم يَرِد في تلك الأخبار أي تمييزٍ بين قبور الأنبياء والأولياء وقبور عامة الناس، كما جاء في **مستدرك الوسائل**[٢] عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**أول عدل الآخرة، القبور لا يُعرف شريفٌ من وضيع**". وقد جاءت مئات الأحاديث في هذا الباب في كتب المسلمين ولا يخفى أن النهي عن تعمير القبور إنما هو لأجل ألا تتحول إلى مزارات.

١٠- ويؤكد حقيقة هذا المعنى -أي أن تعظيم القبور أمر مكروه نهى عنه الإسلام بشدة - تلك الأوامر التي أمر بها رسول الله ﷺ عليًّا عليه السلام وأمر بها عليٌّ أبا الهياج الأسدي فقال — كما روى ذلك الكُلَيْنِيُّ في «**الكافي**» والبَرقيُّ في «**المحاسن**» "عن النوفلي عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **بعثني رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- إلى المدينة فقال: لا تَدَعْ صُوْرَةً إلّا مَحَوْتَهَا ولا قَبْرًا إلا سَوَّيْتَه**..." وفي روايةٍ أخرى لهما أيضًا عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام أن عليًّا عليه السلام قال: "**أرسلني رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- في هَدْمِ القبور وَكَسْرِ الصُّوَر**"[٣].

---

(١) ورد بهذا اللفظ في **مغازي الواقدي**: ج١، ص ٢٨٩، وجاء في سيرة ابن هشام، ج٢، ص ٩٥، بلفظ "**لَوْلَا أَنْ تَحْزَنَ صَفِيّةُ، وَيَكُونَ سُنّةً مِنْ بَعْدِي لَتَرَكْته، حَتّى يَكُونَ فِي بُطُونِ السّبَاعِ وَحَوَاصِلِ الطّيْرِ!**".

(٢) النوري الطبرسيّ، **مستدرك الوسائل**، كتاب الطهارة، أبواب الدفن، باب ٧٩، ج١، ص١٤٨.

(٣) الكُلَيْنِي، «**كتاب الكافي**»، ج٦، ص٥٢٨، ح ١٤ ثم ح ١١ على الترتيب. والمجلسي، بحار الأنوار ج٧٦، ص٢٨٦. وفي صحيح مسلم، ج٢، ص٦٦٦ بلفظ: «عَنْ أَبِي الْـهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ «**أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ**».

وكذلك كل ما ورد في باب النهي عن تعمير وتجديد القبور، يدلُّ بوضوح تام على تلك الحقيقة، وذلك مثل ما جاء في كتاب «**من لا يحضره الفقيه**» للصدوق، وكتاب «**المحاسن**» للبرقيّ والمجلد ١٨ من بحار الأنوار للمجلسيّ أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **"مَنْ جَدَّدَ قبرًا أو مَثَّلَ مثالاً، فَقَدْ خَرَجَ عَنِ الإسْلامِ** "[١].

ومن الواضح أنه لو كانت زيارات القبور والطواف بها وطلب الحوائج من أصحابها والتشفع بالأموات أمرًا مطلوبًا للشارع ومحبوبًا في نظره لما أرسل نبيُّ الله وعليٌّ المرتضى - سلام الله عليهما- أشخاصًا بمهمة محدَّدة هي تخريب وهدم كل قبر مشرفٍ دون استثناء ولما اعتبر القبور العامرة أمرًا مرادفًا لعبادة الأوثان إلى حد قوله كما مرَّ **"مَنْ جَدَّدَ قبرًا أو مَثَّلَ مثالاً، فَقَدْ خَرَجَ عَنِ الإسْلامِ** "، كما ندرك هذه الحقيقة جيدًا في زماننا هذا ونلمسه لمس الواقع.

إن هناك أحاديث وقرائن كثيرة أخرى تؤكد ما قلناه ونكتفي بالنماذج العشرة التي أوردناها. **تلك عشرة كاملة.**

---

(١) الشيخ الصدوق، «**من لا يحضره الفقيه**» ج١، ص١٨٩، حديث رقم ٥٧٩. وقد أورده المجلسي في **بحار الأنوار**، ج٧٦، ص ٢٨٥-٢٨٦ (من الطبعة الجديدة).

الدلائل العقلية والتاريخية على نفي زيارة المراقد في الإسلام

لقد بدأنا بالدلائل النقلية على عدم استحباب زيارات الأضرحة لأن المعتقدين بالزيارة يستندون إلى الأدلة النقلية، وإلا فإن الأدلة العقلية أيضًا تدل على ما نقول إذ لا يوجد عاقل يعتبر صرف الوقت في شدّ الرحال والسفر إلى القبور أمرًا ممدوحًا، وفيما يلي نذكر عددًا من الأدلة العقلية على أن زيارة القبور ليس عبادةً مأمورًا بها من قبل الشارع:

١- لم يأتِ في جميع آيات القرآن أدنى ذكر لأهمية زيارة القبور، والآية الوحيدة التي جاء فيها ذكرٌ لزيارة المقابر هي قوله تعالى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢﴾ [التكاثر:١-٢]، وهي آيةٌ قد يُسْتَنْبَطُ منها كراهةُ أو منعُ زيارة المقابر لا استحبابها، لأن سياقها يدل على مذمّة هذا الأمر.

٢- لا يوجد في الأديان الإلهية السابقة على الإسلام أي تعاليم تحثُّ على التردُّد إلى القبور وزيارتها، هذا ونحن نعلم أن دين الإسلام جاء يؤكّد ما شرعه الله للأنبياء السابقين مثل نوح وإبراهيم الخليل ؛: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣]، وكذلك: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ [الشورى: ١٣]، و﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ﴾ [فصلت: ٤٣].

فمفاد هذه الآيات أنَّ ما شَرَعَهُ اللهُ في دين الإسلام لِنَبِيِّ آخر الزمان هو نفس ما شَرَعَهُ اللهُ للأنبياء السابقين. وبالتالي فمن البديهي أن الله لم يشرع لنبيه الخاتم ما لم يكن مشروعًا في الرسالات والأديان الإلهية السابقة. ولو شرع ذلك للأنبياء السابقين لشرعه في الإسلام.

٣- رغم مجيء مئة وعشرون ألفَ نبيٍّ إلى العالم -حسب الرواية المشهورة[1]- بل في القرآن الكريم ما يفيد أن عدد الأنبياء كثير لا يحصيه إلا الله، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ....﴾ [إبراهيم: ٩]، ومثله قوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء:١٦٤].

رغم ذلك لا نشاهد أي ضريح أو مزار لهؤلاء الأنبياء، على كثرتهم. أما بعض القبور الموجودة والمنسوبة لبعض الأنبياء، فلا أحد يعرف على وجه اليقين حقيقة أمرها، كما جاء في طبقات ابن سعد (طبع بيروت، ص٥٣) عن اسحق بن عبد الله أبي فروة قوله: **"ما يعلم قبر نبي من الأنبياء إلا ثلاثة:**

(١) قبر إسماعيل، فإنه تحت الميزاب بين الركن والبيت،

(٢) وقبر هود، فإنه في حَقْفٍ من الرمل تحت جبلٍ من جبال اليمن عليه شجرة تندى، وموضعه أشد الأرض حرًا،

(٣) وقبر رسول الله، ﷺ، فإن هذه قبورهم بحق "[2].

هذا مع أنه لو كان أمر الزيارة مستحبًا إلى هذا الحد في نظر الشارع ومطلوبًا في شريعته، لكانت زيارة نبي الله داوود عليه السلام مثلاً، أهم بكثير من زيارة «إمامزاده داوود»[3]، ولَكَانَ قبرُ

---

(١) روى أحمد في مسنده والطبراني في معجمه الكبير ضمن حديثٍ عن أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه) فيه: «**قلت: يا نبيَّ الله كم عدد الأنبياء؟ قال: "مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، الرسلُ من ذلك ثلاث مائة وخمسة عشر، جمًا غفيرًا**». قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الكبير. ومداره على علي بن يزيد وهو ضعيف. اهـ. (المترجم)

(٢) والصحيح أنه لا يُعلم موضع قبر نبي من الأنبياء بالتحديد واليقين إلا قبر نبيّنا محمد ﷺ. (الـمُصحح)

(٣) كلمة إمامزاده تعني حرفيًّا: ابن الإمام أو ذرية الإمام، والمقصود من «الإمامزاده داوود» رجلٌ صالحٌ من أولاد أحد الأئمة يُدعى داوود، له مزار معروف في منطقة جبلية قرب طهران لا يمكن الوصول إليها إلا على ظهور الدواب، يعتقد العوام بكراماته ويذهبون إلى مزاره رغم وعورة الطريق، لرفع الكُرَب وطلب الحوائج والشفاء من الأمراض المستعصية منه! (المترجم).

حضرة النبي إلياس عليه السلام أكثرَ أهميةً من قبر الإمامزاده علي عباس!!

٤- إن كتب التواريخ والسير تشهد جميعُها أنه لم يحصل لأيِّ واحدٍ من كل ذلك العدد من المؤمنين الصالحين والمجاهدين الأبرار الذين ارتحلوا أو استشهدوا في عهد النبوَّة أو في صدر الإسلام أن بُني لهم مزار مجلَّل أو ضريحٌ مُعَظَّم، رغم أن بعضهم كان من الأعلام والصالحين ومن أقرب الناس إلى نبيِّ الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل عمه حمزة سيد الشهداء رضي الله عنه أو ابنه إبراهيم عليه رحمة الله.

٥- تدلُّ أعمال الدفن في صدر الإسلام بحدِّ ذاتها على أنه لم يكن هناك فرقٌ في هذا الأمر بين الأموات مهما كان شأنهم رفيعًا أو كانوا من عظماء الإسلام وأئمّته فالكل كان يُدْفَن بالطريقة نفسها ولم يكن هناك أضرحةٌ ومزاراتٌ لأحد.

٦- لقد قام عليٌّ عليه السلام بدفن زوجته فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين بكيفية جعلت قبرها غير معلوم لأحد حتى هذا اليوم، بل أوصى مولى المؤمنين عليه السلام أصحابه بعد وفاته بدفن جثمانه بنحوٍ يتم فيه إخفاء قبره عن أنظار الناس، وفي هذا أكبرُ عبرة لأولي الأبصار وتذكرة لأولي الألباب، بل هو تدبيرٌ تحار في عظمته عقول المؤمنين وتدهش لبصيرة عليٍّ النافذة ورؤيته الربانية البعيدة التي جعلته يأمر بذلك وكأنه كان يرى من وراء أستار القرون ما سيفعله عُبّاد القبور بعد ألف عام؟؟ ولا عجبَ فهو عليٌّ إمام التوحيد، وهو عليٌّ الذي أمره الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم بهدم كلِّ قبر مُشْرِف من قبور الناس التي كانت مزارًا في ذلك الزمن بل كانت معبد أصنامِ عُبّاد الأموات، كما أمره بهدم كل وثن أو تمثال كان الناس لا يزالون يعبدونه وربما كان في مقابرهم[١].

---

(١) إشارة من المؤلف إلى الحديث المعروف: "عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: **بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة فقال: لا تدع صورة إلا محوتها و لا قبرًا إلا سويته ولا كلبا إلا قتلته**". ومثله الحديث "عن أبي عبد الله (جعفر الصادق) عن آبائه عليهم السلام أن عليًّا عليه السلام قال: **أرسلني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هدم القبور وكسر الصور**". والحديثان أخرجهما الكليني في الكافي والبرقي في المحاسن، انظر: بحار الأنوار للمجلسي، ج ٧٦، ص٢٨٦. (تر).

أجل، لم يكن في نظر عليٍّ -إبراهيم زمانه المحطم للأصنام- أيُّ فرق بين أن يعتلي كتف النبي ﷺ في فتح مكة لكي يُخْرِجَ الأصنام من بيت الله ويطرحها أرضًا فيجعلها حطامًا، وبين أن يذهب إلى القبور ويحطِّم القبور المشرفة فيسوي بها الأرض، فكلا الأمرين أمرُ رسول الله ﷺ ورضا رب العالمين. فكيف لا يرى ذلك الشخص العظيم، ببصيرته النافذة وتفكيره البعيد، أنه من الممكن لهذه الأمة التي تخلّصت حديثًا من ظلمات الجاهلية، أن تحوِّلَ -عن قريبٍ- قبرَ ابنةِ النبيِّ الوحيدة، التي حازت مزايا ومناقب خاصة من جانب رسول الله ﷺ كقوله: «**فاطمة بضعة مني**» و «**فاطمة سيدة نساء العالمين**»، إلى مزارٍ، أو بتعبير أصح إلى معبد أوثان جديد مثل تلك التي أُمِرَ بهدمها، فقام بدفنها في وسط الليل حتى لا يطّلع أحد مكانها أحد فيتخذه مزارًا؟!

وكيف لا يوصي نبراس التوحيد ذاك عليه السلام بدفن جثمانه على نحو لا يعلم بمكان قبره أحد، وهو يرى بعين اليقين والبصيرة ما سيحدث لقبره فيما بعد، كيف لا وقد رأى في حياته أشخاصًا رفعوه إلى حدِّ الإلهية فاعتبره بعضهم اللهَ ربَّهم وخالقَهم؟! إلى الحدِّ الذي اضطر لأجل ثنيهم عن تلك العقيدة الفاسدة أن يهدّدهم بالقتل والحرق، بل أن ينفذ ذلك، حسب ما ذكرته بعض التواريخ، ورغم ذلك لم يرجع أولئك الأفراد عن عقيدتهم واحترقوا وماتوا عليها. أفلا يجب على مثل ذلك الإمام أن يخفي قبره وقبر ابنة رسول الله عليهما السلام عن أنظار الناس حديثي العهد بالجاهلية؟

أما ما يدّعيه بعض العلماء من أن قبر فاطمة عليها السلام إنما تمّ إخفاؤه حتى لا يُصلِّي عليه الشيخان فهو -والله أعلم- ليس سوى ظنّ خاطئ لا يقوم عليه دليل، وإلقاء للاختلاف والعداوة بين المسلمين، والدليل على ما نقول أنّ عليًّا عاش سنين طويلة بعد رحلة الشيخين، كما أن الأئمَّة من ذرية فاطمة عليها السلام عاشوا في زمن لم يبق فيه أيُّ خوف من ذلك الأمر أصلاً، فلماذا بقيَ قبرُ فاطمة مجهولاً ولم يقم عليٌّ ولا الأئمَّة الكرام من أولاده بإظهاره؟!

وكذلك ما قالوه من أن علّة أمر عليٍّ بإخفاء قبره هو خشيته من أن يقوم الخوارج بنبش قبره وحرق جثمانه، لا يعدو أيضًا ظنًّا كاذبًا تكذّبه الحقيقة والتاريخ لأن الخوارج -رغم

إجرامهم- لم يؤثَر عنهم أنهم قاموا بحرق أي جثمان من أجساد مخالفيهم ولم يأت مثل هذا الخبر في أي تاريخ. إن الذين يشيعون بين المسلمين مثل هذه الأباطيل والأقوال الكاسدة إما جاهلون بحقيقة الدين أو عاجزون عن معرفة أولياء الله ومدى بُعْد نظرهم أو متعصبون أو مدفوعون لإثارة الاختلاف والنزاع بين المسلمين أو كل ما سبق!؟

٧- إن قضية نهيِ رسولِ الله ﷺ عن زيارة القبور كانت معروفةً ومشهورةً في صدر الإسلام إلى حدٍّ أنه لما قامت أم المؤمنين عائشة زوج رسول الله ﷺ بالذهاب إلى قبر أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر بعد موته عام ٥٥ أو ٥٦ هجرية، لامها بعض المسلمين استنادًا لنهيِ رسولِ الله النساءَ عن زيارة القبور؟! فاعتذرت قائلةً إن رسول الله ﷺ قد سمح بذلك أخيرًا بعد أن كان قد نهى عنه.

٨- كما أن موضوع نهي رسول الله ﷺ عن زيارة القبور كان لا يزال مشهورًا كل الشهرة وحاضرًا في النفوس بكل قوة بحيث أنه – كما ذكرنا- كان الشعبيُّ (أبو عامر شراحيل) المتوفى سنة ١٠٤ والذي لقي أكثر من ١٥٠ صحابيًّا من أصحاب رسول الله ﷺ وروى عنهم الحديث، يقول مرارًا: **"لولا أنَّ رسولَ الله نهى عن زيارة القبور لَزُرْتُ قبرَ النبيِّ (أو قبر ابنتي)"**[(١)].

٩- إن أفضل دليل عقلي ونقلي على ما نقول هو أنه حتى أكثر من قرنٍ كاملٍ بعد وفاة النبيِّ ﷺ لم يقم أيٌّ من الصحابة الكرام أو التابعين الكبار بزيارة قبره المطهَّر! إذ من المسلَّم به أنَّ الجثمان الطاهر للنبي ﷺ دُفن في البيت الذي كان يسكنه والذي كان منزل عائشة نفسه، وطبقًا للتواريخ الموثَّقة بقيت عائشةُ قاطنةً في ذلك المنزل ولم تتركه، كما يروي ذلك ابن سعد في **الطبقات الكبرى** (ج٢، ص ٣٠٧)، كما يشير عموم المؤرخين إلى أن عائشة كانت تعيش عند قبر النبي ﷺ وتنام هنالك وحتى إلى ما قبل زمان دفن عمر لم تكن تحتجب في منزلها ولكنها بعد دفن عمر وضعت الخمار على رأسها -بل ربما الجلباب على بدنها- ولم تنزعه

(١) مرَّ تخريجه قبل صفحات.

حتى ضربوا جدارًا على القبور[١].

وكذلك جاء في طبقات ابن سعد (ص٣٠٧): "**أخبرنا مسلم بن خالد، حدثني إبراهيم بن نوفل بن سعيد بن المغيرة الهاشمي عن أبيه قال: انهدم الجدار الذي على قبر النبي صلى الله عليه وسلم، في زمان عمر بن عبد العزيز، فأمر عمر بعمارته، قال: فإنه لجالسٌ وهو يُبْنَى إذ قال لعلي بن حسين: قُمْ يا علي فَقُمَّ البيت[٢]، يعني بيتَ النبي ﷺ، فقام إليه القاسم بن محمد فقال: وأنا أصلحك الله! قال: نعم وأنت فَقُمَّ، ثم قال له سالم بن عبد الله: وأنا أصلحك الله! قال: اجلسوا جميعًا وقُمَّ يا مزاحم فَقُمَّهُ، فقام مزاحم فَقَمَّهُ، قال مسلم: وقد أثبت لي بالمدينة أن البيت الذي فيه قبر النبي، صلى الله عليه وسلم، بيت عائشة وأن بابه وباب حجرته تجاه الشام وأن البيت كما هو سقفه على حاله وأن في البيت جرَّةً وخَلَقَ رِحَالِهِ[٣]**".

ومن البديهي أنه لو كان القبر الشريف مزارًا يختلف إليه الناس لما تجمع عليه كل ذلك الغبار والتراب أو الكُناسَة التي دَعَتْ عمر بن عبد العزيز إلى أمر الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام أولاً بكنسها، فيرجوه القاسم بن محمد بن أبي بكر أن يسمح له بالمشاركة في ذلك الفضل، وكذلك يفعل سالم بن عبد الله، فيُحَوِّل عمر بن عبد العزيز تلك المهمة منهم

---

(١) انظر مثلاً ما رواه ابن سعد في طبقاته بسنده قال: "**عن مالك بن أنس يقول: قسم بيت عائشة باثنين: قسم كان فيه القبر، وقسم كان تكون فيه عائشة، وبينهما حائط، فكانت عائشة ربما دخلت حيث القبر فضلا (أي بدون حجاب)، فلما دفن عمر لم تدخله إلا وهي جامعة عليها ثيابها**". وبسنده عن عثمان بن إبراهيم قال: "**سمعت أبي يذكر قال: كانت عائشة تكشف قناعها حيث دفن أبوها مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فلما دفن عمر تقنعت فلم تطرح القناع**". (طبقات ابن سعد، ج٢، ص ٢٩٤، باب ذكر موضع قبر رسول الله ﷺ) (تر).

(٢) معنى «**قُمَّ البيت**» أي اكنسه، من قَمَمْتُ البيت: كَنَسْتُهُ. والقُمامَةُ: الكناسة. (الصحاح في اللغة للجوهري، مادة: قَمَمَ).

(٣) الرحال جمع رَحْل وهو ما يُسْرَج به البعير ليُرْكَب عليه و تُحَمَّل الأمتعة عليه. والخَلَقُ، مُحَرَّكَةً: البالي، للمُذَكَّرِ والمُؤَنَّثِ، وخَلَقَ الثَّوبُ وخَلُقَ وَخَلِقَ، كنَصَرَ وكرُمَ وسَمِعَ، محرَّكَةً: بَلِيَ. فمعنى «خَلَقُ رِحَالِه»: قطعة القماش المهترئة البالية التي كانت توضع على البعير. (تر).

إلى «مزاحم».. إلى آخر ما جاء في الرواية.

وأيضًا من الواضح أن البيت والقبر الذي بقيت فيه جرّةٌ وقماشةٌ مهترئةٌ منذ زمن بعيد، وحتى قرن كامل، لم يكن أبدًا مزارًا عامرًا، بالإضافة إلى كون الرواية دليلاً بارزًا على أن عائشة واصلت سكناها في ذلك البيت حتى آخر عمرها!

١٠- عندما انهدم جدار البيت الذي كان فيه قبر رسول الله ﷺ بسبب المطر، وقعت حادثةٌ أخرى هي خروج رائحةٍ كريهةٍ من الناحية الشرقية للمنزل، فجاء عمر بن عبد العزيز مع أحد أحفاد النبي ﷺ وأمر وردان أن يكشف عن المسألة وأن يباعد الأتربة المتراكمة حول قبر عمر، فقال عبد الله حفيد عمر بن الخطاب لعمر بن عبد العزيز الذي كان خائفًا من ذلك الأمر: أيها الأمير! هذه رائحة قدمي جدك عمر بن الخطاب!! وجاء في خبر آخر أن الرائحة المذكورة كانت رائحة قطة ميتة، ولا شك أن الخبر الثاني هو الأصح لأنه كيف يمكن أن تظهر رائحةٌ من قدمي عُمَرَ بعد مرور سنوات على دفنه وبعد أن بليت عظامه وصارت ترابًا؟![1]

١١- وروى ابن سعد في طبقاته فقال: **"أخبرنا سريج بن النعمان عن هشيم، أخبرني رجل من قريش من أهل المدينة يقال له محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال: سقط حائط قبر رسول الله، ﷺ، في زمن عمر بن عبد العزيز وهو يومئذ على المدينة في ولاية الوليد، وكنت أول من نهض فنظرت إلى قبر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فإذا ليس بينه وبين حائط عائشة إلا نحو من شبر، فعرفت أنهم لم يدخلوه من قبل القبلة "**.

١٢- بعد دفن رسول الله ﷺ والشيخين في ذلك المنزل كان بعض الناس الذين تصل

---

(١) والصحيح في هذه الواقعة، ما رواه البخاري في صحيحه: **حَدَّثَنَا فَرْوَةُ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، لَمَّا سَقَطَ عَلَيْهِمُ الحَائِطُ فِي زَمَانِ الوَلِيدِ بْنِ عَبْدِالمَلِكِ، أَخَذُوا فِي بِنَائِهِ فَبَدَتْ لَهُمْ قَدَمٌ، فَفَزِعُوا وَظَنُّوا أَنَّهَا قَدَمُ النَّبِيِّ ﷺ، فَمَا وَجَدُوا أَحَدًا يَعْلَمُ ذَلِكَ حَتَّى قَالَ لَهُمْ عُرْوَةُ: «لاَ وَاللَّهِ مَا هِيَ قَدَمُ النَّبِيِّ ﷺ، مَا هِيَ إِلَّا قَدَمُ عُمَرَ ﵁»**.

كما نلاحظ أنه لا يوجد في هذه الرواية الصحيحة أي ذكر عن رائحة قدم أو وجود قطعة! (المُصحح)

أيديهم إلى القبر يأخذون من تربته بقصد التبرّك، فأمرت عائشة بضرب جدار حول القبر وترك نافذة فيه ففعلوا ذلك ولكن الناس ظلُّوا يأخذون من تربة القبر من تلك النافذة فأمرت عائشة بسدِّها.

ولدينا عشرات القرائن من هذا القبيل تدل جميعًا على أن القبر الشريف لم يكن حتى ذلك الزمن مزارًا يزوره المسلمون، ومن أراد الإطلاع أكثر على مثل هذه الشواهد فليرجع إلى كتب التاريخ لاسِيَّما كتاب «**وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**» تأليف «**نور الدين علي بن أحمد السمهودي**»[١] (ص٥٤٣ فما بعد).

١٣- لدينا أخبار وآثار عديدة تبين أن زيارة قبر رسول الله ﷺ كانت منهيًا عنها من قبل الصحابة والأنصار وحتى أحفاد النبي الكريم، ومن جملة ذلك:

أ- جاء في كتاب «**المصَنَّف**» القيّم تأليف «**عبد الرزاق الصنعاني**» (ج٣، ص٥٧٧)، وفي كتاب «**وفاء الوفاء**» **للسمهودي** (ص ١٣٦٠):

"عبد الرزاق عن الثوري عن ابن عجلان عن رجل يقال له سهيل **عن الحسن بن الحسن بن عليّ قال: رأى قومًا عند القبر، فنهاهم وقال: إن النبي ﷺ قال: لا تتخذوا قبري عيدًا ولا تتخذوا بيوتكم قبورًا وصلُّوا عليَّ حيث ما كنتم فإن صلاتكم تبلغني** ".

ب- وجاء في الكتاب ذاته: "**روي عن علي بن الحسين** رضي الله عنهما **أنه رأى رجلاً يجيء فرجة عند قبر النبي فيدخل فيها فيدعوه، فنهاه، فقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته عن أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: لا تتخذوا قبري عيدًا ولا بيوتكم قبورًا فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم**".

---

(١) السمهودي (٨٤٤-٩١١هـ = ١٤٤٠-١٥٠٦م) علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن: مؤرخ المدينة المنورة ومفتيها. ولد في سمهود (بصعيد مصر) ونشأ في القاهرة. واستوطن المدينة سنة ٨٧٣هـ، وتوفي بها. من كتبه «**وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**» في مجلدين، طبع وحقِّق عدة مرات، وله «**خلاصه الوفا**» اختصر به الأول، وطبع أيضًا. (من الأعلام للزركلي). (تر).

ج- وفي كتاب السمهودي ذاته أيضًا ضمن بحث «الصلاة على النبي» روايةٌ "**عن القاضي إسماعيل عن سهل بن أبي سهيل قال: جئت لأسلم على النبي ﷺ وحسن بن حسن رضي الله تعالى عنهما يتعشى وبيته عند بيت النبي، وفي رواية: رآني الحسن بن الحسن رضي الله تعالى عنهما عند القبر وهو في بيت فاطمة رضي الله تعالى عنها يتعشى قال: هلمَّ إلى العشاء فقلت: لا أريد، فقال: ما لي رأيتك عند القبر؟، وفي رواية: ما لي رأيتك وقفت؟ قلت: وقفتُ أسلِّم على النبي! فقال: إذا دخلت فسلم عليه! وفي رواية: إذا دخلت المسجد فسلم عليه! قال: إن رسول الله ﷺ قال: لا تتخذوا بيتي عيدًا! ولا بيوتكم مقابر ثم قال: ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء!** ".

أي يستوي في السلام على النبيّ أن يكون المسَلِّمُ بعيدًا في الأندلس أو قريبًا في الروضة الشريفة (فلا حاجة للمجيء إلى قبر النبي ﷺ في المدينة بشكل خاص بهدف إلقاء السلام عليه!).

د- وفي كتاب السمهودي، يروي القاضي إسماعيل أيضًا حديثًا آخر يصل سنده إلى الإمام علي بن حسين أنه قال: "**إن رجلاً كان يأتي كلَّ غداةٍ فيزور قبر النبي ﷺ ويُصَلِّي عليه ويصنع من ذلك ما انتهره عليه عليُّ بن الحسين، فقال له علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما: ما يحملك على هذا؟ قال: أحب التسليم على النبي ﷺ، فقال له علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما: هل لك أن أحدثك حديثًا عن أبي؟ قال: نعم!، قال له علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما: أخبرني أبي عن جدي أنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تجعلوا قبري عيدًا** ".

قلتُ: إن من غرائب الأمور أن هذا الحديث «**لا تتَّخذوا قَبرِي عِيْدًا**»، الذي روي عن رسول الله ﷺ بشكل متواتر، وكل من روى ذلك الحديث، حتى أحفاد النبي الكرام مثل الحسن بن الحسن المثنى وعلي بن الحسين السجاد عليهما السلام، فهمه على معناه الواقعي الذي يعني تكرار الذهاب والإياب إلى قبره ﷺ، فنهى الناس عن التردُّدِ لزيارة قبر النبي عملاً بمفاد ذلك الحديث، ومع كل ذلك لمّا رأى ذوو التفكير الأعوج ومحبو البدع أن هذه الجملة لا تنسجم مع بدعتهم، قالوا: إن معنى عبارة «**لا تجعلوا قَبْرِي عِيْدًا**» أي لا تجعلوا قبري كالعيد

لا تزورونه في السنة إلا مرتين بل زوروه دائمًا وكل يوم!! ولعمري ما تفسيرهم لهذا الحديث إلا كتفسير الوضّاعين لحديث النبيِّ الذي يقول فيه: **"من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار"** فقالوا: إن النبي قال من كذب عليّ ولم يقل من كذب لي، ونحن لا نكذب عليه بل نضع الحديث لأجله أي أن حديثنا الكاذب ليس ضد النبي بل لصالحه ولصالح دينه!!!!

هـ- وقال السمهودي، رغم أنه هو نفسه من مؤيدي الزيارة، في كتابه وفاء الوفاء (ص١٣٦٨): **"رُوي عن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري أنه قال: ما رأيت أبي قط يأتي قبر النبي ﷺ وكان يكره إتيانه!"**.

و- في صدر الإسلام، حتى بعد قرابة قرن من رحلة النبي ﷺ، كان الصحابة والتابعون ينهون الناس عن التردد والذهاب والإياب لزيارة قبر النبي ﷺ كما تشهد بذلك الأخبار المأثورة والروايات المذكورة، والتي من جملتها ما جاء في كتاب المصنف لعبد الرزاق الصنعاني (ج٣، ص٥٧٦) وسنن البيهقي: **"عبد الرزاق عن الثوري عن أبي المقدام أنه سمع ابن المسيِّب، ورأى قومًا يسلمون على النبي ﷺ قال: ما مكث نبي في الأرض أكثر من أربعين يومًا"**[(١)].

ومعنى كلامه أنه بعد أربعين يوم من الوفاة والدفن في التراب، فإن زيارة النبي ﷺ بتصور أن روح حضرته الشريفة لا تزال في القبر أو حوله، خطأ لا فائدة منه.

إن المتتبع لكتب التواريخ والمدقِّق فيها يرى أنه من المسلمات المعلومة أنه لم يكن في صدر الإسلام وفي زمن حياة صحابة رسول الله والطبقة الأولى من التابعين خبرٌ أو أثرٌ عن مسألة الزيارة بين المسلمين، ولم يتحوَّل قبرُ النبيِّ المطهر ﷺ أبدًا إلى مزارٍ يتردّد إليه أصحابه الأبرار! وحتى سنة ٩١ هجرية عندما أمر الخليفة الأمويّ الوليد بن عبد الملك، عمرَ بن عبد

(١) روى البيهقي عن طريق ابن أبي ليلي وهو سيِّء الحفظ عن ثابت عن أنس مرفوعًا: **"أن الأنبياء لا يُتْرَكُونَ في قبورهم بعد أربعين ليلة ولكن يصلون بين يدي الله حتى ينفخ في الصور"**. قال البيهقي: «إن صح بهذا اللفظ فالمراد والله أعلم لا يتركون لا يصلون (كذا) إلا هذا المقدار ثم يكونون مصلين بين يدي الله تعالى، كذا في وفاء الوفاء ٢ : ٤٠٥». انتهى. (تر).

العزيز بإصلاح ما تهدّم من جدار غرفة قبر رسول الله ﷺ، ما كان أحدٌ يقوم حتى ذلك الوقت بزيارة قبر النبي، كما مر معنا فيما سبق عن اثنين من أحفاد النبي الأعلام: أي الحسن المثنى وحضرة عليّ بن الحسين-عليهما السلام- أنهما كانا ينهيان الأشخاص الذين يأتون خصيصًا ويدخلون البيت لأجل زيارة النبي والسلام عليه! وكلا الإمامين الجليلين كان مجاورًا لذلك القبر الشريف وكان من أعلم الناس بتعاليم الشرّع وأفهمهم لأحكام الإسلام، لذا كان الإمامان الشريفان حريصين أكثر من أي شخص آخر على مراعاة أحكام الإسلام والعمل بما يرضي الله.

ومن جملة الأدلّة التي تؤكّد أن القبر المبارك لرسول الله ﷺ لم يكن أبدًا حتى لمدة قرن بعد هجرة النبيّ، موردًا لتردُّد الزائرين وذهابهم وإيابهم إليه عملاً بنهيه ﷺ في قوله: "**لا تجعلوا قبري عيدًا** "، ما أورده نور الدين علي بن أحمد السمهودي في كتابه «**وفاء الوفاء**» (ص٥٤٧ و٥٤٨) نقلاً عن صحيح البخاري من أنه لما عهد الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز بإصلاح ما انهدم من مقبرة النبيّ وبشراء البيوت المحيطة بالمسجد لتوسعة الروضة الشريفة، شاهد المسلمون قبل البدء بإقامة الجدار أثر قدم على التراب المحيط بالقبر الشريف فأصابهم هلع من هذا المنظر وتصوروا أن ذلك أثر قدم النبي ﷺ نفسه! فتبين لهم فيما بعد أنها بقية قدم عمر[1]، مما يعني أنه منذ زمن عمر وحتى ذلك اليوم لم يذهب أحدٌ إلى ذلك القبر المنوَّر!

ز- جاء في كتاب الكافي، في كتاب الجنائز (ص٢٠١، نشر المكتبة الإسلامية) عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: "**كان قَبْرُ رَسُولِ الله ﷺ مُحَصَّبٌ حَصْبَاءَ حَمْرَاءَ** ". وروى ابن سعد في طبقاته (ج ٢، ص٣٠٧) عن عمرو بن عثمان عن قاسم بن محمد (جدّ حضرة الإمام الصادق

(١) رواية البخاري كالتالي: "حَدَّثَنَا فَرْوَةُ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ **لَمَّا سَقَطَ عَلَيْهِمْ الْحَائِطُ فِي زَمَانِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخَذُوا فِي بِنَائِهِ فَبَدَتْ لَهُمْ قَدَمٌ فَفَزِعُوا وَظَنُّوا أَنَّهَا قَدَمُ النَّبِيِّ ﷺ فَمَا وَجَدُوا أَحَدًا يَعْلَمُ ذَلِكَ حَتَّى قَالَ لَهُمْ عُرْوَةُ لَا واللهِ مَا هِيَ قَدَمُ النَّبِيِّ ﷺ مَا هِيَ إِلَّا قَدَمُ عُمَرَ** رضي الله عنه".
صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ و أبي بكر رضي الله عنه. (تر).

لأمِّه) أنَّه قال: **"اطلعتُ على صِغَرٍ على القبور فرأيت عليها حصباء حمراء"**.

إن مضمون حديثي الكافي والطبقات هو أنه حتى زمن الإمام الصادق عليه السلام، أي بعد مضي أكثر من ١٢٠ عامًا على هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قبره والطبقة المغطية له والمؤلَّفة من حصى أحمر مجهولاً للناس، الأمر الذي حدا بالإمام الصادق وبجده لأمه: القاسم بن محمد بن أبي بكر، أن يخبرا عنه، وكما يقول حديث القاسم بن محمد إنه لما كان طفلاً كان يرى ذلك القبر الشريف من خلال مدّ رأسه من النافذة أو من وراء الستائر.

ح- أثناء إصلاح جدار البيت الذي كان فيه القبر المبارك كانت هناك طاسة خشبية أو من الفخار إلى جانب القبر أو في رف الجدار تحطمت عندما انهار الجدار (**طبقات ابن سعد**، ج٢، ص٣٠٧، وكتاب **وفاء الوفاء** ص٥٤٩).

ط- لما سقط جدار البيت، شُوهدت ثلاثة قبور لم يعرفها الخليفة الوليد بن عبد الملك إلى أن عرّفها له عمر بن عبد العزيز بأنها لرسول الله والشيخين. فلو كانت الزيارة رائجة في تلك الأيام لما كانت تلك القبور مجهولة تحتاج إلى من يسأل عنها.

ي- جاء في **مصنف** عبد الرزاق (ج٣، ص٥٠٣): **"أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عبد الرحمن ابن القاسم بن محمد قال: سقط الحائط الذي على قبر النبي فستر ثم بنى، فقلت للذي ستره: ارفع ناحية الستر حتى أنظر إليه، فإذا عليه جبوب[1] وإذا عليه رمل كأنه من رمل العرصة"**[2].

فهذا يدل على أن عبد الرحمن رغم كونه من ورثة عائشة إلا أنه لم يكن قد شاهد القبر حتى ذلك الزمان!

---

(١) الجبوب، بفتح الجيم: الأرض الغليظة. وقيل هو المدر واحدتها جبوبة، كذا في النهاية، ج١، ص١٢٦.

(٢) وقال الأعظمي في تعليقاته على المصنف: "أخرج أبو داود والحاكم من طريق القاسم بن محمد قال: عَنْ الْقَاسِمِ بن محمد قَالَ: **دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ يَا أُمَّهْ! اكْشِفِي لِي عَنْ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبَيْهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا! فَكَشَفَتْ لِي عَنْ ثَلَاثَةِ قُبُورٍ لَا مُشْرِفَةٍ وَلَا لَاطِئَةٍ مَبْطُوحَةٍ بِبَطْحَاءِ الْعَرْصَةِ الْحَمْرَاءِ.**" انظر سنن أبي داود: كتاب الجنائز، باب في تسوية القبر. (تر).

هذه عشرة أدلة على أن حديث «**لا تجعلوا قبري عيدًا**» كان حتى قرن كامل معمولاً به بكل قوة! **تلك عشرة كاملة**.

١٤- أهمُّ دليلٍ على أن تلك الزيارات الرائجة في زماننا لقبور الأئمَّة -حتى أننا أصبحنا نجد كل ذلك الكم الكبير من الروايات والأحاديث المنسوبة إليهم في فضائل زياراتهم وعظيم ثوابها - لم تكن أبدًا رائجة بين مسلمي الصدر الأول وأئمة الهدى-عليهم السلام- ولا مُعتنى بها، هو أننا لا نجد في أي تاريخ موثَّق قيامَ أيٍّ من أولئك الأولياء والأئمَّة العظام بزيارة قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أو قبور الأنبياء الآخرين ولا قيام الصحابة والتابعين بالسفر وشدّ الرحال لأجل زيارة قبر واحد من الأئمَّة، ولا يمكن أن نصدّق أن الإمام الذي يأمر الناس بعبادةٍ يمتنع هو عن أدائها!! لأنه عندئذٍ سيشمله قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢- ٣].

فمثلاً رووا في أحاديث الزيارة الرواية التالية: "عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ قَالَ قَرَأْتُ فِي كِتَابِ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام قال: **أَبْلِغْ شِيعَتِي أَنَّ زِيَارَتِي تَعْدِلُ عِنْدَ الله عَزَّ وَ جَلَّ أَلْفَ حَجَّةٍ!** قَالَ: فَقُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَلْفَ حَجَّةٍ؟؟ قَالَ: **إِي وَالله وَأَلْفَ أَلْفِ حَجَّةٍ لِمَنْ زَارَهُ عَارِفًا بِحَقِّهِ!** "(١).

هنا يُطرح في الذهن سؤال: لو كان هذا الحديث صحيحًا وكان ثواب زيارة الإمام الرضا عليه السلام يعدل ثواب ألف حجّة، فضلاً عن أن يعدل ثواب ألف ألف حجّة، هذا مع العلم أن ثواب الحج المستحب -طبقًا لأحاديث الإمام ذاته- أفضل من الصلاة والصوم بل أفضل من عتق عبدٍ، بل طبقًا لروايةٍ أخرى عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم لَقِيَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ لَهُ يَا رَسُولَ الله! إِنِّي خَرَجْتُ أُرِيدُ الْحَجَّ فَفَاتَنِي، وَأَنَا رَجُلٌ مُمِيلٌ (أي غَنِيٌّ) فَمُرْنِي أَنْ أَصْنَعَ فِي مَالِي مَا أَبْلُغُ بِهِ مِثْلَ أَجْرِ الْحَاجِّ؟ قَالَ: فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَ لَهُ: انْظُرْ إِلَى أَبِي قُبَيْسٍ فَلَوْ أَنَّ أَبَا قُبَيْسٍ لَكَ ذَهَبَةً حَمْرَاءَ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ الله مَا بَلَغْتَ بِهِ مَا يَبْلُغُ الْحَاجُّ! ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْحَاجَّ إِذَا أَخَذَ فِي جَهَازِهِ لَمْ يَرْفَعْ شَيْئًا وَلَمْ يَضَعْهُ إِلَّا

(١) الشيخ النوري الطبرسي، **مستدرك الوسائل**، ج ١٠، ص ٣٥٩.

كَتَبَ اللهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ وَ رَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ فَإِذَا رَكِبَ بَعِيرَهُ لَمْ يَرْفَعْ خُفًّا وَ لَمْ يَضَعْهُ إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ فَإِذَا طَافَ بِالْبَيْتِ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ فَإِذَا سَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ... الخ الحديث "[1].

فإذا كان ثواب حج بيت الله كذلك، وكان الإمام أبو جعفر محمد التقيّ[2] عليه السلام الذي عاش في بلاط المأمون ١٨ عامًا، كصهر محترم له، كما قام المأمون بدفن أبيه حضرة الإمام الرضا عليه السلام في خراسان في القبة الهارونية، ولم يكن هناك أي مانع أن يزور الإمام محمد التقي قبر أبيه الإمام الرضا المجاور لقبر والد المأمون أي هارون الرشيد، وليس ذلك فحسب بل كان من شأن هذه الزيارة أن تدخل السرور على الخليفة! فلماذا إذن امتنع الإمام محمد التقي عن تحصيل مثل ذلك الثواب العظيم؟! وكيف نبرِّرُ تضييعَه على نفسه ثواب مليون حِجَّة حسب قوله، أو على الأقل ثواب ألف حجة كما جاء في كتاب والده الإمام الرضا عليه السلام نفسه؟! مع أن للحجة الواحدة -حسب الحديث الذي أوردناه- كل ذلك الأجر، إضافةً إلى أن مثل تلك الزيارة لو تمَّت فسيكون لها عدّة فوائد أخرى هامَّة جدًّا هي الآتية:

أ- لما كان الإمام الرضا والد الإمام محمد التقي عليهما السلام فإن زيارة الأخير له سيكون لها أجر برّ الوالدين إضافة إلى نيل كل ذلك الأجر المخصَّص لكل من يزور الإمام الرضا عليه السلام؟

ب- سيصبح مثل ذلك العمل -لو تمّ- حجَّةً وسندًا لمن يرى أن السفر لزيارات القبور والمراقد أمرٌ مشروعٌ ومستحبٌّ.

ج- ستكون زيارته سببًا يدعو الآخرين وعامة المؤمنين للقيام بهذا العمل بكل اطمئنان ويقين، فينالوا كلَّ ذلك الأجر العظيم.

ومع كل ذلك، لم يقم الإمام محمد التقي بمثل تلك الزيارة، فإن قيل: لم يفعل ذلك لما فيها من مشقّة السفر إذْ إنه توجد بين بغداد التي كان الإمام محمد التقي مقيمًا فيها وخراسان موضع

---

(١) الشيخ الطوسي، «**تهذيب الأحكام**»، ج ٥، ص ١٩-٢٠.

(٢) أي الإمام محمد الجواد عليه السلام، الإمام التاسع لدى الإمامية والمدفون إلى جوار الإمام السابع موسى الكاظم عليه السلام في حيّ الكاظمية ببغداد.

قبر والده الرضا، مسافةٌ كبيرةٌ وسفرٌ شاقٌّ، قلنا: إن هذا السفر لم يكن صعبًا عل الإمام محمد التقي عليه السلام وذلك بفضل وسائل الرفاهية والراحة التي كان المأمون قد وضعها تحت تصرفه.

والواقع أن الإمام محمد التقي (الجواد) لم يزُرْ والده الرضا وليس هذا فحسب بل لم يقم حتى بزيارة جده الكريم موسى بن جعفر الذي كان قريبًا منه في مقابر قريش قرب بغداد (والتي تحولت إلى منطقة الكاظمية اليوم)، هذا رغم ما رووا عن أبيه الإمام الرضا في كتب الحديث من أحاديث عديدة تبيّن عظيم الأجر والثواب لمثل هذه الزيارة بالإضافة إلى أن فيها برًا للوالدين وفيها ردًّا وإنكارًا على الواقفيّة الذين كانوا يتصورون أن الإمام الكاظم لا يزال حيًا وأنه قائم آل محمد وأنه آخر أئمة آل البيت، فزيارة قبر جده الكاظم كان من شأنها أن تقلِّلَ من عدد أولئك الواقفيّة، فضلاً عن أن مثل تلك الزيارة تؤدي إلى تصديق الروايات التي وردت أو نُقِلَتْ عن أبيه الإمام الرضا في ثواب زيارة جدِّه!

إذا لاحظنا تلك الروايات ولاحظنا وسائل التيسير والرفاهية التي كانت ميسَّرة للإمام محمد الجواد فيُمكننا أن نعتبره -والعياذ بالله- مقصرًا في دينه من عدة جهات! لأنه علاوةً على عدم زيارته قبر أبيه وجده عليهما السلام امتنع أيضًا عن زيارة ذلك الشخص الذي له حق كبير ليس على الإمام الجواد فقط بل على كل مسلمي العالم ألا وهو مولى الموحدين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي كان قبره -حسب المشهور- في النجف أي قرب بغداد التي كانت مقرًا وسكنًا لصهر الخليفة الإمام محمد التقي (الجواد) آنذاك!!

هذا مع أن زيارة حضرة أمير المؤمنين كانت واجبة على الإمام محمد التقي (الجواد) من عدة جهات:

أ- وردت أحاديث كثيرة عن الأئمَّة عليهم السلام تبيّن الثواب الذي لا حصر له لزائري أمير المؤمنين بل فيها تهديدات مخيفة! لمن لا يقوم بتلك الزيارة، كتلك الرواية المروية عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: **"مَنْ تَرَكَ زِيَارَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ! أَلَا تَزُورُونَ مَنْ تَزُورُهُ الْـمَلَائِكَةُ؟!"**[1]، وهذا تهديدٌ ليس من السهل -لو صحّت

(١) الشيخ النوري الطبرسي، **مستدرك الوسائل**، ج ١٠، ص ٢١٢.

الرواية- عدم الاعتناء به.

ب- في زيارة أمير المؤمنين ثواب بر الوالدين إضافة إلى ثواب الزيارة لأنه أبو الأئمَّة.

ج- لو عمل الإمام بذلك الأمر لخفَّف من الكراهة المشهورة لزيارة القبور، وعلى العكس من ذلك، لشكلِّ امتناعُه عن الزيارة وامتناعُ الأئمَّة من قبله ومن بعده دليلاً كبيرًا على صحّة مذهب القائلين بعدم أهميّة الزيارة ولا استحبابها!

د- إن زيارةَ الإمام الجواد قبرَ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في النجف ستكون تصديقًا لصحة مكان المزار الذي اختاره هارون الرشيد اعتمادًا على الحَدْسِ والظنِّ واستنادًا إلى قول أحد الفلاحين حول موضع قبر مولى المتقين عليه السلام، فبنى عليه قبر عليّ الذي لم يوافق أكثر المؤرخين على صحة مكانه!!

وعليه فلو أن الإمام الجواد قام بزيارة ذلك المزار العلوي لكان المأمون أول من يُسَرُّ بذلك ويمتنُّ له، لأن أبا المأمون -أي هارون- هو الذي وضع أساس ضريح النجف، هذا إضافة إلى أن ذلك سيكون دليلاً على صحة روايات فضائل الزيارة.

إذن، عندما نرى أن حضرة الإمام الجواد عليه السلام الذي كان يمتلك -أكثر بكثير من الأئمَّة قبله- إمكانية القيام بعمل كثير الثواب مثل زيارة قبور آبائه الكرام، والتي لها من الأجر - طبقًا للروايات المنسوبة إليه- ما يفوق ما رُوِيَ من ثواب الزيارة عن جميع الأئمَّة، مثل ما نُسِبَ إليه من أن زيارة واحدة لحضرة الرضا عليه السلام -التي تعادل ألف حجّة فيما نُقِل عن الإمام الرضا نفسه- تعادل فيما روي عن الإمام الجواد ألف ألف حجّة![1]، ورغم ذلك لم يُبادر هو إلى ذلك الأمر، فهذا يضع علامات استفهام كبيرة على كل تلك الروايات، بل إننا على يقين

(١) لا يوجد أدنى شك في أن مثل هذه الروايات روايات باطلة وموضوعة لأن كل عاقل منصف يعلم أنه لو كانت زيارة مراقد الأنبياء والأئمة عليهم السلام لها ثواب ألف حجة أو نحوه لبيّن القرآن الكريم وجوب ذلك وأهميته، كيف لا وهو تبيانٌ لكلِّ شَيء؟! وهو الكتاب الذي يهدي للتي هي أقوم!، فلا يُعْقَل أن يدل الناس على الحج وبعض الأمور الجزئية ذات الثواب الضئيل، ويترك إرشاد الناس للقيام بما يعادل ثوابه ثواب آلاف بل ملايين الحجات!!

أن تلك الروايات إنما نُسِبَتْ إليه كَذِبًا ولم ينطق بمثلها قط! ومثلها كل روايات الثواب الجزيل والأجر العظيم للزيارة، التي نُسِبَتْ إلى الإمام الجواد أو إلى سائر الأئمَّة – سلام الله عليهم –، فهي موضوعة على ألسنتهم ولا صحة لها، كيف لا ولو صحَّت تلك الروايات فإن الأئمَّة سيشملهم عندئذ –والعياذ بالله– قوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢﴾ [الصف: ٢]، ونحن لا يمكننا أبدًا أن نعتقد بمثل هذا في حق أولئك الأئمَّة الكرام والهداة العظام سلامُ الله عليهم أجمعين.

والحاصل أن ثمَّةَ حقيقةً هامَّةً ذات دلالاتٍ كبيرةٍ تستدعي انتباه كلِّ مُنْصفٍ هي أنه لو تتبعنا كل التواريخ الموثَّقة لا يمكننا أن نجد أيَّ خبرٍ يَذْكُرُ سفر أيِّ إمام لزيارة مرقد أي إمام آخر من الأئمَّة عليهم السلام! أما ما رُويَ من زيارة الإمام الصادق عليه السلام لقبر أمير المؤمنين عليه السلام فسنبيّن في الصفحات الآتية من هذا الكتاب ضعف تلك الرواية ووَهَنِهَا.

حلُّ إشْكَالٍ ورَفْعُ مُعْضِلَةٍ

تبيَّن من الأدلة العقلية والنقلية التي أوردناها، أن مسالة زيارة المراقد التي اتَّسعت وكَثُرَ الاهتمامُ بها في هذه الأمة إلى هذا الحد الذي ظن فيه أكثر الناس أنها من فرائض الدين المهمة، وأنها ركنٌ هامٌّ من أركان الإسلام! لا تستند في الواقع إلى أي أصل من أصول الدين، بل إن كثيرًا مما يحف بها ومن تبعاتها، هو من البدع المحرَّمة!!

ولعل القارئ الكريم يتساءل: إذن فما قصَّة كل تلك الروايات والأحاديث الموجودة في كتب الفريقين الشيعة والسنة حول الزيارة؟؟ وكيف قامت كل تلك المزارات والأضرحة المنتشرة اليوم في البلدان الإسلامية والمبنيّة على قبور الأموات وأصبحت تأتيها قوافل الزوار من الشرق والغرب ومن كل حدب وصوب، منهم من يقيم حولها ويعتكف بها، ومنهم من يتردَّد إليها في كل فصل ومناسبة؟! وما الذي أدّى إلى انتشار كل هذه الكتب والرسائل المتعلقة بالزيارات وآدابها التي حرّرها علماءٌ أعلامٌ؟! إلى الحد الذي قد يُمكننا أن نستخرج

فيه من كتب الشيعة الإمامية فقط، أمثال كتاب «**كامل الزيارات**» لابن قولويه القمِّي[(١)] وكتاب «**الكافي**» للشيخ محمد بن يعقوب الكُلَيْنِيّ[(٢)] وكُتُب «**تهذيب الأحكام**» و«**الاستبصار**» و«**مصباح المتهجِّد**» للشيخ أبي جعفر الطوسي[(٣)]، وسائر الرسائل والصحائف قرابة ألف حديث ورواية حول ثواب الزيارة وآداب الدخول إلى المشاهد والمزارات ونصوص وأدعية الزيارات المتعددة والتي يتضمن بعضها عبارات مثل: "**السلام على عين الله الناظرة ويده الباسطة!** "، والتي جعلت حضرة آية الله العظمى (!)يستند إليها في كتابه «**أُمراءِ هستي**» (**أمراء الكون**) ليُثبت الولاية التكوينية للأئمة عليهم السلام! فهل من الممكن أن يكون كل هذا الكلام لغوًا وباطلاً؟!

لذا سنقوم بعون الله تعالى بتوضيح هذه المسألة بقدر ما يتسع له هذا البحث المختصر، فنقول:

أولاً: يجب أن نشير إلى نقطة مهمة هي أنه لا ينبغي أن نصاب بالهلع لكثرة الأحاديث والكتب والرسائل التي كتبت في هذا الباب أو في أي موضوع آخر، لأن كلَّ مَنْ له إلمام وشغل بالكتب والرسائل وله خبرة بالروايات والأحاديث والأخبار، يعلم أن كثيرًا من هذه

---

(١) هو الشيخ أبو القاسم، جعفر بن محمد بن جعفر بن قولويه القمي، من أبرز الشخصيات بين رواة الشيعة في القرن الرابع الهجري، ويُعَدُّ ابن قولويه من أفضل تلامذة محمد بن يعقوب الكليني، ومن أبرز مشايخ الشيخ المفيد، ولد في قم وتوفي فيها سنة ٣٦٧ هـ ومن أشهر مؤلفاته: «كامل الزيارات» المليء والمشحون – مع الأسف – بالروايات الضعيفة والموضوعة. (تر).

(٢) هو الشيخ محمد بن يعقوب بن إسحاق أبو جعفر الكُلَيْنِي الرازي (توفي ٣٢٩هـ) قال عنه النجاشي في رجاله (ج٢، ص٣٧٧): "شيخ أصحابنا في وقته بالري وجههم، وكان أوثق الناس في الحديث، وأثبتهم. صنف الكتاب الكبير ويسمى الكافي في عشرين سنة..." انتهى ملخَّصًا. (تر).

(٣) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (توفي ٤٦٠هـ)، قال عنه العلامة الحلي في الخلاصة (ص١٤٨): "شيخ الإمامية، ورئيس الطائفة، جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة، عين، صدوق، عارف بالأخبار والرجال والفقه والأصول والكلام والأدب وجميع الفضائل تنسب إليه، صنف في كل فنون الإسلام، وهو المهذب للعقائد في الأصول والفروع... الخ". انتهى. (تر).

الكتب لا يستحق الالتفات إليه بل أفضل خدمة نقدّمها للبشرية وللإسلام هي أن نرميها في عرض البحر!! ولا أهمية لكثرة الأحاديث في بعض المواضيع، عندما نجد أن الدلائل العقلية والحسية والتاريخية تُبطلها، إذ ينطبق عليها المثل القائل: «يُمكن طرد ألف غراب برمية حجر واحد»!

وأنتم ترون أيها القراء المحترمون أنَّه لو صَحَّتْ مئات الأحاديث التي رُوِيَتْ حول زيارات المراقد لكان أهم قبر يستحق أن تُطَبَّقَ عليه هو القبر الشريف المنَوَّر لنبيِّ الله ﷺ، والذي ذكر الشيعة والسنة في كتبهم أحاديث عديدة حول فضل زيارته! هذا في حين أننا أثبتنا بالدلائل النقلية والتاريخية والعقلية أن قبر رسول الله ﷺ لم يكن مزارًا أي لم يكن الصحابة الكبار يترددون إليه أو يشدون رحالهم إليه لزيارته حتى قرابة قرن كامل بعد رحيله ﷺ، فضلاً عن السفر لزيارة قبور أخرى لأئمّة أو أولياء صالحين.

ومن ثَمَّ فإذا لم يكن قبرُ رسول الله ﷺ مزارًا للمسلمين في صدر الإسلام بل كان أصحابُ النبيِّ الأخيار وأحفاده من أهل بيته الكرام ينهَوْنَ بعض العوام الذين لا اطّلاع لهم على أحكام الإسلام عن المجيء الخاص إلى ناحية قبره للسلام عليه، ويعلمونهم السلام عليه من أماكنهم، فأي اعتبار إذن لتلك الأحاديث الواردة في هذا الموضوع؟ أفلا يدل ذلك على أنها من الأخبار الدخيلة التي طرأت على الإسلام؟؟

وكلُّنا نعلم أن الإسلام لم يبقَ محصورًا في المكان الذي ظهر فيه (مكة والمدينة)، بل وصل بفضل الله وببركة جهود مسلمي صدر الإسلام إلى أقصى نقاط المعمورة، وخضعت له بلدان العالم في الشرق والغرب -والتي كان لها عادات وآداب وسنن دينية واجتماعية نابعة من حضارتها الخاصة-، ومن جملة ذلك كان في بعض البلدان ذات الحضارة، في تلك الأيام، احترامٌ كبيرٌ للأموات، فكانوا يبنون على قبور العظماء أبنيةً خاصّةً، كما كان الحال في مصر مثلاً التي يوجد فيها كثيرٌ من مقابر الملوك، وما الأهرامات الثلاث التي بُنيت فوق قبور الفراعنة إلا دليل واضح على مدى اهتمامهم بقبور عظمائهم، وكذلك نجد في أطراف إيران قبور «كورش الكبير» و«داريوش» و «بازرقاد» و «كوردختر» وسائر تلك الآثار التي ما

نشأت إلا من الاهتمام بالأموات وتعظيمهم، وفي الحجاز نفسه كان عرب الجاهلية المشركين يؤمنون بقدرات كبيرة وتأثير للأموات السابقين، والظاهر أن أحد علل النهي عن زيارة القبور في بدء الدعوة هو هذه العقيدة الجاهلية الفاسدة التي تتصور أن بعض الأموات السابقين لهم قدرة وإحاطة وتصرف في أحوال الأحياء، وقد سعى الإسلام بكل قوة للقضاء على هذه العقائد ومحو آثار الجاهلية الخاطئة.

ولكننا نرى أنه بعد غروب شمس النبوَّة بدأت آثار الجاهلية تعود تدريجيًّا إلى الحياة من جديد، خاصَّةً بعد اختلاط المسلمين بشعوب الأمم المفتوحة التي كانت تتفوَّق عليهم في العراقة والمدنية ولاسيما في عهد العباسيين عندما أصبحت الدولة والخلافة الإسلامية تحت تصرُّف نبلاء العجم وأشراف إيران! فانتقل كثيرٌ من العادات والآداب والتقاليد الإيرانية تدريجيًا إلى المسلمين وراجت بينهم بوصفها آدابًا إسلامية!، ومن جملة ذلك آداب وسنن تجهيز الأموات مثل تشييع جنائز الأشراف برفع الرايات والأعلام وضرب الطبول والمزامير وبناء الأضرحة وإشعال المصابيح وغير ذلك من التقاليد. وبهذا سرت مسألة أهمية زيارة الأموات إلى المسلمين وبدأت تزدهر.

فَعِلَّةُ ذلك الانتشار الواسع لموضوع زيارات القبور إذن هي بكل بساطة تقليد المسلمين لسنن وآداب الشعوب غير الإسلامية واتباعها والتأثر بها.

ولكن يجب أن نبحث لماذا جاءت في كتب الحديث وكتب الزيارات كل تلك الأحاديث في ثواب وفضيلة زيارات الأموات، وهذا هو الهدف الأصلي من تأليف هذه الرسالة خاصة أنه في مذهب الشيعة أصبحت زيارات المراقد والقبور من أهم وأكبر العبادات إلى درجة طغت فيها من ناحية الثواب والاهتمام بها على سائر العبادات الأخرى!!

علّة الاهتمام بزيارة القبور

علّة الاهتمام بزيارة مراقد الأولياء، لدينا معشر الشيعة الإمامية، أمران اثنان:

١- لقد كان **لسياسة الشيعة** دورٌ هامٌّ في أمر الدين ومسألة الزيارة. وعلّة ذلك أنَّ تلك الفئة من الذين كانوا من مؤيدي حضرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في أواخر حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذين كانوا يرونه أفضل الصحابة وأولاهم بالخلافة، اضطروا هم ومن آمن بفكرتهم من أتباع وشيعة أمير المؤمنين، بعد استلام معاوية الحكمَ عقب صلح الإمام الحسن عليه السلام، إلى التخفّي والاستتار نظرًا لما وقع عليهم من ملاحقات واضطهاد، ولم تُكَلَّل محاولات نقل الحكم من بني أميَّة إلى آل عليٍّ بالنجاح إلى أن وقعت فاجعة كربلاء الدموية الأليمة، فلجأ من بقي من شيعة أهل البيت من معارضي أعداء الحكومة الأموية، والذين لم يكونوا جميعًا على مستوىً كبير من العلم والتقوى، بل كان كثيرٌ منهم من الأصدقاء الجهلاء، إلى السعي إلى إضعاف الأمويين عن طريق إقناع الناس بعدم مشروعية حكومتهم وتحريض الناس ضد بني أمية عن طريق نشر فضائل الإمام علي والإمامين الحسن والحسين عليهما السلام والتي كانت لا تزال مستقرة في صدور بقية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كالبحر الزخّار هذا من جهة، وقد تسرّبت من هذا الطريق بعض الأخبار الموضوعة التي وضعها بعض المتحمّسين، ومن الجهة الأخرى قاموا بذكر آلام ومصائب آل عليٍّ الأبرار التي تعرّضوا لها على أيدي الظلمة من بني أمية لاسيما شهادة سيد الأحرار الحسين بن علي عليهما السلام، وهنا أيضًا لم يُقَصِّر بعض الغلاة من وضع الأخبار في هذا المجال، إلى أن دالت دولة بني أمية على أيدي بني العباس الذين أوقعوا من الظلم على آل عليٍّ ما فاق ظلم بني أميّة لهم! فاستمرَّت -نتيجةً لذلك- تلك الطريقة، أي ذكر ظلم المخالفين ومصائب أهل البيت عليهم السلام وبيان فضائل العترة الكثيرة، ومن البديهي أن مثل هذه الأعمال (أي الزيارات وقراءة المراثي وإقامة المآتم ومجالس

العزاء) تلعب دورًا كبيرًا في تحميس الناس وإثارتهم، فلا غرابة أن نجد أن سوق وضع الأخبار والأحاديث في ثواب الزيارات وفي الأجر الجزيل لمن يقيم أو يحضر مراثي ومآتم آل البيت يروج ويزدهر، وتُنْسَبُ في هذا المجال أحاديث وروايات كثيرة إلى أئمة آل البيت عليهم السلام! لأن ذلك من شأنه أن يؤثِّر كثيرًا في الناس وإن كان تأثيرًا مؤقتًا سريع الزوال!

ولعلَّ بعض القرّاء الكرام يستبعد أن يقوم بعض المتدينين المحبين لآل الرسول بوضع الأحاديث على ألسنة الأئمَّة، ولكن كل من له اطلاع جيد على تاريخ الحديث الشريف وسيرته يعلم أن مثل هذا الأمر سهلٌ بالنسبة إلى أصحاب الأهواء السياسية الجامحة الذين يسعون لتحقيق مصالح مبدئهم الذي يوقنون بصحَّته، وهذا ما سيطلع عليه القارئ فيما يلي إن شاء الله.

٢- أما العلّة الثانية المؤثّرة في وضع مثل هذه الأحاديث (أحاديث المناقب وفضائل الزيارة وثواب المآتم...الخ) فهي عداوة بعض المتظاهرين بالإسلام الباطنية لهذا الدين الحنيف ولتعاليم القرآن الحقَّة وكراهيتهم لحقائق الإسلام وأحكامه، والتي دفعتهم إلى السعي لتخريبه من الداخل بوضع الأحاديث الكاذبة. وتفصيل ذلك أن القرآن الكريم كان نورًا أشع من نور الربوبية واعتبر الإنسان رهين أعماله فقال: ﴿كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١﴾ [الطور: ٢٠]. وقال: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة: ٧- ٨]

ومثل هذه الدقّة في الحساب لم تكن ترُقْ لزنادقةٍ كانوا يرغبون أن تبقى أبواب الشهوات أمامهم مُشْرَعَة، وأن تُتاح لهم ملذَّات الدنيا بلا رقيب ولا سؤال ولا محاسبة دقيقة يوم القيامة، فكان لزامًا عليهم أن يخترعوا طرقًا تبرِّر نجاة الإنسان -مهما عمل- من شدة عذاب اليوم العظيم، وتؤمّنه من مخاطر يوم الحسرة والندامة، بل تُغدق عليه الحورَ والقصورَ في جنان الخلد والرضوان ولو كانت صحائف أعماله سوداء!

مثل هذه الرغبات أوجدت وضّاعين يضعون أحاديثَ تجعل الفاجرين والفاسقين يتمتَّعون بنعمة الشفاعة وتجعل هذه النعمة متاحةً لمن يتوسل ويتضرع أمام مرقد إمامٍ مُتَوَفًّى

أو وليٍّ مَيِّتٍ أو لمن يزور قبر إمام ويدعو عنده ببعض الكلمات غير المفهومة باسم دعاء مأثور، فيصبح بذلك مسلوب العيوب مغفور الذنوب، ويرتاح بمجرَّد قيامه بمثل هذه الأعمال المبتدعة من تجشُّم عناء العبادات ورعاية أحكام الحلال والحرام ويدخل في نهاية المطاف بكل عزة واحترام في جنة الرضوان!

وفي الواقع لقد ابتدأ ظهور مثل هذه الأحاديث التي كان الوضّاعون -الذين لا شك في نفاقهم وعداوتهم الباطنية للإسلام وكراهتهم لما أنزل الله من أحكام- يفترونها دفعًا لأوامر القرآن ونواهيه، منذ زمن رسول الله ﷺ مما دعا رسول الله إلى أن يقوم ويحذر الناس من هذا الخطر، كما نقل عنه ذلك أمير المؤمنين عليه السلام حين قال: **"لَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيبًا فَقَالَ: مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ "**[(١)].

(١) **نهج البلاغة**، الخطبة ٢١٠.

اتفق جميع المؤرخين والمحدثين والفقهاء الثقات ممن يعتد بأقوالهم على أن الوضع في الحديث لم يكن في عهد الرسول ﷺ، ولم يكذب عليه أحد في حياته، بل إن الوضع في الحديث والكذب على رسول الله ﷺ قد بدأ بعد وفاته ﷺ بعقود عديدة، لأنه ليس من السهل أن نتصور صحابة رسول الله ﷺ الذين فَدَوْا الرسول ﷺ بأرواحهم وأموالهم وهجروا في سبيل الإسلام أوطانهم وأقرباءهم، وامتزج حب الله وخوفه بدمائهم ولحومهم: أن نتصور هؤلاء الأصحاب يقدمون على الكذب على رسول الله ﷺ وهم الذين استفاض عندهم قول حبيبهم ﷺ: «**إنَّ كذبًا عليَّ ليس ككذبٍ على أحد، ومن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوَّأْ مقعده من النار**». (حديث مشهور متواتر رواه سبعون صحابيًّا، وقد خَرَّجَتْهُ كتبُ السُنّة كلها.) ولقد دلنا تاريخ الصحابة في حياة الرسول ﷺ وبعده أنهم كانوا على خشية من الله وتُقى يمنعهم الافتراء على الله ورسوله وأنهم كانوا على حرص شديد على الشريعة وأحكامها والذبِّ عنها وإبلاغها إلى الناس، كما تلقَّوْهَا عن رسوله، يتحملون في سبيل ذلك كل تضحية، ويخاصمون كل أمير أو خليفة أو أيَّ رجل يرون فيه انحرافًا عن دين الله، لا يخشون لومًا، ولا موتًا، ولا أذى، ولا اضطهادًا. وهناك عشرات بل مئات من الأدلة والأمثلة التي تدل دلالة قاطعة على أن هؤلاء الصحابة كانوا من الجُرْأَةِ في الحق والتفاني في الدفاع عما يعتقدون أنه حق، ومن تغليبهم الحق على كل صديق وصاحب وقريب، بحيث يستحيل عليهم أن يكذبوا على رسول الله ﷺ، اتباعًا لهوى أو رغبة في دنيا، إذ لا يكذب إلا الجبان، كما

يستحيل عليهم أن يسكتوا عمن يكذب على رسول الله ﷺ، وهم الذين لا يسكتون عن اجتهاد خاطئ يذهب إليه بعضهم بعد فكر وإمعان نظر. واسمع ما يقوله الصحابة أنفسهم في هذا الموضوع:

أخرج البيهقي عن البراء: «لَيْسَ كُلُّنَا كَانَ يَسْمَعُ حَدِيثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَتْ لَنَا ضَيْعَةٌ وَأَشْغَالٌ، وَلَكِنْ كَانَ النَّاسُ لَمْ يَكُونُوا يَكْذِبُونَ فَيُحَدِّثُ الشَّاهِدُ الغَائِبَ». وأخرج عن قتادة: أَنَّ أَنَسًا حَدَّثَ بِحَدِيثٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: «أَسَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟»، قَالَ: «نَعَمْ، أَوْ حَدَّثَنِي مَنْ لَمْ يَكْذِبْ، وَاللهِ مَا كُنَّا نَكْذِبُ وَلاَ كُنَّا نَدْرِي مَا الكَذِبُ». (مسند البزار، ج١٣، ص ٤٨٢).

لا يبقى بعد هذا شك في أن الكذب لم يكن على عهد رسول الله من الصحابة ولا وقع منهم بعده، وأنهم كانوا محل الثقة فيما بينهم لا يُكَذِّبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وكل ما كان بينهم من خلاف فقهي لا يتعدى اختلاف وجهات النظر في أمر ديني وكل منهم يطلب الحق وينشده.

أما عصر التَّابِعِينَ، فلا شك أن الكذب كان في عهد كبارهم أقل منه في عهد صغارهم، إذ كان احترام مقام رسول الله ﷺ، وعامل التقوى والتدين أقوى في ذلك العصر منه في العصر الثاني، وأيضًا فقد كان الخلاف السياسي الأول في عهده، فكانت البواعث على الوضع في الحديث ضَيِّقَةً بالنسبة للعصور التالية، ويضاف إلى ذلك أن وجود الصحابة وكبار التَّابِعِينَ المشهورين بالعلم والدين والعدالة واليقظة، من شأنه أن يقضي على الكَذَّابِينَ ويفضح نواياهم ومؤامراتهم، أو أن يَحُدَّ نشاطهم في الكذب.

أن الخلافات السياسية التي ذَرَّ قرنها بين المُسْلِمِينَ في أواخر خلافة عثمان، وفي خلافة عَلِيٍّ رضي الله عنه، كانت سببًا مباشرًا في وضع الحديث، وأن أول من تَجَرَّأَ على ذلك، هم الشِيعَةُ، فيكون العراق أول بيئة نشأ فيها الوضع، وقد أشار إلى هذا أئمة الحديث حيث كان الزُّهْرِيُّ يقول: «يَخْرُجُ الحَدِيْثُ مِنْ عِنْدِنَا شِبْرًا فَيَرْجِعُ إِلَيْنَا مِنَ العِرَاقِ ذِرَاعًا» (سير أعلام النبلاء للذهبي) وكان «مالك» يُسَمِّي العراق (دَارَ الضَّرْبِ) أي تضرب فيها الأحاديث وتخرج إلى الناس، كما تضرب الدراهم وتخرج للتعامل.

وإن سَنَةَ أربعين من الهجرة كانت الحد الفاصل بين صفاء السُّنّة وخلوصها من الكذب والوضع، وبين التزيد فيها واتخاذها وسيلة لخدمة الأغراض السياسية والانقسامات الداخلية، بعد أن اتخذ الخلاف بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما شكلاً حربيًّا سالت به دماء وأزهقت منه أرواح، بعد أن انقسم المسلمون إلى طوائف متعددة: فالجمهور مع عليّ في خلافه مع معاوية، والخَوَارِج ينقمون على عليّ ومعاوية معًا بعد أن كانوا من شِيعَة عليّ المتحمسين له وآل البيت وفريق منهم أخذوا بعد قتل عليّ رضي الله عنه وخلافة معاوية يطالبون بحقهم في الخلافة، ويشقون عصا الطاعة على الدولة الأموية، وهكذا كانت الأحداث السياسية سببًا في انقسام المسلمين إلى شيع وأحزاب، ومع الأسف أن هذا الانقسام اتخذ شكلاً دينيًّا كان له أبلغ الأثر في قيام المذاهب الدينية في الإسلام، فلقد حاول كل حزب أن يؤيد موقفه بالقرآن وبالسُنّة، وطبيعي أن

يكون مع كل حزب من يؤيده في كل ما يدعى، فعمل بعض الأحزاب على أن يُأوِّلوا القرآن على غير حقيقته، وأن يُحَمِّلُوا نصوص السُنّة ما لا تتحمَّلُه، وأن يضع بعضهم على لسان الرسول ﷺ أحاديث تؤيد دعواهم، بعد أن عزَّ عليهم مثل ذلك في القرآن لحفظه وتوفر المسلمين على روايته وتلاوته، ومن هنا كان وضع الحديث واختلاط الصحيح منه بالموضوع.

وأول معنى طرقه الوُضَّاعُ في الحديث هو فضائل الأشخاص، فقد وضعوا الأحاديث الكثيرة في فضل أئمتهم ورؤساء أحزابهم، ويقال: إن أول من فعل ذلك الشِيعَةُ على اختلاف طوائفهم، كما قال ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة ٢/ ١٣٤»: «اعْلَمْ أَنَّ أَصْلَ الكَذِبَ فِي أَحَادِيثِ الفَضَائِلِ جَاءَ مِنْ جِهَةِ الشِّيعَةِ ... ... وَقَدْ قَابَلَهُمْ جَهَلَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ بِالوَضْعِ أَيْضًا». [نقلا عن كتاب «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، للدكتور الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله بتصرف يسير] ولكن بفضل الله ومنه على الأمة الإسلامية فقد قيَّض رجالاً جهابذة من علماء الأمة فقاوموا الوضع والوضّاعين ودافعوا عن سنة رسول الله ﷺ وميّزوا الصحيح من السقيم، وألفوا كتبًا في بيان أحوال رواة الحديث مع بيان الجرح والتعديل فيهم وكما ألفوا كتبًا في الرواة الضعفاء والمتروكين والوضاعين ومؤلفات أخرى في الأحاديث الموضوعة باسم الموضوعات والعلل وغيرها. وكل هذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الله عز وجل قد حفظ سنة نبيه ﷺ الصحيحة من الضياع والخلط بالأحاديث الضعيفة والموضوعة.

ثانيا: إن سبب الورود الذي استدل به المؤلف رحمه الله لهذا الحديث المشهور المتواتر، لم يرد في الكتب الحديثية المعتبرة، بل ورد هذا الحديث بدون سبب وروده. نعم، قد رُويت رواية غير الذي ذكره المؤلف في سبب ورود الحديث ولكنها منكرة؛ وقد رواها ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٤/ ١٣٧١)، ونقل عنه ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٥٥-٥٦)، وقد تتبع الأستاذ عبدالفتاح أبو غدة هذا الحديث الذي فيه سبب الورود برواياته المتعددة في كتابه «لمحات من تاريخ السنة» تحت عنوان «بطلان الأحاديث الدالة على وجود الكذب على النبيﷺ فى حياته ص ٥٦ – ٦٥، وقال: "وأما الحديث الذى جاء في سبب ورود حديث «من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»، فهو حديث منكر لا يصح الالتفات إليه ولا التعويل عليه". والله تعالى أعلم.

ولم يكن هذا الوعيد الشديد في هذا الحديث بسبب أن أحدًا كذب على النبي ﷺ في عهده أو حال حياته ﷺ؛ لأن العاقل لا يكذب على الأحياء، ولأن الوحي الذي كان ينزل لطالما فضح المنافقين في مناسبات كثيرة، ولكن النبي الكريم ﷺ حذر من الكذب عليه في المستقبل، أو فيما يستقبل من الزمان، حماية للشريعة ولأحكام الإسلام من العبث والتحريف والتبديل الذي وقع فيه أهل الكتاب. (انظر موقع إسلام ويب، مقال الوضع في الحديث). (المُصحح)

ولكن أصحاب رسول الله الأخيار [ﷺ] كانوا لا يزالون منتشرين في البلاد فما كان أحد يجرؤ على بثّ أحاديث ملفَّقة، لذا كان سوق الأحاديث الباطلة لا يزال كاسدًا، لكنه بدأ يروج تدريجيًا فيما بعد هروبًا من تعاليم القرآن الصارمة، كما بيَّن ذلك سلمان المحمّدي فيما نقله عنه حضرة الإمام أبي جعفرٍ الباقر عليه السلام في الحديث التالي الذي أخرجه الكشي في رجاله فقال:

"عن محمد بن حكيم، قال ذُكِرَ عند أبي جعفر عليه السلام سلمانُ، فقال ذلك سلمانُ المحمدي، إن سلمان منَّا أهلَ البيت، إنه كان يقول للناس هربتم من القرآن إلى الأحاديث، وجدتم كتابًا رقيقًا حوسبتم فيه على النقير والقطمير والفتيل وحبة خردل فضاق ذلك عليكم و هربتم إلى الأحاديث التي اتسعت عليكم"(١).

هذا ورغم أن تدوين الأحاديث في بدء عهد بعثة رسول الله ﷺ كان ممنوعًا خشية أن يختلط بالقرآن الكريم، ثم سُمح لأفراد قلَّة مثل **عبد الله بن عمرو بن العاص** -بناءً على بعض الروايات - أن يكتب ما كان يسمعه من رسول الله ﷺ، ولم يُعطى الآخرون مثل هذا الحق، إلى درجة أن أبا بكر -طبقًا لما روته ابنته عائشة عنه- جمع حدود خمسمئة حديثٍ عن رسول الله ﷺ في دفتر خاص فبات ليلته يتقلب كثيرًا! قالت عائشة فقلتُ: أتتقلب لشكوى أو لشيء بلغك؟ فلما أصبح قال: أيّ بُنَيَّة هَلُمِّي الأحاديث التي عندك! فجئته بها، فدعا بنا فحرقها. فقلت: لمَ أحرقتها؟ قال خشيتُ أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنتُهُ ووثقتُ به ولم يكن كما حدَّثني فأكون قد نقلتُ ذاك "(٢).

ولكن بعد مرور قرن من الزمن سمح عمر بن عبد العزيز بتدوين الأحاديث فكثر التدوين وشاع وأصبح نقل الروايات والأخبار من مفاخر وامتيازات ذلك العهد ووصل الأمر إلى حد أن أصبح بيع وشراء الأخبار من أغلى متاع ذلك الزمن! ومن المعروف أنه قبل ذلك في عهد معاوية بن أبي سفيان، كان أبو هريرة أو سمرة بن جندب، أو شخصٌ آخر قد

---

(١) **رجال الكشي**، طبع كربلاء، ص ٢٢ و ٢٣، أو طبع مشهد، ص ١٨.

(٢) السيوطي، **تذكرة الحفاظ**، ج١، ص٥، وقال السيوطي بعد ذكره هذه الرواية **إنها لا تصح**. (تر).

قبض كلٌّ منهما من معاوية أربعمئة ألف درهم ليروي حديثًا واحدًا كاذبًا![1]

وفي النهاية وصلت كثرة الأحاديث في زمن الإمام **أحمد بن حنبل** إلى درجة أنه جمع مسنده الذي يضم الآن بضعة وثلاثين ألف حديث **من أصل مليون حديث!** كما جمع **الإمام البخاري** صحيحه الذي يضم الآن سبعة آلاف حديث **من أصل سبعمئة وخمسين ألف حديث**، وكذا اختار **مسلم** أحاديث صحيحه البالغة أربعة آلاف **من أصل ثلاثمئة ألف حديث!**

ولم يكن هذا العمل -أي حركة الوضع- مقتصرًا على أشخاصٍ في أوساط العامة المشتهرين بأهل السنة بل كانت شدته أكثر في أوساط الفريق الذي يُطلق عليه اليوم اسم الشيعة، وكانوا يُنْبَزُون في ذلك الزمن بلقب الرافضة، الذين كانوا في الواقع أحزابًا سريَّةً، فكان وضع الحديث لديهم أكثر، وعلّة ذلك أن معارفهم وآثارهم لم تكن تحت الرقابة ولا كانت مشهورةً ولم تبقَ لدى حزب خاصٍ أو جماعة محددة بل كانت كل يوم تنتشر وتُتَناقل خُفْيَةً من جماعة إلى أخرى إلى حدّ أن جماعة واحدة كانت تتشعب إلى عشر جماعات أحيانًا.

وكان أكثر الوضّاعين الكذَّابين في العراق، إلى حدٍّ قول بعضهم أن من كل ألف حديث لمحدِّثي العراق، ٩٩٩ منها كذبٌ، وواحدٌ منها موضعُ شكّ!!

١- يا حبذا لو أن المؤلف -رحمة الله عليه وغفر الله له- ذكر لنا مصدر هذا الاتهام السيء بحق صحابيين جليلين من أصحاب رسول الله ﷺ، حتى تتبين لنا صحته أو سقمه بدراسة إسناده ورواته! ولكن مع الأسف الشديد فإنه لم يفعله. فهذا الاتهام لا أساس له من الصحة، وهو باطل جملة وتفصيلاً.

علمًا أن محققي الحديث وعلومه توصلوا بالاستقراء والتتبع للأحاديث التي رواها أصحاب رسول الله ﷺ إلى أن أصدق الناس وأحرصهم وأتقاهم وأكثرهم أمانة في نقل أحاديث رسول الله ﷺ هم أصحابه، ولم يثبت عن أحد منهم أنه تعمّد الكذبَ على رسول الله ﷺ.

لذلك، فإن ما ذكر عن هذين الصحابيين الجليلين، أبي هريرة وسمرة بن جندب رضي الله عنهما اتهام باطل وكذب من أكاذيب رواة الشيعة الرافضة بحق أصحاب رسول الله ﷺ لأجل الطعن فيهم والنيل من عدالتهم. [المُصحح]

وعلينا أن نعترف بحقيقة أن كثيرًا ممن يعادون الإسلام في باطنهم كانوا يتظاهرون بأنهم من شيعة عليٍّ وآل البيت عليهم السلام، وكانوا يُوجِّهون ضرباتهم المهلكة لجسم الإسلام، وكان أهم أسلحتهم وضع الحديث!! وهذه الحقيقة ستتأكد أكثر للقراء الكرام عندما يقومون بمطالعة كتب الملل والنحل لاسيما تلك التي كتبها علماء الشيعة الأعلام حول فرق ومقالات الشيعة وذلك مثل كتاب «**المقالات والفرق**» لـ«**سعد بن عبد الله الأشعري**» (ره) المتوفى سنة ٣٠١ هجرية، والذي كان من أعلام الشيعة وخواص أصحاب الأئمَّة عليهم السلام، أو كتاب «**فرق الشيعة**» تأليف «**أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي**» (ره) المتوفى **٣٠٠** هـ ق، والذي يُعَدُّ من كبار علماء الشيعة الإمامية أيضًا ومن أسرة معروفة بالعلم والفضل.

لقد ذكر هذان المؤلفان (ره) أكثرَ تلك الفرق التي كانت خارجة عن الإسلام أثناء بيانهم لفرق الشيعة مثل: السبئية والكيسانية والمغيرية والسرحوبية والرافضية والإسماعيلية والفطحية والواقفية والخطابية والنميرية وغيرهم، مما يُبَيِّنُ كيف أصبح الاسمُ المبارك لعلي بن أبي طالب عليه السلام وما عاناه هو وأبناؤه الكرام -الذين اشتهروا في الآفاق بالعدل وحسن السيرة- من ظُلْمٍ وحَيْفٍ، ملجًا يتستَّر خلفه بعض المنحرفين والزنادقة الذين يضمرون كره الإسلام ويسعون في خراب بنيانه، فاستطاعوا من خلال وضعهم للأحاديث وإحداثهم للمذاهب المبتدعة أن يمزقوا جسد المجتمع الإسلامي إربًا إربًا!

وخلاصة ما تقدَّم أنه كان هناك دافعان لوضع الحديث: الدافع الأول الهوى السياسي ونصرة قضية آل البيت ومظلوميتهم، والدافع الثاني ذو شعبتين أولهما الفرار من القرآن ليُصبح الإنسان بواسطة الأحاديث الموضوعة في مأمن من إنذاراته وتخويفاته ويصبح أكثر حرية في إشباع شهواته ورغباته، والثاني السعي إلى هدم الإسلام من داخله، وكان لكل جماعة أو فرقة هدف من تلك الأهداف في وضع الحديث وأحيانًا كان الدافعان يجتمعان لدى الشخص أو الجماعة ذاتها! راجعوا أيها القراء الكرام الكتابين المذكورين للعالمين الشيعيين الجليلين **سعد بن عبد الله الأشعري** و**الحسن بن موسى النوبختي** (ره)، وانظروا كيف أن الذين أسسوا المذاهب والفرق العديدة كانوا يضعون الأخبار لحرف الناس عن أحكام

الحلال والحرام وتشجيعهم على ارتكاب المحرمات!

مثلاً تلك الفرقة من أصحاب أبي الخطاب الأسديّ التي كانت تشكل في ذلك الزمن إحدى فرق الشيعة كانت –طبقًا لما جاء في كتاب المقالات والفرق (ص٥١، طبع طهران): **"أحلُّوا المحارم من الزنا والسرقة وشرب الخمر وتركوا الزكاة والصلاة والصيام والحج، وأباحوا الشهوات بعضهم لبعض...** "! وهذه العبارة ذاتها نقلها النوبختي في كتابه فرق الشيعة أيضًا (ص٦١، طبع النجف) باختلاف يسير في ألفاظها حيث زاد على المحرمات **اللواط والسرقة!!**

كما نقل صاحب كتاب «**المقالات والفرق**» (ص٥٧) عن فرقةٍ تُدْعَى المجسِّمة أنهم: **"وأباحوا الفروج كلها وأبطلوا النكاح والطلاق...** "! وللاطلاع على سائر العقائد الفاسدة للفرق المنحرفة أمثال الإسماعيلية والنصيرية والنميرية راجعوا الصفحات: ٦٣ و٩٢ و١٠٠ من كتاب «**المقالات والفرق**»، والصفحات ٨١ و١٠٥ و١١٦ من كتاب «**فرق الشيعة**» لكي تتأكدوا أن من أهم أهداف واضعي الحديث ومؤسسي الفرق الضالة الفرار من أحكام الإسلام وتخريبها.

ولعل قائلاً يقول: إن تلك الفرق التي ذكرت أنها كانت من ضمن فرق الشيعة في ذلك الزمن هي فرقٌ مرفوضةٌ اليوم في نظر الشيعة الإمامية. وثانيًا لم يبقَ على وجه الأرض أي واحدة من تلك الفرق الضالَّة في يومنا هذا ولِلَّهِ الحمد، فما علاقة تلك الفرق فيما نحن فيه اليوم؟

أقول: صحيحٌ أن تلك الفرق القديمة المغالية مرفوضةٌ في نظر الشيعة الإمامية وتعتبر في نظرهم من الفرق الضالّة، لكن **لا تزال هناك أخبارٌ وآثارٌ عديدةٌ لهم وجدت طريقها إلى ثنايا كتب حديث الشيعة الإمامية، التي اختلط فيها الحق بالباطل، وامتزجت فيها الآثار الباقية عن الأئمَّة الهداة** –عليهم السلام– **بأقاويل منقولة عن رجالات تلك الفرق، ولم يتم إلى يومنا هذا –مع الأسف الشديد– عملٌ جديٌّ شاملٌ لفرز الدخيل عن الأصيل وتمييز الموضوع عن الصحيح!**

هذا علاوةً على أن كثيرًا من رواة أخبار وأحاديث الشيعة الإمامية هم من أتباع تلك المذاهب الباطلة ذاتهم مثل الفَطَحِيَّة والوَاقِفِية والشَلْمَغَانيّة وحتى بعض أولئك الذين اشتهروا بأنهم من كبار أصحاب الأئمَّة، كانوا من قَبْلُ من أتباع بعض تلك المذاهب الباطلة وأمضوا فيها مدَّةً من حياتهم قبل أن يرجعوا إلى مذهب الإمامية وذلك مثل أبناء أعين وأبو خديجة والمعلّى بن خنيس وغيرهم. فإذا لم نتمسَّك بالقرآن الكريم ونرجع إليه ونجعله حكمًا لتمييز الصحيح من الخطأ فإن عملية تفكيك وتفريق الأخبار والآثار التي رواها أولئك زمن اعتقادهم بمذهبهم السابق وتلك التي رووها بعد رجوعهم إلى مذهب الإمامية ستكون عمليّةً عسيرةً للغاية.

الأحاديث الباقية من الفرق الضالّة

بغض النظر عن عيوبها الأخرى، توجد في كتب الحديث المعتبرة لدى الشيعة الإمامية أحاديث موضوعة تحمل رائحة المذاهب الباطلة وطعمها ذاته، فيظهر أنها تسرَّبت من أولئك الغلاة أصحاب دعاوى إسقاط التكاليف إذْ تدعو الإنسان بشكل غير مباشر إلى التجرؤ على فعل الذنوب وما نهى القرآن عنه! وإليكم بعض الأمثلة:

١- روى **الشيخ الصدوق ابن بابويه القمي** في «**الأمالي**» في «المجلس الثمانون» (ص ٥٣٩) ضمن بيان فضيلة شهر رجب وثواب صيامه الرواية التالية:

"... ومن صام من رجب تسعةً وعشرين يومًا غفر الله عزَّ وَجلَّ له ولو كان عشّارًا أو لو كانت امرأة فجرت بسبعين مرَّةً [امرًا] بعد ما أرادت به وجه الله والخلاص من جهنم لغفر الله لها! ".

لاحظوا أيها القراء الكرام أنه بصيام تسعة وعشرين يومًا يمكن للمرأة المومس التي زنت سبعين مرَّة ربما في سبعين رجلاً أي زنت ٤٩٠٠ مرَّة أن يُغْفَر لها!

٢- وذكر العلامة الحلي في كتابه الفقهي «**منتهى المطلب**» (ج١، ص٤٦١) روايةً

غريبةً لا سند لها ولا مصدرٍ، فقال: " [الرابع] **يُسْتَحَبُّ أن يجعل معه شيئًا من تربة الحسين**عليه السلام **طلبًا للبركة والاحتراز من العذاب (والستر) من العقاب، فقد رُوِيَ أن امرأة كانت تزني تضع أولادها فتحرقهم بالنار خوفًا من أهلها ولم يعلم به غير أمّها، فلما ماتت دُفِنَتْ فانكشف التراب عنها ولم تقبلها الأرض فنُقِلَتْ عن ذلك الموضع إلى غيره فجرى لها ذلك، فجاء أهلها إلى الصادق** عليه السلام **وحكوا له القصة فقال لأمّها ما كانت تصنع هذه في حيوٰتها من المعاصي؟ فأخبرته بباطن أمرها، فقال** عليه السلام: **إن الأرض لا تقبل هذه لأنها كانت تعذب خلق الله بعذاب الله، اجعلوا في قبرها شيئًا من تربة الحسين** عليه السلام، **ففعل ذلك فسترها الله تعالى** "!!

أجل، بمقدارٍ قليلٍ من التربة يُرْفَعُ العذاب عن جرائم بمثل تلك الفظاعة والبشاعة التي يهتزّ لهولها العرش!!!

٣- في المجلد التاسع عشر من بحار الأنوار (ص٣٠٢، طبع كمپاني) ينقل المجلسي عن كتاب «**مهج الدعوات**» للسيد بن طاووس[(١)] الرواية التالية، قال:

"رويناه بإسنادنا إلى سعد بن عبد الله قال حدثنا أحمد بن محمد عن الحسن بن علي بن فضال عن الحسين بن الجهم عمن حدثه عن الحسن بن محبوب أو غيره عن معاوية بن وهب عن أبي عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام قال: **إن عندنا ما نكتمه ولا نعلِّمُهُ غيرَنا، أشهد على أبي أنه حدثني عن أبيه عن جده قال: قال لي علي بن أبي طالب** عليه السلام: **يا بُنَيّ! إنه لا بد من أن تمضي مقادير الله وأحكامه على ما أَحَبَّ وقضى وسيُنْفِذُ الله قضاءه وقدره وحكمه فيك، فعاهِدْني أن لا تلفظ بكلام أستره إليك حتى أموت وبعد موتي باثني عشر شهرًا وأخبرك بخبر أصله عن الله: تقول غداوة وعشية فيشتغل به ألف ألف ملك يُعْطَى كلٌّ منهم قوة ألف ألف**

---

(١) هو السيد الشريف رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس من أحفاد الإمام الحسن عليه السلام، عالمٌ إماميٌّ مشاركٌ، ولد في الحلة عام ٥٨٩ هـ وصار فقيهًا وأديبًا وشاعرًا واشتهر بالزهد والعرفان، وكانت أكثر مؤلفاته في الأدعية والزيارات، من أشهر كتبه: «كشف المحجة لثمرة المهجة» و«الملهوف على قتلى الطفوف» و«**مهج الدعوات**» توفي رحمه الله في بغداد سنة ٦٦٤ هـ ق. (تر).

كاتب في سرعة الكتابة ويوكل بالاستغفار لك ألف ألف ملك يُعْطَى كل ملك مستغفر قوة ألف ألف متكلم في سرعة الكلام و يبنى لك في دار السلام ألف ألف بيت في مائة قصر يكون فيه من جيران أهله ويبنى لك في الفردوس ألف بيت في مائة قصر يكون لك جار جدك ويبنى لك في جنات عدن ألف ألف مدينة و يحشر معك في قبرك كتاب يقول ها أنا لا سبيل عليك للفزع ولا للخوف ولا لزلازل الصراط ولا لعذاب النار ولا تدعو بدعوة فتحب أن تجاب في يومك فيمسي عليك يومك إلا أتاك كائنة ما كانت بالغة ما بلغت في أي نحو كانت ولا تموت إلا شهيدًا وتحيي ما حييت وأنت سعيد ولا يصيبك فقرٌ أبدًا ولا جنونٌ ولا بلوى ويُكْتَب لك في كل يوم بعدد الثقلين كل نفس ألف ألف حسنة و يمحى عنك ألف ألف سيئة ويرفع لك ألف ألف درجة ويستغفر لك العرش والكرسي حتى تقف بين يدي الله عز و جل و لا تطلب لأحد حاجة إلا قضاها ولا تطلب إلى الله حاجة لك ولغيرك إلى آخر الدهر في دنياك وآخرتك إلا قضاها.... (إلى قوله:) فعاهد الحسنُ عليًّا على ذلك ثم قال: إذا أردت إن شاء الله ذلك فقل هذا الدعاء: **سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبحان الله في آناء الليل وأطراف النهار سبحان الله بالغدو والآصال سبحان الله....** (إلى آخر الحديث) "[1]

كل ذلك الثواب العظيم والأجر الخطير على ماذا؟ على قراءة دعاء بسيط من عدة أسطر أولها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وبضع كلمات أخرى. ولا ننسَ بالطبع أن أمير المؤمنين قد أخذ من حضرة الحسن أو الحسين عهدًا ألا يُبيحا ذلك السر لأحدٍ، ولكن ويا للأسف! كُشف ذلك السرّ وفُتح باب هذا الكنز العجيب والعظيم فملأ الكتب. والآن يمكن لكل فاسق وفاجر ألا يبالي بكل إنذارات القرآن ويواصل فسقه بكل طمأنينة بال!! وأهل المعاني يعرفون أن هذا الإصرار على كتمان ذلك السر إنما كان لتحلية سوقه وتشويق الناس إليه على قاعدة: «**الإنسان حريص على ما منع**» و«**كل ممنوع مرغوب**» وبالتالي فعليهم أن يحرصوا على هذا الدعاء قبل أن يطير من أيديهم فيفقدوا كل ذلك الثواب الجليل والأجر الجزيل!!

---

(١) السيد ابن طاووس، **مهج الدعوات**، الرواية المتقدمة من دعاء العشرات، ص١٤٥-١٤٦.

٤- وهناك أحاديث أخرى عديدة أيضًا على ذلك النمط في كتاب «**مهج الدعوات**» تشكل ملاذًا جيدًا يلتجئُ إليه الباحثون عن مأمنٍ من إنذارات القرآن، ومن جملة ذلك حديثٌ في الدعاء، أورده المجلسي في المجلد التاسع عشر من «**بحار الأنوار**»(١) نقلاً عن «**مهج الدعوات**» ينصّ على مقادير هائلة من الثواب على قراءة دعاء بسيط يضمن لمن قرأه غفران ذنوبه حتى ولو كان من بينها الزنا بأمه!!! وإليكم الحديث من «**مهج الدعوات**» (ص٧٥-٧٦):

"قال: حدثنا عبد الله قال: حدثنا أبو جعفر حميد البصري قال: بلغنا عن رجل من أهل نيشار يقال له: عبد الله قال: حدثنا إبراهيم بن أدهم عن موسى الفراء عن محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قَالَ: **مَنْ دَعَا بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ اسْتَجَابَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ وَقَالَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ لَوْ دُعِيَ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ عَلَى صَفَائِحَ مِنْ حَدِيدٍ لَذَابَ الْحَدِيدُ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ** وقال صلى الله عليه وآله: **وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَوْ أَنَّ رَجُلاً بَلَغَ بِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ شِدَّةً ثُمَّ دَعَا بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ لَسَكَنَ عَنْهُ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ**، و..... و..... (إلى قوله): **وَلَوْ أَنَّ رَجُلاً دَعَا بِهَا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً مِنْ لَيَالِي الْجُمُعَةِ لَغَفَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ كُلَّ ذَنْبٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ، وَلَوْ فَجَرَ بِأَمَةٍ لَغَفَرَ اللهُ لَهُ ذَلِكَ**.... (إلى قوله): **وَهِيَ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ تَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا مَنِ احْتَجَبَ بِشُعَاعِ نُورِهِ عَنْ نَوَاظِرِ خَلْقِهِ يَا مَنْ تَسَرْبَلَ بِالْجَلَالِ وَالْعَظَمَةِ وَاشْتَهَرَ بِالتَّجَبُّرِ فِي قُدْسِهِ يَا مَنْ تَعَالَى بِالْجَلَالِ وَالْكِبْرِيَاءِ فِي تَفَرُّدِ مَجْدِهِ يَا مَنِ انْقَادَتِ الْأُمُورُ بِأَزِمَّتِهَا طَوْعًا لِأَمْرِهِ**....... (إلى آخر الدعاء وفي آخره:) **قِيلَ إِنَّ سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَ لَا أُعَلِّمُهُ النَّاسَ؟؟ قَالَ: لَا يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ!! يَتْرُكُونَ الصَّلَاةَ وَيَرْكَبُونَ الْفَوَاحِشَ وَيُغْفَرُ لَهُمْ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِمْ وَجِيرَانِهِمْ وَمَنْ فِي مَسْجِدِهِمْ وَلِأَهْلِ مَدِينَتِهِمْ إِذَا دَعَوْهُ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ!!** ".

أي أن ثواب هذا الدعاء عظيم وسريع وخارق إلى درجة أنه لا يضمن غفران ذنب قارئه – الذي من جملة ذنوبه ترك الصلاة وارتكاب الزنا حتى بأمِّه – فحسب، بل كل الناس الساكنين في مدينة ذلك الداعي ستُغْفَرُ ذنوبُهم أيضًا!!!

فماذا تريد من حديث أفضل من ذلك؟ ناقلٌ مثل السيد ابن طاووس وراوٍ مثل أمير

(١) وهو في ج ٩١، ص ٤٠٢ - ٤٠٤ في الطبعة الجديدة للبحار (المُنَقِّح)

المؤمنين (علي) وقائل مثل النبي ﷺ – حاشاهما ذلك -؟! وبهذا تم خير الدنيا والآخرة!! فمن لم يعجِبْه فلينطح رأسه بالحائط!

٥- ومن الأحاديث الأخرى المعادية للقرآن والموجودة بكثرة في الكتب المعتبرة حديثٌ آخر في كتاب «**مهج الدعوات**» للسيد ابن طاووس–حسب ما نقله عنه المجلسي في بحار الأنوار (ج ١٩، ص٢٩٦) – يقول:

"**وَمِنْ ذَلِكَ دُعَاءٌ جَامِعٌ لِمَوْلَانَا وَمُقْتَدَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام رَوَيْنَاهُ بِإِسْنَادِنَا إِلَى سَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ فِي كِتَابِهِ كِتَابِ فَضْلِ الدُّعَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ يَزِيدَ يَرْفَعُهُ قَالَ قَالَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ يَقُولُ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا عَلِيُّ! لَوْ دَعَا دَاعٍ بِهَذَا الدُّعَاءِ عَلَى صَفَائِحِ الْحَدِيدِ لَذَابَتْ. وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَوْ دَعَا دَاعٍ بِهَذَا الدُّعَاءِ عَلَى مَاءٍ جَارٍ لَسَكَنَ حَتَّى يَمُرَّ عَلَيْهِ......**

(إلى أن يقول): **وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا إِنَّهُ لَوْ دَعَا بِهِ دَاعٍ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً مِنْ لَيَالِي الْجُمَعِ غَفَرَ اللهُ لَهُ كُلَّ ذَنْبٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْآدَمِيِّينَ وَلَوْ كَانَ فَجَرَ بِأُمِّهِ غَفَرَ اللهُ لَهُ ذَلِكَ!!**[1]

(ثم يقول): **وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا إِنَّهُ مَنْ دَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ عَلَى سُلْطَانٍ جَائِرٍ جَعَلَ اللهُ ذَلِكَ السُّلْطَانَ طَوْعَ يَدَيْهِ وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا إِنَّهُ مَنْ نَامَ وَهُوَ يَدْعُو بِهِ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ أَلْفَ أَلْفِ مَلَكٍ مِنَ الرُّوحَانِيِّينَ وُجُوهُهُمْ أَحْسَنُ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ بِسَبْعِينَ ضِعْفًا يَسْتَغْفِرُونَ اللهَ يَكْتُبُونَ لَهُ الْحَسَنَاتِ وَيَرْفَعُونَ لَهُ الدَّرَجَاتِ.**

قَالَ سَلْمَانُ: فَقُلْتُ لَهُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَيُعْطَى بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ كُلَّ هَذَا؟؟ فَقَالَ: قُلْتُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ! أَيُعْطَى الدَّاعِي بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ كُلَّ هَذَا؟؟ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ أُخْبِرُكَ بِأَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ مَنْ نَامَ وَقَدِ ارْتَكَبَ الْكَبَائِرَ كُلَّهَا وَقَدْ دَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ فَإِنْ مَاتَ فَهُوَ عِنْدَ اللهِ شَهِيدٌ وَإِنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ تَوْبَةٍ يَغْفِرُ اللهُ لَهُ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِوُلْدِهِ وَلِمُؤَذِّنِ مَسْجِدِهِ وَلِإِمَامِهِ بِعَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ!! يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ وَصَادِقٌ لَا

(١) السيد ابن طاووس، **مهج الدعوات**، الطبعة الجديدة، نشر كتابخانه سنائي، ص ١٣٧-١٣٩.

يَكْذِبُ وَقَاهِرٌ لَا يُقْهَرُ وَبَدِيءٌ لَا يَنْفَدُ... الخ "[١].

هذه هي بعض الأدعية الموجودة في كتبنا الموثقة!! التي حرّرها أعلام كبار أمثال **الشيخ الصدوق والعلامة الحلي والسيد ابن طاووس** وأمثالهم! وهذه الأدعية تحتاج إلى استعداد خاص للزنا بالمحارم لكي يستفيد قارئها منها بشكل جيد ويستخدمها وسيلة لغفران ذنوبه!! وعندئذ له أن يرتكب ما يشاء من الذنوب وأن ينال شهوته من كل امرأة لأنه ليس هناك زنا أقبح من الزنا بالأم ورغم ذلك فإن هذا الحديث الملفَّق يعتبر هذا الدعاء سببًا لغفران حتى من يرتكب الفجور بأمه!! فأي ذنب بعد ذلك يستطيع أن يقف أمام قوَّة الغفران الهائلة التي يملكها ذلك الدعاء ويقاومها؟!

أجل هذه هي بركات بعض الأحاديث الموضوعة في كتبنا الموثقة!! وفي مثل هذه الكتب بالذات ورد أن ثواب زيارة قبر لإمامٍ يعادل تسعين حجة مع رسول الله ﷺ وأكثر من مليون حجة مع غيره!!

يقول بعض مخالفينا الذينَ أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ البِدَعَ ممن لا حجة لديهم عندما نواجههم بمثل هذه الانتقادات لكتبنا وأخبارنا: ما الذي يدعوك إلى البحث والتفتيش ونبش مثل هذه النوادر الغريبة والضعيفة التي لا يعرفها أحد، ولا يأبه بها أحد، وتكبيرها وإظهارها أمام الأعين؟!

فأقول في الإجابة عن ذلك:

أولاً: إن ما أتينا به من هذه الروايات الملفَّقة البدعية الهادمة للسنن ليس نوادر غريبة بل يوجد مثلها الكثير وهي في متناول كل يد.

ثانيًا: وحتى لو فرضنا أنها روايات نادرة -رغم أن الكتب مملوءة بمثلها- أليست رواية واحدة من هذا النمط كافية لزلزلة أركان الدين وهدم بنيان الشريعة؟!

عندما ينال الإنسان، بمجرد قراءة دعاء مسند ومختصر، غفرانَ جميع ذنوبه حتى دون

---

(١) المصدر نفسه. وهو في ج ٩٢، ص ٣٨٨ - ٣٩٠ من الطبعة الجديدة لبحار الأنوار. (المُنَقِّح)

توبة ويملك الجنان والحور والقصور، وعندما ينال أجرَ تسعين حجة مع رسول الله ﷺ بمجرد قراءة نص زيارة أمام قبر إمام، وعندما يطفئ غضبَ الله عليه بقطرة دمع يذرفها في مأتم الحسين! فهل يبقى أثرٌ لكل آيات الوعيد في القرآن الكريم التي تزيد على ألف آية؟ وهل يبقى في المجتمع الذي يؤمن بمثل تلك الروايات أي إنسانية وتدين؟! إن العيان يغني عن الكلام! أجل إنَّ مثقالاً من السم كافٍ لتلويث نهر بأكمله وتسميم آلاف الأشخاص وقتلهم.

والأخطر من كل ذلك هو الألفاظ الشركية الواردة في أمثال تلك الأدعية الكاذبة ونصوص الزيارات الملفقة مثل جملة "**يَا عَيْنَ اللهِ النَّاظِرَةَ وَيَدَهُ الْبَاسِطَةَ وَأُذُنَهُ الْوَاعِيَةَ**... " في مخاطبة أمير المؤمنين علي عليه السلام! والتي جعلت أحد آيات الله العظمى في زماننا (!) يُثبت بواسطتها الولاية التكوينية وعلم الغيب، الذي لا يعزب عن صاحبه مثقال ذرة، للأئمة!! ويستدلّ بجملة: "**وَإِيَابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ وَحِسَابُهُمْ عَلَيْكُم** " الواردة في «**الزيارة الجامعة الكبيرة**» على أن جميع شيعة الأئمَّة معفوٌ عنهم ومغفورةٌ ذنوبهم كلُّها، وليس هذا فحسب بل إنهم يملكون الشفاعة لجميع خلق العالم!! وبهذه الجملة من متن تلك الزيارة يُقضى على عشرات آيات الوعيد والإنذار بأسوأ العذاب يوم القيامة للمجرمين والأشرار التي تهتز لها الجبال وتتفتت من خشيتها الأكباد!!

ألا يجب على كل عاقل أن يسأل: كيف يمكن أن يأتي رسولُ الله ﷺ بكل آيات الوعيد والإنذار والتخويف التي تسلب الأمن من عذاب الله من كل مَن يقرؤها من جهة ثم في الوقت ذاته يرشد إلى قراءة دعاء من عدة أسطر أو إلى القيام بزيارة قبر وقراءة دعاء ونص زيارة عنده لكي تغفر كل الذنوب وينال القارئ آلاف الحور العين والقصور وآلاف آلاف الحسنات والثواب!! أليس هذا هو التناقض بعينه؟ وإن لم يكن هذا تناقضًا فما هو الناقض إذن؟ لعلَّ تأمّل القارئ المنصف في هذه الرسالة التي نحررها يهديه إلى حقيقة ما نقول!

كما ذكرنا سابقًا كانت الغاية من وضع الأحاديث وتلفيق الأخبار منذ البدء تحقيق أهداف سياسية من جهة ومعاداة الحقائق الدينية والتعاليم الإسلامية من الجهة الأخرى وهو

ما شرحناه في كتابنا «**ارمغان آسمان**» (أي هدية السماء)[1]، ونضيف هنا أن الروايات الملفقة في موضوع المجازفات العجيبة في ثواب الدعاء والزيارة والمحبة والولاية إنما وضعت -قطعًا- لتقضي على خوف المسلمين وخشيتهم من ارتكاب المعاصي وبالتالي إضعاف أحكام الدين وإلا فليس لتلك الأدعية ذلك الأثر ولا لتلك الزيارات ذلك الثمر وكما ذكرنا سابقًا ليس لزيارة الأموات في شريعة حضرة خير البريات كل تلك البركات المدَّعاة!

هنا ثمَّة سؤالٌ يطرح نفسه ويقول: إن مسألة ثواب الزيارة ليست منحصرة بفرقة الشيعة بل يمكننا أن نجد في كتب أهل السنة أيضًا أحاديث في هذا الباب. من ذلك ما نجده في كتاب «**وفاء الوفا**» للسمهودي الذي ذكر فيه تاريخ قبر رسول الله ﷺ ويُمكننا أن نُدرك أنه حتى مدة قرن بعد رحيل رسول الله ﷺ لم يكن هناك أي خبر ولا أيّ أثر لزيارة قبر النبيّ الكريم ﷺ بين المسلمين من الصحابة والتابعين، ومع ذلك نجد السمهودي يذكر حوالي سبعة عشر حديثًا في فضل زيارة قبر النبيّ ﷺ من طرق السنة، إضافة إلى ثلاثة وثلاثين حديثًا في هذا الأمر من طرق الشيعة!!

وبالطبع بعض تلك الأحاديث مكررة من حيث المتن أو السند بحيث يمكن أن نرجعها جميعها إلى حديثين فقط!! أوردهما البيهقي في **السنن الكبرى** (ج٥، ص٢٤٥) أحدهما في سنده **مجهول** والآخر **ضعيف!!**

تسعة من الأحاديث السبعة عشر التي أوردها السمهودي مسندة إلى «ابن عمر» والظاهر أن هذا الاستناد يعود إلى أنه من بين أصحاب رسول الله ﷺ كان من عادة عبد الله بن عمر وحده أن يذهب عند عودته من كل سفر إلى باب المنزل الذي فيه قبر رسول الله ﷺ وقبر أبي بكر وقبر أبيه فيلقي عليهم السلام! لذا استند واضعو الحديث إلى عمله فلفَّقوا عليه هذا الحديث وأسندوه إليه! ولو دققنا في أسانيد تلك الروايات لوجدنا أكثر رواتها **مجاهيل!** وأحد العجائب في هذه الأحاديث أننا نشاهد في أغلبها جملة: "**من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في**

---

(١) راجعوا كتاب «**أرمغان آسمان**» ص ١٧٣، انتشر هذا الكتاب قبل بضع وعشرين سنة، وهو بحاجة إلى تصحيح وتهذيب وتغيير بعض الأمور فيه.

حياتي "!! وهذه العبارة بالذات دليل على عدم صحة تلك الأحاديث، لأن كل إنسان منطقي وعاقل، وحتى من يريد أن يعتمد على مضمون تلك الأحاديث، يدرك أن الحياة أفضل من الممات، هذا من جهة ثم من الجهة الأخرى علينا أن نرى هل نال الذين زاروا رسول الله ﷺ أثناء حياته الشريفة ولكنهم لم يعملوا بتعاليمه أيّ فضيلة وثواب يناله من يزوره ﷺ بعد موته! لاسيما أن الحديث يبدأ بكلمة «**من**» التي تفيد العموم وتشمل بعمومها كلَّ من يزور قبره أيًّا كانت أعماله! وبالتالي يشمل الحديث كل من زاره زمن حياته ﷺ من الكفار والمنافقين وممن بدّلوا وغيروا ولم يتبعوا السابقين من المسلمين بإحسان، أي الذين لم يكن لهم أي فضيلة في زيارته وليس هذا فحسب بل على العكس كانت تلك الزيارة حجةً عليهم وسببًا لخسرانهم يوم القيامة، فكذلك بالنسبة للمؤمنين لا تُكْسِبُ الزيارةُ وحدَها الزائر فضلاً بل ما يوجب السعادة والنجاة له هو إتباع النبيّ والتأسي به في أعماله الصالحة! ولهذا نجد أن أويس القرني الذي لم ير حضرة النبي ﷺ ولم يزُرْهُ في حياته قد نال -كما هو مشهور- ثناء النبي ومديحه[١] إلى درجة أنه ﷺ قال في حقِّه: "**إني أجد نَفَسَ الرَّحمنِ مِنْ جَانِبِ اليَمَنِ** "[٢] في حين أن عبد الله بن أبيّ بن سلول (زعيم المنافقين) الذي رأى رسول الله ﷺ مرارًا وزاره، لم ينله إلا اللعن مِنْ قِبَلِ الله ورسولِه.

إن من المسلَّم به إلى درجة القطع واليقين أن أيًّا من تلك الأحاديث سواء كانت خمسين

---

(١) كما روى مسلم في صحيحه كتاب الفضائل، باب من فضائل أويس القرني ، بسنده عن النبي: "**إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ وَلَهُ وَالِدَةٌ وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ**". (تر).

(٢) ابن أبي جمهور الإحسائي، عوالي اللآلي، قم، انتشارات سيد الشهداء، ط ١، ١٤٠٥هـ، [٤ أجزاء]، ج ١، ص ٥١، و ج ٤، ص ٩٧. والحديث رُوي من طريق أهل السنة في مسند أحمد بن حنبل: "وَأَجِدُ نَفَسَ رَبِّكُمْ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ"، وذكر الحافظ العراقي في تخريجه أحاديث الإحياء للغزالي أن رواته ثقات. وروى الطبراني في المعجم الكبير بسنده عن سَلَمَةَ بن نُفَيْلٍ السَّكُونِيّ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ مُوَلٍّ ظَهْرَهُ إِلَى الْيَمَنِ: "**إِنِّي أَجِدُ نَفَسَ الرَّحْمَنِ مِنْ هَهُنَا**" وذكر الغزالي في الإحياء أن المقصود بذلك: أويس القرني. (المُنَقِّح)

حديثًا أو حديثين، لم تصدر عن نبي الله ﷺ، وإلا لو سمع الناس واحدًا فقط من تلك الأحاديث في زمن حياته ﷺ لأصبح مكان دفنه منذ أول يوم مزارًا يتردد إليه كل الصحابة! لا أن يبقى القبر في غرفة يعلوها الغبار ويُكْتَشَف في زاوية من زواياها، بعد قرنٍ، قماشةُ رحل جمل مهترئة، وفي الزاوية الأخرى إناء خالٍ يعلوه الغبار! وأثر قدم عمر على التراب المجاور للقبر!

هذا إضافةً إلى أن الإسلام -كما مرَّ- نهى في بدء أمره عن التردُّد إلى زيارة القبور ثم أمر بها للعبرة وتذكّر الموت، فإن كل الرواة الموجودين في أسانيد أحاديث فضائل الزيارات هم من الغلاة والضعفاء والمجاهيل. وسنقوم فيما يأتي ببيان حال حوالي أربعين نفر منهم كما جاء شرحها في كتب أئمة الرجال، وأنت أيها القارئ الكريم استنتج القصة المفصلة من هذا البيان المجمل!

إذن، هذه الأحاديث إن لم تكن لأجل تخريب الدين فهي ليست على أي حال لتقويته ولن تكون كذلك! وإذا تأمَّل القارئ الباحث عن الحقيقة بدقة فيما أوردناه في كتابنا المختصر هذا من ترجمة حال رجال تلك الأحاديث التي تجعل لزيارات القبور كل ذلك الثواب والأجر، ولاحظَ وضعَ رواتَها الذين أتحفونا بها، أدرك أن هذه الأحاديث ليست مقبولةً سندًا ولا معقولةً متنًا! بل هي أكاذيب من نسج خيال حفنة من الغلاة والجهلة إن لم يكونوا أعداء الإسلام فإنهم على أقل تقدير من أجهل الناس بحقائقه وأبعدهم عن الاهتمام بتعاليمه الحقة: ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ [النور: ٤٠].

أضرار أحاديث الزيارة وخصومتها لآيات القرآن

إن الحديث الشريف والسنة النبوية أصلٌ من أصول الإسلام لا غنى عنه لفهم أحكام الشريعة الإسلامية وسنَّة النبيّ ﷺ ومعرفة تفصيل مجملات آيات القرآن الكريم! غير أن الأحاديث الدخيلة والمكذوبة التي تسلَّلت من خلال الأحاديث الصحيحة أحدثت أضرارًا جسيمةً بأحكام القرآن، ووجهت ضربةً شديدة لأوامر الشريعة ونواهيها وسنشير إشارات مجملة لبعضها!

ولا يقتصر ضرر الأحاديث الموضوعة والأكاذيب الملفَّقة على الوعود المجازفة بثواب لا حدّ له ولا حساب على زيارة القبور والأدعية وحضور مآتم آل البيت وأمثالها، مما يفقد القوى المحركة للدين والشريعة أثرها، بل يحول الإنسان -على العكس- إلى حيوان بل ما إلى هو أسوأ بمئات المرات، أقول لا تنحصر أضرار الأحاديث الملفَّقة بهذا الأمر فحسب، بل كان لها أضرار من نواحٍ أخرى إذْ وجّهت إلى جسد حقائق الإسلام ضربات مهلكة!

فمثلاً الصلاة، التي تُعَدُّ عمود الدين وركن الإسلام الهامّ، أخذت في بعض الأحاديث شكلاً مختلفًا تمامًا!! والزكاة التي ما شُرِعَتْ إلا لتأمين معيشة الفقراء وسبع فئات أخرى من المحتاجين إلى المال في المجتمع، أي أنها شُرعت في الحقيقة لتأمين ميزانية بلاد الإسلام، تم حصرها بواسطة بضعة روايات موضوعة وغير معقولة بتسعة أصنافٍ هي الأنعام الثلاثة الإبل والبقر والغنم بشرط أن تكون سائمة غير معلوفة، وبالذهب والفضة المسكوكَيْن، وبالغلّات الأربعة البر والشعير والتمر والزبيب بعد توفر شروط خاصة فيها، الأمر الذي أفقد الزكاة في هذا الزمن كل أهمية وأصبحت بلا أثر تقريبًا! وكذلك روّجت تلك الأحاديث الدخيلة في أوساط الشيعة لقضية «**الخمس**» مع أنه ليس لمثل هذا الحكم أثرٌ عن الله ورسوله

ولا في عمل مسلمي صدر الإسلام!![1]

كذلك يتم -استنادًا لمجموعة من الأحاديث المخْتَلَقَة الموضوعة- صرفُ أموالٍ وفيرةٍ واستهلاكُ أملاكٍ كثيرةٍ على بناء الأضرحة المفضضة والقباب المطلية بالذهب على قبور الأئمَّة، وحسب إقرار محاسبي الأوقاف في بلادنا فإن ربع أراضي وأملاك إيران مكرسةٌ لتعمير وتزيين تلك المقابر والمشاهد التي صارت أشبه بقصور السلاطين الجبابرة وفراعنة الزمان، حتى أصبحنا نرى في كل مدينة وقرية صغيرة قبورًا وأضرحةً فخمةً ذات أبّهة وجلال وأوقافًا كثيرةً تابعةً لها. وفرضوا بقوة تلك الأحاديث عددًا من الكسالى والطفيلين تحت اسم السادات (أي الأشراف) والعلماء على رقاب المسلمين إلى الحد الذي أصبح فيه لكلِّ فرد معمَّمٍ قليل الاطّلاع في زماننا -باسم الولاية- الحق في التصرُّف بشؤون المسلمين بل بجميع أقوام الدنيا! حتى أصبحنا نخشى أن يُصبح اسم الإسلام -لا سمح الله- مكروهًا ومنفورًا في أنحاء العالم!

إن هذه الأضرار المؤذية للأحاديث الموضوعة ومئات مثلها تُضاف إلى أضرار إيجاد الغلو والإفراط بحق الأئمَّة عليهم السلام، الذين كانوا من أكثر عباد الله تواضعًا، فجعلتهم بعض الروايات الكاذبة سادة عالم الوجود والمتصرفين في الكون وأندادًا وشركاء لرب العالمين!! **تَعَالَى اللهُ عَمَّا يقول المشركون.**

لا يخفى أننا لا ننكر أصل الحديث ولا نعارضه بل على العكس -كما قلنا في بداية البحث- نعتبر الحديث ضروريًّا لفهم أوامر الشريعة ونواهيها وتفصيل مجملات القرآن، غير أنه لابُدّ أن يكون الحديث مؤيِّدًا للقرآنَ ومتوافقًا معه -كما أرْشَدَنَا إلى ذلك الأئمَّة عليهم السلام- لا الأحاديث التي تنسخ القرآن وتنقض تعاليمه!

فمثلاً الأحاديث التي تعطي الثواب العظيم الذي لا يُصَدَّق[2] لمن يقوم بزيارة القبور

---

(١) وقد أَلَّفْتُ في موضوع الزكاة والخمس كتابًا من مجلدين عنوانه «**حقائق عريان در اقتصاد قرآن**» (الحقائق المكشوفة في اقتصاد القرآن).

(٢) يعتقد علماء «**دراية الحديث**» أن من علامات وضع الحديث أن يُعطي للعمل الحقير والضئيل ثوابات

تخالف القرآن إما صراحةً أو كنايةً لأن القرآن الذي يقول: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣﴾ [التكاثر: ١-٣] يعتبر زيارة المقابر لأجل التكاثر والتفاخر أمرًا مكروهًا بل ممنوعًا، من هنا نهى رسول الله ﷺ في بداية دعوته عن زيارة القبور فقال: "**إني نهيتكم عن زيارة القبور** "، ثم استثنى من هذا النهي الزيارة التي تهدف إلى أخذ العبرة وتذكّر الموت فما كان لغير هذا القصد لم يُستثنَ من النهي، ومن الواضح تمامًا أن لا أحد يتذكّر الموت والآخرة مشاهدة المشاهد والمقابر الفخمة المُجلّلة التي يُنافس بعضها في جلاله وفخامته قبور الفراعنة والأكاسرة بل مشاهدة هذه القبور تُقوي حبّ الدنيا وزخارفها في نفس الإنسان أضعافًا مضاعفة! كما تُشجّع مشاهدة هذه القباب والمنارات والأضرحة والإيوانات المزينة والمزخرفة المترفين والمسرفين والأثرياء، الذين يرون هذه الزخارف والزينات في مزارات الأولياء على أن يُزينوا قبورهم أنفسهم أيضًا بأنواع الزينات والبسط (السجاجيد) والمصابيح المضيئة والأبنية المرتفعة كي يُجدّد أولادهم وأحفادهم ذلك التفاخر والتكاثر الجاهلي على مقابرهم، إضافة إلى آلاف المفاسد والتبعات المضرة الأخرى التي تستتبعها مثل هذه الأعمال!

هذا علاوة على أن تلك الوعود الموجبة للغرور بإعطاء درجات خيالية من الثواب على الزيارة أو على قراءة دعاء أو على البكاء أو التباكي في مآتم الأئمَّة التي تبلغ أحيانًا منزلةً لا يصلها مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ!! من شأنها أن تُضْعِفَ تأثير آيات الوعيد والبشارة والإنذار في القرآن الكريم أكثر مما تفعله جنود أبي جهل وإبليس!

ويعلم الله السميع البصير -وكفى بالله شهيدًا- أن كاتب هذه السطور لا هدف له من تأليف هذه الأبحاث ونشرها سوى إزالة غبار الأوهام والأكاذيب عن الوجه المنوَّر لدين الإسلام، وقد صرفتُ لأجل هذه الغاية السامية أيَّام عمري وتحملتُ في هذا السبيل الآلام والتُّهَم إلى الحدّ الذي تعرَّضْتُ فيه لمحاولة القتل، وأنا على يقين أنه حتى بعد موتي سيلعنني كثير من خاصة الناس وعامتهم ويسبونني ليل نهار! ولكنني لمّا كنت أسعى إلى هذا الهدف

عظيمة وكبيرة جدًّا أو عقابًا شديدًا لا يتناسب مع العمل.

إرضاءً لِلَّهِ تعالى العليم ذي الجلال والإكرام معتبرًا هذا العمل جهادًا لنصرة الحق وإعلاء راية الإسلام فإنني أتحمل كل مشقة ومصيبة وأحتسب أجرها عند الله وأعتبره أفضل من أجر المجاهدين بسيوفهم في سبيل الله!

وهنا لابد من ذكر نقطة وهي أن بعض أنصار الزيارة عندما تُعييهم الحجج يقولون: لِنَفْرِضَ أن زيارة قبور الأولياء والأئمَّة ليس لها كلُّ ذلك الثواب فعلاً، ولم يأمر بها الشارع، إلا أن تلك المشاهد والأضرحة ليست بأقل أهمية من نصب الجندي المجهول الذي يوجد في كل بلدان العالم المتمدِّنة وينال احترام الناس ويزوره الوافدون والقادمون والكبار والرؤساء!!

فأقول: رغم أن هناك تفاوتًا وتضادًّا واضحًا بين الأمرين إلا أننا نقول مع ذلك أننا **لا نُنكر أصل زيارة القبور بل نرى أن لها فوائد وفضائل** أكثر من زيارة الجندي المجهول ولكننا نرى أنها يجب أن تتم ضمن الشروط والضوابط التالية:

أولاً- يجب إزالة كل تلك الأحاديث الملفَّقة والروايات الموضوعة حول الزيارات والمجازفات والمبالغات في أجرها وثوابها، فلا ننسبها إلى الشريعة، ولا نرتب أثرًا عليها، فلا نعظِّم القبور ذلك التعظيم، ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن به الله، ولا نبذر الأموال في أعمال لا طائل تحتها.

ثانيًا- أن نكتفي بزيارة واحد أو اثنين من قبور أئمة الدين التي اشتهر أصحابها بالفضائل والمناقب والمآثر في حياتهم، لا أن نوجد في صقع وبلدة مزارًا وضريحًا.

ثالثًا- أن نُجَنِّبَ القبورَ كلَّ تلك الزخارف والزينات وصرف الأموال ونطهرها من الممارسات الشركية مثل تقديم النذور وطلب الحوائج، حتى لا نقع في ورطة الشرك والعياذ بالله.

رابعًا- والأهم من كل ما سبق أن نعقد اجتماعات في كل سنة أو في المناسبات الخاصة، يجتمع فيها الناس لسماع الخطب التي تذكر بمناقب ذلك الشخص الذي يُزار قبره وتُقدَّم تضحياته الموثَّقة تاريخيًّا، وذلك لتشجيع الناس وحملهم على التأسِّي به في التضحية في سبيل

إعلاء راية الحق والدين.

ومن البديهي أننا لو قمنا بالأمور المذكورة فإننا سنجني فوائد ونتائج إيجابية أكثر مما يذكره دعاة الزيارات البدعية[١]. وهذا أمرٌ قمنا به قبل ثلاثين عامًا ونيّف في كربلاء في الصحن الحسيني المطهر، حيث اقترحنا تلك الأمور التي أجملناها في رسالتنا المختصرة هذه[٢].

إلى هنا نتهي من هذه الأبحاث التمهيدية وننتقل إلى متن الكتاب الذي ألفته قبل بضع سنين ردًا على كتاب «**أُمراءِ هستي**» (أي أمراء الكون) الذي ألفه أحد آيات الله العظمى!!! في «قُم» ورغم أنني استطعت حتى الآن أن أطبع وأنشر بشكل سري بعضًا من الأبحاث الخمس لهذا الكتاب[٣] إلا أن نشر بَحْثَيْ الولاية والزيارة تأخر بسبب فقدان الوسائل والقدرة

١- إن الشروط والضوابط التي ذكرها المؤلف رحمه الله في الاجتماع السنوي أو الموسمي حول قبور الصالحين وخاصة الشرط الثاني والرابع منها، فإنهما لا تخلوان عن إشكال؛ لأنه عمل يتعارض مع ما كان عليه السلف الصالح. لو كان في مثل هذا العمل خيرًا وفائدة لقام به رسول الله ﷺ وصحابته والخلفاء الراشدون من بعده والتابعون والأئمة وأمروا الناس ورغّبوهم بالعمل به، ولكنه لم يثبت عنهم أبدًا. فتبين أنه لا خير فيه ولا فائدة من ورائه، لو كان خيرًا لسبقونا إليه.

ثانيًا: إن هذا العمل نفسه من الأسباب والذرائع التي تؤدي إلى البدع والخرافات والشرك لأننا لو دققنا النظر في أصل نشأة الشرك والخرافات والبدع الموجودة عند أضرحة الأنبياء والأئمة والصالحين لتبين لنا أن أصل كل هذه البدع والشركيات والخرافات هو إقامة مثل هذه الاجتماعات العظيمة بنية حسنة كبيان فضائل هؤلاء الصالحين ومناقبهم ليقتدي بهم الناس، ولكنه بالتدريج وفقدان الوعي الإسلامي وعدم مراعاة الضوابط الشرعية تحوّلت تلك الأضرحة والمقامات إلى منابع الشرك والبدع والخرافات. لذلك، فإن زيارة القبور -كما ذكره المؤلف رحمه الله مرارًا وتكرارًا في هذا الكتاب- ينبغي أن تكون موافقة لسنة رسولنا الكريم ﷺ، وليكن الهدف منها تذكر الموت والآخرة، كما قال الحبيب صلوات ربي وسلامه عليه: «... زُورُوا الْقُبُورَ، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الْآخِرَةَ». [رواه ابن ماجه في سننه، واللفظ له، ومسلم في صحيحه وأبو داود في سننه وأحمد في مسنده وغيرهم بألفاظ مختلفة]. (المُصحح)

(٢) راجعوا فقرة «خطبة المؤلف في الصحن الحسيني المطهر» في هذا الكتاب.

(٣) الأبحاث التي نشرتها هي: بحث علم الغيب، وبحث الشفاعة، وبحث الغلو والغلاة.

على طباعتهما وفقدان الأمن بالإضافة إلى موانع أخرى. فإليكم الآن بحث «**الزيارة**» بأسلوب المباحث السابقة ذاته نضعه بحول الله وقوته بين يدي طلاب الحق **وما توفيقي إلا بالله**.

❁❁❁

ضعف روايات زيارة القبور في ضوء كتب علم الرجال

لا ريب إنه لما اتصل المسلمون بأتباع الملل والأديان المخالفة من اليهود والنصارى والمجوس والبوذيين والأقباط، ورأوا في ديارهم مقابر قديسيهم أو ملوكهم وأمرائهم كقبر «كورش» و«داريوش» وأمثالها في إيران مثلاً، تأثروا بهذا الأمر وبدأوا ببناء المشاهد والمزارات على قبور أئمتهم وصالحيهم منذ العهد العباسي وبدأت قوافل الزوار تشدّ رحالها من الشرق والغرب لزيارة تلك المزارات والمشاهد التي أقيمت على قبور بعض الصالحين والأولياء. ويومًا بعد يوم كانت تزداد زينات وفخامة تلك المشاهد والأضرحة وتبنى عليها القباب الطينية ثم الآجرية ثم المطلية بالفضة ثم الذهبية! وتكاثرت القباب في كل حدب وصوب وظهر الرواة الوضّاعون في الشرق والغرب وشرعوا في وضع الأخبار وفي الواقع شرعوا في إضعاف أحكام الشرع الأنور التي فيها حياة الناس وتحقيق مصالحهم الدنيوية والآخروية، وامتلأت كتب الحديث والأخبار بالوعود المجازفة المبالغ بها على ثواب الزيارة إلى الحدّ الذي أصبحت فيه زيارة قبر من القبور تعادل عددًا من الحجات والعمرات وأخيرًا أصبحت تعادل مئة ألف حجة مع رسول الله ﷺ، ومئة ألف عمرة بل حتى مئة ألف غزوة مع النبي ﷺ أو مع إمام عادل... بل أكثر من ذلك !!

وأيًّا كانت علة وضع تلك الأحاديث واختلاقها فإن كل عاقل حصيفٍ يُمكنه أن يستنتج من حال معظم رواة تلك الروايات الملفقة والأكاذيب الموضوعة الذين هم جميعًا من الغلاة والمفسدين والفسقة الكذابين أن غايتهم وهدفهم من وضع تلك الروايات ليس سوى إضعاف بنيان الشريعة وتمييع أحكامها والاستهزاء بكتاب الله تعالى، ولكي تزول من نفوس المصدّقين بتلك الروايات المُختَلَقَة روح الخوف والخشية من الوقوع في المعاصي أو الخوف من التقصير في العبادات، بل يتعاظم بأنفسهم الغرور بأن أداء تلك الزيارات أو قراءة بعض تلك

الأدعية عند القبور سيراكم لصالحهم مقدارًا هائلاً من الحسنات والطاعات تكفيهم يوم القيامة حتى ولو خاضوا في بعض المعاصي وارتكبوا الفسق والفجور وأضاعوا أوقاتهم وأوقات جيلهم فيما لا طائل تحته، وبدلاً من الإقبال نحو المبرّات والخيرات وبذل المال في وجوه الإحسان والجهاد بالنفس والمال في سبيل الله احتسابًا للأجر عند الله يوم الميعاد، خاصة أن الجهاد في سبيل الله وسيلة حاسمة للحفاظ على حياض بلاد الإسلام وتأمين رقيّها وتقدمها وعظمة الإسلام، بدلاً من ذلك يتجه الناس إلى أعمال لا فائدة منها وإن لم تأتِهم بالذل والمصائب لا جرم أنها لا تأتيهم بالعزة والمَنَعة، ولا تصنع لهم تَقَدُّمًا ولا رُقِيًّا.

ولعل الغرض الآخر من وضع وتلفيق تلك الروايات هو ما يقوله بعض مخالفي الشيعة من أن بعض سلاطين الشيعة وملوكهم أرادوا من خلال تلك الروايات التخفيف من أهمية حج بيت الله، تلك العبادة التي تُعَدُّ أفضل وأهم وسيلة لتلاقي المسلمين واتحادهم وترابطهم، وصرف الناس عنها حتى المقدور!

وأيًّا كانت أغراض وأهداف حركة وضع تلك الروايات فإنها أدَّت دورها للأسف وحقّقت غرضها على أحسن وجه حتى أصبح أكبر أمل وأهم عمل للمسلمين المنتسبين للتشيّع في يومنا هو أن يحالفهم التوفيق لزيارة قبر إمام من أئمة آل البيت عليهم السلام أو المشاركة في مأتمه ومجلس عزائه!

ومن الواضح تمامًا أن مثل هذه الأعمال لا تفيد هذا الشعب ولا ينتج عنها سوى الغرور والجهل والفقر والحاجة! ولم تزد على معارف هذه الطائفة وعقائدها سوى عبارات كفرية ومغالية في حق الأئمَّة مثل: **"يَا عَيْنَ اللهِ النَّاظِرَةَ وَيَدَهُ الْبَاسِطَةَ!"** أو جملة: **"وَإِيَابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ وَحِسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ!"**[1] وجعل الناس يرددونها ليلاً نهارًا في المشاهد المتبرَّكَة!

وسيرى القرّاء الكرام أن معظم بل كل تلك الأخبار والروايات التي تعطي كل ذلك

---

(١) قارن هذه العبارة بقوله تعالى: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٥٢] وقوله تعالى: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الشعراء: ١١٣] أو بالنسبة للجملة الأخيرة قارن مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦].

الثواب وتشجّع على الزيارات والتي جمعها رواة الشيعة ومحدثوهم وعلماؤهم في كتب الأخبار، إنما وضعها ولفّقها رواةٌ مغالون وكذابون وأعداء لدنيا المسلمين وآخرتهم. والأمر المحير هو قيام كثيرٍ من جامعي كتب الحديث الذين هم أنفسهم من أئمة علم الرجال، بإدراج تلك الروايات في كتبهم؟! فمثلاً **الشيخ الطوسي** (ره) الذي ألف نفسه كتابَين في علم الرجال وبيّن حال كثير من رواة تلك الأحاديث بأوصاف من قبيل: غالٍ وكذاب وضعيف، رغم ذلك يروي في كتابه «**تهذيب الأحكام**» كثيرًا من أحاديث الزيارة عن أولئك الغلاة الكذابين أنفسهم!

أليس مثلهم في ذلك مثل الطبيب الذي يوصي باتخاذ إجراءات وقائية للحيلولة دون ابتلاء الناس بالأمراض ولكنه يقوم هو نفسه بنشر جراثيم هذه الأمراض!![1] نحن نعتقد أن أولئك العلماء الأفاضل أمثال الشيخ الطوسي وغيره لم يكن لهم قصدٌ سوى خدمة الشريعة، ولكن على أي حال يجب ألا نغفل عن ذلك الخطأ والغفلة التي وقعوا فيها.

لقد كتبنا هذه المباحث التمهيدية حول الزيارة قربةً إلى الله وطلبًا لمرضاته واستقبلنا كل ما نزل بنا من خسائر مادية وأضرار معنوية في هذا السبيل محتسبين ذلك جهادًا في سبيل الله، نريد أن نقدِّم هذه الأبحاث لطلاب الحق والباحثين عن الحقيقة كي يتأملوها بعقل نيِّر منفتح، وعين بصيرة، فإذا قبلها عقلهم ووجدانهم فأملي منهم أن يسعوا في نشرها وإشاعتها عسى أن ننقذ طلاب الحق من هذه الخرافات ونعود بهم إلى طريق الإسلام الصحيح الذي يكفل لهم سعادة الدنيا والآخرة، آملين أن يكرمنا الله بثواب هداية الخلق وأن نكون بذلك قد

---

(١) كان هناك مذهب شائع في الأمم البدائية القديمة هو مذهب الأرواحية ولا يزال لدى بعض القبائل البدائية، ويعتقد أصحابه أن أرواح رؤساء وزعماء القبيلة تسعد بزيارة أبناء قبيلتها وقيام الأحياء منهم بتقديم الثناء وأنواع القرابين لهم فيسعدون من وفاء أبناء قبيلتهم وإخلاصهم لهم، ولذلك لابد أن يذكروهم دائمًا ليستجلبوا رضاهم. كما أنه في الأساطير نصف التاريخية ينال بعض العظماء والأبطال قبل موتهم مراحل رفيعة من الكمال يصلون فيها إلى جانب من الألوهية (ملخص عن «**كتاب تاريخ جامع أديان**» (بالفارسية) ومن سائر كتب الملل والنحل).

أدّينا جزءًا بسيطًا من الدَّيْن الواجب علينا تجاه تلك الشريعة العظيمة التي أكرمنا الله بها والتي أمرنا – إضافة إلى إتباعها- أن نحافظ عليها ونحرسها قدر طاقتنا: **إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ**.

وفيما يلي سنذكر قائمةً من رواة أحاديث الزيارة الذين ذكرت أحاديثهم في كتب الشيعة المشهورة مثل («**الكافي**» و«**كامل الزيارات**» و«**من لا يحضره الفقيه**» و«**تهذيب الأحكام**») مرتَّبَةً على ترتيب حروف الهجاء ما عدا أفراد نوادر ليس في أحاديثهم مخالفة لأسس الدين أو لم يوجد يقين بصدور تلك الأحاديث عنهم:

أسماء الرواة

١- أحمد بن هلال

٢- بكر بن صالح

٣- جعفر بن محمد بن مالك

٤- الحسن بن عبد الله القمي

٥- الحسن بن علي بن أبي حمزة

٦- الحسن بن علي بن أبي عثمان

٧- الحسن بن علي بن زكريا

٨- الحسين بن عبد الله

٩- الحسين بن مختار

١٠- الحسين بن يزيد النخعي

١١- الخيبرى بن علي الطحان

١٢- داوود بن كثير الرقي

١٣- سلمة بن الخطاب

١٤- سهل بن زياد

١٥- سيف بن عميرة

١٦- صالح بن عقبة

١٧- عبد الرحمن بن كثير

١٨- عبد الله بن عبد الرحمن الأصم

١٩- عبد الله بن القاسم الحضرمي

٢٠- عبد الله بن ميمون القداح

٢١- عثمان بن عيسى

٢٢- علي بن حسان

٢٣- علي بن فضال

٢٤- عمرو بن ثابت

٢٥- قاسم بن يحيى

٢٦- محمد بن أرومة

٢٧- محمد بن أسلم

٢٨- محمد بن جمهور

٢٩- محمد بن الحسن بن شمعون

٣٠- محمد بن سليمان الديلمي

٣١- محمد بن سنان

٣٢- محمد بن صدقة

٣٣- محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني

٣٤- محمد بن فضيل

٣٥- محمد بن موسى الهمذاني

٣٦- المعلى بن محمد البصري

٣٧- المفضل بن صالح

٣٨- المفضل بن عمر

٣٩- موسى بن سعدان

٤٠- يونس بن ظبيان

٤١- موسى بن عمران النخعي

٤٢- سليمان بن عمرو النخعي❋

٤٣- صالح النيلي❋

٤٤- المنذر بن جارود❋ (١)

بعض هؤلاء الرواة روى حديثًا واحدًا في باب الزيارات وثوابها، في حين يصل عدد روايات بعضهم إلى عشرين حديثًا، وبعضهم روى أكثر من ذلك، وروايتهم كانت إمّا عن إمامٍ من أئمة أهل البيت -سلام الله عليهم- مباشرةً أي دون واسطة، أو عنهم بواسطة.

وفيما يلي نذكر حالهم واحدًا واحدًا حسب الترتيب الذي أوردناه، من كتب رجال

---

(١) ❋ ❋ ❋ أورد الأستاذ قلمداران أسماء آخر ثلاثة رواة (الذين وضعنا جانبهم علامة النجمة ❋) ضمن قائمة رواة أحاديث الزيارة ولكن سقط من قلمه التعريف بهم وبيان حالهم. أما الراويان الأولان فهما من معاصري الإمام الصادق عليه السلام، وفيما يلي بيان حالهما:

- «سليمان بن عمرو النخعي» ضعَّفَه جدًّا علماء الرجال، ولكثرة كذبه أطلقوا عليه لقب «**كذّاب النخع**»!

- «صالح بن الحكم النيلي الأحول» جاء تضعيفه أيضًا في الصفحة ١٥١ من رجال النجاشي.

- أما «المنذر بن جارود العبدي» فقال عنه المرحوم الممقاني في كتابه تنقيح المقال (ج٣، ص٢٤٨): "**وعلى كل حال لا شبهة في ضعف منذر**". (برقعي)

الشيعة الموثقة أعني كتب: «**النجاشي**» و«**الشيخ الطوسي**» و«**الغضائري**» و«**العلامة الحلي**» (ره)، ونضعها أمام القراء الطالبين للحقيقة مع ذكر بعض أحاديثهم التي رووها بشأن الزيارة وأنواع الثواب العظيم الذي جعلوه لها، حتى يرى كل منصف هل يمكن لمن يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر أن يثق بمثل هذه الأحاديث التي يرويها أمثال أولئك الرواة أو يستند إليها للقيام بعمل لم يأت عليه نصٌّ في كتاب الله ولا ذكرٌ في سنة رسول الله ﷺ؟! وهل يمكن أن يثبت من خلال بعض العبارات والفقرات الكفرية التي وردت فيها عقيدةً خطيرةً كالولاية التكوينية وتصرّف الأئمَّة في كل الموجودات، ويجعل بذلك من الأمة التي كانت من أرقى ملل العالم في فكرها وعقيدتها من أكثر أمم العالم انحطاطًا وذلاً في دينها ودنياها ببركة تلك الروايات المشؤومة؟!

فلنشرع إذن ببيان حال أولئك الرواة:

أول رجال أحاديث الزيارات حسب ترتيب حروف الهجاء هو:

١- **أحمد بن هلال العبرتائي**: وقد مر ذكره في متن الكتاب لذا سنكتفي بما ذكرناه ثمة[1].

٢- **بكر بن صالح الرازي**: وهذا أيضًا مَرَّ ذكره في متن الكتاب فنحيل القارئ إلى ما ذكرناه ثمَّة[2].

٣- **جعفر بن محمد بن مالك:**

أ) قال **ابن الغضائري** عنه كما جاء في «**مجمع الرجال**» **للقهپائي**[3] (ج٢، ص٤٢): "قال

(١) يُراجَع ما جاء عنه في آخر هذا الكتاب الحاضر.

(٢) سيأتي الكلام عنه لاحقًا في أواخر هذا الكتاب الحاضر.

(٣) القهپائي هو عناية الله (زكي الدين) بن علي (شرف الدين) بن محمود بن علي القهبائي النجفي (توفي بعد ١٠١٩ هـ ق): عالم بالتراجم وعلم الرجال، من أهل النجف، له كتب، من أشهرها «مجمع الرجال» جمع فيه ما ورد في الكتب الرجالية الإمامية الخمسة الأساسية (أي رجال الكشي ورجال وفهرست الطوسي ورجال النجاشي والضعفاء لابن الغضائري). (تر).

في «مجمع الرجال»: " (غض): **جعفر بن محمد بن مالك بن عيسى بن شابور، كذاب، متروك الحديث جملة، وكان في مذهبه ارتفاع ويروي عن الضعفاء والمجاهيل وكل عيوب الضعفاء مجتمعةٌ فيه!**".

ب- ووُصِفَ في رجال النجاشي (ص٩٤) بهذه الأوصاف السيئة ذاتها وزاد عليها قوله: "**وسمعت من قال: كان أيضًا فاسد المذهب والرواية**".

ج- وأكد العلامة الحلي في رجاله (ص٢١٠) ما ذكره النجاشي والغضائري عنه وختم ذلك بقوله: "**عندي في حديثه توقُّف ولا أعمل بروايته**".

٤- الحسن بن عبد الله القميّ: هذا الراوي -حسب ما جاء في تنقيح المقال (ج١، ص٢٨٨) وخلاصة العلامة الحليّ (ص٢١٢)- هو الحسن بن عبيد الله، وهو **مُتَّهَمٌ بالغلوِ**.

٥- الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني:

أ) في رجال النجاشي (ص٢٨): "**إنه كان من وجوه الواقفة، لا أستحلُّ روايته**".

ب) وفي مجمع الرجال للقهپائي (ج٢، ص١٢١): "**محمد بن مسعود قال: سألت علي بن الحسن الفضّال عن الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني؟ فقال: كذَّابٌ ملعونٌ**".

ج) وقال عنه المرحوم الغضائري: "**الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني مولى الأنصار أبو محمد واقفيّ بن واقفيّ ضعيف في نفسه**".

د- وذكر **التفرشي**[1] في «**نقد الرجال**» (ص٩٢) ما ذكره السابقون بشأنه وأضاف:

---

(١) هو السيد مير مصطفى بن الحسين الحسيني التفرشي من أعلام القرن الحادي عشر الهجري، ومن كبار تلامذة المحقق عبد الله بن الحسين التستري (ت ١٠٢١هـ)، والشيخ عبد العالي العاملي الكركي (٩٩٣ هـ). ترجم له جم غفير من العلماء، ولكن لم يتطرق أحد منهم إلى سنة ولادته أو وفاته، وذكر الآقا بزرك الطهراني في الذريعة ما يفيد أنه كان حيًّا سنة ١٠٤٤هـ. أثنى عليه كل من ترجم له بوصفه بالصفات الحميدة والإشادة بغزارة علمه وتبحره في علم الرجال وهو صاحب كتاب «**نقد الرجال**» الذي يُعَدُّ من أحسن كتب الرجال الإمامية وأجمعها للتحقيقات والتدقيقات، طبع أول مرة في قم، إيران بتحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بتاريخ ١٤١٨ هـ ق، في ٥ مجلدات. (تر).

"حكى لي أبو الحسن حمدويه ابن نصير عن بعض أشياخه أنه قال: الحسن بن علي بن أبي حمزة رجلُ سوءٍ ".

والآن اقرؤوا أحاديث هذا الكذّاب الملعون كما جاءت في كتاب «**كامل الزيارات**»[1] لـ «**ابن قولويه**» (ص١١٩) حيث جاء:

".... عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: وَكَلَ اللهُ تبارك وتعالى بالحسين عليه السلام سبعين ألف ملك يصلون عليه كل يوم شعثًا غبرًا ويدعون لمن زاره ويقولون يا رب! هؤلاء زوار الحسين عليه السلام افعل بهم وافعل بهم [كذا وكذا]".

ولا يعلم أحدٌ لماذا وكّل اللهُ الحكيمُ أولئك الملائكة بتلك الصورة أي شُعثًا غُبرًا وما فائدة كونهم كذلك؟! وهل هناك عيبٌ في أن يكون الإنسان نظيفًا مرتَّبًا؟! ألا يمكن للإنسان إذا كان شعره مسرحًا ولباسه نظيفًا مرتبًا أن يشارك في المأتم ومراسم العزاء؟!

وجاء في الصفحة ١٥٣ من «**كامل الزيارات**»:

".... عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن الحسن بن محمد بن عبد الكريم عن المفضل بن عمر عن جابر الجعفي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في حديث طويل: فإذا انقلبت من عند قبر الحسين عليه السلام ناداك مناد لو سمعت مقالته لأقمت عمرك عند قبر الحسين عليه السلام وهو يقول: طوبى لك أيها العبد! قد غنمت وسلمت، قد غفر لك ما سلف فاستأنف العمل!!!!... الحديث".

نعم مثل هذه الأحاديث تشجّع المغرورين على التجرؤ على معصية الله وارتكاب كل منكر أملاً بثواب الزيارة هذا من جهة، ومن الجهة الأخرى يدفع أولئك الزوّار لإنفاق ملايين التومانات من عرق جبينهم كل عام على السفر لهذه الزيارات، ونتيجة ذلك هي هذا الوضع الذي نلاحظه اليوم.

---

(١) ابن قولويه القمي، **كامل الزيارات**، في جزء واحد، دار المرتضوية: النجف الأشرف، ١٣٥٦ هـ ق.

٦- الحسن بن علي بن أبي عثمان:

أ) قال الشيخ الطوسيّ (ره) في كتاب «**رجال الطوسيّ**» (ص٤١٣ و٤٢٠): "**الحسن بن علي بن أبي عثمان، السجادة، غالي**".

ب) وفي مجمع الرجال للقهپائي (ج٢، ص١٢٤): "**الحسن بن علي بن أبي عثمان أبو محمد الملقب بسجادة في عداد القميين ضعيف وفي مذهبه ارتفاع**".

ج) في رجال النجاشي (ص٤٨): "**الحسن بن علي بن أبي عثمان أبو محمد الملقب بسجادة أبو محمد كوفي ضعّفه أصحابنا**".

د) وجاء في رجال الكشيّ (ص٤٧٨، طبع كربلاء): "**قال أبو عمرو... السجادة لعنه الله ولعنه اللاعنون والملائكة أجمعون**".

هذا الشقي الملعون روى مع صاحبه الآخر «**الحسين بن عبد الله**» -الذي سنبيّن حاله التعيس عن قريب إن شاء الله – روايةً أوردها «**ابن قالويه**» في الصفحة ١٣٢ من كتابه «**كامل الزيارات**»، تطفح غلوًا ومبالغةً فيما يلي نصُّها:

"..... عن الحسين بن عبيد الله عن الحسن بن علي بن أبي عثمان عن عبد الجبار النهاوندي عن أبي سعيد عن الحسين بن ثوير بن أبي فاختة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: **يا حسين! من خرج من منزله يريد زيارة قبر الحسين بن علي إن كان ماشيًا كتب الله له بكل خطوة حسنةً ومحا عنه سيئةً حتى إذا صار في الحائر كتبه الله من المصلحين المنتجبين [المفلحين المنجحين] حتى إذا قضى مناسكه[1] كتبه الله من الفائزين حتى إذا أراد الانصراف أتاه ملكٌ فقال إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرئك السلام ويقول لك استأنف العمل فقد غُفِرَ لك ما مضى!**".

والعجيب أن راوٍ على مثل تلك الدرجة من سوء السمعة في كتب الرجال والذي لابدَّ من ردِّ أحاديثه بسبب عقيدته الفاسدة، خاصَّةً مثل هذه الأحاديث التي تطفح منها المغالاة في

(١) اعتبر هذا الحديث زيارة قبر الإمام عليه السلام أداءً لمنسك من المناسك، مع أن كلمة «**مناسك**» خاصة بأعمال الحج أو بالعبادات التي أمر الله ورسوله بها. (**البرقعي**).

ترتيب الأجر والثواب على الزيارة، ومع ذلك نجد أن علماء الشرع لا يردُّون أحاديثه بل يروونها في كتبهم!! ألا تقتل مثل هذه الروايات روح الخوف والخشية لدى الأفراد وتجرئهم على المعاصي وتضعف فيهم روح العمل بالفرائض والأحكام وتجعلهم يغترون بأنهم بقيامهم بزيارة واحدة إلى قبر الإمام ستُسَجَّلُ في دفتر حسناتهم آلاف الحسنات وتمحى عنهم آلاف السيئات، ويُقال لهم قد غُفِرَ لكم كل ما سبق فاستأنفوا العمل!! ألن يَسْعَوْا عندئذٍ إلى القيام بتلك الزيارة مهما كلفهم الأمر ليرتاحوا بذلك من قيود سائر الأحكام؟!

٧-**الحسن بن علي بن زكريا أو الحسين بن علي بن زكريا** (حسب اختلاف النسخ):

أ) قال عنه **الغضائري** كما جاء في كتاب «**مجمع الرجال**» للقهپائي (ج٢، ص١٩٠): "**الحسين بن علي بن زكريا بن صالح زُفر العدوي أبو سعيد ضعيفٌ جدًّا كذّابٌ** "

ب) ووصفه العلامة الحليّ في رجاله (ص٢١٧) بهذه الصفات ذاتها.

٨- **الحسين بن عبد الله**: مَرَّ شَرْحُ حاله خلال بيان حال «**الحسن بن علي بن أبي عثمان**» وقد وصفته كتب الرجال بما يلي:

أ) في رجال العلامة الحلي (ص٢١٦): "**الحسين بن عبد الله السعدي أبو عبد الله بن عبيد الله بن سهل ممن طعنوا عليه ورُمِي بالغلو** ".

ب) وفي رجال الكشيّ (ص٤٣٢): "**إن الحسين بن عبد الله القميّ أُخْرِجَ من قُم في وقت كانوا يُخرِجون من اتهموه بالغلو** ".

٩- **الحسين بن مختار**: اعتبره في **تنقيح المقال** (ج١، ص٣٤٣) نقلاً عن الشيخ الطوسي عليه الرحمة واقفيًا، كما أورده العلامة الحلي في القسم الثاني من **رجاله** المخصص للضعفاء واعتبره واقفيًا، واعتبره الشيخ البهائي أيضًا في كتابه «**الوجيزة**» من الضعفاء.

١٠- **الحسين بن يزيد النخعي**: **قال** القهپائي في مجمع الرجال نقلاً عن النجاشي عليه الرحمة: "قال قوم من القميين إنه غلا في آخر عمره "!

١١- الخيبري بن علي الطحان:

نقل القهپائي في مجمع الرجال (ج٢، ص٢٧٥) عن الغضائري ﷺ قوله: **"خيبري بن علي بن الطحان ضعيف الحديث غال المذهب كان يصحب يونس بن الظبيان ويكثر الروايات عنه وله كتاب عن أبي عبد الله ؑ لا يُلْتَفَتُ إلى حديثه "**.

كما وصفه النجاشي في كتابه (ص١١٨) بالأوصاف ذاتها قائلاً إن في مذهبه ارتفاعًا وغلوًا.

لفّق هذا الشقي الغالي عدة أحاديث في موضوع الزيارة كلُّها كَذِبٌ وغلوٌّ أوردها **ابن قولويه** في «**كامل الزيارات**» (ص١٤٧) جاء في أحدها:

".... عن الخيبري عن الحسين بن محمد القمي عن أبي الحسن الرضا ؑ قال: **من زار قبر أبي عبد الله ؑ بشط الفرات كان كمن زار الله فوق [في] عرشه!! "**

نعم الحسين مثل الله – والعياذ بالله - والفرات مثل العرش[1]! والأعجب من ذلك أن الشيخ الطوسي (ره) روى الحديث ذاته في كتابه «**تهذيب الأحكام**» (ج٦، ص٤٦) بالسند ذاته!

١٢- داوود بن كثير الرقيّ: بينا شرح حاله في متن الكتاب فليراجع ثمة[2].

١٣- سلمة بن الخطاب: رُوِيَت عن هذا الراوي في كتاب «**كامل الزيارات**» و«**تهذيب الأحكام**» أكثر من عشرين روايةٍ، وفيما يلي ترجمته:

أ- الغضائري في مجمع الرجال (ص١٥٢): **"سلمة بن الخطاب البراوستاني أبو محمد من سواد الري، ضعيف"**.

---

(١) لم يفكر هؤلاء الغلاة لحظة بالفرق بين عرش الله الذي يحيط بالأرض وبكل شيء: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ۝٥٤﴾ [فصلت: ٥٤] أوليس تشبيه الإمام الحسين بالله وتشبيه شط الفرات بالعرش الإلهي غلوًّا محضًا؟!

(٢) سيأتي الكلام عليه لاحقًا في أواخر الكتاب الحاضر فليُراجَعْ ثَمَّةَ.

ب- رجال النجاشي (ص١٤٢): "**سلمة بن الخطاب أبو الفضل البراوستاني الأيرقاني قرية من سواد الري كان ضعيفًا في حديثه** ".

ج- واعتبره العلامة في رجاله (ص٢٢٧) ضعيفًا وهكذا وصفته كتب الرجال الموثقة الأخرى.

١٤- سهل بن زياد الآدمي: هذا أيضًا جاءت ترجمته في متن الكتاب فراجعها ثمة[1].

١٥- سيف بن عميرة: طبقًا لما ذكره مؤلف «كشف الرموز» وبناءً على نقل «**تنقيح المقال**»، هذا الشخص مطعون وملعون.

١٦- صالح بن عقبة:

جاءت عن هذا الراوي الشقي في موضوع الزيارة أحاديث عديدة في كتابي «**التهذيب**» و«**كامل الزيارات**» وفيما يلي بيان حاله:

أ) قال عنه الغضائري كما جاء في مجمع الرجال (ج٣، ص٢٠٦): "**صالح بن عقبة بن قيس بن سمعان ريحة مولى رسول الله ﷺ، روى عن أبي عبد الله عليه السلام، غالٍ، كذاب، لا يُلتفَت إليه!** ".

ب) وأورده العلامة الحلي في القسم الثاني من رجاله المخصص للضعفاء (ص٢٣٠) وذكر عنه العبارات السابقة ذاتها.

ج) وجاء في تنقيح المقال (ج٢، ص٩٣) نقلاً عن ابن داوود العبارات السابقة فقال: "**ونُسِب إلى ابن الغضائري أنه قال: ليس حديثه بشيء، غالٍ، كذاب، كثير المناكير** ".

وإليكم إحدى تحف هذا الراوي كما جاءت في «**كامل الزيارات**» (ص١٠٤):

".... عن صالح بن عقبة عن أبي هارون المكفوف قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: **يا أبا هارون!** أنشدني في الحسين عليه السلام، قال: فأنشدته فبكى فقال أنشدني كما تنشدون يعني بالرقة قال فأنشدته: امرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكية...

---

(١) سيأتي الكلام عليه لاحقًا في أواخر الكتاب الحاضر فليُراجَعْ ثمَّةَ.

قال فبكى ثم قال زدني قال فأنشدته القصيدة الأخرى قال فبكى، وسمعت البكاء من خلف الستر، قال: فلما فرغت قال لي: **يا أبا هارون! من أنشد في الحسين عليه السلام شعرًا فبكى وأبكى عشرًا كتبت له الجنة، ومن أنشد في الحسين شعرًا فبكى وأبكى خمسةً كتبت له الجنة، ومن أنشد في الحسين شعرًا فبكى وأبكى واحدًا كتبت لهما الجنة، ومن ذكر الحسين عليه السلام عنده فخرج من عينه [عينيه] من الدموع مقدار جناح ذباب كان ثوابه على الله ولم يرض له بدون الجنة**".

وأبو هارون المشار إليه في الحديث هو ذات أبو هارون الذي قيل عنه في فصل الكِنى من كتاب «**تنقيح المقال**»: "**رُوي فيه طعنٌ عظيمٌ!** "، وقال مثله العلامة الحلي في الخلاصة (ص٢٦٧).

أجل، هذا نموذجٌ من الأساطير التي يستلهمها شياطين الإنس من شياطين الجن فيوحون بها إلى عامة الناس ليلاً ونهارًا، وتكون نتيجة ذلك تربيةُ أشخاصٍ لا يأبهون لحساب أو كتاب، ويفقدون شعورهم وإنسانيتهم ويجترئون على الفساد والمعاصي بنحوٍ يستحيل فيه بعد ذلك إصلاحهم، لأنهم فسدوا من نفس الطريق والجهة التي كان ينبغي أن يصلحوا بها، أي من طريق الدِّين الذي إن فسد لا يوجد بديل له لإصلاحه.

ولقد رُوِيَتْ عن هذا الغالي الكذَّاب كثيرِ المناكيرِ الذي لا نظير لأحاديثه في الكفر والغلوّ، كثيرٌ من الأحاديث في كتب الأخبار في كل باب من الأبواب، ومن ذلك هذا الحديث الآخر الذي جاء في «**كامل الزيارات**» (ص١٦٩-١٧٠):

"..... عن صالح بن عقبة عن بشير الدهان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام ربما فاتني الحج فأعرف (أي أكون يوم عرفة) عند قبر الحسين عليه السلام فقال: **أحسنت يا بشير! أيما مؤمن أتى قبر الحسين عليه السلام عارفًا بحقه في غير يوم عيد كتب الله له عشرين حجة وعشرين عمرة مبرورات متقبلات وعشرين غزوة مع نبي مرسل أو إمام عدل، ومن أتاه في يوم عيد كتب الله له مائة حجة ومائة عمرة ومائة غزوة مع نبي مرسل أو إمام عدل، ومن أتاه يوم عرفة عارفًا بحقه كتب الله له ألف حجة وألف عمرة متقَبَّلات وألف غزوة مع نبي مرسل أو إمام عدل!**

قال فقلت له: وكيف لي بمثل الموقف؟ قال فنظر إليّ شبه المغضب ثم قال: يا بشير! إن المؤمن إذا أتى قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة واغتسل في الفرات ثم توجّه إليه كتب الله له بكل خطوة حجة بمناسكها ولا أعلمه إلا قال وغزوة...!".

هل يمكن لمن يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر أن يصدّق هذا الحديث من مثل ذلك الكذاب؟ وما هي الفائدة التي نجنيها من مثل هذا الحديث سوى إهمال التقيد بأحكام الإسلام التي فيها حياة الناس وقيام أمرهم والاكتفاء بدلاً من ذلك بمثل تلك الزيارة التي لا تشكّل أبدًا جزءًا من الفرائض الإلهية أو الواجبات الشرعية؟!

الأخطر من ذلك ما ورد عن هذا الراوي أيضًا في «**كامل الزيارات**» (ص١٧٤-١٧٥) في فضل زيارة عاشوراء التي يرويها محمد بن موسى الهمداني الذي هو كذلك من الغلاة الكذابين عن سيف بن عميرة الواقفي المطعون الملعون عن صاحبنا صالح بن عقبة عن مالك الجهني: **"عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال من زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء من المحرم حتى يظل عنده باكيًا لقيَ اللهَ تعالى يوم القيامة بثواب ألفي ألف [ألف] حجة وألفي [ألف] ألف عمرة وألفي ألف غزوة وثواب كل حجة وعمرة وغزوة كثواب من حج واعتمر وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع الأئمَّة الراشدين صلوات الله عليهم أجمعين! "**.

لاحظ أيها القارئ! كيف أن هذا العمل -قراءة زيارة عاشوراء والبكاء- الذي يمكن إنجازه عن بُعْدٍ أيضًا لم يُبْقِ أيَّ قيمةٍ لسائر أحكام الدين! أليس هذا كذبٌ على الله ورسوله وأئمّةِ الهدى عليهم السلام؟ وهل يمكن لأي نبيٍّ أو إمامٍ أو صالحٍ في العالم أن يقوم خلال عمره بمليوني حجة ومليوني عمرة ومليوني غزوة مع نبي أو إمام؟ والتي سينال أجرها وثوابها من يقرأ زيارة عاشوراء فقط فإذا قرأها مرات عديدة فكم يصبح أجره عندئذٍ؟! إن رسولالله صلى الله عليه وآله وسلم ذاته وأئمة الهدى عليهم السلام لم يحجوا في عمرهم سوى حجة واحدة وأقصى ما قام به بعضهم هو عشرين حجة في حياته، أما ذلك الزائر القارئ للزيارة في عاشوراء فسيفوقهم أجرًا بكثير لأنه سينال ثواب مليوني حجة!!

١٧- عبد الرحمن بن كثير:

أ- جاء في رجال النجاشي (ص١٨٩) خلال ترجمة حال «علي بن حسان» الذي يروي عن عمه عبد الرحمن بن كثير: "**عبد الرحمن بن كثير الهاشمي ضعيف جدًّا، ذكره بعض أصحابنا في الغلاة، فاسد الاعتقاد** ".

ب- ويقول الغضائري كما ورد في مجمع الرجال (ص١٧٦) في ترجمة علي بن حسان: " **روى عن عمه عبد الرحمن بن كثير، غال ضعيف** ".

ج- ونقل العلامة الحلي في رجاله (ص٢٣٣) قول الغضائري والنجاشي ثم قال أن المسعودي قال: "**فهو كذاب وهو واقفي** ".

١٨- عبد الله بن عبد الرحمن الأصم:

رُويت عن هذا الرجل أحاديث كثيرة في كتاب «**كامل الزيارات**» في حين أن كتب الرجال قالت عنه ما يلي:

أ) رجال النجاشي ص١٦١: "**عبد الله بن عبد الرحمن الأصم المسمى بصريّ ضعيف غال ليس بشيء وله كتاب المزار!** " (ويبدو أن هذا الكتاب هو ذات أحاديثه الملفقة والكثيرة حول الزيارة).

ب) وقال الغضائري عنه كما جاء في مجمع الرجال (ج٤، ص٢٥): "**عبد الله بن عبد الرحمن الأصم المسمى بصريّ ضعيف مرتفع القول، وله كتاب في الزيارات، ما يدل على خبث عظيم ومذهب متهافت، وكان من كذابة أهل البصرة** ".

ج) وذكره العلامة الحلي (ره) في القسم الثاني من رجاله المخصص للضعفاء (ص٢٣٨) وقال: "**عبد الله بن عبد الرحمن الأصم بصريّ ضعيف غال، ليس بشيء، وله كتاب في الزيارات يدل على خبث عظيم ومذهب متهافت وكان من كذابة أهل البصرة** ".

وخلاصة ما تفضل به هؤلاء الأجلاء الثلاثة (الغضائري والنجاشي والعلامة) هو أن **عبد الله بن عبد الرحمن الأصم بصريّ** شخص ضعيف الحديث، غالي المذهب، ومشرك

وليس بشيء، وأن له كتاب موضوع في الزيارات [أحاديث كامل الزيارة زغيرها مروية عنه] تدل على خبث عظيم ومذهب متهافت [أحيانًا مؤمن وأحيانًا كافر]، وأنه من أشهر الكذابين في البصرة!

وإليكم بعض أحاديث هذا الغالي الخبيث وكذَّاب البصرة التي زيّن بها (!) ابن قولويه كتابه «**كامل الزيارات**»، كهذا الحديث الذي جاء في الصفحة ٦٨و٦٩ بسنده عن حضرة الصادق عليه السلام:

"**كان الحسين** عليه السلام **مع أمه تحمله فأخذه رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **فقال لعن الله قاتليك ولعن الله سالبيك**... (إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة):... **ويأتيه قومٌ من محبينا ليس في الأرض أعلم بالله ولا أقوم بحقنا منهم وليس على ظهر الأرض أحدٌ يلتفت إليه غيرهم أولئك مصابيح في ظلمات الجور وهم الشفعاء وهم واردون حوضي غدًا أعرفهم إذا وردوا عليَّ بسيماهم!!.... الحديث**".

في هذا الحديث: زوار الحسين هم الوحيدون الذين يكونون أعلم الناس باللهِ وأقومهم بحقوق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! وهم وحدهم الملتفتون إلى حضرته صلى الله عليه وآله وسلم! فهم مصابيح الهدى وشفعاء المحشر! فهل هذا هو شأن زوّار الحسين اليوم حقًا؟!

كما يروي هذا الراوي حديثًا آخر عن حضرة الصادق عليه السلام جاء في (الصفحة ٨١ و٨٢) من «**كامل الزيارات**» ونصه:

"... عن زرارة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: **يا زرارة! إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحًا بالدم وإن الأرض بكت أربعين صباحًا بالسواد وإن الشمس بكت أربعين صباحًا بالكسوف والحمرة وإن الجبال تقطعت وانتثرت وإن البحار تفجرت وإن الملائكة بكت أربعين صباحًا على الحسين** عليه السلام **وما اختضبت منا امرأة ولا ادهنت ولا اكتحلت ولا رجلت حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد**... (إلى قوله):... **وما من عينٍ أحب إلى الله ولا عبرة من عين بكت ودمعت عليه، وما من باكٍ يبكيه إلا وقد وصل فاطمة** عليها السلام **وأسعدها عليه ووصل رسول الله وأدى حقنا وما من عبد يحشر إلا وعيناه باكية إلا الباكين على جدي**

الحسين ﵇ **فإنه يحشر وعينه قريرة والبشارة تلقاه والسرور بيِّنٌ على وجهه والخلق في الفزع وهم آمنون والخلق يعرضون وهم حداث الحسين** ﵇ **تحت العرش وفي ظل العرش لا يخافون سوء يوم الحساب يُقَالُ لهم ادخلوا الجنة فيأبون ويختارون مجلسه وحديثه وإن الحور لترسل إليهم......** (إلى آخر الحديث)!"

نعم! مثل هذه الأحاديث التي يرويها الكذابون والغلاة، هي التي تُشعِلُ نار العداوة والحروب التي نعرفها.

وفي (ص ٨٦-٨٧) من «**كامل الزيارات**» حديث آخر لذلك الكذاب جاء فيه:

".... عن أبي عبد الله ﵇ قال: **إِذَا زُرْتُمْ أَبَا عَبْدِ الله (الحسين)** ﵇ **فَالْزَمُوا الصَّمْتَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ وَإِنَّ مَلَائِكَةَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الْحَفَظَةِ تَحْضُرُ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ بِالْحَائِرِ فَتُصَافِحُهُمْ فَلَا يُجِيبُونَهَا مِنْ شِدَّةِ الْبُكَاءِ فَيَنْتَظِرُونَهُمْ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ وَحَتَّى يُنَوِّرَ الْفَجْرُ ثُمَّ يُكَلِّمُونَهُمْ وَيَسْأَلُونَهُمْ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ السَّمَاءِ، فَأَمَّا مَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ فَإِنَّهُمْ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يَفْتُرُونَ عَنِ الْبُكَاءِ وَالدُّعَاءِ وَلَا يَشْغَلُونَهُمْ فِي هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ عَنْ أَصْحَابِهِمْ، فَإِنَّهُمْ شُغُلُهُمْ بِكُمْ إِذَا نَطَقْتُمْ! قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ! وَمَا الَّذِي يَسْأَلُونَهُمْ عَنْهُ وَأَيُّهُمْ يَسْأَلُ صَاحِبَهُ الْحَفَظَةُ أَوْ أَهْلُ الْحَائِرِ؟ قَالَ: أَهْلُ الْحَائِرِ يَسْأَلُونَ الْحَفَظَةَ لِأَنَّ أَهْلَ الْحَائِرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا يَبْرَحُونَ وَالْحَفَظَةُ تَنْزِلُ وَتَصْعَدُ! قُلْتُ: فَمَا تَرَى يَسْأَلُونَهُمْ عَنْهُ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ يَمُرُّونَ إِذَا عَرَجُوا بِإِسْمَاعِيلَ صَاحِبِ الْهَوَاءِ......** (إلى قوله): **وَلَوْ يَعْلَمُوا مَا فِي زِيَارَتِهِ مِنَ الْخَيْرِ وَيَعْلَمُ ذَلِكَ النَّاسُ لَاقْتَتَلُوا عَلَى زِيَارَتِهِ بِالسُّيُوفِ وَلَبَاعُوا أَمْوَالَهُمْ فِي إِتْيَانِهِ.....** إلى آخر الحديث".

ونحو هذه الموهومات التي تدل بشكل كامل على جهل راويها وواضعها.

وفي الصفحة ١٣٨ من الكتاب المذكور رواية أخرى هي التالية:

"مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ دَاوُدَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَبَشِيِّ بْنِ قُونِيٍّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ السُّلَمِيِّ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ حَمَّادٍ عَنْ **عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنِ الْحَلَبِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله** ﵇ **قَالَ قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ! مَا تَقُولُ فِيمَنْ تَرَكَ زِيَارَةَ الْحُسَيْنِ** ﵇ **وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَ: إِنَّهُ قَدْ عَقَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ وعَقَّنَا واسْتَخَفَّ بِأَمْرٍ هُوَ لَهُ وَمَنْ زَارَهُ**

كَانَ الله لَهُ مِنْ وَرَاءِ حَوَائِجِهِ وكُفِيَ مَا أَهَمَّهُ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاهُ وإِنَّهُ يَجْلِبُ الرِّزْقَ عَلَى الْعَبْدِ ويُخْلِفُ عَلَيْهِ مَا يُنْفِقُ ويُغْفَرُ لَهُ ذُنُوبُ خَمْسِينَ سَنَةً ويَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ ومَا عَلَيْهِ وِزْرٌ ولَا خَطِيئَةٌ إِلَّا وقَدْ مُحِيَتْ مِنْ صَحِيفَتِهِ.... (إلى آخر الحديث) ".

وقد روى الشيخ الطوسي عن ذلك الخبيث هذا الحديث في كتابه «**تهذيب الأحكام**» (ج٦، ص٤٥)!

نعم إن مثل هؤلاء الغلاة الكذابين ليسخرون بتلفيقاتهم تلك من خلق الله ودين الله وأنبياء الله وأولياءه ويصوِّرُون وكأنه ليس لله غايةٌ من خلق البشر ولا لأنبيائه من هدف سوى البكاء على الحسين عليه السلام بل كأن الغرض من الخليقة كلها البكاء على الإمام الحسين أو زيارته!!

ثم في الصفحة ٨ جاء: "**وَإِنَّ فَاطِمَةَ عليها السلام إِذَا نَظَرَتْ إِلَيْهِمْ وَمَعَهَا أَلْفُ نَبِيٍّ وَأَلْفُ صِدِّيقٍ وَأَلْفُ شَهِيدٍ وَمِنَ الْكَرُوبِيِّينَ أَلْفُ أَلْفٍ يُسَاعِدُونَهَا عَلَى الْبُكَاءِ، وَإِنَّهَا لَتَشْهَقُ شَهْقَةً فَلَا تَبْقَى فِي السَّمَاوَاتِ مَلَكٌ إِلَّا بَكَى رَحْمَةً لِصَوْتِهَا، وَمَا تَسْكُنُ حَتَّى يَأْتِيَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ [أبوها] فَيَقُولَ: يَا بُنَيَّةُ! قَدْ أَبْكَيْتِ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَشَغَلْتِهِمْ عَنِ التَّقْدِيسِ وَالتَّسْبِيحِ فَكُفِّى حَتَّى يُقَدِّسُوا فَإِنَّ اللهَ بالِغُ أَمْرِهِ!! وَإِنَّهَا لَتَنْظُرُ إِلَى مَنْ حَضَرَ مِنْكُمْ فَتَسْأَلُ اللهَ لَهُمْ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَلَا تَزْهَدُوا فِي إِتْيَانِهِ فَإِنَّ الْخَيْرَ فِي إِتْيَانِهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى**... ".

يُفْهَم من مجموع هذا الحديث أن تلك القصَّة تدور كل يوم، إذْ تنزل الملائكة وتَصْعَد ويجتمع الأنبياء والصديقون كلهم في خدمة الزهراء مع ملايين الملائكة الكروبيين!! كلهم يسعى في تسكين بكائها، ثم تدعو فاطمة لزوَّار قبر الحسين... ويتكرَّر هذا المشهد كل يوم. وكأن كل المصائب التي حلت بفاطمة الزهراء -سلام الله عليها- في الدنيا لم تكْفِ في غمِّها وحزنها بل لابد أن تبكي وتحزن وتغتم حتى في الآخرة وفي الجنة، وكذلك شأن سائر الأنبياء وأولياء الله!!، مع أن الله تعالى وصف حال المؤمنين في الدار الآخرة بقوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة: ٣٨].

وفي الصفحة ١٠١ من هذا الكتاب أيضًا حديث عجيب عن هذا الكذاب الكذوب

"عَنْ مِسْمَع كِرْدِينٍ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: يَا مِسْمَعُ! أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَمَا تَأْتِي قَبْرَ الْحُسَيْنِ! قُلْتُ: لَا أَنَا رَجُلٌ مَشْهُورٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَعِنْدَنَا مَنْ يَتْبَعُ هَوَى هَذَا الْخَلِيفَةِ وَأَعْدَاؤُنَا كَثِيرَةٌ مِنْ أَهْلِ الْقَبَائِلِ مِنَ النُّصَّابِ وَغَيْرِهِمْ وَلَسْتُ آمَنُهُمْ أَنْ يَرْفَعُوا عَلَيَّ حَالِي عِنْدَ وُلْدِ سُلَيْمَانَ فَيُمَثِّلُونَ عَلَيَّ.

قَالَ لِي: أَفَمَا تَذْكُرُ مَا صُنِعَ بِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: فَتَجْزَعُ؟ قُلْتُ: إِي وَالله وَأَسْتَعْبِرُ لِذَلِكَ حَتَّى يَرَى أَهْلِي أَثَرَ ذَلِكَ عَلَيَّ فَأَمْتَنِعُ مِنَ الطَّعَامِ حَتَّى يَسْتَبِينَ ذَلِكَ فِي وَجْهِي.

قَالَ: رَحِمَ اللهُ دَمْعَتَكَ أَمَا إِنَّكَ مِنَ الَّذِينَ يُعَدُّونَ فِي أَهْلِ الْجَزَعِ لَنَا وَالَّذِينَ يَفْرَحُونَ لِفَرَحِنَا وَيَحْزَنُونَ لِحُزْنِنَا وَيَخَافُونَ لِخَوْفِنَا وَيَأْمَنُونَ إِذَا أَمِنَّا أَمَا إِنَّكَ سَتَرَى عِنْدَ مَوْتِكَ وَحُضُورِ آبَائِي لَكَ وَوَصِيَّتِهِمْ مَلَكَ الْمَوْتِ بِكَ وَمَا يَلْقَوْنَكَ بِهِ مِنَ الْبِشَارَةِ مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنَكَ قَبْلَ الْمَوْتِ فَمَلَكُ الْمَوْتِ أَرَقُّ عَلَيْكَ وَأَشَدُّ رَحْمَةً لَكَ مِنَ الْأُمِّ الشَّفِيقَةِ عَلَى وَلَدِه ".

ثم يتابع الحديث الطويل ذكرَ أوهام أخرى، ويُمكن لمن أراد الوقوف على الحديث بتمامه أن يرجع إلى الكتاب المذكور.

إن كتاب «**كامل الزيارات**» مملوء من أمثال هذه الأحاديث التي يرويها الغلاة والكذابون ليُضلوا بها عباد الله ويجرئوهم على معاصي الله، وينزِّلُوا من قيمة العبادات التي قرّرها الشرع ويستبدلوها بمثل هذه الأعمال التي يعادل القيام بواحد منها ثواب آلاف العبادات الشرعية!!

١٩- عبد الله بن القاسم الحضرمي:

وهو أحد رواة أحاديث الزيارة والشفاعة المشهورين وفيما يلي ما قالته كتب الرجال عنه:

أ) قال الغضائري عنه كما جاء في مجمع الرجال (ج٤، ص٣٥): **"عبد الله بن القاسم الحضرمي غالٍ متهافتٌ لا ارتفاع به ".**

ب) وفي رجال النجاشي (ص١٦٧): **" عبد الله بن القاسم الحضرمي المعروف بالبطل،**

كذابٌ، غالٍ، يروي عن الغلاة، لا خير فيه ولا يُعْتَدُّ بروايته ".

ج) وفي رجال العلامة الحليّ (ص٣٣٦): "**عبد الله بن القاسم الحضرمي من أصحاب الكاظم عليه السلام واقفيٌّ وهو يُعْرَفُ بالبطل، وكان كذّابًا روى عن الغلاة لا خير فيه ولا يُعْتَدُّ بروايته وليس بشيء ولا يُرتَفَع به ".**

لقد لفَّق هذا الشخص الغالي والكذاب وصاحب تلك السوابق السيئة أحاديثَ أوحاها له شيطانه فنسبها إلى الأئمَّة عليهم السلام من ذلك ما جاء في «**كامل الزيارات**» (ص١١٩):

"... **عن موسى بن سعدان** [سنُبيّن حاله فيما بعد] **عن عبد الله بن القاسم عن عمر بن أبان الكلبي عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام أربعة آلاف ملك عند قبر الحسين عليه السلام شعث غبر يبكونه إلى يوم القيامة رئيسهم ملك يقال له منصور ولا يزوره زائر إلا استقبلوه ولا يودعه مودع إلا شيعوه ولا يمرض إلا عادوه ولا يموت إلا صلوا عليه [وعلى جنازته] واستغفروا له بعد موته"**.

وفي الصفحة ١٩٢ من ذلك الكتاب أيضًا تكرارٌ لروايته تلك وفيها:

"**.... عن أبان بن تغلب قال:قال أبو عبد الله عليه السلام: هبط أربعة آلاف ملك يريدون القتال مع الحسين عليه السلام فلم يؤذن لهم في القتال! فرجعوا في الاستئذان فهبطوا وقد قُتِلَ الحسين عليه السلام، فهم عند قبره شُعْثٌ غُبْرٌ يبكونه إلى يوم القيامة، رئيسهم ملك يقال له منصور، فلا يزوره زائر إلا استقبلوه ولا يودعه مودع إلا شيّعوه، ولا يمرض مريض إلا عادوه ولا يموت إلا صلوا على جنازته واستغفروا له بعد موته وكل هؤلاء في الأرض ينتظرون قيام القائم عليه السلام"**.

وكذلك في الصفحة ٦٦ من «**كامل الزيارات**» حديث خرافي آخر عن مَلَكٍ اسمه «**فطرس مَلَك**»**!** غضب الله عليه لتأخره في أداء مهمّةٍ ما فنفاه الله إلى جزيرةٍ مدة ستمئة عام**!** حتى ولد الحسين فجاء وتمسَّح به، وهو لا يزال رضيعًا حديث الولادة في قماطه، فعُفِيَ عنه، فوعد أن يبلغ سلام كل زائر للحسين إليه! جاء في الرواية:

"... **فأخبر فطرس النبي صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ بحاله، فدعا له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ وقال له: تمسَّح بهذا المولود (أي الحسين) وعد إلى مكانك! قال: فتمسَّح فطرس بالحسين عليه السلام**

وارتفع وقال: يا رسول الله! أما إن أمتك ستقتله وله عليّ مكافاة أن لا يزوره زائر إلا بلغته عنه ولا يسلِّم عليه مسلِّم إلا بلَّغته سلامه ولا يصلِّي عليه مصلٍّ إلا بلَّغته عليه صلاته، قال: ثم ارتفع!!".

وقد أطلنا في ذكر مثل هذه الأوهام والخرافات الملفقة لأن بعض قراء المراثي في مجالس عزاء الحسين يقرؤون أحيانًا أمثال هذه القصص الخرافية ليثيروا بها العوام فكان لابد من بيان حالها ومعرفة مصدرها لكي يعرف القارئ ماذا فعل بنا الغلاة والكذابون والمفسدون أمثال عبد الله بن القاسم الحضرمي و موسى بن سعدان![1]

٢٠- عبد الله بن ميمون القدّاح: هذا المفسد من مؤسسي مذهب القرامطة الإسماعيلية ويكفي هذا في معرفة حاله!

٢١- عثمان بن عيسى:

هذا الشخص طبقًا لتصريح علماء الرجال واقفيٌّ، وذكر عنه «الكشي» في رجاله ما يفيد أنه كان لديه مال كثير عن الأئمَّة ولما طالبه بها الإمام الرضا عليه السلام بعد وفاة أبيه الإمام الكاظم عليه السلام استنكف عن دفعها إليه، وأن الإمام الرضا عليه السلام سخط عليه لأجل ذلك، هذا وقد جاء تفصيل سوابقه وأخباره أيضًا في «**تنقيح المقال**» (ج٢، ص٢٤٧) حيث بين ثمَّةَ تخلفه واستنكافه عن إطاعة أمر الإمام الرضا عليه السلام.

وقد ضعّفه بشكل عام كل من الجزائري وابن داوود والمحقق الأردبيلي والفاضل المقداد وصاحب المدارك والعلامة الحلي.

وفيما يلي حديث آخر في موضوع الزيارة رُوي عن هذا المغرور الجريء على الله ورسوله كما جاء في «**تهذيب الأحكام**» للشيخ الطوسي (ج٦، ص٤):

"... عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ شِهَابٍ قَالَ قَالَ الْحُسَيْنُ عليه السلام لِرَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ يَا أَبَتَاهْ مَا جَزَاءُ مَنْ زَارَكَ؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ! مَنْ زَارَنِي حَيًّا أَوْ مَيِّتًا أَوْ زَارَ أَبَاكَ

(١) سيأتي بيان حاله لاحقًا بعد حوالي خمس عشرة صفحة.

أَوْ زَارَ أَخَاكَ أَوْ زَارَكَ كَانَ حَقًّا عَلَيَّ أَنْ أَزُورَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ! ".

وكأن حضرة الحسين عليه السلام كان يعلم منذ طفولته بأنه ما خُلق إلا ليزوره الناس إلا أنه لم يكن يعلم مقدار ثواب زيارته! أو أنه أراد أن يصل إلى الناس خبر ذلك لذا سأل رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم عن مقدار ذلك الثواب!؟

٢٢- **علي بن حسان:** وقد جاءت الإشارة إلى ترجمة حاله وقيمة رواياته خلال ترجمة عمه عبد الرحمن بن كثير[١].

٢٣- **علي بن فضّال:** وصفه صاحب السرائر بأنه **ملعونٌ ورأس كل ضلال هو وأبوه**.

٢٤- **عمرو بن ثابت:** وصفه في مجمع الرجال (ص٢٧٥) بأنه "**ضعيفٌ جدًّا**".

٢٥- **القاسم بن يحيى:** وهو يروي عن جده «الحسن بن راشد»: وقال الغضائري كما جاء في مجمع الرجال (ج٥، ص٥٣): "**روى عن جده ضعيف**". ووصفه التفرشي في «**نقد الرجال**» بأنه فاسد المذهب. وتبع العلامةُ الحليُّ الغضائريَّ فيما قاله عنه واعتبره ضعيفًا في خلاصته، ومع ذلك فإن أول حديث في كتاب «**كامل الزيارات**» مروي عن هذا الراوي وهو ذات الحديث الذي أورده الشيخ الطوسي في «**تهذيب الأحكام**» (ج٦، ص٤٠) ونصه:

"..... عَنْ عَبْدِ الله بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: **بَيْنَا الحَسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام فِي حَجْرِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ إِذْ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: يَا أَبَهْ! مَا لِمَنْ زَارَكَ بَعْدَ مَوْتِكَ؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ مَنْ أَتَانِي زَائِرًا بَعْدَ مَوْتِي فَلَهُ الجَنَّةُ وَمَنْ أَتَى أَبَاكَ زَائِرًا بَعْدَ مَوْتِهِ فَلَهُ الجَنَّةُ وَمَنْ أَتَى أَخَاكَ زَائِرًا بَعْدَ مَوْتِهِ فَلَهُ الجَنَّةُ وَمَنْ أَتَاكَ زَائِرًا بَعْدَ مَوْتِكَ فَلَهُ الجَنَّةُ** ".

وهناك حديث آخر عظيم البركة (!) عن هذا الراوي أي القاسم بن يحيى الموصوف بأنه فاسد المذهب وضعيف الرواية، يرويه عن يونس بن ظبيان الذي يُعَدُّ من أشهر الغلاة والكذَّابين، فيما يلي نصه كما جاء في «**كامل الزيارات**» (ص١٧٠-١٧١):

"..... قال أبو عبد الله عليه السلام: **من زار الحسين عليه السلام ليلة النصف من شعبان وليلة الفطر**

(١) سيأتي بيان حاله لاحقًا في الصفحات القادمة من هذا الكتاب.

وليلة عرفة في سنة واحدة كتب الله له ألف حجة مبرورة وألف عمرة متقبلة وقضيت له ألف حاجة من حوائج الدنيا والآخرة".

لاحظ أيها القارئ أن ثلاث زيارات فقط تعطي صاحبها من الثواب ما لا يستطيع حتى إمام أو نبي تحصيله! فليسمع من لم يسمع!!

ويذكرني هذا بقول الشاعر:

سرّ خدا كه عارف كامل به كس نگفت

در حيرتم كه باده فروش از كجا شنيد؟

إن العارف الكامل لم يبح بسر الله لأحد! فأنا محتار من أين سمعه بائع الخمر؟!

٢٦- محمد بن أرومة:

أ) رجال النجاشي (ص ٢٥٣): "**محمد بن أورمة أبو جعفر القمي: ذكره القميون وغمزوا عليه ورموه بالغلو حتى دس عليه من يفتك به، فوجدوه يصلي من أول الليل إلى آخره فتوقفوا عنه. وحكى جماعة من شيوخ القميين عن ابن الوليد أنه قال محمد بن أورمة طُعِنَ عليه بالغلو**".

ب) وقال المرحوم الغضائري عنه كما جاء في مجمع الرجال (ج٥، ص١٦٠): "**محمد بن أرومة أبو جعفر القمّيّ اتهمه القمِّيُّون بالغلو**".

ج) الشيخ الطوسي في «الفهرست»: "**محمد بن أرومة: له كتب مثل كتب الحسين بن سعيد وفي رواياته تخليط، أخبرنا بجميعها إلا ما كان فيها من تخليط أو غلو ابن أبي جيد عن ابن الوليد عن الحسين بن الحسن بن أبان عنه، وقال أبو جعفر ابن بابويه محمد بن أرومة طعن عليه بالغلو فكلما كان في كتبه مما يوجد في كتب الحسين بن سعيد وغيره فإنه يعتمد عليه ويفتي به وكلما تفرد به لم يجز العمل عليه ولا يعتمد**".

د) ووصفه العلامة الحلي في رجاله (ص٢٥٢) بتلك الصفات السيئة إلى أن قال في آخر الكلام: "**والذي أراه التوقف في روايته**".

٢٧- محمد بن أسلم:

قال عنه العلامة في رجاله (ص٢٥٢): "**يقال إنه كان غاليًا فاسد الحديث**".

٢٨- محمد بن الحسن بن جمهور:

أ) قال الغضائري عنه كما جاء في مجمع الرجال (ج٥، ص١٨٤): "**محمد بن الحسن بن جمهور أبو عبد الله العمي، غال فاسد الحديث، لا يكتب حديثه، ورأيته له شعرًا يحلل فيه محرمات الله عز وجل**".

ب) رجال النجاشي (ص ٢٦٠): "**محمد بن جمهور أبو عبد الله العمي: ضعيف في الحديث، فاسد المذهب، وقيل فيه أشياء الله أعلم بها من عظمها. روى عن الرضا عليه السلام. وله كتب كتاب الملاحم الكبير، كتاب نوادر الحج، كتاب أدب العلم**".

ج) رجال العلامة الحلي (ص٢٥١): "**محمد بن الحسن بن جمهور: بالجيم والراء العمي عربي بصري روى عن الرضا عليه السلام كان ضعيفًا في الحديث غاليًا في المذهب فاسدًا في الرواية لا يُلتفَت إلى حديثه ولا يُعْتَمَد على ما يرويه**".

٢٩- محمد بن الحسن بن شمون:

أ) قال الغضائري عنه كما جاء في مجمع الرجال (ج٥، ص١٨٧): "**أصله بصري واقفي ثم غلا، ضعيف متهافت لا يلتفت إليه وإلى مصنفاته**".

ب) في رجال النجاشي (ص٢٥٨): "**محمد بن الحسن بن شمون: أبو جعفر، بغدادي، واقف، ثم غلا، وكان ضعيفًا جدًّا، فاسد المذهب. وأضيف إليه أحاديث في الوقف، وقيل فيه**".

ج) رجال العلامة الحلي (ص٢٥٢): "**محمد بن الحسن بن شمون: بالشين المعجمة والنون أبو جعفر بغدادي من أصحاب العسكري عليه السلام واقف ثم غلا وكان ضعيفًا جدًّا فاسد المذهب وأضيف إليه أحاديث في الوقف وعاش مائة وأربع عشرة سنة ومات سنة ثمان وخمسين ومائتين وكان أصله بصريًا وهو متهافتٌ لا يُلتَفَتُ إليه ولا إلى مصنفاته وسائر ما يُنْسَب إليه**".

٣٠- محمد بن سنان الديلمي:

أ) رجال النجاشي (ص٢٨٢): "**محمد بن سليمان الديلمي ضعيف جدًّا لا يُعَوّلُ عليه في شيء**".

ب) قال الغضائري عنه كما جاء في مجمع الرجال (ج٥، ص٢١٩): "**محمد بن سليمان زكريا الديلمي أبو عبد الله ضعيف في حديثه مرتفع في مذهبه لا يُلتَفَت إليه**".

ج) ووصفه العلامة الحلي في رجاله (ص٢٥٥) بعبارات النجاشي ذاتها.

٣١- محمد بن سنان:

لقد شرحنا حال هذا الراوي سيء الصيت الذي يُعَدُّ من الكذابين المشهورين في كتابنا «**الشفاعة**»، بالتفصيل، ونكتفي بإشارة سريعة هنا:

أ) قال عنه الشيخ الطوسي في «**الفهرست**» (ص١٤٣): "**له كتب وقد طُعِنَ عليه وضُعِّفَ. وكُتُبُه مثل كتب الحسين بن سعيد على عددها وله كتاب النوادر وجميع ما رواه إلا ما كان فيها من تخليط أو غلوّ...**".

ب) وقال عنه العلامة الحلي في رجاله (ص٢٥١): "محمد بن سنان...**وقد اختلف علماؤنا في شأنه فالشيخ المفيد قال إنه ثقة وأما الشيخ الطوسي (ره) فإنه ضعَّفَه وكذا قال النجاشي، وابن الغضائري قال: إنه ضعيف غال لا يُلتَفَتُ إليه. وروى الكشي فيه قدحًا عظيمًا وأثنى عليه أيضًا! والوجه عندي التوقف فيما يرويه فإن الفضل بن شاذان (ره) قال في بعض كتبه: إن من الكذابين المشهورين ابن سنان**".

وفيما يلي أحد رواياته كما جاءت في كتاب «**كامل الزيارات**» (ص٦٧):

"**... عن محمد بن سنان عن أبي سعيد القماط عن ابن أبي يعفور عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام قال بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منزل فاطمة عليها السلام والحسين في حجره، إذ بكى وخر ساجدًا ثم قال: يا فاطمة! يا بنت محمد! إن العليَّ الأعلى تراءى لي في بيتك هذا في ساعتي هذه في أحسن صورة وأهيأ هيئة وقال لي: يا محمد! أتحب الحسين عليه السلام؟ فقلت: نعم**

قرة عيني وريحانتي وثمرة فؤادي وجلدة ما بين عيني. فقال لي: يا محمد! -ووضع يده على رأس الحسين عليه السلام **بورك من مولود عليه بركاتي وصلواتي ورحمتي ورضواني ولعنتي وسخطي وعذابي وخزيي ونكالي على من قتله وناصبه وناوأه ونازعه أما إنه سيد الشهداء من الأولين والآخرين في الدنيا والآخرة**... وذكر الحديث".

لاحظ أيها القارئ كيف جاء الله تعالى إلى بيت فاطمة ومسح على رأس الحسين وقال كذا وكذا!! أجل هذه هي المعارف الإلـهية العالية التي يريدون أن يهدوها للمجتمع البشري باسم شيعة عليّ! ولا غرو فمحمد بن سنان كما قلنا من الكذابين المشاهير، فليس بغريب منه تلفيق مثل هذه الترَّهات.

وإليكم حديثًا عجيبًا آخر لهذا المفتري في الصفحة ٢٦٧ من «**كامل الزيارات**»:

"عن محمد بن سنان عن أبي سعيد القماط عن عمر بن يزيد بياع السابري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **إِنَّ أَرْضَ الْكَعْبَةِ قَالَتْ: مَنْ مِثْلِي وَقَدْ بُنِيَ بَيْتُ الله عَلَى ظَهْرِي يَأْتِينِي النَّاسُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ وَجُعِلْتُ حَرَمَ الله وَأَمْنَهُ؟ فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهَا: كُفِّي وَقِرِّي مَا فَضْلُ مَا فُضِّلْتِ بِهِ فِيمَا أُعْطِيَتْ أَرْضُ كَرْبَلَاءَ إِلَّا بِمَنْزِلَةِ الْإِبْرَةِ غُمِسَتْ فِي الْبَحْرِ فَحَمَلَتْ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ! وَلَوْ لَا تُرْبَةُ كَرْبَلَاءَ مَا فَضَّلْتُكِ وَلَوْلَا مَنْ ضَمَّتْهُ كَرْبَلَاءُ لَمَا خَلَقْتُكِ وَلَا خَلَقْتُ الَّذِي افْتَخَرْتِ بِهِ! فَقِرِّي وَاسْتَقِرِّي وَكُونِي ذَنَبًا مُتَوَاضِعًا ذَلِيلاً مَهِينًا غَيْرَ مُسْتَنْكِفٍ وَلَا مُسْتَكْبِرٍ لِأَرْضِ كَرْبَلَاءَ وَإِلَّا مَسَخْتُكِ وَهَوَيْتُ بِكِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ!**".

نعم هذه هي الأسرار التي يُدَّعى أن الأئمَّة لم يكونوا يبوحون بها إلا إلى أولئك الغلاة الأفاكين!! ألا لعنة الله على الكذابين الغلاة الذين شوهوا دين الإسلام وشوهوا صورة أهل بيت رسول الله أمام العالم بمثل هذه الضلالات التي لا تعدو في نظرنا سوى دسائس تهدف إلى محو آثار الإسلام وهدم أركانه.

٣٢- محمد بن صدقة:

أ) مجمع الرجال (ج٥، ص٣٦) "**محمد بن صدقة بصري غال**".

ب) رجال الطوسي (ص٣٩١): "**محمد بن صدقة بصري غال**".

وأعجب العجب أن الشيخ الطوسي (ره) الذي اعتبر هذا الراوي غاليًا إذا به نفسه يروي عنه الحديث التالي في كتابه «**تهذيب الأحكام**» (ج٦، ص٤٤):

".. عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ صَدَقَةَ عَنْ صَالِحِ النِّيْلِيِّ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام: مَنْ أَتَى قَبْرَ الْحُسَيْنِ عليه السلام عَارِفًا بِحَقِّهِ كَتَبَ الله لَهُ أَجْرَ مَنْ أَعْتَقَ أَلْفَ نَسَمَةٍ وكَمَنْ حَمَلَ عَلَى أَلْفِ فَرَسٍ فِي سَبِيلِ الله مُسْرَجَةٍ مُلْجَمَةٍ!".

فليت شعري هل قانون ثواب الله على هذه الدرجة من الرخاوة والعطاء بغير استحقاق ولا حساب؟! أليس هو القائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]، والقائل أيضًا: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤]، فنيل الحسنات والدرجات ودخول الجنة ليس بسيطًا بكل تلك السهولة! بل يتطلب التضحية بالنفس والمال والصبر على البأساء والضراء، ولكن الغلاة الكذابين جعلوها مفتوحة الأبواب بلا حساب ولا كتاب لكل من يقوم بزيارة وقراءة دعاء، وبعدها لا حاجة أن يخاف من معصية الله وعذابه! وبذلك فإن تلك الروايات لا تُنْشِئُ إلا أشخاصًا متحررين من كل قيد والتزام كما نشاهد في أيامنا!

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا نجد القرآن المجيد قد ضيق الأمر إلى درجة تأكيده أن كل مثقال ذرة من الشر سيحاسب عليها الإنسان: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة: ٧- ٨] ويقول كذلك: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ويقول: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦﴾ [لقمان:١٦].

وكفى بالله حسيبًا، ولا شك لدينا في رحمة الله الواسعة وفضله الذي لا حد له ولا حصر، ولكنه شرع الثواب على الأعمال التي أمر بها وليس على عمل لم يأت الأمر به في أي موضع من القرآن الكريم فمثل هذا التوزيع للثواب المجازف به ليس سوى من تطفل الغلاة وفضولهم.

٣٣- محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني:

أ) في رجال الطوسي (ص٤٢٧): "**محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني ضعيف**".

ب) في الفهرست (ص١٦٧): "**محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني ضعيف، وقيل: إنه كان يذهب مذهب الغلاة**".

٣٤- محمد بن فضيل:

مجمع الرجال (ج٦، ص٢٣): "**محمد بن فضيل الأسدي ضعيف، يُرْمَى بالغلو**".

٣٥- محمد بن موسى الهمداني:

أ) قال الغضائري عنه كما جاء في مجمع الرجال (ج٦، ص٥٢): "**محمد بن موسى بن عيسى السمّان أبو جعفر الهمداني ضعيف يروي عن الضعفاء تكلم فيه القميون بالرد**".

ب) وفي رجال النجاشي (ص٢٦٠): "**محمد بن موسى بن عيسى أبو جعفر الهمداني السمان، ضعفه القميون بالغلو، وكان ابن الوليد يقول إنه كان يضع الحديث....**".

ج) وفي رجال العلامة الحلي (ص٢٥٢): " **محمد بن موسى بن عيسى أبو جعفر السمان الهمذاني، ضعيف يروي عن الضعفاء وضعّفه القمّيّون بالغلو وكان ابن الوليد يقول إنه كان يضع الحديث والله أعلم. قال ابن الغضائري إنه ضعيف يروي عن الضعفاء ويجوز أن يخرج شاهدًا. تكلّم القمّيّون فيه فأكثروا واستثنوا من كتاب نوادر الحكمة ما رواه**".

أجل، إنه محمد بن موسى الهمداني ذاته الذي أتحف طائفة الشيعة بزيارة عاشوراء التي رواها عن كذابين مثل «**سيف بن عميرة**» و«**صالح بن عقبة**» والتي جعل لها كذا وكذا من الثواب مما لا يستطيع فعله لا نبي مرسل ولا ملاك مقرَّب!

٣٦- المُعَلَّى بن محمد:

أ) مجمع الرجال (ج٦، ص١١٣): "**المُعَلَّى بن محمد البصري أبو محمد يُعرف حديثه ويُنْكَر، ويروي عن الضعفاء**".

ب) رجال النجاشي (ص٣٢٧): "**المُعَلَّى بن محمد البصري أبو اسحق مضطرب**

الحديث والمذهب".

ج) ووصفه العلامة في رجاله (ص٢٥٩) بالأوصاف السيئة ذاتها.

٣٧- المُفضل بن صالح أبو جميلة الأسدي:

أ) تنقيح المقال (ج٣، ص٢٣٧): **"قال الغضائري رحمة الله عليه: المفضل بن صالح أبو جميلة الأسدي النحاس مولاهم، ضعيف كذاب يضع الحديث"**.

ب) وصفه العلامة الحلي في القسم الثاني من خلاصته بالأوصاف السيئة ذاتها، وهكذا فعل ابن داوود وسائر علماء الرجال الذين اعتبروه ضعيفًا وكذابًا وواضعًا للحديث.

٣٨- المُفضل بن عمر:

أ) قال الغضائري عنه كما جاء في **مجمع الرجال** (ج٦، ص١٢٣ حتى ١٣١): **"المُفضل بن عمر الجعفي أبو عبد الله ضعيف متهافت مرتفع القول خطّابي وقد زيد عليه شيء كثير، وحمل الغلاة في حديثه حملاً عظيمًا ولا يجوز أن يُكْتَبَ حديثه. "**

ب) رجال النجاشي (ص٣٢٦): **"مفضل بن عمر أبو عبد الله قيل أبو محمد، الجعفي، كوفي، فاسد المذهب، مضطرب الرواية، لا يُعْبَأُ به. وقيل إنه كان خطابيًا. وقد ذكرت له مصنفات لا يُعَوَّلُ عليها. "**

ج) وفي رجال العلامة الحلي (ص٢٥٨): **" مفضل بن عمر أبوعبدالله ضعيف كوفي فاسد المذهب مضطرب الرواية لا يعبأ به متهافت مرتفع القول خطابي وقد زيد عليه شيء كثير وحمل الغلات في حديثه حملا عظيمًا ولا يجوز أن يكتب حديثه"**.

٣٩- موسى بن سعدان:

أ) في رجال النجاشي (ص٣١٧): **"موسى بن سعدان الحنّاط ضعيف في الحديث"**.

ب) في رجال العلامة (ص٢٥٧): **"موسى بن سعدان الحنّاط...روى عن أبي الحسن، ضعيفٌ في مذهبه غلوٌّ"**.

٤٠- يونس بن ظبيان: من الغلاة والكذابين المشهورين وقد جاء ذكره وترجمة حاله في

أكثر من مكان في هذا الكتاب وقد أتينا بحديث له في ترجمتنا لأحوال «**القاسم بن يحيى**» يكفي في بيان حاله[١].

٤١- **موسى بن عمران النخعي**: سنتكلم عنه في المبحث التالي عند تمحيصنا لسند «**الزيارة الجامعة الكبيرة**»[٢].

بعد أن انتهينا من ترجمة أحوال أهم رواة أحاديث فضائل الزيارة وأدعية الزيارة وتبين أن جميعهم[٣] غلاة كذابون ولا يمكن الاعتماد على رواياتهم[٤]، فإن سؤالاً يطرح نفسه: لو كان أولئك الرواة حقيقة وفعلاً مثل ما وصفهم علماء الرجال مثل: **الغضائري والنجاشي والكشي والشيخ الطوسي والعلامة الحلي وابن داوود** (ره) غلاة ووضاعون وكذابون فلماذا نجد أن علماءنا الأعلام رووا كثيرًا من الأحاديث في كتبهم الدينية في مسائل الأحكام الشرعية وفروع الفقه عن أولئك الرواة أنفسهم واعتمدوا على تلك الأحاديث في فتاواهم وفقههم؟! فإذا كانوا كاذبين متروكي الرواية فلا بد من ترك رواياتهم برمتها وليس هذا فحسب بل لابد من البراءة منهم ولعنهم، إذ ليس هناك كذبٌ أسوء من الكذب على الله ورسوله، كيف والكذب بحد ذاته في أي موضوع جرمٌ في غاية القبح لعن الله فاعليه فقال: ﴿فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ٦١﴾ [آل‌عمران: ٦١]، فما بالك في الكذب على الله ورسوله الذي اعتبره الله تعالى من أظلم الظلم وتوعَّد فاعليه في مواضع عديدة من كتابه الحكيم كقوله تعالى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأعراف: ٣٧، الصف: ٧،

---

(١) تقدم بيان حاله في الصفحات السابقة.

(٢) راجع المبحث التالي من الكتاب الحاضِر.

(٣) سواء منهم من ذكرنا أحوالهم هنا أم من لم نذكُر.

(٤) بين المؤلف المحترم هنا - كنموذج - أحوال ٤٤ من رواة أحاديث الزيارة. ونحن أيضًا قمنا، بذكر أسماء ١١٧ راوٍ آخر من رواة أخبار الزيارة، في خاتمة الكتب الحاضر، وبينا أحوالهم نقلاً عن كتب الرجال، تأييدًا منّا لقول المؤلِّف إن رواة أخبار الزيارة جميعهم غلاة وكذَّابون ووضَّاعون، وباختصار: غير موثوقين. وقد بدأنا ترقيم الأسماء هنالك بالرقم ٤٥ أي اعتبرناها متابعة للأسماء التي ذكرها المؤلف هنا. (**البرقعي**)

الأنعام: ١٢، ٩٣، ١٤٤. العنكبوت: ٦٨].

هنا سؤال يطرح نفسه، إذا كان هذا حال هؤلاء الرواة الكذّابين الجعّالين الذين تعرفنا على بعضهم في هذا الكتاب، فلماذا نُقلتْ أحاديثهم في الكتب الحديثية، واستنبطت منها الأحكام الشرعية التي يُعمل بها في المذهب؟! فإذا كانت أحاديث هؤلاء الرواة مقبولة ومُتَّبعة ومعتمَدة في المذهب، فهذا يعني أنهم لم يكونوا مطرودين ومتروكين، فلماذا جُرحوا بالجرح القاسي والطعن الشديد من قبل أئمة علم الرجال والجرح والتعديل كهؤلاء الذين ذُكرت أسمائهم ورموهم بالغلو والكذب والجعل؟ أليس البهتان والافتراء والغيبة وإشاعة الفاحشة في حق المؤمنين من أكبر الكبائر في الشريعة الإسلامية؟! كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٥٨﴾ [الأحزاب: ٥٨]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ﴾ [الحجرات: ١٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [النور: ١٩].

أي إذا كان هؤلاء الرواة المذكورين لم يكونوا مجروحين فلماذا طُعنوا وجُرحوا من قبل علماء الرجال بالغلوّ والكذب والجعل؟!

ويجب أن نعلم أنه لا شك في صحة ما نسبه علماء الرجال إلى هؤلاء الرواة الغلاة الكذابين، وأن هؤلاء العلماء لم يرتكبوا معصية ولا غيبة ولا افتراء ولا بهتانًا عند جرحهم لهؤلاء الرواة بل كل ما بينوه من الجرح والقدح والذم في حق هؤلاء الرواة ليس إلا شيئًا يسيرًا وحقيقة واحدة من ضمن ألف حقيقة عن هؤلاء الرواة المجرمين، لأنه في الواقع، أن هؤلاء الرواة كانوا من أشدّ أعداء الله ورسوله ودينه الإسلام، لأنهم أنشأوا زورًا وبهتانًا مذاهب ونحل مختلفة في الإسلام وارتكبوا خيانة عظيمة بطمس الإسلام وحقائقه وإظهاره دينًا عرضة للسخرية والاستهزاء، فحرموا البشرية من الاستفادة من ينابيعه

الصافية الخالدة. والأخطر من هذا كله، أنهم قضوا على أكبر مقصد للإسلام وغايته، وهو الوحدة الإسلامية، ففرقوا بين أبناء الأمة الإسلامية ومزقوها شر ممزق وجعلوها متشتتة ومتفرقة بمذاهب ونحل مختلفة متناحرة. ولذلك فإنهم أظلم الظالمين وأكثر الناس استحقاقًا للعنة الخالق سبحانه وجميع الخلق من الملائكة والإنس والجان.

في رأينا، العلاج الناجع إزاء هذه الأحاديث يجب أن يكون ما أرشدنا إليه الأئمَّة عليهم السلام أنفسهم، وهو عرض كل ما ينسبه الرواة إليهم على القرآن الكريم فما وافق القرآن أخذنا به وما خالفه ضربنا به عرض الحائط[1]، ولما كانت أحاديث الزيارة وأنواع الثواب الأسطوري عليها مخالفة لروح القرآن ونصه فهي أحاديث موضوعة ينبغي بالطبع أن نضرب بها عرض الحائط.

إليكم اليوم نتيجة بحث الزيارة حول وضع وكذب هذه المجموعة الضالة الغالية الوضَّاعة، هذا البحث الذي كنا قد كتبناه قبل عدّة سنوات وجهزناه للطباعة ولكن ممانعة حراس الخرافات وعرقلتهم منعتنا من طباعته وأجبرتنا على أن نضعه على الرف حتى سنحت الفرصة بمساعدة بعض الإخوة لطباعته على الآلة الكاتبة وتصوير نسخ عديدة منه نضعها اليوم أمام أنظار القراء الطالبين للحقيقة عسى أن يتأملوها بعقلهم الذي وهبهم الله إياه فينجوا من **ورطة الشرك والغلو** الذي يعتبر أعظم ذنب في نظر الشريعة المطهرة.

عسى الله تعالى أن ينظر بعين الرحمة والكرم إلى هذه الأمة فينتشلها من ذلتها ونكبتها ويرد المسلمين إلى أحكام الإسلام النقية والعظيمة التي فيها حياتهم وتقدمهم لاسيما ما أمر الله به من الاتحاد وإقامة الحكومة الإسلامية وإقامة الجمعة والجماعات والجهاد والعدل، **وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا باللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**.

---

(١) يُراجع في ذلك ما جاء في بَابُ الْأَخْذِ بِالسُّنَّةِ وَ شَوَاهِدِ الْكِتَابِ من كتاب «**أصول الكافي**» كقول الإمام الصادق عليه السلام قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: "**إِنَّ عَلَى كُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةً وَ عَلَى كُلِّ صَوَابٍ نُوراً فَمَا وَافَقَ كِتَابَ الله فَخُذُوهُ وَمَا خَالَفَ كِتَابَ الله فَدَعُوهُ**". وعن بْنَ أَبِي يَعْفُورٍ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ الله عَنِ اخْتِلَافِ الْحَدِيثِ يَرْوِيهِ مَنْ نَثِقُ بِهِ ومِنْهُمْ مَنْ لَا نَثِقُ بِهِ قَالَ: "**إِذَا وَرَدَ عَلَيْكُمْ حَدِيثٌ فَوَجَدْتُمْ لَهُ شَاهِداً مِنْ كِتَابِ الله أَوْ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وَإِلَّا فَالَّذِي جَاءَكُمْ بِهِ أَوْلَى بِهِ**".

لقد تبين أن أكثر بل جميع رواة أحاديث الزيارة إما كانوا أنفسهم من الغلاة والكذابين ووضاعي الحديث، أو كانوا تابعين للكذابين والغلاة ويروون عنهم، وسببوا كل هذا الفساد وإتلاف المال والأوقات، والأسوأ من كل ذلك أنهم أدوا إلى نشر الشرك والخرافات، هذا هو ما ننكره، أما احترام أولياء الله وأخذ العبرة والدروس من سيرتهم العظيمة والتأسي بهم وزيارة مراقدهم بهذا الغرض ولنوقظ في أنفسنا الهمة والتضحية لأجل عزة الدين وحرمته فهو أمرٌ مطلوبٌ ومستحبٌ في نظر كل عقلاء العالم. ولقد تلكمنا عن هذا الأمر على نحو وافٍ في كتابنا «**فلسفه قيام حسين**» [أي: فلسفة ثورة الحسين ﷺ][(1)]، فهذا ما قمنا به و نؤمن به، **وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ**.

---

(١) ألقينا قبل ثلاثين عامًا في ليلة ١٩/ صفر/ ١٣٦٩هـ خطبةً في الصحن الحسيني المطهر في كربلاء بحضور عدة آلاف من الزوّار والمجاورين ننقلها فيما يلي للقراء المحترمين ونذكّر بأننا لا زلنا نؤمن بما ذكرناه فيها ونلتزم به ونقترحه!

وقبل أن أنقل الخطبة أود أن أذكِّر بنقطة هامَّة وهي أنه من الممكن أن يتصور بعض الناس في نفسه أو يوسوس له بعض المغرضين بأن ما ذكرناه في كتابنا هذا ليس سوى ترديدٍ لأفكار ودعايات الطائفة الوهابية وغيرها من أعداء الشيعة!

فأقول في الإجابة عن هذه الشبهة:

أولاً: ما ذكرناه في رسالتنا هذه مأخوذٌ كله من مصادرنا الشيعية الموثَّقة ومن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ومن التواريخ المعتبرة وسير صدر الإسلام الموثوقة، قبل أن يتلوث المسلمون ببدع وخرافات الأمم الأخرى.

ثانيًا: إذا قالت الفرقة الوهابية أو أي فرقة أخرى قولاً حقًّا يوافق كتاب الله وسنة رسوله فهل علينا أن نرفضه أم يجب أن نقبل كل قول حسن يدل عليه الكتاب والسنة أيًّا كان قائله عملاً بأمر الله تعالى الذي يقول: ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٧- ١٨]. ونحن ملتزمون بهذا الطريق إن شاء الله تعالى.

خطبة المؤلف في الصحن الحسيني المطهَّر

في ذكرى أربعين الحسين عليه السلام عام ١٣٦٩ هـ ق وعملاً بأمر حضرة العلاّمة آية الله محمد الخالصي[1] -رحمة الله عليه- قمت أنا العبد الفقير بإلقاء خطبة في الصحن الحسيني في جموع الزوار من العرب والعجم الذين كان عددهم يربو على عدة آلاف تساءلت فيها: لماذا رغم هذه الجهود وصرف الإيرانيين لأموالهم وأوقاتهم في الأمور الدينية، لا نجد حالهم يتحسن ولا نجد أي ثمرة مفيدة تنعكس على حياتهم تجاه الإسلام؟! واستنتجتُ أن السبب هو الوضع السيئ والخاطئ للخطاب الديني والتبليغات الإسلامية التي ابتعدت عن روح الحقيقة وعن جوهر الإسلام وأصبحت ملوّثة بالأوهام والخرافات فلم يعد الإيرانيون يخرجون بأي ثمرة مفيدة رغم كل عشقهم وشوقهم لأهل بيت الرسالة وبذلهم كل تلك الأموال والأوقات لما يظنونه في اعتقادهم من أهم الأمور الدينية!

---

(١) هو المرجع المجاهد العلامة الشيخ آية الله محمد بن محمد مهدي الخالصي (١٣٠٧- ١٣٨٣هـ = ١٨٩٠-١٩٦٣م) من كبار فقهاء الإمامية ودعاة الإصلاح ونبذ البدع وإحياء معالم الإسلام الأصيل، ومن العاملين بصدق لأجل الوحدة الإسلامية بين الشيعة والسنة، من أهل الكاظمية، تفقه في الكاظمية والنجف واشترك مع أبيه المرجع محمد مهدي الخالصي، الذي كان أحد أبرز زعماء ثورة ١٩٢٠م ضد الاحتلال البريطاني في العراق، فنفاه الإنجليز مع أبيه وعددٍ من مراجع الشيعة إلى إيران، فبقي مُبْعَدًا فيها ثلاثين عامًا كانت له فيها صولات وجولات مع طاغيتها الشاه رضا خان بهلوي، ثم عاد في أواخر عمره إلى العراق وتوفي في الكاظمية عام ١٩٦٣. طبع له في حياته نحو ٧٠ كتابًا، منها «إحياء الشريعة في مذهب الشيعة» في ٣ أجزاء، و«الإسلام فوق كل شيء» خطب ومقالات في ٤ أجزاء، و«الرأسمالية والشيوعية في الإسلام». وكان المؤلف «حيدر علي قلمداران» من محبي الشيخ الخالصي وتلامذته الفكريين والتقى به عدة مرات وقام بترجمة بعض كتبه إلى الفارسية. (مترجم)

فمثلاً هؤلاء الزوار أنفسهم الذين جاؤوا في مثل هذا العام لزيارة الحسين عليه السلام غير عابئين بجميع المصاعب والمشاكل التي واجهتهم في طريق السفر، تدفعهم قوة الحب والإيمان، فصلوا إلى هذه العتبة المقدسة بصدورٍ متألمةٍ وأعينٍ باكيةٍ، ورغم كل ذلك نجد أن النتيجة التي حصَّلوها من هذا السفر والجهد ليست سوى إيمانهم بأنهم -طبقاً لما سمعوه من تبليغاتٍ خاطئة من المشايخ التقليديين- قاموا بإفراغ ما يحملونه في جعبتهم من أكوام الذنوب فرموها على عتبة الحسين! ليعودوا إلى بلدانهم وقد غُفرت جميع ذنوبهم مما يسمح لهم أن يعودوا فيملؤوا أكياسهم من الذنوب من جديد، أو على الأقل يصيبهم الغرور بأنهم أصبح لديهم من الحسنات ما يجعلُ اللهَ مديناً لهم!!

وهدية السفر التي يأتون بها لأقربائهم وأبناء مدنهم وقراهم ليست سوى وصف القباب والمآذن المذهبة الجميلة وشكل الصحن الحسيني وروعة الضريح وفخامة الأقمشة والسجاد بالإضافة إلى شيء من البضائع وتمر كربلاء!!

هذا في حين أننا لو كنا نملك تشكيلات صحيحة، ومنظمة دعوة وتبليغ إسلامية صحيحة، لأخذنا أعظم العبر ولتأثرنا كل التأثر من مشاهدة مزار أولئك الشهداء الأبطال الذين تلطخت أكفانهم بالدماء في سبيل الدفاع عن الإسلام وحفظه من عدوان جنود الشيطان فقدموا أرواحهم رخيصة على طبق الإخلاص في سبيل معشوقهم الحقيقي الله عز وجل. لو أن ذلك المشهد ترافق بتبليغ صحيح جدير بهذا المكان لغرس في قلوب زوار قرابين دين الله أولئك، روحَ التضحية والبذل في سبيل الله، ولنفخ فيهم العزم على السير على طريق أولئك الرُوَّاد والهداة وتقديم كل غالٍ ورخيص لإعلاء كلمة الله وإحياء دين الله كما فعل الحسين وأصحابه!

لو كنا نملك زعماءَ وعلماءَ ومبلغينَ واعين وأكفَّاء لاستطاعوا غرس روح التضحية في سبيل المجد والشرف والدين وحفظ حدود الإسلام في نفوس زوار الحسين، وأن ينفخوا في الذين يشاهدون تلك المشاهد المثيرة للهمم روحَ حب الاستشهاد كالبركان

الثائر والبحر المتلاطم.

فلا يوجد بيانٌ أبلغ ولا لسانٌ أوضح لتشجيع الناس على التضحية وبذل الروح لأجل الشرف والعزة من مشاهدة قبور أئمة الدين المجاهدين الملطخة أكفانهم بدم الشهادة في تلك الصحراء المحرقة حيث كانوا ينازلون أعداء الدين وشفاههم قد أبرمها العطش ووجوههم قد علاها الإنهاك والغبار في تلك الملحمة البطولية التي قدموا فيها رؤوسهم وأطرافهم رخيصةً في ميدان العشق الإلـهي على نحو أدهش ملائكة الملأ الأعلى وحيَّر الناظرين في عالم الملكوت!

وبدلاً من ذلك الضريح الفخم المزخرف بالذهب والفضة والجواهر والياقوت أي كل ما يحبه الفراعنة ويتعلق به الطواغيت، كم كان من الأفضل لو أُبقيت تلك القبور الدارسة لسيد شهداء كربلاء الحسين أبي الأحرار وأصحابه النبلاء على حالتها الطبيعية، كي يتذكر الإنسان ولو بنظرة سطحية قطع الأبدان الممزقة والرؤوس المفصولة عن الأجساد والأرجل والأصابع المقطعة المتناثرة لفدائيي الإسلام أولئك ويستحضر شفاههم العطشى التي سقطت قرب نهر الفرات السيّال وهي تتحسر على جرعة ماء! ويتذكر أكبادهم التي فتتها العطش وشرايينهم وأَوْرِدَتَهم التي جفَّت فيها الدماء، إن زيارة مثل هذا المشهد كانت كفيلة يقيناً بأن تشعل في قلب الزائر حرارة العشق الإلهي ذاتها التي حركت أولئك المجاهدين البواسل وجعلتهم يقدمون أرواحهم رخيصة في سبيل رضا المحبوب.

ألم يكن أولئك الشهداء هم من يأتي بجراحهم يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك، ببركة تقديمهم أرواحَهم الغالية في سبيل ما هو أغلى من الروح أي الدفاع عن الدين والحق والذَبّ عن أهل بيت النبي ﷺ؟

لقد كانوا الفراشات التي احترقت أجنحتها وهي تحيط بالشعلة الحسينية لا بل كانوا نجوم سماء الهداية التي تحيط بشمس الشهادة المشعّة، يكتسبون منها النور على الدوام

ليعكسوه إلى عالم البشر... ألا تستطيع مشاهدة قبورهم النيرة أن تشعّ في قلوب الناظرين المظلمة ذلك النور فتخرجهم من ظلمات المادية وعبادة الدنيا؟

قسماً بالحق لو استطعنا أن نرفع الستار من وراء تلك الزخارف والمصابيح والثريات وصفائح الذهب والفضة وأدوات الزينة التي لا تليق إلا بقبور الملوك وعُبَّاد الأموات، والتي تحول دون تجليّ مشهد محفل الشهادة ذاك، وأن ننظر بعين طلّاب الحق إلى حفلة التضحية بالأرواح تلك، لسارعنا إلى تقديم رؤوسنا وأيدينا على طبق الحب إلى مضيف ذلك الحفل أي رب العالمين، عساه يتقبلنا لديه في جوار رحمته الأبدية مع الشهداء والصالحين!

أقسم بالله عليكم أيها المسؤولون عن تلك الزينات والزخارف، وأسألكم بجمال الله رب الجمال إلا أزحتم ذلك الضريح الفضي والقطع المذهبة عن تلك القبور النيرة وأعدتم القمصان الملطخة بالدماء والأكفان الحمراء إلى أجساد أسود عرين الدين الأعزاء أولئك، وأسمعتمونا ذلك الرَّجَز الذي كانت شفاههم العطشى تلهث فيه مع أنفاسهم الأخيرة وهم يسلمون الروح إلى بارئها، عسى ذلك أن يُحيي فينا من جديد منظر كربلاء ويوم عاشوراء، فيبْرُزُ من بيننا شبابٌ أعزةٌ أحرارٌ كالحُرِّ بن يزيد الرياحِيّ التميمي، وشيوخٌ أبطالٌ مثلُ حبيب بن مظاهر الأسدي، في هذا الزمن الذي يصرخ فيه جسد الإسلام في أطراف الدنيا وأقصاها: **"هل من ناصر ينصرني، هل من معينٍ يعينني؟ "** فيهبوا لنصرته لينقذوه من كربة غربته، لا أن يُعَلِّقَ الزوارُ آمالاً مغرورةً على نيل درجات هائلة من الأجور وأنواع الثواب تعادل آلاف الحجات والغزوات، فيروا أنهم أدوا واجبهم نحو الدين وزيادة، فلا حرج عليهم بعد ذلك إن نالوا نصيباً من الفسق والفساد، فقد صار لديهم من الحسنات والأعمال الصالحة ما يكفيهم ويعوض تقصيرهم أضعافاً مضاعفة! كما هو الحال مع الأسف الشديد!

بالله عليكم أزيلوا ذلك الضريح الفضي والذهبي الذي لا يليق إلا بقبور الملوك

والفراعنة وجبابرة الأرض عن التربة الطاهرة لابن أبي تراب التي ضمت قطع بدنه المدمّاة، وإن أردتم المزيد فاطرحوا نموذجاً وشبيهاً لقميصه المدمّى والممزق بالسهام على قبره الشريف، وعندئذٍ اقرؤوا المرثية المثيرة للحماس لتعطوا القضية حقها وتجسدوا للناس الساعات الأخيرة من حياة الحسين أي قصة العشق والفداء لسيد شباب أهل الجنة وريحانة المصطفى الذي ودّع الدنيا وهو ينظر بقلبٍ يتفطر حسرة على تلك الأمة وينظر مشتاقاً إلى أبنائه وأخواته ونسائه الذين تُركوا وحيدين بلا مأوى ولا نصير إلى مصيرٍ مجهول في تلك البادية أمام جموع الأعداء، متمتماً:

إلهي رضاً بقضائك وصبراً على بلائك!

ألن يترك هذا أعظم الأثر في بيان عظمة الدين وقيمة التضحية في سبيله في نظر المسلمين؟؟ وعندئذٍ يمكننا أن نتوقع من زوار المرقد الحسيني أن يرجعوا بروحٍ مثل روح التوّابين، الذين عندما رأوا ذلك القبر الغريب في صحراء كربلاء بعد مُضي أكثر من خمس سنوات على واقعة عاشوراء، اشتعلت في نفوسهم نار الحسرة والندامة وقرروا ألا يقرّ لهم قرارٌ حتى يَهَبُوا أرواحهم وكل ما يملكون في طريق الحسين وخطّه!

مثل هذا المشهد المؤثر يمكن إقامته في المناسبات، حسب مقتضيات الزمان، في كل سنة مرة أو مرتين، كما كان يفعل شيعة أهل البيت في الصدر الأول. ولكن يا للأسف الشديد، إن تلك الدعايات الخرافية والخطاب الديني المنحرف حول أنواع الثواب التي لا حد لها ولا حصر الذي يناله الزائر بمجرد زيارته للقبر قد أفرغ القضية من محتواها وحولها إلى مراسم تقليدية تؤدى بهدف نيل ذلك الثواب العظيم، ولا تترك أثراً اللهم إلا إنشاء ذهنية مخالفة لآيات القرآن الكريم تُضْعِفُ في النفس أوامر الدين ونواهيه وتشجِّعها على التعدِّي على أحكام شريعة خاتم النبيين صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ، باعتبار أن الزائر يحصل من عظيم الأجر والثواب ما يغطي كل ما ارتكبه وما سيرتكبه!

الزيارة وحقيقتها

(نقد الزيارة الجامعة الكبيرة سندًا ومتنًا)

من الأدلة التي استند إليها آية الله العظمى (!) في كتابه «**أمراء الكون**» لإثبات الولاية التكوينية للأئمة عليهم السلام وتصرفهم في الكون وفي شؤون الخلق وتدبيرهم لها، بعض الفقرات من الزيارة المعروف باسم: «**الزيارة الجامعة الكبيرة**»[1] مثل: "**بِكُمْ فَتَحَ اللهُ وبِكُمْ يَخْتِمُ وبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وبِكُمْ يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ وبِكُمْ يُنَفِّسُ الهمَّ ويَكْشِفُ الضُّرَّ**... "!!

فقد استشهد في الصفحة ٤٨٠ من كتابه المذكور بفقرة "**وإِيَابُ الخَلْقِ إِلَيْكُمْ وحِسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ** " في تلك الزيارة لإثبات أن الأئمَّة هم الذين يحاسبون الخلق يوم القيامة، ولكي يُثَبِّت استدلاله المزعوم هذا نَقَلَ من كتاب «**الأنوار الإلهية**» للمحدِّث المرحوم الشيخ عباس القمي خلال روايته لهذه الزيارة عن الإمام علي النقي (أي الإمام الهادي عليه السلام) كلامَ العلّامة المجلسي بشأن الزيارة الجامعة الكبيرة الذي قال فيه: "**أقول إنما بسطتُ الكلامَ في شرح تلك الزيارة قليلاً وإن لم أستوف حقها حذرًا من الإطالة لأنها أصحُّ الزياراتِ سندًا وأعمُّها موردًا وأفصحها لفظًا وأبلغها معنىً وأعلاها شأنًا!!** "[2].

---

(١) هي زيارة معروفة وطويلة في ٨ صفحات منسوبة **إلى الإمام علي بن محمد الهادي** عليهما السلام، رواها الشيخ الصدوق بسنده إلى الإمام في كتابه «**عيون أخبار الرضا**» (ج٢، ص ٢٧٢ إلى ٢٧٨). ثم رواها عنه الشيخ الطوسي في «**تهذيب الأحكام**» تحت عنوان بَابُ زِيَارَةٍ جَامِعَةٍ لِسَائِرِ المَشَاهِدِ عَلَى أَصْحَابِهَا السَّلَامُ: (ج٦، ص٩٥-١٠١)، ورواها المجلسي عنهما وعن غيرهما ضمن عدة روايات في الجزء ٩٩ من بحار الأنوار.

(٢) المجلسي، **بحار الأنوار** (ج ٩٩، ص ١٤٥) من الطبعة الجديدة.

لذا سنقوم بدايةً بتمحيص سند حديث هذه «**الزيارة الجامعة الكبيرة**» الذي ادعى آية الله العظمى! صحته، ثم نبحث في فقرات متن الزيارة:

أولاً: لو فرضنا أن هذه الزيارة -كما تفضل العلّامة المجلسي- أصحّ جميع الزيارات فإن هذا لن يغني شيئًا لأنه لا توجد بين الزيارات أي زيارة واحدة صحيحة حتى تكون هذه أصحها، لأن جميعها إما لا سند له أو سنده ضعيف ومخدوش، فجميع أسانيد أحاديث الزيارات ومقادير ثوابها، لا تخلو من رواة غلاة فاسدي العقيدة والإيمان مما سيُلاحظه القارئ عن قريبٍ إن شاء الله.

روى العلّامة المجلسي في المجلد ٢٢ من بحار الأنوار (أو المجلد ٩٩، ص ١٢٧من الطبعة الجديدة) تلك الزيارة بسنده عن: «**الدقاق**» و«**السنائي**» و«**الوراق**» جميعًا عن «**الأسدي**» عن «**البرمكي**» عن «**النخعي**» عن حضرة الإمام علي بن محمد النقيّ (الهادي)عليه السلام، وفيما يلي بيان حال رجال السند:

أ) قال النجاشي عن «**الأسدي**»: "**محمد بن جعفر الأسدي كان ثقةً، صحيح الحديث، إلا أنه روى عن الضعفاء... وكان يقول بالجبر والتشبيه!!**".

ب) ووصفه ابن داوود بمثل تلك الأوصاف وأدرجه في القسم المتعلق بالضعفاء والمجروحين.

ج) وأورده المرحوم الممقاني في «**تنقيح المقال**» (ج٢، ص٩٥) في القسم الثاني وقال: "**قوله بالجبر والتشبيه فإنه لو كان على حقيقته لأوجب فسقه بل كفره** " ثم شرع في الدفاع عنه وتطهيره وتعميده!!

وقد روى الأسدي تلك الزيارة عن البرمكي وهو: "**محمد بن إسماعيل بن أحمد بن بشر البرمكي أبو جعفر المعروف بصاحب الصومعة، ضعيفٌ**".

وأورده الشيخ «طه نجف» في رجاله في زمرة الضعفاء.

والبرمكي روى الزيارة عن «**موسى بن عبد الله النخعي**» وهو شخص مجهول لا أثر له

في كتب الرجال.

وقال المرحوم الممقاني في «**تنقيح المقال**» لدى ترجمة «**موسى بن عبد الملك**»: "**إذا أهمله علماء الرجال فهذا لا يعني قدحه أو ذمه** " وبعد أن طمأن نفسه عن الرجل بتلك العبارة نقل عن الشيخ الصدوق احتماله أن يكون موسى بن عبد الملك هو موسى بن عبد الله النخعي ذاته وأنه لم يشرب النبيذ في حياته إلا عندما أحضره الخليفة المتوكل العباسي مع إبراهيم لمجلس القمار فشرب معه الشراب! وليس لدينا في كتب رجال الحديث إلا نخعيٌّ واحدٌ قال عنه الرضا عليه السلام: "**اخرج عني لعنك الله ولعن من حدّثك!**".

إن راوي الزيارة الجامعة المتصل بالإمام طبقًا لسند رواية الزيارة التي أوردها الصدوق في كتابه «**عيون أخبار الرضا**» هو «**موسى بن عمران النخعي**»، ورغم أن هذا الراوي ذُكر في كتاب «**من لا يحضره الفقيه**» للصدوق، وفي كتاب «**تهذيب الأحكام**» للشيخ الطوسي الذي نقل الرواية في الواقع عن «**من لا يحضره الفقيه**» باسم: «**موسى بن عبد الله النخعي**» إلا أن الظاهر أنهما (أي موسى بن عمران وموسى بن عبد الله) شخص واحد وقد نشأ الاشتباه في كتابة اسمهما لكون لَفْظَيْ عبد الله وعمران في رسم الخط الكوفي متطابقان.

هذا رغم أن كلاً من «**موسى بن عمران النخعي**» و «**موسى بن عبد الله النخعي**» مجهول في كتب الرجال ولكن هناك قرائن تدل أن الراوي هو في الواقع «موسى بن عمران النخعي» الذي قالت عنه كتب الرجال ما يلي:

أ) **موسى بن عمران النخعي** بن أخ الحسين بن يزيد الذي وصفته كتب الرجال بأنه من الغلاة وموسى بن عمران يسند رواياته إلى ابن يزيد، ولما كانت الزيارة الجامعة الكبيرة مملوءةً غلوًا فنسبتها لموسى بن عمران صحيحةٌ.

ب) **الحسين بن يزيد** عُدَّ من أصحاب الرضا عليه السلام في حين كان ابن أخيه: موسى بن عمران معاصرًا لحضرة الإمام عليّ الهادي عليه السلام.

ج) إن **لموسى بن عمران** عديدٌ من مثل تلك الأحاديث نجد نماذج عنها في كتاب «**كمال الدين وتمام النعمة**» للشيخ الصدوق.

وعلى كل حال فمما لا ريب فيه أن تلك الزيارة من اختلاق ووضع الغلاة والمشركين كما تدل على ذلك عباراتها وتثبته بأفضل برهان.

ولا شك أن «**موسى بن عمران النخعي**» راوي هذه الزيارة الجامعة الكبيرة من الغلاة فرائحة الغُلو تُشْتَمُّ بشدة من معظم رواياته التي جاءت في كتب الأخبار مثل الرواية التالية التي رواها عن عمه الحسين بن يزيد، وأخرجها الصدوق في كتابه «**التوحيد**» (ص١٥٤، طبع بومبي): "حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق (ره) قال حدثنا محمد بن جعفر الكوفي قال حدثنا موسى بن عمران النخعي الكوفي عن عمه الحسين بن يزيد عن علي بن الحسين عمن حدثه عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن أمير المؤمنين عليه السلام قال: "**أَنَا عِلْمُ اللهِ وَأَنَا قَلْبُ اللهِ الْوَاعِي وَلِسَانُ اللهِ النَّاطِقُ وَعَيْنُ اللهِ النَّاظِرَةُ وَأَنَا جَنْبُ اللهِ وَأَنَا يَدُ اللهِ!!**".

وإننا على يقين لا يخالطه ذرة شك أنه لا يمكن لأمير المؤمنين ومولى الموحدين أن يجري مثل تلك الألفاظ المغالية على لسانه!

وفي الكتاب ذاته (ص٢٩١) حديث آخر عن نفس ذلك الراوي، تصديقه بمثابة تكذيب نبوة رسول الله لأنه ينسب إلى رسول الله كلامًا عن طلوع الشمس وغروبها يضحك منه كل تلميذ مدرسةٍ في المرحلة الابتدائية!!

إن قراءة مثل هذه الترهات تبين بوضوح أن الغلاة كانوا إما حمقى أو من أشد أعداء الإسلام!

والخلاصة، إن رواة تلك الزيارة إما ضعفاء أو مجهولون أو غير موجودين!! فسندها -خلافًا لدعوى من يصححه- ليس صحيحًا أبدًا، وأما قولهم إنها من أصح الزيارات فينطبق عليه مَثَلُ «أعور بين عميان»!!

أما من ناحية المعنى فربما تكون هذه الزيارة من وجهة نظر الغلاة قمة في البلاغة، لأن بعض فقراتها تُشتم منه رائحة الشرك والغلو بله الشرك الصريح، ولا يمكن لإمام ولا حتى لفرد عاديٍّ مؤمن بالله واليوم الآخر وشريعة الإسلام الحقّة أن يجري على لسانه مثل تلك

الجمل معتقدًا بمضمونها. فالله تعالى هو القائل: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ۝٤٠﴾ [الرعد: ٤٠]، والقائل: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾ [الغاشية: ٢٥- ٢٦]، ولكن تلك الزيارة تقول:

«**إياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم**»!!

والله تعالى يقول: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩]. ولكن تلك الزيارة تقول: "**أشرقت الأرض بنوركم** "!

فكأن تلك الفقرات من الزيارة تجعل أئمة الهدى عليهم السلام آلهة العالم وأرباب العالمين فهل هناك شركٌ أوضح من ذلك؟! وإن لم يكن هذا شرك وكفر فلن يكون هناك أي شرك ولا كفر في العالم!!

وقد استشهد آية الله العظمى! برواية في أصول الكافي، كتاب التوحيد، باب النوادر، نَقَلَتْ عن حضرة الصادق عليه السلام قوله: "**إنَّ اللهَ خَلَقَنَا وصَوَّرَنا، وجَعَلَنا عَيْنَهُ في عِبَادِهِ وَلِسَانَهُ الناطِقَ في خَلْقِهِ، ويَدَهُ البَاسِطَةَ عَلَى عِبَادِهِ**.. "!

هذه العبارات تكفي وحدها دليلاً على بطلان هذه الرواية حتى لو فرضنا أن سندها صحيح، لأن هذا المتن مخالفٌ للقرآن والإيمان ومجافٍ للعقل والوجدان، فكيف إذا كان سندها أيضًا ضعيفًا متهافتًا، ومن المعلوم أن مجرّد وجود حديث في كتاب «**الكافي**» لا يدل بالضرورة على صحته[1]، فكما قلنا سابقًا إنه من أصل ١٦ ألف حديثٍ ذكرها الكافي، أقلّ من عُشْرِهَا سَنَدُهُ صحيح.

فلننظر الآن في سند الرواية الأخيرة:

الراوي الأول «**محمد بن إسماعيل**»: أورده الممقاني في **تنقيح المقال** (ج٢، ص٨٢) في القسم الثاني واعتبره من المجهولين. وهذا قد روى حديثه عن «**الحسين بن الحسن**» وهو أيضًا

---

(١) لقد حقَّقتُ في كتابي «**عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول**» أغلب أحاديث الجزء الأول من «**الكافي**» ومحَّصْتُها سندًا ومتنًا. (البرقعي).

طبقًا لما ذكره الممقاني في تنقيح المقال (ج١، ص٤٠) **مجهول ومهمل**. ثم هذا الأخير روى حديثه عن «**بكر بن صالح**» الذي قال عنه ابن الغضائري: "**ضعيفٌ جدًّا كثير التفرد بالغرائب** "!! وقال عنه النجاشي (رجال النجاشي، ص٨٤): "**بكر بن صالح الرازي مولى بني ضُبّة، ضعيفٌ**". وقال عنه العلامة الحلي في الخلاصة(ص٢٠٨): "**ضعيفٌ جدًّا كثير التفرد بالغرائب**". وأورده ابن داوود في القسم الثاني من رجاله المخصص لطبقة الضعفاء وضعّفه (رجال ابن داوود، ص٤٣٢). واعتبره في «الوجيزة» ضعيفًا أو مشتركًا بين الضعيف والمجهول، وأما الممقاني فقال عنه في تنقيح المقال: "**يسقط كل رواية لبكر بن صالح**".

والأخير روى الحديث عن «**هيثم بن عبد الله**» وهو مجهول الحال في كتب الرجال، وهو عن «**مروان بن صباح**» الذي لا ذكر له ولا أثر في كتب الرجال، وهو الذي وضع تلك الرواية ولفقها على لسان حضرة الصادق عليه السلام أو أن الرواة الذين قبله هم الذين اختلقوا هذا الراوي من أساسه واختلقوا الرواية التي رووها عنه!!

فهذه الرواية ساقطة من الاعتبار ومفضوحة الكذب إلى درجة أن العلامة المجلسي حكم بضعفها في كتابه «**مرآة العقول**» (ج١، ص٩٦). ورغم كل ذلك استند إليها آية الله العظمى! ليثبت عقيدة باطلة بالاستناد إلى رواية باطلة مكذوبة مُخْتَلَقة زاعمًا أن عقيدته التي يبشر بها مستندة إلى حديث صحيح! والله يقول: ﴿إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء:٨١].

ثم أراد جناب آية الله العظمى! أن يدعم أقاويله برواية أخرى فتحذلق ونقل حديثًا من كتاب «**الخرائج والجرائح**» للراوندي (ج٢، ص٦٢٢) -وهو كتاب مشحون بأمثال تلك المطالب الباطلة- جاء فيها:

"**ومنها أن داود الرقي قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: ما لي أرى لونك متغيرًا؟ قلت: غيّره دَيْنٌ فادحٌ عظيمٌ وقد هممت بركوب البحر إلى السند لإتيان أخي فلان! قال: إذا شئت فافعل. قلت: تروعني عنه أهوال البحر وزلازله. فقال: يا داود! إن الذي يحفظك في البر هو حافظك في البحر، يا داود! لولا اسمي وروحي لما اطردت الأنهار ولا أينعت الثمار ولا اخضرَّت الأشجار!**".

هذا مع أن «**داود بن كثير الرقي**» هذا قال عنه **الممقاني** في كتابه «**تنقيح المقال**» -الذي يبدو وكأنه ما أُلف إلا ليكون غُسْل تعميدٍ لتطهير كل الرجال سيئي السمعة! - ومع ذلك قال عنه: "**قال بن الغضائري: داوود بن كثير الرقي مولى بني أسد يروي عن أبي عبد الله** عليه السلام، **إنه كان فاسد المذهب ضعيف الرواية لا يُلتفت إليه**".

وقد أيَّد المرحوم النجاشي مقولة المرحوم الغضائري ونقل عن أحمد بن عبد الواحد قوله: "**داوود بن كثير الرقي يُكَنَّى أبا خالد وهو يُكَنَّى أبا سليمان، ضعيف جدًّا والغلاة يروون عنه**" قلت: ويبدو أن آية إلـهِنَا العظمى واحدٌ منهم!

وقال أحمد بن عبد الواحد: "**قَلَّ ما رأيت منه حديثًا سديدًا**" (رجال النجاشي، ص١١٩).

وقال أبو عمرو الكشي: "**ويذكر الغلاة إنه كان من أركانهم، ويُروى عنه المناكير من الغلو وتُنسب إليه أقوالهم**".

وأورده ابن داوود في **رجاله** في القسم الثاني الخاصّ بطبقة الضعفاء والمجهولين (ص٤٥٢) واعتبره فاسد المذهب، وكذلك اعتبره مير مصطفى في «**نقد الرجال**» (ص ١٢٩) "**ضعيفًا جدًّا وأن الغلاة يروون عنه**" و... و... الخ

نعم، مثل هؤلاء الغلاة الفاسدين هم مستند غلاة زماننا الذين يستخرجون من جُمَلِهِم المكذوبة المنكرة المغالية مئة شرك صريح ويدعون الناس إليه!

لنأتِ الآن إلى سائر جمل الزيارة الجامعة التي استند إليها آية الله العظمى في كتابه ليثبت ضلالاته:

إحدى فقرات الزيارات التي احتج بها آية الله العظمى! هذا هي العبارة التي نقلناها مرارًا خطابًا لأمير المؤمنين عليه السلام: "**السلام عليك يا عين الله الناظرة ويده الباسطة**"، وهذه الجملة ذكرها العلامة المجلسي في موضعين من «**بحار الأنوار**» في زيارة أمير المؤمنين: الموضع الأول في الزيارة التي نقلها العلامة المجلسي عن المرحوم الشيخ المفيد وتابعه في لفظها قائلاً: "**إنه أسبق وأوثق!**"، فأوردها بدون سند عن الإمام الصادق عليه السلام كما يلي، قال:

"أقول أورد الشيخ المفيد (ره) هذه الزيارة بأدنى تغيير مع زيادات فنتبع لفظه لأنه أسبق وأوثق قال (ره) تتمة في ذكر زيارة مولانا أبي الحسن أمير المؤمنين وأبي عبد الله الحسين صلوات الله عليهما جميعًا وهي مروية عن أبي عبد الله عليه السلام: إذا أردت ذلك فقف متوجهًا إلى قبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه وقل: السلام على مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صاحب السوابق والمناقب والنجدة...

(إلى قوله): السلام عليك يا أمير المؤمنين ويعسوب الدين وقائد الغر المحجلين السلام عليك يا باب الله السلام عليك يا عين الله الناظرة ويده الباسطة وأذنه الواعية وحكمته البالغة ونعمته السابغة السلام على قسيم الجنة والنار السلام على نعمة الله على الأبرار ونقمته على الفجار... ثم انكبْ على القبر فقَبِّلْهُ وقُلْ: سلام الله وسلام ملائكته المقربين والمسلمين لك بقلوبهم يا أمير المؤمنين.... إلى آخر الحديث... "[1].

والموضع الآخر في الزيارة الخاصة بيوم ١٧ ربيع الأول أي يوم ولادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتي نقلها أيضًا عن الشيخ المفيد وآخرين بلا سندٍ أيضًا عن حضرة الصادق عليه السلام كما يلي، قال:

"ومنها زيارة يوم السابع عشر من شهر ربيع الأول وهو يوم مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم. قال الشيخ المفيد والشهيد والسيد ابن طاووس في كتاب الإقبال رضي الله عنهم أجمعين رُوِيَ أن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام زار أمير المؤمنين صلوات الله عليه في هذا اليوم بهذه الزيارة وعلَّمها لمحمد بن مسلم الثقفي فقال:

إذا أتيتَ مشهدَ أمير المؤمنين صلوات الله عليه فاغتسل للزيارة والبس أنظف ثيابك وشم شيئا من الطيب وعليك السكينة والوقار فإذا وصلت إلى باب السلام فاستقبل القبلة وكبر الله ثلاثين تكبيرة وقل السلام على رسول الله السلام على خيرة الله السلام على البشير النذير السراج المنير ورحمة الله وبركاته السلام على الطهر الطاهر السلام على العلم الزاهر

---

(١) انظر الرواية بطولها في «بحار الأنوار» للمجلسي، ج٩٧، ص٣٠٥ – ٣٠٨، من الطبعة الجديدة.

السلام على المنصور المؤيد السلام على أبي القاسم محمد ورحمة الله وبركاته السلام على أنبياء الله المرسلين وعباد الله الصالحين السلام على ملائكة الله الحافين بهذا الحرم وبهذا الضريح اللائذين به.

ثم ادن من القبر وقل: السلام عليك يا وصي الأوصياء السلام عليك يا عماد الأتقياء السلام عليك يا ولي الأولياء... السلام عليك يا صاحب الحوض وحامل اللواء السلام عليك يا قسيم الجنة...

(حتى يصل بعد زيارة طويلة من عدة صفحات إلى أن يقول):

ثم انكبّ عَلى القَبْر فَقَبِّلْهُ وقُلْ أشْهَدُ أنَّكَ تَسْمَعُ كَلامِي وَتَشْهَدُ مَقَامِي... [إلى آخر الزيارة...] "[1].

وهذه الفقرة الأخيرة بالذات من الفقرات التي أكثر آية الله العظمى الاستناد إليها والاستشهاد بها، خاصَّةً أنه قد جاء في بعض النسخ بعد جملة "ثم انكَبْ على القبر فَقَبِّلْهُ " كلمة: «**وَقَال**» بدلاً من كلمة «**وَقُلْ**» أي بصيغة فعل الماضي بدلاً من فعل الأمر، مما يجعل العبارة السابقة كلها تُقْرَأُ على أنها من فعل الإمام الصادق عليه السلام نفسه أي "**ثم اِنْكَبَّ على القبرِ فَقَبَّلَهُ وقالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ تَسْمَعُ كَلامِي وَتَشْهَدُ مَقَامِي!**".

وسواءً كان الإمام الصادق هو الذي أدى الزيارة بالصورة المذكورة أو أنه علّمها لمحمد بن مسلم أو غيره وأمره بأدائها بتلك الصورة، فلا ريب أنها رواية موضوعة مكذوبة افتراها الغلاة الدجّالون ونسبوها إلى حضرة الصادق عليه السلام، هذا رغم أن الشيخ المفيد والسيد ابن طاووس وأمثالهما رووها، والدليل على ما نقول ما يلي:

أولاً: كما لاحظنا لا يوجد لتلك الروايات سند إلى الإمام الصادق عليه السلام أصلاً بل نُسِبَتْ إليه بدون سند بعبارة (وَرُوِيَ)، فإذا كانت الزيارات التي لها سند متهاوية ومرفوضة لأن في معظم أسانيدها ضعفاء وغلاة فما بالك بتلك التي ليس لها سندٌ أصلاً؟

---

(١) انظر الزيارة بطولها في «**بحار الأنوار**» للمجلسي، ج٩٧، ص٣٧٣ - ٣٧٥، من الطبعة الجديدة.

ثانيًا: إن قصة مجيء الإمام الصادق عليه السلام لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام ليست مُسَلَّمة تاريخيًّا كما سيأتي بيانه قريبًا.

ثالثًا: إن هناك اختلافات كثيرة في قصة مجيء حضرة الصادق عليه السلام إلى الكوفة في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور الدوانيقي لزيارة أمير المؤمنين علي عليه السلام، فمرةً تنسب القصة إلى «**صفوان الجمّال**» وأخرى إلى «**يونس بن ظبيان**» وأحيانًا تنسب إلى «**المعلّى بن خنيس**» الذي قتل على يد داوود بن علي عام ١٣٢ هـ ق أي قبل أن يصل أبو جعفر المنصور إلى مسند الخلافة!

وبعض هؤلاء الرواة مثل «**يونس بن ظبيان**» و «**المعلّى بن خنيس**» حالهم وخيم إلى درجة أنهم لو شهدوا على أمر واضح وضوح النهار لما أمكن الثقة بشهادتهم، وقد سبق وبينا حال الأول منهما وسيأتي بيان حال الثاني أي «**المعلّى بن خنيس**»(١) إن شاء الله.

رابعًا: لا ذِكْرَ في الكتب الموثوقة والمشهورة لقصة زيارة الصادق عليه السلام لقبر أمير المؤمنين عليه السلام، لذا نجد المرحوم المجلسي يرويها في المجلد ٢٢ من بحار الأنوار بالصورة التالية: "[فَرْحَةُ الغَرِيّ(٢)] ذكر الفقيه صفي الدين ابن معدان في مزار فقيهنا محمد بن علي بن

---

(١) لقد نسي المرحوم قلمداران وسقط من قلمه بيان حال «**المعلى بن خنيس**» هذا لذا نبينه فيما يلي:

قال النجاشي عنه أنه ضعيف لا ثقة فيه وقال الغضائري عنه بعد أن بين أنه كان مدةً من أتباع شخص منحرف كذاب هو «المغيرة بن سعيد»: يروي عنه الغلاة ولا أثق في حديثه.

وجاء في رجال الكشي صفحة ٢١٣ أن «المعلّى» كان يَعتَبِرُ الأوصياء كالأنبياء وأن الإمام الصادق أظهر براءته من أمثال أصحاب هذه الدعاوي. كما ضعّفه العلامة الحليّ.

نعم هناك أفراد غلاة وضعفاء مثل «عبد الله بن عبد الرحمن الأصم المسمعي» نقلوا لنا روايات في مدحه والثناء عليه ولكنها لا يُوثق بها خاصة أن جمهور علماء الرجال اتفقوا على أن الجرح مقدّم على التعديل. **(البرقعي)**

(٢) الغَرِيُّ على وزن الغَنِيّ، اسم موضع في النجف، يُعْتَقَدُ أن قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام يقع فيه، وهو الذي قام عليه الضريح الموجود اليوم. (تر).

الفضل وكان ثقةً عينًا صحيح الاعتقاد قال: أخذتُ هذه الزيارة من كتب عمومتي! وكانت بخط عمي الحسين بن الفضل، قال: حدثني.... عن صفوان بن يحيى **عَنْ صَفْوَانَ الْجَمَّالِ أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ الصَّادِقِ عليه السلام مِنَ الْمَدِينَةِ أُرِيدُ الْكُوفَةَ، فَلَمَّا جُزْنَا بِالْحِيرَةِ قَالَ: يَا صَفْوَانُ! قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ! قَالَ: تُخْرِجُ الْمَطَايَا إِلَى الْقَائِمِ وَحَدِّ الطَّرِيقِ إِلَى الْغَرِيِّ. قَالَ صَفْوَانُ: فَلَمَّا صِرْنَا إِلَى قَائِمِ الْغَرِيِّ أَخْرَجَ رِشَاءً مَعَهُ دَقِيقًا قَدْ عَمِلَ مِنَ الْكِنْبَارِ ثُمَّ أَبْعَدَ مِنَ الْقَائِمِ مَغْرِبًا خُطًى كَثِيرَةً، ثُمَّ مَدَّ ذَلِكَ الرِّشَاءَ حَتَّى إِذَا انْتَهَى إِلَى آخِرِهِ وَقَفَ، ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى الْأَرْضِ فَأَخْرَجَ مِنْهَا كَفًّا مِنْ تُرَابٍ فَشَمَّهُ مَلِيًّا، ثُمَّ أَقْبَلَ يَمْشِي حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَوْضِعِ الْقَبْرِ الْآنَ، ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ الْمُبَارَكَةِ إِلَى التُّرْبَةِ فَقَبَضَ مِنْهَا قَبْضَةً ثُمَّ شَمَّهَا ثُمَّ شَهَقَ شَهْقَةً حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ فَارَقَ الدُّنْيَا، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ هَاهُنَا وَاللهِ مَشْهَدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام... "**[1].

فمثل هذه الرواية المنقولة عن كتابٍ مجهول لا يمكن أن تكون موثوقةً معتمدةً لدى العام والخاص!

وكذلك نجد في كتاب «**كامل الزيارات**» (ص ٣٧) الرواية التالية: "**وعنه عن محمد بن الحسين عن الحجال عن صفوان بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال: فوصف لي موضعه حيث دكادك الميل، قال: فأتيته فصليت عنده، ثم عدت إلى أبي عبد الله عليه السلام من قابل، فأخبرته بذهابي وصلاتي عنده، فقال: أصبتَ. فَمَكَثْتُ عشرين سنةً أصلِّي عنده!**".

فإذا كان صفوان قد ذهب مع الإمام الصادق إلى النجف ورأى القبر -كما في الرواية قبل الأخيرة- لم يكن هناك داعٍ أن يكتفي مدة عشرين عامًا بتلك العلامة التي أعطاه الإمامُ إياها ويعتبرها دليلاً على صحة اكتشافه؟

ولما كان الإمام الصادق عليه السلام -كما هو معروف بالتاريخ- لم يأت إلى بغداد إلا في عهد خلافة أبي جعفر المنصور الذي وَلِيَ الخلافة عام ١٣٦ هـ ق، فإذا فرضنا أن الخليفة أحضر إليه

(١) المجلسي، **بحار الأنوار**، الطبعة الجديدة، ج ٩٧، ص ٢٣٥-٢٣٦. والرواية موجودة في كتاب «فَرْحَةُ الغَرِيِّ في تعيين قبر أمير المؤمنين عليّ» تأليف السيد عبد الكريم بن طاووس الحسني (٦٩٣هـ).

حضرة الصادق في أول سنة من خلافته (مع أن الأمر ليس كذلك، بل الصادق جاء إلى بغداد بعد فترة من خلافة المنصور) ونظرًا إلى أن وفاة الإمام كانت عام ١٤٨هـ ق ففي هذه الحال يكون الفاصل الزمني بين قدوم الإمام إلى الكوفة ووفاته أكثر أيضًا من ١٢ سنة، مع أن صفوان كان يزور تلك البقعة التي بينها له الإمام عشرين عامًا أي ثمان سنوات إضافية أيضًا بعد زيارة صفوان لها مع الإمام، فإذن قصة مجيء الإمام الصادق مع صفوان كذبٌ من أساسها.

خامسًا: لقد كان موضع قبر أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾ حتى زمان الإمام الصادق أمرًا مختَلَفًا فيه بين الشيعة، فبعضهم كان يعتقد أن عليًّا دُفن في مسجد الكوفة، وآخرون أنه دفن في قصر الإمارة، في حين كان فريق ثالثٌ يرى أنه دُفن في بيته، وكان فريقٌ رابعٌ يرى ما تقول به رواية صفوان. وهناك روايات عديدة تبين وجود هذا الاختلاف في موضع قبره ﴿عليه السلام﴾ بين الشيعة، منها مثلاً الرواية التالية التي رواها «**عبد الله بن جعفر الحِمْيَرِيّ**»[1] في كتابه «**قرب الإسناد**»:

"عن ابن عيسى عن البزنطي قال: سألت الرضا ﴿عليه السلام﴾ عن قبر أمير المؤمنين؟ فقال: ما سمعت من أشياخك؟ فقلت له: حدثنا صفوان بن مهران عن جدك أنه دفن بنجف الكوفة، ورواه بعض أصحابنا عن يونس بن ظبيان بمثل هذا. فقال (الإمام الرضا ﴿عليه السلام﴾): سمعتُ منه يذكر أنه دفن في مسجدكم بالكوفة. فقلت له: جعلت فداك! أيش لمن صلى فيه من الفضل؟

---

(١) هو أبو العباس عبد الله بن جعفر بن الحسين الحميري القمي، من أصحاب الإمام الحسن العسكري﴿عليه السلام﴾ ومن الفقهاء و رواة الحديث الكبار عند الشيعة الإمامية في القرن الثالث الهجري، كانت له مكاتبات مع الإمامين الهادي والعسكري، وكان يتمتع بشخصية رفيعة بين علماء الشيعة وفقهائهم الكبار، فلقد أطراه الشيخ الصدوق في مشيخة «**من لا يحضره الفقيه**» والنجاشي في «**الرجال**» فوصفاه بالفقاهة والوثاقة بين الرواة في مدينة قم، ويُعَدُّ من أساتذة الكليني البارزين وقد اعتمد عليه كثيرًا في كتابه «**الكافي**»، كما اعتمد سائر علماء الشيعة الكبار في موسوعاتهم الروائية على مرويَّاته كالصدوق في «**الفقيه**» و«**الخصال**» **والطوسي** في «**التهذيب**» والطبرسي في «**مكارم الأخلاق**» والمجلسي في «**البحار**» والحر العاملي في «**وسائل الشيعة**»، ولم يُعرف تاريخ ولادته و وفاته والمعروف أنه دخل الكوفة وحدث علماءها حوالي٢٧٠هـ. (تر).

فقال: كان جعفر (الصادق) عليه السلام يقول: له من الفضل ثلاث مرار هكذا وهكذا... الحديث"(١).

قلتُ: من هو المراد بالضمير في قول الإمام الرضا «سمعت منه»؟ يرى بعضهم أن الضمير يرجع إلى جدِّه الإمام الصادق، لكن هذا بعيدٌ جدًّا لأن الإمام الرضا ولد عام ١٤٨ هـ ق أي في السنة التي تُوفي فيها الإمام الصادق عليه السلام أو قبلها بعام، فكيف تسنى له أن يسمع ذلك منه؟! لذا الاحتمال الأغلب هو عودة الضمير إلى «يونس بن ظبيان» المذكور قبل ذلك.

وإليكم روايةً ثانيةً في هذا الصدد وردت في «**كامل الزيارات**» تقول:

"... عن الحسن بن الجهم قال: **ذكرت لأبي الحسن** (الإمام الرضا) عليه السلام **يحيى بنَ موسى وتعرُّضه لمن يأتي قبر أمير المؤمنين عليه السلام وأنه كان ينزل موضعًا كان يقال له الثوية يتنزه إليه ألا وقبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه فوق ذلك قليلاً وهو الموضع الذي روى صفوان الجمال أن أبا عبد الله عليه السلام وصفه له، قال له فيما ذُكِرَ: إذا انتهيت إلى الغري ظهر الكوفة فاجعله خلف ظهرك وتوجه على نحو النجف وتيامن قليلاً فإذا انتهيت إلى الذكوات البيض والثنية أمامه فذلك قبر أمير المؤمنين عليه السلام، وأنا آتيه كثيرًا. ومن أصحابنا من لا يرى ذلك ويقول هو في المسجد وبعضهم يقول هو في القصر، فأرُدُّ عليهم بأن الله لم يكن ليجعل قبر أمير المؤمنين عليه السلام في القصر في منازل الظالمين ولم يكن يدفن في المسجد وهم يريدون ستره فأينا أَصْوَبُ؟؟ قال: أَنْتَ أَصْوَبُ مِنْهُ أَخَذْتَ بقول جعفر بن محمد (الصادق) عليه السلام، قال ثم قال لي: يا أبا محمد! ما أرى أحدًا من أصحابنا يقول بقولك ولا يذهب مذهبك!**".

وعلى كل حال فمن المسلّم به تاريخيًّا أن قبر أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام لم يكن معروفًا على وجه الدقة في زمن الإمام الرضا عليه السلام وبناءً عليه فتحديد موضع القبر في زمن الإمام

---

(١) المجلسي، **بحار الأنوار**، الطبعة الجديدة، ج ٩٧، ص٢٣٨. وروي مثل هذه الرواية في «كامل الزيارات» ولفظها: "أبي عن سعد عن ابن عيسى عن البزنطي قال سألت الرضا عليه السلام فقلت أين موضع قبر أمير المؤمنين؟ فقال: الغري. فقلت له: **جعلت فداك، إن بعض الناس يقول دفن في الرحبة قال لا ولكن بعض الناس يقول دفن في المسجد**" وانظر **بحار الأنوار**، ج ٩٧، ص٢٤٥.

الصادق عليه السلام لا يمكن أن يكون صحيحًا.

سادسًا: تدل كتب التاريخ الموثوقة والمعتبرة على أن أول من اكتشف قبر أمير المؤمنين عليه السلام هو الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي كان في رحلة صيد فرأى ذلك المحل فسأل الفلاحين وأهل بادية النجف عنه فقالوا لقد سمعنا من آبائنا أن قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام هو في موضع ما من هذه البقعة فأمر هارون عندئذٍ أن يحفروا في ذلك الموضع فاكتشفوا مكان القبر وبنوا عليه ومن الجدير بالذكر أن هارون وَلِيَ الخلافة عام ١٧٠ هـ ق أي بعد حوالي عشرين عامًا من رحلة الإمام الصادق التي كانت عام ١٤٨ هـ ق إضافةً إلى أننا لا نعلم في أي سنة من خلافته اكتشف هارون قبر أمير المؤمنين؟

وأيًّا كانت الإجابة فمن المُسَلَّم به أنه لم يكن في زمن حضرة الصادق عليه السلام قبرٌ معروفٌ لعليٍّ عليه السلام، فلا مجال أن يأمر الصادق عليه السلام «محمد بن مسلم الثقفي» بالذهاب إلى زيارة قبره وأن يعلّمه آداب الدخول إلى حَرَمه من باب السلام، هذا مع أن قصة الزيارة التي رواها المرحوم الشيخ المفيد والآخرون تدل على أن القبر كان له في ذلك الحين عدة أبواب وأروقة، كما أنه جاء في تلك الروايات أنه أمر مرافقه بالانحناء لتقبيل القبر أو أنه هو نفسه انحنى وقبله هذا في حين أنه في زمن حضرة الصادق لم يكن هناك قبر أصلاً ولا دربٌ!! ولأن حبل الكذب قصير فإن رواة قصة تلك الزيارة المزعومة غاب عن ذهنهم أنه في زمن حضرة الصادق لم يكن هناك لقبر عليٍّ أبوابٌ وفناءٌ وضريحٌ لكي يفعلوا فيه كذا وكذا!!

والخلاصة، إن هناك اختلافًا كبيرًا في كتب التاريخ حول محل قبر عليٍّ عليه السلام وكيفية دفنه إلى درجة لا يمكن لأحدٍ أن يجزم على وجه اليقين بأن المرقد الكائن حاليًا في النجف هو قبره حقيقةً.

يقول الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير في تاريخه «**البداية والنهاية**» (ج٧، ص٣٣٠):

"وما يعتقده كثير من جهلة الروافض من أن قبره بمشهد النجف فلا دليل على ذلك ولا أصل له، ويقال إنما ذاك قبر المغيرة بن شعبة، حكاه الخطيب البغدادي عن أبي نعيم الحافظ عن أبي بكر الطلحي، عن محمد بن عبد الله الحضرمي الحافظ، عن مطر أنه قال: لو علمت

الشيعة قبر هذا الذي يعظمونه بالنجف لرجموه بالحجارة، هذا قبر المغيرة بن شعبة.

وقد حكى الخطيب البغدادي عن أبي نعيم الفضل بن دكين، أن الحسن والحسين حولاه فنقلاه إلى المدينة فدفناه بالبقيع عند قبر فاطمة، وقيل إنهم لما حملوه على البعير ضل منهم فأخذته طَيْء يظنُّونه مالاً فلما رأوا أن الذي في الصندوق ميتٌ ولم يعرفوه دفنوا الصندوق بما فيه فلا يعلم أحدٌ أين قبره، حكاه الخطيب أيضًا.

وروى الحافظ ابن عساكر عن الحسن قال: دفنت عليًّا في حُجْرَةٍ من دور آل جعدة.

وعن عبد الملك بن عمير قال: لما حفر خالد بن عبد الله أساس دار ابنه يزيد استخرجوا شيخًا مدفونًا أبيض الرأس واللحية كأنما دفن بالأمس، فَهَمَّ بإحراقه ثم صرفه الله عن ذلك، فاستدعى بقباطي فلفه فيها وطيبه وتركه مكانه.

قالوا وذلك المكان بحذاء باب الوراقين مما يلي قبلة المسجد في بيت اسكاف وما يكاد يقر في ذلك الموضع أحد إلا انتقل منه.

وعن جعفر بن محمد الصادق: قال: صُلِّيَ على عليٍّ ليلاً ودُفِنَ بالكوفة وعُمِّيَ موضع قبره ولكنه عند قصر الإمارة. " اهـ.

وجاء في تاريخ «مروج الذهب» للمسعودي (ج٢، ص٢):

"وقد تنوزع في موضع قبره، فمنهم من قال: إنه دفن في مسجد الكوفة، ومنهم من قال: به حمل إلى المدينة فدفن عند قبر فاطمة، ومنهم من قال: إنه حمل في تابوت على جَمَلٍ، وإن الجملَ تاه ووقع إلى وادي بطيء، وقد قيل من الوجوه غير ما ذكرنا.. "[١].

وفي «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (ج١، ص ١٣٤-١٣٥):

"عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة قال سألتُ أبا جعفر محمد بن علي (الباقر): كم كان سِنُّ عليٍّ يوم قُتِلَ؟ قال: ثلاثًا وستين سنة. قلت: ما كانت صفته؟ قال: رجلٌ آدمُ شديدُ

(١) هذه الأقوال مذكورة في معظم كتب التاريخ ومن جملتها كتاب «تاريخ دمشق» لابن عساكر، ج ٣، ص ٣١٠.

الأدمةِ، ثقيل العينين عظيمهما، ذو بطن، أصلع، هو إلى القصر أقرب. قلتُ: أين دفن؟؟ فقال: بالكوفة ليلاً، وَقَدْ عُمِّيَ عَنِّي دَفْنُهُ"[1].

ثم في (ج١، ص١٣٦) من «**تاريخ بغداد**»: بسنده عن أحمد بن عيسى العلوي قال حدثني أبي عن أبيه عن جده "**عن الحسن بن علي قال: دفنتُ أبي عليَّ بن أبي طالب في حجلة أو قال في حجرة من دور آل جعدة بن هبيرة**".

ثم في (ج١، ص١٣٧) منه أيضًا:"...عن أبي قلابة الرقاشي قال **نبأنا الحسن بن محمد النخعي قال جاء رجل إلى شريك فقال: أين قبر علي بن أبي طالب؟؟ فأعرض عنه حتى سأله ثلاث مرات! فقال له في الرابعة: نقله والله الحسن بن علي إلى المدينة! هذا لفظ حديث البغوي قال وقال عبد الملك: وكنت عند أبي نعيم فمرَّ قوم على حمير، قلت: أين يذهب هؤلاء؟ قال: يأتون إلى قبر علي بن أبي طالب، فالتفت إليَّ أبو نعيم فقال: كذبوا! نَقَلَهُ الحسنُ ابنُهُ إلى المدينة!**".

وقال الخطيب البغدادي بعد ذلك أيضًا (في الصفحة ١٣٨):

"**حكى لنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ قال سمعت أبا بكر الطلحي يذكر أن أبا جعفر الحضرمي مطينا كان ينكر أن يكون القبر المزور بظاهر الكوفة عبر علي بن أبي طالب**عليه السلام**، وكان يقول: لو عَلِمَتِ الرافضةُ قبرَ مَنْ هذا لَرَجَمَتْهُ بالحِجَارَةِ، هذا قَبْرُ المغيرةِ بنِ شُعْبَة!**".

وفي طبقات ابن سعد (ج٣، ٣٨): "**دُفن عليٌّ بالكوفة عند مسجد الجماعة**".

ليس قصدنا هنا، بالطبع، أن نؤيد هذه الرواية أو تلك أو ندحض هذا الخبر أو ذاك، وإنما عرضنا ذلك لبيان بطلان بعض عبارات «**الزيارة الجامعة الكبيرة**» وفقراتها، ففي الوقت الذي لم يكن فيه قبر أمير المؤمنين عليه السلام معلومًا على وجه التحديد بل كان موضع اختلاف شديد، كيف جاءت تلك الفقرات على لسان الإمام؟ ومن الطريف أنه في كتاب «**فَرْحَةُ**

---

(١) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج١، ص ١٣٤-١٣٥.

الغَرِيّ» لابن طاووس[١] خلاف ذلك عن محمد بن مسلم الثقفي حيث جاء أنه دخل على الصادق عليه السلام هو وسليمان بن خالد وسألاه عن قبر أمير المؤمنين فأعطاهما الإمام علاماتٍ فذهبا وتوصَّلا إلى الأثر بواسطة تلك العلامات!

إذن كل تلك الفقرات الواردة في الزيارات موضوعة ولا يمكن لإمامٍ أن يخاطب عليًّا فيقول له: (يا عين الله الناظرة) لكي يقدم مستمسكًا للغلاة وعقائدهم.

يُضَاف إلى ما ذكر أن في تلك الزيارات، خاصَّةً «**الزيارة الجامعة الكبيرة**» فقراتٌ يشهد العقل والوجدان ببطلانها وتدل السيرة والتاريخ على كذبها مثل:

"**السلام عليك يا من خاطب الثعبان وذئب الفلاة** " أو جملة "**السلام عليك يا من رُدَّت له الشمس حامي شمعون الصفا**".

تُشير الجملة الأولى إلى قصة وردت في كتاب «**مدينة المعاجز**» للسيد هاشم البحراني (توفي ١١٠٧ هـ ق) -وهو من الكتب المحشوة بالخرافات- تفيد أن ثعبانًا عظيمًا مخيفًا دخل الكوفة زمن خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام وكلم أمير المؤمنين وتكرر هذا الدخول والخروج والكلام أمام الناس خمس مرات... الخ. وعلينا أن نرجع إلى مثل تلك الكتب لنتعرّف على تفاصيل تلك الأكاذيب الفاقعة!![٢]

---

(١) هو السيد عبد الكريم ابن السيد أحمد بن طاووس وهو ابن أخ السيد علي بن طاووس صاحب كتاب «**إقبال الأعمال**»، كان شاعرًا ونسابةً وأديبًا علاوة على كونه فقيهًا، تتلمذ على أساتذة كبار في عصره منهم عمه الكبير علي بن موسى بن طاووس ومنهم المحقق الحلي والخواجة نصير الدين الطوسي وغيرهم، توفي السيد عبد الكريم سنة ٦٩٣ هـ ق، ولم يبق من تأليفاته إلا كتابان هما: «فرحة الغري بصرحة القرى» و«الشمل المنظوم في مصنفي العلوم». (تر).

(٢) كيف يُمكن للنبيّ الكريم الذي خاطبه ربُّه تبارك وتعالى قائلاً: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الحجر: ٨٨] أو قال: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾ [الشعراء: ٢١٥] أو للإمام الذي كان أسوة في التواضع ولم يكن يسمح للآخرين أن يُلقِّبوه ويُخاطبوه بألفاظ التبجيل والتجليل المتكررة كما يُخاطب الملوك والسلاطين كما لم يكن أتباع النبي والأئمة يفعلون ذلك، أقول: كيف يُمكن أن يُعلِّمونا أن

ومن العجيب أن يظهر ثعبانَ موسى مرتين فقط، كما يَنُصُّ عليه صريح القرآن (إذْ ظهر أول مرة لسيدنا موسى عليه السلام وحده في الطور، ثم ظهر مرةً أخرى أمام فرعون والسحرة والناس)[١] ومع ذلك أحدث كل تلك الضجة في الدنيا وأقام عرش فرعون وأقعده، حتى آل ذلك في النهاية إلى غرق فرعون وزوال ملكه، ولكن ثعبان الكوفة الذي تكلم كل ذلك الكلام بالإضافة إلى ظهوره خمس مرات أمام الناس، لم يخبر بقصته أحد سوى فردٍ واحد من الغلاة الوضَّاعين للحديث، حقًا إنها لمعجزة طريفة!!

ومن فقرات تلك الزيارة: "**السلام عليك يا من رُدَّت له الشمس** "!!

وفيها إشارة إلى قصة استدلَّ بها الغلاة على تصرف أمير المؤمنين عليه السلام في الكون والمكان وأطنبوا في نقلها ودندنوا فيها في مجالسهم ومحافلهم، مع أن العلم والحس والعقل والتاريخ كلها تشهد باستحالتها وكذبها[٢].

إن الإيمان بمثل تلك الأساطير في زماننا يؤدي إلى السخرية من عقول المؤمنين والاستهزاء بالدين المبين، وربما أدى لدى البعض إلى إنكار سائر فضائل أمير المؤمنين عليه السلام الحقيقية الواقعية، ورغم تلك المخاطر من النادر أن نجد شاعرًا من المداحين الجاهلين - الذين كثيرًا ما يختلقون مناقب لحضرة أمير المؤمنين من عند أنفسهم- لا يشير إلى منقبة ردّ الشمس في شعره أو نثره!

لذا من الجدير أن ننقل تلك القصة من أفضل صحاح الشيعة وأكثرها ثقةً لنمحِّصها ونحقِّقها:

نُخاطبهم بخطاب: «يا عين الله الناظرة» أو بخطاب: «**السلام عليك يا من خاطب الثعبان وذئب الفلاة، السلام عليك يا من رُدَّت له الشمس**»؟!!! **(البرقعي)**

(١) في الواقع الذي يُستفاد من القرآن ظهور الثعبان لموسى ثلاث مرات وليس مرتين إذْ ظهر له وحده عندما كان في الطور، وثانيةً عندما أظهر هذه المعجزة لفرعون في قصره، وثالثةً يوم الزينة عندما أظهر الثعبان أمام فرعون والسحرة وعامة الشعب. (المُنَقِّح)

(٢) ذكرت مطالب مفيدة في كتابي «**الخرافات الوافرة في زيارات القبور**» حول قضية ردّ الشمس (البرقعي).

يروي الكليني في الكافي فيقول: "عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ الكافي عِيدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ صَدَقَةَ عَنْ عَمَّارِ بْنِ مُوسَى قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وأَبُو عَبْدِ الله عليه السلام مَسْجِدَ الْفَضِيخِ فَقَالَ: يَا عَمَّارُ تَرَى هَذِهِ الْوَهْدَةَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ كَانَتِ امْرَأَةُ جَعْفَرٍ التي خَلَفَ عَلَيْهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَاعِدَةً فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ومَعَهَا ابْنَاهَا مِنْ جَعْفَرٍ فَبَكَتْ فَقَالَ لَهَا ابْنَاهَا مَا يُبْكِيكِ يَا أُمَّهْ قَالَتْ بَكَيْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَا لَهَا تَبْكِينَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ولَا تَبْكِينَ لِأَبِينَا قَالَتْ لَيْسَ هَذَا هَكَذَا ولَكِنْ ذَكَرْتُ حَدِيثًا حَدَّثَنِي بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فَأَبْكَانِي قَالَا ومَا هُوَ قَالَتْ كُنْتُ أَنَا وأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ فَقَالَ لِي: تَرَيْنَ هَذِهِ الْوَهْدَةَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ كُنْتُ أَنَا ورَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ قَاعِدَيْنِ فِيهَا إِذْ وَضَعَ رَأْسَهُ فِي حَجْرِي ثُمَّ خَفَقَ حَتَّى غَطَّ وحَضَرَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ فَكَرِهْتُ أَنْ أُحَرِّكَ رَأْسَهُ عَنْ فَخِذِي فَأَكُونَ قَدْ آذَيْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ حَتَّى ذَهَبَ الْوَقْتُ وفَاتَتْ فَانْتَبَهَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ صَلَّيْتَ قُلْتُ: لَا قَالَ: ولِمَ ذَلِكَ قُلْتُ: كَرِهْتُ أَنْ أُوذِيَكَ قَالَ: فَقَامَ واسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ومَدَّ يَدَيْهِ كِلْتَيْهِمَا وقَالَ: اللهمَّ رُدَّ الشَّمْسَ إِلَى وَقْتِهَا حَتَّى يُصَلِّيَ عَلِيٌّ فَرَجَعَتِ الشَّمْسُ إِلَى وَقْتِ الصَّلَاةِ حَتَّى صَلَّيْتُ الْعَصْرَ ثُمَّ انْقَضَّتْ انْقِضَاضَ الْكَوْكَبِ "[1].

---

(١) **الفروع من الكافي**، ج١، ص٣١٩، وحديث ردت الشمس على علي بن أبي طالب ورد في بعض كتب أهل السنة الحديثية أيضًا! ولكن رده كبار المحدثين كالإمام أحمد بن حنبل وعلي بن المديني وإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني وابن زنجويه وابن عساكر، وذكره ابن الجوزي في كتابه الموضوعات، وصرَّح بوضعه المزي والذهبي وابن القيم وابن كثير ومن المعاصرين الشيخ الألباني وغيرهم. قال ابن القيم في المنار المنيف (ص/ ٥٧) في العلامات التي يعرف بها كذب الحديث على رسول الله ﷺ: «ومنها: أن يدعى على النبي ﷺ أنه فعل أمرًا ظاهرًا بمحضر من الصحابة كلهم، وأنهم اتفقوا على كتمانه، ولم ينقلوه.... كما يزعم أكذب الطوائف أنَّ الشمس رُدَّت لعلي بعد العصر، والناس يشاهدونها. ولا يشتهر هذا أعظم اشتهار إلا من حديث أسماء بنت عميس؟!».

وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ٨٥): «والذي يظهر والله أعلم أنه مركب مصنوع مما عملته أيدي الروافض قبحهم الله ولعن من كذب على رسول الله وعجل له ما توعده الشارع من العذاب والنكال حيث قال وهو الصادق في المقال من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار». وقال أيضًا في

فأقول: إن هذه الرواية مخدوشة سندًا لما يلي:

أ) راويها الأول «**سهل بن زياد**» أورده الشيخ الطوسي في كتابه «**الفهرست**» وقال عنه في كتابه «**الاستبصار**»: "**ضعيف جدًّا عند نقّاد الأخبار**". كما اعتبره النجاشي في رجاله ضعيفًا وغير ثقة، وقال: إن محمد بن عيسى عليه الرحمة شهد عليه بالغلو واعتبره كذابًا وأخرجه من قم وأظهر البراءة منه ونهى الناس عن سماع حديثه أو الرواية عنه.

وقال عنه الغضائري: "**سهل بن زياد أبو سعيد الأدمي الرازي كان ضعيفًا جدًّا فاسد الرواية والدين** "، وقال كذلك: "**يروي المراسيل ويعتمد المجاهيل**".

واعتبره الفضل بن شاذان أحمقًا، وهكذا جرحه كل علماء الرجال.

فإذا عرفنا حال هذا الراوي الأول لهذا الحديث أصبحنا في غنى عن معرفة حال سائر رواة سنده، إلا أن الذين ينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة:٩٣]. ليس من السهل عليهم أن ينفكوا عن الإيمان بخرافة طالما اعتقدوا صحتها، لذا إكمالاً للحجة سنبين حال سائر رفاق وأساتذة ذلك الراوي الأول ليظهر أمامنا جليًّا صدق قول الله تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٧]، فنقول:

ب) الراوي الذي نقل عنه سهل بن زياد هو **مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ** الذي قال عنه الممقاني في تنقيح المقال (ج٣، ص٢٥٤): **إنه مجهول وضعيف.**

البداية والنهاية (٦/ ٢٨٢): «وردَّه وحكم بضعفه آخرون من كبار حفاظ الحديث ونقادهم، كعلي بن المديني، وإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، وحكاه عن شيخه محمد ويعلى بن عبيد الطنافسيين، وكأبي بكر محمد بن حاتم البخاري المعروف بابن زنجويه أحد الحفاظ، والحافظ الكبير أبي القاسم ابن عساكر، وذكره الشيخ جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي في كتاب الموضوعات، وكذلك صرَّح بوضعه شيخاي الحافظان الكبيران أبو الحجاج المزي، وأبو عبد الله الذهبي...». والشيخ الألباني بعد أن تحدث بالتفصيل عن هذا الحديث متنًا وسندًا فقال: «وجملة القول: أن العقل إذا تأمل فيما سبق من كلام هؤلاء الحفاظ على هذا الحديث من جهة متنه، وعلم قبل ذلك أنه ليس له إسناد يحتج به، تيقن أن الحديث كذب موضوع لا أصل له». [انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٩٧١)]: (الـمُصحح)

ج) والراوي الآخر في السند «**عمّار بن موسى الساباطي**» وصفه الممقاني في تنقيح المقال (ج٢، ص٣١٨) بأنه **فطحيّ المذهب**.

وقال كاشف الرموز: (عمار فطحي لا أعمل على روايته) وقال الشيخ الطوسي بشأنه: "**إن عمار الساباطي ضعيف فاسد المذهب لا يُعمل على ما يُختص بروايته**".

واعتبره صاحب التكملة فطحيًّا ملعونًا ومن الكلاب الممطورة!

أجل! هؤلاء هم رواة حديث ردّ الشمس!

ولست أدري أي سياسة اختلقت تلك الفقرات وأدرجتها ضمن زيارةٍ نسبتها إلى حضرة الإمام الصادقعليه السلام؟ وحثت الناس على قراءتها صباح مساء أمام القبور المطهرة للأئمة سلام الله عليهم؟ الله وحده العالم!

أما ما نعلمه نحن فهو أن نتيجة مثل هذه الأوهام والخرافات والأكاذيب الموضوعة التي شاعت بين الناس، انصراف الناس عن الخالق إلى الخلق وعن التوحيد إلى الشرك، وإعطاء مبررٍ لأعداء الدين للسخرية منه والاستخفاف بدين الإسلام المبين وأحكامه، وفي النهاية بثّ بذور الشك في أذهان العقلاء الأذكياء تجاه حقائق الدين.

وما من شك في أنه إن لم يكن أعداء الإسلام وراء بثّ مثل تلك الخرافات فإنهم كانوا مسرورين من انتشارها لأن معظم أهدافهم يتحقق بانتشار مثل تلك الأوهام لأنها تشوه صورة الإسلام وتضعفها أمام أنظار العقلاء إضافة إلى زرعها الغرور في نفوس الجاهلين وتجرئتهم على مقررات الشرع والفساد، فيفعلون في الإسلام -دون أن يشعروا- ما يفعله أعداء الدين فيه.

مسألة الزيارة

(منشأ تعظيم القبور والغلوّ في الأموات)

إن الاعتقاد ببقاء الأموات وحياتهم بعد موتهم، بغض النظر عن كون البقاء للروح فقط أم للجسم والروح، اعتقادٌ عريقٌ لدى أغلب -إن لم يكن جميع- الأمم السالفة والقرون الماضية، ومن هنا كانت الشعوب القديمة تمارس طقوسًا خاصةً عند دفن موتاها تتصل بهذا الاعتقاد، ومن جملة ذلك أن بعض الشعوب كانت تضع إلى جانب الميت في حفرته تحت الأرض بعض الأطعمة الضرورية ومصباحًا والأشياء التي كان يحبُّها الميِّتُ حالَ حياته! [1]

يقول «**جان ناس**» في كتابه «**تاريخ جامع اَديان**» (أي التاريخ الجامع للأديان): "يعتقد الأقوام البدائيّون أن السماء عالَـمٌ حيٌّ مثل عالم الأرض فيها الأشجار والأنهار وهناك تعيش أرواح البشر...... (إلى قوله): ويستطيع الأموات في أغلب الأوقات أن يأتوا إلى الأرض ويتجولوا فيها ويلتقوا أثناء النوم بالبشر، ولما كان الأمر كذلك فلا بد من إعداد الطعام لذلك الميت الزائر ووضعه على مزاره وإشعال الشموع ولو لم يفعلوا ذلك له فإن روح ذلك الميت ستغضب وقد تؤذي الأحياء! " (**تاريخ جامع أديان،** ص٢٢).

ويقول في الصفحة ٢٦ من هذا الكتاب: "وكان الرومان القدماء يعتقدون بعبادة أرواح الأسلاف العظماء".

ويقول في الصفحة ٩٥: "وكان الآريون القدماء يجلّون أرواح الأجداد إلى حد الحمد

---

(١) في الأديان الوضعية المنسوخة مثل الديانة البوذية يعتقد الناس أن تمثال بوذا تجسيد لوجوده الحي العليم وأن بوذا كان شخصية فوق طبيعية لذا كانوا يقفون أمام تماثيله ويدعون ويتضرعون فيسمعهم بوذا ويستجيب لدعائهم ويعتقدون أن تكرار الأدعية يزيد من أجر وثواب الزائر (من كتاب «**تاريخ جامع أديان**» تأليف «جان ناس» ص١٤٦).

والثناء".

ويكتب في الصفحة ١٥٠: "كان هناك اعتقاد بأرواح الأسلاف واحترام شديد لأرواح الآباء والأجداد لدى عامة الشعوب الطورانية. كما أن بعض الأديان كالبرهمية في الهند والبوذية في الصين واليابان كانت تمارس طقوسًا أكثر تجاه أرواح الأسلاف الراحلين، إلى حد أنه كانت هناك فرقةٌ في الهند تحمل أرملة الميت بزينتها إلى جانب جثمان زوجها وتحرقهما سوية!! كما كانت بعض الشعوب تقطع رقاب إماء وعبيد الميت بعد وفاته! لكي ينتقلوا معه إلى تلك الدار فيساعدوه ويخدموه".

ومن أراد تفصيل هذه العقائد فليرجع إلى كتب **الملل والنحل**.

وفي عصر الجاهلية قبل الإسلام كان لدى العرب اعتقادات عجيبة بالأرواح، فكانوا يعتبرون إقبالها على الأحياء أو إعراضها عنهم ودعائها لهم أو لعنها لهم مؤثر في الأحياء لذا كانوا يخشونها ويهابونها دائمًا[(١)].

وقد ظهر دين الإسلام، آخرُ الأديان الإلهية وأكملُها، في زمنٍ كان العالم غارقًا فيه في الشرك والوثنية والجهل والخرافات، لذا نبذ منذ يومه الأول كل السنن والأعمال التي فيها رائحة شرك أي التي تصرف انتباه الناس عن الله وتلفتهم نحو الانشغال بغيره، حفاظًا من

---

(١) كانت عبادة الأموات عملاً شائعًا بشدة في المذاهب القديمة والنحل الباطلة، فكان الأقوام البدائيون يظنون بعد دفنهم لشيخ قبيلتهم ورئيسها أن هذا الشيخ أو الرئيس يحكم مقدّراتهم ويتصرّف بأمورهم، أي كانوا يعتقدون أن رؤساءهم في العالم الآخر يمتلكون قوةً فوق بشرية مهمة جدًّا وهائلة يستطيعون أن يُنزلوا الضرر والأذى فيمن يشاؤون من الأحياء أو يمدون من يشاؤون من الأحياء بنصرهم ومددهم (**تاريخ جامع أديان**، ص ٨).

وقال «**تايلور**»: كان الأقوام البدائيون يعتقدون أن العالم كله مليء بالموجودات الروحية التي تحيط بهذا العالم وتتصرّف فيه وكانوا يعتقدون أن تلك الأرواح هي مركز القوى الغيبية فكانوا يعهدون بمصيرهم كله إليها ويقومون بأعمال نحوها لا تزال تُلاحظ في أطراف العالم حتى الآن بصور عديدة ومظاهر لا حصر لها!

الإسلام على صفاء التوحيد ونقائه، لكي لا يمارس الناس أي خضوعٍ ولا يظهرون أي حاجةٍ لأي مخلوقٍ، بل يكون خضوعهم وفقرهم خالصًا لِلَّهِ وحده، ولا يرون لأي كائنٍ سوى الله عز وجل أي تأثير في تدبير أمور العالم وتقدير مصائرهم، وبالتالي لا يرون أحدًا في الوجود يستحق العبادة سوى الله وحده، وهذا هو مفاد شعار الإسلام الأول، والكلمة الطيبة التي بعث بها جميع الأنبياء: (لا إله إلا الله).

ومن جملة ذلك أنه نهى في بداية الدعوة عن زيارة الأموات رغم أن زيارتهم لا تخلو من حكم وفوائد لكنه منع منها حفاظًا على حريم التوحيد وترسيخًا له فقال رسول الله ﷺ: "**إني نهيتكم عن زيارة القبور** " وذلك لأنه لو سمح بها في بداية الدعوة لاستمرت عادات الجاهلية وسننها ولكان تقدّم عقيدة التوحيد في قلوبٍ مشوبةٍ بتعظيم الأموات أمرًا في غاية الصعوبة. ولكن بعد أن ضربت شجرة التوحيد أطنابها في النفوس ببركة تعاليم الإسلام المتواصلة حول التوحيد وبيانات القرآن وآياته المتنوعة حوله، وأصبحت شجرة التوحيد وعقيدته في مأمن من آفات الشرك، عند ذلك قال ﷺ: "**ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة** " وفي رواية "**فإنها تذكّركم الموت** " والأمر بعد النهي يدل على الإباحة كما يقول علماء أصول الفقه.

وقد روى المرحوم الشهيد الأول في كتاب «**الذكرى**» روايةً تقول: "**إن عائشة زارت قبر أخيها عبد الرحمن [الذي مات في خلافة معاوية] فقيل لها قد نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور، فقالت: نهى ثم أمر بزيارتها**".

وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على أن نهي رسول الله ﷺ الابتدائي عن زيارة القبور كان شديدًا وشائعًا ومشهورًا إلى درجة أنه حتى مدة أربعين عامًا ونيِّف لم يكن هناك من يتردد لزيارة القبور حتى أنه بعضهم استنكر عمل عائشة رغم مشروعيته.

ويدل على ذلك أيضًا ما رواه «ابن بطّال» عن «الشعبيّ» من قوله: "**لولا أن رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور لزرت قبر النبي (أو قبر ابنتي)**"[1].

---

(١) مرَّ تخريجه في الصفحات الماضية من هذا الكتاب.

وكذلك ما رواه عبد الرزاق الصنعاني الشيعي في كتابه «**المصنف**» (ج٣، ص٥٦٩) الذي يُعَدُّ من أقدم كتب الحديث: إن رسول الله ﷺ قال: "**من زار القبور فليس منّا**" ويدل عليه كذلك ما سبق وأوردناه في المبحث الثاني من هذا الكتاب من نهي الحسن المثنى بن الحسن المجتبى، ونهي حضرة زين العابدين عليه السلام الناسَ من القدوم خصيصًا إلى حجرة قبر النبيِّ ﷺ للسلام عليه، بالإضافة إلى ما يدل عليه بقاء قبره الشريف متروكًا على حاله مدة قرنٍ كامل دون أن يتحول إلى مزارٍ يتردَّد الناس إليه.

ولكن يبدو أن روح الوثنية ومن جملتها عبادة الأموات ممزوجة في طبيعة الإنسان على نحو يصعب معه إزالتها كليًّا إلا بالرياضة المستمرة والتهذيب المتواصل حتى ترسخ في الإنسان روح التوحيد الخالص، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾ أي حتى المؤمنين بالله أكثرهم يخلط إيمانه بالشرك، ولهذا نرى أنه بعد رحلة النبي ﷺ واختلاط المسلمين بالشعوب المجاورة في مصر وإيران حيث كان أهالي تلك البلاد يعظمون أمواتهم ويبنون على قبورهم الأضرحة والأبنية والقباب، سرت روح عبادة الأموات تدريجيًا إلى المسلمين وفي أقل من مئة عام بدأت تعود بعض العقائد الجاهلية الخرافية وتختلط مع عقائد عبادة الأموات لدى الأمم الأخرى وبدأ سوق عبادة الأموات يروج.

ورغم عشرات الأحاديث والروايات عن النبي والأئمَّة من أهل البيت عليهم السلام في النهي عن تعمير القبور وتجصيصها وتجديدها والبناء عليها – التي ذكرناها بالتفصيل في كتابنا «**ارمغان آسمان**» (٢٨٥ فما بعد) – والتي تدل على مدى نفور الشارع المقدس من موضوع تعظيم القبور وخشيته على المسلمين من انجرارهم نحو الشرك بسببها حتى قال صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ مقولته الشهيرة: " **اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد** "، ورغم قيام أمير المؤمنين علي عليه السلام بإخفاء قبر زوجته فاطمة –سلام الله عليها- ووصيته عند وفاته بإخفاء موضع قبره، رغم كل ذلك لم يمضِ قرنٌ من الزمن إلا وانتشرت مئات القباب والأضرحة ذات الزينات العجيبة في أطراف وأكناف البلدان الإسلامية على قبور الأئمَّة والصالحين وصُرفت لتشييدها والحفاظ عليها أوقافٌ ونذوراتٌ لا حصر لها، إلى الحد الذي ادّعى فيه أحد

المتصدِّين لأمور الأوقاف في بلدنا اليوم أن ما يزيد على ربع الأملاك الوقفية يُصرف على العتبات والمراقد أي على قبور الأموات![1]

---

(١) من المناسب أن ننقل هنا مطلبًا عن الزعيم الهندي «**المهاتما غاندي**» آملين أن يدفع كلامه طلاب الحقيقة والمنصفين إلى التفكير مليًّا والعودة إلى أنفسهم. يقول: "قرأتُ خبرًا في قصاصة صحيفة يومية أرسلها لي أحد محرري الصحف يقول إنه في إحدى القُرَى بَنَوْا معبدًا ووضعوا فيه تمثالاً لي، وأخذوا يتضرعون أمامه ويحمدون. إنني أعتبر هذا العمل من أسوأ صور عبادة الأصنام! إن الذي بنى ذلك المعبد أهدر ثروته وأنفقها في عمل غير صحيح ولا مفيد وأضل القرويين الذين أخذوا يترددون إلى هذا المعبد، وأهانني أنا أيضًا بهذا الأمر لأن كل حياتي انعكست في هذا المعبد بصورة كاريكاتورية مثيرة للسخرية. لقد قلب رأسًا على عقب -بذلك العمل- معنى العبادة والتضرع الذي أمضيت عمري في إيضاحه.... إن تكرار جمل من كتاب «الغيتا» كالببغاء (أحد الكتب المقدسة لدى الهندوس) لا يعتبر عبادةً ولا تمجيدًا. إن العبادة والتمجيد الحقيقيين هي اتباع تعاليم ذلك الكتاب. إن الثناء الحقيقي على الشخص ومديحه إنما يكونان باتخاذه مثالاً يُحْتَذى فيهتدي الناس بسيرته في حياتهم. لذلك منذ أن انحدرت الديانة الهندوسية إلى عبادة الصور والتماثيل أصبحت ديانة منحطة... في الحقيقة إن الله وحده هو العليم بما في صدور الخَلْق، لذا فأكثر الأعمال اطمئنانًا هي أن لا يقوم الإنسان بعبادة و تسبيح أي كائن حي أو ميت بل يقدم التضرع والثناء للكمال الإلـهي المطلق وحده...... لقد كان يسرني ويسعدني أن يقوم صاحب ذلك المعبد بإزالة تمثالي منه، وتحويل بناء المعبد إلى مركز تعليم فن الحياكة وغزل النسيج لكي يتمكن الفقراء من الحصول على قوت عيشهم بفضل تعلم الحياكة، وأن يقدم أشخاص محسنون خدمة التعليم مجانًا لهم هناك.... مثل هذا العمل يكون اتباعًا حقيقيًّا لتعاليم «الغيتا» ويكون احترامًا حقيقيًّا لي. (نقلاً عن كتاب: «كل الناس إخوة» تأليف المهاتما غاندي، ترجمة محمود تفضلي، انتشارات أمير كبير: ص ٨٥، ٨٦).

وأقول: عندما يكون أحد الزعماء الدينيين -رغم كونه لا يتبع دينًا سماويًّا توحيديًّا- مستغرقًا في هدفه السامي إلى ذلك الحد فماذا يقول مدَّعو حبِّ النبيِّ وآله حول النبي والأئمة الهداة من آل بيته عليهم السلام الذين أفنوا أعمارهم في الدعوة إلى الله والسعي إلى كسب رضوانه؟! ألم يكونوا ذائبين في هدفهم السامي ومستغرقين فيه مثل غاندي؟؟ فإذا كان «غاندي» لا يُسَرُّ من خضوع الناس أمام تمثاله وكيل المدائح والإطراء له بهذه الطريقة، فكيف يمكن لمعلمي «**التوحيد**» الكبار أن يُسَرُّوا من قيام الناس بمثل ذلك تجاه قبورهم ويرضوا به؟! **أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**؟؟ لا شك أنهم يتمنَّون أكثر من أي زعيم ديني آخر أن يقوم

وقد وصل الإسراف والتبذير في هذا المجال إلى درجة أن صحيفة «كيهان» اليومية ذكرت في عددها رقم ٨٢٧١ الصادر بتاريخ ٢٠/ ١١/ ١٣٤٩ هـ ش[١] أن أحد الثُّرَيَّات التي نُصبت في سقف أحد المراقد في إيران يبلغ ثمنها ٢٠ مليون تومان[٢]، ومن بين الثريات العديدة التي اشتريت لذلك الضريح هناك ثريا ضخمة لها ٨٠٠ غصن!

ويتم شراء هذه الثريات من الخارج على شكل قطع مستقلة ثم يقوم أشخاصٌ محترفون بتجميعها وإعادة إنتاجها من جديد لتصبح ثريا ضخمة تُعلّق في ذلك الضريح. وقد تم نصب عدد كبير من تلك الثريات حتى الآن، ويتم حاليًّا تركيب البقيَّة، إذْ يبلغ مجموعها ٩٥ ثريا ويستغرق تركيبها عدة أشهر! وقال أحد المسؤولين عن ذلك الضريح لمراسل صحيفة «كيهان»: "بعد تركيب الثريات الجديدة سيتم الاحتفاظ بالثريات القديمة في متحف خاص نظرًا إلى قيمتها الفنيّة والتاريخية إذْ يوجد من بينها ثريات رائعة الجمال وباهظة الثمن قل نظيرها في إيران".

قلت: فهذا نموذج بسيط عن الزخارف والزينات وأنواع التبذير والبذخ التي تتم في المراقد والمزارات.

وكل يوم يتم إنفاق أموال كثيرة ووَقْفُ أوقاف لا حصر لها لتُصْرَفَ على قبور الأموات، ومن جملة ذلك الخبر الذي ورد في صحيفة «كيهان» العدد ٨٦٤٢ بتاريخ ١٧/ ٢/ ١٣٥١ هـ ش: "قام الحاج «آقا حسين ملك» الذي وصلت قيمة أمواله الموقوفة مؤخرًا إلى ثلاثة مليارات تومان، قام في شهر «بهمن»[٣] من العام الماضي بوقف أربعمئة

الناس بدلاً من الحضور إلى مراقدهم والتلفظ بعبارات الثناء عليهم، أن يقوموا بالعمل بالأحكام الإلهية ومطابقة عقيدتهم على كتاب الله تعالى ونشر تعاليمه والعمل بها.

(١) يطابق عام ١٩٦٨ ميلادية.

(٢) وحدة العملة الإيرانية، وكانت قيمتها كبيرة قديمًا وتعادل في ذلك الزمن الذي ألف فيه المرحوم قلمداران كتابه حوالي ثلث دولار أمريكي أو حوالي ١،٥ ريال سعودي.

(٣) الشهر ١١ من السنة الإيرانية، يقابله الفترة من ٢١ يناير، كانون الثاني إلى ١٩فبراير، شباط.

مليون تومان من أمواله الباقية والموجودة في متحف ملك على شكل لوحات فنيّة وسجاد ووثائق خطيّة للملوك وتحف عتيقة وغيرها، للعتبة الرضوية المقدسة (أي مرقد الإمام الرضا‌عليه‌السلام في مدينة مشهد)".

يا ترى هل هذه الصورة من إنفاق ووقف كل هذه الأموال والأملاك وهدرها في تلك الغاية تحقيقٌ لرضا وهدف المشرِّع المقدّس؟ ألم يكن الأولى والأكثر تحقيقًا لمراد الله عز وجل أن تُنْفَقَ هذه الأموال على أمور تعليم معالم الدين، وعلى مساعدة الفقراء والضعفاء والمحرومين والأخذ بيد ذوي العاهات والمعلولين وأداء ديون الغارمين (الذين أثقلتهم الديون وعجزوا عن وفائها) الذين دخلوا السجون بسبب دُيُونهم، ومساعدة الشباب العزاب والشابات العازبات على الزواج، وشراء الدواء والعلاج للمرضى ونشر وترويج وتأليف وطبع الكتب التي تتضمن حقائق الدين؟!

إننا نجد في كتاب «**أنساب الأشراف**» **للبلاذري** (ج٢، ص٥٠٤) صورةً للوقف الذي أوقفه أمير المؤمنين علي عليه‌السلام كما يلي: "حدثني الحسين بن الأسود، عن يحيى بن آدم، عن شريك وغيره، قال: **أوصى علي: هذا ما وقف علي بن أبي طالب، أوصى به أنه وقف أرضه القائمة بين الجبل والبحر أن ينكح بها الأيم ويفك الغارم فلا تباع ولا تشتري ولا توهب حتى يرثها الله الذي يرث الأرض ومن عليها**".

هذا ما وقف علي بن أبي طالب أمواله لأجله، أما قومنا اليوم الذين يفخرون بأنهم من شيعة ذلك الإمام ومحبِّيه فإنهم يَقِفُون أموالهم على تعمير قبور الأموات وعلى مجموعة من الطفيليين من سدنة المقابر الذين يعتاشون على زوّارها! الله يشهد أن أكثر تلك الأموال التي تُوقف على المراقد تُنفق فيما لا يُرضي اللهَ سبحانه وفيما نهى الله عنه.

وكل هذا الإنفاق يتم رغم أنف عشرات الأحاديث لدى الفريقين في حرمة البناء على القبور وتجصيصها ورفعها واتخاذها مساجد والاعتكاف فيها.

قال أحد فقهاء الشيعة الإمامية الكبار المرحوم «**محمد بن مكيّ العاملي**» المعروف بالشهيد الأوّل في كتابه الفقهي القيِّم «**الذكرى**» ضمن بيانه لآداب دفن الأموات: " **أما**

وضع الفراش عليه والملحدة فلا نص فيه، نعم روى ابن عباس من طريقهم أنه جعل في قبر النبي ﷺ قطيفة حمراء والترك أولى لأنه إتلاف للمال فيتوقف على إذن الشارع ولم يثبت".

فيا سبحان الله! ينصّ فقيهنا الكبير على أن وضع قطيفة على قبر الميّت إتلافٌ للمال لا يجوز! ولكن معظم فقهائنا المعاصرين يجيزون صرف ملايين التومانات على القباب الذهبية والأضرحة المسيّجة بالفضّة وإتلاف الأموال على الزينات والزخارف على تلك القبور! فيا ربِّ أيُّ تَدَيُّنٍ هذا الذي لا يقيم وزنًا لأحكام الشرع؟!

أجل! عندما انتعشت من جديد نزعة عبادة الأموات بين كثير من المسلمين ودَفَعَهُم أعداء الإسلام بطرقهم الخفيَّة دون أن يشعروا إلى ممارسة الأعمال والسنن الوثنية الجاهلية التي كانت قبل الإسلام انطلقوا يبنون الأبنية العظيمة على المقابر ويحثون الناس على زيارتها بما يعدونهم به عليها من أنواع الثواب العظيم الذي لا حد له ولا حساب ويضعون لهم نصوصَ الزيارات التي يملؤونها بعبارات المغالاة في التمجيد والثناء المشوب بالغلوّ المفرط المخالف للتوحيد الناصع الذي علَّمه الإسلام وقرَّره القرآن. كما نشاهد ذلك بوضوح في كثيرٍ من مضامين تلك الزيارات الذي لا يتلاءم مع تعاليم السنة والقرآن ويجافي العقل والوجدان، ثم إذا قام بعض العلماء والفضلاء يردُّ على تلك المطالب ويثبت بطلانها بالدلائل العقلية والنقلية كصاحب كتاب «**توحيد عبادت**» (توحيد العبادة)[1] ومؤلِّف كتاب «**شهيد جاويد**» (**الشهيد الخالد**)[2] وصاحب كتاب «**درسي از ولايت**» (**درس من الولاية**)[1] وغيرها

---

(١) يقصد به **آية الله الشيخ محمد حسن شريعت سنگلجي** (١٨٩٠م – ١٩٤٣م) الذي كان من علماء الشيعة المصلحين في إيران في عهد الشاه رضا خان البهلوي، وكان من الداعين إلى تصحيح العقائد وإصلاح المسار ونبذ الغلوّ والأعمال البدعية المشوبة بالشرك والرائجة بين العوام في عصره، والعودة إلى نهج القرآن وتوحيده الناصع، وألف في ذلك كتابه «**توحيد عبادت**» (أي **توحيد العبادة**) الذي يكاد يكون متطابقًا في هذا الصدد مع كتاب «**التوحيد**» للشيخ محمد بن عبد الوهاب النجديّ (رح)، كما ألف كتاب «**كليد فهم قرآن**» (أي مفتاح فهم القرآن) وغيرها وقد طبعت كتبه عدّة مرات. (تر).

(٢) يقصد الشيخ المحقق الفاضل آية الله نعمت الله صالحي نجف آبادي، من علماء الإمامية المصلحين

انتدب إليه حراس الخرافات فاتهموه بالفسق وأسقطوه من أعين الناس معتبرين إياه ضالاً منحرفًا، حتى صارت مجاهدة تلك البدع أصعب من مجاهدة الشرك باللات والمناة وثوابها أعظم. لذا شدَدْنا العزيمة على ردّ تلك العقائد التي عمّت بها البلوى بين العوام وأثبتنا تهافتها وبطلانها.

ومن الجدير بالذكر أن كثيرًا من نصوص تلك الزيارات لا سند له، فهي روايات غير مأثورة وضَعَهَا أشخاصٌ حسب هواهم، وأوردها المجلسيّ بعباراتٍ تشي بذلك، فمن ذلك

المعاصرين في إيران، ولد في نجف آباد من قرى مدينة أصفهان حوالي ١٩٢٣م، ودرس العلوم الدينية (السطح) في أصفهان ثم انتقل إلى قم وأكمل دراساته العليا (بحث الخارج) على أيدي علمائها البارزين، وصار من أساتذة الحوزة العلمية ثم ألف عددًا من الكتب القيِّمة أشهرها «**شهيد جاويد**» أي (الشهيد الخالد) ويقصد به الإمام الحسين عليه السلام، الذي نشره قبل حوالي أربعين عامًا وأثار ضجَّةً ومعركةً من الآراء بين موافق ومخالف كونه ينفي عن الإمام الحسين عليه السلام علم الغيب ويجعله مجتهدًا ثائرًا قام لأجل إقامة الحكومة الإسلامية واستشهد في هذا المسعى. وقد رد عليه جمعٌ من كبار علماء الإماميّة، فألف كتابه «**عصاي موسى**» وفنَّد فيه جميع ردودهم. هذا وقد انتقل الشيخ صالحي نجف آبادي إلى جوار ربِّه في العام الماضي أي ٢٠٠٦م، دون أن يلقى الاهتمام الذي يستحقه عالم فاضل مثله، إلا من قلة من الناس. (تر).

(١) يقصد آية الله العظمى السيد أبو الفضل بن الرضا البرقعي، ولد في قم سنة ١٣٢٩ أو ١٣٣٠ هـ ق، ١٩١١م، وطلب فيها العلوم الدينية حتى بلغ درجة الاجتهاد والمرجعية، وانتقل إلى طهران فكان إمامًا وداعيةً في أحد مساجدها العريقة وألف عددًا كبيرًا من الكتب والرسائل ثم بدأ من منتصف عمره يتجه اتجاهًا إصلاحيًّا جذريًّا حتى صار من أبرز دعاة التصحيح وتجديد الدين وإعادة النظر في عديد من العقائد والأعمال الشيعية الإمامية حتى الأساسية منها فكتب في رد فكرة الغيبة و وجود المهدي المنتظر كتابه (**بحث علمي في أحاديث المهدي**)، وكتب في رد فضائل زيارة العتبات (**خرافات وفور در زيارات قبور**) (أي الخرافات الكثيرة في زيارات القبور)، وَكَتَبَ ردًّا على القول بالولاية التكوينية كتابه: (**درسى از ولايت**) (أي درس من الولاية) الذي أشار إليه المصنف في المتن، وكَتَبَ في تحريم المتعة، وفي نقد أحاديث كتاب «أصول الكافي» للكليني، و غيرها من الكتب. وتعرض لمحاولة اغتيال فاشلة من بعض المتعصّبين، كما سجن فترةً، وتوفي في طهران عام ١٤١٢ هـ ق، ١٩٩٢م. وبالمناسبة له تعليقات على الكتاب الحاضر هي المذيّلة بعبارة «**البرقعي**». (تر).

قوله في «**بحار الأنوار**» (ج٩٩، ص١٤٣، باب ٨- الزيارات الجامعة التي يزار بها): "**رأيت من بعض تأليفات أصحابنا نسخة قديمة ذكر فيها هذه الزيارة وقدَّم قبلها دعاء الإذن فقال**... الخ". وقوله في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام (البحار، ج٩٩، ص١٩٧): "**الزيارة الحادية عشرة زيارة المصافقة وجدت في نسخة قديمة من تأليفات أصحابنا ما هذا لفظه**... "، وقوله في زيارة أئمة البقيع عليهم السلام: (البحار، ج٩٩، ص ٢٤٧) "**أقول وجدت في نسخة قديمة من مؤلفات بعض أصحابنا رضي الله عنهم ما هذا لفظه**...". وفي آداب مسجد الكوفة يقول: "**وجدت الرواية بخط الأفاضل منقولاً من خط عليّ بن السكون**".

فأيُّ حجّة تقوم بنصوص زياراتٍ تُنقل إلينا بعبارات مثل «وجدتُ» ورأيت في نسخة قديمة» و«رأيت في بعض تأليفات أصحابنا» و...، ونحوها مما لا يُعلم منه هوية راوي الزيارة ولا من هو كاتبها أو واضعها ومختلقها؟!

والواقع أن كثيرًا من الزيارات المدرجة في ذلك الكتاب (أي بحار الأنوار) ليس لها أي سند بل نُقلت من كتب مثل «**مزار كبير**» و«**مصباح الأنوار**» ونظائرها، وكثيرٌ منها يرويه رواةٌ غلاةٌ وضعفاءٌ من أمثال «**علي بن أبي حمزة البطائني**» الواقفي الملعون و«**محمد بن سنان**» الغالي المشرك و«**عبد الله بن مسعود**» المجروح المذموم و«**بكر بن صالح**» المطعون المشؤوم و«**عمار بن موسى**» الفطحي و«**يونس بن ظبيان**» الغالي الكذاب و«**أحمد بن هلال**» الغالي المطعون و«**سيف بن عميرة**» المطعون الملعون و«**علي بن الحسن الفضّال**» الفطحي الملعون و«**علي بن حسّان**» الكذاب و... و...، الذين مرّ شرح أحوالهم وسنذكر حال من تبقى منهم، ولعل بعض القرّاء يتعجب من كلمة «**الملعون**» التي ذكرناها عقب اسم بعض رواة الزيارات ويظن أنها من جانب كاتب هذه السطور مع أن الوقع أن تلك اللعنات مذكورة بحروفها في كتب الرجال، وإليكم نموذجين من رواة الزيارات الذين لُعِنوا في كتب الرجال وبعضهم نال اللعنة حتى من الأئمَّة أنفسهم:

الأوّل هو «**أحمد بن هلال العبرتائي**» الذي قال عنه **الشيخ الطوسي** في رجاله "**بغداديٌّ غال**"، وقال في كتابه «**تهذيب الأحكام**» / باب الوصية إلى أهل الضلال: "**إن أحمد بن هلال**

مشهورٌ باللعنة والغلوّ "، وقد أصدر حضرة الإمام الحسن العسكري عليه السلام توقيعات في (لعنه) (**تنقيح المقال**: ج١، ص٩٩).

والثاني هو «**يونس بن ظبيان**» الذي روى قصة اكتشاف قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام عندما كان بمعية حضرة الإمام الصادق عليه السلام، وروى صاحب بحار الأنوار عنه عددًا من الزيارات، مع أن الغضائري قال عنه: "**يونس بن ظبيان كوفي غال وضّاع للحديث، روى عن أبي عبد الله عليه السلام لا يُلْتَفَتُ إلى حديثه**".

وقال عنه الإمام الرضا عليه السلام: "**لعن الله يونس بن ظبيان ألف لعنة، تتبعها ألف لعنة، كل لعنة تبلغك قعر جهنم، أشهد ما ناداه إلا الشيطان، أما إن يونس مع أبي الخطّاب في أشد العذاب مقرونان**"[(١)].

وقال عنه العلامة الحلي في رجاله (ص ٢٦٦): "**قال الفضل بن شاذان في بعض كتبه: الكذابون المشهورون: أبو الخطاب ويونس بن ظبيان ويزيد الصائغ ومحمد بن سنان وأبو سمينة أشهرهم. وقال النجاشي إنه مولى ضعيفٌ جدًّا لا يُلْتَفَتُ إلى ما رواه، كلُّ كُتُبِهِ تخليطٌ. قال ابن الغضائري: يونس بن ظبيان كوفيٌّ غالٍ كذَّابٌ وضَّاعٌ للحديث روى عن أبي عبد الله عليه السلام لا يُلْتَفَتُ إلى حديثه، فأنا لا أعتمد على روايته لقول هؤلاء المشايخ العظماء فيه**".

هؤلاء نموذج من الرواة الذين أتحفونا بتلك الزيارات التي استند إليها آية الله العظمى! واعتبرها حجة قاطعة على تصرُّف وتدبير الأئمَّة في الكون والمكان!! متناسيًا أن مثل تلك الأقاويل إنما رواها أشخاص ضالون وشياطين مضلون لا يجوز لمسلم أن يقبل كلامهم. بل حتى لو قال الأئمَّة أنفسهم مباشرة مثل تلك الكلمات الكفرية والعياذ بالله -وحاشاهم ذلك فهم لا ينطقون بمثلها بكل قطع ويقين- فعلينا أن نرفض تلك الأقاويل اتباعًا لأمر الله تعالى وآيات القرآن المحكمة، ولتعاليم الأئمَّة - عليهم السلام - أنفسهم الذين علَّمونا فقالوا أننا إذا سمعنا

---

(١) رجال الكشي، ص٣٠٩.

عبارات كفرية مغالية فلا يجوز علينا أن نقبلها أيًّا كان قائلها حتى لو كانوا هم أنفسهم! كما قال الإمام الصادق عليه السلام:

"... وإن قومًا كذبوا عليَّ ما لهم أذاقهم الله حر الحديد! فو الله ما نحن إلا عبيدُ الذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضرٍّ ولا نَفْعٍ، إن رَحِمَنَا فبرحمته وإن عذَّبَنا فبذنوبنا، والله ما لنا على الله من حجة ولا معنا من الله براءة وإنا لميتون ومقبورون ومنشرون ومبعوثون وموقوفون ومسئولون. ويلهم! ما لهم لعنهم الله! فلقد آذوا الله وآذوا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في قبره وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي (صلوات الله عليهم)، وها أنا ذا بين أظهركم لحم رسول الله وجلد رسول الله أبيت على فراشي خائفًا وجلاً مرعوبًا، يأمنون وأفزع وينامون على فرشهم وأنا خائف ساهر وجل أتقلقل بين الجبال والبراري، أبرأ إلى الله مما قال فيَّ الأجدع البراد عبد بني أسد أبو الخطاب لعنه الله، والله لو ابتُلُوا بنا وأمرناهم بذلك لكان الواجب ألا يقبلوه، فكيف وهم يروني خائفًا وجلاً أستعدي الله عليهم وأتبرأ إلى الله منهم..... "[1].

فكيف يكون الأمر والحال أن أولك الأجلاء أصروا كل هذا الإصرار وأكدوا كل هذا التأكيد على أنه لا يجوز قبول هذه الكفريات من أيّ أحد وقد لعنوا قائليها وتبرؤوا منهم كما مرّ بعض ذلك فيما سبق وسيأتي بعض من ذلك لاحقًا إن شاء الله تعالى.

وقد قلنا إن أحد الكتب التي أُلِّفَتْ في موضوع الزيارات ومُلِئت بمطالب مخالفة للقرآن الكريم كتاب «**كامل الزيارات**» لـ «**جعفر بن محمد بن قولويه القمي**» الذي اشتهر وأصبح كتابًا مشهورًا ومقبولاً لدى عامَّة الناس!! رغم اشتماله على مطالب من الغلوّ لا يمكن قبولها – كما رأينا في أمثلة عديدة–، ورغم اشتماله أيضًا على عبارات فيها تشبيهٌ صريحٌ للذات الإلـهية ينافي التنزيه الذي هو من أسس الإسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام، والذي لا يمكن لمن يؤمن بالله الواحد المنزّه عن المكان والزمان والمحيط بالكون والمكان المهيمن على الأرض والسماء أن يقبل به، وسنذكر فيما يلي نموذجين عن ذلك:

---

(١) رجال الكشي، ص٢٢٤–٢٢٦.

١) جاء في الصفحة ١١٣ من «**كامل الزيارات**» قول ابن قولويه:

"…. عن يونس عن صفوان الجمال قال: قال لي أبو عبد الله الصادق عليه السلام لما أتى الحيرة: **هل لك في قبر الحسين عليه السلام؟ قلت: وتزوره جعلت فداك؟؟ قال** عليه السلام: **وكيف لا أزوره والله يزوره في كل ليلة جمعة! يهبط مع الملائكة إليه والأنبياء والأوصياء ومحمد أفضل الأنبياء ونحن أفضل الأوصياء. فقال صفوان: جُعِلْتُ فداك! فتزوره في كل جمعة حتى تدرك زيارة الرب؟ قال: نعم يا صفوان اِلْزَمْ ذلك يكتب لك زيارة قبر الحسين** عليه السلام "!!!

أقول: رغم أن رواة هذا الحديث مجاهيل وغلاة ويكفي أن أحدهم «**يونس بن ظبيان**» الذي مرت ترجمته، إلا أن ما يحيِّرنا أن تُدْرَجَ تلك الرواية وما فيها من عبارات تجسيمية لا تليق بمقام التنزيه المطلق للذات الإلهية في كتاب ألّفه عالم محترم في أوساط الشيعة يقبله عامة الناس إجلالاً لمقامه.

إنها مطالب يعلم كل من له أدنى شعور بأنها لا تليق بالله تعالى، هذا عدا عن الضرر الذي تحدثه أمثال هذه الروايات بسبب ما توجِدُهُ من غرورٍ لدى أكثر الناس الذين يظنون أنهم بقيامهم بتلك الزيارة يلتقون بالله ولا ندري لعلهم يصافحونه!! ويلتقون بالأنبياء وعندئذٍ يصبحون أبرارًا أعزّاءَ في نظر الله يستحقون عفوه الكبير! لذا نرى ونشهد كيف أن كثيرًا من الفسّاق والفجّار الذين يغرُّهم الشيطان ويطمّعهم بالشفاعة وثواب الزيارة يقومون بأعمالٍ يربأ عنها حتى الملحدون والماديّون!

٢) ويروي ابن قولويه أيضًا في الصفحة ٦٧ فما بعد (الباب ٢١ و٢٢) من كتابه هذا، رواية أخرى عن الصادق عليه السلام أنه قال:

"…. **بينما رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **في منزل فاطمة** عليها السلام **والحسين في حجره إذ بكى وخر ساجدًا ثم قال: يا فاطمة يا بنت محمد! إن العلي الأعلى تراءى لي في بيتك هذا في ساعتي هذه في أحسن صورة وأهيأ هيئة وقال لي: يا محمد! أتحب الحسين** عليه السلام**؟ فقلتُ: نعم قرة عيني وريحانتي وثمرة فؤادي وجلدة ما بين عيني. فقال لي: يا محمد! ووضع يده (!!) على رأس الحسين** عليه السلام: **بورك من مولود عليه بركاتي وصلواتي ورحمتي ورضواني ولعنتي وسخطي**

وعذابي وخزيي ونكالي على من قتله وناصبه وناوأه ونازعه... وذكر الحديث".

إن كتب الشيعة الإمامية مليئة للأسف بمثل هذه الأحاديث، مع أنها تخالف أُسُس المذهب المعروفة والقطعيَّة في التوحيد وتنزيه الله عزَّ وجلَّ، بل تخالف ضروريات الإسلام، ومع أن الزيارة أقصى ما فيها أنها مباحةٌ ولا نجد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ أنها عبادةٌ مأمُورٌ بها لها كل تلك الأهمية البالغة والأجر الخطير والثواب العظيم المزعوم. ولم يكن مسلمو صدر الإسلام يُبدون أيّ اهتمام لمثل هذه الأمور، فمثلاً لم يُسمع أن مسلمًا في زمن رسول الله ﷺ سافر لزيارة مشهد لقبور أموات سواءً كانوا من الشهداء أم من الصالحين، كما لم يُسمع عن مسلم قام بعد رحيل رسول الله ﷺ بالمجيء إلى المدينة لأجل زيارة قبره ﷺ أو أن أحدًا قام بتعمير قبر شهيد أو صالح والبناء عليه، بل لدينا أحاديث تُوصي بالامتناع عن ذلك وتنهى عن فعله. حتى أن قبر حمزة سيد الشهداء[1] كان متروكًا، وقبر إبراهيم عليه السلام ابن رسول الله ﷺ الذي توفي زمن حياته ﷺ أصبح بعد سنة أو سنتين مجهولاً، طبقًا لما جاء في الروايات التي ذُكرت في كتاب «**التهذيب**»، كما أن قبر فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله ﷺ كان مجهولاً وكذلك كان قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام غير ظاهر ولا معروف وحتى مدة طويلة من الزمن لم يكن قبر علي عليه السلام محلاً لاجتماع الناس. لماذا؟ رغم أن المتفلسفين يأتون لكل واحد من تلك الأمور بسبب وعلّة دون دليل ولا سند يُثبت ما يقولون

(١) من الجدير بالتأمل والدقة أنه في زمن حياة رسول الله ﷺ وفي زمن الصحابة الكرام لم يُعمّر أيّ قبر لأيّ أحد من الأولياء ومن عظماء شهداء الإسلام وليس هذا فحسب بل كانت قبورهم متروكة مهجورةً. أضف إلى ذلك أن الذي يُستفاد من كتب السيرة وبعض الأخبار الموثوقة كبعض الأخبار في كتاب «مغازي الواقدي» (ص ٢٨٩) أو في تفسير علي بن إبراهيم القمي (ص ١١٢، الطبعة القديمة) وكتاب «بحار الأنوار» (ج ٦، ص ٦٤٢، الطبعة الحجرية) أن رسول الله ﷺ قال عن دفن عمه الجليل حمزة سيد الشهداء في غزوة أحد: "**لَوْلَا أَنْ يُحْزِنَ ذَلِكَ نِسَاءَنَا، لَتَرَكْنَاهُ لِلْعَادِيَة، يَعْنِي السِّبَاعَ وَالطَّيْرَ، حَتَّى يُحْشَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ بُطُونِ السِّبَاعِ وَحَوَاصِلِ الطَّيْرِ**"! نعم، كان رسول الله ﷺ يريد أن يُحشر جثمان حمزة من بطون السباع، لكن عُبَّاد الأموات يبنون لأمثال ذلك الشهيد الجليل قبابًا من الذهب وأضرحةً من الفضة!!

سوى خيالهم وذوقهم الفكري!! لكن الحقيقة أن أولئك الأجلاء كانوا قد سمعوا من رسول الله ﷺ قوله عندما أدركته الوفاة: "اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد " وكانوا يريدون أن يشمل هذا الدعاء أيضًا قبورهم المقدسة.

حقًّا إنه لسؤال يستدعي التأمل كثيرًا: لماذا لا يُعلَم من قبور المئة والأربع وعشرين ألف نبيّ الذين أرسلهم الله سوى قبور ثلاثة أنبياء فقط؟ لو كان لزيارة القبور كل هذا المقدار من الثواب فلماذا لا يوجد أيّ أثر لقبور الأنبياء اليوم؟ هل أهمية نبيّ الله داود عليه السلام أقل من أهمية الإمامزاده داود؟ وهل نبيّ الله إلياس أقل شأنًا من الإمامزاده علي عباس؟!

إن الأحاديث التي جُمعت حول الزيارة وفضائلها تُناقض بعضها بعضًا في الغالب، فمثلاً في الوقت الذي نرى حديثًا يجعل ثواب زيارة حضرة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام معادلاً لتسعين حجة مع رسول الله ﷺ (هذا رغم أن رسول الله ﷺ لم يحجّ بعد نزل آية الحج عليه سوى حجة واحدة) وحديثًا آخر يذكر أن ثواب ذلك يصل إلى مليوني حجة!!؟ نجد حديثًا يناقض ذلك كله ويستبعد أن يكون لزيارة قبر الحسين عليه السلام ثواب حتى حجة واحدة! وإليكم الحديث:

روى **الحِمْيَرِيُّ** في «**قُرْب الإسناد**» (ص ٤٨):

"وعنهما عن حنان بن سدير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في زيارة قبر الحسين عليه السلام فإنه بلغنا عن بعضكم أنه قال تعدل حجة وعمرة؟ قال فقال: ما أصعب هذا الحديث! ما تعدل هذا كله، لكن زوروه ولا تجفوه وإنه سيد شباب الشهداء وسيد شباب أهل الجنة وشبيه يحيى بن زكريا...".

فهذا الحديث يناقض كل الأحاديث السابقة التي تجعل لزيارة قبر الحسين مقادير من الثواب لا حصر لها!

والسؤال الآخر الذي يضع علامات استفهام كبيرة حول أحاديث فضائل الزيارة هو أنه رغم كل فضائل وثواب الزيارات المرويَّة عن الأئمَّة، لم يقم الأئمَّة أنفسهم بمثل هذا العمل الذي حثّوا الناس عليه! فمثلاً جاء في الروايات أن الإمام محمد التقي عليه السلام سُئل: هل

يُعادل ثواب زيارة والدك حضرة الرضا ألف حجة؟ فأجاب قائلاً: بل تُعادل زيارته ثواب ألف ألف (أي مليون) حجة!! أي ألف ضعف مما تقولون. حسنًا، لو كان لِعَمَلٍ ما كل هذا القدر العظيم من الثواب فلماذا لم يقم به حضرة الجواد عليه السلام نفسه حتى مرة واحدة على الأقل كي كون عمله حُجّة قوية على صحة هذا الحديث وحسن هذا العمل؟ لاسيما أن جناب الإمام لم يكن له أيّ عذر مانع من القيام بذلك، كما لم يكن في زمنه تقيّة، كما أن الإمام كان يملك القدرة المالية على القيام بهذا العمل، لأنه كان صهر خليفة زمنه (= المأمون) ويعيش في قصره معززًا مكرمًا محترمًا، وكان المأمون يميل إلى الشيعة ولم يكن يُسيئه قيام الإمام بمثل هذا العمل.

علاوةً على ذلك، كان لحضرة الرضا حق الأبوة على حضرة الجواد عليهما السلام، فكان هذا يوجب على الإمام الجواد أن يقوم بزيارة قبر أبيه -التي لها كل هذا الفضل والثواب- على الأقل مرة واحدة. وكذلك لم يقم الإمام الجواد بزيارة قبر جدِّهِ أمير المؤمنين علي عليه السلام رغم أنه أقام مدة ثمانية عشر عامًا قرب جوار ذلك الإمام الهمام، أي كان مقيمًا في بغداد، لاسيما أننا نعلم أن هارون الرشيد هو الذي وجد قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام وقام بعمارته، ومن المؤكد أن هارون وابنه المأمون كلاهما كانا يُسرّان من اعتناء الناس واهتمامهم بهذه القبة والضريح اللذين قاما ببنائهما باسم قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام خاصَّةً إذا كان هذا الاهتمام مِنْ قِبَلِ الأئمَّة الذين هم أبناء وأحفاد عليّ عليه السلام. ولكن للأسف فإنه منذ حضرة الكاظم عليه السلام وحتى آخر إمام لم يقم أيّ واحد من هؤلاء الأئمَّة بهذه الزيارة رغم كل ذلك الفضل والأجر والثواب الذي رُوي في الأحاديث لها، أي الأحاديث التي تُنسب إلى أولئك الأئمَّة.

أليست هذه أمور تستحق انتباه طلاب الحقيقة وتأملهم ودقتهم؟

هل هناك حجة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العملية ومنهج الأئمَّة سلام الله عليهم على هذه الأعمال؟! ألن يُؤاخذنا الله على صرف الأموال والأوقات على أعمال لم يأمرنا اللهُ ولا رسولُه بها ولم يشرعها لنا؟ هذا بمعزل عن كل عبارات الكفر الواردة في تلك الزيارات؟

هل الأعمال التي لا يمكن أن نجد لها سندًا صحيحًا، والأقوال التي صدرت عن حفنة من الكذابين والغلاة -طبقًا للشرح الذي مرّ معنا- قوية إلى درجة تسمح بالعمل بها خلافًا للقرآن وعلى نحو يتعارض مع تعاليمه؟!!

كانت تلك موضوعات ومباحث نضعها أمام أنظار طلاب الحقيقة ليدققوا فيها ويتأملوها بتجرد وإنصاف.

إنها أسئلةٌ يحقُّ لكل عاقلٍ أن يسألها ويعرف إجابتها. هل أمر الآخرة سهل وقليل الأهمية إلى هذا الحد الذي يسمح لنا بالاعتماد على تلك الأعمال التي لا سند لها؟ إنك لو وجدت في العملة الورقية شيئًا جعلك تشكّ بصحتها فإنّك تضعها جانبًا فورًا حتى قبل أن تتثبت من تزويرها ولا تجرؤ أن تأخذها إلى السوق وتشتري بها شيئًا خوفًا من أن تكون مزوّرةً، فكيف نُعِدّ لزاد الآخرة حفنةً من الموهومات والخرافات نريد أن تكون زادنا في يوم عسير لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون ولا نتأكد ونتحقَّق من صحَّة ما نتقرَّب به إلى الله؟! حقًّا إن هذا لأمر عجيب. **أسأل الله تعالى لجميع المسلمين التوفيق والهداية إلى الصراط المستقيم. إنه قريب مجيب وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.**

حيدر علي قلمداران

ملتمسًا الدعاء من القراء الكرام.

ملحق[1]

بناء القبور في بلادنا وحكمه في ديننا!

لمّا أشرتُ في مقال «**علل انحطاط المسلمين**» الذي نشرتُهُ في صحيفة «**وظيفة**» إلى الوضع المؤسف للأوقاف في بلادنا (إيران) الذي تُصرف فيه أغلب الموقوفات –نتيجةً لجهل وأمّيّة الواقفين– على المراقد والعتبات والأضرحة الوهمية لذراري الأئمَّة وخدّامها وسدنتها وقرّاء المآتم فيها مما هو غير مطلوب في الشرع، وذكرْتُ أن نتيجة ذلك ما نشاهده من خراب البلاد وبطالة الناس وجوعهم، انتقد مقالتي هذه عديدٌ من الناس، أما الذين ليس لهم اطلاع على تاريخ صدر الإسلام ومبادئ الدين الحنيف وأصول الشريعة فلا عتب عليهم، ولكن العتب على أحد الشيوخ المعممين في «**قم**» المعروف بالفضل والعلم الذي قام بالرد على مقالتي في العدد ١٣٧ من جريدة «**وظيفة**» وقال بعد أن كال لي التهم والسباب: إن هناك حديثٌ مُسْنَدٌ يُرَغِّبُ بالبناء على القبور ويشَجِّعُ عليه، وادعى أنَّ هناك رواياتٌ عديدةٌ أخرى عن الأئمَّة المعصومين تدل على ذلك!!

لذا وجدت لزامًا عليّ أن أذكِّرَ بهذه الحقيقة وهي أنه لا يوجد في كتب الشيعة في باب البناء على القبور وتشييدها وتعاهدها سوى حديثٌ واحدٌ وعلى المدّعي لأكثر من ذلك أن يُثبت كلامه، وهذا الحديث الواحد سأضعه أمام أنظار القرّاء الكرام وأقوم بتحقيقه سندًا ومتنًا واترك الحكم عليه لأرباب الفضل وأولي العقل والإنصاف، ومن الله التوفيق.

وقبل الدخول في صلب الموضوع ينبغي أن أذكِّر بأن تشييد الأبنية وتخصيصها للأموات

---

(١) هذا المقال أو المبحث نشره المؤلف قلمداران في الأصل ضمن كتاب له (باللغة الفارسية طبعًا) عنوانه «**ارمغان آسمان**» أي «**تحفة السماء**» في الصفحات ٢٧٣ فما بعد، وقد أضافه أصدقاء المؤلف وناشرو كتبه إلى كتابه الحالي بشيء من التصرف اليسير نظرًا إلى تناسب مضمونه مع مضمون فكرة هذا الكتاب الحالي.

وعبادتهم تمثل أحد الآداب والسنن التي كانت شائعة في الأديان الخرافية والباطلة قبل الإسلام، وصفحات التاريخ مشحونة بذلك خاصة في إيران التي كان يروج فيها البناء على قبور الأموات من الملوك والأمراء، وضرب القباب على أضرحتهم وجعلها مزارات ومشاهد فخمة تُزار وتُعظَّم، ومن جملة ذلك قبر «كورش الأوّل» المعروف بـ «گور دختر» الذي اكتشفه عالم الآثار البلجيكي «وندربرج»، وقبر «جه إيش بيش» وقبر «راه دختر» في مرقد «پازار گاد» الذي اكتشفه عالم الآثار «هارسفيلد»، وحسب رأي علماء الآثار يعود تاريخ تلك الأبنية إلى القرن السابع قبل الميلاد. ولا يزال قبر كورش الكبير في «مشهد مرغاب» وقبر «داريوش الأول» في «نقش رستم» وعرش أم سليمان قائمة شامخة إلى يومنا هذا في إيران، إضافة إلى أهرامات الفراعنة في مصر ووادي مقابر الملوك على الساحل الغربي للنيل وخلفاء «ششتسوت» في مقابر ملوك مصر الجبارين مدعي الألوهية فيها (طبقًا لعالم الآثار «وندربرج» حسب ما نقلته صحيفة كيهان بتاريخ ٣/ بهمن/ ١٣٣٩هـ ش)، والتي يعود تاريخها -طبقًا لتحقيق المؤرخين مثل «ويل ديورانت» - إلى حوالي خمسين قرن مضت. وكل يوم يكتشف علماء التنقيب عن الآثار في إيران ومصر قبرًا جديدًا لأحد الملوك أو القادة والوزراء من حاشيتهم ويستخرجون مرقدًا أو ضريحًا من تحت الأرض كما حصل هذا العام من اكتشاف قبر «گور دختر» بين كازرون وبرازجان.

أما في الإسلام وكما يدل عليه تاريخه المشرق فلم يكن هناك أي أثر، لا في زمان الرسول الأكرم ﷺ ولا في زمان الخلفاء الراشدين ولا في زمان مسلمي الصدر الأول، لبناء الأضرحة وتشييد الأبنية وضرب القباب على قبور الصالحين وتعيين خدّام وسدنة لقبورهم. ورغم أن رسول الله ﷺ كان يذهب إلى زيارة شهداء أُحد ومقبرة البقيع، وأن فاطمة الزهراء عليها السلام كانت تزور قبر حمزة سيد الشهداء عليه السلام وأن أمير المؤمنين كان يزور قبور البقيع وغيرهم من الشهداء والصحابة، ورغم أنه في زمان رسول الله وزمان عليّ تُوفي مئات بل آلاف من أصحاب رسول الله الأجلّاء وشخصيات بارزة من شيعة علي وأنصاره، إما شهداءً في أرض المعركة أو على فراشهم، لم يكن هناك أي بناء على قبر أي أحد منهم ولا

كانت هناك قبة ولا ضريح لأيٍّ من قبورهم، واستمرَّ الأمر كذلك قرنًا أو قرنين حتى دخلت في الإسلام شعوبٌ كثيرةٌ مثل شعوب بلاد فارس (إيران) وما وراءها وأقباط مصر والحبشة وأهالي الروم بفضل جهاد جنود الإسلام، وحتى أحرز أشخاصٌ كبارٌ من تلك البلدان مقامات ومناصب في بلاط الخلفاء، عند ذلك بدأوا بإدخال عاداتهم وتقاليدهم القديمة بطرق خفيَّة في دين الإسلام خاصة الإيرانيين منهم الذين أدخلوا عديدًا من آدابهم وسننهم المجوسية الماضية في الإسلام تحت عناوين مختلفة مثل الاحتفال بعيد النيروز، وآداب دفن الأموات التي نجدها اليوم مشوبةً بالعادات القديمة ومن جملة ذلك بناء ضريح وسياج مفضَّض وغرفة مزينة بالنقوش وقبة على الأموات وإشعال الشموع والسُرج فيها ووضع الحلوى والفاكهة على القبر ونحو ذلك! ومن أراد التحقيق في هذه الأمور على نحو مفصَّل فليرجع إلى كتب مثل «**سير تمدّن وتطور ملل**» (مسيرة الحضارة وتطور الشعوب) و«**مشرق زمين گهواره تمدّن**» (مشرق الأرض مهد الحضارة) و«**ميراث إسلام**» (ميراث الإسلام) وغيرها من مؤلفات المحققين الإيرانيين والأجانب.

بعد هذه المقدمة نأتِ إلى الحديث الذي يستند إليه القائلون باستحباب تعمير وبناء قبور الأئمَّة وذراريهم:

هناك حديثٌ في جميع كتب الشيعة مرويٌّ بألفاظ مختلفة حول استحباب عمارة القبور[1] هو التالي:

جاء في كتاب «التهذيب» للشيخ الطوسي بإسناده **عن مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ دَاوُدَ عَنْ مُحَمَّدِ**

---

(١) إن عبارة عمارة التربة أو عمارة القبر وتعاهده، التي تكررت في هذه الرواية الموضوعة، لا تدل بالضرورة على معنى البناء والتشييد، لأن لفظ عَمَرَ المكان يأتي بمعنى زاره وتواجد فيه وأقام فيه، من العمرة التي هي الزيارة، ومنه قولهم: عمرت بمكان كذا أي أقمت به، وكذلك تعاهدت المكان معناه أن لا أخليه من الزيارة ولا أترك التردد إليه. ومن هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [التوبة: ١٨]، أي يتردد إليها دائمًا ويعمرها بالزيارة والعبادة فيها. فحتى هذه الرواية الوحيدة – رغم أنها موضوعة ومكذوبة– لا تفيد دعوى القائلين بتشييد الأضرحة والبناء على المراقد! (تر).

بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْفَضْلِ عَنِ الْـحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَرَزْدَقِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى بْنِ الْأَحْوَلِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي السَّرِيِّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَلَوِيِّ عَنْ عُمَارَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِي عَامِرٍ وَاعِظِ أَهْلِ الْـحِجَازِ قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام فَقُلْتُ لَهُ: مَا لِمَنْ زَارَ قَبْرَهُ يَعْنِي أَمِيرَ الْـمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَعَمَرَ تُرْبَتَهُ؟

فَقَالَ: يَا أَبَا عَامِرٍ! حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ الْـحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ لَهُ: وَاللهِ لَتُقْتَلَنَّ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ وَتُدْفَنُ بِهَا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لِمَنْ زَارَ قُبُورَنَا وَعَمَرَهَا وَتَعَاهَدَهَا. فَقَالَ لِي: يَا أَبَا الْـحَسَنِ، إِنَّ اللهَ جَعَلَ قَبْرَكَ وَقُبُورَ وُلْدِكَ بِقَاعًا مِنْ بِقَاعِ الْـجَنَّةِ وَعَرْصَةً مِنْ عَرَصَاتِهَا وَإِنَّ اللهَ جَعَلَ قُلُوبَ نُجَبَاءَ مِنْ خَلْقِهِ وَصَفْوَةٍ مِنْ عِبَادِهِ تَحِنُّ إِلَيْكُمْ وَتَحْتَمِلُ الْـمَذَلَّةَ وَالْأَذَى فِيكُمْ فَيَعْمُرُونَ قُبُورَكُمْ وَيُكْثِرُونَ زِيَارَتَهَا تَقَرُّبًا مِنْهُمْ إِلَى اللهِ وَمَوَدَّةً مِنْهُمْ لِرَسُولِهِ. أُولَئِكَ يَا عَلِيُّ الْـمَخْصُوصُونَ بِشَفَاعَتِي وَالْوَارِدُونَ حَوْضِي وَهُمْ زُوَّارِي غَدًا فِي الْـجَنَّةِ.

يَا عَلِيُّ! مَنْ عَمَرَ قُبُورَكُمْ وَتَعَاهَدَهَا فَكَأَنَّمَا أَعَانَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَى بِنَاءِ بَيْتِ الْـمَقْدِسِ.... "[(١)].

لِنَرَ الآن سند هذا الحديث على ضوء علم الرجال أي استنادًا إلى كتب الرجال المقبولة لدى فقهاء وعلماء الشيعة الإمامية، ثم نعرِّج بعدها على تمحيص مضمونه.

جاء الطريق الأول للحديث في كتاب «**تهذيب الأحكام**» للشيخ الطوسي، وكتاب «فرحة الغَرِيّ» للسيد عبد الكريم بن طاووس، وأول راوٍ في هذا الطريق هو «**عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَلَوِيُّ**» الذي قال عنه علماء الرجال ما يلي:

- قال العلامة الحلي في الخلاصة (ص٢٣٧): "قال الشيخ الطوسي (ره) وقال غيره بَلَى قبيلة من قضاعه النسبة إليها بَلَوِيّ، وقال الشيخ الطوسي كان واعظًا فقيهًا ولم يُنَصّ على تعديله ولا على جرحه، **وقال النجاشي: إنه ضعيفٌ. وقال ابن الغضائري: عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ**

(١) الشيخ الطوسي، **تهذيب الأحكام**، ج ٦، ص ٢٢٧. وانظر الحر العاملي، **وسائل الشيعة**، ج ١٤، ص ٣٨٢-٣٨٣. (المُنَقِّح)

بنِ عُمَيْرِ بنِ مَحْفُوْظٍ الْبَلَوِيُّ أبو محمَّدٍ المصرِيُّ كذَّابٌ وضَّاعٌ للحديث لا يُلْتَفَتُ إلى حديثه ولا يُعْبَأُ به".

والآن لنرَ أن هذا الشخص المحترم!! عمن روى حديثه؟ كما نلاحظ في السند لقد رواه عن راوٍ اسمه «**عُمَارَةُ بْنُ زَيْدٍ**» وفيما يلي ترجمته:

قال النجاشي في رجاله: "**عُمَارَةُ بْنُ زَيْدٍ الخَولانيُّ الهمدانيُّ لا يُعرف من أَمْرِهِ غَيْرُ هذا**".

وقال عنه العلامة الحلي في رجاله (ص ٢٤): "**عُمَارَةُ بْنُ زَيْدٍ أبو زيد الخيراني الهمداني المدني: كان حليف الأنصار هذا نسبه على ما يزعمه عبد الله بن محمد البلوي المصري، فإنه لا يُعْرَفُ إلا من جِهَتِهِ، وقد سُئِلَ عبد الله عنه فقيل له: من عمارة هذا الذي تروي عنه؟ فقال: رجلٌ نزلَ من السماء فحدَّثني ثم عَرَجَ!! وأصحابُنا يقولون: إنه اسمٌ ليس تحته أحدٌ، وكلُّ ما يرويه كذبٌ والكذبُ بيِّنٌ في وَجْهِ حَدِيثِهِ**".

واعتبره أبو داوود في رجاله أيضًا ضعيفًا أو أنه اسم دون مسمى.

كان ذلك حال رجال الحديث حسب السند الأول، وهناك طريق ثان للحديث ذكره أيضًا السيد عبد الكريم بن طاووس في كتابه «**فَرْحَةُ الغَرِيّ**» (ص ٧٦-٧٧) (إذْ روى الحديث بعدة أسانيد) فقال:

"محمد بن أحمد بن داود القمي وقد تقدم الإسناد إليه قال حدثنا **إسحاق بن محمد قال حدثني أحمد بن زكريا بن طهمان قال حدثنا إسحاق بن عبد الله بن المغيرة قال حدثنا علي بن حسان عن عمه عبد الرحمن بن كثير قال دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وذكر نحو المتن.**

وقال أيضًا: أخبرنا محمد بن علي بن الفضل قال حدثنا أبو أحمد إسحاق بن محمد المقري مولى المنصور قراءة عليه قال حدثني أحمد بن زكريا بن طهمان قال حدثني الحسن بن علي بن عبد الله بن المغيرة قال دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت فداك أبي وأمي فذكر مثله".

فنقول: في سند هذا الحديث «**إسحق بن محمد**» قالت عنه كتب الرجال مثل خلاصة الرجال للعلامة وجامع الرواة للأردبيلي ورجال طه نجف ورجال الغضائري: "**إسحق بن**

محمد بن أحمد إنه كان فاسدَ المذهب كذّابًا في الرواية وضّاعًا للحديث لا يُلْتَفَتُ إليه".

وأحد الرواة الآخرين لذلك السند «**أحمد بن زكريا**»:

قال عنه العلامة الحلي في رجاله: "**أحمد بن زكريا القميّ من الكذّابين**".

وهذا الشقيّ روى عن «**علي بن حسان**»:

جاء في رجال الكشيّ عنه (ص٤٥١-٤٥٢): "**قال محمد بن مسعود سألت علي بن الحسن بن علي بن فضال عن علي بن حسان قال عن أيهما سألت أما الواسطي فهو ثقة وأما الذي عندنا (يشير إلى علي بن حسان الهاشميّ) يروي عن عمه عبد الرحمن بن كثير، فهو كذَّاب وهو واقفيّ أيضًا لم يدرك أبا الحسن موسى** عليه السلام".

وجاء في رجال العلامة الحلي (ص٢٣٤):"... **وقال ابن الغضائري علي بن حسان بن كثير مولى أبي جعفر الباقر** عليه السلام **أبو الحسن يروي عن عمه عبد الرحمن غال ضعيف رأيت له كتابًا سماه تفسير الباطن لا يتعلق من الإسلام بسبب، ولا يروي إلا عن عمه. وقال ابن الغضائري ومن أصحابنا علي بن حسان الواسطي ثقة ثقة وقال النجاشي علي بن حسان بن كثير الهاشمي مولى عباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ضعيف جدًّا ذكره بعض أصحابنا في الغلاة فاسد الاعتقاد**".

يتبيَّن مما تقدَّم أن ذلك الشخص غال وضعيف وأنه كتب تفسيرًا لا علاقة له بالإسلام أي مليء بالأباطيل وأنه فاسد الاعتقاد.

فإذا عرفنا حال «**علي بن حسان**» هذا فلنرَ حال عمه «**عبد الرحمن بن كثير**»:

جاء في رجال النجاشي (ص١٧٥ من الطبعة الجديدة في طهران): "**عبد الرحمن بن كثير الهاشمي مولى... كان ضعيفًا، غمز أصحابنا عليه وقالوا كان يضع الحديث!**".

قلتُ: ولعل هذا الحديث أحد موضوعاته.

ثم أضاف العلامة الحلي: "**ليس بشيء**".

كل أولئك ينقلون الحديث عن «**أبي عامر واعظ الحجاز**» الذي ليس له ذكر ولا اسمٌ في

كتب الرجال. ولا يضر الجهل به فحتى لو كان هذا المجهول -أي أبي عامر- من أكبر العبّاد والزهّاد وكان نظيرًا للإمام جعفر الصادق فإن سند الحديث -بسبب حال رواته الآخرين الذي عرفناه - لا قيمة له وساقطٌ من الاعتبار كليًا.

أجل ببركة هذا الحديث الذي رواه أولئك الرواة الصادقون جدًّا!! امتلأت البلدان الإسلامية بالأضرحة والمزارات والقباب والمشاهد الحقيقية أو الوهمية لأولاد الأئمَّة حتى لم تبق قرية ولا بلدة إلا وفيها قبر أو أكثر لأولاد الأئمَّة التي يطلقون عليها لقب الأمراء مما يذكرنا بالتقاليد والسنن الإيرانية المجوسية القديمة كقولهم شاهزاده حمزة! (أي ابن الشاه أو الأمير حمزة) وشاهزاده جعفر! وشاهزاده أحمد! وقس على ذلك.. وذلك لأن الإيرانيين القدماء كانوا يجلُّون ملوكَهُم وكان لديهم قبل الإسلام مئات الأضرحة الخاصة بأولاد الملوك، فكأنهم لم يستطيعوا أن يعيشوا ويبقوا دون تلك المشاهد، فأدخلوها في الإسلام، وصاروا يقفون أكثر من ربع ممتلكات هذا البلد من الأراضي الزراعية والبيوت والدكاكين على تعمير تلك المشاهد والمراقد لأولاد الأئمَّة، الأمر الذي أحدث أضرارًا وخسائر كبيرة باسم الدين وشوّه الوجه النوراني للإسلام في نظر العقلاء وجعلهم ينفرون منه، في حين أنَّ دين الله بريء من كل تلك الأعمال بحمد الله.

والآن لنأت لمتن ذلك الحديث:

أولاً- أصل البناء على القبور ورفعها وتشييدها محرم في الإسلام كما تدل عليه الأحاديث الصحيحة التي رواها الفريقان عن النبي والأئمَّة عليهم السلام، وسنذكر نماذج عن تلك الأحاديث بعد قليل، وبالتالي كيف يمكن لشخص من أصحاب الإمام أن يسأله عن ثواب عملٍ هو في أصله محرّم؟!

ثانيًا- لم يكن قبر أمير المؤمنين معروفًا ولا واضحًا زمن الإمام الصادق فلا مجال أن يأتي شخص لعمارته وتعاهده ويسأل عن الثواب الذي سيناله على ذلك؟ فطبقًا للتواريخ الموثَّقة تم اكتشاف قبر أمير المؤمنين استنادًا إلى بعض العلامات والقرائن زمن هارون الرشيد - أي بعد مدة من حياة الإمام الصادق- وبالتالي فمن البعيد جدًّا ومن غير المعقول أن يسأل

شخصٌ الإمامَ الصادقَ عن تعمير قبرٍ لا يُعرف مكانه بالتحديد وتعاهده!!، وإذا رأينا في بعض الأحاديث أن حضرة الصادق قَدِمَ إلى النجف أحيانًا وأشرف على النقاط التي يُحْتَمَل أن تضم قبر أمير المؤمنين فإن تلك النقاط غامضة إلى درجة لا يمكن الجزم معها بالمكان الدقيق للقبر، ويدل على ذلك أنه لمّا كان الإمام الصادق يُسأل أحيانًا أين قبر أمير المؤمنين؟ كان يذكر علامات وإشارات لا تدل على نقطة محددة، فمثلاً جاء في «**كامل الزيارات**» بسنده عن سعد عن ابن عيسى عن علي بن الحكم عن صفوان بن الجمال قال:

"**كنت وعامر بن عبد الله بن جذاعة الأزدي فقال له عامر (أي للإمام الصادق ؑ): جعلت فداك! إن الناس يزعمون أن أمير المؤمنين ؑ دفن بالرحبة! فقال: لا. قال: فأين دفن؟ قال: إنه لما مات احتمله الحسن فأتى به ظهر الكوفة قريبًا من النجف، يسرةً من الغَرِيّ، يَمْنَةً عن الحِيْرَة، فدفنه بين ذكوات بيض. قال: فلما كان بعدُ، ذهبتُ إلى الموضع فتوهَّمْتُ موضعًا منه ثم أتيتُهُ فأخبرتُهُ. فقال لي: أصبتَ رحمَكَ اللهُ ثلاثَ مرَّاتٍ**"[(١)].

ثالثًا- تم تعليق ثواب تعمير القبر، في ذلك الحديث على أمر مجهول لأن بناء بيت المقدس لم يكن عملاً مأمورًا به في الإسلام حتى يُحَدَّد له ثواب معين يمكن قياس ثواب الأعمال الأخرى عليه، فمن المفهوم أن يُقال إن ثواب العمل الفلاني يُعادل حجة أو عدد من الحجات أو الغزوات أو يُعادل كذا ركعة من الصلاة ونحو ذلك لأنها أمور أمر بها الشارع في الإسلام وثوابها معروف، أما بناء بيت المقدس الذي تم في زمن داوود وسليمان عليهما السلام فماذا كان ثوابه حتى تُقاس الأعمال الحسنة الأخرى عليه؟

رابعًا- إن الذين أعانوا سليمان بن داوود على بناء بيت المقدس، كما جاء في نص القرآن الكريم، هم الجنّ والشياطين، قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣].

يقول **الشيخ الطَّبْرِسيّ** في تفسيره لهذه لآية الكريمة في تفسيره القيّم «**مجمع البيان**» (ج٨،

(١) المجلسي، **بحار الأنوار**، الطبعة الجديدة، ج ٩٧، ص ٢٤٠.

ص٣٨٢، الطبعة الجديدة في طهران):

"**قال: وكان مما عملوه بيت المقدس....** (إلى قوله): **فلما صار داود ابن أربعين ومائة سنة توفاه الله واستخلف سليمان فأحب إتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقَسَّمَ عليهم الأعمال يخص كل طائفة منهم بعمل فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام....** إلخ".

أي أن إتمام بناء المسجد إنما تمَّ على يد الجن والشياطين بأمر سليمان عليه السلام وإخضاعه لهم، ومن الطريف أن الله تعالى اعتبر هذا العمل نوعًا من العذاب لهم الذي ظلوا خاضعين فيه رغم موت سليمان عليه السلام الذي لم يشعروا به، كما تفيده الآية التي تلت الآيتين السابقتين أي قوله سبحانه:

﴿لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ١٤﴾ [سبأ: ١٤] وجاء في تفسير «**منهج الصادقين**» (ج٧، ص٣٥٣-٣٥٤، طبعة طهران) شَرْحُ بناءِ بيت المقدس بواسطة الجنّ على نحو مفصل يبدو منه أنه لم يشارك في بناء ذلك البناء أي إنسيّ، إذْ يقول في تفسير الآية الأخيرة ﴿مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ١٤﴾:

"قيل: إنه لم يمض على توظيفهم في العمل ببناء بيت المقدس عامٌ إلا وجاء داعي الأجل لقبض روح سليمان عليه السلام فأوصى سليمان حاشيته ألّا يفشوا موته وأن يجعلوه متكئًا على عصاه كي لا يتوقف الجن عن العمل ويكملوا بناء المسجد!". وقد جاء المضمون ذاته في بحار الأنوار (الطبعة الحجرية، ج ٥، ص٣٥٠-٣٥١).

فكيف يمكن مقايسة تعمير مزار أمير المؤمنين بعمل الجن والشياطين؟! نعم لو قايسنا بعض البانين لذلك المزار الشريف الذين كانوا ملوكًا جبارين مثل «هارون الرشيد» و«نادر شاه أفشار» الذي كان أولهما بانيًا والثاني آمرًا بتعمير ذلك المزار، بالشياطين لكان قياسًا صحيحًا غير بعيد عن الحقيقة!!

خامسًا- لو كان لبناء وتشييد قبر أمير المؤمنين كل ذلك الأجر والثواب فلماذا لم يقُمْ به حضرة الإمام الصادق عليه السلام الذي كان أعلم الناس به، وكان يمتلك القدرة المالية عليه (كما رُوي عنه عليه السلام قوله: «أنا أغنى أهل المدينة»)؟؟

فإن قيل: إن الإمام الصادق لم يكن يمتلك نفوذًا معنويًا للقيام بذلك، قلنا: إن الأمر ليس كذلك لأنه في أوج سلطة وقوة خلفاء الجور قام ابنه إسماعيل بقتل رئيس الشرطة وحاكم المدينة «داوود بن علي» الذي كان قد قتل «المعلّى بن خُنيس»، ولم يتعرَّض له أحد. فتعمير قبر أمير المؤمنين أمر أسهل من ذلك بكثير ولا خشية فيه. فليت شعري لو كان تعمير وتعهد قبر علي وأولاده عليهم السلام عملاً ذا ثوابٍ عظيمٍ إلى ذلك الحد المذكور، فلماذا لم يقم الإمام الصادق عليه السلام ببناء قبر أحد العلويين أو على الأقل ابنه إسماعيل ويقيم عليه قبة وضريحًا؟ أولاً لِيُعَلِّمَ شيعتَهُ القيامَ بهذا العمل ذي الثواب الكبير. وثانيًا: لِكَيْ يقضي على ما كان شائعًا مشتهرًا في أوساط فريقٍ من أتباعه بان إسماعيل كان لا يزال حيًا، ومن ذلك نشأت الفرقة الإسماعيلية التي نبع منها فساد كثير فيما بعد.

وعلى أي حال، فمن الواضح أنه كان بإمكان أحد الأئمَّة المعصومين أو المؤمنين الصالحين من أتباعهم أن يؤدي تلك السنَّة السنيّة (!) لتصبح مستندًا للآخرين من بعده ولكنَّ شيئًا من ذلك لم يحصل.

سادسًا- لنفرض أن تعمير قبور أمير المؤمنين وأولاده المعصومين -سلام الله عليهم أجمعين- عملٌ ذو ثواب عظيم فما دخل أولاد وذرارِيُّ الأئمَّة في هذا الأمر وما الدليل الشرعي على بناء الأضرحة والمراقد على كل ولدٍ أو حفيدٍ من أولاد الأئمَّة التي أغلبُها قبورٌ وهميَّة؟ اللهم إلا أن يُقال إنهم لما كانوا من أولاد الأئمَّة فإنهم أشراف فيشملهم الحديث الذي مرّ! ولكن مثل هذا القول مؤداه أن نبني أضرحة ومزارات على كل شريف النسب وهم بمئات الألوف وليت شعري ماذا سيكون حال بلدنا عندئذٍ؟!

سابعًا- إن فساد هذا العمل لم ينحصر بقبور ومراقد أحفاد وذرارِيّ الأئمَّة بل سرى إلى طبقة المترفين والأثرياء في البلد، فأصبحنا نجد في مدينة قم قبورًا عجيبة وغريبة ذات غرف مزخرفة ومزينة فوقها قباب جميلة بُنيت على الجيفة النتنة لبعض الأثرياء الفاسدين من سارقي أموال الشعب وقوته، يقوم على خدمتها خدّام وقرّاء وتُفرش بالسجاد الفاخر وتوضع فيها المصابيح المضيئة، بل لقد تحوّل الأمر إلى تجارة رابحة حيث قام أحد الأثرياء غلاظ الرقبة

(المترفين القُسَاة) من أهل طهران بشراء بقعة من الأرض حوَّلها إلى مقبرة مجلَّلة جدًّا وأخذ يبيع أثرياء طهران وسائر المدن القبرَ فيها بثلاثين أو أربعين ألف تومان!.

أجل، هذه هي نتيجة ما يدافع عنه بعض حماة الدين، ممن يصور مثل هذه الأعمال الجاهلية على أنها من أركان دين خاتم النبيين، فإذا قام أحد ينتقد هذه الأمور رشقوه بأنواع التُهم بلا حياء من الله ورسوله ولا حساب ليوم الدين!

❁❁❁

الأحاديث الواردة في النهي عن تعمير القبور

نأتي الآن إلى الأحاديث المرويَّة عن النبيّ والأئمَّة -عليهم السلام- في باب النهي عن تعمير القبور وتشييدها والبناء عليها، والتي تتفق في مضمونها مع كتاب الله وسنّة نبيّه ونقارنها بالأحاديث المُزَوَّرة والمُلَفَّقة التي مرَّت:

١- في الكتاب الشريف الموسوم بـ «**المحاسن**» تأليف **البرقيّ**، وفي كتاب «**وسائل الشيعة**»، باب ٤٣ من أبواب دفن الموتى عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: "**مَنْ جَدَّدَ قبرًا أو مَثَّلَ مثالاً، فَقَدْ خَرَجَ عَنِ الإسْلامِ**".

٢- وفي كتاب «**الكافي**» للكُلَيْنِيّ (ج٦، ص٥٢٨) عن أبي القدّاح يروي عن حضرة الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: "**بعثني رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- إلى المدينة في هَدْمِ القبور وَكَسْرِ الصُّوَر فقال: لا تَدَعْ صُوْرَةً إلّا مَحَوْتَهَا ولا قَبْرًا إلا سَوَّيْتَه**".

٣- وأورد **الشهيد الأول** في كتابه الفقهيّ «**الذكرى**» روايةً عن أبي الهياج الأسديّ أن أمير المؤمنين عليه السلام قال له: "**أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا تَدَعَ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ وَلَا تِمْثَالاً إِلَّا طَمَسْتَهُ**".

٤- وجاء في كتاب «**تهذيب الأحكام**» للشيخ **الطوسي** (ج١، ص٤٦١، ح ١٤٨)

وذكره **الحر العاملي** في «**وسائل الشيعة**»، باب ٤٤ من أبواب الدفن:

"عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْـحَسَنِ مُوسَى عليه السلام عَنِ الْبِنَاءِ عَلَى الْقَبْرِ وَالْجُلُوسِ عَلَيْهِ هَلْ يَصْلُحُ؟ قَالَ: لَا يَصْلُحُ الْبِنَاءُ عَلَيْهِ وَلَا الْـجُلُوسُ وَلَا تَجْصِيصُهُ وَلَا تَطْيِينُهُ".

٥- وفي «المجالس» للشيخ الصدوق عن حضرة الصادق عليه السلام عن آبائه **أن رسول الله ﷺ نهى عن تجصيص القبور والصلاة فيها.**

٦- وروى البرقيّ في «**المحاسن**» والشيخ الطوسي في «**تهذيب الأحكام**» (ج١، ص٤٦٢، ح ١٥٠): **"عَنْ أَبِي عَبْدِ الله (الإمام الصادق) عليه السلام قَالَ: لَا تَبْنُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلَا تُصَوِّرُوا سُقُوفَ الْبُيُوتِ فَإِنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ كَرِهَ ذَلِكَ".**

٧- وفي «**وسائل الشيعة**» [للحُرّ العاملي]، الباب ٤٤ من أبواب الدفن عن حضرة الصادق عليه السلام أنه قال: **"نَهَى رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ- أَنْ يُصَلَّى عَلَى قَبْرٍ أَوْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ أَوْ يُبْنَى عَلَيْهِ".**

٨- وفي كتاب «**معاني الأخبار**» للشيخ الصدوق **"عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ الزَّنْجَانِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْـعَزِيزِ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدٍ (رَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) أَنَّهُ نَهَى عَنْ تَقْصِيصِ الْقُبُورِ قَالَ وَهُوَ التَّجْصِيصُ".**

٩- وفي كتاب «**فقه الرضا**» للشيخ الصدوق (ص١٨٨- ١٨٩) ضمن ذكره تجهيز جثمان رسول الله ﷺ: **"...فلما أن فرغ من غسله وكفنه أتاه العباس فقال: يا عليّ! إن الناس قد اجتمعوا على أن يدفنوا النبي ﷺ في بقيع المصلى وأن يؤمهم رجل منهم فخرج عليٌّ عليه السلام إلى الناس فقال: يا أيها الناس أما تعلمون أن رسول الله ﷺ إمامنا حيًّا وميّتًا وهل تعلمون أنه ﷺ لعن من جعل القبور مصلًّى ولعن من يجعل مع الله إلهًا "؟!**[1]

(١) اعتبر هذا الحديث أن الصلاة فوق القبر بمثابة الشرك لأن الإسلام الذي هو التوحيد الخالص لا ينسجم مع التوجه إلى القبر، فيجب أن نقول لمن يقوم بعمارة القبور والبناء عليها وجعلها محلاً للدعاء والعبادة: هل كانت كلمات الأئمة موافقة لما أمر به جدّهم أم لا؟ وهل يجب على من يدَّعي اتِّباع الأئمَّة أن يقبل كلامهم ويعمل به أم لا؟ (البرقعي)

١٠- وروى الشيخ الصدوق أيضًا في كتابه «**من لا يحضره الفقيه**» (ج١، ص١٨٠، ح ٥٣٩) عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام أنه قال: "**إِذَا دَخَلْتَ الْـمَقَابِرَ فَطَأِ الْقُبُورَ فَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا اسْتَرْوَحَ إِلَى ذَلِكَ وَمَنْ كَانَ مُنَافِقًا وَجَدَ أَلَمَهُ**".

فهذه عشرة أحاديث شريفة نكتفي بذكرها طلبًا للاختصار ولو أردنا أن نذكر كل الأحاديث في هذا الصدد لطال بنا الكلام!

ولكي تعلموا أن لا فرق فيما ذُكر بين قبور النبي والأئمَّة وقبور سائر الناس، نذكر لكم فيما يأتي هذا الحديث من كتاب «**علل الشرائع**» للشيخ الصدوق وفيه يروي حضرة الصادق عن أبيه عليهما السلام أنه قال: "**إن قبرَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ رُفع شبرًا من الأرض، وإن النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ أمر برشِّ القُبُور**".

والنبيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِه) نفسه قال -كما روى الصدوق في كتابه- «**من لا يحضره الفقيه**» (ج ١، ص١٧٨، ح ٥٣٢): "**لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي قِبْلَةً وَلَا مَسْجِدًا فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَعَنَ الْيَهُودَ حَيْثُ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**".

إن جميع تلك الأحاديث التي مرت مدوَّنَةٌ مسطورةٌ في كتب حديث الشيعة الإمامية الموثَّقَة ولم نأتِ بها لا من كتاب **ابن تيمية** ولا من تأليفات **محمد بن عبد الوهاب** ولا حتى من كتب حديث أهل السنة حتى يُشْكِلَ بعضُ الناسِ عليها!

وبالطبع هناك في كتب أهل السنة أحاديث كثيرة بذلك المضمون، منها ما رُوي: "**عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْـحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا مَارِيَةُ فَذَكَرَتْ لَهُ مَا رَأَتْ فِيهَا مِنْ الصُّوَرِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمْ الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ!**"[1]

---

(١) منصور بن علي ناصف، **التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول**، ج١، ص٢٤٣-٢٤٤. والحديث متفق عليه؛ رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والنسائي وابن ماجه في سننهما.

كما تلاحظون أن ذلك الحديث الموضوع الوحيد كان موافقًا لأهواء هؤلاء الذين مُزجت فطرتهم بعبادة القبور والرؤساء والملوك. ولذا صرفوا أموالهم وأوقاتهم في عمارة القبور والأضرحة، حتى لم يبق ربع معمورة من هذا البلد خاليًا عن الأضرحة والمقامات. فزادوا في البلد مجموعة من العطلة من سدنة الأضرحة الذين لا يهمهم إلا بطونهم وفرضوهم على الشعب، وأعرضوا عن الأحاديث الصحيحة الواردة في النهي عن هذه التصرفات الفرعونية القيصرية الكسروية المذمومة. فكأن أملهم الوحيد هو بناء الأضرحة للأموات من حين لآخر والاعتناء بها اعتناءً بالغًا، ويعتبروا الدين تلك الأمور المذكورة فقط.

إن الدين في العرف والعقل والشرع عبارة عن أمر الله ونهيه والأحكام التي شرعها الله تعالى لخير الإنسان وسعادة العباد في الدارين، أما الدين في عرف الضّالين فعبارة عن تعظيم الأفراد وذكر الأشخاص والتضرع إليهم في قبورهم دون الالتفات إلى ما جاء عن النبي وما أراده الله من بعثة رسوله، بل يقدمون الأعذار قدر استطاعتهم لتعطيل تلك الأحكام حتى أصبح دين الله الأبدي مهجورًا وتعاليمه منسوخةً غير مكترثين بهذا الوضع! فكل ما يهمهم هو تشييد القبور وإقامة المآتم وغير ذلك من الأمور، في حين لا يُولون الأمور المهمة والأساسية في الدين إلا اهتمامًا ضعيفًا.

وجدير بالذكر أنه لما كان ملك الحجاز في زيارة رسمية لإيران [في عهد الشاه]، طلب منه بعض من يتظاهر بالتدين والدفاع عن الأمة الإسلامية! أن يعيد بناء قبور الأئمَّة في البقيع، يُقال: إنه رد عليهم بقوله: إن حجاب المرأة المسلمة واجب بنص ثماني آيات من القرآن الكريم، وأنتم لا تعملون بهذه الآيات المحكمات وتركتم نساءكم كاشفات متبرجات في الشوارع والطرقات ولا يحرك هذا الوضع المزري غيرة في نفوسكم؟! وأما بناء قبور الأموات، فإن لم يكن في الشرع نهي عن بناء القبور (وقد مرّ بنا سابقًا أن الشارع قد نهى عن بناء القبور وعمارتها)، لا يوجد -على الأقل- أمر من قبل الشارع ببنائها، فلماذا تصرون على شيء ليس من الدين ولم يأمرنا به الشارع الحكيم؟!

وإذا أعيت أولئك المدافعين عن البناء على القبور الحيل لم يجدوا في جعبتهم إلا أن يقولوا إن ما أقوله أنا وأمثالي في هذا الشأن هو عين ما قاله «**كَسْرَوِيّ**»(١) ومشابهٌ لما قاله فلان وفلان، وأن العلماء قد ردُّوا عليهم وفنّدوا أقوالهم فاقرؤوا كتاب العالِم الفلاني أو آية الله الفلاني لتجدوا فيه الإجابة عن كل تلك الإشكالات!

وأقول في الإجابة عن ذلك: وهل كل ما قاله «**كَسْرَوِيّ**» -حتى ولو كان صاحب غاية خبيثة في كلامه- باطلٌ وخاطئٌ؟! لا شك أن ذلك الرجل المحشِّش (كسروي) كانت له أغراض لا دينية وقد خلط في كلامه الباطلَ ببعض الحق وبالتالي فلا يعني ذلك أن كل كلمة قالها خطأ.

وعلى كل حال، إن كذب ذلك الحديث الذي يستند إليه القائلون ببناء المراقد والقباب على القبور ليس أمرًا يمكن كتمانه، كما لا يمكن إنكار كون القبور المشيّدة ذات الأبنية العالية تذكرنا بالفراعنة والأكاسرة! ولا يمكن لأحد أن يزيل كل تلك الأحاديث المروية عن النبي والأئمَّة عليهم السلام في مذمَّة البناء على القبور وتحديثها وتجصيصها ورفعها من كتب الحديث، خاصة أن سيرة مسلمي الصدر الأول تبين بكل وضوح أن مثل تلك الأعمال لم تكن رائجة

(١) «**أحمد كَسْرَوِي**» كاتب ومؤرِّخ وناقد اجتماعي إيراني آذري، ولد في تبريز عام ١٢٦٧هـ ق، وبدأ حياته بدراسة العلوم الدينية حتى صار في سلك علماء الدين، ثم ترك المشيخة وارتدَّ عليها، وأصبح أستاذًا في جامعة طهران واشتهر بنشره مجلة «پيمان» وصحيفة «پرچم» اللتين تضمنان نقدًا لكثير مما كان شائعًا في المجتمع الإيراني من أفكار وعادات وممارسات، كما نشر عدة كتبٍ تنتقد أفكار المسلمين في عصره وممارساتهم، ككتاب «صوفيگري» أي الصوفية و«اشعريگري» أي الأشعرية و«شيعيگري» أي التشيُّع الذي نقد فيه أخطاء تلك المدارس نقدًا لاذعًا وجارحًا بل وصل في كتابه الأخير إلى نقد الإمام الحسن بن علي والإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام الذي اتهمه – والعياذ بالله- بأنه كان ذا وجهين... الخ، ويظهر بوضوح من بعض عبارات «كسروي» أنه كان ملحدًا إذْ أنكر في كتابه «شيعيگري» معجزات موسى وعيسى عليهما السلام واعتبرها من الخرافات، ودعا إلى دين جديد هو دين العقل ودعا إلى إحراق كتب التراث. اتُّهِمَ بالكفر والإزراء بتعاليم الدين وصدرت فتوى بقتله، واغتيل عام ١٩٤٦م/ ١٣٢٤هـ ق على يد شخصين من جماعة نوَّاب صفوي المعروفة باسم «فدائيان إسلام».

ولا كانت في نظرهم مشروعة.

فكلُّ من يؤلِّف كتبًا ويقول كلامًا في مواجهة كتاب الله وسنة رسوله وأحاديثه الشريفة الصحيحة فقد قال زُخْرُفًا من القول حتى لو كان لقبه آية الله وكان حجم عمامته بحجم قبة المسجد الأعظم! وحتى لو ادّعى الاتصال باللاهوت وكان ضليعًا بالفلسفة والتصوف وملأ كتابه بسباب مخالفيه وتنقيصهم!

في المقالات التي نشرناها في صحيفة «وظيفة» أوضحنا أنه رغم أن أساس الأديان الحقّة وهدف بعثة الأنبياء الإلهيين هو اجتثاث جذور الشرك والوثنية واستبدالها بروح التوحيد، إلا أنه لما كان البشر قد عاشوا أزمنة مديدة في ظلمات الجهل والوثنية وعبادة الأرواح والأشخاص فإنهم لم يكونوا مستعدين كل الاستعداد لإدراك تعاليم الأنبياء وأخذ معارفهم الحقّة لذا نجد في كل دين وملة بقايا وآثار من العقائد الشركية القديمة! كما هو الحال في دين اليهود والنصارى الذي كان أساسه دينًا حقًا.

ولكن بسبب التعوُّد على تلك الخرافات الخاصة بعهد الظلام والشرك لم يستطيعوا التخلي بشكل كامل عن العقائد الموهومة والباطلة بل عادت إلى دينهم بثوب جديد وأصبحوا يعتقدون بألوهية أشخاص معينين ويتخذونهم آلهة وأربابًا مع الله!

ودين الإسلام المقدّس المعروف بأنه دين التوحيد والوحدانية وكتابه السماوي حافظٌ لهذه العقيدة وملقِّنٌ لها وآياته الصريحة تمنع بشكل قاطع كل تذلل وخضوع وعبادة لغير الله وتأمر بتقديم الحمد والثناء للذات الأحدية وحدها كما يقول تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾ [الجن: ١٨]، ولا تسمح بإعطاء أي صفات ربوبية لأيٍّ من مخلوقات الله أيًّا كانت ومهما كان مقامها أو تقديسها وتسبيحها من دون الله.

وكان أئمَّة دين الإسلام المبين بدءًا من النبيّ الأكرم ﷺ والأئمَّة الكرام عليهم السلام وصحابة رسول الله حذرين دائمًا ومنتبهين ألا تصدر عن المسلمين أي حركة منشؤها الغلوّ بحقّهم إلى

الحدّ الذي كان رسول الله يمنع الناس أن يقفوا لديه وهو جالس[١] وكان يركب الحمار والبغل تواضعًا وانكسارًا لِـلَّهِ وكان يحلب الشاة بيديه ويجمع الحطب في السفر بنفسه لطبخ الطعام ولم يكن يقبل من أي أحد أن يتملّقه بالمدائح والثناء المشوب بالمبالغات والغلو ولم يكن يسمح لأحد أن يخاطبه بالألقاب والعناوين التي تخصّ النبلاء والملوك المستكبرين ويمدحه بمثلها ويمتنع عن بيان كثيرٍ من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام لكي لا يقع الجهلاء في الغلو به وينسبون إليه ما لا يجوز.

ورغم كل ذلك فإن الأشخاص الذين اعتادوا ردحًا طويلاً من الزمن على عبادة الأوثان والأصنام وتشبّعت روحهم بتعظيم الأشخاص وعبادة الأرواح والملائكة لم يستطيعوا أن يستوعبوا حقيقة تعاليم الإسلام التي تُؤكد أنه لا يوجد في عالم الوجود والغيب والشهادة معبودٌ سوى الله وحده ولا توجد قدرةٌ ولا قوةٌ ولا مشيئةٌ مؤثرةٌ في الخلق والكون سوى ذات الله واجب الوجود.

فيا حسرة على العباد الذين لا يمكنهم التخلي عن روح الوثنية وتعظيم الأشخاص والغلو فيهم، هذا رغم كل ذلك التواضع الذي كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان يكرر: "**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيٍ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ**"[٢]، ويقول لأصحابه "**أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ** "[٣] وذلك عندما استشاروه في تأبير النخل فقال لهم لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا فَتَرَكُوهُ فَنَقَصَتْ فقال لهم مقولته تلك، وكذلك

---

(١) كَمَا رَوَى الشَّيْخُ الطُّوسِيُّ فِي أَمَالِيهِ، بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ لَهُ: **يَا أَبَا ذَرٍّ! مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّار**". والحديث مروي من طرق السنة أيضًا فقد أخرجه أبو داود في السنن (٤، ٣٥٨)، كتاب الأدب، باب في قيام الرجل للرجل، حديث [٥٢٢٩]، والترمذي (٥، ٩٠-٩١)، كتاب الأدب: باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل، حديث [٢٧٥٥]، وأحمد بن حنبل في المسند، ج ٤، ص ١٠٠. وقال الترمذي: هذا حديث حسن. (المُنَقِّح)

(٢) **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعًا دون ما ذكره من معايش الدنيا.

(٣) المصدر السابق، عن عائشة وعن أنس كلاهما عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الأئمَّة عليهم السلام لم يدّعوا لأنفسهم مقامًا سوى بيان الحلال والحرام والرواية عن جدّهم حضرة خير الأنام.

روى **محمد بن الحسن الصفّار** في كتابه «**بصائر الدرجات**» عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن هشام بن سالم عن محمد بن مسلم قال دخلت عليه (أي على الإمام جعفر الصدق عليه السلام) بعد ما قُتِلَ أبو الخطاب، قال فذكرتُ له ما كان يَرْوِي من أحاديثه تلك العظام قبل أن يُحْدِثَ ما أَحْدَثَ فقال (الصادق عليه السلام):

"**بحسبك والله يا محمد أن تقول فينا: يعلمون الحلال والحرام وعلم القرآن وفصل ما بين الناس**. فلما أردتُ أن أقومَ أخذ بثوبي فقال: **يا محمد! وأي شيء الحلال والحرام في جنب العلم؟ إنما الحلال والحرام في شيء يسير من القرآن** "[١].

وروى السيد «**هاشم البحراني**» في تفسيره «**البرهان**» عن أيوب بن الحرّ عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام أنه قال لمن سأله: الأئمَّة بعضهم أعلم من بعض؟ فقال: "**نعم! وعلمهم بالحلال والحرام وتفسير القرآن واحد** "[٢].

وكان الأئمَّة عليهم السلام يتبرؤون كلَّ التبرؤ وترتعد أبدانهم ممّا يَنْسِبُهُ إليهم بعض الغلاة -لعنهم الله- من علمهم المطلق بالغيب، كما روى المجلسي نقلاً عن كتاب «**رجال الكشي**» بسنده عن عنبسة بن مصعب قال: قال لي أبو عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام:

"أيُّ شيء سمعت من أبي الخطاب؟ قال: سمعتُه يقول إنكَ وضعتَ يدكَ على صدره وقلتَ لهُ عِه ولا تنسَ! وأنكَ تعلمُ الغيبَ وأنك قلتَ له عيبةُ علمنا وموضعُ سرِّنا أمينٌ على أحيائنا وأمواتنا! قال (الإمام الصادق): لا والله ما مس شيء من جسدي جسده إلا يده، و **أما قوله إني قلتُ أعلمُ الغيبَ فو الله الذي لا إله إلا هو ما أعلم، فلا آجرني الله في أمواتي ولا بارك لي في أحيائي إن كنتُ قلتُ له**. قال: وقدامه جويرية سوداء تدرج فقال: **لقد كان مني**

(١) المجلسي، **بحار الأنوار**، ج٢٣، ص١٩٥ من الطبعة الجديدة. (المُنَقِّح)

(٢) ورواه محمد بن الحسن الصفّار في كتابه «**بصائر الدرجات**» من عدة طرق، ص ٤٧٩.

إلى أم هذه أو إلى هذه كخطة القلم فأتتني هذه فلو كنت أعلم الغيب ما كانت تأتيني ولقد قاسمتُ مع عبد الله بن الحسن حائطًا بيني وبينه فأصابه السهل والشرب وأصابني الجبل..."[١].

إن عدم معرفة الغيب لا تُنْقِص من شأن الأئمَّة ولا تُنزِّل من مقام إمامتهم، بل حتى رسول الله ﷺ المُؤيَّد بالتأييدات الإلهية، ومهبط الوحي الإلهي، نفى علم الغيب[٢] عن نفسه وذلك طبقًا للآية الكريمة: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ [الأعراف: ١٨٨].

ولا يقتصر الأمر على عدم علم الغيب بل إن كثيرًا من العوارض البشرية التي تعرض لكل فرد عادي كانت تعرض لهم -عليهم السلام- أيضًا، كما روى **الشيخ الصدوق** في كتابه الشريف «**عيون أخبار الرضا**» (ج٢، ص٢٠٣) قال:

"حدثنا تميم بن عبد الله بن تميم القرشي قال: حدثني أبي عن أحمد بن علي الأنصاري عن أبي الصلت الهروي قال: قلت للرضا عليه السلام: **يا ابن رسول الله! إن في سواد الكوفة قومًا يزعُمُون أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ لم يقع عليه السهو في صلاته! فقال: كذبوا لعنهم الله إن الذي لا يسهو هو الله الذي لا إله إلا هو**... الحديث".

وروى المجلسي في «**بحار الأنوار**» نقلا عن كتاب «**السرائر**» بسنده عن الفضيل قال: "**ذكرتُ لأبي عبد الله عليه السلام السهوَ فقال: وينفلت من ذلك أحد؟! ربما أقعدت الخادمَ خلفي**

---

(١) رجال الكشي، طبعة مشهد الجديدة، ص ٢٩١-٢٩٢، والمجلسي، **بحار الأنوار**، ج ٢٥، ص ٣٢٢، من الطبعة الجديدة. (المُنَقِّح)

(٢) **فائدة**: لقد نفت هذه الآية الكريمة ثمرات علم الغيب (توقي الضرر والاستكثار من الخير) مما يثبت انتفاء كل شكل من أشكال علم الغيب سواء كان ذاتيًّا مستقلاً أم بإذن الله، فالآية رد مفحم قاطع على من يدعي أن الآيات التي تنفي علم الغيب عن رسول الله ﷺ تنفي علمه الذاتي المستقل عن الله ولا تنفي علمه الغيب بإذن الله!! لأن الآية تنفي الأمرين، فتأمَّل. (المُنَقِّح)

يحفظ عليَّ صلاتي. إياكم و الغلو فينا!... "[١].

وكتب أمير المؤمنين علي ﷺ رسالةً إلى «المنذر بن الجارود العبدي» قال له فيها: "**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ صَلَاحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ وَ تَسْلُكُ سَبِيلَهُ فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ لَا تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَادًا وَلَا تُبْقِي لِآخِرَتِكَ عَتَادًا...**" (نهج البلاغة، الرسالة ٧١ ص٤٦٢).

وأورد السيد «**هاشم البحراني**» في مقدمة تفسيره «**البرهان**»، في الباب العاشر منها: أن بعض الناس زعموا أن المقصود من آيات القرآن هم الأئمَّة وأن «**المفضل بن عمر**» نقل ذلك إلى الإمام الصادق ﷺ فأنكره بشدة وقال:

"وبلغكَ أنهم يزعمون أن الدين إنما هو معرفة الرجال ثم بعد ذلك إذا عرفتهم فاعمل ما شئت! وذكرتَ أنكَ قد عرفت أن أصل الدين معرفة الرجال وذكرت أنه بلغك أنهم يزعمون أن الصلاة والزكاة وصوم شهر رمضان والحج والعمرة والمسجد الحرام والبيت الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام هو رجل، وأن الطهر والاغتسال من الجنابة هو رجل، وكل فريضة افترضها الله على عباده هو رجل، وأنهم ذكروا ذلك بزعمهم أن من عرف ذلك الرجل فقد اكتفى بعلمه به من غير عمل... (إلى قوله ﷺ): **أُخْبِرُكَ أنه من كان يدين بهذه الصفة التي كتبتَ تسألُني عنها فهو عندي مشركٌ بالله تبارك و تعالى بيِّنُ الشرك لا شكَّ فيه**"[٢].

وقد أكد أمير المؤمنين والأئمَّة ﷺ على التحذير من الغلو والغلاة وقال ﷺ في هذا الصدد قولته الشهيرة: "**هَلَكَ فِيَّ رَجُلَانِ، مُحِبٌّ غَالٍ وَمُبْغِضٌ قَالٍ**"[٣]. (نهج البلاغة، الحكمة رقم ١١٧).

---

(١) المجلسي، **بحار الأنوار**، الطبعة الجديدة، ج ١٠، ص ٩٢.

(٢) انظر محمد بن الحسن الصفّار، **بصائر الدرجات**، ص٥٢٦ – ٥٢٧. والمجلسي، **بحار الأنوار**، الطبعة الجديدة، ج ٢٤، ص ٢٨٦ – ٢٨٩.

(٣) وجاءت هذه العبارة عنه ﷺ أيضًا بلفظ آخر هو: "**يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلَانِ مُحِبٌّ مُفْرِطٌ وَبَاهِتٌ مُفْتَرٍ**" (الحكمة رقم ٤٦٩، من نهج البلاغة).

لذا نجد أن صاحب «**تحف العقول**» يذكر ضمن وصايا أمير المؤمنين: " إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِينَا! قُولُوا إِنَّا عِبادٌ مَرْبُوبُونَ وَقُولُوا فِي فَضْلِنَا مَا شِئْتُم. **مَنْ أحبَّنا فليعمل بعملنا وليستعن بالورع** "[١].

وأنه كان يكرر وصيته: "**لا تفضحوا أنفسكم عند عدوكم في القيامة! ولا تكذِّبوا أنفسكم عندهم...**"[٢]. أي لا تُسقطوا أنفسكم من أعين مخالفيكم وأعدائكم بإيمانكم بالعقائد المغالية السخيفة التي تفضحكم أمام الناس يوم القيامة.

ولكن للأسف مع كل هذه الوصايا والتعاليم وضع الأعداء الخبثاء أو الأصدقاء الحمقى أحاديث كثيرة عن الأئمَّة عليهم السلام تُثبت لهم العلم بالغيب وإحياء الموتى وشفاء المرضى وتقسيم أرزاق العباد وأن لا شيء يتم في العالم ولا يتحرك إلا بإذنهم، وأنه عندما قام أمير المؤمنين بضرب «مرحب» نزل جبرائيل وإسرافيل وميكائيل من السماء خشية من أن تصل ضربة أمير المؤمنين إلى الثور والحوت الحاملين للأرض!! وأن الأئمَّة كانوا يقضون على الثعابين وهم لا يزالون في المهد ويقفزون إلى السماء وهم في المهد، وأنه قبل نزول القرآن وبعثة نبي آخر الزمان قرأ عليٌّ على رسول الله سورًا من القرآن وهو لا يزال حديث الولادة ملفوفًا في القماط!! وأمثال تلك الخرافات والأساطير التي ينكرها العقل والشرع والتي لعن الأئمَّة عليهم السلام واضعيها واظهروا البراءة منهم مرارًا كما روى الشيخ الصدوق في كتابه الشريف «**عيون أخبار الرضا**» عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:"... **يا ابن خالد! إِنَّمَا وَضَعَ الْأَخْبَارَ عَنَّا فِي التَّشْبِيهِ وَالْـجَبْرِ الْغُلَاةُ الَّذِينَ صَغَّرُوا عَظَمَةَ الله تَعَالَى، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَقَدْ أَبْغَضَنَا وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَقَدْ أَحَبَّنَا، وَمَنْ وَالَاهُمْ فَقَدْ عَادَانَا وَمَنْ عَادَاهُمْ فَقَدْ وَالَانَا، وَمَنْ وَصَلَهُمْ فَقَدْ قَطَعَنَا وَمَنْ قَطَعَهُمْ فَقَدْ وَصَلَنَا، وَمَنْ جَفَاهُمْ فَقَدْ بَرَّنَا وَمَنْ بَرَّهُمْ فَقَدْ جَفَانَا، وَمَنْ أَكْرَمَهُمْ فَقَدْ**

---

(١) ابن شعبة الحراني، **تحف العقول**، ص ١٠٤. ورواه الصدوق في «**الخصال**»، ج ٢، ص ٦١٤، بسنده عن الإمام الصادق عن أبيه عن جده عن آبائه أن أمير المؤمنين عليه السلام علَّم أصحابه في مجلس واحد أربعمئة باب. (المُنَقِّح)

(٢) المجلسي، **بحار الأنوار**، الطبعة الجديدة، ج ١٠، ص٩٣.

أَهَانَنَا وَمَنْ أَهَانَهُمْ فَقَدْ أَكْرَمَنَا، وَمَنْ قَبِلَهُمْ فَقَدْ رَدَّنَا وَمَنْ رَدَّهُمْ فَقَدْ قَبِلَنَا... الحديث".[١]

وفي المجلد السابع من البحار وفي الكتاب الشريف: «**عيون أخبار الرضا**» للصدوق (ج ١، ص ٣٠٤) عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي مَحْمُودٍ قَالَ: قُلْتُ لِلرِّضَا عليه السلام: يَا ابْنَ رَسُولِ الله! إِنَّ عِنْدَنَا أَخْبَارًا فِي فَضَائِلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَفَضْلِكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَهِيَ مِنْ رِوَايَةِ مُخَالِفِيكُمْ وَلَا نَعْرِفُ مِثْلَهَا عَنْكُمْ أَفَنَدِينُ بِهَا فَقَال:"... **يَا ابْنَ أَبِي مَحْمُودٍ! إِنَّ مُخَالِفِينَا وَضَعُوا أَخْبَارًا فِي فَضَائِلِنَا وَجَعَلُوهَا عَلَى أَقْسَامٍ ثَلَاثَةٍ أَحَدُهَا: الْغُلُوُّ**[٢] **وَثَانِيهَا: التَّقْصِيرُ فِي أَمْرِنَا**[٣] **وَثَالِثُهَا: التَّصْرِيحُ بِمَثَالِبِ أَعْدَائِنَا**[٤]**، فَإِذَا سَمِعَ النَّاسُ الْغُلُوَّ فِينَا كَفَّرُوا شِيعَتَنَا وَنَسَبُوهُمْ إِلَى الْقَوْلِ بِرُبُوبِيَّتِنَا، وَإِذَا سَمِعُوا التَّقْصِيرَ اعْتَقَدُوهُ فِينَا، وَإِذَا سَمِعُوا مَثَالِبَ أَعْدَائِنَا بِأَسْمَائِهِمْ ثَلَبُونَا بِأَسْمَائِنَا وَقَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَل:** ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]"[٥].

حيدر علي قلمداران

❁❁❁

---

(١) الشيخ الصدوق، **عيون أخبار الرضا**، ج١، ص ١٤٣.

(٢) لأن مثل هذه الأخبار تؤدي إلى أن يعتبر المسلمون أتباع الأئمَّة مشركين. (البرقعي)

(٣) لأن مثل هذه الأخبار تؤدي إلى أن يسيء الناس الظن بالأئمة أنفسهم. كالأخبار التي تنسب إليهم تضييع أحكام الشرع. (البرقعي)

(٤) لأن مثل هكذا أخبار تؤدي إلى أن يعتبر المسلمون الأئمة وأتباعهم أشخاصًا طائفيين غير منصفين ومغرضين، فيستبيحون الطعن في الأئمة وإساءة الكلام بحقهم. (البرقعي).

(٥) الشيخ الصدوق، **عيون أخبار الرضا**، ج١، ص٣٠٤.

تكملة العلامة البرقعي حول ضعف رواة أحاديث الزيارة

كما وعدنا فيما سبق سنقوم فيما يأتي ببيان أحوال بعض رواة أحاديث الزيارة، إضافةً إلى الرواة الذين بين المؤلف المحترم أحوالهم فيما سبق(١):

٤٥- **إبراهيم بن إسحاق الدينوري**: ليس له ذكر في كتب الرجال، فهو إذن مهمل ومشكوك في وجوده. ولكن هناك في «**الوسائل**» (ج ١٠، ص ٧٧٠) رواية عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ الدِّينَوَرِيِّ هذا ذاته عَنْ «عُمَرَ بْنِ أَبِي زَاهِرٍ» المهمل والمجهول أيضًا، عَنْ الإمام الصادق عليه السلام قَالَ: "سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ الْقَائِمِ يُسَلَّمُ عَلَيْهِ بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: **لَا ذَاكَ اسْمٌ سَمَّى اللهُ بِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يُسَمَّ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَا يُسَمَّى بِهِ بَعْدَهُ إِلَّا كَافِرٌ**!! **قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ كَيْفَ يُسَلَّمُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: تَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَقِيَّةَ اللهِ! ثُمَّ قَرَأَ** ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٨٥]".

لا ندري في أيِّ زمن تم وضع هذه الرواية وافتراؤها؟! لأن القائم لم يكن قد وُلد زمن حضرة الصادق عليه السلام حتى يُسَلَّم عليه. يُضاف إلى ذلك أنه لا معنى لتسمية الإمام بـ«بقية الله» ولا تتوافق هذه التسمية مع كتاب الله، لأن الحق تعالى قال: إن شُعيبًا عليه السلام خاطب قومه قائلاً: ﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ٨٦﴾ [هود: ٨٥، ٨٦] ففي هذه الآية أطلق الله على الربح العادل الذي يبقى للبائع من الصفقة عبارة «بقيَّة الله» ولا علاقة لهذه العبارة بالإمام أو بالرسول، خاصةً أن الله تعالى ليس له أبعاض أو أجزاء حتى يبقى شيء منها باسم الإمام!! والعجيب أن المتظاهرين بالتشيع أخذوا هذه الرواية التي يرويها شخص مجهول وجعلوا مضمونها أساسًا لعقيدتهم! وإضافةً لذلك لو

---

(١) انظر فصل ضعف روايات زيارة القبور في ضوء كتب **علم الرجال**. (المُنَقِّح)

أن شخصًا عُيِّن مِنْ قِبَلِ رسول الله ﷺ أو مِنْ قِبَلِ حاكم المسلمين الشرعي أميرًا على جماعة من المؤمنين ألا يُطلَق عليه لقب «**أمير المؤمنين**»؟ ولو قال شخص: يا أمير المؤمنين! أنقذ فلانًا، فهل يكفر هذا القائل؟ وحتى لو فرضنا أنه قام بعمل سيئ فلماذا يكون كافرًا؟ إن الكافر هو من يُنكر أصلاً من أصول الدين أو فرعًا من فروعه المعلومة من الدين بالضرورة، أما الذي يُلقّب شخصًا غير عليّ عليه السلام بأمير المؤمنين فإنه لم يُنكر شيئًا. من الواضح أن هذا الراوي كان رجلاً يسعى لبث الفرقة والحقد بين المسلمين لأن عامة المسلمين يعتبرون الخلفاء الراشدين أمراء للمؤمنين، فهل جميع المسلمين كفار؟!! انظروا كيف أضافوا ما أرادوه إلى الدين باسم الإمام؟

٤٦- **إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ** [الْأَحْمَرِي] **النَّهاونديّ**: اعتبره الشيخ الطوسي في فهرسته (ص ٢٩) ضعيفًا مُتَّهمًا في دينه. وهكذا قال عنه النجاشي والعلامة الحلي(١) والممقاني. وقال الغضائري ضعيفٌ في مذهبه غلوٌّ وارتفاعٌ. ولكن للأسف روى المتأخّرون عنه في كُتُب المزار روايات عديدة، من جملة ذلك ما رُوِيَ عنه في كتاب الوسائل في باب زيارة قبر الرضا عليه السلام من أن الإمام الرضا عليه السلام قال: "مَنْ زَارَنِي عَلَى بُعْدِ دَارِي وَمَزَارِي أَتَيْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ حَتَّى أُخَلِّصَهُ مِنْ أَهْوَالِهَا: إِذَا تَطَايَرَتِ الْكُتُبُ يَمِينًا وَشِمالاً وَعِنْدَ الصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ".

لنرَ الآن هل يتفق هذا الحديث مع كتاب الله أم لا؟

يقول الله تعالى عن القيامة: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾ [الانفطار: ١٩]، بل يقول لرسوله الكريم بصيغة الاستفهام الاستنكاري: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ١٩﴾ [الزمر: ١٩]، ويقول تعالى أيضًا: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ٣٨﴾ [النبأ: ٣٨].

لاحظوا: في يوم القيامة لا يملك حتى الروح الأمين وسائر الملائكة حقَّ الكلام إلا

---

(١) قال العلامة في القسم الثاني من كتابه خلاصة الأقوال (ص١٩٨): "إبراهيم بن إسحاق... كان ضعيفًا في دينه وفي مذهبه ارتفاع، وأمره مختلط، لا أعمل على شيء مما يرويه". (المُنَقِّح)

بإذنٍ مِنَ الله تعالى، وبشرط أن لا يقولوا إلا صوابًا، يعني أن يكون كلامهم مطابقًا لكلام الله سبحانه وقانونه. فإذا عرفتم ذلك فانظروا ماذا فعلته أمثال هذه الروايات المضادة للقرآن التي يرويها رواة ضعفاء فاسدو المذهب وكيف أنها ترسل كل خائن محترف للإجرام إلى خراسان على أمل أن يخلصه الإمامُ [الراقدُ فيها] من عذاب الله!! ألم يقرؤوا في القرآن أن الله تعالى يقول بشأن زوجتي حضرة نوح وحضرة لوط عليهما السلام: ﴿فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠﴾ [التحريم: ١٠]؟ ألا يعتبرون الله تعالى رؤوفًا ورحيمًا بِقَدْر الإمام حتى يرو أنه من اللازم حتمًا على الإنسان أن يسافر لزيارة قبر الإمام كي تشمله الرحمة الإلهية؟!

وعلى كل حال لا يمكننا بمثل هذه الروايات الضعيفة أن نتجاهل آيات الله الصريحة التي تقول: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍۚ كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ٢١﴾ [الطور: ٢١] و﴿كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ٣٨﴾ [المدثر: ٣٨]. ونترك العمل بها. فلن ينفع الإنسان يوم القيامة سوى الإيمان والعمل الصالح.

٤٧- **إبراهيم الزيات**: ليس هناك شخص بهذا الاسم، ولا أثر لهذا الشخص في كتب الرجال. وقد رُويت عن هذا الشخص المجهول المهمل بل المعدوم روايات كثيرة في أبواب المزار جعلت للزيارة ثوابات لا حدّ لها ولا حصر.

٤٨- **إبراهيم بن عقبة**: اسمه مذكور في كتب الرجال ولكن لم يأت في حقه لا مدح ولا ذم ولا جرح ولا تعديل ولا ندري أيّ عقيدة كان يعتقد ولا أيّ عمل كان يعمل. ورغم ذلك فقد روى عددٌ من الرواة أحاديثَ في أبواب المزار عنه.

٤٩- **إبراهيم بن محمد القرشي**: مجهولٌ ومهملٌ.

٥٠- **إبراهيم بن يحيى**: مهملٌ ومجهولٌ.

٥١- **إبراهيم بن حجر الأسلمي**: اعتبره علماء الرجال مهملاً ومجهولاً، ولكن الصدوق وصاحب كتاب «**الوسائل**» روى عنه في المجلد العاشر ص ٤٣٧ روايةً رواها عن شخصين آخرين أحدهما قبيصة مجهول الحال والآخر من الغلاة، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه

قال: "**سَتُدْفَنُ بَضْعَةٌ مِنِّي بِخُرَاسَانَ مَا زَارَهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا نَفَّسَ اللهُ كَرْبَهُ وَلَا مُذْنِبٌ إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهُ ذُنُوبَه** "!!

نعم! بحُجة هذه الرواية أصبح كل مجرم وآثم يزور مرقد تلك السيدة الجليلة ويتصوّر أنه بذلك قد غُفرت ذنوبه! وليت شعري! إذا كان الآثمون في زمن الأنبياء والرسل لا تُغفر ذنوبهم إذا زاروا الأنبياء والرسل في حال حياتهم فكيف تُغفر ذنوبهم إذا زاروا قبر ابنة أحدهم بعد وفاته؟! إن هذا لشيء عُجاب لا يقبله إلا الحمقاء.

وعلى كل حال، ليس هناك أيّ دليل من القرآن ولا من العقل يدل على أن الله يغفر الذنوب بمجرّد زيارة قبر، بل القرآن يُعلّمنا خلاف ذلك إذ يقول: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾ [النساء: ١١٠]. بناءً على ذلك، ينبغي على المذنب الآثم بدلاً من زيارة القبر ودعاء غير الله أن يتوب من ذنوبه التي فعلها جهلاً حتى يغفر الله له ذنوبه. وبالطبع لابُدّ أن يُحسن العمل بعد التوبة وأن يتقي الله ويردّ الحقوق إلى أصحابها حتى تُقبل توبته كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٩﴾ [النحل: ١١٩]، كما أن عليه أن لا يُؤخّر التوبة من الذنب إذا فعله كما قال سُبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ﴾ [النساء: ١٧].

وقال عليّ عليه السلام: "**فَرُبَّ دَائِبٍ مُضَيَّعٌ ورُبَّ كَادِحٍ خَاسِرٌ..... لا يُخْدَعُ اللهُ عَنْ جَنَّتِهِ ولا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إلا بِطَاعَتِهِ** " (نهج البلاغة، الخطبة ١٢٩).

٥٢- **ابن خنيس**: أحد رواة أحاديث الزيارة وهو مجهولٌ ومهملٌ، وهو غير معلى بن خنيس ومتأخر زمانًا عنه. هذا رغم أن المعلى ضعيف أيضًا ومعتمد مِنْ قِبَلِ الغلاة إذ يروي الغلاة والكذابون رواياتهم عنه.

٥٣- **ابن بزيع**: مجهول ومهمل لكنهم رووا روايات عديدةً عنه في أبواب المزار!

٥٤- **أبو اليسع**: هذا الشخص من المجاهيل واعتبره علماء الرجال مهملاً كما ذكر الممقاني ذلك في المجلد الثالث من كتابه «**تنقيح المقال**»، في باب الكنى، ورغم ذلك فقد نُقلت

عنه فضائل للزيارة وثوابات عظيمة. ففي كتاب «**الوسائل**» في باب «كثرة الصلاة عند قبر الحسين»، رُويت عنه الرواية السادسة كما يلي: "**عَنْ أَبِي الْيَسَعِ عَنْ الإمام الصادق** عليه السلام: **أَنَّ رَجُلاً سَأَلَهُ عَنِ الصَّلاَةِ إِذَا أَتَى قَبْرَ الْـحُسَيْنِ** عليه السلام؟ **قَالَ: اجْعَلْهُ قِبْلَةً إِذَا صَلَّيْتَ!!! وَتَنَحَّ هَكَذَا نَاحِيَةً!**"[1] !! أي أن الإمام يأمره في الواقع أن يُشرك!! لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما رأينا من قبل قال: "**لا تجعلوا قبري قبلةً ولعن الله من فعل ذلك**".

وأيضًا رُويت عن أبي اليسع هذا رواية في «**الوسائل**»، في باب «تحريم أكل الطين» وفيها: "**سَأَلَ رَجُلٌ أَبَا عَبْدِ الله** عليه السلام **قَالَ: آخُذُ مِنْ طِينِ قَبْرِ الْـحُسَيْنِ** عليه السلام **يَكُونُ [عِنْدِي] أَطْلُبُ بَرَكَتَهُ؟ قَالَ: لَا بَأْسَ بِذَلِك** "[2].

بسبب هذه الرواية يأكل مدَّعو التشيُّع من التراب الذي لا يُعلَم أيّ محتال أتى به باسم تربة قبر الإمام، بهدف الاستشفاء به!! مع أن شرع الإسلام حرَّم أكل التراب لأنه مخالف لطبيعة الإنسان ومضرّ به. أليس تراب قبر الإمام الحسين كسائر تراب الأرض وله التأثير ذاته؟ ثم هل يستطيع أحد أن يأخذ من تراب قبر الإمام الحسين عليه السلام الذي فُرشت أرضه كلها بأحجار المرمر؟!![3]

٥٥- **أبو الصامت**: مجهول الحال، ورغم ذلك رُويت عنه في باب المزار روايات عديدة!

٥٦- **أبو حماد الأعرابي**: مهمل، لأن علماء الرجال لم يذكروه في كتبهم أصلاً. ولكن رُويت عنه في أبواب المزار أحادي عدّة. مع أن من شروط صحة الخبر أن يكون الراوي معلوم الحال.

٥٧- **أبو هارون المكفوف**: أحد الرجال المذمومين الذين لُعنوا على لسان الأئمَّة وكان يقول: نحن لم نُدرك الله تعالى القديم الذي لا يُمكن إدراكه، أما خالق العباد ورازقهم فهو

---

(١) **وسائل الشيعة**، ج ١٤، ص ٥٢٠.

(٢) **وسائل الشيعة**، ج ١٤، ص ٥٣٠.

(٣) هذا فضلاً عن أن تربة الإمام الحسين عليه السلام لا تزيد عن عدة كيلوغرامات فكيف تكفي لصنع أحجار من التربة لملايين الشيعة على مدى مئات السنين!!

الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام!! فهو إذن من الغلاة ومع ذلك رُويت عنه روايات عديدة في أبواب المزار! أيّ أثر سيئ في عامة الناس يُمكن لمثل هذه الروايات التي يرويها هكذا أشخاص وتُدرج في الكتب المعتبرة؟! فمثلاً في كتاب «**الوسائل**» في باب «استحباب إنشاد الشعر» رُويت عن هذا الخبيث الكذاب الرواية الآتية:"... عن أبي هارون المكفوف قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا هارون! أنشدني في الحسين عليه السلام، قال: فأنشدته فبكى.... ثم قال الإمام الصادق عليه السلام: «... **مَنْ أَنْشَدَ فِي الْحُسَيْنِ شِعْرًا فَبَكَى وَأَبْكَى وَاحِدًا كُتِبَتْ لَهُمَا الْجَنَّةُ وَمَنْ ذُكِرَ الْحُسَيْنُ عِنْدَهُ فَخَرَجَ مِنْ عَيْنِهِ مِنَ الدَّمْعِ مِقْدَارُ جَنَاحِ ذُبَابٍ كَانَ ثَوَابُهُ عَلَى اللهِ وَلَمْ يَرْضَ لَهُ بِدُونِ الْجَنَّةِ!!**»".

لقد أظهر هذا الكذَّاب الذي لا يؤمن بالله ولا بالقرآن طريق النجاة للذين لا يلتزمون بأوامر الشرع ولا نواهيه! إن هذه الرواية وأمثالها جرأت المداحين وسائر الناس على المعاصي، إذ صوَّرت لهم أن من قرأ بيتًا من الشعر عن الحسين فأبكى الناس وجبت له الجنة! وعندئذ أصبحت تُنفق الأموال في مجالس إنشاد الأشعار وأصبحت تُنظم الأشعار التي يُعادي مضمونها كتاب الله، وتوضع في متناول عامة الناس! ومن ذلك أحد الشعراء الذي يُدعى «عماد الدين نسيمي» الذي أنشد هذين البيتين المليئين بعبارات الكفر فقال:

في دائرة الوجود الموجود هو علي　　وهدف العالَمَيْن وقصـــدهما هو عليّ

لولا انهدام بنـاء العقيــدة　　لأفشيت السر وقلت: إن المعبود هو عليّ

نعوذ بالله من مثل هذه الكفريات التي هي في الواقع معاداة لعليّ عليه السلام.

٥٨- **أبو سعيد المدائني**: قال العلامة الممقاني في باب الكنى من كتابه: لا يُعرف اسمه ولا وصفه ولا حكمه بل هو مجهول تمامًا!

٥٩- **أبو علي الحراني**: رُويت عنه في باب المزار روايات عديدة ولكن العلامة الممقاني قال عنه في باب الكنى من كتابه: لا يُعرف اسمه ولا حاله بل هو مجهول ومهمل.

٦٠- **أبو عبد الله الحراني**: مجهول ومهمل الحال.

٦١- **أبو عامر التباني**: كما لاحظتم في هذا الكتاب سابقًا هو شخص مجهول.

٦٢- **أبو البختري وهب بن وهب**: اعتبره علماء الرجال كذابًا وضعيفًا وخبيثًا. قال عنه الفضل بن شاذان: إنه كان أكذب الناس وكان السبب في قتل ابن الإمام يحيى بن عبد الله الحسن عليه السلام لأنه شهد كذبًا أمام هارون الرشيد بأن يحيى ادّعى الإمامة ودعا الناس إلى نفسه. وكان ذلك السيد الجليل عالمًا زاهدًا وقد أعطاه هارون الأمان وكتب له كتابًا في ذلك ورأى الفقهاء جميعهم ذلك الكتاب وقالوا لا يجوز نقضه، ولكن أبا البختري أخذ رسالة الأمان من يد يحيى ومزَّقها وقال إن دمه في عنقي، فقام هارون بقتل يحيى. وقد أعطى هارون «أبا البختري» مالاً وفيرًا مكافأةً له على هذه الخيانة، قيل في أحد الروايات أنه بلغ مليون وستمئة ألف درهم، وعيَّنه قاضيًا!! وكم من ظلم ارتكبه هذا القاضي بحقّ أموال الناس وأنفسهم. وقد رووا في كتاب المزار عن مثل هذا الشخص روايات في فضل الزيارات وثوابها الذي لا حصر له!!

٦٣- **أبو سلمة**: من رواة الزيارات مع أنه مجهول الحال.

٦٤- **أبو عمارة**: مجهول الحال. لكن علماء الشيعة، ومن جملتهم صاحب كتاب «**وسائل الشيعة**» روى عنه في باب «استحباب إنشاد الشعر» رواية مفادها أن الإمام الصادق عليه السلام قال:".... **وَمَنْ أَنْشَدَ فِي الْـحُسَيْنِ شِعْرًا فَأَبْكَى وَاحِدًا فَلَهُ الْـجَنَّةُ وَمَنْ أَنْشَدَ فِي الْـحُسَيْنِ شِعْرًا فَبَكَى فَلَهُ الْـجَنَّةُ وَمَنْ أَنْشَدَ فِي الْـحُسَيْنِ شِعْرًا فَتَبَاكَى فَلَهُ الْـجَنَّة** "![1] لقد استند شعبنا إلى رواية مثل هذا الشخص المجهول فضمنوا لأنفسهم الجنة حسب ظنهم ولم يمتنعوا عن أيّ مخالفة شرعية. ولو كانت الجنة حقيقةً تأتي بالبكاء والزيارة أو إنشاد بيت من الشعر لأنزل الله المنّان في كتابه ما يحثّ على القيام بهذه الأعمال.

٦٥- **أبو النمير**: اعتبره علماء الرجال مجهولاً ولكنه جاء في أسانيد روايات الزيارات.

٦٦- **أبو الخطاب محمد بن مقلاص**: خبيث وشقيّ، وهو الذي ادّعى النبوة وادّعى

(١) **وسائل الشيعة**، الطبعة الجديدة، ج ١٤، ص ٥٩٦. (المُنَقِّح)

إلهية الإمام الصادق عليه السلام فلعنه الإمام وقال عنه: لقد أوقعني في الخوف في جميع الأحوال. وجاء في رجال الكشي (ص ٢٤٨) أنه كان ينسب إلى الإمام الصادق عليه السلام علم الغيب، وأن الإمام الصادق عليه السلام أكّد أنه لا يعلم الغيب وأقسم على نفي علم الغيب عن نفسه. وذمّ أبا الخطاب ذمًا شديدًا. وكان أبو الخطاب يستحلّ جميع الفواحش والمحرّمات!! لاحظوا أن هذا الراوي روى عددًا من الزيارات مع بيان الثوابات العظيمة لها والعوام يُحبون هذه الزيارات ويعتقدون بفضلها وثوابها!!

٦٧- **أحمد بن زكريا**: روى الممقاني والعلامة الحلي عن «الفضل بن شاذان» أن هذا الشخص كان أحد الكذابين، في حين أنهم رووا عنه روايات في باب الزيارة وشغلوا الناس بها.

٦٨- **أحمد بن بشير**: جاء ذكر رجلين بهذا الاسم والنسب وكلاهما مجهول الحال. راجعوا الصفحة ١٠١ من كتاب «**معرفة الحديث**»[١].

٦٩- **أحمد بن فضل الخزاعي**: ضعيف الحال ومذهبه واقفيّ باتفاق علماء الرجال.

٧٠- **أحمد بن محمد الكوفي**: اعتبره علماء الرجال مجهولاً ومع ذلك روى عنه الشيخ الطوسي وصاحب كتاب «**الوسائل**» في باب «استحباب زيارة قبر الرضا» عليه السلام!!

٧١- **أحمد بن عبدوس**: اعتبره أكثر علماء الرجال مثل العلامة الحلي من الضعفاء ولكن بعضهم عدّوه مجهولاً.

٧٢- **أحمد بن أبي عبد الله**: لا ذكر لمثل هذا الاسم في كتب الرجال، لكن جاء في كتاب «**الوسائل**»، باب «استحباب زيارة النبيّ والأئمَّة في كل جمعة» حديثٌ مرفوعٌ عنه، (ومعنى المرفوع أي دون ذكر الرواة الواسطة بينه وبين من يروي عنه) فيما يلي نصه: "عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الله عَنْ أَبِيهِ رَفَعَهُ قَالَ دَخَلَ حَنَانُ بْنُ سَدِيرٍ الصَّيْرَفِيُّ عَلَى أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام فَقَالَ: يَا حَنَانُ! تَزُورُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام فِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَفِي كُلِّ شَهْرَيْنِ مَرَّةً؟ قَالَ: لَا، قَالَ:

(١) كتاب «**معرفة الحديث**» تأليف الأستاذ الفاضل المحقق الشيخ محمد باقر البهبودي. (المُنَقِّح)

فَفِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً؟ قَالَ: لَا قَالَ: فَمَا أَجْفَاكُمْ لِسَيِّدِكُمْ؟ قَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ! قِلَّةُ الزَّادِ وَبُعْدُ النَّأْيِ الْـمَسَافَةِ، فَقَالَ: أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى زِيَارَةٍ مَقْبُولَةٍ وَإِنْ بَعُدَ النَّأْيُ؟ قَالَ: بَلَى فَكَيْفَ أَزُورُهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ؟! قَالَ: **اغْتَسِلْ يَوْمَ الْـجُمُعَةِ أَوْ أَيَّ يَوْمٍ شِئْتَ وَالْبَسْ أَطْهَرَ ثِيَابِكَ وَاصْعَدْ إِلَى أَعْلَى دَارِكَ أَوْ إِلَى الصَّحْرَاءِ وَاسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ بِوَجْهِكَ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ أَنَّ الْقَبْرَ هُنَاكَ يَقُولُ اللهُ:** ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] **ثُمَّ قُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلَايَ وَابْنَ مَوْلَايَ وَسَيِّدِي وَابْنَ سَيِّدِي**...... الحديث".

في الواقع لقد افترض هذا الحديث بشكل غير مباشر أن الإمام الحسين -والعياذ بالله- مثل الله الذي قال عن نفسه: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

٧٣- **أحمد بن محمد بن داوود:** اعتبره علماء الرجال مجهولاً ورغم ذلك رُويت عنه روايات كثيرة في أبواب المزار!

٧٤- **أحمد بن مازن:** لا يوجد في كتب الرجال ذكر لهذا الاسم، ولعل الرواة الكذابين اخترعوا هذا الاسم من عند أنفسهم!

٧٥ - **أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَنْصَارِيُّ:** لا ذكر له في كتب الرجال، وحاله مجهولة، ولكنهم رووا عنه في «الوسائل» (ج ١٠، ص ٤٣٩) وفي غيره من كتب المزار حديثًا يقول:"..... عَنِ الرِّضَا عليه السلام أَنَّهُ دَخَلَ الْقُبَّةَ الَّتِي فِيهَا قَبْرُ هَارُونَ فِي دَارِ حُمَيْدِ بْنِ قَحْطَبَةَ ثُمَّ قَالَ: **هَذِهِ تُرْبَتِي وَفِيهَا أُدْفَنُ وَسَيَجْعَلُ اللهُ هَذَا الْـمَكَانَ مُخْتَلَفَ شِيعَتِي وَأَهْلِ مَحَبَّتِي وَاللهِ لَا يَزُورُنِي مِنْهُمْ زَائِرٌ وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيَّ مِنْهُمْ مُسَلِّمٌ إِلَّا وَجَبَ لَهُ غُفْرَانُ اللهِ وَرَحْمَتُهُ بِشَفَاعَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ**"[(١)].

وهذه الرواية معلومة الكذب، وذلك لأنه لم يكن لدار ابن قحطبة قبةً في زمن حضرة الرضا عليه السلام، وبالإضافة إلى ذلك لو رأى شخص الإمام في حال حياته لم تجب له شفاعته فكيف تجب له هذه الشفاعة بزيارة قبره، وأساسًا الشفاعة بيد الله وحده فقط. ورُوي له كذلك في كتاب «**الوسائل**» (ج ١٠، ص ٤٤٦)، روايةً يقول فيها: "كنت عند الرضا عليه السلام

(١) **وسائل الشيعة**، الطبعة الجديدة، ج ١٤، ص ٥٥٩.

فدخل عليه قوم من أهل قم فسلموا عليه فرد عليهم وقرَّبهم، ثم قال لهم: مرحبا بكم وأهلاً، فأنتم شيعتنا حقًا، يأتي عليكم زمان تزورون فيه تربتي بطوس، ألا فمن زارني وهو على غسل خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه "!

لقد نسبوا هذا الكلام كذبًا إلى الإمام فالإمام لا يقول مثل هذا الكلام أبدًا لأن أهل قم يذهبون إلى زيارة مشهد منذ سنين طويلة ولكنهم لا يزورون تربته بل يزورون ضريحًا من فضةٍ وأحجارٍ من مرمر. وثانيًا: لقد زار الناس رسول الله ﷺ في حال حياته وزاروا الإمام الرضا عليه السلام نفسه في حال حياته، ولم يكونوا يعودون بفضل تلك الزيارة كيوم ولدتهم أمهم! ثم إن هناك سؤالاً يطرح نفسه: هل كان الإمام الذي يحثّ الناس إلى هذه الدرجة على زيارة تربته شخصًا محبًا لنفسه ومعجبًا بها إلى هذه الدرجة؟! وهل كان يعتبر قانون الله وكتابه وميزان يوم القيامة كلها أمور عبثية لا أهمية لها -والعياذ بالله-؟! ألم يقل الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ﴾ [يونس:٢٧]. لقد طلب الله العمل حتى من زوجات النبيّ ﷺ فقال: ﴿وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. وأنبأهنَّ أنكنَّ لو عصيتنّ فستنلنَ جزائكنّ، هذا رغم أنهن كنّ زوجات النبيّ ويعشن معه في حجراته، وقال عليّ عليه السلام عن العُجب مخاطبًا ابنه الحسن عليه السلام: "**وَأَوْحَشَ الْوَحْشَةِ الْعُجْبُ** " (**نهج البلاغة**، الكلمات القصار، رقم ٣٨). وقال كذلك: "**وقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ الإِطْرَاءَ واسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ ولَسْتُ بِحَمْدِ اللهِ كَذَلِكَ**". (**نهج البلاغة**، الخطبة ٢٠٧).

وفي الصفحة ٤٦٧ من كتاب «**الوسائل**»، المجلد العاشر رُويت عن «**أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ**» هذا أيضًا الرواية الآتية: "عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الْجَهْمِ قَالَ سَمِعْتُ الرِّضَا عليه السلام يَقُولُ: "مَا قَالَ فِينَا مُؤْمِنٌ شِعْرًا يَمْدَحُنَا بِهِ إِلَّا بَنَى اللهُ لَهُ مَدِينَةً فِي الْجَنَّةِ أَوْسَعَ مِنَ الدُّنْيَا سَبْعَ مَرَّاتٍ يَزُورُهُ فِيهَا كُلُّ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَكُلُّ نَبِيٍّ مُرْسَل "!![1] لقد أدّت هذه الرواية الموضوعة إلى ازدياد عدد المداحين يومًا بعد يوم وازدياد المحتالين

---

(١) **وسائل الشيعة**، الطبعة الجديدة، ج ١٤، ص ٥٩٨.

والدجالين. وإذا كان لمن يُنشد بيتًا واحدًا من الشعر كل هذا الأجر والثواب فماذا يكون لمن يُنشد ألف بيت؟! لاحظوا أيّ هرج ومرج أوجده في دين الله.

٧٦- **أحمد بن محمد بن عبيد الله العياش**: معروف بـ«ابن عياش»، وكان معاصرًا للشيخ الصدوق. وقال الشيخ الطوسي عنه في الفهرست: إنه أصبح في آخر عمره مختل العقل أو مختل الدين. وقال النجاشي: "رأيت هذا الشيخ (ره) وكان صديقًا لي ولوالدي وسمعت منه شيئًا كثيرًا، ورأيت شيوخنا يُضَعِّفُونه فلم أَرْوِ عنه شيئًا وتجنبْتُهُ". وقال صاحب كتاب «**قاموس الرجال**»: رُوي عن ابن عياش هذا دعاء مختل الألفاظ يتضمن معانٍ قبيحة ومن جملتها عبارة: "**لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ، فَتْقُهَا وَرَتْقُهَا بِيَدِكَ**". (يعني اللهم لا فرق بينك وبين ولاة أمرك سوى أنهم عبادك وحل أمورهم وربطها بيدك) واستخدم ضمير المؤنث في حق الأولياء!

وقد أورد المجلسي في **البحار** (المجلد ٩٨) هذا الدعاء، كما ذكره الشيخ عباس القمي في «**مفاتيح الجنان**»، في الدعاء الخامس من أدعية شهر رجب، وقد خلط في هذا الدعاء الكفر بالشرك والخرافات وقال عن الأئمَّة: "**فَجَعَلْتَهُمْ مَعادِنَ لِكَلِماتِكَ، وَأَرْكانًا لِتَوْحيدِكَ، وَآياتِكَ وَمَقاماتِكَ الَّتي لا تَعْطيلَ لَهَا في كُلِّ مَكان، يَعْرِفُكَ بِها مَنْ عَرَفَكَ، لا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَها إِلاّ أَنَّهُمْ عِبادُكَ** "!!

ألم يكن هناك من يُفهم هذا الشيخ أن أوامر الله وكلماته لا معدن لها، فمثلاً عندما يأمر الله تعالى رسوله بأن يُرشد الناس ويهديهم، فمن أيّ معدن صدر أمره هذا؟ علاوةً على ذلك فليس لتوحيد الله أركان من جنس البشر، كما ليس لِـلَّهِ مقامات بل المقامات تكون لمن يرتقي إلى مقام أعلى أو يهبط إلى مقام أسفل.

ثم يقول بعد ذلك عن الأئمَّة: "**أَعْضادٌ وَأَشْهادٌ وَمُناةٌ وأَذْوادٌ وَحَفَظَةٌ وَرُوّادٌ، فَبِهِمْ مَلأْتَ سَمائَكَ وَأَرْضَكَ** "!! إن هذا الشيخ يُعرّف لنا الله في هذا الدعاء بوصفه شخصًا ذي أعضاد وحفظة يدافعون عنه ويحرسونه!! فلا عجب من قوله: "**لا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَها إِلاّ أَنَّهُمْ عِبادُكَ** "!!

أيها القارئ العزيز! لو قلت لصانع صناديق الصفيح (التنك) ليس هناك أيّ فرق بينك وبين التنكة التي تصنعها سوى أن التنكة صنعتك وأنت صانعها، لاعتبر أنك تشتمه وتقول عنه كلامًا باطلاً. ولكن الشيخ الواضع لهذا الدعاء يقول مثل هذا الكلام عن الله عزّ ذكره. ثم إنه في هذا الدعاء خاطب أولياء الله بصيغة المذكر أحيانًا وبصيغة المؤنث مرة أخرى. ففي جملة: «لا فرق بينك وبينها» استخدم ضمير المؤنث، أما في الجملة الأخرى التي قال فيها: «إلا أنهم عبادك» استخدم ضمير المذكر. إننا لنعجب لهؤلاء العلماء الذين يأتون بمثل هذه الترّهات في كتبهم ثم يظن من يأتي بعدهم من المحدثين أنها أدعية صحيحة ومن أسس الدين، ولذلك فإن كثيرًا من علماء زماننا الذين لا علم لهم بالقرآن يستدلون بهذه الجملة على أنه لا فرق كبير بين الله وخلقه فالكل واحد لأن ما سوى الله ليسوا سوى أسماء الله! إننا لا نعلم لماذا يجهل آيات الله، في زماننا، القرآنَ!

٧٧- **أحمد بن قتيبة**: مجهول.

٧٨- **أحمد بن مابيداد**: مجهول.

٧٩- **إسحاق بن إبراهيم الأزدي**: مجهول ومهمل.

٨٠- **إسحاق الأرحبي**: مجهول ومهمل.

٨١- **إسحاق بن محمد**: مجهول ومهمل.

٨٢- **إسحاق بن زريق**: مجهول ومهمل.

٨٣- **إسماعيل بن أبان**: مجهول ومهمل.

٨٤- **إسماعيل بن عيسى**: مجهول ومهمل.

٨٥- **أم سعيد الأحمسية**: امرأة مجهولة المذهب ولكن المجلسي روى عنها في **البحار**، وكذلك روى عنها صاحب **الوسائل** في باب استحباب زيارة النساء!

٨٦- **بشير الدهان**: رغم أن الممقاني كتب كتابه الرجالي لتطهير الرجال المذمومين واعتبر كل من يمدح الأئمَّة مدحًا مغاليًا إماميًّا، إلا أنه رغم ذلك اعتبر هذا الشخص مجهولاً.

٨٧- **بَشَّارٌ الشَّعِيرِيُّ**: نقل الكشي والممقاني أخبارًا كثيرةً في ذمّه ولعنه عن الأئمَّة. ومن جملة ذلك قول حضرة الصادق عليه السلام للناس: "لعن الله بشارًا، قال، ثم قال لي: يا مرازم قل لهم ويلكم توبوا إلى الله فإنكم كافرون مشركون "! وفي رواية أخرى أن الصادق عليه السلام قال عنه إنه يقول قولاً عظيمًا أسوأ من قول اليهود والنصارى. وفي رواية أخرى قال الصادق عليه السلام لأحد أصحابه: إذا قدمت الكوفة فأته وقل له: **يقول لك جعفر: يا كافر! يا فاسق! يا مشرك! أنا بريء منك**".

نعم، كان بشار هذا من الذين يقولون إن عليًّا مدبر للعالم ومربٌّ له!! وكان الإمام الصادق عليه السلام يقول لِبَشَّارٍ الشَّعِيرِيِّ هذا: "**اخْرُجْ عَنِّي لَعَنَكَ اللهُ وَاللهِ لَا يُظِلُّنِي وَإِيَّاكَ سَقْفُ بَيْتٍ أَبَدًا. فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ: وَيْلَهُ! أَلَا قَالَ بِمَا قَالَتِ الْيَهُودُ؟ أَلَا قَالَ بِمَا قَالَتِ النَّصَارَى؟ أَلَا قَالَ بِمَا قَالَتِ الْمَجُوسُ؟ أَوْ بِمَا قَالَتِ الصَّابِئَةُ؟؟! وَاللهِ مَا صَغَّرَ اللهَ تَصْغِيرَ هَذَا الْفَاجِرِ أَحَدٌ. إِنَّهُ شَيْطَانٌ ابْنُ شَيْطَانٍ، خَرَجَ مِنَ الْبَحْرِ لِيُغْوِيَ أَصْحَابِي وَشِيعَتِي فَاحْذَرُوهُ وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ. أَنِّي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، عَبْدٌ قِنٌّ، ابْنُ أَمَةٍ ضَمَّتْنِيَ الْأَصْلَابُ وَالْأَرْحَامُ. وَإِنِّي لَمَيِّتٌ، وَإِنِّي لَمَبْعُوثٌ، ثُمَّ مَوْقُوفٌ ثُمَّ مَسْئُولٌ. وَاللهِ لَأُسْأَلَنَّ عَمَّا قَالَ فِيَّ هَذَا الْكَذَّابُ وَادَّعَاهُ عَلَيَّ. يَا وَيْلَهُ! مَا لَهُ أَرْعَبَهُ اللهُ؟؟ فَلَقَدْ أَمِنَ عَلَى فِرَاشِهِ وَأَفْزَعَنِي وَأَقْلَقَنِي عَنْ رُقَادِي!**".

ورغم كل ذلك، فإن هذا الخبيث ورد في أسانيد بعض روايات الزيارات وفضائل الأئمَّة المذكورة في كتب الحديث!!

٨٨- **بكر بن سالم**: لا ذكر له في كتب الرجال فهو مهمل.

٨٩- **بكار بن أحمد**: مجهول الحال.

٩٠- **جعفر بن محمد بن عمارة**: رغم أنه مهمل إلا أن الحديث رقم ١٢ في «**الوسائل**»، «باب استحباب زيارة قبر الرضا» مرويّ عنه وفيه ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: "**سَتُدْفَنُ بِضْعَةٌ مِنِّي بِخُرَاسَانَ، لَا يَزُورُهَا مُؤْمِنٌ إِلَّا أَوْجَبَ اللهُ لَهُ الْجَنَّةَ وَحَرَّمَ جَسَدَهُ عَلَى النَّارِ!!**".

لقد اطمأنَّ أشخاصٌ ضعفاء النفوس إلى مثل هذه الروايات وسُرُّوا بها، وهجروا كتاب الله. مع أن النار لم تكن تحرم على جسد كل من زار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حال حياته!

٩١- **جعفر بن سليمان**: مجهول الحال طبقًا لقول جميع كتب الرجال.

٩٢- **حسن بن أبي عاصم**: لا ذكر له في كتب الرجال ومهمل.

٩٣- **الحسن بن زياد**: اعتبره الممقاني وآخرون مجهولاً ولا يُدرى أيّ شيء عن حاله، ولا عن عقيدته وتدينه، ومع ذلك رُوي عنه في كتاب «**المجالس**» للشيخ الصدوق وفي «**وسائل الشيعة**»، باب زيارة قبر الرضا ، الحديث ٢٥ الذي ينسب إلى الإمام الجواد قوله: "**مَا زَارَ أَبِي أَحَدٌ فَأَصَابَهُ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ بَرْدٍ أَوْ حَرٍّ إِلَّا حَرَّمَ اللهُ جَسَدَهُ عَلَى النَّار** "!

إذا كان الأمر كذلك فالسؤال هو: هل نقبل حديث الحسن بن زياد المهمل المجهول أم نقبل كلام الله تبارك وتعالى الذي يقول ﴿كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١﴾ [الطور: ٢١]. ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة: ٨].

٩٤- **الحسن بن محمد السيرافي**: حاله مجهول ولكنه راوٍ لحديث في أبواب المزار!

٩٥- **الحسين بن أبي غندر**: عدّه بعض علماء الرجال ضعيفًا في حين اعتبره آخرون مجهول الحال.

٩٦- **الحسين بن أحمد المنقري**: اعتبره علماء الرجال جميعهم ضعيفًا ومن معاصري حضرة الإمام الصادق . وبالطبع كان هناك مثل هؤلاء الأشخاص الذين يستغلون وجود الإمام وينشرون أخبارًا وأحاديث كاذبةً باسمه.

٩٧- **الحسين بن إسماعيل الصميري**: مهمل ولا ذكر له في كتب الرجال وربما لم يكن هناك وجود لهذا الشخص ولكن الرواة لم يكن عندهم مانع ولا رادع من اختراع أسماء وهمية لأشخاص معدومين!

٩٨- **الحسين بن محمد بن مصعب الذراع**: مهمل ومجهول الحال.

٩٩- **الحسين بن فضل بن تمام**: مهمل ومجهول الحال.

١٠٠- **حكيم بن داوود**: مهمل ومجهول.

١٠١- **الحسن بن محمد بن باب القمي**: ضعيف. وقال عنه الشيخ الطوسي في رجاله:

غالٍ. وقال عنه الفضل بن شاذان: إنه من الكذابين المشهورين، وقد لعنه الإمام العسكري عليه السلام. مثل هذا الشخص يروي لنا فضائل الأئمَّة وأحاديث في فضل زيارة قبورهم!

١٠٢- **الْـحَسَنُ بْنُ مُثْلَةَ الْـجَمْكَرَانِيّ**: هذا الرجل المجهول والمهمل الذي فتح لشعبنا في القرن الثالث الهجري وهو بين النوم واليقظة دكانًا باسم الدين واغتصب مُلْك رجل يُدعى «مسلم» وقضى على زرعه وبدلاً من تلك الأرض المزروعة بنى مسجدًا على بعد فرسخ من مدينة قم واخترع لهذا المسجد أربع ركعات ركعتين منهما باسم إمام الزمان وقال: إن كل من صلّى ركعتين في هذا المسجد فكأنما صلّى في البيت العتيق!! مع أن أمر بيان العبادات والصلاة وثوابها خاص بالله ورسوله فقط ولم تُروَ مثل هذه الصلاة وبالكيفية التي يذكرها الحسن الجمكراني عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبدًا. ثم ذكر في تعقيبات هذه الصلاة دعاءً مليئًا بعبارات الكفر وفيه جملة: "**يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ اكْفِيَانِي فَإِنَّكُمَا كَافِيَاي، يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ انْصُرَانِي فَإِنَّكُمَا نَاصِرَاي**.... " وقد أثبتنا بطلان هذا الدعاء في عدد من مؤلفاتنا ومنها «نقد مفاتيح الجنان في ضوء آيات القرآن»، ويبدو أن واضع هذا الدعاء لم يكن يعلم أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من عليّ عليه السلام لذلك قال مرةً يا محمد يا عليّ وقال مرةً أخرى يا عليّ يا محمد!! وعلى كل حال لقد وصل مسجد جمكران بهذا الدعاء الشركي إلى حالٍ أصبح يدرّ كل سنة ملايين التومانات كما صرّح بذلك بكل سرور شخصٌ عاميّ سيئ السمعة يُدعى «أحمدي» كان رئيسًا لمديرية الأوقاف وقال ذلك في كلمةً ألقاها في ذلك المسجد. كما أنهم حفروا بئرًا في هذا المسجد وقالوا إن كل من لديه حاجة فليكتب رسالةً إلى «الحسين بن روح» الذي مات قبل أكثر من ألف عام ويرميها في البئر!! كي يُخبر ذلك الميت المذكور إمام الزمان بحاجته!!! أليست هذه الأعمال استهزاء بدين الله؟ لقد أبعدوا أهل الفكر والفهم عن الدين تمامًا بسبب هذه الخرافات!

١٠٣- **الحسين بن أحمد بن إدريس**: قال المقاني وآخرون إنه وأباه كلاهما مجهول.

١٠٤- **الحسين بن سليمان**: مجهول الحال.

١٠٥- **داوود بن يزيد**: مهمل.

١٠٦- **الزبير بن عقبة**: لا وجود لمثل هذا الاسم في كتب الرجال فهو مهمل، ومع ذلك فنجده في أسانيد بعض أحاديث الزيارات.

١٠٧- **زكريا بن محمد أبو عبد الله المؤمن**: من أصحاب حضرة الرضا لكنه كان واقفي المذهب وكان أمره مختلطًا: واعتبره علماء الرجال ضعيفًا.

١٠٨- **سعد بن عمرو الزهري**: مهمل ومجهول.

١٠٩- **سعيد بن صالح**: مهمل ومجهول.

١١٠- **سليمان بن عيسى**: مهمل ومجهول.

١١١- **سيف بن عمرو**: مهمل ومجهول.

١١٢- **صالح الصيرفي**: مهمل ومجهول.

١١٣- **صفوان بن سليمان**: مهمل ومجهول.

١١٤- **صندل**: مجهول الحال.

١١٥- **طاووس اليماني**: من علماء أهل السنة. والعجيب أن أهل الغلو نسبوا رواياتهم الغالية إليه أيضًا!! ففي «**وسائل الشيعة**» في باب «استحباب اختيار زيارة الحسين عليه السلام على الحج والعمرة المندوبين» الرواية السادسة عشرة، عن طاووس أنه روى: "عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه أخبره بقتل الحسين إلى أن قال: **"مَنْ زَارَهُ عَارِفًا بِحَقِّهِ كَتَبَ اللهُ لَهُ ثَوَابَ أَلْفِ حَجَّةٍ وَأَلْفِ عُمْرَةٍ! أَلَا وَمَنْ زَارَهُ فَقَدْ زَارَنِي وَمَنْ زَارَنِي فَكَأَنَّمَا زَارَ اللهَ، وَحَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُ بِالنَّارِ!**... الْـحَدِيث".

هذا في حين أن زيارة الإمام الحسين أثناء حياته لم يكن لها ثواب حتى حجة واحدة!

١١٦- **عامر بن عمير**: مجهول. وقد رُوي حديث عن هذا الرجل المجهول في «**وسائل الشيعة**»، باب «أقل ما يُزار فيه الحسين» عليه السلام يرويه عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: **"ائتوا قبر الحسين عليه السلام كل سنة مرة "**! طبقًا لهذه الرواية على الناس أن يتركوا شغلهم وأعمالهم وأن

ينصرفوا كل سنة إلى الذهاب إلى زيارة قبر الإمام.

١١٧- **عبد الله بن يونس**: مهمل.

١١٨- **عبد الله بن هلال**: مجهول ومهمل.

١١٩- **عبد الله النجار**: مهمل.

١٢٠- **عبد الله بن الفضل الهاشمي**: مهمل، ولكن كتاب الوسائل يتضمن روايةً عن هذا الرجل المهمل في باب «استحباب مدح الأئمَّة بالشعر» حيث روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: "**مَنْ قَالَ فِينَا بَيْتَ شِعْرٍ بَنَى اللهُ تَعَالَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ!**". والسؤال الذي يطرح نفسه: هل كان الإمام -نعوذ بالله- يُسَرّ إلى هذه الدرجة من مدح الآخرين له حتى أنه ضمن الجنة لمن قال في مدحه بيت شعر؟! لستُ أدري لماذا يعتمد مدعو حبّ أهل البيت في أخبار مذهبهم على أشخاص مهملين!!

١٢١- **عبد الرحمن بن سعيد المكي**: مهمل ومجهول.

١٢٢- **عبد الله بن تميم القرشي**: مهمل ولكن رُوي عنه في «**وسائل الشيعة**» في باب «استحباب مدح الأئمَّة بالشعر» أن الإمام الرضا عليه السلام قال: "**مَا قَالَ فِينَا مُؤْمِنٌ شِعْرًا يَمْدَحُنَا بِهِ إِلَّا بَنَى اللهُ لَهُ مَدِينَةً فِي الْجَنَّةِ أَوْسَعَ مِنَ الدُّنْيَا سَبْعَ مَرَّاتٍ يَزُورُهُ فِيهَا كُلُّ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَكُلُّ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ!!**". ولا ندري أيّ أثر لبيت من الشعر حتى يجعل جميع الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين يأتون لزيارة قائله! ولمثل هذه الأحاديث أصبح كل أمي جاهل كسول مداحًا ومتملقًا للأئمة لينال بذلك خير الدنيا والآخرة رغم أنه لا يعلم شيئًا من أمور الدين ولا من تشريعاته. مع أن الله تعالى يقول: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ... وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ۝٧٦﴾ [طه: ٧٦] ولم يقل إنها جزاء من تملق الأئمَّة ومدحهم بأبيات من الشعر!

١٢٣- **عطية الأبزاري**: مجهول الحال.

١٢٤- **علي بن إبراهيم الجعفري**: مهمل، ولكن له رواية في «**وسائل الشيعة**»، «باب استحباب التبرك بمشهد الرضا» ينسب فيها إلى الإمام الصادق عليه السلام قوله: "**أَرْبَعُ بِقَاعٍ**

ضَجَّتْ إِلَى اللهِ أَيَّامَ الطُّوفَانِ الْبَيْتُ الْـمَعْمُورُ فَرَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَالْغَرِيُّ وَكَرْبَلَاءُ وَطُوس "! إذا كان الأمر كذلك فالسؤال المطروح: هل تذهب قطعة من الأرض إلى السماء أم هل تخاف الأرض من الماء وتعترض على الطوفان؟! نسأل الله ألا يقرأ العقلاء مثل هذه الروايات.

١٢٥- **علي بن الحسن النيسابوري**: مهمل ولكن رُويت عن هذا الرجل المهمل في «**وسائل الشيعة**»، «باب استحباب اختيار زيارة الرضا» رواية تقول: "**مَنْ زَارَ قَبْرَ وَلَدِي عَلِيٍّ وَبَاتَ عِنْدَهُ لَيْلَةً كَانَ كَمَنْ زَارَ اللهَ فِي عَرْشِهِ، قُلْتُ: كَمَنْ زَارَ اللهَ فِي عَرْشِهِ؟؟ فَقَالَ: نَعَمْ، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كَانَ عَلَى عَرْشِ الرَّحْمَنِ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَأَرْبَعَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ فَأَمَّا الْأَرْبَعَةُ الَّذِينَ هُمْ مِنَ الْأَوَّلِينَ فَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى** عليهم السلام **وَأَمَّا الْأَرْبَعَةُ مِنَ الْآخِرِينَ مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ وَالْـحَسَنُ وَالْـحُسَيْن** عليهم السلام ... "! لقد استهزأ هذا الراوي في الحقيقة بعرش الله وبالأنبياء العظام وصغَّر أعمالهم وحقَّر تضحياتهم.

١٢٦- **علي بن عبد الله الوراق**: مهمل ولكن له في «**وسائل الشيعة**» في «باب استحباب زيارة قبر الرضا» رواية تقول: "**أَلَا فَمَنْ زَارَنِي فِي غُرْبَتِي بِطُوسَ كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْفُورًا لَه!**". أعتقد أن هذا الراوي أراد الاستهزاء بالإمام فنسب له مثل هذا الكلام!

١٢٧- **علي بن محمد بن فيض بن المختار**: مهمل.

١٢٨- **علي بن محمد الحضيني**: مجهول ومهمل ولكن في «**وسائل الشيعة**» رُويت له رواية في زيارة أبي جعفر الثاني.

١٢٩- **علي بن حسين بن عبيد**: مهمل ومجهول.

١٣٠- **علي بن أحمد بن أشيم**: مهمل ومجهول وضعيف.

١٣١- **علي بن ابراهيم الحضرمي**: مجهول ومهمل.

١٣٢- **علي بن معمر**: ضعيف.

١٣٣- **عمر بن الحسين العزرمي**: مهمل أو لا وجود له أصلاً.

١٣٤- **عمر أبي زاهر**: مهمل ومجهول ولكن روى في «الوسائل»، في «باب أنه لا يجوز

أن يُخاطب أحد بإمرة المؤمنين» حديثًا خرافيًا من المقطوع به أنه لم يصدر عن الإمام الصادق عليه السلام بل افتُري عليه كذبًا وزورًا.

١٣٥- **عمارة بن يزيد**: مجهول.

١٣٦- **عيسى بن راشد**: مهمل ومجهول.

١٣٧- **فتح الله بن عبد الرحمن القمي**: مهمل.

١٣٨- **فضال بن موسي النهدي**: مهمل.

١٣٩- **قدامة بن مالك**: من رواة أحاديث الزيارة المهملين الذين لا ذكر لهم في كتب الرجال.

١٤٠- **قبيصة**: مجهول الحال وهذا المجهول روى في «الوسائل»، «باب استحباب زيارة قبر الرضا» حديثًا عن جابر بن يزيد الغالي ينسب إلى الإمام الباقر قوله إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "**سَتُدْفَنُ بَضْعَةٌ مِنِّي بِأَرْضِ خُرَاسَانَ مَا زَارَهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا نَفَّسَ اللهُ كُرْبَتَهُ وَلَا مُذْنِبٌ إِلَّا غَفَرَ اللهُ ذُنُوبَه!!**".

يقول كاتب هذه السطور: لنفرض أن كرب الزائر زال لكن كيف الحال بالنسبة إلى غفران الذنوب؟! فهل يلغي الله تعالى قوانينه التي بيّنها في محكم كتابه بقوله: ﴿كُلُّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨﴾ [المدثر: ٣٨]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٧] ويصرف النظر عنها؟! وخاصةً أنه يفعل ذلك من خلال رواية فرد مجهول الحال أو راوٍ غالٍ من الغلاة!!

١٤١- **مبارك الخباز**: مهمل.

١٤٢- **محمد بن إبراهيم المكندر**: مهمل أو لم يكن من الشيعة. ولكن في «**الوسائل**»، «باب استحباب زيارة الحسين عليه السلام على الحج والعمرة المندوبين» في الحديث السادس عشر، رواية في سندها هذا الشخص المهمل تنسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: **من زاره** [أي الحسين] **عارفًا بحقه كتب الله له ثواب ألف حجة وألف عمرة،..... وحق على الله ألا يعذبه بالنار!!**".

لاحظوا كيف يتم الاستخفاف بعبادة الحج التي هي من عبادات الإسلام وشعائره الكبرى. كما أن رسول الله ﷺ حجّ مرةً واحدةً ونال ثواب حجة واحدة ولكن زائر حفيده ينال ثواب ألف حجة!!!

١٤٣- **محمد بن السندي**: مجهول.

١٤٤- **محمد بن زكريا جندب**: مجهول.

١٤٥- **محمد بن ناجية**: مجهول الحال ولكن في «الوسائل» «باب استحباب كثرة الصلاة عند قبر الحسين عليه السلام» رواية منقولة عنه!

١٤٦- **محمد بن سليمان البصري**: ضعيف، ولكن في «الوسائل»، «باب استحباب الاستشفاء بتربة الحسين» وفي «باب استحباب زيارة قبر الرضا» رواية عنه!

١٤٧- **محمد بن علي بن محمد الأشعث**: مهمل.

١٤٨- **محمد بن عمار**: مجهول.

١٤٩- **محمد بن مسعدة**: مهمل.

١٥٠- **محمد بن الحسن الرازي**: مجهول الحال.

١٥١- **محمد بن محمد بن معقل**: مهمل.

١٥٢- **محمد بن عبد الحميد**: مجهول.

١٥٣- **محمد بن سليمان الزرقان**: مهمل.

١٥٤- **محمد بن موسى الأحول**: مهمل ومجهول الحال.

١٥٥- **محمد بن أبي السري**: مهمل ومجهول.

١٥٦- **محمد بن محمد بن هشيم**: مجهول الحال.

١٥٧- **محمد بن أحمد بن سليمان**: مهمل ومجهول.

١٥٨- **المعلى بن شهاب**: مهمل ومجهول الحال.

١٥٩- **موسى بن إسماعيل بن موسى**: مجهول.

١٦٠- **يحيى بن معمر**: مهمل ومجهول الحال.

١٦١- **يزيد بن عبد الملك الجعفي**: مجهول الحال.

١٦٢- **يونس بن أبي وهب القصري**: مهمل.

خادم الشريعة المطهَّرة: سيد أبو الفضل بن الرضا البرقعي

❁❁❁

سلسلة طريق النجاة من شر الغلاة

٥

قَالَ الإمامُ الصَّادِقُ عليه السلام: «احْذَرُوا عَلَى شَبَابِكُمْ الْغُلَاةَ لَا يُفْسِدُونَهُمْ... وَاللهِ إِنَّ الْغُلَاةَ شَرٌّ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصارى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا». [أمالي الطوسي، ص٦٥٠]

بحث حول الغلو والغلاة

التعرُّف على الغلاة

نبتدئ هذا المبحث بآياتٍ من كتاب الله تنهى عن الغُلُوّ، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧]. وقوله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١].

إن مطالعةً مختصرةً لتاريخ الأديان تُبَيِّنُ بوضوح أن أسوأ آفةٍ هدَّدت حقائق كلِّ دينٍ في كل زمنٍ كانت آفة الغُلُوّ والخرافات، وهذه الآفة تَعْرِضُ لِكُلِّ دينٍ حقٍّ من عدّة جهات ولعدّة أسباب:

السبب الأول هو أن الاهتمام الشديد الذي يبديه الأتباع الصادقون لكلِّ دين فيتَّجهون نحوه بكلِّ إخلاص وصفاء وبكلِّ قواهم وبالمآل تبرز منهم قوى عجيبة تصنع المعجزات وفي النهاية وكما يقول الفيلسوف والشاعر الإنكليزي «برنارد شو» يشكِّل أتباع كل دين جديد أكبر طاقة خلّاقة، وهذا الأمر يجعل الدين عرضةً لهجوم الغُلُوّ والخرافات عليه من جهتين:

الجهة الأولى: من ناحية أتباعه وأصدقائه الذين لما كانوا يضيفون إلى ذلك الدين أقوالهم وأفكارهم رغبةً منهم في زيادة عزّة ذلك الدين وعظمته فإنهم ينسبون إلى ذلك الدين وأوليائه زخارف من الأساطير والخرافات كي يباهوا بعظمة ورفعة ذلك الدين التي ستؤول بالمآل إلى عظمتهم ورفعة أنفسهم وَتَفَوُّقِهِم على سائر الناس والمخالفين.

الجهة الثانية: من ناحية أعداء ذلك الدين الكبار والمحتالين والمراوغين الذين يسعون من خلال نشر الخرافات والغُلُوّ فيه وتوسعتها إلى منع الأتباع الصادقين والمخلصين والمضَحِّين لذلك الدِّين من النشاط وبذل التضحيات، ويدفعوا سائر الأتباع نحو أعمال وأفعال تخالف ذلك الدِّين وتضرّ به، وبهذا يُضْعِفُون الحميَّةَ والجدِّيّة الدينية بين أتباعه ومن

الجهة الأخرى يجرّئون أتباع ذلك الدين، الذي عادةً ما تكون أحكامه وقواعده مخالفةً لمشتهيات النفس وأهوائها الشيطانية، على المعصية والفسق والفجور التي تؤدِّي إلى هلاك كلِّ ملّة وفناء كل أمّة.

والعلة الثانية لابتلاء الأديان الحقّة بالغُلوّ والخرافات: الجهل وقصور الفكر الذي يغلب على أكثر الناس، فالأكثرية في كل مجتمع هي طبقة الجهلاء والسطحيين، ولَمَّا كانت حقائق الدين متوافقة ومتجانسة مع حقائق عالم الوجود ونظام الخليقة وقوانينها التي لا تتخلَّف، وكان إدراك هذه الحقيقة عسيرٌ على أذهان أكثرية الناس، ولا يستقر فيها إلا من خلال الممارسة التدريجية والتدريب المستمر، ولما كان أكثر الناس فاقدين للصبر وللقدرة على الانتظار لطيِّ مراحل الكمال درجةً درجةً للوصول إلى درجات الحقائق العالية لأنهم يريدون الوصول إلى مطلوبهم ومقصودهم بأسرع وقت، إلى درجة أن معبودهم لو جُسِّمَ أمامهم بصورة عجل لأسرعوا إلى عبادته!! لذلك كلِّه نرى في تاريخ الأديان أن الدِّين الذي نجح في جلب أكثرية الناس هو ذلك الذي طرح معبودًا بصورة محسوسة وملموسة كما فعل السامريّ عندما صنع عجلاً ذهبيًا له خُوَارٌ فخطف بهذا العمل النجاحَ من هارون عليه السلام وتمكَّن من جذب أتباع موسى إلى عبادة العِجْل. ولهذا السبب بالذات يسعى بعض الأفراد إلى الاستغلال السيئ للطاقة القوية لاعتقادات أكثرية الناس والاستفادة منها على نحو غير مشروع، فيصنعون معبودات وينجحون دائمًا في هذا الطريق! أما الأنبياء العظام والأولياء الكرام دُعاة التوحيد الخالص الذين يسعون في خلاص الناس وتكميل نفوسهم ونجاتهم فإنهم غالبًا ما يُغلَبُون، لأن الأكثرية لا يُمكنها أن تُدرك بسهولة حقائق الدين السامية العالية.

والعلّة الثالثة لظهور الغُلُوّ ونشر الخرافات أن الأنبياء المختارين الذين يصطفيهم الله من بين جميع بني آدم ويبعثهم لهداية البشر، يتميزون عادةً بقدرات فكرية وقِوَى علميّة وشمائل أخلاقية عالية يفوقون فيها سائر أفراد البشر، كما أن الله يمنحهم -لأجل إثبات نبوتهم- تصرفات في الممكنات من خرق العادات وإظهار المعجزات، مما يجعل الناس، الذين غالبيتهم بضاعتهم مزجاة في معرفة عالَمَ الكون، لا يتحمّلون رؤية تلك الآيات، وَبدلاً من

أن يؤمنوا بصاحب القدرة والنعم الذي أظهر تلك المعجزات على أيدي الأنبياء ويسلِّموا بأن الأنبياء والأولياء عبادٌ لِلَّهِ بشرٌ كسائر البشر ارتقوا إلى تلك المقامات والرتب بفضل طاعتهم لِلَّهِ وإخلاصهم في عبوديته، وأن الله تعالى يمنح المطيعين ثوابًا لا حدَّ له ويُنْزِل بالعاصين المجرمين عذابه، وأنه أراد إظهار تلك المعجزات على أيديهم إلزامًا للحجة وإتمامًا للنعمة، أقول بدلاً من ذلك تُدْهِشُهُم تلك القوى والدرجات العالية والمعجزات الباهرة فيُسْحَرُون بها ويستنتجون منها خطًا أن أصحابها ذوي صفات إلهية فيقعون في الغُلُوّ والانحراف وتدخل من هذا السبيل كثير من الخرافات.

ولعل هذا السبب يوضح لماذا اختار ربّ العالمين عموم أهل الكتاب المتدينين بدين سماوي وشرعة إلهية والمؤمنين بوحيٍ ورسالة، من بين جميع أمم بني آدم، ليجعلهم موضعًا لاهتمامه ويعتبرهم مستحقين لخطابه فيقول لهم: ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١].

وإذا راجعنا تاريخ الأديان السابقة وطالعنا كتبهم السماوية لرأينا أن كثيرًا منهم وقعوا في الغُلُوّ والخرافات ومن ذلك غُلُوّهم في أولياء دينهم، وبدلاً من اتّباعهم والعمل بتعاليمهم هاموا عشقًا بهم وتصوروهم أبناءً لِلَّهِ ومتصرفين في عالم الخليقة، وبهذا الغُلُوّ رأوا أنفسهم أعلى من غيرهم ورفعوا ذاتهم كل يوم -بتخيلاتهم الحمقاء- درجة أخرى، وصاروا يرون أنفسهم ودينهم، تبعًا لذلك، في مقام أعلى من سائر الأمم حتى وصل بهم الأمر أن يروا أنفسهم أبناءَ الله وأحبَّاءَه وربَّما وضعوا أولياء دينهم موضع الله!! أو اعتبروهم قادرين على القيام بأعمال إلهية!!

مثل هذا الغُلُوّ وُجِدَ بين اليهود كما تشهد به التوراة والتلمود، فقد جاء في «سفر التكوين/ الإصحاح السادس»: "وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَتَكَاثَرُونَ عَلَى سَطْحِ الأَرْضِ وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ، ٢انْجَذَبَتْ أَنْظَارُ أَبْنَاءِ الله إِلَى بَنَاتِ النَّاسِ فَرَأَوْا أَنَّهُنَّ جَمِيلاتٌ فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ مِنْهُنَّ زَوْجَاتٍ حَسَبَ مَا طَابَ لَهُمْ. ٣فَقَالَ الرَّبُّ: «لَنْ يَمْكُثَ رُوحِي مُجَاهِدًا فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ. هُوَ بَشَرِيٌّ زَائِغٌ، لِذَلِكَ لَنْ تَطُولَ أَيَّامُهُ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً فَقَطْ». ٤وَفِي تِلْكَ

الْـحِقَبِ، كَانَ فِي الأَرْضِ جَبَابِرَةٌ، وَبَعْدَ أَنْ دَخَلَ أَبْنَاءُ الله عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَلَدْنَ لَهُمْ أَبْنَاءً، صَارَ هَؤُلاَءِ الأَبْنَاءُ أَنْفُسُهُمُ الْـجَبَابِرَةَ الْـمَشْهُورِينَ مُنْذُ الْقِدَمِ".

فنلاحظ أن في هذه الآيات من التوراة اعتُبر المؤمنون أبناء الله وأنهم غير سائر الآدميين.

وفي الإصحاح الرابع من سفر الخروج/ فقرة ٢٢: "فَتَقُولُ لِفِرْعَوْنَ: هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِسْرَائِيلُ **ابْنِي الْبِكْرُ**".

وجاء في الإصحاح الأول من سفر أيوب، الآية ٦: "وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ **بَنُو الله** لِيَمْثُلُوا أَمَامَ الرَّبِّ وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضًا فِي وَسَطِهِمْ. "، وفي الإصحاح ٣٨ من السفر ذاته جاء في الآية ٧: "عِنْدَمَا تَرَنَّمَتْ كَوَاكِبُ الصُّبْحِ مَعًا **وَهَتَفَ جَمِيعُ بَنِي الله!**".

وجاء في مزامير داوود، المزمور الثاني، الآيتان ٧-٨: " الرَّبّ قَالَ لِي: [**أَنْتَ ابْنِي. أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ**. اِسْأَلْنِي فَأُعْطِيَكَ الأُمَمَ مِيرَاثًا لَكَ وَأَقَاصِيَ الأَرْضِ مُلْكًا لَكَ".

وفي الإصحاح الثالث والأربعين من سفر إشعيا النبيّ، الآيتان ٥و٦: "لاَ تَخَفْ فَإِنِّي مَعَكَ. مِنَ الْـمَشْرِقِ آتِي بِنَسْلِكَ وَمِنَ الْـمَغْرِبِ أَجْمَعُكَ. أَقُولُ لِلشِّمَالِ: أَعْطِ وَلِلْجَنُوبِ: لاَ تَمْنَعْ. ايتِ بِبَنِيَّ مِنْ بَعِيدٍ وَبِبَنَاتِي مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ".

فكما قلنا رغم أن اليهود قالوا في بداية الأمر أن عزيرًا ابن الله إلا أن هذه العقيدة توسَّعت وارتقت تدريجيًا حتى اعتبر مبتدعو عقيدة العزير ابن الله أنفسهم أيضًا أبناءَ الله وأعزائه، وكما سنرى إن هدف كثير من الغلاة في كل دين من غلوّهم بحقِّ نبيٍّ ذلك الدين أو أوليائه الصالحين أن يلصقوا أنفسهم بمقام ذلك النبيِّ والأولياء ويرفعوها تدريجيًا إلى أعلى درجة بحيث يتحرُّرون من قيود العبودية وتسقط عنهم التكاليف.

وبعد الديانة اليهودية نشاهد انتشار آفة الغُلُوّ ذاتها في كل جانب من جوانب النصرانية، خاصة نسبتهم الابن إلى الله تعالى واعتبارهم الناس أبناء الله. ورغم أن فريقًا من النصارى أعطى مقام البُنُوَّة لِلَّهِ في بدء الأمر للمسيح عليه السلام فقط، وذلك لِما رأوا فيه من ميّزات وخصائص تفوق سائر البشر، ولكنهم ما لبثوا أن أعطوا ذلك المقام تدريجيًا لكل من يتبع ذلك الدين أيضًا! كما تشهد لذلك آيات الأناجيل الحالية:

ففي إنجيل متّى الإصحاح الخامس، الآية ١٦: "فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ وَيُمَجِّدُوا **أَبَاكُمُ** الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ". ثم في الآيتان ٤٤و٤٥: "وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ. **لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ** "!

وفي الإصحاح السادس من إنجيل متّى أيضًا، الآية ١: "اَحْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا صَدَقَتَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَنْظُرُوكُمْ وَإِلا فَلَيْسَ لَكُمْ أَجْرٌ عِنْدَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ". وفي الآية ٦ من هذا الإصحاح: "وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَلَّيْتَ فَادْخُلْ إِلَى مِخْدَعِكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَصَلِّ إِلَى **أَبِيكَ** الَّذِي فِي الْخَفَاءِ".

وفي الآية ٩ من الإصحاح ذاته: "فَصَلُّوا أَنْتُمْ هكَذَا: **أَبَانَا** الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ". ثم في الآيتين ١٤-١٥: "فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلاتِهِمْ يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضًا **أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ**. ١٥وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلاتِهِمْ لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضًا زَلاتِكُمْ".

وَمِنْ ثَمَّ، يتضح أن عقيدة بُنُوَّةِ المسيح لِلَّهِ في النصرانية وإن ابتدأت من باب الغُلُوّ في المسيح لما كان فيه من الخصائص والميزات الفائقة، ولم يكن مستبعدًا من ذوي التفكير السطحي أن يذهبوا إلى هذه العقيدة السخيفة، إلا أن العلة الأصلية لذلك الغُلُوّ في المسيح وابتداع تلك الخرافة هي أن يُوجِدَ مخترعو تلك العقيدة لأنفسهم مقامًا متميزًا ومتفوِّقًا على سائر الأمم الأخرى إلى حدٍّ أنهم أصبحوا يعتبرون أنفسهم أبناءَ الله وأحباءَه المستحقين لكل تعظيم واحترام!

أما في دين الإسلام المبين فقد جاءت آيات صريحة قاطعة تُحذّر المسلمين من الوقوع بمثل هذه المصيبة وتقول: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢﴾ [مريم: ٨٨- ٩٢] وقوله في ذات السورة: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ﴾ [مريم:٣٥].

وعشرات الآيات الأخرى لاسيما سورة الإخلاص المباركة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ التي

يقرؤها المسلمون كل يوم أكثر من عشر مرات في صلواتهم المفروضة. والتي تُلقم الذين ينسبون إلى الله الابن أو الأبناء حجرًا في فمهم.

لذا لا مجال في هذا الدين المقدّس أن يُوصَلَ الأنبياءُ والأولياءُ إلى مرتبة البنوة لِلَّهِ! ولكن الغلاة في هذا الدين أدخلوا مثل هذه العقيدة التي استقوها حتمًا من اليهودية أو النصرانية أو ربما كانوا أنفسهم يهودًا أو نصارى في السابق ثم أسلموا وبقوا متأثرين بعقائدهم السابقة، أدخلوها في دين الإسلام، بأسلوب جديد، هادفين من وراء ذلك إلى أن يوجدوا لأنفسهم من خلال غلوهم بنبيهم وأئمتهم في الدين مقامًا متميزًا على سائر الناس! فخاطب الله تعالى المسلمين جنبًا إلى جنب مخاطبة أهل الكتاب محذِّرًا إياهم من الغُلُوّ الذي وقع فيه أهل الكتاب فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ..﴾ وأعقب هذا النهي الشديد بقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧].

[مبدأ نشأة الغُلُوّ في الإسلام وبين الشيعة]

إن وقوع الغُلُوّ وشيوعه في الإسلام يعود في مصدره – باحتمال قوي بل يقينًا- إلى اليهود والنصارى، كما تدلّ على ذلك كتب التاريخ وكتب الملل والنحل مثل كتاب «**الملل والنحل**» للشهرستاني (المتوفى ٥٤٨هـ)، وكتاب «**المقالات والفرق**» لسعد بن عبد الله الأشعري (٣٠١هـ)، وكتاب «**فرق الشيعة**» لأبي محمد الحسن بن موسى النوبختي (٣١٠هـ)، وكتاب «**التبصير في الدين**» لأبي المظفر الإسفراييني (٤٧١هـ)، وكتاب «**الفَرْقُ بين الفِرَق**» لعبد القاهر البغدادي (٤٢٩هـ)، والتي تبين جميعها أن أول وقوع للغلو في الإسلام كان من ناحية «**عبد الله بن سبأ**» **اليهودي** الذي غلا في علي بن أبي طالب ، هذا رغم أنه يوجد في زماننا علماء يسعون إلى إنكار وجود «**عبد الله بن سبأ**» من الأساس مدعين أنه من اختراع «سيف بن عمر» الذي هو أحد رواة تاريخ الطبري، مع أن تاريخ الطبري أُلِّف في القرن الرابع الهجري، في حين أن قصة «**ابن سبأ**» موجودة في كتبٍ أُلِّفَت قبل قرون من تاريخ الطبري، وفيما يلي توصيف للغلاة كما جاء في كتاب «**المقالات والفرق**» (ص٢٠)

لسعد بن عبد الله الأشعري (ره) الذي كان من أكابر علماء الشيعة الاثني عشرية وأعلامهم:

".... وأوّل من قال منها بالغلوّ، وهذه الفرقة تسمى **السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ،** وهو عبد الله بن وهب الراسبي الهمداني وساعده على ذلك عبد الله بن حرس وابن أسود، وهما من أجلة أصحابه، وكان أوَّلَ من أظهَرَ الطَّعْنَ على أبي بكر وعمر وعثمان من الصحابة وتبرأ منهم، وادَّعى أن عليًّا عليه السلام أمره بذلك، وأن التقيَّة لا تجوز ولا تحل، فأخذه عليٌّ فسأله عن ذلك؟ فأقرَّ به، وأمر بقتله، فصاح إليه الناس من كل ناحية يا أمير المؤمنين أتقتل رجلاً يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك؟! فسيَّرَهُ عليٌّ إلى المدائن، وحكى جماعةٌ من أهل العالم: أن عبد الله بن سبأ كان يهوديًّا فأسلم ووالى عليًّا، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بهذه المقالة، فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في عليٍّ بمثل ذلك، وهو أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي بن أبي طالب، وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه وأكفرهم، فمِنْ ها هنا قال من خالف الشيعة أن أصل الرفض مأخوذٌ من اليهودية، ولما بلغ ابن سبأ وأصحابه نعيَ عليٍّ وهو بالمدائن وقَدِمَ عليهم راكبٌ فسأله الناس، فقال: ما خبر أمير المؤمنين؟ قال: ضربه أشقاها ضربةً قد يعيش الرجل من أعظم منها ويموت من وقتها، ثم اتصل خبر موته فقالوا للذي نعاه: كذبتَ يا عدو الله! لو جئتنا والله بدماغه ضربة، فأقمت على قتله سبعين عدلاً ما صدَّقْناك، ولعلمنا أنه لم يمت ولم يُقْتَل، وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، ويملك الأرض"!

ثم أخذ سعد بن عبد الله الأشعري يفصّل الكلام في فرق الغلاة ويبين عقائدهم إلى قوله في الصفحة ٤١: **"فكان أول ما شرع لهم تحريم الختان!"** إلى قوله: **"وزعموا أنه أحل لهم الميتة ولحم الخنزير"!**

ويشرح تلك الطوائف المغالية التي تفرّقت من الشيعة وقالت بعقائد عجيبة غالية، إضافةً إلى إضعافها للاعتقادات الإسلامية وتضييعها لأحكام الحلال والحرام، حتى يصل إلى ذكر طائفة «**المنصورية**» من غلاة الشيعة التي اعتقد أتباعها بأن آل محمد هم السماء والشيعة

هم الأرض وأول خلق الله هو عيسى ثم علي بن أبي طالب عليه السلام!! وهذه العقيدة تبيّن بوضوح أن مخترعها كان مسيحيًا، إلى أن يصل إلى قوله: "**واستحلَّت جميع ما حرّم الله، وقالوا لم يحرّم الله علينا شيئًا تطيب به أنفسنا وتقوى به أجسادنا...**"!!

وحتى يصل إلى وصف فرقة «**الخطّابية**» المفرطين في الغُلُوّ ويكتب عنهم:

"فرقةٌ منهم قالت أنّ جعفر بن محمد هو الله وأن أبا الخطاب نبيٌّ مرسلٌ أرسله جعفر وأمر بطاعته! وأباحوا المحارم كلها من الزنا واللواط والسرقة وشرب الخمور... ومن أتباع أبي الخطاب سُمُّوا **المخمِّسَة** لأنهم زعموا أن الله عز وجل هو محمد وأنه ظهر في خمسة أشباح وخمس صور مختلفة أي ظهر في صورة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وزعموا أن أربعة من هذه الخمسة تلتبس لا حقيقة لها والمعنى شخص محمد وصورته لأنه أول شخص ظهر وأول ناطق نطق، لم يزل بين خلقه موجودًا بذاته يتكوَّن في أي صورة شاء، يظهر لخلقه في صور شتى من صورة الذكران والإناث والشيوخ والشباب إلخ... وزعموا أن محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم -أي تلك الحقيقة المحمدية الإلهية التي كانت أول شخص ظهر وأول ناطق نطق!- كان آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى، لم يزل ظاهرًا في العرب والعجم، وكما أنه في العرب ظهر، كذلك هو في العجم ظاهرٌ في صورة غير صورته في العرب، في صورة الأكاسرة والملوك الذين ملكوا الدنيا، وإنما معناهم محمد لا غيره، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا. وأنه كان يُظْهِرُ نفسَه لخَلْقِهِ في كلِّ الأدوار والدهور، وأنه تراءى لهم بالنورانية فدعاهم إلى الإقرار بوحدانيته، فأنكروه، فتراءى لهم من باب النبوة والرسالة فأنكروه، فتراءى لهم من باب الإمامة فقبلوه، فظاهر الله عز وجل عندهم الإمامة وباطنه الله الذي معناه محمد... وله باب هو سلمان... الخ"[1].

ويشرح المرحوم سعد بن عبد الله الأشعري (وكذلك المرحوم النوبختي وهما من كبار أعلام علماء الشيعة الإماميّة) عقائد فرقة «**الخطّابية**» من غلاة الشيعة حتى الصفحة ٥٣ ثم يبدأ بشرح عقائد طائفة «**المعمّريين**» الذين يقولون إن معمّر هو الله وأن معمّر أحلّ كل

---

(١) **المقالات والفرق**، ص٢٧ إلى٥٧.

الشهوات وليس لديه شيء محرّم وأنه كان يقول إن هذا الشيء خُلق لذلك الشيء فلماذا هو حرام!؟ ثم يشرح في الصفحة ٥٩ فرقة «**العليائية**» وهم أتباع «بشار الشعيري» الذين كانوا من غلاة الشيعة أيضًا وكانوا يقفون على أربعة أشخاص علي وفاطمة والحسن والحسين وكانوا أيضًا كسائر الغلاة يبيحون المحرمات ويعطلون الأحكام ويقولون بالتناسخ.

ثم يشرع في الصفحة ٨١ ببيان عقائد الإسماعيلية الخالصة الذين كانوا من غلاة الخطابية ويبين أنهم أظهروا الإباحة وجعلوا كل شيء مباحًا لهم، ويشرح في الصفحة ٨٥ عقيدة عموم أصحاب أبي الخطاب وأنهم: "استحلوا مع ذلك استعراض الناس بالسيف وسفك دمائهم وأخذ أموالهم والشهادة عليهم بالكفر والشرك على مذهب البيهسية والأزارقة في الخوارج...".

وفي الصفحة ١٠٠ يحكي عن فرقة النميرية أتباع محمد بن نُصير النميري الذي ادعى أنه باب لحضرة الإمام علي النقي الهادي عليه السلام، وكان "**يدّعي أنه نبيٌّ رسولٌ، وأنَّ عليَّ بنَ محمد العسكري الهادي أرسله، وكان يقول بالتناسخ، ويغلو في أبي الحسن** عليه السلام **(أي الإمام العاشر علي بن محمد الهادي) ويقول فيه بالربوبية ويقول بالإباحة للمحارم ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضًا في أدبارهم، ويزعم أن ذلك من التواضع والإخبات والتذلل في المفعول به!**".

وكل طوائف الغلاة أو أكثرها كان لها مثل تلك العقائد وكما قلنا مرارًا كان هدفهم من نشر تلك الاعتقادات تخريب أساس الإسلام وتحليل كل فعل حرام.

❀❀❀

[تسرب عقائد الغلاة القدماء إلى المتأخرين]

وفي زماننا رغم أن الشيعة الإمامية يتبرؤون من العقائد القبيحة والفاسدة لأولئك الغلاة ويعتبرون أنفسهم فرقة متمايزة ومنفصلة تمامًا عن فرق الغلاة تلك، إلا أنهم فتحوا أمام أنفسهم باب ارتكاب المعاصي من باب آخر وهو باب الشفاعة التي فتحوها أمام أنفسهم على مصراعيها بشكل واسع جدًّا سعةَ السماء والأرض، وابتدعوا للوصول إلى الشفاعة أعمالاً مثل التوسل والزيارات وإقامة مراسم العزاء والنذور والأوقاف باسم

الأموات ولأجل قبورهم وابتعدوا تمامًا عن كتاب الله حتى صار القرآن بينهم مهجورًا، وسُرُّوا بمفتريات من قبلهم من الغلاة وبموضوعاتهم وارتاحوا إليها.

يعتبر شيعة زماننا أنفسَهم متمايزين ومنفصلين تمامًا عن فرق الغلاة الشيعية القديمة الذين لم يبق منهم اليوم سوى أسماءهم في كتب التاريخ، ويظهرون البراءة منهم بلسانهم لا بعملهم، لأنهم مع الأسف الشديد احتفظوا بعقائد الغلاة ذاتها بعبارات أخرى!!

ففي هذا العصر هزّت فيه الأفكار والأنظمة المعادية للدين مثل الشيوعية والوجودية أسس الدين حتى أصبح أكثر سكان الأرض حسب الظاهر وطبقًا للنظام الذي اعتمدوه في حياتهم بلا دين، والسبب الحقيقي لهذا الأمر تجاوز المتدينين للحدود واختراعهم للأفكار المغالية. فإذا لم تُعالج هذه الانحرافات فمن المحتمل أن ينهدم بنيان الأديان بين البشر من أساسه. ومع ذلك لا نزال نجد بعض العلماء من أولئك الذين يعتبرون أنفسهم حرّاس الدين يقومون بنشر تلك الخرافات والعقائد الغالية التي تنتشر للأسف في أكثر كتبنا الدينية في هذا الزمن، وذلك مثل كتاب «**أمراىِ هستي**» (**أمراء الكون**)، و«**تجلي ولايت**» (تجلي الولاية)، و«**ولايت كليّة**» (الولاية الشاملة) بالفارسية، وعددٍ آخر من الكتب بالعربية، تُروّج في المجالس والمنابر وتُنشَر من خلالها الخرافات!

ألّف أحد علماء زماننا[1] كتابًا باسم «**إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب**»، أراد من خلال موضوعات كتابه أن يثبت مسألة «**الغيبة**» أي بقاء الإمام الثاني عشر حيًّا غائبًا عن الأنظار، وكما ادّعى ناشر الكتاب قيام كبار علماء العصر بمساعدته على طبعه ونشره، ولو ذكرنا أسماء أولئك العلماء الكبار هنا لاستغرب القرّاء واستنكروا ذلك!! وفي ذلك الكتاب وبهدف إثبات مدَّعاه أورد مؤلفه مطالب يبرأ منها حتى غلاة علماء الشيعة زمن الصفوية!! فمثلاً كان من متمسكات ذلك المؤلف «خطبةُ البيان» و«الخطبةُ التَّطْنَجِيَّة[2]» المنسوبتان إلى

(١) هو الشيخ علي اليزدي الحائري المتوفى سنة ١٣٣٣هـ في كربلاء، والذي جاء وصفه في مقدمة كتابه المشار إليه بأنه شيخ الفقهاء والمجتهدين حجة الإسلام والمسلمين آية الله الكبرى في الأرضين!

(٢) الخطبة التَّطْنَجِيَّة خطبة موضوعة طويلة رواها ونسبها إلى أمير المؤمنين، الشيخُ حافظ رجب البرسي

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والمرفوضتان من جُلّ علماء الشيعة، والتي رفضها المرحوم العلامة المجلسي كما في **بحار الأنوار** (ج٧، ص٢٦٤، من طبعة كمباني) وقال: "ما ورد من الأخبار الدالة على ذلك كخطبة البيان وأمثالها فلم يوجد إلا في كتب الغلاة وأشباههم".

وسنورد فيما يلي بعض الفقرات من «**خطبة البيان**» و«**الخطبة التَّطْنْجِيَّة**» التي وردت في ذلك الكتاب الذي يهدف إلى إثبات حياة إمام الشيعة الغائب والذي ساعد بعض علماء زماننا الكبار على نشره، لكي يرى القرّاء الكرام أن غلاة عصرنا لا يقلُّون في خرافاتهم وغلُوِّهم عن الغلاة القدماء الذين كان الأئمَّة يحذِّرُون منهم ويلعنونهم ويتبرؤون منهم.

جاء في تلك الخطبة التي يدّعي مفتريها وواضعها أن حضرة أمير المؤمنين علي عليه السلام وقف يخطب بها في البصرة فقال:"...**أنا سرّ الخفيات... أنا مفيض الفرات... أنا مظهر المعجزات، أنا مكلّم الأموات، أنا مفرّج الكربات، أنا محلل المشكلات...!!** "،

ويستمر في نسبة أفعال الله وصفاته تعالى -المفهومة وغير المفهومة- إلى نفسه حتى يصل إلى قوله: "**أنا أبو المهدي القائم في آخر الزمان** "، وبعد هذه الجملة يسأل مالك الأشتر أمير المؤمنين: هذا القائم من وُلْدِكَ متى يكون ظهوره؟ فيجيب: "**فقال: إذا زهق الزاهق وحقت الحقائق ولحق اللاحق.. وذرفت العيون وأغبن المغبون وشاط النشاط وحاط الهباط.... وقرض القارض ولمض اللامض وتلاحم الشداد ونقل الملحاد**... ويستمر أسطرًا في سرد مثل عبارات الكُهّان هذه التي لا معنى لها حتى يصل إلى قوله:"...**وساهم المستحيح ومنع الفليج وكفكف الترويج وخدخد البلوع وتكلكل الهلوع وفدفد المذعور وندند الديجور ونكس المنشور وعبس العبوس وكسكس الهموس وأجلب الناموس ودعدع الشقيق وجرثم الأنيق**... الخ"!

أيها القارئ الكريم! بالله عليك! هل يمكن أن تصدر هذه الكلمات والعبارات عن

(كان حيًّا ٨١٣ هـ) في كتابه «**مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين**»، وجاء اسمها من عبارة "**أنا الواقفُ على التَّطْنَجَيْن**" وهما –كما يزعم البرسي- خليجان من ماء! (تر).

خطيب نهج البلاغة وإمام البيان الفصاحة؟؟ لعمري إنها أقرب إلى هذيان شخص ثَمِلٍ أفقده السُّكْر وَعْيَهُ فأخذ يهلوس بكلمات مهملة لا معنى لها!!

وأعجب العجب أنه جاء في بداية هذه الرواية أن راويها «عبد الله بن مسعود» الذي كان من كبار صحابة رسول الله ﷺ رواها عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأن الإمام ألقاها في مسجد البصرة بعد انتهاء حرب الجمل، هذا في حين أن عبد الله بن مسعود تُوفي سنة ٣٣ هجرية زمن خلافة عثمان ودُفن في المدينة، أما أمير المؤمنين فقد ولي الخلافة سنة ٣٥ للهجرة، ووقعت واقعة الجمل ودخوله عليه السلام إلى البصرة بعد ذلك، فكيف تسنَّى لعبد الله بن مسعود أن يخرج من قبره ويحضر إلى البصرة ليسمع تلك الخطبة المليئة بالترّهات ويرويها والعياذ بالله عن علي بن أبي طالب؟! وأكذب الكذب ما كذّبه التاريخ. وكيف يمكن لأمير المؤمنين عليه السلام أن يلقي مثل هذا الكلام على أهل البصرة الذين خرجوا عليه بعد مقتل عثمان -(إذ كانوا يعتبرون عليًّا شريكًا في دم عثمان أو على الأقل ممالئًا لِقَتَلَتِهِ لذا فهو في نظرهم يستحق القتل)- فيأتي عليٌّ ويلقي على مثل هؤلاء الناس مثل تلك العبارات؟!! إلى الحد الذي جاء في الخطبة المدعوة بالخطبة «التَّطْنَجِيَّة»: "**أنا مدبرها، أنا بانيها، أنا داحيها، أنا مميتها، أنا محييها، أنا الأول، أنا الآخر، أنا الظاهر، أنا الباطن، أنا مع الكور قبل الكور... أنا مع اللوح قبل اللوح، أنا صاحب الأزلية الأولية... أنا مدبر العالم الأول حين لا سماؤكم هذه ولا غبراؤكم... فإليَّ يُرَدُّ أمرُ الخلقِ غدًا بأمرِ رَبِّي.... أنا أخلق وأرزق وأحيي وأميت... أنا... أنا**...الخ "[1]، وليت شعري إذا لم يكن هذا ادّعاء للإلـهية فما هو إذن؟! ألم يبقَ هناك عقلٌ -فكرٌ -تفكيرٌ - شعورٌ -وجدانٌ -إنصافٌ -حياءٌ في هذه الدنيا؟!!

وهكذا يواصل كلماته المسجّعة في تلك الخطبة حتى يصل إلى قوله:"...**أنا مبرجُ الأبراج وعاقد الرياح، ومفتِّحُ الأفراج**[2] **وباسط الفجاج...!!**".

---

(١) الشيخ علي يزدي الحائري، **إلزام الناصب في إثبات الحجة للغائب**، مكتبة الرضا (قم)، مطبعة أمير، ج ٢، ص ٢٤٥ و ٢٤٦.

(٢) من الواضح أن واضع هذه العبارات ضاقت عليه القافية فاستخدم مثل هذه التعبيرات الركيكة.

نعم عندما لا يبقى هناك دينٌ ولا حياءٌ فلا غرابة في أن تُنْسَبَ مثل تلك الكلمات التي هي من أسوأ العبارات وأفسدها إلى لسان أفصح بلغاء العالم ومفخرة بني آدم، لكي يتخذ الكاتب منها حجة على ادّعائه وحلاً لمشكلته! إننا لا نتعجب من واضعي تلك الخطب ومختلقيها الذين لا ريب أنهم كانوا زنادقةً عديمي الدين أو على الأقل كانوا لا يهتمّون بالدين أساسًا، لأنهم أيًّا كانوا فهم على أيِّ حال أعداءٌ للإسلام ولا يُنتظر من العدوّ غير ذلك! ولكن تعجبنا من الأشخاص الذين يتلبَّسون بلباس علماء الدين ويطرحون أنفسهم بوصفهم حفّاظ شريعته كيف يسمحون لأنفسهم بنشر تلك الأباطيل! والعجب أيضًا من الأشخاص الذين يعرّفون أنفسهم في زماننا بوصفهم مراجع الشيعة ويشتهرون بهذا المقام ومع ذلك يساعدون على نشر هذه الخرافات التي يعرفون قبل أي أحد آخر أنها تلفيقات مكذوبة من نسج خيال حفنة من المرضى المهووسين.

إن تلك الأباطيل والترّهات لا تختلف عن تلك الأباطيل التي نجدها لدى اليهود الذين يصفون الله بما يصغّر شأنه من أنه كان يتمشَّى في الجنة ويبحث عن آدم الذي كان مختبئًا تحت إحدى شجراتها!! أو أنه يدخل في مصارعة مع يعقوب، أو يأكل العجلَ المشويَّ الذي هيّأه إبراهيم، مع اثنين من الملائكة! أو أباطيل النصارى التي نقرؤها في سفر الرؤية: "وَقَدْ أَحَاطَ بِالْعَرْشِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ عَرْشًا يَجْلِسُ عَلَيْهَا أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ شَيْخًا يَلْبَسُونَ ثِيَابًا بَيْضَاءَ، وَعَلَى رُؤُوسِهِمْ أَكَالِيلُ مِنْ ذَهَبٍ. ٥وَكَانَتْ تَخْرُجُ مِنَ الْعَرْشِ بُرُوقٌ وَرُعُودٌ وَأَصْوَاتٌ، وَأَمَامَهُ سَبْعَةُ مَصَابِيحِ نَارٍ مُضَاءَةٍ، هِيَ أَرْوَاحُ اللهِ السَّبْعَةُ. ٦وَكَانَ يَبْدُو كَأَنَّ بَحْرًا شَفَّافًا مِثْلَ الْبِلَّوْرِ يَمْتَدُّ أَمَامَ الْعَرْشِ، وَفِي وَسَطِ الْعَرْشِ وَحَوْلَهُ أَرْبَعَةُ كَائِنَاتٍ تَكْسُوهَا عُيُونٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الأَمَامِ وَمِنَ الْخَلْفِ: ٧الْكَائِنُ الأَوَّلُ يُشْبِهُ الأَسَدَ، وَالثَّانِي يُشْبِهُ الْعِجْلَ، وَالثَّالِثُ لَهُ وَجْهٌ مِثْلُ وَجْهِ إِنْسَانٍ.... الخ". ونحو ذلك من الترّهات والأباطيل.

إننا لا نتعجّب إن قال أتباع مثل تلك الملل بأن لِلَّهِ أولاد وأبناء وغلوا في حق عيسى عليه السلام فاعتبروه ابن الله البكر، لأنه لا يُمكن توقع أفضل من ذلك في مثل ذلك الدين! لكن تعجّبنا من الذين يدّعون الإسلام ويمتلكون كتابًا سماويًا هو القرآن الكريم الذي يذكر

الله تعالى بمنتهى العظمة والتنزيه ويعتبر أن إدراك ذاته مستحيلة ويعتبره محيطًا بعالم الوجود كله، وأنه غالبٌ وشاهدٌ لكل ما سواه: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾ [فصلت]: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾ [سبأ: ٤٧] ويذكر العالم ويُبيّن سعته وعظمته ثم يُبيّن أن هذا العالم بكل سعته وعظمته وسماواته وأراضيه بالنسبة إلى الكرسي مثل حلقة في فلاة(١) والكرسي بكل عظمته بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة(٢). وقد ثبت في علم الفلك اليوم أن هذا الكون عظيم وواسع إلى درجة يعجز العقل عن استيعابها، فبعد اختراع التلسكوب وبناء مرصد «أرسي بوير» في «بورتوريكو» الذي يبلغ قطر عدسته ٣٠٠م لتأمّل النيازك والشهب في الليل، أصبح العلماء يمسكون برؤوسهم خوفًا من أن تطير منها عقولهم ويصابون بالجنون لهول ما يرونه! إذ يرون أن المسافة بين النيازك البعيدة والأرض تصل إلى تسعة مليارات سنة ضوئية(٣)، ويرون ملايين المجرّات التي تملك كل واحدة منها ملايين الشموس والكواكب التي لا تشكّل شمسنا بالنسبة إليها أكثر من شمعة مقابل الشمس، ومسافة المجرّة التي تُشكِّل شمسنا جزءًا منها تصل إلى درجة أن الشمس التي تنتقل بتلك السرعة الهائلة تحتاج إلى أكثر من ٥٠٠ مليون سنة لتدور ضمن تلك المجرّة.

أجل نحن نعيش في مثل ذلك الزمان وفي مثل هذه الدنيا، أفليس من العار أن يوجد في زماننا مسلمين يعتقدون أن هناك أفراد من البشر يقولون: "أنا مُبَرِّجُ الأبراج... ومفتِّح

---

(١) الفلاة : الصحراء والأرض الواسعة التي لا ماء فيها.

(٢) يشير إلى حديث موعظة النبيِّ لأبي ذر الغفاري التي رواها الشيخ الصدوق في كتابيه: «**الخصال**»، و«**معاني الأخبار**»، كما ذكرها المجلسي في «**بحار الأنوار**» (ج ٥٥/ ص٥) وعبارته: "في حديث أبي ذر عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) قال: "**يا أبا ذرّ! ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة**". ورُوِيَ الحديث من طرق أهل السنة إذْ رواه **ابن حِبَّان في صحيحه**، باب ما جاء في الطاعات وثوابها، وأبو نعيم الأصفهاني في **حلية الأولياء**، باب أبي ذر، وانظر «**كنز العمال**»، ج ١٦، ص ١٣٢. (تر).

(٣) السنة الضوئية هي ما يقطعه الضوء -الذي تبلغ سرعته ٣٠٠ ألف كم/ بالثانية - خلال سنة من الزمن.

الأفراج "!!، أو أن هناك بشرٌ يدّعي أنه: "**أنا مدبر العالم الأول حين لا سماؤكم هذه ولا غبراؤكم... فإليّ يُرَدُّ أمرُ الخلقِ غدًا بأمرِ رَبِّي... أنا أخلق وأرزق وأحيي وأميت... أنا... أنا**...الخ "، هذا في حين أن كل الناس كانوا يرون ذلك الشخص الذي تُنْسَبُ إليه تلك الكلمات إنسانًا كسائر البشر لا يختلف عنهم من حيث حاجاته وبشريته، فهو قد وُلد كما ولدوا وكان طفلاً رضيعًا وكانت تعرض له كل عوارض الحياة من الجوع والعطش والمرض والنوم والحاجة إلى المرأة والولد، مهما كان مقامه عاليًا من ناحية الفضل والعلم والتقوى، ولكنه لم يكن كائنًا لا نظير له من ناحية البشرية بل كان بشرًا كما أمر الله تعالى من هو أفضل منه أن يقول ويبلغ الناس و في سورة يونس: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وأساسًا أيُّ حماقةٍ تلك أن نقوم بدلاً من اتِّباع عباد الله المصطَفَيْن الذين اختارهم الله لهدايتنا وليرشدونا إلى طريق الصواب والخطأ حتى لا نكون مسؤولين ومعاقبين أمام الله تعالى الذي أرسلهم، أن نقوم بتعظيم أولئك الهداة إلى حدّ إخراجهم عن البشرية والغلوّ بهم والوقوع في مستنقع الكفر والشرك؟!

لو كان لأولئك العباد مثل تلك القدرة والقوة لكان أمرُ اللهِ لنا باتِّباعهم والتأسِّي بهم ظلمٌ كبيرٌ وعملٌ قبيحٌ لأنه يكون بذلك كمن يأمر طفلاً أن يمشي بسرعة سيارة أو طيارة! فهل يمكن لأحد أن يتصور أن ربّ العالمين الحكيم والعادل يأمرنا بتقليد شخص يقول عن نفسه "**أنا مدبّر العالم حين لا سماءكم ولا أرضكم**... "، "**أنا أخلق وأرزق وأحيي وأميت** " واتِّباعه؟! كلا وألف كلا ومعاذ الله، سبحانه وتعالى عمّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

وكما ذكرنا فيما سبق إن مثل تلك الأفكار والعقائد إنما يخترعها أشخاص متكبرون جاهلون يتعيّرون من أن يكون نبيهم وإمامهم من البشر يأكل ويشرب وينام ويجامع ويمرض ويموت، لذا يدّعون أن أئمتهم في الدين يسمعون الأصوات ويقضون الحاجات ويشفون العاهات ويحيون الأموات ونحو ذلك من الأباطيل والترّهات، ويحوّلون أئمتهم في الدين إلى معشوقين خياليين ومعبودين مثاليين.

إن كثيرًا من شيعة اليوم الذين يقولون إنهم ليسوا من الغلاة ولا من البنانيّة أو الخطّابية أو المغيريّة أو البشيريّة أو الإسماعيلية أو القرامطة ويبرؤون من الكل بل حتى يبرؤون من الشيخيّة والصوفيّة، يؤمنون -ظاهرًا أو باطنًا- بعقائد وأفكار تتطابق مع الأسف مع عقائد أولـئك الغلاة الذين كان الأئمَّة يلعنونهم ويتبرؤون من عقائدهم.

إلى درجة وصل معها الأمر إلى نشر وإشاعة مثل هذه العقائد الموجودة في خطبٍ كان يرفضها حتى علماء الشيعة الصفويين (رغم غلوّهم)، مثل «**خطبة البيان**» و«**الخطبة التَّطْنْجِيَّة**»، فينشرونها في القرن العشرين، أي هذا الزمن الذي أصبحت فيه حتى عقائد الدين الصحيحة موضوعًا لطعن وهجوم كثير من الناس الذين انتشرت بينهم الأفكار الإلحادية. ويفعل أولئك العلماء ذلك تحت عنوان إلزام الخصم وإثبات الحجة فيسمحون بنشرها وطباعتها مخالفين بذلك علماء الصدر الأول من كبار وأعلام الشيعة في القرنين الثاني والثالث الذي كانوا يرفضون مثل تلك العقائد الغالية جملة وتفصيلاً، ويلعنون أصحابها ويبرؤون منهم ويكذِّبون أقوالهم ويطردونهم من صفوفهم.

إن علماءَنا الكرام الذين كانوا معاصرين للأئمة عليهم السلام ورأوهم وعاشروهم وتتلمذوا على أيديهم كانوا أعلم بحقيقة الأئمَّة ممن جاء بعدهم، وكانوا يطردون من صفوفهم كل من يجدون فيه شائبة غلوٍّ مهما كانت صغيرة، أما المتأخرون فلم يحظَ اعتقاد القدماء بالأئمَّة بقبولهم بل اعتبر أولـئك المتأخرون أن تلاميذ الأئمَّة القدماء كانوا من المقصِّرين بحق الأئمَّة حتى قال قائل أحد المتأخرين، وهو **آية الله عبد الله الممقاني** (١٣٥٠هـ) في مقدمته على كتابه الرجاليّ «**تنقيح المقال في أحوال الرجال**» (ص٢١٢):

"...وتلخيص المقال أن المتتبع الناقد يجد أن أكثر من رُمِيَ بالغلوّ بريء من الغلو في الحقيقة (!!)، وأن أكثر ما يُعدّ اليوم من ضروريات المذهب في أوصاف الأئمَّة عليهم السلام كان القول به معدودًا في العهد السابق من الغلو، وذلك نشأ من أئمتنا عليهم السلام حيث أنهم لما وجدوا أن الشيطان دخل مع شيعتهم من هذا السبيل لإضلالهم وفاءًا لما حلف به من إغواء عباد الله أجمعين، حذروهم من القول في حقّهم بجملة من مراتبهم، إبعادًا لهم عمّا هو غلوٌّ حقيقة، فهم

منعوا الشيعة من القول بجملة من شؤونهم حفظًا لشؤون الله جلّت عظمته حيث كان أهم من حفظ شؤونهم، لأنه الأصل وشؤونهم فرع نشأت من قربهم لديه ومنزلتهم عنده، وهذا هو الجامع بين الأخبار المثبتة لجملة من الشؤون لهم والنافية لها... "(١).

ولم ينهض أحد ليقول لشيخ آخر الزمن هذا: أيها السيد! وهل جاء نبيٌّ بعد نبيِّ الإسلام أو إمامٌ بعد أئمَّةِ الهدى فأخبرك، أو نزل عليك ملاكٌ فقال لك: إن العقائد الغالية التي كان الأئمَّة في زمانهم يعتبرونها غلوًا ويعتبرون القائلين بها غلاةً مفسدين أشرَّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، يجب أن نعتبرها اليوم من ضروريات الدين والمذهب؟؟!! فمن أين لك هذا الادّعاء؟! ولماذا؟ هل لأنَّ أساس الدين أصبح مزلزلاً اليوم فيجب أن نواصل نشر تلك الخزعبلات حتى نشوّه الدين ونريق ماء وجهه أكثر؟! خاصة في هذا العصر الذي أصبح فيه تقدّم العلوم وسعة الكون وعظمته أكثر دلالة من ذي قبل بملايين المرات على عظمة الخالق وأكثر برهانًا على نقص البشر وعجزهم أمام عالم الخليقة العظيم بملايين مجراته وما لا يحصى من كواكبه وسياراته التي يدرك الإنسان أمامها مدى ضآلته وضعف شأنه؟!

أهذا هو العصر المناسب لنشر كتب من أمثال «**عيون المعجزات**»(٢) و«**مدينة المعاجز**»(٣) المليئة بالأساطير والخرافات المضحكة - التي صارت موضوعًا للسخرية وهزء الطبقة المثقفة

---

(١) راجع كتاب **تنقيح المقال في علم الرجال** (ج١، ص٢٢٦، وج٢، ص٩٣، وج٢-٢، ص٨٢، وج٣، ص١٢٢و١٣٢و٢٣٨).

(٢) أي كتاب **عيون المعجزات المنتخب من بصائر الدرجات في تنزيه النبوات**، تأليف الشيخ حسين بن عبد الوهاب، المتوفى في القرن ٥ الهجري (بعد ٤٤٨ هـ؟)، نشر: محمد كاظم الشيخ صادق الكتبي، طبع النجف: المطبعة الحيدرية، ١٣٦٩ هـ/ ١٩٥٠ م.، و«**بصائر الدرجات**» هذا هو غير كتاب «**بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد**» لمحمد بن الحسن الصفار.

(٣) كتاب «**مدينة المعاجز**» للسيد هاشم بن سليمان البحراني التوبلي الكتكاني المتوفي عام ١١٠٧ هـ (وقيل ١١٠٩هـ) من أعلام أخباريي الإمامية وصاحب تفسير: «**البرهان في تفسير القرآن**».

والناس الأفاضل بالدين- واعتبار ما فيها من مطالب مغالية من ضروريات مذهب الشيعة؟!

وإذا كان الشِّرْكُ في نظر الشرع وفي حكم العقل أكبر المعاصي بل أكبر الكبائر، فهل يجوز أن نقوم بترويج ونشر تلك العقائد الشركية بل الشرك الصريح والجليّ عينه في عبارات من مثل "**أنا أخلق وأنا أرزق وأنا أحيي وأميت**... " الذي هو أشدّ بكثير من شرك الجاهلية، باسم دين الإسلام وباسم مذهب الشيعة حتى نذلّ طائفة الشيعة ونفقدها احترامها ووزنها أكثر مما هو قائم أمام سائر طوائف المسلمين ومذاهبهم الأخرى في الدنيا؟! إلى الحدّ الذي أصبح مخالفو هذا المذهب (أي مذهب الشيعة الإمامية) يعتبرون هذه الطائفة -من بين جميع المسلمين- مشركين، ويعتبرون دمهم ومالهم وعرضهم مباحًا لهم، ويستفيدون من كل طريق لتشويه تلك الطائفة والإساءة إلى سمعتها ويقومون ببيع وشراء فتياتها كإماء؟ وأسأل هؤلاء الناشرين لتلك الخرافات ما هي النتيجة المفيدة أو الجيدة التي حصَّلتموها حتى الآن من إصراركم على نشر مثل تلك الخزعبلات، حتى تواصلوا نشرها؟!

وما الذي يعود عليكم أو يزيد في مكانتكم من توسيع مسألة الولاية، أو تضييقها وحصرها بعدد من الأفراد، وتوسيع موضوع الشفاعة إلى حد مفرط وتعميمها لكل أحد، والدعوة إلى الزيارات المخترعة وابتداع إقامة المآتم وقراءة المراثي؟! وهل تستفيدون من هذه البدع سوى خصومة أبناء دينكم من سائر المسلمين وتسهيل ارتكاب المعاصي على العوام، وهدر الأموال الطائلة فيما لا طائل تحته، وسخرية المثقّفين والمتعلّمين وسائر شعوب العالم من مراسمكم وطقوسكم تلك؟!

إنَّ عقيدة غلاة الشيعة اليوم ليست متأثِّرةً بعقائد الغلاة زمن الأئمَّة عليهم السلام الذين كان مصدر عقائدهم هو اليهود والنصارى والمجوس فحسب، بل أصبحت اختلطت وامتزجت بالعقائد السخيفة للشعوب والملل القديمة، فكما يعلم المطَّلِعون كان أهالي مصر القدماء يعتقدون بآلهةٍ مثل الإلـه «أوزيرِس» و زوجته التي هي أخته في نفس الوقت إلـهة الخصوبة: «إيزيس»، فكانوا يؤمنون بآلهة متعددة، ولكن في الوقت ذاته كانوا يؤمنون بالإلـه «آمون-

رَعْ» الذي يعتبرونه أكبر من جميع الآلـهة وأبو الآلهة وسيدهم، وبارئ البشر وخالقهم ورب جميع الكائنات. ولكن «أوزيرِس» الذي كان إلـه الموت، رغم خضوعه للإلـه العظيم «آمون-رَعْ»، إلا أنه كان أكثر قدرةً من إلـه الآلهة! وكان له تأثير في الناس أكثر منه! لذا فإن المصريين القدماء كان يذكرون اسم الإلـه «أوزيرِس» أثناء أخذ العهد والميثاق، أو يوكلون عقاب المخالفين للقوانين أو الخائنين إليه.

وأنتم تعلمون أن مثل هذه العقيدة توجد لدى عوام شيعتنا بشأن «أبي الفضل العباس» أو «الإمامزاده داود» أو «شاه چراغ» وأمثالهم حيث لا يصدِّق الناس القَسَم بالله ولكنهم يصدِّقون القَسَم «بحضرة العباس»! ولا يخافون من انتقام الله ولكنهم يخافون من انتقام «حضرة العباس»! ولا ينذرون لِـلَّهِ ولكنهم ينذرون لحضرة العباس ولرقيَّة وسكينة [ابنتي الإمام الحسين ؏] أكثر مما ينذرون لِـلَّهِ!!

هذا في حين أن كتابهم السماوي ينهى بكل صراحة ووضوح في أكثر من مئة آية عن مثل هذه العقائد والأعمال الشركية ويذم فاعليها ويلومهم على اتِّباع مثل هذه الطرق، ويقول: ﴿قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩﴾ [المؤمنون: ٨٨، ٨٩]، أي لا أحد يستطيع أن يلجأ إلى آخر كي يُجيره من عقاب الله.

لاحظ أن الآية تبين أن المشركين لما كانوا يُسْأَلُونَ: مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ؟ كانوا يجيبون على الفور: «الله»! فكثَّر اللهُ خيرَ مشركي ذلك الزمن (!) إذ إنهم على الأقل كانوا يجيبون بلا تردد: «الله»! في حين أن كثيرًا من أبناء مجتمعنا اليوم قد لا يُحْسِنُونَ مثلَ هذه الإجابة الفورية! ويقول تعالى في سورة النحل: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ٥٦﴾ [النحل: ٥٦]. أي كانوا ينذرون لآلهتهم النذورات والأوقاف ويجعلون لهم نصيبًا مما رَزَقَهُمُ اللهُ تمامًا كما يفعل العوام في عصرنا الذين ينذرون لحضرة العباس وللإمام الرضا!

إن خوفنا من تلك المسؤولية التي أشارت إليها الآية الأخيرة ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا

يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٦﴾ [النحل: ٥٦] هو الذي حملنا على تجشم عناء خوض هذه المباحث في هذا الزمن الذي وجدنا أنفسنا فيه في مجتمع قد انتشر فيه الكفر والبدع والشرك والإلحاد أكثر من أي وقت مضى، متحمِّلين في هذا السبيل التهم والبهتان بل حتى الضرب والقتل، إبراءً لذمتنا أمام رب العالمين، وحتى لا نكون مسؤولين عن أعمال أولئك المفسدين. ولن يهمُّنا في أداء هذا الواجب المقدَّس ما ستتعرَّض له من تكفير وإبعاد أو تهديد الغلاة وأنصارهم، لأنه في ميدان الجهاد كلما كان عددُ الأعداء وعدّتهم أكثر، كان ذلك أدعى للفخر والشموخ ورفع الرأس، ودليلاً على شجاعة المجاهدين الذي يخوضون هذه المعركة وبسالتهم وفدائيتهم، وأن أجرهم لدى ربهم وإلـههم سيكون -يقينًا- كبيرًا وعظيمًا، ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ [الكهف: ٣٠]. ﴿فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾ [التوبة: ١١١]، ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ [هود: ٨٨].

والآن نأتي إلى شرح حال الغلاة الذين لعنهم الأئمَّة عليهم السلام والذين ذكرنا هذه المقدمة للتعريف بهم.

❀❀❀

الغلاة أكبر المصائب وأخبث الآفات

كان ظهور الغلاة في دين الإسلام من أكبر الآفات والمصائب القاتلة التي حلَّت بهذا الدين، وأدَّت إلى إدخال كل تلك الخرافات والأوهام فيه، الأمر الذي شوَّه الوجه النوراني لحقائق الإسلام.

وقد خشي الأئمَّة الطاهرين عليهم السلام أكثر من أي أحد آخر من هذا الخطر وحذروا منه المسلمين، ولدينا أحاديث وأخبار كثيرة صدرت عن الأئمَّة عليهم السلام في مذمّة هؤلاء الغلاة، حيث نجد في كتاب «الرجال» لأبي عمرو الكشِّيّ[1] وحده أكثر من ٢٤ حديثًا في هذا الأمر، وقد جمعها العلامة الممقاني[2] في كتابه «**مقباس الهداية**» (ص ٨٨)، وسنذكر فيما يأتي بعضًا منها كما جاءت في كتب الرواية المعتبرة لدى الشيعة:

---

(١) هو أبو عمرو، محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي من كبار علماء الشيعة وأقدم رِجَاليِّيهم في القرنين الثالث والرابع الهجريين، ينتسب إلى منطقة «كش» من نواحي سمرقند (في آسيا الوسطى)، لم يعرف تاريخ ولادته بالضبط. قال عنه النجاشي: (كان ثقة عين، روى عن الضعفاء كثيرًا وصحب العياشي وأخذ عنه، تخرج عليه في داره التي كانت مرتعًا للشيعة وأهل العلم) اهـ، وكان الكشيّ صديقًا للكُلَيْنِيُّ صاحب «الكافي». قيل إن وفاته كانت في حدود سنة ٣٥٠ هـ، ويُعتَبَر كتاب الكشيّ الذي سماه ابن شهر آشوب في المعالم بـ "معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين" أحد الأصول الأربعة الرجالية لدى الإمامية. (المترجم)

(٢) هو الفقيه الإمامي وأحد أبرز مراجع الشيعة في عصره آية الله الشيخ عبد الله المامقانى (١٢٩٠هـ - ١٣٥١ هـ)، أُطْلِق عليه لقب «العلامة الثاني»، وهو صاحب «تنقيح المقال في أحوال الرجال» الذي يعتبر أحد أهم كتب علم الرجال في القرن الماضي إذْ جمع فيه كل ما دُوِّنَ في الكتب الرجالية التي سبقته (المترجم)

١- في كتاب «**الأمالي**» للشيخ الطوسي (ص ٢٦٤ من الطبعة القديمة)[١] عن عبد الرحمن بن مسلم، عن فضيل بن يسار، قال: قال الصادق عليه السلام: "**احْذَرُوا عَلَى شَبَابِكُمْ الْغُلَاةَ لَا يُفْسِدُونَهُمْ، فَإِنَّ الْغُلَاةَ شَرُّ خَلْقِ الله، يُصَغِّرُونَ عَظَمَةَ الله، وَيَدَّعُونَ الرُّبُوبِيَّةَ لِعِبَادِ الله، وَالله إِنَّ الْغُلَاةَ شَرٌّ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصارى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا**".

ثم قال عليه السلام: **إلينا يرجع الغالي فلا نقبله، وبِنَا يلحقُ المقصِّر فنقبله**. فقيل له كيف ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: **لأن الغالي قد اعتاد ترك الصلاة والزكاة والصيام والحج، فلا يقدر على ترك عادته، وعلى الرجوع إلى طاعةِ الله عزَّ وَجلَّ أبدًا، وإن المقصِّرَ إذا عرف عمل وأطاع**".

٢- جاء في نوادر الراوندي أن حضرة أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: "**فَإِنَّهُ يَهْلِكُ فِيَّ اثْنَانِ مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يُفْرِطُ بِمَا لَيْسَ فِيَّ وَمُبْغِضٌ يَحْمِلُهُ شَنَآنِي عَنْ أَنْ يُهِينَنِي** "[٢]. وقال أيضًا: "**يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلانِ، مُحِبٌّ مُفْرِطٌ وبَاهِتٌ مُفْتَرٍ** "، وهذا مثل كلمته عليه السلام التي قال فيها: "**هَلَكَ فِيَّ رَجُلانِ مُحِبٌّ غَالٍ ومُبْغِضٌ قَالٍ** "[٣][٤] (**نهج البلاغة**، الحكمة ١١٧ و٤٦٩) ومضمون كل هذه الكلمات واحد.

٣- وجاء في كتاب «**اعتقادات الإمامية**» للشيخ الصدوق الرواية التالية:

"وكان الرضا عليه السلام يقول في دعائه: **اللهم إني أبرأ إليك من الحول والقوة ولا حول ولا قوة إلا بك. اللهم إني أعوذ بك وأبرأ إليك من الذين ادَّعوا لنا ما ليس لنا بحقّ. اللهم إني أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا. اللهم لك الخلق ومنك الرزق وإِيَّاكَ نَعْبُدُ**

---

(١) أو ص ٦٥٠ من الطبعة الجديدة.

(٢) الموجود في النسخة الحالية من البحار الذي نقل عن نوادر الراوندي هو: "يَبْهَتَنِي". (المُنَقِّح)

(٣) قوله (محبٌّ غالٍ) الغالي هو المتجاوز للحدّ في حبِّه أي الذي يبالغ في حب الإمام حتى يخرجه عن البشرية ويضفي عليه الصفات الإلـهية أو يقول بحلول اللاهوت فيه ونحو ذلك، وقوله: (مبغضٌ قالٍ): القالي هو المبغض شديد البغض. (المترجم)

(٤) نهج البلاغة، جمع وتدوين الشريف الرضي، تحقيق الدكتور صبحي الصالح، بيروت: دار الكتاب اللبناني، باب حكم أمير المؤمنين عليه السلام، رقم ٤٦٩، ص ٥٥٨. (المترجم)

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. اللهم أنت خالقنا وخالق آبائنا الأولين وآبائنا الآخرين. اللهم لا تليق الربوبية إلا بك ولا تصلح الإلهية إلا لك فالعن النصارى الذين صغَّروا عظمتك والعن المضاهئين لقولهم من بريتك. اللهم إنا عبيدك وأبناء عبيدك لا نملك لأنفسنا نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولاحياةً ولا نشورًا. اللهم مَنْ زَعَمَ أَنَّا أربابٌ فنحنُ منه بَراءٌ ومَنْ زَعَمَ أن إلينا الخلق وعلينا الرزق فنحن براءٌ منه كبراءة عيسى ابن مريم عليه السلام من النصارى. اللهم إنا لم ندعهم إلى ما يزعمون فلا تؤاخذنا بما يقولون واغفر لنا ما يدَّعُون ولا تَدَعْ على الأرضِ منهم دَيَّارًا إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فاجِرًا كَفَّارًا "[١].

وجاء في بعض النسخ جملة: «ولا تدع على الأرض» في حين لم تُذكر تلك الجملة في نسخ أخرى. وكما ترون فإن لعنة حضرة الرضا عليه السلام تشمل تلك الأقوال التي يدّعيها آية الله العظمى بشأن الأئمَّة أنهم كانوا كذا وكذا ممّا أوردناه في الفصول السابقة من هذا الكتاب.

٤- وفي «**الأمالي**» للشيخ الطوسي (ص ٦٥٠) وسائر الكتب المعتبرة أن الأصبغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: **"اللهم إني بريءٌ من الغُلاةِ كبراءةِ عيسى ابنِ مريم من النصارى، اللهمَّ اخْذُلهم أبدًا، ولا تنصر منهم أحدًا"**.

٥- وفي رجال الكشي (ص ٢٩٨ - ٢٩٩) عن عبد الصمد بن بشير عن مصادف قال: "لما لبّى القوم الذين لبُّوا بالكوفة[٢] دخلتُ على أبي عبد الله عليه السلام فأخبرتُهُ بذلك، **فَخَرَّ ساجدًا وألْزَقَ جؤجؤَهُ بالأرض وَبَكَى، وَأقبل يلوذُ بإصبعه ويقول: بَلْ عَبْدُ اللهِ قِنٌّ**[٣] **داخرٌ**[٤] **مرارًا كثيرةً، ثم رفع رأسه و دموعُهُ تسيلُ على لحيته، فندمتُ على إخباري إيّاه، فقلتُ جُعِلْتُ فِداكَ!**

---

(١) الشيخ الصدوق، «اعتقادات الإمامية»/ باب الاعتقاد في نفي الغلو والتفويض، ص٧٤.

(٢) أي قالوا: لبيك يا جعفر، فألّـهُوا الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

(٣) القِنُّ هو المتمّحض في العبودية والرق. وقيل: القِنُّ من العبيد الذي مُلِكَ هُوَ وَأَبَوَاهُ.

(٤) داخرٌ: أي خاضعُ لِـلَّهِ مُنْقادٌ لَهُ، من دَخَرَ الرجلُ، يَدْخَرُ دُخُورًا، فهو دَاخِرٌ، ذَلَّ وصَغُرَ يَصْغُرُ صَغَارًا، وهو الذي يفعل ما يؤمر به، شاءَ أَو أَبَى صاغِرًا قَمِيئًا. ومنه الآية: سُجَّدًا لِـلَّهِ وهم داخرون؛ أي خاضعون لِـلَّهِ مُنْقَادُون لَهُ.

وما عليك أنت من ذا؟ فقال: يا مصادف! إن عيسى لو سكتَ عما قالت النصارى فيه لكان حقًّا على الله أن يصمَّ سمعه ويعمىَ بصره، ولو سَكَتُّ عمَّا قال فيَّ أبو الخطاب لكان حقًّا على الله أن يصمَّ سمعي ويُعمىَ بصري "[١].

٦- وفي «**عيون أخبار الرضا** عليه السلام» للشيخ الصدوق (ج ٢، ص ٢٠٣) وفي المجلد السابع من بحار الأنوار (ص٢٤٦) عن أبي هاشم الجعفري قال: سألتُ أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الغلاة والمفوضة؟ فقال: "**الغلاةُ كفَّارٌ والمفوِّضةُ مشركون، مَنْ جالسهم أو خالطهم أو آكلهم أو شاربهم أو واصلهم أو زوَّجهم أو تزوَّج منهم أو آمنهم أو ائتمنهم على أمانة أو صدَّق حديثهم أو أعانهم بشطر كلمة خرج من ولاية الله عز وجل وولاية رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) وولايتنا أهل البيت**".

والعجب أن الأمر أصبح في زماننا على عكس ما تفيده هذه الرواية الشريفة، إذْ أصبح من لا يقول بأقوال الغلاة فلا يُثْبِتُ للأئمَّة الولايةَ التكوينيةَ وتصرُّفهم عليهم السلام في تدبير الكون، يُعْتَبَرُ ناقص الولاية، بل يُعْتَبَرُ سُنِّيًّا ووَهَّابِيًّا، بل يُعْتَبَرُ أسوأ من النواصب!

اللهم إننا مبتلون اليوم بأناسٍ نبرأ إليك من كفرياتهم وشركياتهم كما كان أئمتنا -سلام الله عليهم أجمعين- يبرؤون منهم، ونُشْهِدُكَ أننا لا نعتبر أئمَّتَنا سوى هداة إلى طريق الله ورُوَاة صادقين لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وندعو بدعاء الإمام الرضا عليه السلام "**رَبَّنَا لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْهُمْ دَيَّارًا** "!

٧- وفي رجال الكشيُّ أيضًا (ص١٠٠) عن أبي حمزة الثمالي، قال، قال علي بن الحسين عليه السلام: "**لعن الله من كذب علينا، إني ذكرت عبد الله بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدي، لقد ادَّعَى أمرًا عظيمًا، ما له لعنه الله؟ كان عليٌّ عليه السلام والله عبدًا لِلَّهِ صالحًا، أخو رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ)، ما نال الكرامةَ مِنَ الله إلا بطاعته لِلَّهِ ولرسوله، وما نال**

(١) **رجال الكشي**، طبع كربلاء، ص ٢٥٣.

رسول الله ﷺ الكرامةَ مِنَ الله إلا بطاعته "[١].

قلتُ: إن هذا الكلام للإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام حَجَرٌ في فم آيةِ الله العظمى الذي قال في الصفحة ٢٤ من كتابه «**امراىِ هستي**» (أمراء الكون) "إن الكمال النهائي من ناحية الولاية لدى أهل بيت العصمة نابعٌ من طينتهم التي هي نورٌ محضٌ فهي كمال ذاتيٌّ وهبيٌّ وليست كمالاً كسبيًّا "!!

ويقول في الصفحة ٣٥ من كتابه أيضًا: "خلافًا لأولياء الله الذين يصلون إلى هذا المقام والمرتبة بواسطة السعي والسلوك والرياضة والمجاهدات وطي المراحل الابتدائية، فإن ذلك المقام للأئمة هبةٌ إلـهيّةٌ وُهِبَتْ لَهُمْ ووُضِعَتْ فيهم منذ بدء وجودهم طبقًا للتقدير والمشيئة السبحانية "!

وأقول: إن هؤلاء العلماء الغلاة لما ابتعدوا عن الصراط المستقيم وعن طريق العقل والقرآن الكريم، استمسكوا بكل عقيدة موهومة وحديث مختلق لإثبات مدّعاهم، من ذلك تمسكهم برواية ملفَّقة تذكر أن عليًّا عليه السلام بادر إلى قراءة آياتٍ من القرآن الكريم عقب ولادته وهو لا يزال رضيعًا في المهد![٢]، هذا مع أن القرآن ما نزل على نبي الإسلام إلا بعد ١٢ سنة من ولادة عليٍّ عليه السلام، وحتى رسول الله ﷺ لم يكن له علم به، كما قال تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ۝٣﴾ [يوسف: ٣] و كما قال في موضع آخر أيضًا: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ۝٤٨﴾ [العنكبوت: ٤٨]، وقال تعالى أيضًا في الآية ٥٢ من سورة الشورى: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾. فهذه الآيات تبين بصراحة عدم اطلاع النبي على القرآن قبل أن يوحى به إليه.

لكن أولئك الغلاة الأشقياء الضالُّون يريدون نسف كل تلك الآيات بحديث هراء

---

(١) **رجال الكشي**، طبع كربلاء، ص ١٠٠. (المُنَقِّح)

(٢) انظر الرواية في **بحار الأنوار**، الطبعة الجديدة، ج٣٥، ص٣٧-٣٨. (المُنَقِّح)

باطل أسطوري، لا يعلمُ أحدٌ أيُّ غالٍ عديم الإيمان أو عونٍ من أعوان الشيطان اخترعه وافتراه، فقد رووا حول موضوع ولادة الإمام علي عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله:"…. **ولقد هبط حبيبي جبرئيل في وقت ولادة عليٍّ فقال لي: يا حبيبَ الله! اللهُ يقرأ عليك السلامَ ويهنِّئك بولادة أخيك عليٍّ**…. (إلى قوله) **ثم قال لي جبريل: امدد يدك يا محمّد! فإنه صاحبك اليمين! فمددت يدي نحو أمه فإذا بعليٍّ مائلاً على يدي واضعًا يده اليمنى في أذنه اليمنى وهو يؤذِّن ويقيم بالحنفية ويشهد بوحدانية الله عزَّ وجل وبرسالتي!** "[١] [هذا مع أن الأذان إنما نزل بعد الهجرة إلى المدينة!]. ويتابع الحديث حتى يصل إلى القول: "ثم قال لي (عليٌّ المولود حديثًا): **يا رسول الله! أقرأُ؟ قلتُ: اقرأ! فو الذي نفسُ محمَّد بيده لقد ابتدأ بالصُّحف التي أنزلها الله عز وجل على آدم فقام بها شيثٌ فتلاها من أول حرف فيها إلى آخر حرف فيها حتى لو حضر بها شيث لأقرَّ له أنه أحفظ له منه! ثم قرأ توراة موسى حتى لو حضره موسى لأقرَّ بأنه أحفظ لها منه! ثم قرأ زبور داود…! ثم قرأ إنجيل عيسى…، ثم قرأ القرآن الذي أنزله الله عليَّ من أوله إلى آخره فوجدته يحفظ كحفظي له الساعة!!**… الخ الحديث "[٢].

تلاحظون في أي واد من وديان الغلوِّ يقع الإنسانُ الذي يصدِّق بمثل هذا الحديث الكاذب، وفي أي حفرة من الضلالة التي لا إمكان للنجاة منها، يسقط!

ولما كنا نعتبر متن هذا الحديث مخالفًا للعقل الصريح ومناقضًا لآيات القرآن البيّنة الواضحة فإننا نرى أن لا حاجة للتعرض لسنده، لأن هذا الحديث المنقول عن كتاب «**روضة الواعظين**» لـ«**ابن الفَتَّال**»[٣] متهافت وباطل إلى درجة يستحي الإنسان معها أن يُبيّن متنه، لأن

---

(١) ابن الفتال، **روضة الواعظين**، قم، دار الرضيّ للنشر، بدون تاريخ، و ذكر فيه أنه صُوِّرَ طبقًا لنسخة طبعت سنة ١٣٨٦هـ في النجف الأشرف، ج ١، ص ٨٣-٨٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) هو محمد بن الحسن بن علي الفتال النيشابوري، من علماء الشيعة الإمامية في القرن الخامس الهجري. من تلاميذ الشيخ الطوسي والسيد المرتضى، ومن شيوخ ابن شهر آشوب المازندراني. توفي ابن الفتال مقتولاً سنة ٥٠٨هـ.

مضمون الحديث أن النبي ﷺ كان هو الذي ولَّدَ فاطمة بنت أسد عندما وَلدتْ أمير المؤمنين عليًّا، وأن جبريل قال للنبيّ: يا محمد، مدّ يدك ففعل النبيّ ذلك! هذا في حين أنه في كتاب «**روضة الواعظين**» ذاته حديث يُخالف ذلك ويقول إن أمير المؤمنين وُلد داخل الكعبة[1]، كما فيه رواية خرافية غريبة أخرى حول رجلٍ عابدٍ راهبٍ يُقَال له «المثرم بن رعيب بن الشيقنام» و ذهاب أبي طالب إليه و... الخ!! إلى آخر الأوهام التي تُشاهد في هذا الحديث، هذا كله بمعزل عن سند الحديث الذي رواته كلهم مجهولون ومن الغلاة. ومتن الحديث في حدّ ذاته أفضل شاهد على بطلانه.

إن روايات ابن الفتال هذه متناقضة تجعل الذي يقرأها لا يدري في النهاية هل وُلِدَ أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام داخل الكعبة، أم وُلِدَ في بيت أبي طالب؟! وهل كانت قابلةُ عليٍّ حوريةٌ من نساء الجنَّة أم كان رسول الله ﷺ نفسه؟![2]

إن أولئك الغلاة الحمقى يعتبرون أن مثل تلك الروايات التي تشبه أضغاث أحلامٍ لا يُعرف أولها من آخرها هي من فضائل المولى أمير المؤمنين!! إنهم يريدون أن يثبتوا استنادًا إلى تلك الترَّهات الباطلة والخرافية موضوع تصرُّف عليّ في الكون والمكان!؟

ما هي نتيجة قبول مثل تلك الأحاديث؟ إنها لن تكون سوى القول بأن قراءة عليٍّ للقرآن حين ولادته وقبل بعثة رسول الله ﷺ بعدة سنوات، إن لم تدل على إلـهية عليٍّ وعلمه بكل شيء، فعلى الأقل ستدلُّ على أن عليًّا -والعياذ بالله- أفضل وأعلم من رسول الله!! لأن القرآن الكريم بين لنا عدم اطلاع رسول الله ﷺ جنبًا إلى جنب عدم اطلاع قومه على أخبار القرآن ومطالبه، فيقول تعالى: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩﴾ [هود: ٤٩]، والقول بأفضلية عليٍّ على رسول الله أو مساواته له في الفضل كفرٌ. وأصلاً لو قرأ عليٌّ كل آيات القرآن على رسول الله – كما تدعي تلك الرواية الخرافية – فإن رسول الله ﷺ سيكون قد سمع من عليٍّ آيات

---

(١) ابن الفتال، «روضة الواعظين»، ج١/ ص ٨١. (المترجم).

(٢) راجعوا كتاب «**الزيارة ونصوص الزيارات**»، ص ٢٧٦.

حادثة الإفك في سورة النور التي تبيِّن تزكية وطهارة أم المؤمنين عائشة، وبالتالي تكون براءة عائشة قد أصبحت مسلَّمة له، فلماذا إذن تلك الحيرة والتفكير الذي وقع به رسول الله ﷺ لما سمع ذلك الموضوع؟!

ولماذا إذن اقترح عليٌّ على رسول الله ﷺ طلاق عائشة في تلك الحادثة؟ ولماذا استوضح رسول الله من خادمة عائشة واقع الأمر؟! ومئات القضايا الأخرى التي يتضمنَّها القرآن، والتي لم يكن رسول الله ﷺ يدري بها قبل أن تقع خلال سيرته.

وإذا تركنا كل ذلك جانبًا، فإننا نسأل: ما هي الفائدة من صدور كل تلك الأعمال العجيبة من عليٍّ حين ولادته والتي لابد أنها تعتبر معجزات؟ لماذا كان عليٌّ يظهر تلك المعجزات للنبيّ؟ أكان النبي منكرًا لفضائل عليٍّ فأراد عليٌّ أن يبينها له؟!! ثم إن هذا الحديث يدل على أن القرآن نزل على عليّ قبل أن ينزل على قلب النبي الأكرم ﷺ الشريف!! وأن الوحي كان ينزل على عليّ منذ ولادته وهذا يُخالف صريحًا إجماع علماء الشيعة!

فبالله عليكم أيها القراء الكرام هل هناك أحمقٌ فضلاً عن عاقل يمكنه أن يقبل بمثل تلك المطالب أو يستند إلى مثل تلك الأوهام لإثبات عقيدةٍ ما؟!

نسأل الله تعالى أن يحمينا وجميع المسلمين من أمثال تلك الموهومات والخرافات وأن ينجينا من شرِّ الغلاة الذين هم من أسوأ الآفات، ويهدينا إلى الدين الصحيح والصراط الإلـهي المستقيم الذي هو دين الإسلام واتّباع القرآن.

نرجع إلى موضوعنا حيث كان الحديث حول آفات الغلاة وأن أولئك الجماعة الأشقياء آذوا رسول الله ﷺ أذىً كثيرًا حتى لعنهم وتبرأ منهم مرارًا وتكرارًا، لاحظوا معنا الرواية الآتية:

٨- روى الشيخ الكشي (ره) في رجاله (ص ٤٥٢)، والعلامة المجلسي في المجلد السابع من «**بحار الأنوار**»، (ص ٢٢٠، طبع كمباني):

"قال أبو الحسن علي بن محمد بن قتيبة ومما وقع عبد الله بن حمدويه البيهقي وكَتَبْتُهُ من رقعته: "**قال أبوالحسين علي بن محمد بن قتيبة: وفيما وقع عبدالله بن حمدويه البيهقي وكتبته من**

رقعته إن أهل نيشابور قد اختلفوا في دينهم و خالف بعضهم بعضًا وكفر بعضهم بعضًا وبها قوم يقولون: إن النبي ﷺ يعرف جميع اللغات من أهل الأرض ولغات الطيور وجميع ما خلق الله، وكذلك لابد أن يكون في كل زمان من يعرف ذلك ويعلم ما يضمر الإنسان ويعلم ما يعمل أهل كل بلاد في بلادهم ومنازلهم و إذا لقي طفلين يعلم أيهما مؤمن وأيهما يكون منافقا وإنه يعلم أسماء جميع من يتولاه وأسماء آبائهم وإذا رأى أحدهم عرفه باسمه قبل أن يكلمه ويزعمون جعلت فداك أن الوحي لا ينقطع والنبي لم يكن عنده كمال العلم ولا كان عند أحد من بعده وإذا حدث شيء في أيّ زمان ولم يكن علم ذلك عند صاحب الزمان أوحى الله إليه فقال: كذبوا لعنهم الله و افتروا إثمًا عظيمًا "[1].

وأقول: إن هذا التوقيع واللعن والبراءة تشمل كل من يعتقد بالإمام أو النبي ﷺ مثل تلك العقائد المغالية، ممن يستند إلى بضعة أحاديث ضعيفة مروية عن الغلاة ومذكورة في كتب مثل كتاب «**بصائر الدرجات**» لمحمد بن الحسن الصفار (٢٩٠ هـ) أو كتاب «**الكافي**» للكُلَيْنِيّ (٣٢٩ هـ)، وغيرها. وهي أحاديث أضلت عامة الناس بل حتى الآيات العظام(!!)

٩- وفي رجال الكشي أيضًا (ص١٩٦)[2] عن عبد الرحمن بن كثير، روى أن حضرة الإمام الصادق عليه السلام قال لأصحابه يومًا: **"لعنَ اللهُ المغيرةَ بنَ سعيدٍ ولعن يهودية كان يختلف إليها يتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريق إن المغيرة كذبَ على أبي عليه السلام فسلبه الله الإيمان، وإن قومًا كذبوا عليَّ ما لهم أذاقهم الله حرَّ الحديد، فوالله ما نحن إلا عبيدُ الذي خلقنا واصطفانا ما نقدر على ضر ولا نفع إن رحمنا فبرحمته وإن عذبنا فبذنوبنا، والله ما لنا على الله من حجة ولا معنا من الله براءة وإنا لميتون ومقبورون ومنشرون ومبعوثون وموقوفون ومسئولون، ويلهم ما لهم لعنهم الله فلقد آذوا الله وآذوا رسوله (صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ) في قبره وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي (صلوات الله عليهم)، وها أنا ذا بين أظهركم لحم رسول الله وجلد رسول الله أبيت على فراشي خائفًا وجلاً**

---

(١) **بحار الأنوار**، الطبعة الجديدة، ج ٢٥، ص ١٦١- ١٦٢.

(٢) وفي نسخة **رجال الكشي**، طبع مؤسسة النشر في جامعة مشهد، ١٣٤٨هـ، في ص ٢٢٥- ٢٢٦.

مرعوبًا، يأمنون وأفزع وينامون على فرشهم وأنا خائف ساهر وجل، أتقلقل بين الجبال والبراري، أبرأ إلى الله مما قال في الأجدع البراد عبد بني أسد أبو الخطاب لعنه الله، والله لو ابتلوا بنا وأمرناهم بذلك لكان الواجب ألا يقبلوه فكيف وهم يروني خائفًا وجلاً أستعدي اللهَ عليهم، وأتبرَّأُ إلى الله منهم، أشهدكم أني امرؤ ولدني رسول الله وما معي براءة من الله، إن أطعته رَحِمَني وإن عصيته عذَّبني عذابًا شديدًا...".

لاحظوا كيف كذَّب ذلك الإمام الصادق الكريم بتلك العبارات الواضحة الصريحة كل تلك الترَّهات والأكاذيب التي ينسبها إليه الغلاة في زماننا، الذين يعتقدون بمثلها بحق الإمام الصادق وشفاعته والتوسل به.

ولا غرو أن يقول الإمام الصادق ما قاله فقد جاء في كتاب الله العزيز إنذارٌ لجدِّه رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾ [الزمر: ٦٥].

هذا بعد أن ينقل القرآن الكريم لنا عن لسان النبي ﷺ: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥﴾ [الأنعام: ١٥]، ومثلها في سورة يونس: آية ١٥، وسورة الزمر: آية ١٣.

نعم يحق للصادق أن يكون كذلك أيضًا لأنه ليس بين الله تعالى وبين أحد من خَلْقِهِ - مهما علت منزلته- نسبٌ ولا قرابةٌ، ولن ينجيه إلا عَمَلُهُ ورحمةُ ربِّه، ألم يقل الله تعالى: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣﴾ [النساء: ١٢٣].

إن مضمون العبارات الشريفة لذلك الحديث الذي أوردناه عن الإمام الصادق يبيِّن براءته من مقالات الغلاة التي كان غلاة عصره ينشرونها وخلَّفوها للأسف للأجيال اللاحقة حتى تلقَّفها منهم غلاة عصرنا!! ألا لعنةُ الله عليهم لعنًا وبيلاً.

١٠ – وفي رجال الكشيّ أيضًا (ص٢٥٤)[1] عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذُكِرَ عنده جعفر بن واقد ونفر من أصحاب أبي الخطاب، فقيل إنه صار إلى بيروذ، وقال فيهم وهُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلهٌ وفِي الْأَرْضِ إِلهٌ، قال: هو الإمام، فقال أبو عبد الله عليه السلام: **"لا والله لا يأويني وإياه سقفُ بيتٍ أبدًا، هم شرٌّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، والله ما صغَّر عظمةَ الله تصغيرهم شيء قط، إن عُزَيْرًا جال في صدره ما قالت فيه اليهود فمحا الله اسمه من النبوة، والله لو أن عيسى أقرَّ بما قالت النصارى لأورثه الله صممًا إلى يوم القيامة، والله لو أقررت بما يقول فيَّ أهلُ الكوفة لأخذتني الأرض، وما أنا إلا عبدٌ مملوكٌ لا أقدر على شيء ضرٍّ ولا نفع"**.

أقول: ولِنُدَقِّق في جملة **"فمحا الله اسمه من النبوة"** ففيها معنىً دقيق وعال، إذ إنها تبين عدم صحة تلك العصمة الموهوبة المطلقة التي يدعيها المغالون بالأئمَّة وتبعًا لذلك بالأنبياء والرسل، لأن عزيرًا قد مُحي اسمه من سجل الأنبياء لمجرد أنه جال في ذهنه أو تصور أن يكون له مثل ذلك المقام، فلا عصمة على ذلك النحو الذي يقولونه، حتى لو أن عيسى بن مريم عليه السلام أقرّ – والعياذ بالله – بما قالته النصارى بحقِّه لفعل الله تعالى به كذا كذا، كما جاء في الرواية!

١١- في كتاب «**الاحتجاج**» للطبرسي (ج٢، ص٢٣٤)[2] عن حضرة الرضا حديث حول القائلين بإلهية أمير المؤمنين جاء في نهايته ما يلي: **" أوليس عليٌّ كان آكلاً في الآكلين وشاربًا في الشاربين وناكحًا في الناكحين ومحدثًا في المحدثين وكان مع ذلك مصليًا خاضعًا بين يدي الله ذليلاً وإليه أوَّاهًا منيبًا؟ أفمن هذه صفته يكون إلها؟؟ فإن كان هذا إلهًا فليس منكم أحدٌ إلا وهو إلهٌ لمشاركته له في هذه الصفات الدالات على حدوث كل موصوف بها!"**.

لاحظوا كيف وصف الإمام جده الكريم حضرة أمير المؤمنين علي عليه السلام ومدحه بصفات يُمكن أن يوجد نظيرها لدى كثير من أفراد البشر.

---

(١) وفي نسخة طبعة جامعة مشهد المحققة، ص ٣٠٠ – ٣٠١.

(٢) وهو في الطبعة الجديدة لكتاب الاحتجاج، في ج ٢، ص ٤٣٩.

وأيضًا روى الكشي في رجاله (ص ١٠٠) فقال: "**ذكر بعض أهل العلم أن عبد الله بن سبإٍ كان يهوديًا فأسلم ووالى عليًّا عليه السلام وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بالغلو، فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في علي عليه السلام مثل ذلك، وكان أول من شهر بالقول بفرض إمامة عليٍّ وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه وأكفرهم، فمن هاهنا قال من خالف الشيعة أصل التشيع والرفض مأخوذ من اليهودية!**" انتهى كلام الكشّي[1].

١٢- في بحار الأنوار (ج ٧، ص ٣٣٢، طبع كمباني) نقلاً عن الصدوق في «**عيون أخبار الرضا** عليه السلام» (باب ٢٨، فيما جاء من الأخبار المتفرقة) عن إبراهيم بن أبي محمود قال قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله! إن عندنا أخبارًا في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وفضلكم أهل البيت وهي من رواية مخالفيكم ولا نعرف مثلها عنكم أفندين بها؟؟ فقال: **يا ابن أبي محمود! لقد أخبرني أبي عن أبيه عن جده عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: مَنْ أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق عن الله عز وجل فقد عبد الله وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس.**

ثم قال الرضا عليه السلام: **يا ابن أبي محمود! إن مخالفينا وضعوا أخبارًا في فضائلنا وجعلوها على أقسام ثلاثة أحدها الغلو وثانيها التقصير في أمرنا وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا فإذا سمع الناس الغلو فينا كفروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا وقد قال الله عز وجل:** ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ [الأنعام: ١٠٨] **يا ابن أبي محمود! إذا أخذ الناس يمينًا وشمالاً فالزم طريقتنا فإنه من لزمنا لزمناه ومن فارقنا فارقناه إن أدنى ما يخرج الرجل من الإيمان أن يقول للحصاة هذه نواة ثم يدين بذلك ويبرأ ممن خالفه يا ابن أبي محمود احفظ ما حدثتك به فقد جمعت لك فيه خير الدنيا والآخرة**".

---

(١) رجال الكشي، ص ١٠٠ في الطبعة القديمة، أو ص ١٠٨ – ١٠٩ في طبعة جامعة مشهد. (المترجم)

انظروا أيها القراء الكرام كيف يحذِّر الإمام عليه السلام ويخوِّف حتى من الذي يقول عن الحصاة نواة ويجعل ذلك الافتراء دينه، ومثله الذي يقول عن إنسان إنه فوق إنسان، وعن بشرٍ إنه ملاكٌ، فما بالك بمن يقول عن بشر إنه يعمل أعمال الله تعالى؟!

١٣- في «**الخصال**» للشيخ الصدوق (ص ٦٣، المطبعة الإسلامية) بسنده عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام قال: "**أَدْنى ما يَخرُجُ به الرجلُ عن الإيمان أن يجلس إلى غالٍ فيستمع إلى حديثه ويصدِّقُهُ على قوله، إن أبي حدَّثني عن أبيه عن جدِّه** عليه السلام **أن رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **قال: صنفان من أمتي لا نصيب لهما في الإسلام، الغُلاةُ والقدرِيَّةُ**".

١٤- أورد العلامة الممقاني في كتابه «**مقباس الهداية**» (ص٨٩) حديثًا عن حضرة أبي الحسن عليه السلام أن حضرة الإمام الصادق عليه السلام قال: " **ما أنزل الله سبحانه آية في المنافقين إلا وهي في من ينتحل التشيع!** "[(١)].

❁❁❁

تمكُّن الغلاة من دسّ كثير من أخبار الغلوّ بين الآثار الصحيحة المروية عن الأئمَّة

رغم كل تلك الأحاديث التي وردت في ذمّ الغلاة نشأت عديد من المذاهب الباطلة باسم طوائف الشيعة مثل فرقة الكَيْسانِيَّة والإسماعيلية والحبّانية والهاشمية والرزاقية والفطحية والسمطية والناووسية والواقفية والخطابية والبيانية والمخمِّسَة والعليائية والنُّصَيْرِيَّة والشريفية والمفوِّضة وأمثالها... وللاطلاع المفصَّل عليها يجب الرجوع إلى كتب الملل والنحل، هذا رغم أنه لم يبق اليوم من كل تلك الفرق الغالية إلا فرقة الإسماعيلية (وتفرُّعَاتها) والنصيريَّة. إلا أن آثار وأقوال تلك الفرق الغالية بقيت بين الشيعة ووجدت

---

(١) هذه الرواية رواها المجلسي في بحار الأنوار (الطبعة الجديدة، ج ٦٥، ص ١٦٧) نقلاً عن الكشي في رجاله عن خالد بن حماد عن الحسن بن طلحة رفعه عن محمد بن إسماعيل عن علي بن زيد الشامي قال قال أبو الحسن (أي الإمام الرضا) عليه السلام قال أبو عبد الله عليه السلام: وذكر الحديث بعينه. (المُنَقِّح)

طريقها إلى كتب أخبارهم وأحاديثهم التي اختلطت فيها الروايات الصحيحة بآثار وأقوال تلك الفرق. وَمَرَدُّ ذلك إلى أن اختلاط وامتزاج تلك الفرق الشيعية القديمة بعضها ببعض كان أمرًا حتميًّا لا يمكن اجتنابه، فكثيرٌ من رجال الشيعة أمضَوا فترات من حياتهم أتباعًا لمذاهب مختلفة وأخيرًا اهتدوا إلى المذهب الحق، أو انصرفوا عن المذهب الحق واتبعوا مذاهب باطلة، مثل «المعلَّى بن خُنيس» الذي كان ـ حسب ما روي ـ مغيريّ المذهب، أي من أصحاب المغيرة بن سعيد الذي لعنه الإمام الصادق ؏ كما مرَّ، ثم اعتنق دعوة محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكية وأُخِذ بتلك التهمة وقُتِل استنادًا إليها. هذا الشخص اعتبره الشيخ الطوسي من أصحاب حضرة الإمام الصادق ؏ وقد روى المعلّى فعلاً أحاديثَ عن الإمام الصادق. وتوجد أمثلةٌ عديدةٌ أخرى لأشخاص كانوا من قبل من أتباع بعض الفرق الباطلة ثم اهتدوا أخيرًا إلى المذهب الحق أو بالعكس.

إضافةً إلى ذلك فإن أصحاب المذاهب الباطلة كانوا يسعَون إلى تلويث المذهب الحق بعقائدهم[1].

---

(١) للشيخ هاشم معروف الحسني في كتابه «الموضوعات في الآثار والأخبار» كلام ممتاز يؤيد تمامًا ما يذكره المؤلِّف هنا حيث يقول: "فقد كان من أخطر الدخلاء على التشيع جماعة تظاهروا بالولاء لأهل البيت، وانْدَسُّوا بين الرواة وأصحاب الأئمة (؈) مدَّةً طويلةً من الزمن استطاعوا خلالها أن يتقربوا من الإمامين الباقر والصادق واطمأن إليهم جمع من الرواة فوضعوا مجموعة كبيرة من الأحاديث ودسُّوها بين أحاديث الأئمة وفي أصول كتب الحديث، كما تشير إلى ذلك بعض الروايات، وقد اشتهر من هؤلاء محمد بن مقلاص الأسدي الذي يكنِّيه الشهرستاني بأبي زينب، والمقريزي بابن أبي ثور، والمغيرة بن سعيد، ويزيع بن موسى الحائك، وبشار الشعيري، ومعمر بن خيثم، والسري وحمزة اليزيدي وصائد الهندي، وبيان سمعان التميمي، والحرث الشامي، وعبد الله بن الحرث وغير هؤلاء ممن لا يسعنا استقصاؤهم، وكان بشار الشعيري وحمزة اليزيدي ومعمر بن خيثم وبيان بن سمعان والمغيرة بن سعيد من دعاة الإلحاد والغلو، فلقد ادعى بشار بأن عليًّا هو الإله، وقال بالتناسخ، وجاء عن الإمام الصادق (؏) أنه قال لِمَرَزِام وكان جارًا لبشار، قال له: إذا قدمت الكوفة فقل له: يقول لك جعفر: يا فاسق يا كافر يا مشرك أنا بريء منك! قال مرزام: فلما قَدِمْتُ الكوفةَ بلَّغْتُهُ الرسالةَ، فقال بشار: وقد ذكرني

وجاء في رجال الكشِّيّ (ص١٩٦)[1] عن يونس عن هشام بن الحكم أنه سمعَ حضرةَ الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام يقول: **"كان المغيرة بن سعيد يتعمد الكذب على أبي ويأخذ كتب أصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب عن أصحاب أبي فيدفعونها إلى المغيرة وكان يدس فيها الكفر والزندقة ويسندها إلى أبي ثم يدفعها إلى أصحابه فيأمرهم أن يبثوها في الشيعة وكلما كان في كتب أصحاب أبي من الغلو فذلك مما دسه المغيرة بن سعيد في كتبهم"**.

سيدي؟ قال نعم ذكرك بهذا، فقال له جزاك الله خيرًا. وأما معمر بن خثيم فقد أحلَّ جميع المحرمات، وأما حمزة فكان يدعي بأن أبا جعفر يأتيه بالوحي في كل ليلة، وأما بيان فلقد ادَّعى النبوة بعد أبي هاشم بن محمد بن الحنفية، وأما المغيرة بن سعيد فلقد ادعى النبوة وكان أكثرهم أتباعًا لأنه كان يستعمل السحر والشعبذة والأساليب التي تضلل البسطاء المغفلين.

وجاء عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: "كان بيان يكذب على علي بن الحسين فأذاقه الله حر الحديد، وكان المغيرة يكذب على أبي جعفر الباقر، وكان محمد ابن فرات يكذب على أبي الحسن موسى بن جعفر، وكان أبو الخطاب يكذب على أبي عبد الله الصادق".

وجاء عن يحيى بن عبد الحميد الحماني: أن جعفر بن محمد (أي الإمام الصادق عليه السلام) كان رجلاً صالحًا مسلمًا ورعًا فاكتنفه قومٌ جهال يدخلون عليه ويخرجون يقولون: حدَّثنا جعفر بن محمد، ويحدِّثون بأحاديث منكرة كلها كذب على الإمام جعفر بن محمد يستأكلون بها الناس، كالمفضَّل بن عمر وبيان وعمر النبطي وغيرهم من الوضَّاعين ونسبوا إليه أنه قال: إن معركة الإمام تكفي عن الصلاة والصيام، وأن عليًّا في السحاب يطير مع الريح، وأن اللهَ إلهُ السماء والإمامَ إلهُ الأرض، إلى غير ذلك من المقالات.

وتؤكد المرويات الصحيحة عن الإمام الصادق عليه السلام وغيره من الأئمة أن المغيرة بن سعيد وبيانًا وصائد الهندي وعمر النبطي والمفضل وغيرهم من المنحرفين عن التشيع والمندسين في صفوف الشيعة وضعوا بين المرويات عن الأئمة عددًا كبيرًا في مختلف المواضيع.

وجاء عن المغيرة أنه قال: وضعتُ في أخبار جعفر بن محمد اثني عشر ألف حديث!، وظلَّ هو وأتباعه زمنًا طويلاً بين صفوف الشيعة يترددون معهم إلى مجلس الأئمة (عليهم السلام) ولم ينكشف حالهم إلا بعد أن امتلأت أصول كتب الحديث الأولى بمروياتهم كما تشير إلى ذلك رواية يحيى بن عبد الحميد السابقة." (تر).

(١) وهو في ص ٢٢٥ من طبعة مشهد.

قلت: فمن هنا نعلم منشأ ومصدر مثل تلك الأحاديث الخرافية الغالية ومَن الذين كانوا يضعونها ويبثُّونها بين المسلمين.

ومن الجهة الأخرى كان عوام الشيعة لشدّة حبّهم وتعلّقهم بأهل بيت النبوّة، أهل بيت الطهارة، يقبلون كلما يُقال باسمهم، وقليلاً ما كانوا يدققون في صحّة وسقم الأحاديث المنسوبة إلى الأئمَّة عليهم السلام خاصّة إذا كانت تتحدث عن فضائلهم، فلم يكونوا يجتهدون في تنقيحها وتصحيحها، وكما توقّع أولئك الأئمَّة الكرام ذاتهم يبدو أنّ الله ذهب بعقول جماعات من أولئك العامّة! كما روى الكشِّيّ في رجاله ذيل بيانه لحال «أسلم المكيّ» مولى محمد بن الحنفية أن الإمام محمد الباقر عليه السلام كان يقول: "**لو كان الناس كلهم لنا شيعة لكان ثلاثة أرباعهم لنا شكّاكا والربع الآخر أحمق!!**".

إن مثل أولئك العوام البسطاء السُّذَّج هم الذين كانوا يصدِّقون كل ما يسمعونه باسم الإمام ويجعلونه ملاكًا لعقيدتهم وأعمالهم ولو كان مخالفًا لصريح آيات القرآن. ومن البديهي أن هؤلاء السُذَّج لم يكونوا مقبولين لدى الأئمَّة - عليهم السلام - الذين كانوا زبدة الناس وأعقلهم وأحكمهم فما كان الأئمَّة - عليهم السلام - يحبّون أمثال أولئك السُّذَّج، بل كانوا يحبُّون العقلاء النبهاء كما روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: "**إنا لنحب من شيعتنا من كان عاقلاً فهيمًا حليمًا مداريًا صدوقًا وفيًّا**".

جاء في «**أمالي**» الشيخ المفيد (ص ١١٣، المجلس ٢٣) نحو ذلك الحديث عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: "**إنا لنحب من شيعتنا من كان عاقلاً فهمًا فقيهًا حليمًا مداريًا صبورًا صدوقًا وفيًّا. ثم قال: إن الله تبارك وتعالى خصَّ الأنبياء عليهم السلام بمكارم الأخلاق فمن كانت فيه فليحمد الله على ذلك ومن لم تكن فيه فليتضرَّع إلى الله تبارك وتعالى وليسأله. قال: جُعِلت فداك! وما هي؟ قال** عليه السلام: "**الورع والقنوع والصبر والشكر والحلم والحياء والسخاء والشجاعة والغيرة والأمانة**".

وكما قلنا من قبل ذيل بحثنا حول الولاية[1] وحول مودة المؤمنين بعضهم بعضًا: إن محبّة المؤمنين ومودَّتهم هي تلك السنخية في أعمالهم الحسنة التي يقومون بها تجاه بعضهم بعضًا. وإنّ محبّة عليٍّ عليه السلام وأولاد عليٍّ عليهم السلام هي في الحقيقة محبة حقائق الدين والأعمال الحسنة والخصائل الفاضلة التي كان عليٌّ والخُلَّص من أولاده مظهرًا بارزًا لها. فحبُّ عليٍّ عليه السلام يعني حبَّ الإيمان بالله، لأن عليًّا عليه السلام كان من أكبر المؤمنين بالله، بل المظهر الأتم للإيمان، وحبُّ عليٍّ عليه السلام يعني حبَّ الإيمان بالقيامة والحرص على إعداد الزاد لها من التقوى والأعمال الصالحة، لأن عليًّا عليه السلام كان من أكبر المؤمنين بالقيامة، كما قال تعالى بشأنه و شأن أهل بيته: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان: ٧]، وفي النهاية حبُّ عليٍّ عليه السلام يعني حبَّ الصلاة والزكاة والمساواة ونصرة المظلوم ومحاربة الظالم والأخذ على يديه، وحب العدالة، وسائر الفضائل الإنسانية العالية التي كان عليٌّ عليه السلام أكبرَ مظهر لها، أما تلك المحبة الوهميَّة التي يدَّعيها المتخيِّلون أصحاب الأوهام - ويسمُّونها ولاية عليٍّ - لا ينشأ منها أي خير و فائدة.

إن التشابه في السنخ وفي الطبيعة الخلقية هي التي تجعل الأفراد أحباء بعضهم بعضًا. أما أنواع الحب الأخرى فليست بشيء، وربما كان منشؤها أمورًا ماديَّةً. فشيعة عليٍّ عليه السلام وأتباعه معناها أنهم محبُّو العدالة والأمانة و العفَّة و التقوى و... و... كما روى الطبرسي[2] في كتابه

---

(١) أي في القسم الثاني من الكتاب الحاضر "**سبيل النجاة من شر الغلاة**" الذي عنوانه «بحث در ولايت وحقيقت آن» أي بحث في الولاية وحقيقتها.

(٢) هو أبو الفضل، علي بن الحسن بن الفضل بن الحسن الطبرسي. وهو ابن الحسن بن الفضل الطبرسي صاحب كتاب «**مكارم الأخلاق**» وحفيد أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطبرسي صاحب تفسير «**مجمع البيان**». كان من كبار علماء الإمامية في القرن السادس الهجري، ولم يُعْرَف بالضبط تاريخ ولادته ووفاته، ولكن بالنظر إلى أن تاريخ وفاة جده أمين الإسلام الطبرسي كانت في سنة ٥٤٨ للهجرة فمن المحتمل قويًّا أنه قد أدرك جده وعلى هذا فإنه يمكن القول بأن وفاته كانت خلال سنوات القرن الهجري السادس.

«**مشكاة الأنوار**» عن "عبد الله بن زياد قال سلَّمنا على أبي عبد الله عليه السلام بمنى ثم قلتُ: يا ابن رسول الله! إنا قومٌ مجتازون لسنا نطيق هذا المجلس منك كلما أردناه ولا نقدر عليه فَأَوْصِنا. قال: **أوصيكم بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الأمانة وحسن الصحابة لمن صاحبكم وإفشاء السلام وإطعام الطعام صلوا في مساجدهم و عودوا مرضاهم و اتّبعوا جنائزهم فإن أبي حدثني أن شيعتَنا أهلَ البيت كانوا خيار من كانوا منهم، إن كان فقيه كان منهم وإن كان مؤذن كان منهم وإن كان إمام كان منهم و إن كان كافل يتيم كان منهم وإن كان صاحب أمانة كان منهم وإن كان صاحب وديعة كان منهم فكذلك فكونوا، حبِّبُونا إلى الناس ولا تُبَغِّضُونا إليهم** "[١].

وفي المجلد الحادي عشر من **بحار الأنوار** نقلاً عن الشيخ المفيد في «**الإرشاد**» بسنده عن سفيان بن عيينة عن ابن شهاب الزهري قال: "**حدثنا علي بن الحسين** عليه السلام **وكان أفضل هاشمي أدركناه قال: أحبونا حب الإسلام فما زال حبُّكم لنا حتى صار شينًا علينا.** "[٢].

وفي كتاب «**المناقب**» لابن شهر آشوب[٣] (ج٤، ص ١٦٢) نقلاً عن حلية الأولياء "**قال**

(١) علي بن الحسن الطبرسي، «مشكاة الأنوار»، ط٢، النجف: المطبعة الحيدرية، ١٣٨٥هـ، ص ١٤٦.

(٢) الشيخ المفيد، الإرشاد، ج٢، ص ١٤١. (المترجم)

(٣) هو رشيد الدين، محمد بن شهرآشوب المازندراني، من علماء الشيعة الإمامية وفقهائهم ومحدثيهم البارزين في القرن السادس الهجري، وُلِدَ في مازندران (شمال إيران) سنة ٤٨٩ هـ، وطاف في البلدان يتلقى العلم عن علماء الشيعة والسنة في عصره فكان من أساتذته جار الله الزمخشري المعتزلي، والفضل بن الحسن الطبرسي صاحب تفسير مجمع البيان والشيخ الطبرسي صاحب الاحتجاج وقطب الدين الراوندي وغيرهم. من أشهر كتبه: «مناقب آل أبي طالب عليهم السلام» في أربعة مجلدات وكتاب متشابه القرآن وكتاب أساب النزول. أثنى عليه بعض علماء أهل السنة، فضلاً عن علماء الشيعة، فوصفه العلامة شمس الدين الداودي تلميذ السيوطي بأنه وصل إلى غاية التخصص في مختلف العلوم وكان إمام زمانه ووحيد عصره. أكثر تضلعه في علوم القرآن والحديث وهو بين الشيعة من حيث اعتباره ومنزلته كالخطيب البغدادي بين أهل السنة. اهـ. وجاء في ترجمته في كتاب «الوافي بالوفيات» للصفدي: أن ابن شهرآشوب حفظ القرآن وله ثمان سنين وبلغ النهاية في أصول الشيعة، كان يُرْحَل إليه من البلاد،

يحيى بن سعيد: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول واجتمع عليه أناس فقالوا له ذلك القول يعني الإمامة فقال: أحبونا حب الإسلام فإنه ما برح بنا حبكم حتى صار علينا عارًا "[(١)].

وروى الكشي في رجاله (ص ١١١)[(٢)] عن أبي خالد الكابلي قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: "**إن اليهود أحبوا عزيرًا حتى قالوا فيه ما قالوا فلا عزير منهم ولا هم من عزير، وإن النصارى أحبوا عيسى حتى قالوا فيه ما قالوا فلا عيسى منهم ولا هم من عيسى، وأنا على سُنَّةٍ من ذلك إن قومًا من شيعتنا سيحبُّونا حتى يقولوا فينا ما قالت اليهود في عزير وما قالت النصارى في عيسى ابن مريم فلا هم منا ولا نحن منهم**".

قلتُ: ومن البديهي أن أحدًا من أمة الإسلام لن يجرؤ على القول بأن الإمام الفلاني كان ابن الله، تعالى الله عن ذلك، لأن آيات القرآن ردت على نحو متكرر وبأشد العبارات صراحة ادعاء الابن لِلَّهِ، والمسلمون يقرؤون على الأقل خمس مرات في اليوم والليلة في ركعات صلواتهم سورة الإخلاص التي تؤكد أنه تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [الإخلاص: ٣]، لذا فإن الغلو سيكون بشكل آخر ألا وهو نسبة الصفات الإلـهية المغالية للأئمة كالقول بأنهم مدبِّرو الكون والمتصرّفون في عالم الإمكان ونحو ذلك من العقائد الباطلة السخيفة، والواقع أن مثل هذه العقائد أسوأ و أقبح مما ادعته اليهود بحق العُزَير والنصارى بحق عيسى بن مريم عليه السلام، كما نبَّه إلى ذلك الأئمَّة أنفسهم حين قال صادقهم: "**وَاللهِ إنَّ الغلاةَ شرٌّ من اليَهُودِ وَالنَّصَارى وَالمجُوسِ وَالذِينَ أشْرَكُوا**"!

فالذي يؤمن بالله الواحد وبنبوة الأنبياء ويخشى يوم الحساب ويتبع أهل بيت النبي الطاهرين ويحبهم ويتمتع بعقل نابه ووجدان حي لا يمكن أبدًا أن يتفوه بمثل تلك الكلمات

ثم تقدم في علم القرآن والغريب والنحو، ووعظ على المنبر أيام المقتفي ببغداد فأعجبه وخلع عليه، وكان بهي المنظر حسن الوجه والشيبة صدوق اللهجة مليح المحاورة واسع العلم كثير الخشوع والعبادة والتهجد لا يكون إلا على وضوء. اهـ، تُوُفِّيَ في حلب شمال سورية، سنة ٥٥٨هـ ودفن بها. (تر)

(١) ابن شهرآشوب المازندراني، **المناقب**، قم: مؤسسة العلامة للنشر، ١٣٧٩هـ، ج٤، ص١٦٢.

(٢) وفي نسخة رجال الكشي، طبع جامعة مشهد في ص ١٢٠. (تر)

التي هي من عقائد الغلاة فضلاً عن أن يسمح لمثل تلك الخيالات الباطلة والشرك المحض أن تجد طريقها إلى قلبه بل ينهض إلى محاربة مثل تلك الخرافات دون خوف من أتباعها حتى ولو خالفه آلاف ممن يتسمَّون بآيات الله العظمى، وعمدوا إلى إصدار الفتاوى في تكفيره لأن هذه الفتاوى هي في الحقيقة مردودة على هؤلاء الذين يكفرون الموحدين، وهم أنفسهم كفار ومشركون بنص القرآن الكريم، وهم من تنطبق عليهم هذه الآية الكريمة: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖ﴾ [التوبة: ٥].

بهذا نختتم هذا الفصل آملين أن ينفع تذكيرنا هذا مجتمعنا الذي عشعشت فيه الخرافات وأن يوقظ النفوس الصادقة المتهيئة لقبول حقائق الإسلام ويهديها إلى الحق والصواب، فتبرأ من أمثال تلك الموهومات وتتمسك بعروة النجاة الوثقى القرآن الكريم والأحاديث التي يصدِّقها القرآن فتنجو من تلك الضلالات وتنال سعادة الدنيا والآخرة إن شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

❊❊❊

خلاصة مباحث كتاب «طريق النجاة من شر الغلاة»

في ختام مباحثنا الخمسة نقول إن قصدنا منها كان بيان خلاصة عن العقائد الإسلامية الصحيحة. ولعلَّ القراء الكرام الذين ربّما أصيبوا بالحيرة لدى قراءَتِهم تلك المباحث التي كشفت لهم أن كثيرًا من العقائد والأفكار التي كانوا يظنُّونها من قبل جزءًا من حقائق الإسلام يسألون إذن ما هي الحقيقة؟

لذا وضعنا أمام القراء الكرام العقائد والأحكام التي أوحى بها الله تعالى رب العالمين بواسطة آيات القرآن الكريم إلى نبي آخر الزمان ﷺ. وقد رأينا أن هذا العمل لا يتحقق بالاختصار، كما أن ذكره بالتفصيل يخرج عن حدود هذه الرسالة، ومن الجهة الأخرى يحتاج إعداد هذه المطالب بشكل مفصَّل إلى وقت أكثر ومن جهة ثالثة، ليس لدينا وسيلة لطباعة ونشر كتاب مفصل كبير في هذا الأمر، وخير شاهد على ما نقول الوضع المتواضع جدًّا لهذا الكتاب الذي بين أيدينا من حيث الطباعة والإخراج والذي اضطرُرنا إليه نتيجة قلة الإمكانات والوسائل!

لذلك صرفنا النظر عن كتابة كتاب مفصَّل في هذا الصدد وأوكلنا الموضوع إلى وقت آخر إن شاء الله عسى أن ييسِّر الله لنا في المستقبل تأليف كتاب جامع حول حقائق عقائد وأحكام الإسلام بتفصيل تام لنضعه في متناول طالبيه.

وهنا نكتفي في هذه الخلاصة الختامية بتلخيص نهائي للمباحث التي بحثناها في كتابنا «**طريق النجاة من شر الغلاة**» ليكون ذلك بمنزلة فهرس ختامي لمطالبه:

لقد قمنا في كتابنا هذا ببحث المطالب العقائدية الهامة التالية والتحقيق بها وفصَّلنا أمرها بقدر الوسع:

١- في المبحث الأول أثبتنا أن علم الغيب مختص بذات الباري تعالى ولا أحد من

المخلوقات من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين أو الأولياء الصدِّيقين وعباد الله الصالحين يملك علم الغيب بل لا يعلم أحدٌ من المخلوقات مهما علا شأنه شيئًا من الغيوب إلا ما علَّمه الله تعالى وأبلغه إلى رسله عبر الوحي، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيَ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ۝٢٥ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ۝٢٧﴾ [الجن: ٢٥، ٢٧]، وقد أثبتنا أن هذا المطلب ثابت وواضح في آيات القرآن الكريم وسيرة النبي الكريم ﷺ وتاريخ الأئمَّة عليهم السلام وعقائد الأصحاب والخاصة وأقوال العلماء والفقهاء. وعلاوة على ذلك فإن العقل والوجدان والبينة والبرهان كلها شاهد صدق كافٍ على هذه الحقيقة. كما أوضحنا أن معرفة علم الغيب والاطلاع على الحوادث المستقبلية لا ينفع أي بشر بل هو مضر تمامًا ولأجل هذه الحكمة البالغة اختص الله تعالى ذاته المقدسة بعلم الغيب وأخفاه عن مخلوقاته وستره عنها.

٢- في المبحث الثاني حول موضوع الولاية حققنا وبحثنا في حقيقة الولاية وأثبتنا أنها المحبة والولاء والمودة التي يبذلها المؤمنون لبعضهم البعض والتي أوصى بها الله تعالى وأكد عليها في قرابة مئة آية من آيات القرآن، وللأسف، ليس هناك أثرٌ اليوم لتلك المودة والمحبة التي أرادها القرآن بين المسلمين. بل كما نرى بكل أسف لقد فسروا الولاية التي أرادها القرآنُ تفسيرًا خاطئًا حوَّلها إلى وسيلة للعداوة بين طوائف المسلمين الذين يبتعدون يومًا بعد يوم عن بعضهم بسبب ما يثيره الأعداء بينهم، إلى حد الاقتتال بين أفرادهم، ذلك لأنهم من جهة حصروا الولاية المتعلقة في الأصل بعامة المسلمين تجاه بعضهم البعض بولاية أفراد معدودين خاصين وهم الأئمَّة من آل البيت الذين رحلوا جميعًا عن هذه الدنيا ولم يبق أحد منهم اليوم كي يستفيد من تلك الولاية، وحتى لو وُجِد فمن المسلَّم أنه لا يمكنه الاستفادة منها. لأن المعنى الذي يريده أولئك من الولاية والمحبة لأولئك الأفراد الخاصين، والذي حرموا منه الآخرين ومنعوه عنهم هو نوع من المحبة الخيالية التي المحبة والمحبوب كلاهما فيها خياليان، أما كون المحبوب فيها خياليًا مُتَوَهَّمًا فلأنَّ عليًّا الذي يحبّه الغلاة هو عليٌّ عليه السلام المحيط بكل العالَم والمسيطر على جميع الأمم من بني آدم وعلى كل الموجودات والعالِمُ

بالمغيبات والقادرُ على حل جميع المشكلات وقاضي الحاجات ومحيي الأموات وأمثال هذه الصفات، وفي الوقت ذاته هو عليٌّ الذي سيدافع عن أعمالهم ويشفع لهم ويمحو سيئاتهم ويأخذهم في النهاية إلى أعلى درجات الجنان. فإذن هم يحبون كائنًا لا يوجد في عالم الواقع بل لا يوجد إلا في خيالهم. وشتَّان شتَّان بين الحقيقة وتلك الخيالات! ثم آنئذ جعلوا هذه الولاية التي لا أحد يدري من المولى فيها ومن المولّى عليه وسيلة للعداوة مع سائر المسلمين من أبناء الطوائف الأخرى الذين أُمِروا في الأصل أن يوالوهم ويحبوهم.

وأما كون المحبة في تلك الولاية خيالية فلأنهم ابتدعوا ولايةً عجيبةً لا علاقة لها بالشعور أو العاطفة، إذ يقصدون بالولاية التي يدّعونها لأمير المؤمنين علي عليه السلام والأئمَّة الميامين من أولاده، الولاية التكوينية أي أن أمير المؤمنين وكل واحد من الأئمَّة الآخرين متصرفٌ في الكون والمكان ومدبِّرٌ لعالم الإمكان، ودليلهم علي هذه الولاية، كما يظهر في كلماتهم ومؤلفاتهم، هو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [المائدة: ٥٥]، هذا مع أن الآية خطاب للمؤمنين، فالولاية فيها خاصة بهم في حين أن ما يذكروه من ولاية تكوينية لا تختصّ بالمؤمنين بل تعمّ كلّ المخلوقات لأن الوالي المتصرف في الكون والمكان يملك الولاية على كل الموجودات لا على طائفة خاصة من المؤمنين؟! إن هؤلاء لم يسمحوا لأنفسهم أن يفكروا أنه لو كانت الولاية بهذا المعنى فلماذا جعلها الله مختصة بالمؤمنين، ولم يلاحظوا أن هذا لا ينسجم أبدًا مع معنى الولاية التكوينية وتدبير أمور العالم، هذا بمعزل عن أن مثل هذه العقيدة بالولاية التكوينية شرك محض بل أسوأ من شرك مشركي زمن الجاهلية!! والواقع أن الآية المستشهد بها لا علاقة لها بتلك الولاية التكوينية المدَّعاة بل معناها – إذا تركنا التعصب والعناد والحماقة جانبًا ـ واضح وضوح الشمس في وَضَح النهار، وهو المحبة والمودة والتعاون بين المؤمنين التي يدل على وجوبها العقل والوجدان وسنة الكون التي لا تتغير إضافة إلى مئات الآيات القرآنية الكريمة الأخرى. وهذه المحبة لو شاعت بين المؤمنين لحولت الدنيا إلى جنة ولارتقت بالمسلمين إلى أعلى الدرجات. أما المحبة التي يدعيها أولئك الغلاة فما الذي أفادته حتى الآن سوى العداوة والتفرقة بين المسلمين؟! أحقًّا كان هدف الله من خلق العالم

وبعثة الأنبياء وإنزال الكتب خاصة القرآن بكل آياته هو إثبات تلك الولاية المدَّعاة؟! تعالى الله عما يقول الجاهلون علوًّا كبيرًا.

ولا شك أن ولاية علي وآل علي عليهم السلام بمعنى محبتهم والإيمان بإمامتهم من جهة أنهم أفضل المؤمنين من أفضل الولايات، والأحاديث والأخبار التي صدرت حول هذا الموضوع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمَّة عليهم السلام والتي حُفِظَت من دسائس الغلاة والدجالين أحاديث صحيحة وقائمة، ولكن كم كان من الأفضل أن تُقَدَّم تلك المحبة والولاء والمودة إليهم حال حياتهم لتكون منشًا لأعمال صالحة، كما هو بكل تأكيد الغاية من صدور تلك الروايات وتواترها، وإلا فما هي الخيرات والبركات المنتَظَرة من محبة الأموات وعشقهم؟ وما الثمرات الحاصلة منها سوى المحبة الخيالية لمحبوبين خياليين والمدائح المليئة بالغلو ونسبة صفات الله تعالى إلى بعض عباده المحتاجين إليه، والتي ليست سوى شرك وابتعاد عن الحقائق وتعدي على حرمة التوحيد.

ما هي الفوائد – بشهادة التجربة والحس والتاريخ - التي حصلت من ذلك المفهوم للولاية حتى اليوم حتى نستمر به؟! ولعل قائلاً يقول إن نتيجة وأثر مثل تلك الولاية والمحبة هي أن تستقرَّ محبة النبي والأئمَّة في القلوب وتطمئن القلوب لصدقهم وأحقيتهم وبالنتيجة تتبعهم الأنفس في تعاليمهم فتطبق أحكام الله تعالى بفضل ذلك. وهذا الادعاء وإن كان صحيحًا في الظاهر إلا أن الذي نراه في مجتمعنا هو خلاف هذه النتيجة. إن هذا الادعاء إنما يكون صحيحًا عندما يكون المظروف أعز من الظرف، وعندما يكون الهدف من حفظ واحترام الظرف هو حرمة وعزة المظروف، وبعبارة أخرى، عندما تكون محبة أولياء الله الذين هم ظرف الحقائق والأحكام الإلهية فرعًا لمحبة تلك الأحكام وشرائع الدين، في حين أن القضية اليوم هي عكس ذلك تمامًا، فقد استغرق القوم بمحبة الظرف ذاته (ذوات النبيّ والأئمَّة) إلى أبعد حد وغرقوا في محبة خيالية، وضعف اهتمامهم بالمظروف – أي بالدين والتعاليم -، والعيان يكفي عن البيان. وبعبارة ملخَّصة، إنَّ محبَّة الإمام فرعٌ لمحبة الدِّين وليس العكس!

٣- وفي المبحث الثالث الذي خصصناه للبحث في مسألة «الشفاعة وحقيقتها» بيَّنَّا أن مفهومها الخاطئ الذي شاع بين المسلمين حول الشفاعة كان أحد الأسباب الأساسية لغرورهم وتأخرهم وتجرُّؤ أرباب الفجور على معاصي الله وتهرُّبِهم من العمل بشرائعه وأحكامه، إضافة إلى أن ذلك المفهوم الخاطئ للشفاعة أدى إلى نشأة بدع وأعمال ما أنزل الله بها من سلطان، بل نهى عنها الرحمن، فذلك المفهوم للشفاعة هو الذي دعا إلى تعمير القبور وتجصيصها وبناء الأضرحة والمراقد وتزيينها بالذهب والفضة والجواهر وإضاعة الأموال على قبور الأموات واختراع زيارات وتضمينها عبارات مغاليةً كفريةً، وإقامة مجالس عزاء مبتدعة ونذورات وموقوفات مخالفة لأوامر الله ومرضاته واختراع أدعية وصلوات مجهولة أو عبادات غير مشروعة ولا معقولة أملاً بتلك الشفاعة الخيالية. هذا مع أن الشفاعة بتلك الصورة والكيفية التي يتخيلونها لا يشهد لها لا العقل ولا الوجدان ولا يصدقها القرآن. بل الآيات التي جاءت في القرآن حول الشفاعة، أكثرها يتعلق برد تلك العقيدة الدينية التي كانت في أزمنة الجاهلية والتي كان أصحابها يؤمنون بالآلهة التي تدير بعض شؤون الخليقة والتي كان لكل منها مقام إلهي خاص مثل: إله المطر، إله البحر، إله الحرب، إله القحط والرخص، وأخيرًا تطورت تلك العقيدة إلى صورة ألطف شركًا حيث أصبحت عقيدة بملائكة وبأولياء صلحاء خاضعون لسلطان إله الآلهة الذي يحدد لهم مهامهم التي عليهم تنفيذها في الكون.

ولقد أنكر القرآن الكريم واسطة وشفاعة الملائكة في شؤون الخليقة لكنه اعتبر عملهم وسيلة بإذن رب العالمين الذي قال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. ولم يقبل الشفاعة في الآخرة بتلك الصورة المتصوَّرة أبدًا، لأنه أولاً لم يكن الوثنيون المشركون الذين نفى القرآن الكريم شفاعة أصنامهم يعتقدون بالآخرة والقيامة أساسًا. وثانيًا: إن الشفاعة بتلك الصورة تشبيه لنظام الخلق ببلاط السلاطين المستبدين الجبارين، وهي منافية للإيمان بالرب العليم القدير والمختار. نعم، الشفاعة التي يقبلها القرآن والعقل والوجدان هي استغفار الرسول ﷺ والمؤمنين لسائر المؤمنين، وكذلك استغفار الملائكة لمن في الأرض

طبقًا لإذن الله المتعال وعملاً بأمره الذي قال: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩] وهي الشفاعة ذاتها التي أذن الله بها قبلاً للمؤمنين والتي سيظهر نفعها يوم القيامة كما قال سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩] كما مر شرحه مفصَّلاً.

٤- وفي المبحث الرابع الذي خصصناه لموضوع «زيارة القبور» بيّنّا أنه لا أثر ولا دليل على تلك الزيارات الخاصَّة للمراقد لا في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ ولا في عمل مسلمي الصدر الأول، بل بينا أن نهىَ رسول الله ﷺ في بداية بعثته عن زيارة القبور أمر متواتر. ثم سمح بها ﷺ لأنها تذكرنا بالآخرة. ولكننا نرى اليوم أن هذه الزيارات للقبور والمراقد قد أخذت صورة يمكن أن نقول إنها مصداقٌ كاملٌ للآية الكريمة التي ذمَّت عبّاد الأوثان فقالت: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الصافات: ٩٥]. فلقد بنى المسلمون مراقد على ما اعتبروه في منامهم أو خيالهم قبورًا لأئمة أو صالحين، وشيَّدوا عليها قبابًا وأضرحة وأخذوا يخترعون لها زيارات وأدعية خاصة ويعلم الله كم أصاب المسلمين، من هذا الباب، من ضرر وخسائر في دنياهم وآخرتهم.

٥- وفي المبحث الخامس درسنا موضوع «الغلاة» فبحثنا في نشأة الغلو وعرَّفنا بالغلاة وأفكارهم وفرقهم وبينَّا أنهم أعداء الدين الحقيقيين الذين أدخلوا فيه كل تلك البدع والخرافات، وبينَّا كيف قام الأئمَّة عليهم السلام بالتحذير من شرهم وأنهم أسوأ من اليهود والنصارى والمجوس والمشركين، كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: **احذروا على شبابكم الغُلاةَ لا يُفسِدُونَهُم، فإنَّ الغُلاةَ شرُّ خَلْقِ الله، يُصَغِّرُونَ عَظَمَةَ الله، وَيَدَّعُونَ الرُّبُوبِيَّةَ لِعِبَادِ الله، وَالله إنَّ الغلاةَ شَرٌّ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارى وَالمجُوسِ وَالذِينَ أَشْرَكُوا**".

وأخيرًا نقول: رغم أن إزالة غبار الخرافات والأباطيل المتراكم بشدَّة فوق الوجه النوراني لشريعة الإسلام قد يبدو لأول وهلة عملاً عسيرًا للغاية يتطلب جهودًا جبّارة وتحمّلاً لأذى كبير، نظرًا لطول العهود التي تراكمت فيها تلك الأوساخ والشوائب، حتى أصبح الكثيرون يظنُّون أنها جزء لا يتجزأ من حقيقة الدين، إلا أن هذا لا يعفينا من المسؤولية

التي توجب علينا أن نقوم بهذا الجهد الذي له من الأهمية البالغة في نظرنا ما يفوق أهميَّة أيِّ أمر آخر.

﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ٨٨﴾ [هود: ٨٨].

انتهيتُ من تأليف هذه الرسالة سنة ١٣٥١ هجرية شمسية (١٩٧٢م) وستتم طباعته هذا العام أي سنة ١٣٥٩ هجرية شمسية (١٩٨٠م) إن شاء الله.

قلمداران

تذكرة

ألفت هذا الكتاب في خمسة أبحاث: علم الغيب، والولاية، والشفاعة، والزيارة، والغلاة. وقد ألفته ردًا على أحد مدعي العلم والمتلقب زورًا بآية الله العظمى! الذي ألف رسالة بعنوان «**أمراء هستى**» (أمراء الكون). وأسميت كتابي هذا «راه نجات از شر غلات» (**سبيل النجاة من شر الغلاة**).

طُبع البحث الأول بعد تحمل مشقات ومخاطر وخسائر كثيرة. كما أن بحثَيْ الشفاعة والتعريف بالغلاة طُبِعا بصورة مضطربة كم ترونها، لِيُجْعِلا في متناول الطالبين. ولكننا لم نوفق حتى الآن في طباعة بحثَيْ الولاية والزيارة وربما لن نوفق في ذلك أبدًا! لأننا لا نجد في مجتمعنا تلك الرؤية وسعة النظر التي تؤهل أبناءه لقبول مثل هذه الأبحاث والتحقيقات. من البديهي أننا بالغنا في بداية هذا العمل بالأمل والتمني بأن يمتلك أبناء مجتمعنا سعة النظر والرؤية والأهلية لتقبل هذه الأبحاث الجريئة، لكننا أدركنا من خلال هذه المسيرة الطويلة التي عشناها من عمرنا أنه ليس شعبنا فقط بل يمكن القول إن جميع المجتمعات البشرية تتبع في مسائل الدين والاعتقاد آباءها وأمهاتها والبيئة المحيطة بها وأن الذين يتبعون منهم العقل والمنطق والدليل والبرهان قليلون جدًّا. وكما بيّن لنا القرآن الكريم مرارًا: ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ۝٥٣﴾ [المؤمنون: ٥٣ الروم: ٣٢]. نعم، أغلبُ الناس غير مستعدين لبذل ولو القليل من الجهد للبحث والتحقيق في مدى صحة عقائدهم الدينية حتى بمقدار الجهد الذي يبذلونه للاطمئنان إلى صحة العملة الورقية من خمس تومانات وعدم كونها مزورة!

فمثل هذه المؤلفات لا قيمة لها لدى عامة الناس وليس هذا فحسب بل إنهم يصرفون كل ما أوتوا من قوة لمعاداتها وعرقلة نشرها، وقد فعلوا ذلك! فمثلاً، الناس في مجتمعنا يقبلون بإمام وأحيانًا نبي يعلم الغيب ويتصرف في الكون والمكان ويدبر عالم الإمكان،

ويخترق الأبواب وهو لا يزال في قماط الطفل الرضيع، ويطير بقماطه به إلى أعالي السماء! ويعتقدون أن المحبة الخيالية لمثل هذا النبي والإمام ستنجيهم يوم القيامة وترفع من درجاتهم عند الله من خلال شفاعتهما التي يضمنونها لأنفسهم بفضل اعتقادهم بولايتهما وما يقومون به من زيارة قبورهم، وبذا سينالون سعادة الدارين والفوز في النشأتين. أما النبي والإمام اللذَيْن تعرض لهما العوارض البشرية كسائر الناس ولا يتميزون عن بني البشر سوى بالوحي والإلهام وواجب إبلاغ رسالة الله للناس وصدق الكلام، فإن الناس يعتبرون اتِّباعهم عارًا عليهم! هذا في حين أن مثل هذا الاعتقاد باطل بحكم العقل والوجدان وبدليل القرآن، وهو اعتقاد يستوجب خسران الدنيا والآخرة، لأن اتباع مثل هذا النبي أو الإمام الذي يتمتع بتلك الصفات الإلهية ما وراء البشرية مخالف لعدل الخالق. إن النبي والإمام الذي يمكن اتباعه هو من يتمتع بصفات قرنائه من بني البشر ولا يمتاز عنهم إلا بالوحي والإلهام وصدق الكلام عن الله العلام. لكن المستكبرين والجاهلين يفرون من مثل هذه الحقيقة ولا يعلمون أن هوى النفس ورغباتها لا تستند إلى الحقيقة وأن معاداة الحقيقة خطأ فادح.

نعم، لقد وضعنا أمام القراء الكرام ما استطعنا بيانه في هذا الموضوع مسترشدين بالعقل والقرآن ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: ٧]. وما على الرسول إلا البلاغ المبين. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

حيدر علي قلمداران

ملتمسًا الدعاء من القراء الكرام

❁❁❁

ملخص كتب مجموعة الموحدين

المطبوعة ضمن هذا المشروع

١- سوانح الأيام

١

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقَعِيّ القُمِّيّ

سيرة ذاتية كتبها المرحوم أبو الفضل البرقعي -أحد أعمدة وأعلام المحاربين لخرافات الشيعة وبدعهم في إيران المعاصرة - عن حياته. تنبع أهمية الكتاب الحالي من روايته لتاريخ التحولات السياسية - الدينية في إيران المعاصرة في عهد الحكم البهلوي (رضا شاه ومحمد رضا شاه) وإلى ما بعد الثورة الإيرانية وحتى سنة ١٤١٤ هـ(١٩٩٢ م)، ويحلل ويشرح دور ومواقف علماء الدين الشيعة في الحوادث المختلفة التي عرضت للمجتمع الإيراني ويميط اللثام عن حقائق مجهولة لكثير من القراء؛ بناءً على ذلك، فإن كتاب «سوانح الأيام» إضافة إلى كونه شرحاً شخصياً لحياة العلامة البرقعي، يبين كثيرًا من الوقائع التاريخية المكتومة ويكشف النقاب عن حقيقة الحكومة المتظاهرة بالإسلام في إيران. بعد أن يُعَرِّفَ المؤلِّفُ بِنَسَبِهِ وأُسْرَتِهِ، يذكر نبذة عن مرحلة طفولته ودراسته الابتدائية ثم يشرح دراساته الحوزوية. ويواصل كلامه ببيان نشاطاته السياسية والاجتماعية في مرحلة الشباب ويعرفنا بأساتذته في الحوزة ويذكر نصوص إجازات رواية الحديث التي نالها منهم. ومن أقسام الكتاب المهمة بيان لقاءات البرقعي وحواراته مع كثير من علماء الشيعة المرموقين في إيران ومكاتباته مع كثير منهم - بما في ذلك الخميني والخامنئي - التي غطت جزءًا كبيرًا من الكتاب، في حين تغطي الفصول الأخيرة منه طريقة تعامل الحكومة الإيرانية مع المؤلف وبيان الأذى الذي تعرض له على أيدي رجال الحكم وحوادث السجن والاغتيال الفاشل التي تعرض لها.

٢- عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقَعِيّ القُمِّيّ

بحثٌ جامعٌ حول أحاديث كتاب (أصول الكافي)، وبيان تعارضها مع القرآن الكريم وسنة النبي الأكرمﷺ ومناقضتها لمعايير العقل والمنطق. اعتبر المؤلف أن متون كثيرٍ من أخبار أصول الكافي مخالفةٌ للعقل وللقرآن. وبيّن في المقدمة المفصلة إلى حد ما للكتاب الدلائل على رجحان القرآن وحجيته مقارنةً بالسنة والروايات مستفيدًا في ذلك من المصادر الشيعية الأساسية. في بداية الكتاب، بيّن المؤلف باختصار طريقة تدوين أحاديث الشيعة وأسباب نفوذ الأحاديث الموضوعة في كتبهم وكيفية انتشارها في تلك الكتب وتأثيرها في بناء الفكر الشيعي، كما بيّن الدوافع والعوامل التي ساعدت على اتساع هذا الأمر. ثم بدأ المؤلف بدراسة أحاديث كل باب من أبواب أصول الكافي على حدة وعقد ١٨٢ فصلاً محّص في كل فصل الأحاديث الواردة فيه مبيناً الأحاديث الموضوعة منها بذكر الدلائل على كونها موضوعة من القرآن والسنة النبوية وروايات أئمة الشيعة ومن حال رواة أسانيد تلك الأحاديث. إن هذا الكتاب إلى جانب كتابي (صحيح الكافي) لمحمد باقر البهبودي من أهم الكتب التي أُلِّفَتْ في تنقية كتاب أصول الكافي للكُلَيْني وتنقيحه وتصفيته من الأخبار الموضوعة وغير الصحيحة.

٣- تعارض «مَفَاتيح الجِنان» مع القرآن

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقَعِيّ القُمِّيّ

الكتابُ دراسةٌ وتحليلٌ لأدعيةِ كتاب "مفاتيح الجنان" تأليف الشيخ عباس القمي ومقارنتها بقيم الإسلام وحقائقه. يبتدئ المؤلف كتابَه بالتعريف بقاعدة (التسامح في أدلة السنن) ورواية (مَنْ بَلَغَهُ شَيْءٌ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى (شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ) فَعَمِلَهُ، كَانَ لَهُ أَجْرُ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَمْ يَقُلْهُ.) وينقد تلك القاعدة والرواية ويبطلهما. ثم يشرح حالة الشيخ عباس القمي ويبين دوافعه لتأليف كتاب مفاتيح الجنان ثم يبدأ بتحليل وتمحيص أدعية هذا الكتاب واحدًا واحدًا وينتقد الأدعية التي تتعارض مع الأفكار والعقائد الإسلامية الأصيلة. يعتبر المؤلف - استناداً إلى دلائل متعددة- أن دعاء كميل ودعاء العشرات ودعاء السمات تحتوي على عبارات صوفية وأنها تنشر العقائد الفكرية لمدرسة الصوفية. ثم يقوم المؤلف بنقد الأدعية الناقصة والمعيوبة ويذكر في هذا المجال: أدعية المشلول ويستشير والعدلية والجوشن الكبير والجوشن الصغير والقاموس. ثم يعقد المؤلف فصلاً آخر يستعرض فيه ثمان شبهات مهمة في توحيد العبادة ويرد عليها. ثم يُمَحِّص المؤلفُ دعاءَ التوسل وحرز الإمام زين العابدين ومناجاة أمير المؤمنين. ويتابع المؤلف بحثه بتمحيص فصولٍ أخرى من كتاب مفاتيح الجنان التي تتعارض مع القرآن الكريم وتعاليم الإسلام الأصلية.

٤- دراسة علمية لأحاديث المهدي

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقَعِيّ القُمِّيّ

الكتاب بحث علمي في الأخبار والأحاديث المروية حول المهدي – إمام الشيعة الثاني عشر- وفحص وتمحيص صحتها وسقمها. يسعى المؤلف في هذا الكتاب إلى فحص عقيدة وجود إمام الزمان (المهدي المنتظر) وتمحيصها بالاستناد إلى الآيات القرآنية والروايات التاريخية والأحاديث المنسوبة إلى أئمة الشيعة. يورد المؤلف في بداية كتابه مقالةً مستقلة قصيرة كتبها أحد زملائه في الفكر والعقيدة (دون ذكر اسمه) كي يتمكن القارئ من خلال ذلك من إدراك مضامين الكتاب والاطلاع على هدفه الكلي. يختص الفصل الأول من الكتاب بدراسة الروايات الشيعية حول إمام الزمان (المهدي) وولادته وحياته. وفي الفصل التالي يبحث المؤلف مسألة الرجعة كمًا وكيفًا وما سيقع خلالها من حوادث طبقاً لما يعتقد به الشيعة والتي ستقع بعد ظهور المهدي طبقاً لعقيدة الشيعة. وبعد أن ينقل المؤلف كل رواية حول المهدي المنتظر يعقبها ببيان معارضتها لمعايير العقل والمنطق ويثبت تعارضها مع القرآن الكريم ومع أحاديث النبي ﷺ وأهل بيته. وفي الفصل التالي يشرح المؤلف آيات القرآن التي يستند إليها مُدَّعُو وجود المهدي ويفسرها. ثم ينقل الروايات التي تتنبأ بالحوادث المستقبلية التي ستقع بعد وفاة المهدي. ويتابع المؤلف بحثه بدراسة أحاديث أهل السنة حول المهدي. ولما كانت أهم الأخبار والأحاديث الواردة حول المهدي قد جاءت في كتاب بحار الأنوار للمجلسي؛ قام المؤلف بدراسة وتمحيص تلك الأحاديث الواردة في ٣٢ بابًا من أبواب بحار الأنوار حديثاً حديثاً، وناقش تلك الأحاديث وأثبت سقمها وضعفها جميعًا.

٥- الخرافات الوافرة في زيارات القبور

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقَعِيّ القُمِّيّ

يدرس المؤلف في هذا الكتاب نظرة الإسلام والقرآن إلى موضوع زيارة القبور ويزن زيارات القبور بميزان العقل ومعاييره. يبتدئ الكتاب بطرح مجموعة من الأسئلة حول المكان الذي تذهب إليه أرواح الأنبياء والأولياء بعد وفاتهم، وهل يطلعون على زيارة زوار قبورهم. وضمن إجابته المدلّلة على هذه الأسئلة يبحث المؤلف مدى مشروعية بناء القباب والأضرحة على القبور وينقل الأحاديث والروايات الواردة عن أئمة الشيعة في هذا المجال. ثم يطرح في الفصول التالية من الكتاب، الروايات التي يرويها الشيعة حول زيارة النبي الأكرم ﷺ وحضرة الزهراء رضي الله عنها وأئمة البقيع وحضرة علي رضي الله عنه ويفند تلك الروايات ويدحض الاحتجاج بها. ثم يمحص نصوص الزيارات التي نُقِلَت عن بعض كبار علماء الشيعة أمثال الشيخ المفيد وصفوان وابن طاووس وجابر الجعفي والكفعمي والسيد مرتضى... ويبين تناقض متونها ومعارضتها للعقل والدين، وفي ختام الكتاب يعدد المؤلف الأضرار والمفاسد الدينية والاجتماعية التي نجمت عن انتشار خرافة زيارات القبور في مجتمع الشيعة وشيوعها.

٦- طريق الاتحاد (دراسة وتمحيص نصوص الإمامة)

حيدر علي قلمداران القُمِّيّ

بحث جامع في تمحيص النصوص والمتون الدينية المعتبرة (القرآن والأحاديث والروايات) المتعلقة بمسألة الإمامة ونقدها وتحليلها. يُعَدُّ هذا الكتاب من أهم المؤلفات التي كُتبت باللغة الفارسية في مجال نقد مفهوم الإمامة الشيعي. يذكر المؤلف تلك الآيات القرآنية التي يستدل بها الشيعة على حقية سلسلة الإمامة المنصوصة حسب عقيدتهم، ويفسر تلك الآيات ويشرحها، وكما يفحص الأحاديث والأخبار التي وصلتنا عن الرسول الأكرم ﷺ والصحابة الكرام ﷺ وأئمة الشيعة حول هذا الموضوع متنًا وسندًا بكل دقة وبعد أن يفصل ويميِّز الأخبار الشاذة والكاذبة (التي تشكل الجزء الأعظم من هذه الروايات) من الأخبار الصحيحة، يبين مفهوم تلك الأخبار ومصداقها الحقيقي واحداً واحداً. وبعد أن يبين المؤلف في بداية كتابه الأسباب والعلل الأساسية لاختلاف أمة الإسلام وجذور افتراق أبنائها بعضهم عن بعض يبحث في حادثة سقيفة بني ساعدة والمفاوضات والنقاشات التي دارت فيها مبينًا خلال ذلك كيفية مبايعة حضرة عليٍّ لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وينقل لنا روايات الشيعة حول هذا الموضوع. وفي الفصل التالي يبحث واقعة غدير خم وحقيقتها. يدور الكلام في هذا الفصل حول شرح واقعة الغدير والدافع الذي دعا نبيَّ الله إلى إلقاء خطبة الغدير المشهورة ونقد ما يستنبطه الشيعة منها. وفي الفصل التالي ينقل المؤلِّف لنا حادثة سقيفة بني ساعدة كما يرويها الطبرسي في كتاب «الاحتجاج»، ويبين لنا كيف أن الحب والبغض المذهبيين شوها الحقيقة وقلباها رأساً على عقب. ثم يذكر المؤلف عشرة أحاديث شيعية مهمة يستند إليها الشيعة لإثبات عقيدتهم في الإمامة ويحللها ويمحصها سنداً ومتناً بكل دقة. ثم يبين دوافع ثورات السادة العلويين زمن الأمويين وأقوال أئمة الشيعة الصريحة حول الخلافة ودلائلها التاريخية التي تدل جميعها على عدم وجود نص بشأن الإمامة. وهذا هو موضوع الفصل التالي من الكتاب. في الختام يعرفنا المؤلف بفرَق الشيعة المتعددة التي ظهرت بعد وفاة كل واحد من الأئمة ويشرح لنا عقائد كل فرقةٍ من هذه الفرق.

٧- طريق النجاة من شر الغلاة

حيدر علي قلمداران القُمِّيّ

كتاب مفصل مبسوط يُبيِّن أكثر الخرافات وأقوال الغلاة الشائعة بين الشيعة وينقدها وَيَرُدُّ عليها. يبتدئ المؤلفُ كتابَه ببحث علم الغيب ويثبت أن هذا العلم مختص بالله تعالى وحده، ويشير في هذا الصدد إلى الروايات الشيعية المتعددة التي تنفي علم الغيب عن الأئمة. ثم يتعرض إلى رسالة «سهو النبي» للشيخ محمد تقي الشوشتري ويستند إليها في هذا المجال. أما الفصل التالي فخصصه المؤلف لبحث الولاية وحقيقتها. في هذا الفصل ينقل المؤلف ادعاء الشيعة حول ولاية أمر علي وأبنائه ويستند إلى عدد من آيات القرآن وأقوال الأئمة أنفسهم للرد على هذه العقيدة وتفنيدها. ثم يتابع المؤلف كتابه بفصل يبحث فيه حقيقة الشفاعة؛ فيبين في بداية هذا الفصل مفهوم الشفاعة في القرآن الكريم، ثم يحلل القراءة الشيعية للشفاعة وتأثيرها السلبي في عقائد الشيعة. وفي الفصل التالي يبين المؤلف كيفية انتشار هذه الخرافة في مذهب الشيعة ويبين المسيرة التاريخية لكتب الغلاة وعقائدهم. وفي الفصل التالي يبحث المؤلف بشكل مفصَّل موضوع زيارات القبور والخرافات التي انتشرت حولها، فيبين في بداية هذا الفصل الدلائل العقلية والتاريخية على نفي زيارة القبور من قبل الرسول الأكرم ﷺ وأئمة الشيعة. ثم يبين علة اهتمام الشيعة بزيارات القبور ويعدد الدلائل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي أدت إلى شيوع هذا الطقس الخرافي في المجتمعات الشيعية. ومن مباحث هذا الكتاب الأخرى بيان تعارض أحاديث الزيارة مع القرآن الكريم وتمحيص أسانيد تلك الأحاديث وبيان حكم تعمير القبور في الإسلام. ويختص الفصل النهائي من الكتاب بنظرة عامة إلى ظاهرة الغلو وآفاتها وخبائثها الاجتماعية والدينية.

٨- الخُمْس

حيدر علي قلمداران القُمِّيّ

بحثٌ جامع ومبسوط حللَّ فيه المؤلف الأسس الشرعية والمنطقية للخُمْس في الفكر الاقتصادي للإسلام ومحَّص هذه الأسس وفحص صحتها وبيَّن الحُكم الصحيح بشأنها. يُعَدُّ هذا الكتاب أشمل تأليف مستقل كُتِبَ في عالم الإسلام حتى اليوم في نقد موضوع الخُمس بالمفهوم الشيعي، وقد أُلِّفَ بهدف دراسة أهم أحاديث الشيعة ومستنداتهم حول إيجاب أداء الخُمس وتمحيصها ونقدها. يهدف المؤلف في كتابه إلى تنقية الخمس من الزوائد والإضافات التي أضافها بعض علماء الشيعة إليه، وعلى حد قوله: (جعلوا الخمس وسيلة مطمئنة للاسترزاق وملء جيوبهم). بعد تحليله العميق والدقيق للآية ٤١ من سورة الأنفال التي نزلت بشأن غنائم الحرب، يشرح المؤلف موقف سنَّة نبي الإسلام الكريم ﷺ والأئمة من هذا الموضوع بشكل مفصَّل. بدأ المؤلِّف كتابه بدراسة مستند الخُمس في القرآن الكريم، وبعد أن أوضح استخدامات الخُمس وموارده في المجتمع الإسلامي، قام بدراسة أحاديث الخُمس التي حصرتْه برسول الله ﷺ وأهل بيته الكرام فقط. ثم واصل المؤلف بحثه ببيان الأمور التي يشملها الخُمس وقام بدراسة منطقية وعقلية للأحاديث التي نصت على وجوب الخمس، وبعد أن قارن تلك الأحاديث بالقرآن الكريم وسنة الرسول الأكرم ﷺ، قام بدراسة دقيقة لرواة أسانيد تلك الأحاديث واحداً واحداً. بعد ذلك أورد المؤلف الأخبار التي تبين أن الأئمة وهبوا الخُمس لشيعتهم، وقام بتحليل هذه الروايات، وفي الختام فحص المؤلف مصارف الخمس وسهم الإمام في زمن الغيبة. ثم نقل المؤلف فتاوى علماء الشيعة الكبار في موضوع دفع الخمس أمثال الشيخ الإسكافي، وابن الجُنَيد، والشهيد الثاني، والمحقق السبزواري، وابن عقيل،

والشيخ الصدوق، والشيخ الطوسي، والمقدس الأردبيلي، والمحقق الثاني، والقطيفي، والملا محسن فيض الكاشاني، والشيخ الحر العاملي، والشيخ يوسف البحراني، وشمس الدين العاملي، والشيخ باقر النجفي (صاحب الجواهر)، وآخرين أجمعوا كلهم على إسقاط خمس أرباح المكاسب عن الشيعة في زمن الغيبة، ولأجل هذا الغرض استعرض المؤلف أقوال أولئك العلماء وفتاواهم واحداً واحداً. ويتضمن الجزء الأخير من الكتاب مجموع إجابات المؤلف على الردود التي ألفها كل من ناصر مكارم الشيرازي، ورضا استادي أصفهاني، وسيد حسن إمامي أصفهاني على كتابه الخمس، وقد أضيفت هذه الإجابات إلى النسخة الجديدة المنقَّحة لكتاب الخمس.

٩- رَدٌّ قُرَوِيٌّ عَلَى السَّيِّدِ المَحَلَّاتِيِّ

٩

حيدر علي قلمداران القُمِّي

قام مؤلف هذا الكتاب بدراسة استدلالات وادعاءات ذبيح الله محلاتي التي ذكرها في كتابه «رَدٌّ على المناقشات بشأن خطبة الغدير ووجوب خمس أرباح المكاسب ومسألة الشفاعة»، وتمحيصها، وتفنيدها والردّ عليها. وقد كان المحلاتي ألف كتابه الأخير للرد على مقالة بعنوان «رد خطبة الغدير» كان السيد أبو الفضل البرقعي قد كتبها ونشرها في مجلة «رنگين كمان» [قوس قزح]. ولما كان السيد محلاتي قد ألَّف كتابَه على شكل أسئلة افتراضية والإجابة عنها، اتخذ مؤلف هذه الرسالة نهجًا مشابهًا وبين إجاباته عن أسئلة السيد المحلاتي واعتراضاته. في بداية الرسالة، بيَّن المؤلف قصة الغدير وما وقع فيها وذكر دلائل تثبت أنه لا يمكن أن يكون قصد الرسول الأكرم ﷺ من تلك الواقعة هو النص على خلافة علي رضي الله عنه للنبي ﷺ في الحكم والرئاسة. وقسَّم المؤلف أدلته إلى أربعة أقسام هي: الأدلة العقلية والأدلة النقلية والأدلة الوجدانية والأدلة التاريخية. ثم قام المؤلف ببحث مفصل في سند حديث الغدير الطويل وعَنْوَنَه بـ (السند الفاضح لحديث الغدير) حيث محّص رجال السند أي رواة حديث الغدير بالاستناد إلى مصادر كتب الرجال الشيعية المهمة مُبيِّنًا حال أولئك الرواة ومدى ثقتهم وإمكانية الاعتماد على روايتهم ليصل بالنتيجة إلى أن أكثر أقسام حديث الغدير الطويل موضوعة مختلَقة، وبالتالي فالنتائج والمفاهيم المستنبطة منها باطلة.

١٠- قبس من القرآن

١٠

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقَعِيّ القُمّيّ

أصل الكتاب، ترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره باللغة الفارسية باسم «تابشى از قرآن»، فتُرجم إلى العربية باسم «قبس من القرآن». هدف المؤلف من كتابه المذكور الذي يقع في أربعة مجلدات بيان مفاهيم آيات القرآن وشرح رسالته الهادية بعيداً عن العصبيات المذهبية وأهواء الفرق. يُقدِّم المؤلف في المجلد الأول من كتابه ضمن مقدمة مفصلة مبسوطة شملت نصف حجم المجلد الأول معلومات وفوائد جامعة حول أهم مباحث علوم القرآن كي يتعرف القارئ غير المتخصص، إلى حد ما، على المفاهيم والمصطلحات القرآنية الخاصة، ومن جملتها مباحث من علوم القرآن مثل: طريقة تدوين القرآن، القراءات المختلفة، دوافع وكيفية تدوين القرآن في زمن عثمان رضي الله عنه، تحريف القرآن، المحكم والمتشابه، إعجاز القرآن وأنواعه، خصائص نص القرآن الفريدة، وغير ذلك من الأبحاث. طريقة المؤلف في تفسيره، هي الابتعاد عن استخدام اصطلاحات العلوم والفنون، ونتيجة لذلك فإن القارئ يواجه نصًا سلسًا وبسيطًا ومفهوماً بيسر. بعد أن يذكر المؤلف المعنى العام للآية الكريمة يقوم بتوضيح معاني المفردات الواردة فيها -لاسيما المفردات ذات الوجوه المتعددة أو المفردات التي تحتاج إلى تعريف وتوضيح خاص - فيقوم بتفسيرها، مما يساعد القارئ على إدراك مفهوم كل آية ورسالتها.

يتضمن المجلد الأول من هذا التفسير تفسير سورة الفاتحة حتى النساء، ويتضمن المجلد الثاني تفسير سورة المائدة حتى سورة يوسف، والمجلد الثالث يواصل تفسير سورة يوسف حتى سورة فاطر، في حين يتضمن المجلد الرابع تفسير سورة يس حتى سورة الناس.

١١- نقد المراجعات

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقَعِيّ القُمِّيّ

يتضمن الكتاب نقدَ ادعاءاتِ السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه «المراجعات» وتمحيصها. لقد أُلِّف كتاب «المراجعات» بهدف مناقشة عقيدة أهل السنة (في موضوع الإمامة) ونقدها، فقام البرقعي في هذا الكتاب بالرد على بيانات شرف الدين مستنداً في ذلك إلى آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية والروايات المنقولة عن أئمة الشيعة. يبتدئ الكتاب بطرح مفهومي السنة والتشيع ثم يستعرض اتجاه الكُلَيْني المذهبي -بوصفه من أهم محدثي الشيعة- تجاه الحديث وتدوينه. ثم يشرح منهج الباطنية في تفسير القرآن وتأثير هذا النهج في استنباط المفاهيم الحديثية. ثم يبحث المؤلف موضوع ادعاء علم الأئمة بالغيب ويثبت بطلان هذه العقيدة مستنداً في ذلك إلى الروايات الشيعية ذاتها. وفي ختام الكتاب، يبين المؤلف أسباب نزول آية التطهير وآية المباهلة وآية المودة في فكر الأئمة ولدى مفسري الشيعة.

١٢- كيف اهتديت؟ ولادة جديدة واختيار جديد

حجة الإسلام والمسلمين مرتضى رادمهر

الكتابُ سيرةٌ ذاتيةٌ كتبها «مرتضى راد مهر» – من علماء الدين الشيعة المعاصرين- شرح فيها عِلَل هدايته إلى مذهب أهل السنة وما لاقاه في هذا الطريق من مصائب ومشكلات. كان المؤلف من الطلاب البارزين في الحوزة العلمية في قم. يشرح في كتابه، الدوافع التي دفعته إلى ترك الأفكار الشيعية الخرافية والاتِّجاه إلى مذهب أهل السنة، ويعرِّف القراءَ خلال بيانه لهذا الأمر بالأسس الفكريّة لأهل السنة ونقاط اختلافها مع عقائد الشيعة. كما يتضمن الكتاب بيانًا للحوادث التي تعرض لها في حياته عندما كان طالباً للعلوم الدينية وشرحاً لمناظراته واحتجاجاته مع علماء أهل السنة وكيف كانوا يجيبون عن أسئلة الشيعة وشبهاتهم حول أهل السنة؛ ولذلك فالكتاب ليس مجرد سيرة حياة ذاتية بل هو درسٌ عقائديٌّ حول أفكار أهل السنة وعقائدهم. في بداية الكتاب، يشرح المؤلف باختصار حال أسرته ومرحلة طفولته والأسباب التي دعته إلى التحاق بالحوزة العلمية والجامعة. ثم في الفصل التالي يتكلم عن سفره إلى بلوشستان وتعرفه على مولانا (الزعيم الروحي والعقائدي لأهل السنة في تلك المنطقة). ويشرح كيف التقى فيه وتحدث معه. ثم يبين سفره إلى الحج وزيارته لمدينة السليمانية في العراق وزيارته لسوريا وتأثير تلك الأسفار عليه. في الفصول الختامية للكتاب يبين المؤلف التحولات الروحية العميقة التي عرضت له واعتقاله المتكرر من قبل المخابرات الإيرانية وتعاملهم السيء معه وأنواع التعذيب الشديدة والرهيبة التي تعرض لها في السجن. تتضمن الفصول النهائية للكتاب شرحاً لآخر أيام حياة رادمهر بقلم شخصٍ آخر، لأن المؤلف كان قد توفي بسبب العلل الجسيمة الناجمة عن التعذيب التي تعرض له على أيدي المخابرات في بلاده.

١٣- مفتاح فهم القرآن

شريعت سنگلجی

بيانٌ لطرق تدبر القرآن وكيفية فهمه وكيفية استخراج الفوائد والأحكام من آياته. يشير المؤلف في بداية كتابه إلى أن رسالة الإسلام رسالة عامة لجميع الخلق. وكذلك تعاليم الإسلام موجهة لعامة البشر. ويعتبر أن القرآن الكريم كتابٌ يخاطب عامة البشر ولا ينحصر فهم معانيه ورسالته بجماعة خاصة، ويسعى في بيان أصول فهم القرآن بلغة ميسرة بسيطة. ولأجل هذا الغرض، يبين في بداية الكتاب المفاهيم الأساسية الضرورية لفهم آيات القرآن ويقدم توضيحاً مختصراً حول كل واحد من تلك المفاهيم؛ ومنها: الظاهر والباطن، المحكم والمتشابه، التفسير بالرأي الممدوح والتفسير بالرأي المذموم، الضروريات والناسخ والمنسوخ. ويواصل المؤلف فصول كتابه ببحث أنواع القَسَم في القرآن ومفاهيمه ثم يبحث فواتح السور وأمثال القرآن. ثم يبحث طرق استدلال القرآن وماهية الوحي وكيفيته. ثم يتعرض المؤلف إلى بيان مناهج الفرق والنحل الفكرية المختلفة مثل السفسطائيين والحِسّيين والتجريبيين والصوفية في فهم القرآن وتفسيره. وأخيراً يستعرض المؤلف موقف القرآن وتعاليمه حول النبوة والقيامة والمعاد.

١٤- الدعاء

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقَعِيّ القُمِّيّ

تحليل لمفهوم الدعاء في الإسلام وبيان شروط الأدعية التوحيدية وكيفية التمييز بينها وبين الأدعية الشركية والباطلة. يُمحِّص المؤلف في هذا الكتاب بعض أهم كتب الأدعية الشيعية ويبين علة انحراف مضامينها. ويسعى بالاستناد إلى آيات القرآن الكريم والأحاديث الموثوقة إلى بيان الأضرار التي ألحقتها الأدعية المخترعة والمُضِلَّة في الفرد والمجتمع. ثم يطرح المؤلف بعض الشبهات والأسئلة الشائعة حول الدعاء والتوسل ويرد عليها ردًا مدللًا مبرهنًا.

١٥- منهاج السنة في رد أهل البدعة

١٥

تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية

الشرح والتعليق: آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقَعِيّ القُمِّيّ

الكتاب ترجمة إلى الفارسية لكتاب «المنتقى» تأليف محمد بن عثمان الذهبي. وكتاب المنتقى اختصار لكتاب «منهاج السنة النبوية في نقد كلام الشيعة والقدرية» تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرَّاني الدمشقي الذي ألفه في الرد على أفكار الشيعة وعقائدهم الباطلة. طريقة المؤلف في هذا الكتاب هي الابتداء بنقل عقائد الشيعة حول الإمامة والخلافة ثم تفنيد هذه العقائد بالاستناد إلى آيات القرآن الكريم وكلام نبي الإسلام الكريم ﷺ وإلى المنطق والعقل السليم. في هذا الصدد ذكر المؤلف الدلائل التي ساقها العلامة الحلي لإثبات لزوم زعامة عليٍّ رضي الله عنه للمسلمين بعد رحلة النبي ﷺ وأنه أولى بخلافة النبي ﷺ من سائر الصحابة رضي الله عنهم، لإثبات إمامة علي رضي الله عنه في القرآن الكريم ثم قام بالإجابة عن هذه الأدلة واحداً واحداً بشكل مفصل مُبيِّناً ضعفها وتهافتها. وأما مترجم الكتاب إلى الفارسية، آية الله البرقعي، فقد علَّق وشرح بعض الموضوعات في هامش الكتاب للرد على عقائد الشيعة الإمامية، مما زاد ذلك في أهمية الكتاب.

١٦- تأمل في آية التطهير

آية الله العظمى نعمت الله صالحي نجف آبادي

شرح وتفسير لآية التطهير ودراسة وتمحيص لما يقوله الشيعة بشأن من تنطبق عليهم هذه الآية والرد على قولهم هذا. من المعلوم أن الآية ٣٣ من سورة الأحزاب المشهورة بآية التطهير إحدى أهم الآيات القرآنية التي يستند إليها الشيعة لإثبات عقيدتهم بعصمة أهل البيت. يسعى المؤلف في هذا الكتاب إلى بيان الوقائع التي أدت إلى نزول هذه الآية. ولأجل إثبات كلامه في هذا المجال يفحص المؤلف بكل دقة الآيات التي جاءت قبل هذه الآية وبعدها ويبين ترابط الآيات ووحدتها في بيان رسالة واحدة للقارئ، وبهذه الاستدلالات المختصرة والمنطقية يبطل إدعاء الشيعة حول هذه الآية.

١٧- التناقضات في العقيدة

١٧

محمد باقر سجودي

الكتاب تحليلٌ ودراسةٌ تاريخيةٌ للوقائع التي حدثت بعد رحلة النبيﷺ وأدت إلى وصول الخلفاء الثلاثة إلى منصب الخلافة وزعامة المسلمين. ليس هدف المؤلف من هذه الرسالة إهانة عقائد الشيعة بل مساعدتهم في إدراك حقانية الصحابة ومعرفتهم معرفة صحيحة. في بداية الكتاب عدَّدَ المؤلفُ الدلائل التي دعت الرسول الأكرمﷺ إلى تجنب تعيين وصي له. وتابع المؤلف بحثه بذكر الآيات القرآنية التي نزلت في الثناء على الصحابة رضي الله عنهم وبيان عظيم منزلتهم وقام بتفسير هذه الآيات. وذكر المؤلف الخصائص والمزايا التي بينها الله تعالى في وصفه للصحابة للنبيﷺ وجعل تلك الخصائص في ١٣ مجموعة شرحها واحدة واحدة. ثم عَرَّف في الفصل التالي بالمنافقين وبيَّن صفاتهم استنادًا إلى آيات القرآن الكريم. ومن موضوعات الكتاب الأخرى دراسة وتحليل أسباب الاختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم ومحبي أهل النبيﷺ وخصائصهم وتحليل واقعة الإفك وسلوك النبيﷺ مع بناته.

١٨- توحيد العبادة

شريعت سنگلجي

يبين الكتاب قواعد ومعايير التوحيد في الإسلام ويشرح العقائد الخرافية الشركية ويعرفها للقراء. يبتدئ المؤلف كتابه بطرح أصل التوحيد ومعناه ومصاديقه. ثم يقوم ببيان مفهوم العبودية وشروط تحققها ويشرح العبودية العامة والخاصة ويتابع كتابه ببيان معنى الشرك والأعمال والأفكار الشركية التي وجدت طريقها لآداب المسلمين ومناسكهم ولاسيما الشيعة منهم. ويقسم الشرك إلى نوعين: الشرك الأكبر والشرك الأصغر؛ ويبين مصاديق كل منهما. ومن جملة مباحث هذا الفصل من الكتاب بحث التبرك، وذبح الأضاحي لغير الله والتوسل لغير الله والرياء والشفاعة. في الفصل التالي يبين المؤلف معنى قانون السببية وحقيقته وخطأ العوام في فهمه ثم يقوم بتحليل طقوس زيارة قبور عظماء الدين كالنبيﷺ والأئمة بوصفها نماذج شركية لهذا الفهم السيئ لقانون السببية. ويختص الفصل النهائي للكتاب ببيان الأسباب التاريخية والاجتماعية لظهور عبادة الأصنام وشيوع الشرك والخرافة في الإسلام.

١٩- الخلافة والإمامة

١٩

حيدر علي قلمداران القُمِّيّ

طرحٌ لأسئلةٍ أساسيةٍ حول عقائد الشيعة بشأن إمامة الأئمة وخلافة صحابة نبي الإسلام الأجلاء. يطرح المؤلف في هذا الكتاب مسائل مهمة حول أمر الخلافة والإمامة مستعيناً بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الصحابة والتابعين الأجلاء، ويدعو الشيعة إلى التفكُّر فيها وتأمُّلِها بإنصاف. في بداية الكتاب يبحث المؤلف موقف حضرة عليٍّ رضي الله عنه من مسألة انتخاب الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم الذين سبقوه وينقل لنا خطب الإمام علي ورسائله التي تدل على رضاه عن ذلك. ثم يتعرض المؤلف إلى موضوع ذكر أسماء الأئمة الشيعة في القرآن ويذكر تفسير الآيات التي يستند إليها الشيعة في ادعائهم ويثبت خطأ استنباطهم لعقيدتهم من تلك الآيات. في هذا الفصل وبعد أن يذكر المؤلف أدلة عديدة من القرآن الكريم ينقل لنا روايات متعددة عن الأئمة أنفسهم حول عدم عصمتهم من الخطأ والزلل.

٢٠- العقيدة الإسلامية

تأليف: الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب

الشرح والتعليق: آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقِعِيّ القُمِّيّ

الكتاب بيان للعقائد الإسلامية الأصيلة استنادًا إلى آيات القرآن الكريم النورانية وأحاديث نبي الرحمة والمغفرة - محمد المصطفى ﷺ - الشريفة. يشير المترجم في مقدمته على الكتاب إلى العداء الأعمى والجاهل للشيعة - خاصة في إيران - تجاه الموحدين في شبه الجزيرة العربية الذين يُعرفون في إيران باسم الوهابيين. الدافع الأصلي الذي دعا المؤلف إلى ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية هو رغبته في الدفاع عن المنهج الفكري والعقائدي للموحدين في شبه الجزيرة العربية ومعرفة عقائد الشيخ محمد بن عبدالوهاب - مصلح الحجاز الديني في القرن الثاني عشر الهجري- وتعاليمه من خلال مؤلفاته. يُعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب المؤلفة في بيان العقيدة الإسلامية الأصيلة في أسلوب سهل وميسر مما يجعله نبراسًا للمسلمين الأحرار الذين يعتَبِرون كتابَ الله وسنَّةَ رسوله المطهَّرة كافيين ووافيين للهداية ونيل السعادة الأبدية وينحازون بعيداً عن كل تعصب إلى تعاليم الإسلام الأصيلة. يشتمل هذا الكتاب على ثلاثة رسائل لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: في الرسالة الأولى بيان لأسس التوحيد ومعرفة الله سبحانه وتعالى، وكيفية معرفة النبي ﷺ، والآثار الدينية لذلك التوحيد والمعرفة الصحيحة في المجتمع وواجبات المؤمنين تجاه الله تعالى ورسوله. وفي الرسالة الثانية، يشرح المؤلف معايير تمييز الحق من الباطل في اتباع الدين الحنيف، وفي الرسالة الثالثة يطرح المؤلف الشبهات التي يوردها المغرضون والمشركون على الإسلام وأفكاره التوحيدية ويرد عليها ردًا مُدَللًا. وأما المترجم آية الله البرقعي رحمه الله، فقد علق على الهامش بتعليقات علمية نافعة. جزى اللهُ تعالى المؤلفَ والمترجمَ عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.